سلسلة
أفلا يتدبرون القرآن



الجلال والجمال

في رسم الكلمة في القرآن الكريم

دكتور
سامح القليني

الجلال والجمال

في رسم الكلمة

في القرآن الكريم

دكتور

سامح القلينى

الطبعة الأولى : رمضان ١٤٢٩ / سبتمبر ٢٠٠٨

يطلب من :
المؤلف الدكتور/ سامح عبد الفتاح القلينى
E-mail: sameh_kaleeny@yahoo.com
ت : ٠١٠٣٨٤٠٥٠٧

ومن مكتبة وهبـــة
١٤ شارع الجمهورية ــ عابدين ــ القاهرة
ت : ٢٣٩١٧٤٧٠
والمكتبـات العامـــة

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٧٢٠٠/٢٠٠٨
بتاريخ ٢/٩/٢٠٠٨

المقدمة

الحمد لله موصولا كما أمرا ....مباركا طيباً يستنزل الدِّررا
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إن موضوع البحث فى وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم ليس بالأمر الهين ، والحديث فى خصوصيات رسم الكلمة فى القرآن الكريم بصفة خاصة يحتاج إلى بحث عميق وتدبر طويل وإلى استرجاع لما قاله علماء البلاغة و علماء التفسير و علماء علم القراءات وعلماء علم الصوتيات ، وغيرها من باقى أصناف العلوم التى سنعيش معها من خلال بحثنا هذا.

والدراسات التى سبقت هذا الكتاب تعتبر نظرات جزئية لاتتناول إلا أمثلة محدودة لاتعطى تفسيراً شاملاً لهذه الظاهرة الخطيرة ، ولذلك قررت أن أخوض في هذه المشكلة بكل تفاصيلها بعقل فارغ من أى تعصب ، وغير مدفوع بعقيدة تسيطر على البحث أو توجه التأويل سوى البحث عن الحقيقة.. بل إننى دخلت البحث من جهة الشك لأصل إلى الحقيقة المجردة حتى وصلت إلى وجه الحق واليقين الذى سيراه القارئ عملياً وعلى أرض الواقع بالبرهان والدليل الساطع،الذى ينادى بالمعجزة العليا حتى فى رسم الكلمة فى هذا الكتاب المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. كتاب أحكمت آيته ثم فصلت... ووجدت الصدق الكامل لحديث الرسول الحبيب (ﷺ) فى قوله الشريف عن هذا الكتاب الخالد (لا يشبع منه العلماء ولا تنقضى عجائبه...).

والبحث فى هذا الكتاب العظيم له متعة عقلية وروحية لايعرفها إلا من تذوقها، فضلاً عن أنه من أجَل العبادات وأمتعها، ومن ذاق عرف .. ومن عرف *بلغ*......!

والبحث فى القرآن الكريم هو (إمتاع للعقل وإشباع للعاطفة)، شأنه شأن كل الأبحاث التى تبحث فيه دائماً – وإن كان هذا البحث من أمتعها وهو بحث جديد وله

جذور عميقة أيضاً – كما سنرى– وأتمنى أن يكون كذلك عندك أيهـا القـارئ وأن يكون خالصاً لوجهه تعالى .

ومما يزيد هذه المتعة إمتاعاً أنها إضافة جديدة لكتاباتى الأخرى عـن ألـوان أخرى مختلفة من الإعجاز فيه ما فيه من هذه المتع الروحية والعقلية وهو (الإعجـاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم ..ولماذا التكرار فى القرآن الكريم؟) ،وقد عشت فيه ومعه أمتع أوقات حياتى، مضيفاً إليه إعجاز القرآن فى اختيار الكلمة بحروفها التى تصور المعنى كاملاً وترسم المشاهد بصوت الكلمة وصوت حروفها،كأنها لوحة فنيـة بديعه، وهو ما نسميه (جرس الكلمة فى القرآن) – والذى سنعيش مع طرف منـه فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى – وفيه نرى كيف يرسم جـرس (صـوت) الكلمـة المشاهدَ الحية والمتحركة والنابضة بالحياة بحروف هذه الكلمة المختارة بالدقة البالغـة والمدهشة فى القرآن الكريم –المعجزة الخالدة التى لا يشبع منها العلماء ولا تنقـضى عجائبه.

ومن الجمال فى هذا البحث والأبحاث الأخرى فى القرآن الكـريم أن يكـون اعتمادنا بالصفة الأساسية على النص القرآنى نفسه بالدرجة الأولى، مستصحباً معـه آراء أعظم المفسرين وعلماء البلاغة وعلماء علم القراءات ،وقد تحريت علـى قـدر الإمكان أن يكتب هذا البحث بطريقة سهلة وميسرة،وبلغة بسيطة يفهمهـا القـارئ البسيط أيضاً والذى ربما لا يستسيغ القـراءة أو الـسماع لعلـم النحـو،أو علـم القراءات،أو البلاغة العربية بصفة عامة والبلاغة القرآنية بصفة خاصة .

وقد تأخرت كثيراً فى طبع هذا البحث ، بل لقد قمت بإصدار كتب أخرى مثل كتب (مقارنة الأديان، الرد على الشبهات) كنت أعتبرها فى المرتبـة الثانيـة فى مرتبـة الأولويات، وكنت أنوى تأخيرها، وذلك لإحساسى بعظمة وهيبة وجلال الحديث فى هذا الكتاب المعجز – القرآن الكريم –، ولشعورى الدائم أننى كلما ظننت الانتهاء والإكمال لهذا البحث أو غيره، أجد أننى لم أوف هذا الموضوع قيد أنملة من حقه ، وأتيقن تماماً أننى مازلت مقصراً فى حقه ، وكلما ازددت ادعاءً بعلمى لبعض أسراره كلما ازددت إحساساً بجهلى وعجزى ، وأنه مازال هناك الكثير والكثير قبل نشره، وإحساسى ويقينى – أيضاً – أن هذا البحث لا يقوم به فرد واحد، بل ولا جيل واحد من الأجيال، ولكنه يحتـاج إلى جهد أجيال متعاقبة ، ولن يوفوا أيضاً هذا الإعجاز حقه ، وسيظل إعجازه إلى أن تقـوم

الساعة، وصدق أستاذنا الدكتور (فاضل السامرائى) حيث يقول عن اللفظ القرآنى: (... كل ذلك يضعه المولى وضعاً فنياً فى غاية الروعة والجمال. ثم هو يجمع بين ضروب القول المختلفة ويؤلف بينها فى حشد فنى عجيب لا يملك العارف بشئ من أسرار التركيب إلا أن يسجد لصاحب هذا الكلام إجلالاً وخشوعاً : **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)** الزمر.

لقد دُرس التعبير القرآنى دراسات مستفيضة ، وأُولى من النظر ما لم ينله نص آخر فى الدنيا. فقد دُرِسَ من حيث تصويره الفنى فكان أجمل تصوير وأبرع لوحة فنية، ودرس من حيث نظمه وموسيقاه، فكان أروع عقد منظوم وأعذب قطعة فنية موسيقية، وهل يشك أحد فى فخامة نظمه، وحلاوة موسيقاه ، وعذوبة جرسه، وحسن اختيار ألفاظه ، وجمال وقع آياته؟!

ودُرس تناسب سوره سورةً سورةً ، وتناسب آياته آية آية ، وتناسب فواتح السور وخواتمها، فكان قطعة فنية واحدة محكمة الربط فخمة النسج، وكان كما قال الفخرالرازى: إن القرآن كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض ، بل هو كالآية الواحدة.

ودرس من حيث إعجازه فكانت جوانب إعجازه لاتحصى؛ أهو فى أسلوبه وتعبيره، أم فى تشريعه وفقهه، أم فى معالجة جوانب الحياة المختلفة على أكمل وجه وأبهى صورة، أم فى إخباره عن الأمم الماضية والأقوام البائدة ؛ أم فى إخباره عما سيقع ؛ أم فيما قرره من حقائق علمية وكونية يكتشف الناس على مدى الدهر قسماً منها، أم فيما وضعه من قواعد وأصول التربية ومعرفته بأدواء القلوب والنفوس،أم فيما ذكره من سنن التاريخ والخلق، أم فيما ذكره من أصول علم الاجتماع، أو غير ذلك وغيره، أم هو فى كل ذلك وأشياء أخرى فوق ذلك؟!

أهو كتاب لغة، أم كتاب أدب، أم كتاب تشريع، أم كتاب اقتصاد، أم كتاب تربية، أم كتاب تاريخ، أم كتاب اجتماع، أم كتاب سياسة، أم كتاب عقائد، أم هو كل ذلك وفوق ذلك؟!.

عجيب أمر هذا الكتاب! يراه الأديب معجزاً، ويراه اللغوى معجزاً، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المربون معجزاً، ويراه علماء

النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزاً، ويراه علماء الاجتماع معجزاً، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخٍ فى علمه معجزاً.

لقد كشف لهم وهم يبحثون فى وجوه إعجازه عن بحار ليس لها ساحل، وغاصوا فى لجج ليس لها قعر، وكلٌ عاد بلؤلؤة كريمة أو عقد نظيم ، وبقيت ثمة خزائن تفوق الحصر لم يلجها الوالجون، وكنوز لا يُطيقها إحصاء، لم تمتد إليها الأيدى، تفنى الدنيا ولا تفنى، ويبلى كل جديد ولا تبلى، فيها من عجائب صنع الله ما لو اطلعت عليه لم تعرف كيف تصنع ، ولاستبد بك عجب لا ينتهى ، وتمكن منك انبهار لا ينقضى ، ومفتاح ذلك تدبره والنظر فيه ، فامنحه شيئاً من التدبر والنظر يمنحك من أسراره ما لم يكن منك ببال، إنه يعطيك أضعاف ما تعطيه.

إن هذا الكتاب يمنح من نظر فيه وتدبره خزائن بغير حساب ، ويفتح الله عليه من ألطافه ما يجل عن الوصف ، فلا تضيع هذه الصفقة الرابحة وإلا فأنت والله مغبون.

أأدركت الآن سر قوله تعالى: **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** (٢٤) ؟! أما إنهم لو تدبروه لفتحت أقفال القلوب، ولان ما كان عصياً من الأفئدة ، ولأوقدت مصابيح عهدها بالنور، وأشرقت دروب لم يسقط عليها فيما مضى نور، ولحَيَت نفوس ما عرفت قبل ذلك حياة.

ألم يسمه الله نوراً؟ فقال: فى سورة النساء (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا** (١٧٤)).

أو لم يسمه الله روحاً؟ فقال: فى سورة الشورى (**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** (٥٢)).

فهو روح ونور، وهل بعد ذلك شئ، وهل قبله شئ؟ ليت شعرى هل يفقه الناس؟! ألا ليت الناس يفقهون .) انتهى من التعبير القرآنى.

وأعود وأكرر: إن البحث فى رسم المصحف الشريف قضية ليست ككثير من القضايا: فهى جلالة قدر ، وحرج مسلك ، وهيبة مقام. فهى تعرض للقرآن الكريم فى بعض كلماته وتبيين معناه ، ونحاول بالنظر الصحيح والرأى الرشيد أن نصل إلى بعض أسراره ،ولاندعى الوصول ولكنها محاولة للوصول إلى كلمة سواء يصح الأخذ بها والاطمئنان إليها، وما كان لقضية كهذه أن يسهل صعبها، ويدنو بعيدها، إلا بحبل من الله

ومدد من عونه، وعلى نور من هداه. فلم يكن إلا أن أرجع إليه- سبحانه- خاشعاً متضرعاً أسأله- عز شأنه- أن يجنبنى فيها زيغ القول ويعصمنى من خطل الرأى ويباعد بينى وبين التكلف والاعتساف.

وقد تعمدنا فى بحثنا هذا على أن يجمع بين القديم والجديد ؛ وأن يكون محاولة تأصيلية نسمع فيها أراء العلماء القدامى وعلى رأسهم الإمام: المراكشى، الزركشى، السيوطى وغيرهم من فطاحل وأئمة التفسير والبيان من علمائنا الأجلاء.

وفى أثناء عملية التأصيل هذه قمنا باختيار ومناقشة أساتذة عظام لهم باع عظيم وعلم غزير فى علوم البلاغة والقرآن ، ولهم إخلاص وغيرة على كتاب الله عز وجل ، وكان فى مقدمتهم أستاذنا العظيم الدكتور :(عبد العظيم المطعنى) أستاذ البلاغة والنقد بالأزهر الشريف وصاحب المكتبة القرآنية العظيمة ومؤلفاته الكثيرة (ومنها: خصائص التعبير القرآنى، والمجاز فى القرآن الكريم وهو مجلد يصل إلى ألف صفحة، دراسات جديدة فى إعجاز القرآن، وسلسلة ردود إسلامية).

وقد اخترنا عرض ومناقشة مقالاته التى كتبها حول هذا الموضوع (خصوصيات الرسم العثمانى) والتى قام بنشرها على صفحات مجلة منبر الإسلام فى خمس وعشرين مقالة بدأها من ديسمبر ٢٠٠٠ .. لأن فضيلته قد قام بعرض آراء علمائنا القدامى الذين ذكرنا أسماءهم ، ولكنه عرض أدبى مبسط — أغنانى عن تكرار قولهم –، وقام فى بعضها بإضافة رأيه الخاص أيضاً، وقد كنا فى بداية البحث نود أن نعرض لرأى أجلة علمائنا القدامى ولكن كفانا ذلك أستاذنا المطعنى — وهو أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأزهر الشريف وله أسلوبه الأدبى المميز وقد عاش أطراف المحنة التى تنادى بتغيير الرسم العثمانى — رسم المصحف- وادعاء خلوه من الحكمة- ، مع مراعاة أننا ستتعرض لما تركه من أقوالهم ، وسنناقش ما عرضه من آراء وما تركه من استنباطات رغبة فى محاولة منا للوصول إلى عرض كامل وشامل للقضية على قدر الإمكان - كما سترى ذلك عزيزي القارئ -.

وفى أثناء عرضنا فى هذا البحث لم ننس إشراك أفاضل علمائنا فى هذا العصر من فرسان البيان وعلماء البلاغة واللغة من أمثال أستاذنا العملاق الأستاذ الدكتور(فاضل السامرائى) صاحب المكتبة القرآنية والنحوية العظيمة والتى منها : (معانى النحو وهو فى أربعة مجلدات، والتعبير القرآنى، وبلاغة الكلمة) وغيرها من الكتب والمقالات التى تشير إلى المكانة العالية لصاحبها فى علم البلاغة والبيان.

وقد قمنا فى أثناء بحثنا هذا بالتعرض لبعض وأهم الكتب التى يشير إليها بعض العلماء الأحباء لنا ، ولكنها تسير فى الاتجاه المعاكس لمنهج بحثنا هذا ، مراعـــاة منـــا لسماع كل ما قيل من الطرف الآخر ومناقشته على أرض الواقع ، وأشهد الله تعـــالى أن هذه المناقشة ما كان من هدف منها إلا ابتغاء وجه الله تعالى والبحث عن الحقيقـــة والوصول إليها ، ونكن لكل هؤلاء العلماء كامل التقدير والاحترام .

وكان من هذه الكتب كتاب (*رسم المصحف دراسة تاريخية*) للدكتور(غانم قدورى) .. وقد اخترناه لمكانته التى أشرنا إليها ، وقد كـــان عبـــارة عـــن رســـالة دكتوراه،وهو أكثر من سبعمائة صفحة، واخترنا مناقشته لما رأيناه مـــن الـــضرورة القصوى لإتمام بحثنا وإكماله، ولتكون الصورة واضحة دون إهمال لـــرأى الطـــرف الآخر.. وسنرى كيف يتناقض هؤلاء فى أقوالهم وهم يناقشون القضية بعيداً عن أرض الواقع ، وبدون استجلاب النصوص ومقارنتها . فهو يقول رأياً ويعلم أن آلافا غـــيره يقولون بغير هذا الرأى التاريخى غير الموثوق فيه – كما يذكر هو ، ويرجح –.. وليس فى ذلك شىء من الحقيقة التى تطمئن بها النفس – كما سنرى–..

وسنقوم فى بحثنا هذا بمناقشة هؤلاء الذين توهموا أن هذا الرسم القرآنى خطـــأ من الكاتب ، وهؤلاء الذين قالوا بأنه سرٌ من الأسرار لايعلمـــه إلا الله مثلـــه مثـــل الحروف المقطعة فى بداية بعض السور، وهؤلاء الذين حاولوا الوصول ولكـــن قـــصر باعهم وأعلنوا أنه إعجاز عظيم يحتاج إلى جهد أجيال وأجيال وليس جيل واحـــد أو فرد واحد.

ولكننى أسأ ل هؤلاء الذين توهموا أن هذا الرسم القرآنى خطأ من الكاتب : لماذا لم يحدث ذلك العجز والخطأ الكتابى أو التطور الكتابى!!– كما يسميه هو – فى كتابات كانت معاصرة لكتابة القرآن الكريم – وبنفس أيدى كتبة الوحى – مثـــل أحاديـــث النبى (ﷺ) التى سجلها العلماء وحفظوها لنا؟ بل لماذا بقيت هذه الكتابة محفوظـــة فى رسائله (ﷺ) للملوك والأمراء مثل المقوقس وملك الحبشة وغيرهما، والـــتى ســـجلها التاريخ بحروفها كما هى، وقد كتب النبى (ﷺ) فيها كلمات مخالفة لما هو فى الرســـم القرآنى مثل كتابته كلمة (الكافرين) بالألف، وهى مكتـــوبة فـــى القرآن بدون ألف

(ٱلْكَـٰفِرِينَ) .. وكتب النبى (ﷺ) الآية: وكلمته (ألقاها) بالألف .. وهى فى القرآن بدون ألف (أَلْقَىٰهَا)......وكان يكتب لهم (يا أهل الكتاب) بالألف رغم أنها فى كل القرآن مكتوبة بدون ألف (يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ) .....، ونقول له أن الكتبة هم الذين كتبوا الوحى أيضا بأيديهم وفى نفس هذه الحقبة التاريخية ، وفى زمن وجود النبى (ﷺ).

بل ونعيد عليه السؤال مرات ومرات : لماذا كتبوا فى القرآن نفسه أسماء سور القرآن (بالألف) بطريقة مخالفة لرسمها القرآنى التى كتبت جميعها (بدون ألف) مثل:الصافات ، والحجرات ، والذاريات، والمنافقون، والطلاق ،القيامة ، والإنسان ، والمرسلات ، والنازعات والغاشية والعاديات والكافرون وغيرها(جميعها كتبت فى عنوان السورة بالألف) رغم ورودها فى الرسم القرآنى فى بداية وداخل السورة بدون ألف،وكاتبهم هو هو كاتب الوحى أيضاً.. ،وكذلك كتبوا عنوان سورة الليل بلامين وهى مكتوبة فى القرآن كله بلام واحدة (اليل).. فلماذا لا يتأثر كل ذلك – ومعه رسائل النبى (ﷺ) – بهذا المنهج التاريخى الذى يشير إليه كاتبنا دائماً ، ويلغى أى فكرٍ آخر تنطق به النصوص وينطق به رسم الكلمات كما سنرى .

وقد قمنا فى هذا البحث بالتعرض لنوع آخر من أنواع الإعجاز فى القرآن الكريم وهو ما نطلق عليه "جرس الكلمة" ، وسنرى على عجالة كيف أن حروف الكلمة ترسم – بصوتها – المشهد الذى تعبر عنه هذه الكلمة – صوتاً وصورة – بإعجاز لم يسبق له مثيل.

وكما يقول الدكتور عيد الطيب فى كتابه (فى فقه اللغة من قضايا الدلالة): أن الدلالة الصوتية تتمثل فى مماثلة جرس الأصوات ورنينها لجرس الحدث ورنينه عندما يكون الحدث من المحسات بحاسة السمع.. وقد تكون هذه الدلالة العرفية قائمة على حسن الاختيار ودقته ، ويتمثل ذلك فى الآتى:

(١) مناسبة صفات الصوت للمعنى.
(٢) مناسبة زمن الصوت لزمن الحدث.
(٣) مناسبة صيغة اللفظ للمعنى.
(٤) زيادة المبنى لزيادة المعنى.

وسنرى ألوانا أخرى – فوق ما ذكره أستاذنا– وسنرى أن هذا النوع من الإعجاز لا ينفصل عن الإعجاز فى رسم الكلمة من زيادة حرف أو نقصانه ، أو فتح

التاء أو قبضها، أو غير ذلك مما سنعيشه فى بحثنا هذا إن شاء الله ، بل إننا سقنا هـذا البحث "جرس الكلمة" لأنه عنصر هام ومكمل ولا ينفصل عن موضوع كتابنا هذا ، وأنه من نفس المصدر الذى جاء منه باقى أنواع الإعجاز وعلـى رأسـها الإعجـاز الصوتى والبلاغى. ولعله من المفيد أن يعلم القارىء نبذة سريعة عن موضوع البحث فى رسم الكلمة على هذه الصورة المخالفة لرسمها المعتاد :

(١) فأحياناً تعلو نبرة الحديث فى السياق فنجد إضافة الألف فى الكلمـة ، وأحيانـاً أخرى تهدأ نبرة الحديث فتحذف الألف- كما حدث فى رسم كلمة "سبحان"؛ حيث كتبت فى سورة الإسراء بالألف الظاهرة، حينما كان الـسياق ملتـهباً وعالى النبرة فى مجادلة القوم مع النبى (ﷺ) ورده القاطع والحاسم علـيهم.... وفى باقى الآيات فى السورة وفى السور الأخـرى حينما كانت النبرة هادئـة ودعوة للتسبيح فقط حذفت الألف فكتبت (سُبْحَـٰنَ) فى آيات كثيرة سنعيشها فى بحثنا هذا إن شاء الله.

(٢) وأحيانا يقوم رسم الكلمة برسم صورة للهدم والإفناء فتحـذف الحـرف مـن الكلمة، وترسم صورة البناء والتشييد فتزيد الحرف (راجع بحثنا عن : ترابـاً بالألف وبدون الألف ،عظاما بالألف وبدون ألف..وغير ذلك).

(٣) وأحياناً ترسم الكلمة الصورة المادية فتضع الألف ، وأحياناً ترسم الصورة المعنوية أو الغيبية أو الملكوتية فتحذف الألف (راجع على سبيل المثال: القواعد بألف وبدون ألف، وغيره).

(٤) وأحياناً تفرق الكلمة بين المجاز والحقيقة فى الكلمة والمشهد المعـروض وذلـك بحذف الألف أو وضعه ؛ فترسم صورة لمشهد المجاز بحذف الألف ، ثم تعـود بنفس الكلمة فترسمه على الحقيقة بإضافة الألف.

(٥) وأحياناً ترسم الكلمة صورة للمشهد السريع أو المتناقص بحذف الألف ، والمشهد المتباطىء أو الكامل بوضع الألف (ويدع الإنسن..).

(٦) وأحياناً ترسم صورة المشهد أو الفعل المتحرك بإضافة الألف، وترسـم صـورة المشهد الساكن بحـذف الألـف (كمثـال: باسـط – بـالألف وبـدون الألف..وغيره).

(٧) وأحياناً ترسم خفة الحدث بخفة الحروف ، وثقل الموقف أو تفخيمه بزيادة حرف أو أكثر (جزاء، جزاؤا.. دعاء ، دُعَٰٓؤُا،... الـضعفاء ، ٱلضُّعَفَٰٓؤُا..أبنـاء ،

أَبْنَتُؤاْ...البلاء ، ٱلْبَلَتُؤاْ.. ٱلصَّلَوٰةَ ، الربا ، ٱلرِّبَوٰاْ..وراء حجـــاب، مِن وَرَآيِ حِجَابٍ .. وهكذا الكثير).

(٨) وأحيانا يفرق رسم الكلمة بين صورة الفعـــل وصـــورة الاســـم (نعمـــة الله لا تحصوها...نعمت الله لا تحصوها ، رحمة، رحمت...ســـنة ، ســـنت...امـــرأة، إمرأت...شجرة الزقوم ، شجرت الزقوم... جنة، جنت..).

(٩) وأحياناً ترسم الكلمة صورة الفراش الهادىء والمريح (تعبر عنه بحذف الألـــف – (ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا–) وترسم اشتعاله واضطرابه والتقلب عليه بإضافة الألف (لهم من جهنم مهاد).

(١٠) وأحيانا تلفت النظر إلى الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلـــوق بإضـــافة الحرف أو حذفه ، بل وبين صفات الخالق نفـــسها مثـــل (تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) فـــالأولى(الجـــلال) بـــدون ألـــف والثانيـــة (الإكـــرام) بالألف،و(تبارك) بالألف وبدون ألف.. وهكذا.

وأحيانا تفرق بين أفعال الخالق وأفعال غيره (طائف مـــن ربـــك ، طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ) وغير ذلك تحت هذا العنوان.

بل أحياناً ترسم شجرة العائلة رسماً مبهراً من (الأبناء ، والوالـــدة والوالـــدين والأخوات والعمات والخالات والروجات والصاحبة.. وكل هذه الصور من العلاقة فى شجرة العائلة بدقة رهيبة نراها فى بحثنا هذا تحـــت هـــذا العنـــوان (شجرة العائلة كما رسمها القرآن بحروف الكلمة).

(١١) وتفرق بين المادى والمعنوى (لدا الباب ، القلوب لدى الحناجر).

(١٢) وأحياناً تعبر عن نقص الحدث بصورته وبزمنه وذلك بحذف الحرف ، وتعـــبر عن اكتماله بإضافة الحرف.

(١٣) ومن الإعجاز أيضاً أن تُرسَم الكلمة رسماً يجمع بين وجوه القراءات المختلفـــة بصورة مدهشة ؛ كما سنراه تحت عنوان (مدخل إلى إعجاز الرسم من خلال القراءات والإمالة)؛ وكأن هذا الرسم للكلمة يؤلف بين هذه القراءات وبـــين ألسن العرب.

(١٤) والرسم القرآنى يفرق بين المشهد التصويرى الحالى وبين حكاية حال غائبـــة أو ماضية .

وهكذا يفرق أيضاً بين شدة وضراوة المشهد ، ولين وهدوء الموقف الآخر، وبين مشهد السرعة ومشهد البطء والهدوء ، ، ويفرق بين مشهد النصح باللين أو التعنيف والشدة ، وبين موقف تعلو فيه نبرة التهديد والوعيد وعذاب جهنم ، وبين آخر يسود فيه موقف البشارة والتبشير ، بل أحياناً يرسم صورة الشىء المتحدث عنه بارتفاعه أو انخفاضه ، أو إذا كان يحتاج الستر والإخفاء أو الظهور والاستعلاء ، ويرسم بجرس حروف الكلمة عمق الشىء أو سطحيته ، ويرسم بجرس الكلمة ورسم حروفها ما إذا كانت الكاميرا المصورة هنا تصور على الأرض أم تصور فى السماء، أو يرسم الكلمة على صورة الفعل نفسه : فإن كان الفعل يشير إلى الهدم والإفناء كتبت بغير الألف (القواعد و..)، وإن كان عكس ذلك كتب بالألف .

وكذلك يصور صورة الفعل والصفة : إن كان فعل حركة، وحركة إيجابية،كتب بالألف ، وإن كان يشير إلى السكون أو حركة سلبية كتب بغير الألف،(باسط ، عامل) وهكذا)).

وفى دراستنا هذه سنتعرض لبعض هذه الكلمات القرءانية التى جاء رسمها مخالفاً للقواعد الإملائية المتعارف عليها، ونحاول أن نتلمس وجه الحكمة فى ذلك كما يقول صاحب كتاب الإبريز "للشيخ عبد العزيز الدباغ"عن رسم الكلمة فى المصحف: وهو سر من الأسرار خص الله بها كتابه العزيز دون سائر كتبه السماوية.. وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز.. وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية .. وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لاتدرك إلا بالفتح الربانى ، فهى بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التى فى أوائل السور، فإن لها أسراراً كثيرة ومعانى كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعانى الإلهية التى أشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذى فى القرءان حرفاً بحرف ..(من مناهل العرفان للزرقانى).

وسنحاول فى بحثنا هذا إشراك القارىء الكريم معنا فى البحث والغوص فى بعض أسرار اللفظ القرآنى والرسم القرآنى للكلمة ، وسنعيش معاً أمتع لحظات العمر ، كما هو شأن القرآن دائماً الذى عودنا على الجمال والكمال ، وعلى إمتاع العقل وإشباع العاطفة ، وكما قال الحبيب (ﷺ):... لاتزيغ به الأهواء..، ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد))

ولعل من المدهش أن نرى صورة هذا الإعجاز فى رسم الكلمة فى بداية أول آية فى كتابه الكريم فى قوله تعالى (بسم الله) وقد كتبت (بسم) بدون ألف ، رغم ورودها فى سياقات أخرى مثل (باسم ربك...) وقد وضع فيها الألف .. ويظل دائماً السؤال فى رحلتنا هذه : لماذا تم هذا ؟ وما الحكمة فى ذلك ؟ حتى لانكرر هذا المعنى فى كل مثال، وعلى سبيل المثال:

(١) لماذا كتب (كتاب) مرات بالألف ومرات بدون الألف ، وهكذا كلمة (قرءان) بالألف ومرات أخرى بدون ألف ؟ بل إن الأمر ليتطور إلى أعلى من ذلك ليكون السؤال هو: فى مقدمة سورتى النمل والحجر – على سبيل المثال – لماذا قال فى الحجر: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَـٰبِ وَقُرْءَان مُبِين (١) وفى النمل: طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْءَان وَكِتَاب مُبِين (١)، فقدمَ فى الحجْر (الْكِتَـٰب) ورسمه بدون ألف وأخر فى النمل (الْكِتَاب) وكَتَبه بالألف ..

فلماذا حدث ذلك ؟ وهل هذا المذكور يتناسب مع ظل ورسم مشاهد كل سورة رسمت فيها هذه الكلمة بتلك الصورة ؟؟ أو هل هذه السورة (جميعها) تحتاج هذه الرسمة وهذا التقديم بخلاف السورة الأخرى ؟ هذا ما سنجيب عنه بالتفصيل فى داخل البحث ، وقد كان هذاالسؤال من بعض أسئلة الإخوة المشاهدين لى على قناة البركة الفضائية. إضافة إلى بعض الأمثلة الأخرى مثل:

(رءا) فى آيات كثيرة و(رأى) فى آية واحدة....

و(سَمَـٰوَٰت) فى كل القرءان بدون ألفين ، ماعدا آية فصلت كتبت (سَمَـٰوَات) أظهر فيها الألف الثانية......... (بأيد سفرة) بياء واحدة و(السماء بنينها بأييد) بياءين،.... (بأييكم)، و(أيكم)... (أفأين مات) وحقها أن ترسم (أفإن).، (إن). ..

(آناء الليل) و(ءاناىء الليل) ....و(إيتاء الزكاة) (أيتاىء ذى القربى).

(أيها..) و(أيه) ... (صاحبه ، صحبه)..........

(الرسولا) وهى لاتكتب بالألف أبداً إلا فى هذا اللرسم القرآنى ، والأخرى (الرسول)..... وهكذا (السبيلا) و(السبيل).. و(الظنونا) و(الظنون)...

و(جاء) و(وجاىء) و(الصلوة ، الزكوة، والنجوة، الغدوة)...

(وبالولدين إحسانا) وأخرى (وبالولدين إحسناً) ..... (جعل الأرض مهدا) (لهم من جهنم مهاد) .... و(هاجر) جميعها بالألف و(جهد) جميعها بدون ألف حتى لو كتبتا فى آية واحدة أو فى آيتين منفصلتين.

تــراب .. (تُرَٰبًا) .. ومثلــها(عظامـــا) و(عِظَٰمًا) .... ومثلــها (الغمـــام) و(ٱلْغَمَٰمِ).....(الرياح) و(ٱلرِّيَٰحِ) وقرءتا بصيغة واحدة وهى الجمـــع...............

(القواعــــد) و(وَٱلْقَوَٰعِدَ)........(شــــاهد ، شـــــــهد)... (بـــــأفواهكم، بافوهكم)....ويقول للزوجين (إن يريدا فصالاً) ، وفى فطام الأم لطفلها:(وفصــــله فى عامين).... (سعوا فى آياتنا معجزين)بالألف فى نهاية الكلمــة (ســـعوا)، ووردت بنفس هذا النص ولكنها بدون ألف فى (سعو).... (إسطـــــعوا)

و(استطـــعوا) ....و(طغى) ، (طغا) والنطق واحد.. (سراجا) و(سرجاً)....(لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ..)،... (وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ).

وهكذا كلمة (كذَّابا) بالألف و(لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا) بدون ألــف والنطق واحد...(وجاوزنا) و(وَجَٰوَزْنَا)....(ولاتك فى ضيق) و(ولاتكن فى ضيق)...، (ساحر) و(سَٰحِرٍ)....(واشهد بأنا) و(واشهد بأننا).... و(ليكونن..) و(ليكوناً مــن الصاغرين) و(لنسفعاً)...و(إبرهيم) فى كل القرءان بالياء بعد الهاء، ماعـــدا ســـورة البقرة(إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَٰعِدَ) بدون ياء.... و(اليل) بلام واحدة – أى أن الكلمة ناقصة ، بخلاف (النهار) جاءت كاملة. ٱلْقَوَٰعِدِ، وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ....(نبغـــى) و(نبـــغ).. و(يأتى) و(يأت).... (واخشونى) و(واخشون) (عسى ربى أن يهدينى) ، (عـــسى أن يهدين ربى) حذف حرف الياء من "يهدينى" وتقديم ربى فى الآية الأولى....(ثم كيــدون فلا تنظرون.. فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون).

وهكذا فى أمثلة أخرى للحذف مثل:

(يدعوا) و(يدع) بدون وجود حرف جزم قبلها يستدعى حذف الحرف .. وهكـــذا (يمحو) و(يمح)

ونوع آخر من الإعجاز فى رسم الكلمة سنعيشه فى بحثنا هذا وهو فتح التـــاء وقبضها مثال:–

(رحمة) و(رحمت) .. و(نعمة) و(نعمت)... و(شجرة الزقوم) و(شـــجرت الزقـــوم) ، (سنة) و(سنت) ،(لعنة ، لعنت)، (جنة ، جنت)، (إمرأة ، إمرأت).

وهكذا الكثير والكثير الذى سنعيشه فى داخل البحث فى رحلة ممتعة ومشبعة مع لون عظيم من إعجاز القرآن ، وسنحاول أن نكفى الموضوع حقه – وإن كان هذا

بالطبع غير مستطاع ولا ندعيه – ولكنها محاولة لأن تكون دراسة مـــشبعة للقـــارئ ومتكاملة على قدر الإمكان ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

وصدق العلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطى حيث يقول:

والخط فيـــه معجز للناس   وحائد عن مقتضى القياس
لاتهتدى لسره الفحـــول   ولاتحوم حوله العقـــــول
قد خصه الله بتلك المنزلة   دون جميـــع الكتب المنزلة
ليظهر الإعجاز فى المرسوم   منه كما فى لفظه المنظـــوم

ويظل هناك سؤالاً دائماً يسأل وهو : هل رسم المصحف هذا توقيفى من الله والرسول محمد (ﷺ) – أى أمر برسمه على هذه الصورة –، أم أنه توقيفى عن الصحابة رضوان الله عليهم؟ وهنا اختلف العلماء فى ذلك ولكنهم أجمعوا على حرمة تغيير هذا الرسم ، ونقل الزركشي والإمام الداني ما ملخصه: وقال أشهب سئل مالك رحمه الله هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء فقال لا إلا على الكتبـــة الأولى ، رواه أبو عمرو الداني في المقنع ، ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة.

وقال في موضع آخر سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألـــف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك فقال لا ، قال أبو عمرو يعنى الـــواو والألف المزيدتين في الرسم لمعنى ، المعدومتين في اللفظ ، نحو الواو في أولوا الألبـــاب وأولات والربوا ونحوه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في يـــاء أو واو أو ألف أو غير ذلك

وقالوا عن رسم المصحف أن الصحابة قد أجمعوا جميعهم على هذا الرسم ((ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق))

ولذلك أرى أن أقل ما يقال فى ذلك أنه توقيفى عن الصحابة (إثنى عشر ألف صحابى) رضوان الله عليهم وأنهم أجمعوا على ذلك الرسم، ويكون ذلك – على أقـــل تقدير – بمثابة وحى من الله لهم لحفظ أعظم كتاب فى الوجود برسمه وحروفه كما هو– محتوياً على أسرار فى رسمه ستظل شغل العلماء إلى أن تقوم الساعة مثله مثل باقى أنواع ونواحى الإعجاز الأخرى ، وهذا تصديقاً لقوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّـــا لَـــهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر. ويكون إلهام للصحابة أو وحى من الله لهم بذلك كمـــا أوحَى للحواريين فى قوله تعالى ({وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ} (١١١) سورة المائدة.

وهذا التوقيف عن الصحابة – على أقل تقدير – لايقلل من شأن هذا الإعجاز كما يتخيل ذلك البعض ولكنه كما يقول العلامة الدكتور عبد الله دراز فى موقف مشابه وقضية مشابهة وهى ترتيب سور القرآن وكان نفس التساؤل وقد كان يرى أن ترتيب السور – كما هو فى المصحف الشريف لدينا – هو كما رتبها الله تعالى – وليس توقيفي على الصحابة ، ولكنه قال بغد ذلك قاطعاً للجدل: ونعود الآن فنفترض جدلاً أن ترتيب السور لو لم يكن بتوقيف إلهى ، ولا بتوقيف نبوى ، وأنه كان من عمل الصحابة باجتهاد منهم، ألا يكفينا فى حرمته وقداسته أنه استقر عليه إجماعهم وإجماع المسلمين من بعدهم.. (وهذا الكلام نردده أيضاً لهؤلاء الذين ينكرون خصوصية الرسم القرآنى والذى هو على أقل تقدير توقيف من الصحابة وأجمع عليه جمهورهم).

ثم ذكر حسد اليهود والنصارى لنا على حفظ الله القرآن كما هو لا يختلف فيه حرف واحد عند سنى ولا شيعى منذ أربعة عشر قرناً.. وعلى انفصال بعض كلمات شأنها أن توصل، واتصال كلمات شأنها أن تفصل، ونحو ذلك من الرسوم القرآنية المخالفة للرسم الإملائى المقرر فى كتب النحو والصرف، ويستدلون ببقاء هذا كله فى المصاحف الإسلامية– برغم اختلاف العصور وتطور العلوم– على مبلغ القدسية التى أحاط بها المسلمون كتابهم من أول يوم، وعلى أن النص الذى تلقوه من نبيهم (ﷺ) بقى كما هو لم تنله يد قط بأدنى تغيير أو تبديل، مع وجود الحاجة إلى بعض التعديلات تسهيلاً على المبتدئين..

وفى النهاية نترك هذا الجدل النظرى ونعيش مع التطبيق العلمى لهذا الإعجاز على أرض الواقع ونسأل الله أن يعصمنا من الذلل وأن يمن علينا بفضله وكرمه .

الجزء الأول

(١)

التمهيد وخطة البحث

وقبل أن نبدأ الشرح والتوضيح نبين للقارىء أن خطة هذا البحث ستكون كالآتى:

أولاً: سنحاول التعرف على آراء علمائنا القدامى وعلى رأسهم الإمام المراكشى والزركشى والدانى والسيوطى وغيرهم من الذين خصصوا أبواباً عن رسم المصحف وتناولوه بصورة مباشرة، وقد قمنا فى بداية الأمر بتلخيص آرائهم وأقوالهم والتعليق عليها؛ سواء بالموافقة أو الاعتراض أو النقص أو الزيادة ، ولكننا لاحظنا أن أستاذنا العظيم الدكتور عبد العظيم المطعنى قام بهذه المهمة بالعرض والتهذيب والتبويب بطريقة بلاغية رقيقة - كعادته أكرمه الله تعالى - وهو أستاذ البلاغة والنقد بالأزهر الشريف وعملاق من عمالقة الفكر واللغة،وله إخلاص وحب عميق لكتاب الله عز وجل والدفاع عنه فى كل ميدان (سواء إظهار إعجازه وبلاغته ، أو رد الطعون عنه مع أكابر المغرضين فى الداخل والخارج) ، ونحن إن كنا تناولنا مقالاته - لحسن تبويبها أيضاً - مما يعطى البحث صورة التكامل والتنظيم - على قدر الإمكان- فقد قمنا بعرض هذه المقالات التى كتبها فى مجلة اللواء الإسلامى على هيئة مقالات شهرية، ولاحظنا فيها التأنى من كاتبها والاعتماد على آراء هؤلاء العلماء القدامى الذين أشرنا إليهم ، مع إضافته لبعض توجيهاته وأفكاره التى ستُمتعنا تارة ، وتحتاج منا التعليق أو التعديل أو الحذف أو الإضافة تارة أخرى ، وسيرى القارىء أننا بهذا المسلك سنكون قد أوفينا الموضوع حقه على قدر الإمكان ، لأنه ليس لنا ولا للأمة جميعها أن يصلوا إلى الوفاء الكامل بحق هذا اللون وغيره من ألوان الإعجاز القرآنى ، وسيظل دائماً نبعاً فياضاً لايشبع منه العلماء ولاتنقضى عجائبه .

وقد شاء الله تعالى أن يكون الرسم القرآنى على غير الرسم بالصورة المعتادة لدينا فى الكتابة ليظل شغل العلماء الشاغل والدائم مشيراً إلى هذا الإعجاز ومتطلباً البحث فيه إلى يوم القيامة.

وقد لاحظنا عدم عرضه لبعض أقوال القدامى (وخاصة مسألة تعدد الرسم للكلمة فى بعض المصاحف) وقد قمنا بتغطية هذا الجانب فى عناوين مستقلة ، وقمنا

بوضع مئات الصفحات متداركين ما تركه هؤلاء وهؤلاء وخاصة فى مسألة (حذف الألف) أيضاً أو (زيادته) من الكلمة فى أبواب مستقلة أو فى ثنايا تعليقنا على أقوال العلماء ، وهو باب يحتاج إلى عميق التدبر ، وقد لاحظنا أنه قد تركه الكثير ولم يخوضوا فى البحث فيه – كما سنرى.

وسنحاول فى هذا البحث استصحاب آراء أعلام البلاغة وفرسان اللغة من القدامى (وعلى رأسهم أئمة التفاسير وخاصة التفاسير البلاغية منهم) وغير القدامى من علمائنا الأفاضل وعلى رأسهم الدكتور فاضل السامرائى ؛ وهو غنى عن البيان والتعريف لما قدمه من مكتبة عملاقة فى علم البيان واللغة ، ويكفى الإشارة إلى بعض مؤلفاته (مثل معانى النحو – أربع مجلدات–) و(التعبير القرآنى) و(لمسات بيانية)، (خطوات على التفسير البيانى)وغيرها من الكتب والمحاضرات التى ألقاها على طلبة الدكتوراه.... واستصحبنا معنا فى رحلتنا هذه غيره من العلماء الذين سيأتى ذكرهم فى أثناء البحث ، مع استئناسنا أيضاً بعلم القراءات وآراء علمائه، حتى يتبين للقارىء أن مسألة الإعجاز فى رسم المصحف لاتنفصل عن باقى نواحى الإعجاز الأخرى بل إنها تتعانق وتتناسق وتتكامل لترسم أروع وأبهى وأجمل لوحة فنية فتية تحوى غاية الجمال والكمال فى النص القرآنى.

ولم ننس قبل نهاية المطاف عرض ومناقشة الطرف الآخر ، وكان دكتور قدورى ممثلاً لهذا الاتجاه، وهو أكثر من تناول هذا الاتجاه فى دراسة مطولة ونشر فيه بحثاً كبيراً (أكثر من ستمائة صفحة) وكان عبارة عن رسالة دكتوراه له ، وقد أسماه (رسم المصحف) دراسة تاريخية ، وقد تعمدنا مناقشة هذا الكتاب بصفة خاصة لما رأيناه من أن بعض علمائنا من يشير علينا بقراءته قاطعاً أى مجال للبحث فى هذا اللون من ألوان الإعجاز؛ ربما تقصيراً منه أو انشغالاً عنه، وربما عدم التعمق أوالتدبر لضيق الوقت لديه، أو ربما عدم إدراكه لأطراف القضية التى كان يجب منه وعليه مناقشتها من واقع النصوص – كما سنرى – وليس من أقوال هذا أو ذاك .. والفيصل فى ذلك هو استعراض النصوص القرآنية على أرض الواقع – وهذا ما أعتقد أنه يرضى كل العلماء المخلصين والصادقين مع الله ومع النفس _ والأمر بعد ذلك لايحتاج إلا إلى وقفة تدبر وتأمل عميق مستلهماً قوله تعالى ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ

لَوَجَدُواْ فيه اخْتلاَفًا كَثيرًا﴾ (٨٢) سورة النساء.. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) سورة محمد.

ولذلك كان هذا الكتاب مخاطباً أحبابنا العلماء وإخواننا الدارسين والبـاحثين عن هذا اللون الهام والشيق من ألوان الإعجاز القرآنى بأسلوب مبسط لايمله العالم ولا يستصعبه القارىء البسيط مستبعداً المصطلحات النحوية أو البلاغية التى يستـصعبها الدارس الغير متعمق أو القارىء المتعجل لنيل أكبر قدر من المعلومة بأبسط أسلوب .

والآن أدعوك عزيزى القارىء للدخول معنا فى هذه السفينة العميقة والمبهرة فى آن واحد لنغوص فى داخل هذا البحر العميق الذى يحـوى الأسـرار واللطـائف والجمال والمتعة والإبهار فى بحث يبرز هذه الصور جميعها بعنوان : (الجلال والجمال فى القرآن الكريم - رسم المصحف-)

والله الموفق وعليه التكلان وماكان من توفيق فمن الله وما كان غير ذلك فمن نفسى ومن الشيطان وأسأل الله عز وجل العفو والغفران.. داعين الله عز وجل﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾

آمين .. آمين .. آمين

المؤلف

حذف الواو

مـــن الخصوصيات الملحوظة فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف التى لم ترد فى غيره فى مناهج الكتابة خصوصيتان ملحوظتان فى بعض الكلمات القرآنية متعلقتان بحرف الواو وهما:

حذف الواو لغير علة نحوية أو صرفية .

زيادة الواو لغير علة لغوية .

ونُقدم الحديث أولاً عن المواضع التى حذفت فيها الواو وبيان اللطائف والأسرار الـــتى مـــن أجلـــها حذفت هذه الواو لأن البحث فيه أوجز من البحث فى زيادة الواو ، والمواضع التى حذفت فيها الواو – وهى أربعة افعال فى أربع آيات فى أربع سور – وهى على الترتيب المصحفى:

الموضع الأول: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا (١١)﴾ الإسراء

الموضـــع الثانى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٢٤) ﴾الشورى

الموضع الثالث: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ (٦)﴾ القمر

الموضع الرابع: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ (١٧) سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ..﴾ العلق

أعـــد النظـــر فى هذه الأفعال الواردة فى الآيات الأربع وهى: يدعُ – فى سورتى الإسراء والقمر – ويمحُ – فى سورة الشورى – وسندع – فى سورة العلق – فإنك ترى الواو قد حذفت من آخر هذه الأفعال وأن حذفها لم يكن لعلة نحوية ، حيث لم يتقدم على أى فعـــل مـــنها عامل جزم يقتضى حذف هذه الواو ، و لم يكن لعلة صرفية ؛ إذ لا مانع صرفياً من مجئ هذه الأفعال كاملة الأصول هكذا: **يدعو يمحو، سندعوا** .

ومع هذا لم يأت هذا الحذف اعتباطاً خالياً من الدلالة على معنى

إذن فلماذا حذفت الواو من هذه الأفعال ؟ وما هى اللطائف والأسرار التى يرمز إليها هذا الحذف؟

أجاب الإمام الزركشى على هذا السؤال إجابة مجملة فقال: وقد سقطت– يعنى الواو– من أربعة أفعال تنبيهًا **على سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به فى الوجود .**

فهذه ثلاث لطائف تضمنها هذا الكلام دل عليها الحذف هنا ، وبيان ذلك فى الآتى:

آية الإسراء جاء فيها﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا (١١) ﴾ إذاً فإن فى الآية الكريمة كناية عن جهل الإنسان بعواقب الأمور **وسرعة تلهفه** وإلحاحه على حصول المنافع **دون تريث أو ترو . فهو شديد العجلة بالدعاء** غير مدرك إن كان مايدعو به لنفسه نافعاً له أو ضاراً . من أجل ذلك حذفت الواو من الفعل "يدع" الذى أسنده النظم القرآنى المعجز للإنسان **للدلالة على طيش هذا الإنسان** فيكون دعاؤه بالخير لنفسه فى الظاهر دعاء لها بالشر وهو لا يدرى **لأنه عجول جهول** .

وجاءت فاصلة الآية مؤكدة لهذا المعنى الذى أومأ اليه صدرها (وكان الإنسان عجولاً) . وقد تحقق فى هذه الآية لطيفتان من اللطائف الثلاث التى نص عليها الإمام الزركشى فيما تقدم وهما: سرعة الدعاء بالخير فى الظاهر . يسر الدعاء وسهولته لشدة الرغبة فى حصول المدعو به . وحذف الواو فى الفعل "يدع" كان رمزاً لهذه الدلالة .

وكذلك الشأن فى الفعلين المناظرين لهذا الفعل أعنى الفعل "**يدع الداع**" فى سورة القمر والفعل "**سندع الزبانية**" فى سورة العلق .

فالأمر النُكر الذى يدعو إليه الداع فى قوله تعالى: (فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شئ نُكر) فى آية القمر هو البعث والنشور؛ أى قيام الساعة ، وهذه الدعوة ستكون مذهلة فى سرعتها وفيها يقول رب العزة فى السورة نفسها الآية (٥٠)﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ فى سورة النحل ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٧٧).. ﴾ فحذف الواو من هذا الفعل كان رمزاً للدلالة على لطيفتين كذلك من اللطائف الثلاث التى ذكرها الإمام الزركشى وهما: سرعة وقوع الفعل من الفاعل ، وسرعة وشدة انفعال الطرف الأدنى ؛ وهم الموتى وخروجهم من القبور وإجابتهم دعوة الداع إلى ذلك الشئ النكر ، وهذا ما يؤكده قوله تعالى فى سورة المعارج الآية﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ(٤٣). ﴾

أما آية العلق (**سندع الزبانية**) فهى مثل نظائرها تدل على سرعة حدوث الفعل، وهذه السرعة هى البلاغة بعينها فى المقام الذى وردت فيه هذه الآية ؛ وهذا يتجلى لنا إذا ربطنا هذه الآية بالآيات التى كانت هى واحدة عقدها وهى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا

إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾

هذه الآيات تحكى مواقف عناد عنيفة تعترض طريق الدعوة وتقف حجر عثرة أمام من يعبد الله عز وجل وتبلغ الخصوم مداها ويغتر خصوم الدعوة بمالهم من قوة وسلطان مادى فى الأرض فكان من المناسب أن يكون الوعيد شديداً والبطش بهؤلاء الطغاة قريباً .ومن أجل هذا هددهم الله تعالى **بسرعة انتقامه منهم وبطشه بهم** .

وجاء حذف الواو من الفعل "سندعُ" رمزاً على سرعة قدرة الله من الانتقام منهم والانتصار للحق الذى أرسل به رسوله الكريم .

۞ **تعليق منا** : ونزيد على ذلك رأياً مكملاً وهو: لماذا لا يكون سياق الحديث تطميناً لقلب النبى (ﷺ) فى الدنيا أيضا ؛ من سرعة نجدة الله له إذا تعرض له أحد من الأعداء بسوء ، ويكون ملمح السرعة هنا أيضاً فى الدنيا وليس فى الآخرة فقط .. ولهذا الرأى ما يؤيده من الروايات المذكورة فى أسباب النزول.. وكما نقل ابن كثير: قال البخاري: حدثنا يحيى،.. .. عن ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن على عُنُقه. فبَلغَ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "لئن فعله لأخذته الملائكة".وهذا يعطى احتمال حدوث تلك النجدة وتلك السرعة فى الدنيا.. وخاصة ما روى فى الروايات الأخرى من رجوع أبو جهل مذعوراً ...: ثم نكص على عقبيه ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ، فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة...والرواية الأخرى: فقيل له : خشيت منه ؟، قال : ولكن رأيت عنده فارساً فهددني بالزبانية ، فلا أدري ما الزبانية ، ومال إليَّ الفارس ، فخشيت أن يأكلني.... مع ملاحظة السرعة الخاطفة فى فعل هؤلاء الزبانية متمثلة فى حروف الكلمة "سندع" ، حتى أن كلمة "لنسفعاً" قد حذف التنوين منها – هذا التنوين الذى يجعل القارىء يقف عليه فترة أطول- حال النطق به – ولكنه قال: (لنسفعا)... بدون الوقوف على هذه النون التوكيدية المشددة فى الكلمة البديلة والتى تحاشاها رسم المصحف الكريم حيث لم يقل(لنسفعنَّ).

والملاحظة الأخرى هى : جرس هذه الكلمة الموحى والمصور بصوت الحروف – صوت الصفع الشديد والقوة السريعة التى تعطى صوت (النَّسف) وليس الأخذ فقط –..

ولـــذلك فضلها القرآن الكريم عن اللفظ المرادف لها وهو(لنأخذنّ)... (وسنعود لذلك فى شرحنا لهذه الكلمة القرآنية ومثيلتها: ليسجنن (وليكونا) من الصاغرين..)

هـــذه هـــى لطائف وأسرار حذف الواو فى الفعل "يدع- سندع" إنها حذوفات قائمـــة مقام الكلمات فى الدلالة على المعانى المرادة منها، وأظهرها سرعة وقوع الفعل فى الوجـــود ، ومما يعضد هذا أن المقام إذا خلا من إرادة السرعة المشار إليها فإن هذا الفعل يأتـــى كامـــل الأصول لا يحذف منه شئ قط - إلا إذا اقتضى حذف الواو فيه عامل من عـــوامل إعـــراب، كأن يكون فعل أمر مثل قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ النحل ١٢٥ أو فعلا منهياً عنه كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ يونس آية ١٠٦ . فإذا لم يقتض حذفه عامل إعرابى رسم فى المصحف الشريف على الأصل، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾يـونس آية ٢٥ . وقوله تعالى﴿:إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ فاطر آية ٦ ﴾.

جـــاء الفعل "يدعوا" فى الموضعين على الأصل مثبت الواو لخلو الكلام من عامل إعرابى يقتضى حذفه ولعدم إرادة معنى السرعة.

۞ **توضـــيح** : حـــيث أن هذه الدعوات — فى الآيات السابقة - هى مستمرة باستمرار المنهج الدعوى ، ولاتحتاج إلى ملمح السرعة ، وهى ممتدة بامتداد الحياة الدنيا؛ فإن كانت مـــن الرحمن فهى بالحكمة والموعظة الحسنة — وليس بالطيش والسرعة والتهور- .. وإذا كانـــت الدعـــوة من الشيطان ، فالشيطان أيضاً لايعجل ولا ييأس -ولذلك فهذه الدعوة تكتب "يدعو" دون حذف من الكلمة.

أمـــا **الموضع الرابع** وهو (**ويمحُ الله الباطل**) وهو ما ورد فى آية الشورى (٢٤)﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٢٤)﴾ فإن الواو حذفت من الفعل "يمح" ورمز بهذا الحـــذف إلى معـــنى يسر الفعل على الله عز وجل ؛ يعنى أن محو الباطل أمر هين عند الله وقدرته عليه أسرع ما تكون السرعة ، فهو جار مجرى حذف الواو فى "يدعُ" و"سندعُ" .

ويضاف إلى هذه اللطيفة لطيفة أخرى هى سرعة وشدة قبول الباطل لمحو الله إياه لا يستعصى عليه .

۞ (وأقول مضيفاً.. أن السرعة فى محو الباطل هنا لأنه متعلق أيضاً بالباطل إذا وجد على قلب النبى (ﷺ).. كما يقول الزمخشرى : يعني : لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه . ويجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب..

بيد أن هذا الموضع تبدو فيه شبهة عطفه على الفعل المجزوم قبله الواقع جواباً للشرط فى قوله تعالى: (فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمحُ الله الباطل) فقد يتبادر إلى الذهن أن الفعل "يمحُ" معطوف على "يختم" الذى هو جواب شرط "فإن يشأ"، وهذا مدفوع ، والمفسرون مطبقون على أنه غير معطوف عليه بدليل أن هذا الفعل "يمحُ" عطف عليه فعل مرفوع جاء بعده وهو (ويحقُّ الله الحق بكلماته)، هذا وجه..

ووجه ثان يؤكد عدم عطف الفعل "يمحُ" على الفعل "يختم" هو أن الفعل "يختم" هو وحده مقيد بمشيئة الله أما الفعلان "يمحُ" "ويحق" فهما غير مقيدين بالمشيئة لأن الله دائماً خاذل للباطل ناصر للحق.

وبهذا يسلم لنا القول بأن حذف الواو فى الفعل "يمحُ" ليس له سبب إلا الدلالة على اللطيفتين اللتين أشرنا إليهما من قبل ، وهما قدرة الله الفائقة فى الإسراع لمحو الباطل، وتأثر الباطل نفسه فى أسرع ما يكون ، وسرعة محوه بقدرة الله عز وجل .

ويدل على هذا بكل وضوح مجئ هذا الفعل غير محذوف منه الواو فى قوله عز وجل: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ (٣٩)﴾ الرعد

لم يحذف الواو من الفعل "يمحوا" هنا لأن المقام خلا من إرادة السرعة فجاء الفعل مرسوماً بأصوله الثلاثة: الدال- العين- الواو .

۞ (تعليق): لقد تعمدت نقل حديث الأستاذ الدكتور المطعنى كاملاً ليكون بمثابة الرد على مزاعم هؤلاء الذين يتهكمون من خصوصيات الرسم العثمانى ويشيرون دائماً على هاتين الآيتين — كدليل لهم على عدم الخصوصية للرسم فى ذلك— والآيتان هما: لماذا قال (يمح) هنا ، وقالها (يمحو) هناك والأمر واحد ؟.

وقد سمعنا الرد مفصلاً ، وعلمنا أن الأمر ليس واحداً... لأنه مما يحزن القلب ويدمع العين أن نقرأ نفس هذا التساؤل فى رسالة الدكتوراة التى نشرت فى كتاب بعنوان

(رســم المصحف) لصاحبها د: غانم قدورى. وكان من ضمن أدلته على عدم الخصوصية لرسم المصحف هذا السؤال.!!!!!. وسنرد علي كل صغيرة وكبيرة فى كتابه هذا كاملاً بالــبرهان والدليل والشرح المستفيض -إن شاء الله- حتى لاتبقى فى صدور العلماء وغير العلماء أدنى شبهة فى ذلك.

ونعود لحديث د: المطعنى ، حيث يقول: **وبهذا يتبين أن مافى رسم المصحف من خصوصيات إنما هى سمات رمزية فى قوة الكلمات فى الدلالة على المعانى المرادة منها ، وإنهــا ليــست طرائق مختلفة لكتبة المصحف فى صدر الإسلام ، وأن هذه الرموز مع معانــيها التى تدل عليها وجوه للإعجاز القرآنى لم تأخذ حقها من الدراسة والذيوع ، وأن القرآن ينبغى أن يظل على ما توارثناه جيلاً بعد جيل من عصر الرسالة حتى تقوم الساعة .**

۞ ونقول نحن: وبعد هذا العرض والمقدمة نعود لنكمل لطائف الحذف والإضافة.

جاءو

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ (١٨٤) ﴾ آل عمران

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ .(١١) لَوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ .(١٣)﴾ النور

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا (٤)﴾ الفرقان

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٨٤)﴾

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾ الحشر

نلاحظ الآتى:

(١) المجىء هنا ليس هو المجىء الجسدى ولكنه هو المجىء بالقول أو الشهادة أو بالحب أو بالكذب أو البكاء.

(٢) حــتى المجــىء بالشهود فهو لايركز على أجساد الشهود (فى قضية الإفك والقذف) ولكنه يركز على نوعية الشهود ولذلك قال عنهم (الشهداء) وليس (الشهود).

(٣) حــتى فى قضية مجىء الدم على قميص يوسف فإنه لايقصد وجود الدم ولكن يقصد دلــيل الكذب فيه ؛ حيث قال "دم كذب" والدم لايكون كذباً.. وربما كان يحق له

وضع ألف الجمع إذا قال : جاءوا على قميصه بدم (فقط) أو بدم أحمر مثلاً – فيكون على الحقيقة وليس المجاز–.

(٤) نقول مثل ذلك فى المجىء بالبينات والوحى..
وأيضاً هناك مجىء آخر غير معهود وليس على صورة المجىء المعلوم{حتى إِذَا جَاءوا} إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب ، وهو يوم القيامة الغيبى صورته وغير المعهود، بل ربما يكون مجيئهم هذا دون حركة منهم، وتعرض عليهم النار ويعرضون عليها بصورة وكيفية غيبية لانعلمها ، مما يستدعى نقص الألف.

(٥) أما قوله تعالى(والذين جاءوا من بعدهم).. فهو لايقصد المجىء عن طريق التناسل أو المجـــىء المادى المعتاد على الأقدام ، ولكنه يقصد المجىء بالإيمان (وبأسبقية الإيمان)، حتى وإن ولدوا معهم أو فى وجودهم (مجىء مجازى أيضاً)

●●مـــع ملاحظة (تبوءو) بدون ألف أيضاً ولهذا المعنى – التبوء المجازى –، كما يقول المفسرون ومنهم الزمخشرى: { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو } وهم الأنصار. فإن قلت : ما معنى عطف الإيمان على الدار – تبوءو الدار والإيمان–، ولا يقال : تبوّؤا الإيمان؟– أى أن الذى نتبوءه هو المكان وليس الإيمان–.

قلـــت : معناه تبوّؤا الدار وأخلصوا الإيمان ، كقوله : عَلَفْتُها تِبْناً وَمَاءً بَارِدًا ...
أو: وجعلـــوا الإيمان مستقراً ومتوطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه(أى على المجاز) ، كمـــا جعلـــوا المدينة كذلك ((فهو على كلا الرأيين تعبير مجازى عن تبوأ معنوى وليس مادى للإيمان))) .

ويقـــول الرازى: والجواب عن الأول من وجوه أحدها : تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله :ولقد رأيتك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحاً
وثانـــيها : جعلوا الإيمان مستقراً ووطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه ، كما أنهم لما سألوا سلمان عن نسبه فقال : أنا ابن الإسلام (إبن معنوى).
وثالثها : أنه سمى المدينة بالإيمان ، لأن فيها ظهر الإيمان وقوي.

وربمـــا يلفت أنظارنا معنى آخر فى حذف الألف هنا، والذى يشير بالنقصان فى بنية الكلمة، ليشير إلى نقص مرتبة التابعين عن مرتبة الصحابة ، وكأنه يشرح حديث النبى (ﷺ) : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ...)

وهذا بخلاف كلمة (يرجوا)

يرجوا

حيث جاءت جميعها بالألف لأنها تتحدث عن (يرجوا لقاء ربه ، ويرجوا رحمة ربه) وهو رجاء ثقيل فى الميزان كما نعلم.

(١) ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ .(١١٠)﴾ الكهف. ﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ (٥) ﴾ العنكبوت.

(٢) ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ (٦) ﴾)الممتحنة

زيادة الواو

باستقراء آيات القرآن الكريم نجد زيادة الواو أكثر من حذفه من بنية الكلمة ، كما نجد هذه الزيادة تتوارد على الأسماء والأفعال، وهى فى الأسماء أكثر منها فى الأفعال.
ونجد زيادة الواو فى الرسم الشريف أتت على صورتين:

إحداهما فى وسط الكلمة سواء كانت الكلمة إسماً أو فعلاً .

والأخرى زيادة الواو فى طرف الكلمة اسماً كانت أو فعلاً كذلك .

و لم يخل موضع من جميع مواضع زيادتها من معنى لطيف أوسر رقيق تراه يتلألأ كضوء الفجر فى الأفق الرحيب .

وهـذا ما سنراه من خلال الأمثلة الآتية بادئين بأمثلة زيادة الواو فى الأفعال ، مع ملاحظة أن هذه الزيادات تلحظ بالبصر ولا تنطق باللسان، وأنها زيادة باعتبار الخط أو الكتابة لا من حيث المعنى .

زيادة الواو فى وسط الفعل:

زيادة الواو فى وسط الفعل وردت فى الكتاب العزيز فى موضعين فى فعل واحد تكرر فيهما.

الموضع الأول : هو قوله تعالى فى سورة الأعراف﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (١٤٥)﴾

والموضع الثانى: قوله تعالى فى سورة الأنبياء﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ(٣٧).﴾ وكان القياس ان يكتب هذا الفعل هكذا: "سأريكم" بضمة فوق الهمزة، فعُدل عنها – أى عن الضمة – إلى الواو فصار الرسم هكذا: "سأوريكم" فى الموضعين فما هو سر هذه الزيادة ياترى ؟

إن سرها **هو الرمز إلى وضوح الرؤية وقوتها** .. والمقام فى الموضعين يقتضى:

١ – أن تكون الرؤية واضحة وقوية؛ بيان ذلك:

فى الموضع الأول يحث الله قوم موسى أن يعملوا بما أنزله الله عليه ورغبهم فيه، ثم لوح لهم بأنه سيريهم دار الفاسقين ليكون هذا دافعاً لهم على التمسك بما جاءهم به رسول الله موسى عليه السلام . وهذا **يتضمن تخويفاً وتهديداً لبنى إسرائيل** إذا هم أعرضوا عن أوامر الله ونواهيه .

وفى الموضع الثانى ورد هذا الفعل فى معرض الحديث عن الذين كفروا وهم يستهزئون برسول الله (ﷺ) وينتصرون لآلهتهم عليه فاقتضى المقام **أن تعلو نبرة التهديد والوعيد وأن الانتقام منهم آت لا محالة** .

♠ ((**وأقول:** على القارىء أن يلاحظ أيضاً قوله: **فلا تستعجلون** .. وفيها النهى عن الإستعجال ويدعوهم إلى التمهل.. فكان **هذا** نوع من التناسب بين طول الزمن والإمهال فيه مع طول الكلمة.. كما سنرى ذلك واضحاً فى أمثلة كثيرة من التى سيتلاءم فيها طول الكلمة مع بطء الحدث وطوله والتركيز أيضاً عليه .. ونقصان الكلمة مع نقصان مدة الحدث أو سرعته أو عدم التركيز عليه..)).

من أجل هذين الغرضين زيدت الواو فى الفعل فى الآيتين وقامت هذه الزيادة مقام كلمة منطوقة تؤدى هذا المعنى. **وبذلك اجتمع فى هذا الفعل سمتا إطناب وإيجاز لا عهد لكلام البشر بهما؛ الإطناب حاصل بزيادة الواو...** والإيجاز حاصل بدلالة حذف حرف واحد .. دلالة على معنى عظيم ... **وهذا ملمح جديد للإعجاز القرآنى من الملامح العديدة التى تستشف من خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف .**

۞ **ونضيف هنا ملحظاً آخر قاله الزمخشرى وهو:** وقرأ الحسن: **«سأوريكم» وهي لغة** فاشية بالحجاز . **يقال : أورني كذا ، وأوريته . ووجهه أن تكون من "أوريت الزند"**

كأنَّ المعنى "بيّنه لي ، وأنره لأستبينه" ... وقرىء : «سأورثكم» قراءة حسنة يصححها قوله : { وَأَوْرَثْنَا القوم الذين كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ } [الأعراف : ١٣٧]

ويقول البقاعي: ويؤيد كون المراد "القدس" لا مصر قراءة من قرأ : سأورثكم – من الإرث ، لأنها هي المقصودة بإخراجهم من مصر وبعث موسى عليه السلام ، ولا ينفي ذلك احتمال مصر أيضاً – والله أعلم.

زيادة الواو فى أطراف الأفعال:

هذه هى الصورة الثانية لزيادة الواو فى الأفعال وورودها فى القرآن الكريم أكثر من ورود الصورة الأولى ، ومن شواهدها فيه الأمثلة الآتية:

(١) ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ يونس ﴾

فى هذه الآية أمر الله رسوله أن يوجه إلى المشركين هذا السؤال فى صورة استفهام إنكارى توبيخى... وزيادة الواو ترمز إلى معنى كبير .. هذا المعنى هو الإيماء إلى عظم الخلق وفخامته وضخامته فهو ليس بدءا يمكن لغير الله أن يمارسه أو يمارس أدنى شئ منه وهذا بإقرار جميع العقلاء حتى المشركين أنفسهم .

إذًا لم تجئ هذه الزيادة عبثاً وليست هى رؤية أو منهجا خاصا ببعض كتبة الوحى كما يحلو لبعض الناس أن يقول فحاشا لله وألف حاشا أن يكون فى كتابة العزيز حشو لادلالة له على معنى . فنحن البشر نتحاشى فى ما نكتب أو نقول أن يكون فى ما نكتبه أو نقوله فضول يخلو من الدلالة ، فكيف يرد فى خواطر بعضنا أن يكون فى هذا الكتاب المعجز ما نتره نحن كلامنا منه ؟!

♠ وأقول مضيفاً: ((ونلاحظ أن النشأة الآخرة أهون من بداية الخلق (كما قال ربنا : وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ .– أى الإعادة–. الروم (٢٧). ولذلك زيد فى رسم كلمة (يبدؤا) و لم يزد فى كلمة(ينشىء) فى قوله (..ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠))العنكبوت

(٢) ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾

النور... وردت هذه الآية فى بيان الحكم الشرعى فى اتهام الزوج زوجته بالزنا و لم

يكن معه شهود غير نفسه .. ، وهذه الواقعة تسمى فى الفقه بـــ(اللعان) أو الملاعنة، فإذا لم ترد عليه أيمانه وجب إقامة حد زنا المحصن عليها **وهى الرجم المتتابع بالحجارة** حتى الموت ؛ فهى عقوبة شديدة الإيلام لأنها تحدث فى أثنائها موتاً بطيئاً شنيعاً . أما إذا ردَّت عليه أيمانه فقد نجاها هذا الرد من تلك العقوبة العاجلة الشديدة الإيلام .

ومن أجل هذا زيدت الواو فى الفعل **"يدرؤا"** وجاءت هذه الزيادة رمزاً إلى تفظيع العقوبة التى توقع عليها **والأثر العظيم** الذى يعود عليها من الأيمان الخمسة التى تصون دمها من الإهدار وتحفظ حياتها من الإماتة .

ومرة أخرى نقول: إن زيادة الواو- هنا- **قامت مقام كلمة أو جملة** دلت على تفخيم الأثر المرتب على إقسامها خمس مرات تدفع بها اتهام زوجها إياها بالزنا و لم- ولن- تأتى زيادة الواو هنا ولا غير هنا عبثا لا معنى لها وهى مثل ما تقدم جمعت بين سمتى الإطناب والإيجاز .

و لم يتوقف الأثر العظيم لرد المرأة أيمان زوجها الملاعن بها على دفع العذاب المادى عنها بل يتعداه إلى دفع ماهو أشد منه نقيصة تصيبها وتصيب عشيرتها من بعدها وهو سوء سمعتها وإطلاق الألسنة الناهشة فى سيرتها الطاعنة فى عفتها وشرفها . فزيدت الواو فى الفعل "يدرؤا" للإيحاء بكل هذه المعانى المكثفة المدلول عليها بحرف واحد هو الواو .

(٣) ﴿ قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ(٨٧) ﴾ هود. ..

جاءت صرختهم مدوية فى وجه شعيب بدأوها بهذا الاستفهام الانكارى الاستهزائى (أصلواتك تأمرك) .(أن نترك ما يعبد آباؤنا)؟ (أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاؤا) .

إن لهجة الاحتجاج فى كلامهم هذا تبلغ عنان السماء صخبا وتملأ ربوع الآفاق دوياً وكأن شعيبا جاءهم بمنكر من القول وزور . فهم كانوا يعتقدون أنهم يملكون حريات واسعة المدى فى مجال الاعتقاد والعبادة والتصرفات المالية هذا التصور لدى قوم شعيب دل عليه البيان القرآنى المعجز بأمرين:

حكاية عبادتهم نفسها ، زيادة الواو فى الفعل "نشاؤا" بل نكاد نجزم أن زيادة الواو- هنا- دلت على ادعائهم أنهم يملكون حريات واسعة فى التصرف المالى دلالة مكثفة بوجه

خاص حتى لكأنها مقصورة على هذه الدلالة . ومحال أن تكون هذه الدلالة غير مقصودة من زيادة الواو لأننا نرى هذا الفعل "شاء" ورد فى الذكر الحكيم خالياً من هذه الدلالة فى مواضع أخرى مثل قوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٥﴾.. وخلو الفعل فى الآية فى مراته الأربع من الواو لأن المقام يخلو من إرادة التهويل الذى أراده قوم شعيب فى جدالهم شعيبا . وفى هذا إجابة حاسمة على سؤال مؤداه:

لماذا خلت آية آل عمران من زيادة الواو فى الفعل "تشاء" فى مراته الأربع وزيدت تلك الواو فى آية هود عليه السلام؟

أجل: زيدت الواو فى آية هود لتصور إلى أى مدى غالى قوم شعيب فى اثبات حريات واسعة لأنفسهم محال ان تحد منها أو تسلبها صلوات شعيب ، فقد عبر البيان القرآنى عن دقائق ما كان يتصوره قوم شعيب وهم يجادلونه فى كبرياء وصلف ويظهرون استهزاءهم به وبما يدعو اليه .

فهذه الواو الزائدة خطاً فى قولهم "ما نشاؤا" ضوء باهر كشف عن دخائل قوم شعيب وما كان تشى به نبرات أصواهم وملامح وجوههم .

♠♠ وهنا يحسن بنا أن نقف على شرح مفصل عن كلمة نَشَتَؤُاْ ۖ على الصفحات القادمة للتوضيح.

(٤) ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) ﴾الزخرف. هذه الآية جاءت فى إطار الرد على المشركين حين قاسموا الله فى خلقه فجعلوا لأنفسهم البنين ولله عز وجل البنات ، وحكى عنهم القرآن هذا فى مواضع منها سورة الزخرف التى قال الله تعالى فيها﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ(١٨) ﴾ الزخرف. يشنع القرآن عليهم أنهم جعلوا لله النوع الأدنى عندهم "البنات" وجعلوا لأنفسهم النوع الأعلى "البنون" فى اعتقادهم. أوجعلوا لله الصنف الأضعف ولأنفسهم الصنف الأقوى، فرضوا لله مالا يرضونه لأنفسهم وهم وما ملكت أيديهم لله عز وجل. وجاءت الواو زائدة فى الفعل

مهدها الأول وما يعقبه من مراحل التربية ، وكم تحمل هذه العبارة القرآنية "ينشؤا فى حلية" من معان لا حد لها من حياطة الأم والأب لها . والحلية: الزينة والنعمة وأنها لا يعتمد عليها فى أمور الحياة بل هى مبالغة فى الزينة والرفاهية فقط . .. وقد توفرت لهذه "التربية" المخصوصة عوامل الرعاية وشدة العناية من ثلاثة أوجه:

الأول: اسنادها إلى غير "الأنثى" (يُنشؤ)- (مبنى للمجهول)- أى لم يقل (ينشأ).

الثانى: تضعيف الفعل – فى حرف الشين- للدلالة على تكثيف الرعاية .

الثالث: زيادة الواو القائمة مقام كلمة أو جملة دالة على هذه المعانى، ويصاحب هذه الدلالة سمتا الإطناب والإيجاز فى أداة تعبيرية واحدة تراها إطنابا باعتبار وايجازا باعتبار آخر .

(٥) القيامة.﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾..

هذه الآية تحكى بعض ما سيكون يوم القيامة وهو إطلاع الله كل إنسان بما عمله فى الحياة الدنيا ، والنبأ هو الخبر العظيم ولذلك لم يرد فى القرآن فى الحديث عن الغيبيات وعن فضل الله فى اختلافات الطوائف إلا ما اشتق من هذه المادة (ن- ب- أ) ومنه ما ورد فى هذه السورة (ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) . وجاء هذا الفعل "ينبؤا" مزيدا بالواو معدولا به عن "ينبأ" كما هو الشأن فى الخط الإملائى العام والحديث إشارة إلى تفخيم المعنى المراد وتعظيمه . ولولا إرادة هذا المعنى ما زيدت هذه الواو فهى كمثيلاتها قائمة مقام كلمة أو جملة برأسها تدل على هذا المعنى الذى هو التعظيم والتفخيم ، والمقام هنا يقتضى هذا لأن من أعظم الوقائع يوم القيامة إعلام الله العباد بما كانوا يعملون فى الحياة الدنيا بعد أن نسوا ما صنعوه فيها . لذلك نرى النظم القرآنى يحشد عددا من القيم التعبيرية للدلالة على عظمة هذا الحدث وفخامته وتلك القيم التعبيرية هى:

أ- إيثار التعبير بمشتق "ينبؤا" من مادة (ن- ب- أ) دون مادة (خ- ب- ر) لاختصاص الأول بالخبر العظيم الصادق دون الثانية .

ب- صياغة الفعل "ينبؤا" من "نبأ" المضعف دون "أنبأ" المخفف لأبلغية الأول على الثانى لدلالته- أى الأول- على الكثرة دون الأول .

جـ- زيادة الواو لما تقدم مرات من أنها رمز للتعظيم و لم تأت فى أى موضع من مواضع زيادتها خالية من هذه الدلالة .

ومما يدل على عظمة هذا الحدث وتعجب الناس منه يوم القيامة قوله تعالى فى سورة الكهف﴿: وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا

ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾... وهكـــذا يتـــبين لـــنا أن الرســـم العثمانى للمصحف الشريف فى تلك الخصوصيات التى نتتبع نماذج منها لم يرد فيه شئ منها عاريا من اللطائف المذهلة والأسرار المدهشة مما يصح أن نطلق عليه- غير مغالين- مصطلح الإعجاز الخطى للقرآن العظيم .

۞ **ملحوظة** : راجع تكملة الموضوع والتعليق عليه منا فى الجزء الثانى تحت عنوان ((نبأ وأنبــؤا))

زيادة الواو فى وسط الأسماء

أجملـــنا الحديث فى المقالة الرابعة عن لطائف وأسرار زيادة الواو فى الأفعال وذكر دلالات تلـــك الـــزيادة وأن الزيادة وهى زيادة حرف واحد (الواو) تسد مسد جملة غير مـــنطوقة فى الدلالة على المعنى المراد منها ، وأنها يتولد عنها فن بلاغى إعجازى جديد هو توارد الإيجاز والإطناب على موضع واحد وهو فن ليس له وجود إلا فى كتاب الله العزيز . ونعرض فى هذه المقالة وما يليها للطائف والأسرار اللتين رُمز إليهما بزيادة الواو فى مجموعة من الكلمات القرآنية الشريفة

ونبدأ بثلاث كلمات زيدت فى وسطها الواو فى جميع مواضع ورودها فى الكتاب العزيز وهى: "أولوا" و "أولى" و"وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ " . والكلمتان الأولى والثانية وردتا فى القرآن فى مواضع كثيرة أما الثالثة "أولات" فوردت مرتين ، وزيادة الواو جاءت فى وسط الكلمـــة كمـــا تـــرى وهى فى الكلمات الثلاث تدل على معنى واحد عبر عنه علماؤنا الأقدمـــون- رضـــى الله عـــنهم- بجملة موجزة فقالوا: **"إنها تدل على شدة الصحبة"** . واكتفوا بهذه اللمحة دون أن يتبعوها بشرح أو تفصيل.

وهنا نقف مع شرح توضيحى من أستاذنا الدكتور المطعنى ، وإليك ما قاله:

وهـــا نحن أولاء نبدأ من حيث توقفوا فنقول ومن الله التوفيق: أرادوا بقولهم أنها تدل على "شدة الصحبة" قوة الصلة بين المضاف "أولى- أولوا- أولات" وبين المضاف إليه .. والمـــضاف إليه مختلف من موضع إلى موضع لأن هذه الكلمات الثلاث لا تستعمل إلا مضافة فهى كلمات ملازمة للإضافة مثل (عند) و(لدى) .

وقبل أن نسوق الأمثلة ونطبق عليها معنى قوة أو شدة الصحبة نشير فى العبارات الآتـــية إلى ضابط بلاغى ينتظم كل مضاف ومضاف إليه فى جميع استعمالات لغة القرآن

المعجــزة لهذه الكلمات الثلاث ليكون التطبيق شاملا للأمرين معا أعنى: قوة الصحبة بين المضاف والمضاف إليه فى الكلمات الثلاث .

وهذا الضابط الذى اكتشفناه.

ذلـــك أنــــنا تتبعنا كل ما ورد فى القرآن من استعمال الكلمات الثلاث مضافة ، وخــرجنا مـــن هذا الاستقراء التام بالحقيقة الآتية التى نصوغها فى صورة "قانون" لغوى بلاغى هو الآتى:

"إن لغة القرآن المعجزة لم تضف هذه الكلمات الثلاث (أولوا- أولى- أولات) إلا إلى مـــا هـــو عنــصر متأصل فى "ماهية" المضاف، وبه يكون تمام الخلق والتكوين ، وأن المضاف إليه كيفية نفسية لا يمكن فى الواقع الفصل بين المضاف والمضاف إليه" .

أمـــا كلمـــة "أولات" فلم تضفها لغة القرآن الحكيم إلا إلى ماهو جزء مادى أو كالجزء متأصل فى ذات المضاف" . وتفصيل كل ذلك يأتى فى سوق الأمثلة وتحليلها .

الأمثلة: "١" (١٣) آل عمران﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ .. أضيفت كلمة "أولى" فى هذه الآية الحكيمة إلى كلمة "الأبصار"

والأبصار هنا تحتمل عند المفسرين معنيين: أن تكون بمعنى "العقول" . وأن تكون بمعنى العيون الباصرة .والأول هو الأصوب أو هو الصواب لأن المقام لا يشمل كل من له عين باصرة بل المراد أصحاب الفهم الذكى والتفكير السديد .

وسواء كان المراد المعنى الأول "العقول" أو المعنى الثانى "العيون الباصرة" فإن زيادة الـــواو فى "أولى" – وهى فى الأصل "أُلى" بهمزة مضمومة – هذه الزيادة رمز بها إلى قوة الصحبة بين المضاف "أولى" وبين المضاف إليه "الأبصار".

وقـــوة الـــصحبة هنا تظهر من عدم انفصال المضاف إليه "الأبصار" عن المضاف "أولى" مـــع بقاء تمام الخلق ، وهذا الانفصال محال فى الواقع إذا كان المراد من "الأبصار" العقـــول . أما إذا كان المراد "العيون الباصرة" فهى وإن امكن فصلها فإن تمام الخلق يزول مـــع هذا الفصل – كما تقدم فى القاعدة المستنبطة من الاستقراء المشار اليه فيما تقدم –.

وقد اضيفت هذه الكلمة فى حالتى الرفع والجر إلى "الأبصار" فى ثلاثة مواضع أخرى هى: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ النور (٤٤) ﴾. والآية﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ (٤٥) ﴾ ص.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ (٢)﴾ الحشر

وبالتأمل فى المضاف والمضاف إليه فى هذه الآيات جميعا تظهر قوة الصحبة بينهما التى جاءت الواو المزيدة رمزاً للدلالة عليها . ويظهر أن هذه الواو المزيدة قد سدت مسد جملة كان ينبغى أن تذكر للدلالة على هذا المعنى كما يظهر اقتران الفن البلاغى "الجديد" الملون من توارد الإيجاز والإطناب فى محل واحد وهو فن عزيز المنال فى غير القرآن العظيم.

وأضيفت كلمتا "أولى- اولوا" إلى كلمة "العلم" مرات ؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨) ﴾ آل عمران .. العلم الذى اضيفت إليه "أولوا" كيفية "نفسية" وهو "ملكة ذهنية" لا يمكن فصلها عن المضاف وهو "أولوا" ولا إدراكه منفصلا عن الشخص "العالم" ، **لأن العلم ممتزج بالعالم امتزاجا عضويا ساريا فى كيانه سريان النضارة فى العود الأخضر** .. هذا هو "قوة الصحبة" بين المضاف "أولوا" وبين المضاف اليه "العلم" .

فأولوا بمعنى "اصحاب" و لم تستعمل لغة القرآن المعجزة كلمة "أصحاب" هنا بل آثرت عليها كلمة "أولوا" لما بين "أصحاب" و "أولوا" من فرق دقيق عميق سنبينه بإذن الله فى آخر هذا المبحث . ومن أجل الدلالة على "قوة الصحبة" بين العلم وما أضيف زيدت الواو بعد الهمزة وقبل اللام فسدَّت مسد الجملة التى كان ينبغى أن تذكر للدلالة على هذا المعنى اللطيف و لم تضف إلى العلم مرة أخرى فهى فريدة فى الذكر الحكيم . وأضيفت "أولى" فى حالة النصب إلى "النعمة" بفتح "النون" المشددة فى موضع واحد هو ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١)﴾ المزمل ... والنَّعمة بفتح "النون المشددة" غير النِّعمة بكسر "النون" ؛ فهى بالفتح بمعنى "التنعم والترفه والمسرة" . أما "النعمة" بالفتح والتشديد فهى بمعنى ما يملك من زينة الحياة الدنيا وهو ما يكون مفصولا عن مالكه والأول هو المراد من الآية وهو المتعة التى يستلذ بها صاحبها .

وهى بهذا المعنى كيفية نفسية شعورية تسرى فى النفس ممتزجة بها ولا يمكن فصلها عن الإنسان حال وجودها فيه، فإذا زالت عنه لايكون "أولى النَّعمة" . وهذا هو المراد من شدة الصحبة بين المضاف إليه هنا وهو "النعمة" والمضاف وهو "أولى" . ومن أجل هذه اللمحة اللطيفة زيدت الواو بعد الهمزة وقبل اللام وأوثرت "أولى" على "أصحاب" واذا قيل فى غير القرآن: اصحاب النَّعمة بفتح "النون" وتشديدها لحدث خلل فى المعنى المراد

ولأوهم هذا القول جواز فصل المتعة والسرور عن الشاعر بهما حال وجودهما فيه هذا محال . أمـــا إذا قيل: اصحاب النِّعمة بكسر "النون" وتشديدها فإن المعنى يكون صحيحاً ، لأن النِّعمة بمعنى المال المملوك لا يمتنع فصله وعزله من مالكه بل هو مفصول عنه فى الواقع .

وأضيفت كلمتا "أولى وأولوا" إلى كلمة "الأرحام" ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾ الأنفال.

أولـــوا الأرحام: ذوو القرابات من جهة النسب ، وهى كناية لطيفة عن صلات النسب الناجمة عن الآباء والأمهات وما تفرع عنهما .

والقـــرابة اعتبار ذهنى معنوى وكل اثنين أو أكثر بينهما قرابة نسبية فهى معنى لازم بيـــنهما أو بيـــنهم لا يمكن بحال إزالة ذلك المعنى بأى وسيلة ، وهذا هو معنى "قوة الـــصحبة" بين المضاف هنا وهو "أولوا" والمضاف اليه وهو الأرحام . وبسبب الإلماح إلى هـــذا المعـــنى "قوة الصحبة" زيدت الواو بين الهمزة واللام فى "أولوا" ولا يقال فى فصيح الكـــلام: اصحاب الأرحام لخلو كلمة "اصحاب" من الدلالة على هذا التلازم المعبر عنه بـــ"قوة الصحبة" ، وسيأتى بيان ذلك عند المقارنة بين ما تضاف اليه كلمة "اصحاب" فى لغـــة القـــرآن العظيم . وقد وردت هذه الإضافة مرة أخرى فى لغة القرآن فى غير سورة الأنفـــال وهى قوله تعالى:﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ (٦)﴾ الأحزاب

وأضـــيفت كلمـــتا "أولـــوا وأولى" إلى كلمة "القربى" فى حالتى الرفع والنصب والتعريف والتنكير "القربى- قربى" ففى حالة الرفع والتعريف جاء قوله تعالى﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾. النساء وفى حالة النصب والتنكير جاء قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١١٣) ﴾ التوبة.

كما أن"أولى" مضافة إلى "القربى" فى قوله تعالى:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ (٢٢) ﴾الـــنور .. وهذه المواضع كلها تنتظم تحت مبدأ "قوة الـــصحبة" الذى من أجله كانت زيادة الواو بين الهمزة المضمومة واللام فى كل من "أولى وأولوا" .

واضـيفت "أولوا" إلى كلمة "الطول" فى قوله﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ (٨٦) ﴾التوبة. .

والطَول على ما يفهم من كلام المفسرين والمعاجم اللغوية هو "القدرة" أو "السعة" وهمـا **اعتبار معنوى وكيفية نفسية** وإن كانت أسباها حسية مادية مثل صحة البدن من العلل والآفات المقعدة ووفرة المال فى اليد . فالطول هذا الاعتبار شديد اللصوق بالمضاف لا يقبل الانفصال عنه ، وهو معنى: "قوة الصحبة" التى من أجلها زيدت الواو فى "أولوا" بـين الهمزة المضمومة واللام ، وأوثرت "أولوا" على "أصحاب" لشدة دلالتها على المعنى المراد من كلمة "اصحاب" كما سيأتى عند المقارنة بين ما تضاف إليه كل منهما . وسوف يتضح أن "اصحاب" لا تصلح للاستعمال فى موضع "أولوا" وأن "أولوا" لا تصلح كذلك للاسـتعمال فى موضع "أصحاب" وإن فسرت كل منهما بمعنى الأخرى فهما كالمترادفين وليستا مترادفتين من كل الوجوه .

واضـيفت "أولوا" إلى كلمة "الفضل" معطوفا عليها كلمة "السعة" فى قوله عز وجل:﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ (٢٢) ﴾ النور

وماقيل فى "الطَول" يقال فى "الفضل" فهما جميعا كيفيتان نفسيتان قائمتان بذات المـضاف إليهما قياما عضويا مثل قيام الروح الممتزجة بالجسم فى حال الحياة وذلك كله يحقـق "قـوة الـصحبة" بين المضاف "أولوا" والمضاف اليه "الفضل" وكل من "الطول" و"الفضل" لم يرد فى القرآن الحكيم إلا مرة واحدة مضافا اليه "أولوا" .

واضيفت "أولوا" الى كلمة "العزم" مرة واحدة فى قوله تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ (٣٥)﴾ الأحقاف

والعزم: الهم القوى والإقدام المبرم على فعل شئ أو هو قوة الإرادة والتصميم . فهو هذا الاعتـبار كيفية نفسية لا يمكن عزلها عن "العازم" ، وهذا هو "قوة الصحبة" بين المضاف "أولـوا" والمضاف اليه "العزم" . واضيفت "أولى" إلى كلمة "الضرر" مرة واحدة فى قوله تعالى:﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ (٩٥) ﴾ النساء.. الضرر والضر هو ما يصيب الإنسان من صنوف الأذى والشر والمراد من "الضرر" فى الآيـة- كما يفهم من المقام - العجز المترتب على ما يصيب الجسم من آفات . وهو

بهذا الاعتبار عجز ملازم لصاحبه وقت حلول أسبابه به كالمرض الشديد والعرج والعمى و"قوة الصحبة" ملحوظة بين المضاف "أولى" والمضاف اليه "الضرر" . وهو المعنى المرموز إليه فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف بزيادة الواو بين الهمزة المضمومة واللام.

وأضيفت "أولى" إلى كلمة "الأمر" مرتين فى لغة القرآن إحداهما فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ النساء: ٥٩. والثانية فى قوله تعالى﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ .. (٨٣)﴾ النساء. والمراد من "الأمر" الحكم والسلطان وهما أمران معنويان قائمان بالحاكم والسلطان المخول بإدارة شئون الأمة و"قوة الصحبة" بين المضاف والمضاف إليه-فى هذا البيان لا تحتاج إلى دليل.

وأضيفت "أولوا" إلى كلمتى "قوة و بأس" فى آية واحدة ، وهى قوله تعالى حكاية عن قوم بلقيس ملكة سبأ:﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ(٣٣)﴾ النمل والقوة والبأس: الشدة والشجاعة والبطش فى الحروب وهى أوصاف ذاتية شديدة اللصوق بالموصوف . لذلك آثرت لغة القرآن أن يكون المضاف إليهما هو "أولوا" دون أصحاب أو "ذوو" لما فى "أولوا" من خصوصية "قوة الصحبة" المرموز إليها بزيادة الواو بين الهمزة واللام . هذا وقد أضيفت "أولى" إلى "بأس" فى موضعين آخرين هما قوله تعالى﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ﴾ الإسراء. وقوله سبحانه وتعالى:﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ..(١٦) ﴾ الفتح. أما "القوة" فقد أضيفت إليها "أولى" فى موضع آخر واحد هو قوله تعالى:﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ.(٧٦) ﴾ القصص.

وسر هذه الإضافات كلها هو الدلالة على "قوة الصحبة" بين المضاف والمضاف إليه . وأضيفت "أولى" إلى كلمة "الإربة" فى قوله تعالى﴿ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ (٣١) ﴾ النور. الإربة– عموما– : الحاجة، والمراد منها فى الآية الكريمة الإحساس الذكورى بالميل إلى "الأنثى" ، وهذا الإحساس إنفعال نفسى يشعر به الرجل السوى تام التكوين بكل وظائف الأعضاء. وهو بهذا الاعتبار أمر لاصق بالإنسان لا ينفصل عنه وليس له تحقق فى الوجود خارج الجسم الذى يحس به . وهذا هو "قوة الصحبة" المستفادة

مــن زيادة الواو فى "أولى" لا يقال: إن "أولى" حتى إذا رسمت على الأصل هكذا: "ألى" بدون زيادة "الواو" فإنها تدل على هذا المعنى لأننا نقول: إن "أُلى" بدون زيادة "الواو" تدل على مجرد "الصحبة" مثل صاحب ولا تدل على "قوة الصحبة" إلا بزيادة الواو هذه .

وإضافة "أولى" إلى "الإربة" لم ترد فى لغة القرآن إلا فى آية "النور" فهى- إذا- من فرائد النظم القرآنى الحكيم .

ويــرى بعض العلماء أن "غير أولى الإربة" فى الآية هم العجزة من الرجال الذين يفقدون- أصالة- الإحساس بالميل إلى النساء ولا ريب أن هذا العجز ملازم لهم .

وأضيفت "أولو" إلى كلمة "بقية" فى قوله تعالى:﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ..(١١٦)﴾ هود. والبقية على ماجاء فى كتب التفسير الفضل والخير والخشية وهى على هذا كيفيات نفسية قارة فى ذوات من يتصفون بها .

والكيفــيات النفــسية لا وجــود لها خارج محالها وهكذا يستمر معنا مبدأ "قوة الــصحبة" فى كــل ما اضيفت إليه "أولوا ، وأولى" وهكذا تظل زيادة "الواو" فى "أولوا وأولى" رمزا دائما على هذه الدلالة "قوة الصحبة" فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف .

وإضافة "أولوا" إلى "بقية" من فرائد النظم القرآنى الحكيم حيث لم ترد فيه إلا مرة واحدة. واضيفت "أولى" إلى كلمة "النهى" مرتين هما: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾..هود..﴿ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ(٥٤)﴾ طه..وقوله سبحانه وتعالى.﴿ . إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ(١٢٨) ﴾ طه النُهــى: هو العقل الذكى الحصيف وهو ملكة لطيفة زود الله بها الإنسان قارة فيه يعرف بآثاره ولا تدرك حقيقته ولا ينفصل عن المتصف به.

وهو بهذا الاعتبار قوى الصحبة بالعقل لذلك كان المضاف إلى الفعل هو "أولى" فى الموضوعين وكانت زيادة الواو رمزا إلى هذا المعنى اللطيف .

واضــيفت "أولــوا" وأولى" إلى كلمــة "الألباب" ست عشرة مرة أولها حسب التــرتيب المصحفى قوله تعالى: ﴿..وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ(٢٦٩) ﴾البقرة. واللب هو: العقل الخالص الذكى وهو ملازم لمن يتصف به قار فيه لا ينفصل عنه ولذلك أضيفت إلــيه كلمة "أولوا" و"أولى" فى المرات الست عشرة الواردة فى القرآن الحكيم للدلالة على "قــوة الصحبة" بين المضاف والمضاف اليه . وأضيفت "أولى" إلى كلمة "أجنحة" فى قوله تعــالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ (١) ﴾فاطــر. وهذه هى المرة الوحيدة التى

أضـــيفت فيها "أولى" إلى كائن مادى مشخص له وجود محسوس فى الواقع ومع هذا فإن معنى "قوة الصحبة" ملحوظ فيه بكل وضوح لأن "الجناح" متصل بالجسم اتصالا عضويا ملازمـــا لمن رُكب فيه. بهذا تطرد دلالة زيادة الواو فى كل من "أولوا ، أولى" على "قوة الصحبة" فى جميع المواضع التى وردت هاتان الكلمتان مضافتين فيها فى لغة القرآن العظيم وفى هـــذا توكـــيد بعـــد توكيد لخلو القرآن فى رسم الكلمات المخالف للرسم الإملائى الحديث من عدم الدلالة على معنى لطيف من أجله كانت تلك المخالفة الحكيمة .

أمـــا "أولات" وهـــى خاصة بالجمع المؤنث كما كانت "أولوا" و"أولى" دالة فى الظاهر على الجمع المذكر فإنها- اعنى أولات- جاءت فى لغة القرآن مضافة مرتين: أولاهما قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ(٤)﴾ الطلاق ج والثانية قوله جل ذكره: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ(٦)﴾ الطلاق ج

وقـــوة الصحبة بين الحامل والمحمول أو المضاف والمضاف إليه لاتحتاج إلى دليل. ويكفى أن يقال فى توكيد قوة الصحبة هنا: أن المرأة الحامل ترى هى والجنين المستكن فى رحمها شخصاً واحداً لاشخصين، حتى ولو كان فى بطنها جنينان أو أكثر

وهذا كله يثبت يقيناً أن مافى الرسم العثمانى للمصحف الشريف من خصوصيات خالف فيها الرسم الإملائى الحديث لم يرد عبثاً ولا اعتباطاً.........

ثم يذكـــر الأمـــثلة الـــتى أضيفت فيها كلمة (أصحاب).. مثل (أصحب الجنة) و(أصـــحـــب النار) (أصحب الكهف)(أصحب القرية)(أصحب السفينة)(الأعراف).. ومنها يتبين أن المضاف(أصحاب) شيء مستقل الذات فى الوجود .. وأن المضاف إليه وهو (الجنة و..) شيء مستقل الذات فى الوجود... الصحبة ليست قوية لخلوها من قوة الإتحاد والمزج.

والملاحظـــة الأخرى: هى الفرق بين (أولوا القربى) و(ذوى القربى).. وملاحظة استخدام القـــرآن وتطويعه لصوت الكلمة الذى يتناسب مع المعنى المراد منها، حيث أن (ذوى) فى نطقهـــا يلاحظ فيها الجمع والضم فى حروف الكلمة ، ولذلك قيل فى معناها: هم القرابة القـــريبة جـــداً .. بخلاف (أولو) التى ينطلق ويجرى بها النفس لأنها تعنى القرابة بصورتها الواسعة والقرابة البعيدة.

زيادة الواو فى وسط الاسماء (٢)

كان الحديث فى الحلقة الماضية عن زيادة الواو فى وسط بعض الأسماء مثل: أولو وأولات، وفى هذه الحلقة نستوفى الحديث عن اسماء أخرى زيدت الواو فى وسطها للدلالة على معان لطيفة لا تستفاد إلا من هذه الزيادة ، وهذه الأسماء التى نتناولها هنا ثمانية: أربعة اصــول هى: الصلاة، الزكاة، الحياة، الربا، وهى قد رسمت فى المصحف الشريف هكذا: الصلوة، الزكوة، الحيوة، الربو" .

ثم أربعة فروع هى " بِٱلْغَدَوٰةِ - كَمِشْكَوٰةٍ- ٱلنَّجَوٰةِ- وَمَنَوٰةَ ".. مع ملاحظة أن الألــف فى كل هذه الكلمات الثمانى محذوفة مستعاضاً عنها بألف رأسيه صغيرة كما هو الشأن فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف فى كلمات لا تكاد تحصر.

ســورة الــنجم: (٢٠). ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾. وسورة الكهف:(٢٨) ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

وسورة غافر:(٤١) ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾

سورة الكهف (٨١)﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

وســـورة النور (٣٥). ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾

الصلاة:

تزداد الواو فى الصلاة بعد الألف وقبل التاء المربوطة فى الرسم العثمانى للمصحف إلا فى بعض مواضع لم تزد فيها "الواو" لسبب سنعرفه بإذن الله.

وقد دلت هذه الزيادة على تفخيم وتعظيم شأن الصلاة عموماً فرضا كانت أو نفلا مرتبا أو تطوعا لأن الألف واللام فى الصلاة لتعريف الجنس الشامل لأفراد ذلك الجنس.

فهى لم تزد عبثا وحاشا لله أن يكون فى كتابة شئ يخلو من المعانى والأسرار.

إن كتاب الله العزيز لم ترد فيه كلمة "الصلاة" خالية من هذه "الزيادة" الرامزة إلى تلك المعانى والأسرار العظيمة إلا فى بضعة مواضع هى:

سورة الأنفال: (٣٥)﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾

وسورة الأنعام: (١٦٢) ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

وسورة الإسراء: (١١٠)﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾

وسورة النور: ٤١.﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾

والأنعام: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢).

وسورة المؤمنون: (٢)﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

وسورة المعارج: (٢٣) ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾

وسورة المعارج: (٣٤) ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

وسورة الماعون: آية ٥﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

هذه المواضع لم تأت "الواو" فيها فريدة فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف ، وهذا قد لحظه الإمام الزركشى وأشار إليه إشارة مجملة دون أن يكشف عن السر فى مجيئها خالية من الواو، نذكر ما هدانا إليه الله عز وجل بعد طول النظر والتأمل بحثا عن الفروق بين مازيدت فيه الواو ومالم تزد فيه . **هذه الفروق تبينت لنا بجلاء من النظر فى النظم القرآنى نفسه لا من شئ سواه.**

فقد تبين أن "الصلاة" التى تزاد فيها "الواو" هى ما كان معناها (عاما شاملا) لكل افراد الجنس، أما إذا كان المعنى قد دخله شئ ما من الخصوص فلا تزاد تلك "الواو" .

والمواضع التى تقدم ذكرها خالية من زيادة "الواو" جاءت كلها مضافة إلى الضمير سواء كان ضمير متكلم "صلاتى" أو ضمير مخاطب "صلاتك" أو ضمير غائب "صلاته"– "صلاقم" ، وهذا ظاهر من الآيات المتقدم ذكرها ، ومعلوم أن الإضافة نوع من التخصيص والتقييد فليس مدلول "الصلاة" معراة عن الإضافة هى مدلول "صلاتى أو صلاقم" مضافات إلى الضمير.

فشرط العموم لازم فى استجلاب زيادة "الواو" ، فإذا تخلف هذا الشرط رسمت كلمة "صلاة" خالية من الواو.

هذا هو المعنى الذى لم يعره أحد انتباها ، وهذا معنى عظيم كما نرى .

فالصلاة المفخمة بزيادة الواو فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف هى الصلاة الجامعة العامة التى معناها "كلى" لا جزئى ، ولذا يمكن أن نقول: إن ما جاء مضافا من الفاظ "الصلاة" فى القرآن كان فى معناه تخصيص ما اقتضى ترك زيادة الواو فى الرسم إلا فى موضعين جاءت فيهما "الصلاة مضافة" ، ومع هذا زيدت فيها "الواو" استثناء من القاعدة التى أثبتناها آنفا. و لم تأت زيادة "الواو" فيهما اعتباطا بل جاءت لمعنى حرى بالقبول والتقدير.

والموضعان هما: قوله تعالى: فى

سورة التوبة: (١٠٣) ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

وسورة هود: (٨٧) ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾

وسبب زيادة "الواو" فيهما الآتى:

فريق من القراء وهم حفص عن عاصم والكسائى وخلف قرأهما فى التوبة وفى هود بالإفراد هكذا (إن صلاتك) بفتح التاء فى التوبة و(أصلاتك) بضم التاء فى هود.

أما الباقون من القراء فقد قرأوهما فى الموضعين بالجمع هكذا: (إن صلواتك) بكسر التاء فى التوبة و(أصلواتك) بضم التاء فى هود .

إذاً فإن خروج هذين الموضعين عن القاعدة وهى ترك زيادة الواو فى الصلاة إذا أضيفت سببه صلاحية الرسم فيهما لقراءتى الإفراد والجمع ، وهذا من دقائق المعانى فى خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف.

زَكَوٰة:

زيدت "الواو" فى الزكاة كما زيدت فى الصلاة والمعنى العام الذى زيدت فيهما من أجله واحد هو التفخيم فى شأنهما وتعظيمهما، بيد أن الزكاة انفردت بخصوصية زيادة "الواو" فيها فى جميع مواضع ذكرها فى القرآن الكريم لم يختلف فيها أى موضع من مواضع ذكرها، بخلاف ما تقدم فى الصلاة حتى فى ما لم يأت منها بمعنى إنفاق المال مثل قوله تعالى: فى سورة الكهف: (٨١) ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

إذ ليس المراد من "زكوة" هو الإنفاق المالى بل المراد طهارة الروح وثبات القلب على الإيمان والطاعة لله عز وجل ، والسبب فى اطراد زيادة "الواو" فى الزكاة هو أنها لم تأت فى الذكر الحكيم مضافة قط بل معرفة باللام أو منكرة كما فى آية الكهف المذكورة آنفا. وعدم ورودها مضافة محض دلالتها للعموم والشمول والكلية وهذا شرط فى زيادة "الواو" كما تقدم فى مبحث الصلاة.

ٱلْحَيَوٰة

من الأصول الأربعة التى زيدت فيها "الواو" فى الرسم العثمانى فى وسط الأسماء كلمة "الحياة" سواء كانت معرفة أو منكرة ، وجاءت هذه الزيادة رمزا- كذلك- على ما للحياة من فخامة وعظمة لأنها مبدأ الوجود والحركة والنشأة وعمارة الأرض واستثمار ما فيها من طاقات ونعم لا تحصى .

الحياة هى الوجود ومناط الخلافة فى الأرض ومن النظر فى مقامات ورود كلمة "الحياة" فى لغة القرآن يبدو أن شرط زيادة "الواو" فيها أن يكون معناها (كليا شاملا) ، أما إذا دخله نوع ما من "الخصوص" فلا تزاد فيها "الواو" كما تقدم فى "الصلاة" وهذه أمثلة تؤكد ذلك: سورة البقرة (٢٠٤) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾

سورة آل عمران: (١٤)﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

سورة النساء: (٧٤)﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾

سورة الأنعام: (٣٢)﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ فى الآيات الأربع دلت كلمة "الحياة" على العموم والشمول واطردت فيها زيادة "الواو" لوجود شرط زيادتها.

ما لم تزد فيه "الواو"

سورة الأحقاف: (٢٠)﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾

وسورة الأنعام: (٢٩)﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾

وسورة الفجر: (٢٤)﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾

إن المعنى المراد من: "حياتكم" - "حياتنا" - "حياتى" معنى خاص هو حياة المضاف إليه وهو كاف الخطاب فى الأولى ، وضمير الجمع المتكلم فى الثانية ، وضمير المفرد المتكلم فى الثالثة. وبهذا يبدو بكل وضوح أن "خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف" تسير على منهج منظم ودقيق كل الدقة مما يدعو إلى اليقين بأن ما بين ضفتى المصحف كله معجز.

ٱلرِّبَوٰا۟

هذا هو الأصل الرابع من الأصول التى تزاد فيها "الواو" فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف رمزا إلى معنى تدل عليه هذه الزيادة. هذا المعنى هو: التفظيع والتهويل

والتنفير من الربا مصدرا من مصادر الكسب الخبيث. وهذا ماتراه واضحا فى الآيات الآتية:

سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ﴾.. وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾ (٢٧٥) ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ (٢٧٦) ﴾ ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) ﴾

وسورة آل عمران: (١٣٠)﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

وسورة النساء: (١٦١)﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ ﴾

وردت كلمة "الربا" فى هذه الآيات ست مرات وقد زيدت فيها "الواو" بين الباء والألف فى المرات السابقة مرادا من هذه الزيادة تهويل شأن الربا وتفظيعه والتنفير منه.

إلا موضعا واحدا. نعم إلا موضعا واحدا من مواضع ورود كلمة "الربا" فى القرآن لم ترد فيها هذه الزيادة وهو قوله تعالى: فى سورة الروم (٣٩)). ﴿ وما ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ ﴾

وإنما لم تزد الواو هنا لذهاب معنى "الكلية" المعهودة فى الأذهان المفادة من تعريف الربا باللام فى المواضع الستة الآنفة الذكر، لأن التعريف فيها صرف الذهن إلى معنى "الربا" المعروف لدى المخاطبين، أما فى هذه الآية فقد جاءت الكلمة نكرة (من ربا) بدخول حرف الجر الزائد من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ، وهذا كثير الورود فى القرآن مثل: فى سورة هود: **﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** (٦) **﴾. وفى سورة البقرة: وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ** (٢٧٠) **﴾**. وهذه الصياغة لا تدل على المعنى الكلى العام ، بل على تتبع جزئيات ذلك المعنى ، وهذا نوع من الخصوص سوغ ترك زيادة الواو فى هذا الموضع. وقد دخله الخصوص من جهة أخرى نص عليها بعض المفسرين وهى احتمال "ربا" **هنا لهبة الثواب وهى مما أجازها بعض الفقهاء** (٥). ((وهبة الثواب هى ما يجرى بين الناس فى بعض المناسبات كالنقوط فى الأفراح، وقد رخص فيها مذهب الإمام مالك ، فيردها آخذها بأكثر منها، وهى ليست من القروض التى جرت نفعاً، بل من باب"المعروف" الذى تحسن المكافأة عليه.))

وبهذا ينتهى الحديث عن الأصول الأربعة المتقدم ذكرها.

الفروع الأربعة: بِٱلۡغَدَوٰةِ

زيــدت الــواو فى هذه الكلمة بعد الألف وقبل التاء والأصل أن تكتب هكذا: "الغداوة" وقد ورد تفريده بالواو فى موضعين من القرآن الكريم هما: فى سورة الأنعام:(٥٢) ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾وســورة الكهــف: (٢٨) ﴿.. وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾.....

۞ وأضــيف لقــول أســتذنا المطعــنى ملفــت آخــر وهــو: قــول الإمــام أ. السعود:... وقرىء بالغُدوة.. ويكفى هذه القراءة تفسيراً لرسمها هكذا.

والسر اللطيف الذى رمزت اليه هذه الزيادة هو التنويه ولفت الأذهان إلى فخامة ما تدل عليه كلمة "الغدوة" فالغدو والغدوة هى مبدأ الحركة والانطلاق نحو الخير العاجل والآجل .وقد قوبلت بالعشى ، وعشية الشئ نهايته كما قوبل الغدو ب"الأصال" فى سورة "النور" فى قوله تعالى: فى سورة النور (٣٦) ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾. فالغدوة والغدو هما بداية حركة الحياة من أجل ذلك فخمت "الغداوة" بزيادة "الواو" ومما زاد فى فخامة معناها وقوع ذكر الله فيها فى الآيتين الكريمتين.

۞ **ونقــول الأولى لأنها قرئت (الغدوة) وهذا وجه مناسب وهام جداً يحترمه الرسم العثمانى– كما سنرى إن شاء الله–.**

كَمِشۡكَوٰةٍ

هذه الكلمة من فرائد القرآن لم تذكر فيه إلا مرة واحدة فى قوله تعالى: فى سورة النور: (٣٥) ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٍ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾ هذه الآية تمثــيل لعظمــة هداية الله لأهل السموات والأرض وهداية الله من الأمور الذهنية العقلية وليست كتلة مادية. ونور الله مستعار لهدايته ووحيه إلى رسله ، وكلمات الآية وتراكيبها كلها مشرقة مضيئة.." الله نور– مثل نوره– فيها مصباح– المصباح فى زجاجة– كوكب درى– توقد– مباركة– يكاد زيتها يضئ– ولو لم تمسسه نار– نور على نور– يهدى الله لنوره . من أجل هذه المعانى الفخمة العظيمة زيدت الواو فى "مشكواة" تفخيما لشأنها ، وتلميحا إلى كمالها فى الإضاءة وطاقة الضوء الهائلة المرئية فيها، والمشكاوة هى الكوة غير النافذة فى الجدار حتى لا يتبدد ضوؤها أو يناله شئ ما– من الضعف.

۞ وأقول: ((يكفى - تفخيماً- أن نقول أنه مثلٌ ضرب لنور الله)).

ٱلنَّجَوٰةِ:

وهذه من فرائد القرآن كذلك وإن كانت مادتها لها ورود فيه لكن لا على هذه الصيغة الأسمية المعرفة باللام . وكان ورودها فى قوله تعالى: سورة غافر (٤١). ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾وزيادة "الواو" فيها بين الألف والتاء رمز كذلك إلى تفخيمها وتعظيمها لأنها نهاية درجات الفلاح والفوز فى الحياتين: الدنيا والأخرة ، وهى متضمنه معنى "الجنة" بدليل مقابلتها بـ"النار" .

وإذا سأل سائل: إذا كان المراد من النجاة الجنة فلماذا عدل البيان القرآنى عن الجنة إلى النجاة؟ والجواب: ان معنى النجاة أعم من معنى الجنة؛ فالنجاة تشمل الفلاح فى الدنيا والفوز بالنعيم المقيم فى الأخرة ، أما "الجنة" فمعناها مقصورا على نعيم الأخرة.

وفى الغداة والنجاة سر آخر تدل عليه زيادة الواو فيهما (وهو الإلماح إلى الأصل اللغوى فى جذر كل منهما) فالغداوة: من غدا يغدو. والنجاة: من نجا ينجو. فالواو فيهما هى لام الفعل كغزا يغزو ونما ينمو ودعا يدعو.

وَمَنَوٰةَ:

وهذه كسابقتيها من فرائد القرآن وقد وردت فى قوله تعالى فى سورة النجم ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ وهى من اصنام العرب فى الجاهلية وقد زيدت فيها "الواو" بين الألف **والتاء لا لتعظيمها وتفخيمها بل لتهويل شأنها وتفظيعه وقبحه** لأنها قاعدة الضلال لأن عبدة الأصنام من العرب كانوا يعظمونها بنوع خاص من التعظيم .يذبحون عندها النسائك تقربا اليها ويرفعون اليها حوائجهم ويتباركون بها ويسألون إنزال الغيث من السحاب. ولذلك أفردها الله بوصف الذم والتهكم عليها "الأخرى" ردا على تعظيم المشركين لها ورجائهم الخير منها.

وهكذا يتضح لنا بكل جلاء: أن زيادة "الواو" فى الرسم العثمانى فى بعض الكلمات إنما كانت رموزا لمعان لطيفه واسرار شريفه سواء كان ذلك فى حذف "الواو" أو فى زيادتها. أو فى غير الواو كالألف والياء كما سيأتى. ونرجو أن يكون فى هذا مقنع لمن ينادون بكتابة المصحف وفق الرسم الإملائى الحديث.

زيادة الواو فى أواخر الأسماء

سبق الحديث عن زيادة "الواو" فى أواسط الأسماء فى الحلقتين الخامسة والسادسة وبقى الحديث عن زيادتها فى بعض الكلمات فى أواخر الأسماء و لم ترد هذه "الواو" مزيدة فى أواخر الأسماء إلا بضابطين مطردين:

أحدهما: أن يكون الاسم المزيدة فيه مرفوعا لا منصوبا ولا مجرورا.

والـــثانى: ان الاسم مقطوعا عن الإضافة إلى الضمائر وهذه الزيادة- كما عهدنا- تأتى مـــرموزا بهـــا إلى معنى لطيف ؛ فهى من حيث الرسم الخطى تعتبر زائدة ، أما من حيث المعنى فتأتى متمكنة أصلية.

وفيما يلى أمثلة من لغة القرآن توضح كل ذلك وتجليه:سورة الشعراء: (١٩٧) ﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ﴾وســورة فاطر:(٢٨)﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ وسورة ص:(٢١) ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ وسورة التغابن: (٥)﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وسورة المائدة: (٢٩﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَـٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَـٰٓؤُاْ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ وسورة غافر: الآيتان ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَـٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ ﴾

من ذلك قوله تعالى: فى سورة الشعراء: (١٩٧) ﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ﴾. والمراد من علماء بنى إسرائيل هم الذين آمنوا منهم بعد الهجرة: كعــبد الله بن سلام لما عرفوه من الحق فيما أنزله الله اليهم وهذا ثناء من الله عليهم لأنهم جهــروا بالحــق لمبعوثى قريش اليهم .وزيادة "الواو" فى "علماؤا" والأصل: علماء بهمزة مضمومة لكن زيدت "الواو" رامزة إلى معنى لطيف **هو تفخيم وتشريف وتكريم هؤلاء العلماء** لأنهم اعلنوا الحق الذى علموه و لم يكتموه كما فعل الآخرون من احبارهم.

وكذلك قوله تعالى: فى سورة فاطر: آية ٢٨. زيدت "الواو" فى كلمة "العلماؤا" كما زيدت فى "علماؤا بنى إسرائيل" وسبب الزيادة فى الموضعين واحد هو التعظيم والتفخيم والتكريم ، وقد عرفنا جهة التفخيم فى "علماؤا" أما جهة التفخيم فى "العلماؤا" هنا فهى أن الله عز وجل حصر خشيته فيهم وقصرها عليهم قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا- وخشية- شرف عظيم لمن يتصف بها وفضل ليس فوقه فضل.

فإن قال قائل: إن التعظيم والتفخيم فى الموضعين مستفاد من المقام وقرائن الأحوال وليس من زيادة "الواو" قلنا إن فى زيادة "الواو" لفتا قويا للأذهان إلى هذا المعنى **لأن الشئ إذا جاء على خلاف الأصل كان باعثا على التأمل والبحث عن السر وراء هذه المخالفة أو الخصوصية فهى مثل النبر فى الكلام.**

۞ (**وأقول : هذه قاعدة مهمة جداً – سنلفت النظر إليها كثيراً – وأرجوا من** القارىء والباحث أن لا ينساها فى مشوارنا مع الإعجاز فى رسم المصحف)، وأقول أن هناك ملحظاً نحوياً هاماً فى كتابة الكلمة بالواو الزائدة (التى لاتفيد إلا الرفع فقط) وذلك للتأكيد على قراءة الرفع (وخاصة أنه لم يكن هناك فى حينها رسم للضمة التى تؤكد على الرفع ، وفى هذه الحالة يمكن -عن طريق الخطأ – لمن لم يحفظ الآيات سماعاً- أن يقرأها بالنصب .. وهنا يكون مكمن الخطورة)

وهذا الرأى اشار إليه بعض العلماء، وتكون الكتابة بهذه الواو الزائدة قد قطعت الطريق على قراءة النصب التى قد تختلط فى الأذهان نتيجة تأخير كلمة العلماء فى وضعها فى الجملة مما يعطى شبهة إعرابها على أنها مفعول به منصوب .. ويكون معناها – عن طريق القراءة بالنصب أن الله هو الذى يخشى العلماء..)

۞ **تعليق آخر من الكاتب**:ونقول أن هذا الرسم بهذه الصورة المخالفة يرد على سؤال آخر ربما يثار فى الأذهان وهو: أنكم تقولون فى قرآنكم :﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾. ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ونحن فى الواقع العملى المشاهد أمام أعيننا نجد أن العلماء (الأوربيين وغيرهم) لايخشون الله.. وأيضاً لايعلمون صدق القرآن ولايؤمنون به ؟..

فيكون الرد على هذا هو: الرجوع إلى رسم كلمة (علماؤا) هذه – بهذه الصورة – التى ترسم من هم العلماء المقصودون.. فهم علماء (ثقال) – علماء (دنيا وآخرة) – مثل ابن سلام وغيره الذين ارتفعوا عن شهوات الدنيا – وليسوا هم علماء الدنيا فقط

المألوفين لدينا – والتى تكتب صفتهم بالصورة المألوفة لدينا (علماء) - ولأجل هذا المعنى كان هذا الرسم العثمانى على هذه الصورة

ونعود لنكمل المشوار:

ومن ذلك كلمة "نبؤا" واصلها أن تكتب فى الرسم الإملائى الحديث هكذا "نبأ" بهمزة مضمومة فوق الألف ، لكنها جاءت فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف واوا فوقها همزة ، وذلك فى موضعين من القرآن فى سورة واحدة: أولهما قوله تعالى: فى سورة ص: (٢١).﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ زيدت "الواو" فى هذا الموضع للدلالة على تهويل الحدث المدلول عليه بكلمة "نبؤا" لما فيه من غرابة بادية من قوله عز وجل: (إذا تسوروا المحراب) لأن الدخول المعهود يكون من الأبواب مع حصول الإذن من المدخول عليه وهو هنا داود عليه السلام، والخصم موضوع الحديث فى هذه الآيات دخل على داود من جهة غير معهودة ؛ وهذه إحدى جهات التهويل.

وجهة أخرى بادية من قوله عز وجل مخبرا عن داود: (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) والفزع لا يكون إلا من الأحداث الفادحة وبخاصة إذا اقترنت بعنصر المفاجأة وهو الوثوب من فوق المحراب. إنها عملية مفزعة حقا حملت نبيا كريما على الانزعاج والاضطراب، لهذا استحق هذا النبأ حين قصه الله على رسوله محمد (ﷺ) أن يصور فى صياغة فخمة تناسبه ، وأن يكون لنظر القارئ وبصره من هذا "الرسم الخطى" ما لبصيرته من الاستدهاش والاستغراب، وان يكون ما يثير البصر لدى الناظر فى كتاب الله مقدما على ما يثير البصيرة.

فالذى يخاطب البصر هو زيادة "الواو" فى "نبؤا" ، والذى يثير البصيرة هو جملة "تسوروا المحراب" ، فليست زيادة "الواو" هنا مقحمة بلا معنى وليست هى ناتجة عن اختلاف وجهات نظر كتبة الوحى فى رسم بعض الكلمات كما يحلو للبعض أن يفهم وأن يقول بل هى زيادة فى الرسم دون المعنى مقصودة قصدا ووراءها معنى تسجد لإعجازه العقول.

۞ ((**وأقول ربما جاء تفخيم هذا النبأ لخطورته من جهة أخرى** ، وهى جهة الإفك العظيم الذى خاضوه فى عرض سيدنا داود باستخدام هذا النبأ وتحويله لهذا الغرض البشع والدنىء حينما نسبوا لداود أنه زنا بامرأة أوريا- الجندى لديه- وأن الرب عمل هذه التمثيلية توبيخاً له، وأن النعجة – فى هذا المثال- هى إمرأة أوريا التى زنا بها – وأرى أن

هذا الإفك العظيم فى هذه الواقعة يناسبه (زيادة الواو) للفت الانتباه على عظم هذا الجرم ..كأنه يقول: كبرت كلمة تخرج من أفواههم— على مثال ما قلناه فى تفخيم كلمة (منوة) وأنه ليس تفخيماً للصنم مناة ولكنه تبشيعاً لهذا الحدث.. فالتفخيم أو التهويل يكون فى الخير وفى الشر أيضاً)) ونفس هذا الموقف سنقوله فى حادثة الإفك على عائشة عليها رضوان الله حيث قال الله عن هذا الإفك ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾. وقد اشترك الرسم أيضاً فى رسم بشاعة هذا الإفك بوضع الألف فى فوله(بأفواهكم) رغم أنها كتبت فى جميع القرآن بدون ألف لهذه الخصوصية.

أما الموضوع الثانى فهو قوله تعالى: فى سورة ص: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾الخطاب فى "قل" للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ومما تجدر الإشارة إليه أن فعل الأمر "قل" فى القرآن الكريم فى صيغة المخاطب المفرد المذكر هو خاص برسولنا الكريم ماعدا موضعا واحدا هو قوله تعالى: فى سورة الإسراء: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾.(٢٣) فهو خطاب لغيره قطعا لأن والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا حيين حين نزل القرآن.

وكل موضع خوطب فيه صلى الله عليه وسلم بفعل الأمر هذا "قل" مؤذن بأن مضمون الخطاب حقيقة عظيمة .ورسالة جليلة الشأن يجب تبليغها إلى من عُنى بها فورا وبلا تراجع.

وفى الآية موضوع الحديث هنا (قل هو نبؤا عظيم) زيدت "الواو" فى "نبؤا" للدلالة على مضاعفة مقتضيات التعظيم والتفخيم لهذا النبأ

ومن حيث التراكيب التى ورد فيها "نبؤا عظيم" نجد البيان القرآنى أخرجه فى هالة من مقتضيات الفخامة والعظمة وهى كما يأتى:

أ- اشتقاقه من مادة (ن-ب-أ) دون مادة (خ-ب-ر) لأن المادة الأولى تستعمل فى الأمور المهمة الجليلة الشأن أما المادة الثانية فلا يشترط فيها ذلك. لذلك قال: "نبؤا" و لم يقل: خبر. "لأن النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال

للخبر فى الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحق الخبر الذى يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالمتواتر وخبر الله ورسوله"..... لذلك قال: "نبؤا" و لم يقل: خبر.

ب- الإتيان به فى صورة النكرة "نبؤا" ومن معانى التنكير فى البلاغة: التعظيم **ويستفاد هذا المعنى من المقام المسوق فيه الكلام** أو مايسمى- **بلاغة قرائن الأحوال**- وهى -هنا- تدل على التعظيم.

جـ- وصف هذا النبأ- هنا- بـ"عظيم" يعنى: جليل الشأن رفيع القدر.

د- زيادة "الواو" فجئ به هكذا "نبؤا" و لم يأت نبأ.

وإنما تضامت مقتضيات التفخيم والتعظيم وتآزرت فى هذا الموضع لأن هذا النبأ حاز من عناصر الفخامة والعظمة ما لم يحزه نبأ سواه ؛ ذلك لأنه إعلام من الله علام الغيوب بوقائع غيبية ليس لأحد من البشر علم بها إلا عن طريق الوحى الصادق.

وهذا ما تصوره الآيات الآتية: من سورة ص: الآيات﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فمن الذى كان حاضرا من البشر - وهم كانوا لم يخلقوا بعد - هذه الوقائع فى الملأ الأعلى (الملائكة) لما حدثت؟ ومن منهم سمع كلام الله يوم صدوره للملائكة؟ ومن منهم - أى الملائكة- ساجدين امتثالا لأمر الله؟ لم يشهد احد ذلك. لهذا كان إعلام الله رسوله بما حدث نبؤا عظيما حقا ولا يرتاب فى هذا إلا حائد عن الحق.

وكذلك قوله عز وجل : فى سورة الأنعام: (٥) ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

زيدت "الواو" فى كلمة "أنباؤا" فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف وكان الأصل أن ترسم هكذا: أنباء بهمزة مضمومة ، وقد اجتلبت هذه الزيادة **لإفادة التهويل والتفظيع ومقتضى هذا التهويل هو المبالغة فى التهديد والتخويف** لأن الكلام مسوق فى الحديث عن الذين كفروا وأعرضوا عن الحق الذى جاءهم به محمد رسول الله (ﷺ) **فقد وصفهم** القرآن فى بدايات سورة (الأنعام) بأنهم يساوون بين الله وبين شركائهم **وأنهم ممترون** شاكون فى صدق الرسالة والرسول. ثم قال: فى سورة الأنعام: (٤) ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ

مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ثم جاء قوله تعالى: (٥)﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾تهديدا ووعيدا لهم إذا لم يرعووا عن غيهم وضلالهم ، ومعلوم أن التهديد بالمصير الفظيع أبلغ فى التأثير من الوعيد اليسير.

من أجل هذا زيدت "الواو" فى "أنباؤا" وجاءت هذه الزيادة لافتة الأذهان لفتا قويـــا إلى فظاعة وهول ما تتضمنه هذه الأنباؤا من معان وأحداث يوم يجعل الولدان شيبا. وسدت هذه الزيادة مسد أن يقال: الأنباء الفظيعة آثارها المهولة أحداثها.

ومثل آية الأنعام قوله تعالى فى سورة الشعراء (٦)﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ((وأقول:لاحظ جرس كلمة سيأتيهم ، وسوف يأتيهم)) والحديث فيها عن مشركى العرب وقد أشارت الآية الخامسة من سورة الشعراء إلى المعنى الذى تصدرت به آية الأنعام (٥)﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ حيث أجملت آية الأنعام موقف المشركين فى آية واحدة وأفردته سورة الشعراء فى آيـــتين والمقـــام فى السورتين واحد تكذيب وإعراض. لذلك زيدت "الواو" فى كلمة "أنباؤا" فى الـــسورتين تعظيما وتهويلا لسوء مصيرهم فما تحمله تلك الأنباء من وعيد شديد مؤ لم..

وكذلك قول الحق عز وجل: فى سورة التغـــابن:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦)﴾ هذه الآية جمعت بين تـــوبيخ مناهضى الدعوة من العرب وبين تهديدهم ووعيدهم وإن ينتقم الله منهم كما انتقم مـــن مكذبى الرسل قبلهم كعاد وثمود وهم عرب مثلهم دمرهم الله فلا يُرى منهم من باقية.

وجاءت زيادة "الواو" فى "نبؤا" مشيرة إلى فظاعة المصير الذى كان لعاد وثمود وأمثـــالهم وأنه هو المصير نفسه الذى كان ينتظر هؤلاء إذا لم يبادروا إلى الإيمان بالحق الذى جاء به خاتم النبيين (ﷺ).

نبأ نبؤ – أنباؤ

وهنا لابد لنا من تعقيب على حديث د: مطعنى حيث أنه لم يسهب فى عرض الآيات التى تناولت كلمة (النبأ) والتى سيتجلى لنا من خلال عرضنا الآتى بعض الملامح الخاصة لرسم الكلمة،، وهاهو البيان :

النجم (٣٦)﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ... أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وهذا هو النبأ التشريعى عن الأمم السابقة على لسان أنبيائها؛ فهو حديث هادىء النبرة، بخلاف السياق العاصف فى الآيات التالية:﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ كَلَّا لَا وَزَرَ... يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ القيامة

و ربما يسأل القارىء: لماذا لم تزد الواو فى الآية الأولى"النجم"؟

ويتجلى حقيقة الأمر بملاحظة وجود أداة الجزم (لم) التى تسبق النبأ فى الآية الأولى ، والتى لايصلح معها وضع الواو فى آخر الكلمة، إضافة إلى أن الحديث عن حكم تشريعى سابق فيه هدوء النبرة..

أما الآية الثانية "القيامة "فهى حديث عن حال هذا الإنسان فى الآخرة وما يحمله من ثقل ما قَدَّمَ وَأَخَّرَ)ففيها علو النبرة وارتفاعها ، وفيها ثقل الكلمة المتناسب مع ثقل ما يحمله هذا الإنسان يوم القيامة،إضافة إلى الجو العاصف فى هذه الآيات:((فإذا برق البصر و... يقول الإنسان .. كلا لاوزر ..) فهو نبؤا عظيم ، بل هو من أعظم الأنباء على الإطلاق حيث أنه يحكى المصير العاصف لهذا الإنسان الذى هو أنا وأنت.

(١) ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾هذا نبأ عادى وسرد عادى لقصة ماضية بخلاف النبأ فى الآية السابقة:

(٢) (٦٧) الأنعام﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾كلام خبرى عادى

(٣) الأعراف (١٧٥)﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾كلام خبرى عادى

(٤) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يونس (٧١)﴾كلام خبرى عادى

(٥) ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١)﴾كلام خبرى عادى

(٦) ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣)﴾

فى كل هذه الآيات كلام خبرى عادى..

لاحظ: ورود قوله تعالى (أتل) والذى يعنى تلاوة أحداث فقط.. والحديث بلفظ الغائب عنهم.. وشدة وطول المقاومة والكفر

ثم نأتى للمقارنة التوضيحية فى بعض الآيات لنقف على بعض الحقائق:

(١) (٣٤)الأنعام ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

.وواضح هنا لهجة الخطاب للرسول محمد (ﷺ) التوكيدية بكل أساليب التوكيد (لقد ..فصبروا .. وأوذوا .. ولا مبدل لكلمات الله.. ولقد .. نبأىء (كأنه يقسم له لتطمينه وللتأكيد له ، فأتى بكل هذه المعانى فى رسم الكلمة (نبإى))

(٢) (٧٠)التوبة ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.. لاحظ هنا:

١) عدم المواجهة – أى الخطاب عنهم بلفظ الغائب- (ألم يأتهم) – ولم يقل ألم يأتكم – مما يخفف حدة الحديث ونبرة الصوت وبالتالى رسم الكلمة.

٢) إضافة إلى أنه ليس فى هذا النص هذا الكم من التوكيدات الذى كان فى آية الأنعام

٣) فى هذه الآية قال تعالى : **فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ...حديث هادىء وتصوير للحدث دون تهديد أو علو نبرة من القوم الكافرين لرسلهم أو رد الله عليهم...أى ليس **بصورة التعنيف واللهجة الشديدة – من الجانبين**- كما فى الآية القادمة فى سورة (ابرهيم):حيث يقول: **فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**):

(٣) ابـرهيم (٩)﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ

مُرِيبٍ ﴾ .. قالت رسلهم .. وفى هذه الآيات أيضاً عنصر المواجهة والتعنيف مثل:
(ألم يأتكم).. بخلاف قوله (ألم يأهم).

(٤) ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.ص. **هنا النبأ عن الملأ الأعلى وهم يختصمون** وعن تخاصم أهل النار

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ﴾ التغابن. الخطاب هنا للمؤمنين ، ويخاطبهم عن القوم الكافرين ، وليس خطاب تعنيف للمؤمنين ، بل هو خطاب هادىء النبرة.

(٥) ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١)﴾ فهنا الحديث عن هذه الأنباء الكاذبة الخطيرة فى عرض الأنبياء. والمثال الآتى يتحدث عن الحديث الخطير عن الملأ الأعلى ومافيه من الأحداث الصادقة

ولكن تأتى الآية التالية (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) .. وهنا رغم ورود كلمة "النبأ" موصوفة ب"العظيم" ولكنها كتبت على الصورة العادية والتى ربما يتساءل القارىء : لماذا إذن لم تضف الواو فى كلمة النبأ — وهذا حقها بهذا الوصف-؟

ولكننا نبادر ونقول : أن قائل هذا التساؤل هم الكفار على سبيل الاستهزاء هذا النبأ الذى يخبرهم به محمد (ﷺ) **فهم لابعظمون هذا النبأ ولكنهم يحقرونه ... ولذلك يقول** العلماء ومنهم الزمخشرى وغيره: **{ يَتَسَآءَلُونَ } .. والضمير لأهل مكة : كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء { عَنِ النبإ العظيم (٢) } . { هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ } ؟ قلت : كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث ، ومنهم من يشك . وقيل : الضمير للمسلمين والكافرين جميعاً ، وكانوا جميعاً يسألون عنه . أما المسلم فليزداد (خشية) واستعداداً وأما الكافر فليزداد (استهزاء) . وقيل : المتساءل عنه القرآن . وقيل : نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم.**

(٦) ﴿إن جاءكم فاسق﴾ بنبأ (نبأ عادى ليس فيه تفخيم)

(٧) ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين..﴾ .. كل هذه الأمثلة الأخيرة عبارة عن حديث خبرى عادى اللهجة والأحداث

أنباؤا

(١) (٤٤)آل عمران﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ ﴾

(٢) (٤٩)هود﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ ﴾

(٣) (١٠٠)هود﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ﴾

(٤) (١٢٠)هود﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾

(٥) ..(١٠٢)يوسف﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ ﴾

(٦) (٩٩)طه﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ ﴾

(٧) القصص﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾

(٨) (٤)القمر﴿ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾

(٩) ***﴿*وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾ االأنعام.– هنـــانبرة التهديد العالية بدليل باقى الآيـــات–: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ(٦) ﴾ الأنعام

(١٠) **** (٦)الشعراء﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

هنا – فى الآيتين الأخيرتين – نلاحظ زيادة التوكيد أو التهديد مــن الله (ســيأتيهم ، سوف يأتيهم) يناسبه زيادة الواو.. أما باقى الآيات فهى سرد خبرى لأحداث وأنباء حدثت فى الماضى للأمم السابقة للعظة والعبرة

"جزاء"....جزاؤا

وكلمة "جزاء" مرفوعة ومقطوعة عن الإضافة إلى الضمائر وردت فى القــرآن الكريم مرات وتفاوت رسمها الخطى فيه بين مجيئها بالهمزة المضمومة هكذا "جزاء" وبــين مجيئها مزيدة بالواو هكذا "جزاؤا" . والأول هو الأكثر .

ومحال- كما علمنا- أن يكون هذا التفاوت الخطى خاليا من الدلالة وإنما يأتى الرسم الخطى بالهمزة المضمومة إذا لم يقتضى المقام تفخيما ولا تهويلا. ويأتى بالواو المزيدة فى الرسم إذا كان المقام يقتضى تفخيما أو تهويلا وتفظيعا. وهذا يظهر بكل وضوح من المقام نفسه الذى تأتى فيه كلمة "جزاء" غير مزيدة بالواو أو "جزاؤا" مزيدة بالواو.

ونسوق لتوضيح ذلك شاهدين من سورة واحدة وهما: سورة المائدة: (٢٩)﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.. جاءت كلمة "جزاؤا" مزيدة بـ"الواو" رمزا إلى أن هذا الجزاء فظيع شديد الإيلام وهو الخلود فى النار، وقدم البيان القرآنى إلى هذا التهويل والتفظيع بالنص على تحمل الجانى بجريمتين لا جريمة واحدة.

الأولى: تحمله جريمة قتل أخيه المسالم الوديع. والثانية: تحمله جريمة نفسه.

فالمقام- كما ترى- اقتضى تفظيع الجزاء وتهويله ولولا هذا الاعتبار ما زيدت "الواو" فى آخر الفعل.

۞ (ونزيد أيضاً توضيحاً لذلك هو: أن جريمة القتل هنا ليست كجرائم القتل العادية التى ورد عليها التشديد بالعقوبة ، بل إنها تحمل أبشع أنواع التهويل والتفظيع التى استدعت الكتابة على هذه الصورة.. وذلك للآتى:

(١) أن القاتل ابن نبى (وهذا يضاعف له العقاب كما يضاعف له الثواب — كنساء النبى-)

(٢) أن هذا القاتل قد قتل أخيه

(٣) أنه أول من سن سنة القتل . وكما يقول الحبيب محمد ص) أن كل قاتل من ولد ابن آدم — إلى أن تقوم الساعة- يكون لابن آدم الأول (القاتل) كفل من ذنوب هؤلاء القتلة))

هذا هو الموضع الأول أما الثانى فهو قوله تعالى: فى سورة المائدة:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣). ﴾بولغ فى تفظيع وتهويل الجزاء فى هذه الآية فزيدت فيه "الواو" لأن المقام يقتضى هذا التفظيع لقبح الجرائم المرتكبة وهى:

۞ محاربة الله عز وجل أى معصيته وانتهاك أوامره ونواهيه.

۞ السعى فى الأرض فسادا

۞ محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله عز وجل.

۞ السعى فى الأرض بالفساد وهى جملة جامعة لكل معصية فى حق الله وحق العباد.

- قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.- انتهاك الأعراض.- اغتصاب الأموال أو سرقتها.- ترويع أمن المجتمع والأفراد.- قطع الطريق وتخويف الآمنين.

ولفظاعة هذه الجرائم كان الجزاء فظيعا:

- التقتيل فحسب.- التصليب مع التقتيل.- تقطيع الأيدى والأرجل.

- الحبس أو التغريب.((ونلاحظ قوله تعالى (لهم خزى فى الدنيا).. حيث قدم كلمة (خزى) فى هذا السياق .. بخلاف قوله فى آية أخرى (لهم فى الدنيا خزى) حيث أخر كلمة خزى هنا- كما فى الآية التالية- (١١٤)﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾. المائدة

ومعلوم أن تقديم كلمة الخزى فى سياق الحديث عن هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا...وفى سياق ذكر عقوباتهم المذكورة على هذه الصورة، هو الملائم أشد وأتم الملاءمة لذكر هذا العذاب (المعجل لهم) فى الدنيا والذى ذكره النص لهم(خزى فى الدنيا) وليس (فى الدنيا خزى).. وهو لون من ألوان الإعجاز فى هذا الكتاب المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

هذا الخزى لاحق بهم فى الدنيا أما فى الآخرة فلهم عذاب عظيم لهذه الأعتبارات جميعا.

إذن لفظاعة الجرائم وتغليظ العقوبات العاجلة فى الدنيا وسوء المصير فى الآخرة زيدت "الواو" فى "جزاؤا" للدلالة على فداحته وسوء منقلب محاربى الله ورسوله العاثين فى الأرض مفسدين.

أما إذا لم يرد التفظيع والتهويل وكان المقام وقرائن الأحوال دالين على انعدام تلك الإرادة فتأتى كلمة "جزاء" فى الرسم القرآنى خالية من زيادة الواو وفيما يأتى نذكر مثالين توضيحيين:

أولهما قوله سبحانه وتعالى: فى سورة المائـــدة:. (٩٥﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾. لم تزد "الواو" فى كلمة "جزاء" هنا لأن المقام لم يقتض تفظيعا ولا تهويلا، لأن الجزاء المذكور فى الآيـــة هنا هو مجرد غرامة تلزم المعتدى على الصيد وهو محرم فهو- إذن- جزاء دنيوى يسير لا تأثير له على الملزم به فى بدنه ، لذلك خلا "جزاء" من زيادة "الواو" كما ترى.

والمثال الثانى قوله تعالى: فى ســـورة يـــونس: (٢٧﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ .﴾ . المقام- هنا- يدل على مقابلة سيئة بسيئة مثلها فى حال اكتساب السيئة فى الحياة الدنيا. وهذا من رحمة الله بالناس إذ جعل الحسنة بعشر أمثالها وجعل جزاء كل سيئة سيئة مثلها .. ولما خلا المقام من مقتضيات مضاعفة الجـــزاء وتهويله خلا رسم "جزاء" من زيادة "الواو" وهذا دليل تلو دليل على أن "خـــصوصيات" الرسم العثمانى حافلة بدقائق المعانى وروائع اللطائف ولولا تلك "الخصوصيات" ما كانت تلك المعانى والأسرار.

♠ (وهنا أقف بعد هذا العرض الممتع الذى عشناه لأذكر موقفاً دائماً أذكره فى كل لقاء دينى مع إخواننا الأحباب وأسألهم سؤالا طريفاً يستدعى منهم التفكير وفيه عنصر المفاجأة – على عادة الأحاجى والفوازير – وأقول لهم : عندنا آيتان فى القرآن الكريم كتبتا برسمين مختلفين وهى كلمة (جزاء.. وجزاؤا) وسأذكر لكما الآيتين وقولـــوا لى أيهما – فى سياقها – التى كتبت بالواو الزائدة (جزاؤا).. والايتان هما

(١) **آية يونس:** (٢٧﴿ .وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

(٢) **أية الشورى:** ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

فإذا بالأخوة – جميعاً– يشيرون على أية يونس بأنها هى التى تستحق الزيادة (والتفخيم) بالواو ، لأن السياق فيها مهيبٌ وواصف لهم بصفات خطيرة (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . وهذا غير موجود فى آية الشورى..

والحقيقة التى مثلتها رسم الكلمة فى المصحف غير ذلك ، حيث أن آية البشورى هى التى كتب فيها زيادة الواو والتفخيم ..

والباحث والمتأمل لسياق آيات الشورى يجدها تتحدث عن (مظالم العباد)، بدليل قوله (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ ومعلوم أن مظالم العباد من الصعب غفرانها– بل ويستحيل غفرانها – بدون عفو صاحب المظلمة ؛ وهذا يصعب إحضار عفوه يوم القيامة – كما نعلم – وهذا النوع من السيئة هو الديوان الذى لايترك منه شيء(كما قال ابن القيم) وكما يقول الإمام الغزالى: أكثر ما يدخل الموحدين النار هو: مظالم العباد..

وكلنا يعلم خطورة (مظالم العباد) وأنه لايمحوها الإستغفار ولو ملايين المرات بدون استحضار عفو صاحب المظلمة.

وذلك بخلاف المعصية التى بين العبد وربه – كما هو الحال فى آيات سورة يونس – والتى رغم ثقلها إلا أنه من السهل واليسير جداً جداً محوها بمجرد التفوه بكلمة الإستغفار أو حتى قبل النطق بها أوبمجرد النية .. وهذه الحقيقة هى التى استدعت كتابة آية الشورى (مظالم العباد) على هذه الصورة (وجزاؤا).. وهى الآية الثالثة التى كتبت بهذه الزيادة ..

وقد رأينا المتعة الروحية والعقلية التى تضيء من وراء هذا الرسم القرآنى– والتى ربما تخفى على الباحث من أول وهلة – كما سنرى حين الحديث عن كتابة كلمة (جنة) وكيف أنها كتبت فى القرآن كله بالتاء المغلقة إلا فى آية واحدة فى سورة الواقعة (جنت نعيم) كتبت بالتاء المفتوحة .. وكنا نسأل دائماً : لماذا وخاصة أننا جميعاً ونحن فى هذه الدنيا لم نر الجنة بأعيننا؛ ولذلك فهى دائماً – على منهج الرسم القرآنى– تكتب بالتاء

المغلقة.. ولكن بعد طول التأمل فى السياق القرآنى نلاحظ أن هذا الموقف الذى فتحت فيه الجنة (فى رسم الكلمة وفى الحقيقة التى تصورها رسم الكلمة) هو موقف ساعة الإحتضار، وساعتها نتذكر حديث النبى (ﷺ): والله لايخرج أحدكم من الدنيا إلا وقد رأى مقعده من الجنة ومقعده من النار) وهذا يعنى أن المحتضر يرى الجنة أمام عينيه ، وهو الموقف الوحيد فى االدنيا جميعها الذى يحدث فيه هذا .. فكان هذا الإعجاز فى أن رسمت الجنة هنا بالتاء المفتوحة (جنت) .. فأى إعجاز هذا وأى روعة وأى إبهار هذا؟!!

((وبقى لنا توضيح السبب فى حذف الألف الوسطى من كلمة (جزاء) سنتناولها فى الملحقات))

وَمَا دُعَتؤُا....وَمَا دُعَآءُ

ومنه قوله تعالى فى شأن أهل النار وهم يعانون الويل والثبور من عذابها: فى سورة غافر: الآيتان﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ زيدت "الواو" فى قوله تعالى حاكيا قول الملائكة فى كلمة "دعاؤا" والأصل ان تكتب هكذا: دعاء بالهمزة المضمومة. والذى اقتضى هذه الزيادة الدلالة اللطيفة على كثرة دعاء أهل النار وصياحهم الذى لا ينقطع طامعين ان يفرج الله عنهم. وقد صور القرآن دعاء أهل النار فى صورة الصياح والاصطراخ جاء ذلك فى قوله عز وجل: فى سورة فاطر: ﴿ (٣٧)وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾. إن كلمة "يصطرخون"توحى بظلال كثيفة من الجعجعة والصياح والعويل الذى لا يتوقف- بما فى هذه الكلمة "يصطرخون" من جرسٍ مدوٍ وصخبٍ عالٍ... وكانت زيادة "الواو" فى "دعاؤا" هى اللافتة إلى هذه الدقائق والأسرار.

ومما يجلى هذا ويؤكده أن هذه العبارة متضمنة كلمة "دعاء" جاءت فى موضع آخر من القرآن المعجز - بكل مافيه من مفردات وتراكيب ورسم خطى - وليس فى كلمة "دعاء" واو زائدة ، ترى ذلك فى قوله تعالى: فى سورة الرعد (١٤)﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ . إن العبارة هى هى فى السورتين: (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) وليس بين ورودها فى الموضعين أى اختلاف إلا فى زيادة

"الواو" فى آية سورة غافر وترك زيادها فى آية سورة الرعد. وهذا يثير سؤالا مهما: لماذا زيدت "الواو" فى آية غافر و لم تزد فى آية سورة الرعد؟

والجواب الكافى الشافى: زيدت فى غافر لإفادة التهويل لأن الكافرين فيها يـــدعون رهبة ورغبة: رهبة من شدة العذاب الذى (هم فيه) ورغبة فى تخفيف الله عنهم يوما مـــن ذلك العذاب المؤ لم .

أما فى سورة الرعد فالكافرون يدعون أصنامهم رغبة فى حصول النفع وهم حـــين يدعوهم يرفلون فى (نعم الدنيا) وليس لديهم أدنى إحساس بأى عذاب ، فدعاؤهم هادئ فاتر رخو، أما دعاؤا أهل النار فهو دعاء مصبوغ بالآلام ؛ لذلك هُول بزيادة "الواو" فيه.

۞ ((ونلاحظ من أول وهلة أن (دعاء) فى سورة الرعد هو تشبيه ومثل دنيوى هادىء .. وفى غافر هو تصوير لحالهم فى جهنم وهم على أبشع وأهول صورة نفسية وجثمانيـــة .. وصورهم النفسية قد علمناها ، وتبقى لنا الصورة الجسدية التى صورها لنا الرسول (ﷺ) من أن الكافر – يوم القيامة– مقعده مابين مكة والمدينة ؛ أى أن المقعدة الـــتى تـــساوى نصف متر فى الدنيا ستصبح يوم القيامة حجمها(خمسمائة كيلو متر)، فكيـــف تكـــون صورته الجسدية ؟.. وهذه الصورة هى التى صورها الرسم القـــرآنى بقولـــه : يقـــول ((الضعفـــؤا)) على هذه الصورة من التفخيم الذى شرحناه ..

وأيضاً سيكون صوت حناجرهم – وهم يصطرخون فيها – وهم على هذه الهيئـــة الجسمانية لايلائمه ولا يصوره – بالصورة الحقيقية– الا الرسم القـــرآنى المعجـــز(ومـــا دعـــؤا) الكافرين (الضعفـــؤا).

وأمامنا مثل آخر **يؤكد إلى درجة اليقين أن خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف إنما هى أدوات تعبير صامتة ناطقة تدل على معان مقصودة قصدا** وليس هـــى من اختلافات كتبة الوحى فى رسم الكلمات حتى تأتى كلمة أو كلمـــات فيـــه برســـم وأخرى مماثلة للأولى برسم آخر جارية على وجهات النظر المختلفة لكتبة الوحى.

هذه النظرية ينبغى أن تزول من الأذهان، وعلاوة على ماتقدم نسوق أمثلة أخرى مـــن الكلمات التى لم تأت مخالفة للرسم الإملائى الحديث فحسب، بل جاء رسمها فى المصحف على صورتين مختلفتين وهذا هو البيان:

"بلاء"... ٱلْبَلَٰٓؤُا

وردت فى القرآن مرسومة كما ترسم فى الخط الإملائى الحديث هكذا "بلاء" بهمزة مضمومة بعد الألف وهذا هو الأكثر فى لغة القرآن ومنه الآيات الآتية:

سورة البقـــرة: (٤٩)﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

وسورة الأعـــراف: (١٤١)﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

وسورة إبراهيم: (٦)﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

كلمة "بلاء" فى المواضع الثلاثة كما ترسم فى الخط الإملائى ويلاحـــظ أن قولـــه تعالى: (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فى الآيات الثلاث جاء تعقيبا على أحداث واحدة هى صور اضطهاد آل فرعون لبنى إسرائيل فى مصر.

ثم انظر إلى قوله تعالى: فى سورة الصافات: (١٠٦)﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾

فقد رسمت فيه كلمة "البلاؤا" مزيدة بـــ"الواو" المضمومة تحت الهمزة وهذا يتولد عنـــه سؤال لحوح: لماذا زيدت "الواو" فى آية إبراهيم عليه السلام و لم تزد من قبل فى آيـــات: البقرة والأعراف وآية إبراهيم رقم(٦)؟ هل هذا يرجع إلى اختلاف وجهات نظر كتبـــة الوحى فى رسم الكلمات فيكون الذى كتب آية إبراهيم والأعراف والبقرة غـــير الـــذى كتب آية الصافات رقم (١٠٦)؟

وهل هذا الاختلاف فى الرسم خال من الدلالة؟!.

والجواب: كلا ثم ألف كلا. وإنما زيدت "الواو" فى كلمة "البلاؤا" فى آية الصافات لأنه أشد وقعا بكثير من البلاء فى الآيات الثلاث؛ فالبلاء فى الآيات كان حاصلا بالفظائع التى ارتكبها آل فرعون مع بنى إسرائيل من سومهم سوء العـــذاب وتـــذبيح ذكـــورهم واستحياء إناثهم إنه بلاء عظيم حقا.

أما البلاء فى آية الصافات(١٠٦) فهو أعظم وأشق من البلاء الذى كان واقعا على بنى إسرائيل من آل فرعون ؛ لأن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه الوحيد الذى رزقه الله إياه بعد شوق طويل وهذا تكليف شاق لا عهد للناس به ، وإبراهيم عليه السلام لم يكن قاسى القلب جاف المشاعر حتى يسهل عليه سفك الدماء بل هو- كما وصفه ربه- فى سورة هود (٧٥)﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ فكيف لرجل هذا وصفه يجرؤ ويمسك المدية ويضجع فلذة كبده ويحز رقبته؟

لذلك كان "البلاء" الذى حمله الله إياه أعظم وأثقل عشرات المرات من البلاء الذى رزح تحته بنو إسرائيل فى مصر.

۞ ((ونزيد أيضاً أن بلاء بنى إسرائيل كان قتل فرعون (أى السلطة الحاكمة) لأولاد الناس (جميعاً) فكانت المصيبة عامة ، ومن السلطة، مما يهون العذاب والابتلاء فى ذلك ويسهله على القلوب،

لذلك زيدت "الواو" في بلاء إبراهيم و لم تزد فى بلاء بنى إسرائيل ، على أن "بلاؤا" إبراهيم أشد ألما وأقسى وقعا على النفس.

كلاهما اختبار عظيم لكن اختبار الله لإبراهيم بذبح وليده الحبيب أعظم من تذبيح فرعون أبناء بنى إسرائيل. وإلى هذا رمزت زيادة "الواو" فى كلمة "البلاؤا" فى كتاب الله المعجز بكل شئ فيه.

ومثل آية الصافات قوله جل ثناؤه: فى سورة الدخان: (٣٣﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾

الحديث فى هذه الآية عن بنى إسرائيل وفى إجمال حكيم لكل ما ابتلى الله به بنى إسرائيل فى التاريخ النبوى كله وفى كل مراحل حياهم ومواطنهم التى حلوا بها .

ولما كانت كلمة "بلاؤا" فى الآية تشمل كل الأحداث التى مر بها بنو إسرائيل من وقت خروجهم من مصر حتى وقت الرسالة الخاتمة فخّم رسمها فزيدت فيها "الواو" رامزة إلى تلك الوقائع العظيمة مثل:

۞ ابتلاع عصى موسى ألاعيب سحرة فرعون. ۞ انفلاق البحر أمامهم اثنا عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم. ۞ انفجارالماء من الحجر اثنتا عشرة عينا. ۞ إنزال المن والسلوى من السماء لهم. ۞ ارتفاع الجبل (طور سيناء) فوقهم كأنه ظله.

۞ انجاؤهم من آل فرعون. تجلى الله للجبل أمام رسولهم موسى عليه السلام.

❁ إغراق فرعون ومثله فى البحر.
من أجل هذا زيدت "الواو" فى "بلاؤا" و لم تزد اعتباطا خاليا من المعنى و لم تزد لأن كتبة الوحى كانت لهم طرائق فى رسم بعض الكلمات يخالف بعضها بعضا..
❁ ((**ونقول هنا زيادة فى التوضيح:** أن هذا البلاء هنا هو أنواع متعددة وليس بلاءً واحداً.. فهو: بلاء بالنعم الكثيرة وأكل المن والسلوى و..و.. .. وبلاء بالمحن والتقتيل والاستحياء.. وبلاء بالآيات والمعجزات التى جاءهم على يد نبيهم موسى .. وبلاء التمكين لهم فى الأرض وتفضيلهم على العالمين ، وأن جعل الله منهم أنبياء وملوكاً وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين — وليس نجاهم فقط-.))
هذا وبقيت بعض كلمات أخرى زيدت فيها "الواو" فى رسم المصحف الشريف فى مواضع و لم تزد فى أخرى مثل الملأ- شركاء
شفعاء- الملؤا- شركاؤا- شفعاؤا.
نكتفى بمجرد هذه الإشارة إليها خشية الإطالة ولن يعجز القارئ عن توجيه الزيادة فيها بعد الذى أوضحناه ونرجو أن يكون فيه بلاغ لقوم يعملون.
❁ - يلاحظ القارئ أن الفعل "تبوأ" — فى قوله تعالى﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩)﴾ المائدة قد زيدت فيه ألف بعد الواو - "تبوأ" -ووضعت الهمزة عليه وكان الأصل أن يكتب هكذا "تبوء" ، وقد نص أهل العلم أن زيادة الألف فيه للدلالة على كثافة الإثم الذى ارتكبه ابن آدم قاتل أخيه وسيأتى هذا فى مباحث حذف الألف وزيادتها فى "خصوصيات" الرسم القرآنى.
❁ وهنا نقف لنضيف ونفصّل القول:

شركاء ....شُرَكَٰٓؤُاْ

(١) ﴿ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ ﴾ (١٢ النساء)

(شركاء فى توزيع الميراث)
﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ.. (١٠٠)﴾ الأنعام ..**شركاء بدون مبالغة فى حجمهم أوتصويرهم.. وإضافة لذلك فالكلمة فى موضع نصب لايصلح وضع الواو فيها**
(٣) ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ (١٣٩)﴾

(٤) ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ (١٩٠) ﴾ الأعراف

(٥) ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ (٦٦) ﴾ يونس

(٦) ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ١٦ ﴾ الرعد

(٧) ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ (٣٣) ﴾ الرعد

(٨) ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ٢٨ ﴾ الروم

(٩) ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ٢٧ ﴾ سبأ

(١٠) ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ٢٩ ﴾ الزمر

(١١) ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ (٤١) ﴾ القلم

(١٢) ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢١) الشورى. **فهو شرك فى الألوهية ، وشرك فى التشريع أيضاً .. وهم فوق ذلك يحكّمون شركاءهم في أنفسهم(فهم شركاء على أثقل درجة وأعلاها بالنسبة لهم).**

وهذه الشركة أيضاً شركة غير عادية كمثيلاتها.. فهم شركاء ليسوا بالمعنى العادى (السلبى)- أى: ليس كحالهم مع الصنم الواقف فى مكانه وهم يقدمون له القرابين .. ولكن الأمر هنا مختلف فهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله .. فهم ليسوا بأصنام ، وهى حركة إيجابية وواضح فيها عنصر الحركة والثقل ومضاعفة المشهد فى الشركية.. بخلاف باقى الشركاء فى الآيات السابقة

(١٣) ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤) ﴾ الأنعام.

وهنا بعد تحليل النص نلاحظ

(١) الموقف هنا هو أشد وأصعب موقف جِئْتُمُونَا فُرَادَى. { فرادى } منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه ،. وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ. وقرىء :

«فرادى» بالتنوين . وفراد ، مثل ثلاث . وفردى ، نحو سكرى.ولذلك كتبت بدون ألف "فردى"

(٢) وجعلوهم شركاء (فيهم) وفي استعبادهم (زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ (فِيكُمْ) شُرَكَـؤا).

(٣) وقد نزلت هذه الآيات فى أعتى المجرمين ومدعى النبوة كما تحكى الآيات التى قبلها ﴿"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِوَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو .﴾ ." فزعَم أنه تعالى بعثه نبياً كمسيلمةَ الكَذاب والأسود العنسيّ أو اختلق عليه أحكاماً من الحِلّ والحُرمة كعَمْرِو بنِ لُحَيَ ومتابعيه؛ أي هو أظلمُ من كلّ ظالم .

(٤) هم (الآن) فى (غمرات) الموت ، وليست غمرة واحدة.. مما يوحى بالمبالغة فى التشديد للعذاب عليهم وإبراز صورة القسوة فى المشهد.. ثم العذاب النفسى الشديد فى تبكيت الملائكة لهم.. والملائكة (باسطوا) بحرف الألف الظاهرة ، بخلاف قوله فى سورة الكهف (وكلبهم بسط) ذراعية .. بدون ألف ، لأن بسط الكلب بسط سلبى بدون حركة ، بخلاف بسط الملائكة أيديها بالضرب والتعذيب فكتبت (باسطوا) بالألف هنا مع الملائكة

الطاهر: { والملائكةُ باسطوا أيديهم } حال ، أي والملائكة مَادّونَ أيديهم إلى المشركين ليقبضوا عليهم ويدفعوهم إلى الحساب على الوجه الثّاني ، أو ليقبضوا أرواحهم على الوجه الأوّل ، فيكون بسط الأيدي حقيقة بأن تتشكّل الملائكة لهم في أشكال في صورة الآدميين .((ولذلك كتب بالألف- باسطوا-) ويجوز أن يكون بسط الأيدي كناية عن المَسّ والإيلام ، كقوله : { لئن بسطتَ إليّ يدَك لتقتلني } [المائدة : ٢٨]

ونلاحظ أن الآيات قبلها تصور موقف الملائكة وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم: أخرجوا أنفسكم وهم (فى غمرات الموت). وكأنه موقف استعراضى للقوة يشهده هذا الكافر ويذكّر به النص ليعيشه من خَلَفُه ؛ وكأنه يقول لهم: أرونا القوة من شركائكم — أعظم وأفخم شركائكم- (ولذلك فخم لفظ شركـؤا).. كما نقول : لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى المقدار.. ثم المشهد فى قوله (لقد تقطع بينكم) .

ثم ملاحظة التشديد أيضاً فى عملية الفصل بينهم وبين الشركاء بقوله (لقد تقطّع) بينكم ، ولم يقل لقد (قُطع) ما بينكم ، وأرجو من القارىء أن يتأمل حتى

جرس الكلمة فى تشديد الحرف فيها (تقطّع).. وواضح العنف فى مشهد التقطيع هـــذا ، وفى قوله "بينهم" (ولم يقل تقطع مابينهم بزيادة ما التى تعطى راحة فى النفس وهدوء فى التصور .. وراجع بحث زيادة هذا الحرف فى بحث خاص فى هذا الكتاب). وكأنه يقول لكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار ومضاد له فى الإتجاه... ولذلك حـــسن وجمـــل أن توضع كلمة شركاء – فى هذا الجو – على هذه الصورة من التثقيل شُرَكَـــؤا

شفعاء....شُفَعَؤُا

(١) (٥٣)الأعراف ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾

(٢) ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) ﴾

(٣) الـــــروم ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١١ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝١٢ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾

الزمخشرى:وكتب { شفعاؤا } في المصحف بواو قبل الألف ، كما كتب { عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ } [الشعراء : ١٩٧] وكذلك كتبت { الساوأى } بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها .

هنا نلاحظ أنه:

(١) الحديث على لسان رب العزة وهو الذى يقرر ويحكم بذلك، وليس قول البشر كما فى الأعراف

(٢) وقال تعالى (يبلس المجرمون) أى أسكتهم و لم ينطقهم (٣) ملاحظة التعبير بقوله "من شركائهم شفعاء".. وإضافتها إلى التعبير الآخر، وهذا الأسلوب يسميه علماء البلاغة (بلاغة التجريد) وله نكتة عامة هى المبالغة فى كمال الصفة الجارية على المجرد منه ، وهذا على شاكلة المثل الذى يصوره لنا علماء البلاغة عند شرح قوله: (لهم فيها دار الخلد) .ويقول الخطيب : (فإن جهنم أعاذنا الله منها هى دار الخلد، لكن انتزع منها

مثلها ، وجعل معداً فيها للكفار ، تهويلاً لأمرها) كأنه يقول:– لهم فى جهنم دار مخصوصة – كأنها أشد من جهنم نفسها أو سجن وعقوبة مخصصة فى جهنم نفسها أعلى منها ، وهذه نكتة لطيفة منشؤها أن الظرف أعظم من المظروف بحكم أنه يحتويه ويشمله، فإذا جعلت النار ظرفاً لدار الخلد ، فذلك دلالة على عظمها والتهويل من شأنها. **ومن أمثلة التجريد بحرف الوعاء (فى) هو قوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله ..).. وهذا النص بهذه الصورة جعل رسول الله هو المنبع الفياض بكل صفات الخير، وتنبيهاً للمسلمين ألا يطلبوها فى سواه، فإنه وحده الذى تكتمل فيه أوصاف الخير، ومن طلب الأسوة فى غيره ضل وغوى، ولو جاء النص هكذا (لقد كان لكم رسول الله أسوة) لما أغلق الباب على طلب الأسوة فى غيره..**

وهذه المقدمة لنعود إلى النص المراد فى وصف هؤلاء الشركاء بالصورة المفخمة بأسلوب التجريد هذا الذى شرحناه فى قوله ("من شركائهم شفعاء".). أى خلاصة الشفعاء لديهم

(٤) **وهناك رأى طريف للطاهر بن عاشور يقول:** وكتب في المصحف { شُفَعَؤُاْ } بواو بعد العين وألف بعد الواو ، أرادوا بالجمع بين الواو والألف أن ينبهوا على أن الهمزة مضمومة ليعلم أن (شفعاء) اسمُ (كان) ، وأن ليس اسمها قوله (من شركائهم) بتوهم أن (مِن) اسم بمعنى بعض

(**يريد أن يقول**: أى حتى لايتوهم القارىء أن لها قراءة على صورة أخرى تجعل "من" – من شركائهم – بمعنى "بعض" وبذلك تصلح أن تكون إسم ل"يكن" وشفعاء خبر منصوب ليكن ويكون النص : لم يكن بعض شركائهم شفعاءَ ؛ وهذا معنى خطير وهو بالطبع ليس هو المراد ، فلو تركت الكلمة على الرسم المعتاد – شفعاء- وفى حالة عدم تواجد علامات التشكيل من الفتحة أو الضمة لجاز أن تقرأ هذه الكلمة على الوجهين (الفتحة أو الضمة) ولو قرئت – خطأ- على الفتح لأصبحت خبر "يكن" منصوب ، وأصبح إسمها هو من التى بمعن "بعض" وبذلك يحدث الخطأ فى هذا التوهم ..فقام الرسم القرآنى المعجز بقطع الطريق على هذا التوهم ووضع علامة الرفع على كلمة (شفعاء) لتكن إسم يكن – كما هو المراد- ولكنه كما قلنا لعدم وجود علامات التشكيل حينئذٍ كتب الكلمة بزيادة "الواو"– شفعؤا" فى نهاية الكلمة حتى لاتقرأ إلا على هذه الهيئة فقط من الرفع ؛ وهذا هو مراد قول الإمام الطاهر: وكتب في المصحف { شُفَعَؤُاْ } بواو

بعد العين وألف بعد الواو ، أرادوا بالجمع بين الواو والألف أن ينبهوا على أن الهمزة مضمومة ليعلم أن (شفعاء) اسمُ (كان) ، وأن ليس اسمها قوله (من شركائهم) بتوهم أن (مِن) اسم بمعنى بعض .

ويكمل الطاهر باقي كلامه فيقول: أو أنها (الواو) مزيدة في النفي ، فأثبتوا الواو تحقيقاً لضم الهمزة وأثبتوا الألف لأن الألف صورة للهمزة .(وهذا يعنى أن الواو أبعدت أقل شك أن يكون (شركاء) منصوبه أوأنها تعطى تلميح – حينئذ فى حال نصبها– على أنها خبر كان ، ويكون المعنى – فى حال افتراض النصب– هو: لم يكن (بعض) شركائهم شفعاءَ .والتى تعطى ملمح إلى أنه يمكن أن يكون هناك (بعض آخر) شفعاء .. ولكن المعنى المقصود من الآية هو : لم يكن شفعاءُ من شركائهم..

وهذا الشرح من العلامة : الطاهر فيه من الروعة والجمال والدقة والفهم ما يجعلنا نتعجب: لماذا لايستمر هذا العلامة فى البحث عن هذه النواحى من الإعجاز بهذه الصورة بدلاً من إحالة الأمر على أنه تعثر من كاتبى الوحي وتعلمهم الهجاء؟!!

الملأ– ٱلۡمَلَؤُا

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا (٢٤٦) ﴾ البقرة...(ملأ عادى)

(١) ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ(٦٧ ﴾ الأعراف .. (ملأ عادى)

(٢) ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ(٧٩) ﴾ الأعراف.. (ملأ عادى).

(٣) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٥)﴾ الأعراف(ملأ عادى وحوار هادىء)

(٤) ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (١٢٠الأعراف .. ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)﴾ (ملأ عادى وحوار هادىء)

(٥) ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)﴾ يوسف(ملأ عادى وحوار هادىء)

(٦) ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨)﴾ الصافات.. (مجرورة لايصح أن يضاف إليها الواو)

(٧) ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ .. (٧)﴾ ص (ملأ عادى)

(٨) ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ.(٢٩)﴾ النمل

(٩) ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ(٣٨)﴾ النمل

(١٠) القصص: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ .. (٢٠)﴾ (ملأ عادى)

(١١) ﴿فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ..(٣٨)﴾ غافر

هنا نقف على بعض الملاحظات وهى:

١-أن ملأ فرعون رغم ما نعلمه عنه من القوة ولكنه ملأ تافه لاقيمة له ، ولا يستشار فى أمره أو أمر المملكة ، وأنه يعامل معاملة العبيد الذين يجب عليهم أن يؤدوا فروض الطاعة لإلههم الذى يقول لهم (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)، .. (ولذلك هذا الملأ المنكسر

لايظهر فى العلو-"الرفع" - ولكنه يظهر فى الانكسار). بخلاف "ملأ " مملكة سبأ الذين تقول لهم: ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون" (ملؤا) ، وأيضاً بخلاف ملأ سليمان (ملأ العلم والقوة ومَن عنده علم الكتاب ، وآتيك به.... (ملؤا)

٢-أننا حين الحديث عن رسم كلمة "ملأ " بالألف أو الواو الزائدة نتحدث عن "الملأ" التى تقع فى موقع "الرفع" فى الإعراب..، وبالتالى ليس لنا صلة بالمجرور مثل (بالملإ) ، لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى (الْمَلَإِ) الأعلى . مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ (بِالْمَلَإِ) الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩).حتى لو كان هذا الملأ هو ملأ الملائكة، لأنه لايصح وضع الواو فى الإسم المجرور

٣- وهنا سنقف على صورة "الملأ" من قوم "نوح" — لأن له خصوصية خاصة لطول مقامه بينهم (ألف سنة إلا خمسين عاماً) يتعاقب عليه الأجيال ويتنوع عليه الملأ (الملأ ضعيف "الملأ" ، والقوى وصاحب السلطان "ملؤا")-كما ستحكيه لنا الآيات ، ويصورها رسم الكلمة بغاية الدقة والجمال مع الكمال كما سنرى ، وإليك الأمثلة مع الشرح المبسط بعدها:

١ - (ملأ نوح) فى الأعراف:﴿ لقد أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِه إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) .﴾ . الأعراف

٢ - (ملأ نوح)فى***هود .. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِه مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾

٣ - (ملأ نوح)فى المؤمنون***﴿*وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾.. (٢٧) ﴾ المؤمنون

٤ - (الملأ بعد نوح) فى نفس سورة المؤمنون ***﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) ﴾وهنا نقف لنعقد بعض المقارنات الهامة جداً جداً لتوضيح الصورة فى رسم كلمة الملأ فى هذه الآيات من هذه السور المختلفة :

ونبدؤها بالمقارنة بين نوعين من الملأ المعادى لنوح ، وذلك فى سورة "هود" وسورة "المؤمنون" – السابق عرضهما –وأحدهما بدون واو والآخر بالواو الزائدة التى تشير إلى زيادة المعنى والصفة – كما تعلمنا من قبل : أن الكلمة إذا زادت فى المبنى زادت فى المعنى– وإليك البيان:

الآيات فى هود،، والمؤمنون
فى هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ❁❁❁❁❁❁ (١)الحديث هنا – فى سورة هود – التى يرسم مطلعها جو السورة كلها من الدعوة الهادئة للتوبة والإستغفار والإمهال– حيث تبدأ السورة بقوله تعالى :" الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ(محمد ((ﷺ)) (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (عذاب الآخرة((٣) ... ولذلك سنلاحظ ذلك الجو الهادىء والمتمهل فى جو القصص كله فى هذه السورة (١) فسيكون الملأ هو الملأ الهادىء وأخفهم وطأة وثورة(ملأ عادى) (٢) أنه قد سبق ذكر قصة نبى فى بداية السورة وهو النبى محمد(ﷺ)، ولذلك سيكون ذكر قصة نوح ليست هى القصة الأولى هنا فى سياق القصص، بل ستكون

معطوفة على قصة محمد(ﷺ)- نبى الرحمة والإمهال-، ولذلك سيبدأ الحديث بواو العطف (ولقد أرسلنا نوحا..) بالواو العاطفة.. بخلاف سورة الأعراف بدون واو هكذا:(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه فَقَالَ..)

الأمر الثانى: وهو الحديث عن المَلأ - وهو هنا - فى هود- الملأ الضعيف - كما نلاحظه فى الآتى:

(أ) يتغاضى النص هنا عن مشهد سب الملأ لنوح.. بخلاف آية المؤمنون. .ويكتفى النص هنا بقول الملأ:﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِه مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ. ﴾ .وقولهم: مانراك إلا بشراً مثلنا ومانراك .. فيها:

(١) حديث من الملأ لنوح وهم يوجهون الخطاب له (ما نراك) ، وهذا يعنى عدم إهماله أو تجاهله - دليل على عدم كبريائهم عليهم - بخلاف ما حدث فى آيات المؤمنون ؛ حيث تعالوا عليه ولم يخاطبوه بالخطاب المباشر له ولم يعيروه انتباهاً أو تقديراً حيث يقول النص: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ (٣٣) ﴾ ففى المؤمنون: الحديث مع نوح بصورة القطع بالبشرية- فلم يقل الملأ "مانراك" إلا بشراً.. - و لم يقل هذا الملأ المتعجرف (بشر مثلنا) بل قال(بشر مثلكم) أيها القوم وليس نحن، فهم - فى المؤمنون-ملأ مترفعون عن المماثلة معه حتى فى البشرية ، وهم يُعرضون عن توجيه الخطاب له مباشرة بل يهملونه ، ويتحدثون عنه بلفظ الغائب - إحتقاراً منهم له - رغم أن نوح من البداية يوجه الحديث لهذا الملأ هنا أيضاً -فى المؤمنون -"فقال ياقوم" وكان يجب أن يردوا عليه - كما فى هود - ولكنهم لم يفعلوا، مما يتبين منه أن الملأ فى المؤمنون ملأ أعلى استكباراً وأكثر تعالياً.

ويضيف النص - فى المؤمنون - رسم صورة هذا الملأ الأشد استكباراً فى قولهم عن نوح : يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ (و لم يقولوا يتفضل علينا) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً (فهم هنا مترفعون عن المساواة فى البشرية ، وأن مقامهم هو نزول الملائكة ، وأنه لايتفضل عليهم أحد إلا الملائكة).

ثم يُظهر النص هذا الملأ الذى يدعى العلم بحقائق الأمور والتاريخ ، وأنهم ليسوا أى ملأ ؛ فهم ملأ العلماء والحكماء والسادة ؛ حيث يقولون: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) .

ثم يُظهر النص – فى المؤمنون– تطاولهم البالغ فى السب لنبى الله نوح حيث يقولون: "إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ "– فى مقابل النص فى هود حيث يحكى ردهم عليه بأن قالوا (بل نظنكم كاذبين) ؛ وهذا الرد أخف وطأة بمراحل كثيرة ، وما سُبَّ نبى بهذا النص (به جِنَّةٌ) أو ما شابهه إلا وتسرعت الأحداث وكانت الإستجابة من الله سريعة– كما هو الشأن فى كل القصص كصالح وهود ولوط وغيرهم وخاصة إذا دعى عليهم هذا النبى –

ثم يستعرض النص – فى المؤمنون– تعجرف هذا الملأ وادعائهم الحكمة وحسن تقدير الأمور حيث يقول: فَتَرَبَّصُوا به حَتَّى حِينٍ.. وفيها أيضاً مافيها من ملامح التهديد والوعيد الذى يملكه هذا الملأ من الأكابر والسلاطين.

ثم يستعرض النص – فى المومنون أيضاً – ماحدث بعد هذا القول من الملأ ، وقول نوح: قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ.. وهذه هى لقطة الدعاء والاستنجاد بالله والإستجابة منه ، بخلاف ماهو فى سورة هود حيث أن نوح يلاطف الضعفاء المغلوبين على أمرهم وينصح لهم فى حوار هادىء ، وهنا – فى المؤمنون– تتسارع النجدة ، ويتم الإختصار حتى فى المشهد –اختصره فى ثلاث آيات مع اختصار الحروف ، والقصة كلها من الآية ٢٣ – ٣٠ – بخلاف المشهد الذى فى هود والذى يطيل معهم النفس فى الأخذ والرد ويطيل معهم فى سرد الآيات، (فهو ملأ مماثل له فى دعوى البشرية وعدم الترفع أوالسب أوالإستحقار للنبى العظيم) وأيضاً – فى سورة هود – يطيل مشهد النجاة وتفاصيله الكاملة من الآية ٢٥ – ٤٩هود.

وهنا نعيد استعراض قول الملأ فى هود ليتبين الفارق بين الملأ الذى رسم (الملأ) فى هود وبين الملأ الذى رسم (الملؤا) فى المؤمنون، حيث يقول الملأ فى هود: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ (مَا نَرَاكَ) إِلَّا بَشَرًا (مِثْلَنَا) وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ (عَلَيْنَا) مِنْ فَضْلٍ﴾ (فهذا النص – كما شرحنا – فيه إعلان المساواة بينهم ، وهذا القول بعيد عن ذكاء الأكابر الذين يحسنون ضرب الأتباع فى زعيمهم) فيتحدثون بلغة الأكابر مثل "بل نظنكم"، بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) ويكمل مشهد الهدوء وطول النفس فى الرد من نوح عليهم..

ونلاحظ – بعد هذا العرض – أن هناك ملأين مختلفين يردون على نوح – ملأ الأكابر والأسـيـاد – يكتب (ملؤا) – وملأ أضعف شأنا- كما فى هود – ويكتب:(ملأ) – وهذا لامانع منه لتعدد المواقف والأحداث والأشخاص فى مواجهة الدعوة ، وربما أيضاً لطول مكث نوح بين قومه وتعاقب أكثر من ملأ عليه ، ولذلك نجد هذه الخصوصية لملأ نوح فقط (ملأين)– وليس فرعون أو هود أو صالح أو غيرهم

فى سورة المؤمنون

﴿وَلَقَــدْ أَرْسَــلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَــتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُـــرِيد أَنْ يَتَفَــضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ(٢٤) إِنْ هُــوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِــنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) (٢٣)﴾**********

هنا الجو عاصف على الكافرين وقصة نوح هى الأولى فى القصص هنا ورغم ذلك بدئت بقوله (ولقد أرسلنا نوحا) بالعطف بالواو ، وذلك لأن القصة معطوفة على الحديث عن الفلك الذى يمهد لحديث نوح والفلك الشهير ((وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُــونَ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْــرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) وهذا ما يسميه العلماء حسن التخلص والإنتقال من مشهد إلى مـــشهد آخـــر فى سلاسة....مع ملاحظة ختام الآية بقوله للملأ (أَفَلَا تَتَّقُونَ) ، وفيها مافيهاً من العنف المناسب لجبروت هذا الملأ – كما سنرى – بخلاف الوارد فى هـــود ((وَلَقَــدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ..)) وهوَ المناسب لجو السورة ومناسبة ذكر الحبيب محمد (ص) فى بداية السورة–(هود)–.

مع ملاحظة قول محمد(ﷺ) لهم– فى هود– (إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) محمد(ﷺ).. وقول نوح (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ).. ففى قول محمد (ﷺ)زيادة التوكيد (إننى) وزيادة

لفــظ البشارة فى قوله (نَذيرٌ وَبَشيرٌ)، بخلاف قول نوح (إنى) بنون واحدة، ونقص لفظ البشارة (لَكُمْ نَذيرٌ مُبِينٌ)فقط دون كلمة وبشير(فالهدوء وطول النفس والدعوة باللين وظل الرحمة والبشارة فى سورة هود يتناسب مع الملأ الضعيف وليس المتجبر الذى فى سورة المؤمنون.

وقد قام البعض من الأتباع وغير الأتباع – بحسن نية من البعض ، وبسوء نية مــن الآخــر – بإدعاء أن رسم الكلمة فى المصحف تخضع لضعف الصحابة – الذين كتــبوا المصحف – فى الكتابة والتهجى ، وأنهم كانوا حديثى عهد بفن الكتابة ، ومن هنا كان الخطأ – فى رأيهم – فى كتابة الكلمة فى المصحف ... وادعى الإمام ابن قتيبة أن هذا لايعيب المصحف ، وادعى المستشرقون أن كاتب الكلمة (الملأ) فى سورة هود صحابى يختلف عن هذا الذى كتبها فى سورة المؤمنون (الملؤا) .

وهـــنا نقف وقفة أخرى بل ووقفات كثيرة – وبعد هذا العرض لملأ قوم نوح فى سورتى هود والمؤمنون – لنلاحظ كتابة (الملأ) فى سورة المؤمنون (نفسها) بصورتين هكـــذا: (الملؤا) فى الآية٢٣ وفى نفس السورة – بل وفى نفس الصفحة – وفى الآية٣٣ تكتب الكلمة هكذا: (الملأ).. وهنا يحسن استحضار سياق الآيتين والتدبر فيهما بعد أن تعــرفنا على (الملؤا) بالصورة المضعفة والثقيلة حتى فى حروف الكلمة يأخذنا السياق إلى مــلأ آخر بعد سطور قليلة ولكنه كتب (ملأ) بالصورة العادية ، وإليك نص الآيات لهذا الملأ بالصورة العادية:

سورة المؤمنون: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آَخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْــبُدُوا اللَّـــهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُــوا بِلِقَــاءِ الْآَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَــامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَــالَ عَمَّــا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آَخَرِينَ (٤٢) ﴾

وهنا نلاحظ بأدنى تأمل فى هذا النص والنص السابق فى "نوح" الذى شرحناه آنفــاً وهو: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) ﴾ (٢٣)
يتبين الفارق هكذا– ولاحظ مكررا أنه فى نفس السورة وفى نفس الصفحة:

(الملؤا) نوح الآية ٢٤ ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾	(الملأ) بعد آيات نوح الآية٣٣–
(١) هــنا فى ملأ نوح تظهر صورة الملأ المتيقظ الذى يدعى العلم والحكمة– كما شرحنا–ويقول: (ما سمعنا بهذا.. – ولو شاء الله لأنزل ملائكة) (٢) هــنا يقولون عن نوح : إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ..فيها عنف فى المواجهة منهم وعــدم احتــرامهم لــه وتطاولهم عليه، وملاحظة أن السب لنوح بالجملة الإسمية التى تفيد الدوام والثبات على هذه الصفة (الجنون) وقــولهم : يريد أن يتفضل عليكم – أى يأخــذ الــسلطان منكم – وهو ما يهم الرؤســاء ؛ فهــو ملأ السياسيين الكبار ورجال الحكم (٣) فَتَرَبَّــصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ.. تهديد ممن يملك السلطة والجدية تامة (٤)يتكرر بعدها موقف الظلم ووصفهم بأنهم ظالمين (٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَــوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا	(١) هــنا يرسم النص صورة ملأ مترفين (أترفنهم..) مترفين، لاهم لهم إلا الأكل والشرب – يأكل ويشرب، و إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُــنَا الدُّنْــيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَــبْعُوثِينَ..(هــنا صــورة الملأ المترفين والأغنــياء وليسوا كبار السياسة ورجال الدولة) (٢) يقولون: إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .. والــسب هنا بالجملة الفعلية التى لاتفيد الــدوام والثبات للصفة هكذا: (إفترى على الله كذبا) (٣) وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ..كأنهم يقولون لــيس لــنا شأن به ؛ فهم فى ترفهم بل وسكرهم لايعنيهم ذلك، وكأنهم يقولون: يكفيــنا أن لانــؤمن به دون إعلان حالة الحرب والعداء السافر له ، فهو لايعنيهم فى شىء. (٤) قــوله تعــالى (عما قليل ليصبحن نادمين)

تَـتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَـؤُا...هنا نلحظ سـرعة رد المـلأ الواضحة فى استخدام حرف الفاء التعقيبية (٦) نلاحظ زيادة الترفع منهم (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِين) يريدون أن لايعلوا عليهم أحد من البشر	(٥) فَأَرْسَـلْنَا فِـيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ "أَنِ" اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ... هنا لانلحظ مشهد السرعة فى الرد عليه ، وهـو فى أشد التناسب مع حالة هذا الملأ المترنح والمرفل فى النعيم واستخدام حرف العطـف (الـواو) بـدل الفاء التعقيبية الـسريعة.. إضافة لقوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا فِـيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ "أَنِ" اعْبُدُوا اللَّهَ..) (أن) التفـسيرية فـيها موقف تفسيرى ، وهـدوء فى الدعوة. يقابل موقف المترفين الـذين لايهمهم أمر الدين فى شيء وهو أيضاً موقف تراخي وانشغال

ومـن هـنا يتضح الحكمة العالية فى استخدام الرسم لكلمة "الملأ" بصورتيها (الملأ) و (الملؤا) ، وأنه ليس اعتباطياً أو بدون حكمة عليا.. وسنرى فى بحثنا القادم — إن شـاء الله — اسـتخدام الرسم القرآنى لكلمة (ترابا) بالألف و (تربا) بدون ألف ، وهكذا كلمة (عظاما) بألف وبدون ألف.

***** وبقى لنا كتابة (الملأ) على رسمة أخرى– فى حالة الكسر – هكذا:**

وكـذلك إلى فرعون و(ملائه) بزيادة الألف بين اللام والهمزة تنبيها على تفصيل مهم ظاهر الوجود

((وربما يكون لسياق الآيات التى ركز الله فيها على ذم هذا الملأ أكثر من مرة (بئس الورد المورود ، وبئس الرفد المرفود .). وهذا الأسلوب يوحى بهول المصيبة والكارثة على هذا الملأ .. والذى يستدعى أيضاً لفت الانتباه إليه والتركيز عليه ، فكان هذا الألف التى هى فى غير موضعها لتلفت هذا الالتفات، والنص هكذا:

(١) ﴿وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِـرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ

الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامة بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) ﴾ فهـــى لعنات متكررة – فى هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ – من الله عليه (فأى ملأ هذا، وأى مصيبة أعظم من مصيبته ؟؟!!) مع ملاحظة قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) وورود كلمة بآياتنا ..

(٢) ومثله فى أية (المؤمنون): ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) ﴾

(٣) وآيـــة غافر: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) ﴾

(وهـــنا نلاحظ أنه تم استبدال كلمة (ملئه) فى الآية الثانية بقوله (إلى فرعون وهامان وقـــارون) فى الآيـــة الثالـــثة ليبين أن (ملئه) المشار إليه هو أعتى المجرمين وهما(هامان وقارون) وهما المشار إليهما بالملأ و (كانوا قوماً عالين)،

وانظر إلى قول هذا الملأ المتسلط : ﴿(فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِــنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ. ﴾. ولايقول ذلك إلا ملأ صاحب سلطة ، وهذا الملأ هو الذى استحق اللعنة وتكرارها فى الآخرة أيضاً (وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ)

((ونـــزيد أن هـــذه الزيادة أتت مع (آياتنا) أو (ذكر الآيات) ثم وصف الملأ بعدها: مفـــسدين ، مجرمين والاستكبار ، وسخريتهم من النبى والمؤمنين (يضحكون عليهم) هكذا:

﴿ثُـــمَّ بَعَثْـــنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾ الأعراف

﴿ثُـــمَّ بَعَثْـــنَا مِـــنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) ﴾ يونس

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) ﴾

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِه فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) ﴾

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِه إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) القصص ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِه فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) ﴾ الزخرف

❁❁❁❁ لكل هذه الأسباب زيدت الألف فى (ملائه)

نشاء.... مَا نَشَؤُا...

(١) ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾ الأنعام

(٢) ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ (١٠٠) ﴾ الأعراف

(٣) ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا (٣١) ﴾ الأنفال

(٤) ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾يوسف

(٥) ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ يوسف

(٦) ﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) ﴾ يوسف

(٧) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ الإسراء.

(٨) ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) ﴾ الأنبياء

(٩) ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. ﴾الحج.

(١٠) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦)﴾ يس.

(١١) ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) ﴾ ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا (٥٢) ﴾ الشورى

(١٢) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) ﴾ الزخرف

(١٣) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ (٣٠) ﴾ محمد

(١٤) ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) ﴾ الواقعة

(١٥) ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) ﴾ الواقعة

(١٦) ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ (١٣٨) ﴾ الأنعام

نلاحظ أن كل هذه المشيئات تنسب إلى الله إما:

(١) بقول الله نفسه..(لو نشاء)

(٢) بتفويض من الله (يتبؤ منها حيث يشاء.)أى بأمر الله حيث أنه نبى من عنده

(٣) و فى سورة الأنعام ١٣٨هم أنفسهم ينسبون هذه المشيئة لله هذا لله (بزعمهم) حتى يثبتوا إنتساب أفعالهم لله . وكما يقول الله تعالى (إفتراءً عليه)

بخلاف آية هود التالية:**** (٨٧) ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾

فالمشيئة فيها مشيئة قوم هود ، فهى تختلف هكذا:

(١) قالـــوا له أصلواتك . و لم يقولوا: آلله أمرك أو أمرنا.. فهم لايعترفون بالله فى ألوهية ولاتشريع ولا يشيرون إلى وجوده.

(٢) قولهم – بصيغة التهكم – إنك لأنت الحليم الرشيد.

(٣) قالوا ..مانفقه كثيراً مما تقول..وهذا بخلاف كفار مكة فهم كانوا يدعون أن المشيئة مشيئة الله فى التحليل والتحريم وغيرها.

(٤) إذن قـــوم شـــعيب يعظمـــون مشيئتهم ويجعلوها المشيئة التى لايعلوها مشيئة (وهى مـــشوهة) وهذا يشابه القول من أمثالهم من اليهود : نحن "أبنـــؤا " الله وأحباؤه. بخـــلاف كفـــار مكة الذين ينسبون عملهم لمشية الله وتشريعة – وإن كان كذباً وزوراً–.

زيـــادة "الـــيـــاء"

والآن نبدأ رحلة مباركة بإذن الله مع حرف "الياء" زيادة ونقصا مثل ما فعلنا مع حـــرف "الواو".وفى هذه الحلقة نقصر الحديث على زيادة "الياء" لأن الحديث عنها قصير وهـــى باستقراء كلمات القرآن الكريم لم تأت زائدة إلا فى تسعة مواضع وكلها أسماء لا أفعال فيها كما سيأتى.

آل عمران﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ١٤٤﴾ . .يـونس (١٥) ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

سورة النحل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

سورة الأنبياء﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

سورة الذاريات﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

وكـــل موضع منها لم تأت الزيادة فيه خالية من الدلالة على اللطائف والأسرار الـــتى عرفنا الكثير منها فى نقص الواو أو حذفه وفى زيادته، وقبل الدخول فى التفاصيل نشير إلى أن القدماء بعد ذكرهم للمواضع التسعة التى زيدت فيها الياء لم يبينوا مافى كل موضـــع من اللطائف بل اكتفوا بالنص على بعض منها وسكتوا عن بعض آخر. وهانحن أولا نذكر مواضع زيادة "الياء" حسب ترتيب السور فى المصحف الشريف وعلى هدى ما ذكـــروه من قواعد عامة نتلطف فى اقتناص لطائف ما سكتوا عنه وبالله ومن الله التوفيق والسداد

الموضع الأول: أَفَإِيْن

سورة آل عمران:) ﴿ . وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾

فقـــد جـــاء الياء مزيدا بين الهمزة الثانية وبين حرف "النون" وهى فى الرسم الخطى العام ترســـم هكـــذا "إن" وهـــى أداة الشرط المعروفة أما الهمزة الأولى فى "أفإين" فهى همزة الاستفهام الإنكارى..

وكان الأصل أن يقال: "فإإن" فالفاء حرف عطف والهمزة بعدها للاستفهام ولما كانـــت ادوات الاســـتفهام لهـــا الصدارة فى الكلام قدمت همزته هنا على الفاء يضاف التركيب هكذا: "أفإين"

أمـــا لمـــاذا زيدت "الياء" هنا؟ فإن حاصل ما ذكروه فى توجيه هذه الزيادة هو الأصل فى أساليب الشرط هو ترتب الجواب على فعل الشرط فى الوجود لأن بين الشرط وجوابه رابطة السببية.

مثال ذلك فى "إذا" مثلا قوله تعالى: سورة النصر: **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا(٣)**

. فعل الشرط هنا هو " جاء نصر الله" وما عطف عليه "والفتح ورأيت الناس".

أما جواب الشرط فهو "فسبح بحمد ربك" وما عطف عليه "واستغفره".

ومثاله فى "إن" قوله تعالى: فى سورة التوبة ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥). ﴾

فعل الشرط فى الآية الكريمة هو "تابوا" وما عطف عليه: "وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة" وجواب الشرط هو "فخلوا سبيلهم" هذا هو الأصل فى أساليب الشرط جميعا.

وإذا تأملنا الشرط والجواب فى قوله تعالى: "أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" يظهر لنا بوضوح أن جواب الشرط وهو: "انقلبتم" **لا يصلح أن يكون فى ميزان الصواب جوابا مرضيا لفعل الشرط** ، بل هو إذا وقع من المخاطبين يكون خطأ شنيعا لأن موت الرسول أو قتله لا يكون سببا فى الكفر بالله عز وجل ، ولذلك سلط عليه استفهام الإنكار والتوبيخ لأن المطلوب من المؤمنين الثبات على الإيمان فى حياة الرسل وبعد حياتهم. ومن أجل التنبيه على هذا المعنى زيدت "الياء" فى "أفإين" لتلفت الأذهان إلى أن رابطة السببية التى تدل عليها أساليب الشرط معدومة فى هذا التركيب. (أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) وقد زيد هذا المعنى قوة بقوله: (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا). فزيادة "الياء" لمحة آسرة من لمحات الإعجاز القرآنى تعنو لها الجباه.

وفيها- فوق ذلك- رد مفحم لهواة المعارضة- لمجرد المعارضة- الذين يزعمون خلو خصوصيات الرسم المصحفى الشريف من الدلالة على أى معنى، ومنهم من أخذته العزة بالأثم فادعى أن هذه الخصوصيات مجرد خطأ خطى فى كلمات القرآن؟!

ثم يستشهد بعبارة منسوبة لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه زورا وبهتانا وهى أنه قال: "إن فى القرآن لحنا ستصلحه العرب بألسنتها؟!" وحاشا أن يقول ذو النورين هذا الباطل الصريح.

❁❁ **ملحوظه**: (وسنناقش هذه الافتراءات وموقف هذا الحديث فى ميزان العقل والنقل تحت عنوان خاص بهذا المعنى وهو "هل يوجد فى القرآن لحن")

الموضوع الثانى: أَفَإِيْن مِّتَّ

فى سورة الأنبياء: (٣٤وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ (٤).

هذه الآية نظيرة الآية السابقة عليها والشاهد هناك هو الشاهد هنا وهو زيادة "الياء" بين همزة "إن" الشرطية وبين نونها.

وإذا دقق القارئ النظر بين موضعى زيادة "الياء" فى الآيتين ظهر له ان السر فى هذه الزيادة واحد وما يقال فى أحدهما يقال فى الآخر. وقد تقدم أن المعنى اللطيف المراد من زيادة "الياء" فى "أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" هو الرمز إلى أن "انقلبتم" لا يصلح أن يكون جوابا لفعل الشرط "مات أو قتل" فهو وإن وقع جوابا للشرط فى اللفظ والتركيب فليس هو جوابا للشرط فى المعنى يعنى أن رابطة السببية والسببية معدومة بين الجزءين هنا.

۞ (يريد أن يقول الدكتور المطعنى وغيره من العلماء الذين نقل عنهم: أنه **لايصح أن يحدث هذا** منكم : إن مات أو قتل النبى فهل هناك أحد مخلد ؛ إن ذلك **مستحيل فالفناء** للجميع ولايبقى إلا وجه الله تعالى..فكتبت على هذه الصورة المستبعدة أيضاً(أفأين))

وهذا هو المراد من زيادة "الياء" فى هذه الآية والمعنى: ليس موتك يا محمد صلى الله عليه وسلم سببا فى تخليدنا إياهم. أى ليسوا هم بخالدين أبدا سواء مت أنت أو حييت. وهكذا يبدو- بكل قوة- أن زيادة "الياء" فى الموضعين تشير إلى معنى لطيف شريف ، من أجل ذلك زيدت "الياء" ومحال أن يكون فى كتاب العزيز شئ زائد فى اللفظ وليس له معنى يدل عليه.

الموضع الثالث: نبإى

فى سورة الأنعام:﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

الخصوصية التى فى هذه الآية هى زيادة "الياء" من كلمة "نبإى" وهى فى الرسم العام تكتب هكذا: "نبأ" ، و لم أعثر على توجيه هذه الزيادة عند القدماء علما بأنهم نصوا صراحة على أن "الياء" فيها مزيدة. وبناء على ما وقفنا عليه من قواعدهم فى الزيادة والحذف وبمعونة قرائن الأحوال ودلالة المقام الواردة فيه هذه الكلمة نطمئن إلى القول بأن هذه الزيادة رمز إلى **"تفخيم ما زيدت فيه" وهو نبإى المرسلين**. وعلى هذا فإن التفخيم والتعظيم لقصص المرسلين يفهم من جهتين، لا جهة واحدة بل من ثلاث جهات هى:

الأولى: التعبير بكلمة "نبأ" دون الخبر لأن النبأ هو الخبر العظيم(٥).

الثانية: زيادة "الياء" وهى من خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف.

الثالثة: إضافة "نبأ لـ"المرسلين".

۞ ((**ونحيط القارىء علماً** بأن هناك رأياً آخر لنا سنضيفه ونوضحه بالتفصيل والمقارنة مع الآيات المشابهة تحت هذا العنوان (نبأ- نباىء))

الموضع الرابع: تِلْقَآيِ

فى سورة يونس: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾

الشاهد فى هذه الآية زيادة "الياء" فى كلمة "تلقآى" ورسمها الإملائى الحديث هكذا: تلقاء. و لم يوجه القدماء زيادة "الياء" فيها مع ذكرهم إياها فى مواضع زيادة "الياء".

والمتبادر إلى الفهم أن زيادة "الياء" فيها لتأكيد النفي. بيان ذلك: أن الذين لا يرجون لقاء الله عز وجل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم واحدا من أمرين:

إما أن يلغى القرآن كله ويأتى بقرآن آخر مغاير له تماما ، وإما أن يحدث فيه تعديلات وتغييرات، فأمر الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: "ما يكون لى أن أبدله من تلقآى نفسى" نافيا أن يصدر هذا عنه ، فزيدت "الياء" فى حيز النفى للدلالة على استبعاد ما طلبوه منه واستنكاره.

فزيادة "الياء" **قائمة مقام النبر فى كلمة أنا؟ أو كلمة أنت؟ إذا وقعتا فى مقام الإنكار** وهذا مسموع حتى فى كلام العامة. فإذا نُسب إلى شخص أمر هو لم يفعله أو قول هو لم يقله فإنه يقول فى الرد: أنا فعلت هذا؟ أو أنا قلت هذا ؟. نابرا كلمة "أنا" لتأكيد النفي.

وكذلك يقال فى الرد على من ادعى أمرا هو لم يقم به: أنت فعلت كذا أو: أنت قلت كذا نابرا كلمة "انت" تأكيدا للإنكار على المخاطب وهكذا

والعلم لله- امر الله رسوله أن يغلظ عليهم فى الرد وأن يؤكد لهم أنه ليس أهلا لأن يأتى بقرآن غير الذى أنزله الله عليه — أى قرآنا من جهة (تلقاء) نفسه- وليس أهلا لأن يحدث فيه أى تغيير وإنما هو متبع لما أوحى اليه برئ من معصية رب العالمين.

الموضع الخامس. وَإِيتَآيِ

فى سورة النحل: (٩٠)﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ والشاهد فى

هــذه الآية زيادة "الياء" فى كلمة "ايتآى" وهى فى الرسم الخطى العام: إيتاء. ولم يوجه القــدماء هــذه الزيادة هنا مع ذكرها فى مواضع الزيادة التسعة المشار إليها فى اول هذه الحلقة.

والــذى تركن إليه النفس ويطمئن إليه القلب أن "الياء" زيدت هنا للحث على المــبالغة فى العطــاء لمستحقيه من ذوى القرابة وإطلاق اليد فى البر والإحسان حتى لكأن "الــياء" **تمديد وتوسيع لدائرة الانفاق الواجب والمستحب**، هذا التمديد والتوسيع يفهم مــن الإيحــاء اللطيف من توسيع وامتداد المساحة التى شغلتها الكلمة بسبب زيادة هذه "الياء"

وفيها معنى دقيق آخر هو أن يسعى ذوو الفضل بعطاياهم إلى من يعلمون أنهم فى حاجة إلى مد يد العون والمواساة.

ولا ريب ان الساعى بالخير إلى مستحقيه أزكى عند الله من الذى يسعى إليه ذوو الحاجات لأن فى ذلك إحراجا لهم وشيئا من الإذلال.

❁ **وبعــد هذا الكلام الطيب أضيف كلاماً لايقل طيباً عنه وهو حديث عذب للإمام الطاهــر حيث يقول**: وخَصّ الله بالذّكر من جنس أنواع العدل والإحسان نوعاً مُهمّاً يكثــر أن يغفل الناس عنه ويتهاونوا بحقّه أو بفضله ، وهو إيتاء ذي القربى ؛ فقد تقرّر في نفــوس الــناس الاعتناء باجتلاب الأبعد واتّقاء شرّه، كما تقرّر في نفوسهم الغفلة عن القــريب والاطمئــنان من جانبه وتعوّد التساهل في حقوقه . ... ولأجل ذلك صرفوا معظــم إحسانهم إلى الأبعدين لاجتلاب المحمدة وحسن الذّكر بين الناس . ولم يزل هذا الخلق متفشّياً في الناس حتى في الإسلام إلى الآن ولا يكترثون بالأقربين فخصّ الله بالذكر من بين جنس العدل وجنس الإحسان إيتاء المال إلى ذي القربى تنبيهاً للمؤمنين يومئذ بأن القــريب أحــقّ بالإنــصاف من غيره . وأحقّ بالإحسان من غيره لأنه محل الغفلة ولأن مصلحته أجدى من مصلحة أنواع كثيرة . وعطف الخاص على العام اهتماماً به كثير في الكلام .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) ﴾الأنبياء

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) ﴾

لقاء .. لقاىء .. بلقاء .. بلقاىء

(١) ﴿يَـا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَـاءَ يَـوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)﴾ الأنعام .

(٢) ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)﴾ الأعراف.

(٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْـيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(١١٠)﴾ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥)﴾ الكهف

(٤) ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾ السجدة.

(٥) ﴿وَسِـيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَـزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)﴾ الزمر.

(٦) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)﴾ فصلت

(٧) ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا (٣٤)﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّـى إِذَا جَـاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا (٣١)﴾ الأنعام... ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِـتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤)﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥)﴾ يونس ...

(٨) ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)﴾ السجدة

(٩) ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)﴾ الرعد....

(١٠) ﴿* وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) ﴾ الأعراف.........

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ (٣٣) ﴾ المؤمنون ..

(١١) الـــروم ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١١ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝١٢ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝١٣ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . ﴾ .الإبلاس : أي يبقى بائساً ساكناً متحيراً . يقـــال : ناظرته فأبلس . إذا لم ينبس وييئس من أن يحتجّ. ويقول الألوسي: {وَلِقَاء الاخرة} أي وكذبوا بالبعث ، وصرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء به (أى التركيز على البعث (لقاىء الآخرة)).. ويقول الطاهر: وكتب في المصحف { شُـــفَعَؤُاْ } بواو بعد العين وألف بعد الواو، أرادوا بالجمع بين الواو والألف أن ينـــبهوا على أن الهمزة مضمومة ليعلم أن { شفعاء اسمُ (كان) وأن ليس اسمها قـــوله مـــن شركائهم } بتوهم أن { "من" اسم بمعنى "بعض" ، أو أنها مزيدة في النفـــي، فأثبتوا الواو تحقيقاً لضم الهمزة وأثبتوا الألف لأن الألف صورة للهمزة .... وكـــتب في رسم المصحف { ولقائي } بهمزة على ياء تحتية للتنبيه على أن الهمزة مكسورة ؟؟

(ملحـــوظة : هذا الكلام الأخير غير صحيح بدليل آية الأعراف (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) – ولكن لها توجيهاً آخراً سنراه فى السطور القادمة.

ثم يكمل: وذلك من الرسم التوقيفي ، ومقتضى القياس أن تكتب الهمزة في السطر بعد الألف.

والـــسوأى : تأنـــيث الأسوإ ، أي الحالة الزائدة في الاتصاف بالسوء وهو أشد الـــشر، كمـــا أن الحـــسنى مـــؤنث الأحـــسن في قـــوله {للـــذين أحسنوا الحسنى} [يـــونس : ٢٦] (ولذلك كتبت بزيادة الحرف مع ملاحظة جو التفخيم والتهويل فى هذه الآيات وما سيتبعه أيضاً من زيادة الحرف فى كلمة (لقاىء) فى نفس سياق الآيات.

التعقيب:

يتبين لنا السبب ووجه الحكمة فى زيادة الحرف فى كلمة (لقاىء) فى آية الروم وعـــدم زيادهــا فى آية أخرى تكاد تتشابه مشابهة قوية وهى آية الآعراف والتى من خلال بعض المقارنات يتبين لنا بعض هذه الوجوه:

(١) فى آية الأعراف: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ (دليل على أن لهم بعض الأعمال الصالحة مثل البر والصلة وغيرها) فهم أهون من الصنف الذى فى الروم الذى يقول عنه:وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاىءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦). هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.الروم ....

ولكن الملاحظ فى أية الروم أنها تؤكد على صفة الكفر ومترادفاته ، فقد زادت فيها قوله تعالى (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) وَكَذَّبُوا..

(٢) الملحوظة الثانية: أن آية الروم نجدها فى السورة التى تتحدث عن أهم حدث غيبى سجله القرآن – غلبت الروم فى .. –، وناسبها التركيز على جهلهم الشديد بعلم الآخرة – وهو غيبى – والتكذيب بها(وكذبوا بآياتنا ولقاىء الآخرة).وراجع ما قاله الإمام الطاهر

(٣) وفى سورة الروم يتم الإنتقال من مثال غيبى إلى مثال غيبى أخر ..

(٤) ثم ملاحظـــة خاتمـــة الآية فى الروم: وَأَمَّا (الَّذِينَ كَفَرُوا) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاىءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ (فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ).

(٥) مـــع باقى مفردات الآيات السابقة– فى الروم – التى تصور شدة جرمهم فى الدنيا وشدة إبلاسهم فى الآخرة.. وتعرض لنا صورة تخلى الشفعاء – أعظم الشفعاء لديهم – عنهم فى الآخرة ..

(٦) وملاحظـــة قوله تعالى قبلها: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُـــونَ (٧) .. وتكرار لفظ (وهم) عن الآخرة.. للتأكيد على أمر الآخرة ولقاء الله فى الآخـــرة – وهـــذا له دور فى رسم كلمة "لقاىء الآخرة "هنا بخلاف باقى الآيات فى السورة الأخرى (الأعراف)...

(٧) وملاحظة رسم كلمة (أســـئوا) (الســـوأى) فى حال وصفهم – على التفخيم فى مرتكبهم السيء والتفخيم فى رسم كلمة "السوأى" والذى لايفعله إلا المكذب

أشـد التكذيب بلقاىء الآخرة .. هذا اللقاء المفخم أيضاً عليهم ومن أجل هذا كتـبت كلمة: (بلقاىء)الآخرة.هكذا.ومثلها فى الآية قبلها: (٨) الروم. ﴿. أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾..﴾.و هى الوحيدة على هذا الرسم فى القـرآن كله ... وكذلك رسم كلمة(شفعـؤا) فى مقام النفى عن شركائهم ...والـشفاعة هنا هى شفاعة الآخرة ... ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآيِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآيِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الروم)

(٨) وكان هذا الوصف لهم فى مقابل وصف المؤمنين بقوله ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذ يَتَفَـرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) ﴾

﴿و يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾

إذن – وبعد هذا العرض – أصبح من الواضح أن سياق آيات سورة الروم يحمل تفخـيماً وتعظيماً لمشهد تكذيبهم بلقاىء الآخرة وأن رسم الكلمة قام أيضاً بتصوير هذا المشهد خير تمثيل.

الموضع السادس. ءَانَآيِ

فى سورة طه: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ شاهدنا فى هذه الآيـة الكـريمة زيادة "الياء" فى كلمة "آناى" وهى فى الرسم الحديث: آناء. و لم يوجه القدماء كذلك الزيادة فى هذه الآية.

والأمر فيها يسير ولهذه الزيادة نظائر تقدمت تمدينا إلى اقتناص السر فيها بعون الله:

والذى يبدو مقبولا أن زيادة "الياء" فى كلمة "آناى" رمز إلى معنى الامتداد والطول فى الـزمان وهو المدلول عليه بـ"آناى" ، **وليس المراد طول الزمن فى نفسه بل المراد كثرة ما يقع فيه من ذكر الله والتسبيح بحمده. وهذا يسمى عند البيانيين كناية لطيفة..** والذى يدل على هذا توزيع التسبيح بحمد الله على أوقات ممتدة عبر رحلتى الليل والنهار وهى: * قبل طلوع الشمس.* قبل غروب الشمس.* آناء الليل.* أطراف النهار.

وبهـــذا صار التسبيح بحمد الله مستوعبا لوقت المؤمن إلا سويعات المجوع ليلا وصلب النهار وهو وقت السعى لتحصيل الرزق. وتوجيه الكناية فيه هو الإيماء إلى طول الزمن ، لا من حيث أنه زمن بل من حيث طول ما يقع فيه من ذكر الله عز وجل.

۞ ((**ولعلـــى أضـــيف ملحظاً بلاغياً آخر** لما قاله د: مطعنى، وهو: ما نسميه **بالتقديم البلاغـــى** عند ذكر التسبيح بالليل ؛ الذى يعطى معنى الإهتمام البالغ بهذا الوقت (آناىء الليل) — دون ذكر هذا التقديم مع النهار- حيث قال **وَمِنْ آنَاىءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ**.. و لم يقل (فسبح من آناىء الليل)..بخلاف قوله مع ساعات النهار﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا.** ﴾. حيث أنه لم يقل (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فسبح). .

والتقديم- كما نعلم - للخصوصية والإهتمام الزائد بهذا الوقت (آناء الليل) .. ولا يخفـــى - لـــدى العامة والخاصة- الخصوصية العظمى ومالوقت الليل والقيام فيه من فضيلة عظمى.. وأن هذا الوقت لايعدله وقت آخر ... مع ملاحظة اللطف والمد واللين فى نطـــق كلمة (آناء) وجرس حروفها التى تناسب لطف ورقة الليل وعذوبة المناجاة في الليل .. و لم يقل ("أطراف" الليل) التى تختلف فى جرسها ووقعها عن هذه الرقة والنداوة فى كلمة (آناء) ..

وفـــوق ذلك ملاحظة مدود الكلمة (آناء) التى تطيل النطق مع استصحاب الرقة واللطـــف والنداوة التى ترسمها بالصورة الصادقة حروف الكلمة.... ولذلك كان التركيز على هذه الخصوصية وإبرازها أمام الأعين الناظرة فى كتاب الله المتدبرة لآياته ، وذلك عن طريق :

(١) رسم الكلمة على هذه الصورة.

(٢) أســـلوب التقديم الذى شرحناه ليؤكد على هذه الخصوصية لرسم الكلمة ويتضامن معها.

(٣) والوقفة الهامة فى هذه الآية وهذه الآناء (آناء الليل) — فى هذه الآيات- خاصة بآناء الليل للنبى (ﷺ).. ومعلوم كيف كانت (آناء الليل) للحبيب محمد (ﷺ) ،فى طولها ورقتها وعذوبتها مع مولاه وحبيبه، وهو الذى كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ، وهـــو مـــن هو مع ربه ، حتى بعد أن قال له ربه (ليغفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخـــر) وطلبت منه عائشة أن يرفق بنفسه بعد هذا التكريم الصادر من ربه له فأبى وقال (أفلا أكون عبداً شكورا) .. وقال له ربه ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِـــنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ** ﴾ .. وكان قيام الليل

فـــرض فى حقه – دون الأمة– حافظ على قيام ساعاته (آنائه) إلى أن قبضه الله إليه؛ وهذه من خصوصيات النبى (ﷺ)

ولاحـــظ قـــوله لحبيبه: لعلك ترضى..... وقال له – بنفس أسلوب التقديم والإهتمام – فى سورة الإسراء أيضاً– (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّـــكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) .. و لم يقل (فتهجد من الليل =(الآناء))... بل قال (ومن اللـــيل فتهجد) بتقديم الليل (آناء الليل). مما يؤكد على أهمية ساعات (آناء) الليل بصفة عامة ، ولمحمد (ﷺ) بصفة خاصة.. كما ذكرنا فى مثالنا فى سورة طه.........

ولذلك كان لابد من التفريق بين (آناىء) الليل لمحمد(ﷺ)بكتابة الكلمة والتقدم فى الذكـــر، وبين (أناء) الليل لغيره من الأمة – بكتابة الكلمة وطبيعة السياق– فباقى الأمة مهما كانت تقواهم لاتبلغ المثقال من تقوى محمد (ﷺ)مع ربه.. فكتبت كل كلمة مناسبة للمقام الذى سيقت له.. وإليك رسم الكلمة (لغير النبى) وهى:

﴿لَيْـــسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) ﴾ آل عمران...

﴿أَمَّـــنْ هُـــوَ قَانِـــتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩) ﴾ الزمر.

فكتبت فى الآيتين – فى المثالين – على الكتابة العادية (لأنها للأتقياء من الأمة) بخلاف آناء الليل للحبيب محمد (ﷺ)التى كتبت (آناىء).

الموضع السابع:وَرَآيِ

فى سورة الشورى: (٥١)﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الشاهد هو كلمة "ورآى" حـــيث زيـــد فيها "الياء" والأصل فيها عدم الزيادة وراء. وقد وردت على الأصل بدون زيـــادة فى قـــوله تعالى: فى سورة الأحزاب﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَـــابٍ .. (٥٣) ﴾وهـــذا يثير سؤالا ذا أهمية قصوى فحواه لماذا زيد "الياء" فى كلمة "ورآى" فى سورة الشورى. و لم تزد فيها فى سورة الأحزاب؟

القدماء تركوا هذه الزيادة فى سورة الشورى بلا توجيه مع النص الصريح عليها فى مواضع زيادة "الياء" فى خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف، وليس معنى

هذا أنها تخلو من الدلالة، والمقارنة بين الموضعين تسهم إلى حد كبير فى الكشف عن السر اللطيف الكامن وراء تلك الزيادة؛ إذ كل من كلمتى "وراء" فى الآيتين أضيفت إلى كلمة "حجـاب"، فلمـاذا كانت آية الأحزاب خالية من زيادة "الياء" فى كلمة "وراء" وآية الشورى زيد فى كلمة "ورآى" فيها "الياء"؟

إن الفـروق بـين الموضعين جد واضحة وهى التى اقتضت زيادة "الياء" فى آية الـشورى وعـدم الـزيادة فى آية الأحزاب ؛ فالحجاب فى أية الأحزاب حجاب مادى محـسوس ؛ وهو كل ساتر حسى يحول دون رؤية النساء وهن فى بيوتهن إذا طرق الباب رجال أجانب عنهن.

أدب الإسـلام فى هـذه الحالـة هو أن تتوارى المسلمة خلف أى ساتر لايمكّن المتحدث معها من وقوع بصره على شئ من محاسنها.

أما الحجاب فى آية الشورى فهو حجاب معنوى معقول لا يرى ببصر ولا يلمس بيد ، والحجاب فى آية الأحزاب يمكن اختراقه والاحتيال عليه لولا الوازع الدينى والالتزام الخلقى. أما الحجاب فى آية "الشورى" فهو محكم قوى متين لايمكن اختراقه أو الاحتيال عليه إذ أن رؤية الله فى الحياة الدنيا مستحيلة الوقوع.

لـذلك- والله اعلـم- زيـدت "الياء" فى آية الشورى للرمز على أن الحجاب المـضروب بـين الله وبين خلقه فى الحياة الدنيا حجاب عظيم الشأن لايمكن إزالته على الإطلاق.

(**وأقول أنا موضحاً:** أنه- فى آية الشورى- الحجاب هو حجاب العظمة ، والذى وراء الحجـاب هو رب العالمين، وهو الحجاب الذى جعل رسول الله موسى عليه السلام يخر صاعقا حين تجلى ربه للجبل.(فكتبت "ورایء" حجاب) بخلاف آية الأحزاب فالذى وراء الحجـاب هـم نـساء النبى (ﷺ)، والحجاب هو ستارة أو باب فكتبت الكلمة "وراء حجاب") .

فليتأمل دعاة المعارضة هذه الدقائق الآسرة الساحرة التى ترمز إليها "خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف" حتى يتبين الصبح لذى عينين.

الموضع الثامن.. بِأَيْيْدٍ

فى سـورة الذاريات: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧) والشاهد فى الآية زيـادة "الياء" فى قوله تعالى: "بأييد" ، وهى فى الرسم الإملائى الحديث هكذا: بأيد بياء واحدة .

وقـــد وجه القدماء هذه الزيادة ؛ قال أبو العباس المراكشى: "إنما كتبت" (بأييد) بياءين فرقا بين الأيد الذى هو القوة وبين الأيدى: جمع يد ولا شك أن القوة التى بنى الله بهـــا السماء هى أحق بالثبوت فى الوجود من الأيدى ؛ فزيدت "الياء" لاختصاص (هذه) اللفظة بمعنى أظهر فى إدراك الملكوتى فى الوجود .

فأنـــت تـــرى أن زيادة "الياء" هنا جُلبت لمعنى ، ورمزت إلى لطيفة من لطائف كتاب الله العزيز. وقد يعبر عن هذه اللطيفة فيقال: إن زيادة "الياء" فى هذه الكلمة للتفرقة بين اليد الحسية "الجارحة" وبين "اليد" بمعنى القوة المعنوية. وقد جمعت هكذا "بأييد" و لم تأت مفردة بيد ، مرادا من الجمع تفخيم شأن تلك القوة لأنها قوة الله التى لا تحد.

(أقـــول : يكفى أن ترسم هذه الكلمة على هذه الصورة لتفرق بين يد القدرة التى رفعت الـــسماوت والأرض(بأيـــيد) .. وبين اليد العادية التى تكتب بالصورة العادية(أيد) — فى منهج الرسم القرآنى– ولذلك وردت فى أماكن أخرى-﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْـــدِيكُمْ إِلَـــى التَّهْلُكَةِ .. (١٩٥). ﴾.البقرة.. ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ .. (١٤) ﴾ الـــتوبة.. وقد كتبا بياء واحدة.. وليس المانع هو الإضافة — كما يقال– ولكنه هو هذا الملفت المعجز

الموضع التاسع.. بِأَييِّكم

فى سورة القلم:﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾

هذا هو الموضع الأخير من المواضع التى زيدت فيها "الياء" فى كلمات من القرآن الكريم. والشاهد فى الآية الثانية هو زيادة "الياء" فى "بأييكم" وخلاصة ماقاله الأقدمون فى توجـــيه هذه الزيادة أنها رمز إلى **اختصاصهم هم بالفتنة** دون رسوله الكريم (ﷺ). و لم يبينوا بوضوح دليل هذا الاختصاص.

والذى لاح لنا أن فى الآية الخامسة من السورة نفسها ورد قوله تعالى: (فستبصر ويبصرون) فى هذه الآيه ذكر ضميران فاعلان:

الأول: ضمير مستتر تقديره: "أنت" مخاطبا به رسول الله (ﷺ).

والـــثانى: ضمير ظاهر متصل وهو "واو" الجماعة الغائبين يعود على مشركى العرب فى عـــصر نـــزول القرآن الكريم. وفى الآية السادسة (بأيكم المفتون) ذكر ياءان أحدهما بعد الآخـــر، فـــإذا جعلنا هذين الياءين كنايتين عن الضميرين المذكورين قبلهما ، **كان الياء**

الأول رمــزا إلى ضــمير الرسول فى الآية الخامسة، وكان الياء الثانى رمزا إلى ضمير المشركين فى الآية السادسة.

كــذلك وإذا نظــرنا إلى ترتيب هذين الياءين وجدنا الياء الثانى الذى هو رمز ضمير المشركين هو المجاور للفتنة المفهومة من كلمة "المفتون"

أحدهما: الياء الثانى فى "بأييكم".

والــثانى: المقطع اللفظى "كم" المكون من حرفين وهذا- والله أعلم بسر كتابه- **ملمح ذكــى وقوى يفيد بُعد الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضلال والفتنة كما يفيد فى الوقت نفسه قرب المشركين وقوة صلتهم بالفتنة والضلال.**

إذن ففــى زياد "الياء" فى هذه المواضع التسعة من اللطائف والأسرار ما يدعو إلى زيادة البحث وجديته فى كل خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف ومعالجة المواضع التى لم يوجه الأقدمون سر الخصوصيات فيها وهى كثيرة فى آيات الكتاب العزيز لا تكاد تخلــو مــنها كــل ســورة من سوره جميعا، وكثير ما يكون فى رسم الكلمة الواحدة خصوصيتان أو أكثر.

۞۞**تعلــيق:** (**ويعجب المرء** أشد العجب من أن يسمع من علماء مسلمين يقولون بأن هذه الكتابة وأمثالها خطأ من الكاتب ، ومن سوء هجاء الأولين - كما يقول أحدهم ، بــل ويصرح بها (ابن قتيبة) فى كتابه (تأويل مشكل القرآن)ص ٤٠-٤١ ، مصرحاً بأن كــل ماجاء فى رسم المصحف من وجوه مخالفة للمشهور من قواعد الهجاء عند الكتاب هــو مــن باب الخطأ؟؟!!!! ويقول بعد أن أورد حديث عائشة (المريب والمشكل لدى العلماء) فى غلط الكاتب وحديث عثمان: (أرى فيه لحنا..) يقول ابن قتيبة (وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب أو أن تكون خطأ من الكاتب- كما ذكرت عائشة- رضى الله عنها- .

ثم يقــول: فإن كانت على مذاهب النحويين فليس ههنا لحن ، بحمد الله، وإن كانت خطأ فى الكتاب فليس على الله ولا على رسوله(ﷺ)**جناية الكاتب فى الخط**، ولو كــان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التهجى،.. !!!!!

ويقول: فقد كتب فى الإمام(قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ) طه ٦٣.. بحذف ألف التثنية.......... ثم يتعرض إلى- ما يسميه خطأ الكاتب – فى كتابة كلمة (الصلواة،

والـــزكواة،... الربوا.) ويقول : واتبعناهم- أى كتبة الوحى- فى هذه الحروف خاصة، على التيمن بهم.. وعرج على بعض الأمثلة فى الوصل والوصل- الذى سنشبعه رداً وتحليلاً على الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى -).

ولكن العجب العجاب من عالم كهذا كيف يجهل هذه المقدمات التى أشار إليها السابقون ؟ وكيف أنه لم يقرأ تعدد القراءات فى الآية (أن هذان لساحران).. وكيف أن هذا الألف – الذى حذف – قد حذف لحكمة بالغة وعظيمة، حيث أن القراءات قرأت (لساحران ولساحرين) وأنه فى هذه الحالة لو كتبت بألف ظاهرة لقيدت القارىء بقراءة واحدة وهى التى بالألف ، أما فى حالة حذف الألف ووضع إشارة تدل عليه بدلاً منه فهو إشـــارة آســـرة من الرسم بجواز القراءة بالقراءتين) فكيف يكون هذا خطأ (وجناية) من الكاتب(وهو الصحابى الذى كتب القرآن وأجمعت عليه الأمة) – كما يقول؟!!!..

وهكـــذا – وللأسف- الحال نراه من ابن خلدون ؛ حيث يقول((ولا تلتفتن فى ذلـــك إلى مـــا يـــزعمه **بعض المغفلين** من أنهم – أى الصحابة- كانوا محكمين لصناعة الخـــط..... ومـــا حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تتريهاً للصحابة عن توهم النقص فى قلة إجادة الخط..... وذلك ليس صحيح)؟؟!!..

والعجيب أن د: غانم قدورى(صاحب الرسالة المطولة فى الدراسة التاريخية لرسم المصحف) – يقول بعد نقل هذه الأقاويل (ولا ينبغى أن ننخدع بما فى كلام العلامة ابن خلدون- رحمه الله-.(وهذا كلام طيب من د: قدورى ولكن للأسف سينقضه بعد قليل بعرضـــه لـــرأيه بصورة أخرى سنناقشها تحت عنوان "الرأى الآخر ود: غانم قدورى!!). وبعـــد أن يؤكد على رهافة حس الصحابة اللغوى – كما يقول- ويخطىء ابن خلدون (بأنـــه كان يتصور بأن هناك نظاماً للكتابة- فى أول الإسلام.. وأن الصحابة قد قصرت هممهـــم عن إجادة استخدام ذلك النظام الكتابى، فوقع نتيجة لذلك ما جاء فى المصحف من(أخطاء)..!!

وبعـــد أن يعلق بكلام طيب قائلاً وناقلاً قول المدافعين عن هذا الحق ((وإذا كان سلفنا الصالح من علماء الأمة الذين ذهبوا إلى هذا المذهب قد عصمهم إيمانهم عن الخطل فى القـــول، فعـــبروا بأسلوب العالم الأمين المخلص لكتاب ربه المجل لحملته وكاتبيه عما وصل إليه علمهم وبلغه اجتهادهم فى فهم تلك القضية ، فإن طائفة من المحدثين تنسب إلى العلم أطلقت ألسنتها تصف الرسم بما نجل الرسم والصحابة الذين كتبوه عن مجرد ذكره،

وهـــو إن دل علـــى شيء فإنما يدل على الجهالة فى العلم والبلادة فى الذهن والقصور فى الإدراك، إن لم يـــدل علـــى ســـوء النـــية وخـــبث القـــصد والعـــداء لكـــتاب الله العزيز)..............

ولكـــنه رغـــم ما قاله هذا يصر على أن هذا الرسم ليس له أى وجه من وجوه الحكمـــة **سوى أنه تطور فى تاريخ الكتابة**.. حيث أنه كانت تكتب الكلمات بالواو .. وتطورت الكتابة بعد ذلك فكتبت **بعض هذه الكلمات بالألف، وبقيت الأخرى** كما هى بالواو لتدل على هذا التطور التاريخى للكتابة ، دون أن يكون لذلك أى وجه حكمة ســـوى هذا الجانب التاريخى الذى يجب أن نفهم خصوصية الرسم المصحفى عليه !! – حسبما يقول- وبذلك – حسب زعمه – تحل جميع هذه الإشكالات القائمة ؟؟؟؟!!!!

والآن نقف على بعض هذه المغاليط لنبين وجه الحق والحقيقة فيها.

حديث "إن فى القرآن لحنا..."

وهـــنا لابد لنا من وقفة هامة جداً مع بعض العلماء الذين يلهثون وراء تصحيح بعـــض الأحاديث التي تنادى على نفسها بالكذب والتلفيق؛ ومنها هذا الحديث الغريب العجيب ((فيروى أن أبا عمرو بن العلاء بلغه عن بعض أصحاب رسول الله (ﷺ)أنه قال: إن فى المـــصحف لحناً وستقيمه العرب. وفى رواية أخرى فإن العرب ستغيرها- أو قال: ســـتعربها بألـــسنتها ، لـــو أن الكاتـــب من ثقيف والمُملى من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف")). وأخرج أبو بكر الأنبارى (ت٣٢٧هـــ) من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر وأبو بكر بن أشتة (ت٣٦٠هـــ) من طريق يحيئ بن يعمر (ت١٢٩هـــ) نحو ما رواه أبو عبيد. وكذلك ابن أبى داود (ت٣١٦هـــ) الخبر من عدة طرق وأوردة الفراء (ت٢٠٧هـــ) من غير أن يسنده إلى عثمان- رضى الله عنه-

وأخرج الفراء وأبو عبيد وابن أبى داود والدانى عن أبى معاوية الضرير عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال: "سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله فى سورة طه إنْ هَـــذَان لَـــسَاحِرَان.. وعـــن قوله فى سورة النساء﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِـــنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) ﴾ وعن قوله فى سورة المائـــدة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِـــلَ صَـــالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩).. ﴾. فقالت: يا ابن أختى هذا عمل الكتاب أخطأوا فى الكتاب".

وروى ابن أبى داود عن سعيد بن جبير (٤٥-٩٥هـــ) نحواً من ذلك وروى أبو عبـــيد وابن أبى داود أن الزبير بن أبى خالد قال: قلت لأبان بن عثمان كيف صارت فى ســـورة النساء آية ١٦٢. ما بين يديها وما خلفها رفع وهى نصب قال: من قبل الكاتب كتب ماقبلها ، ثم قال: ما أكتب؟ قيل اكتب (المقيمين الصلوة) فكتب ما قيل له.

وقـــد تحدث العلماء عن هذه الأخبار وما قيل فى معناها فضعف بعضهم روايتها وردهـــا لذلك ، وتأول بعضهم ما ورد فيها من معنى الخطأ أو اللحن ، يقول السيوطى: "وهذه الآثار مشكلة جداً وكيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون فى الكلام فضلاً عن القـــرآن، وهم الفصحاء اللدا!، ثم كيف يظن بهم ثانياً فى القرآن الذى تلقوه من النبى (ﷺ)كما أنزل، وحفظوه وضبطوه ، وأتقنوه! ثم كيف يظن بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته! ثم كيف يظن بهم رابعاً عدم تنبههم ورجوعهم عنه!

ثم كـيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغيره! ثم كيف يظن أن القراءة استمرت علـى مقتضى ذلك الخطأ وهو مروى بالتواتر خلفاً عن سلف! هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة".

وأشرنا من قبل إلى مذهب ابن قتيبة فى تلك الأخبار وقد لخصه بقوله: "وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها- أى له وجه مـن الإعراب صحيح يعلمه أهل اللغة- أو أن تكون غلطاً كما ذكرت عائشة- رضى الله عنها- فإن كانت على مذاهب النحويين(أى لها توجيه نحوى سليم) فليس ههنا لحن بحمد الله ، وإن كانت خطأ فى الكتاب فليس على الله ولا على رسوله (ﷺ) جناية فى الخط".!!!!!!

((وهذه -كما نرى – مصيبة عظمى أن يقال مثل هذا الكلام من عالم كهذا ، ونفـس هـذا الكـلام سيقوله عن رسم المصحف!!!! وسنرى خطأ ما قاله على الـصفحات القادمة إن شاء الله)) وكنا فى غنى أن نسمع تبريرات البعض من العلماء لتمرير هذا الحديث (المعيب)، ولكننا سنعرض إليه ببعض التفصيل لخطورته وخطورة معناه .

ويـذهب ابن أبى داود إلى أن المقصود باللحن إنما هو اللغة ، وأن معنى الألحان اللغات ؛ مثل قول عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- إنا لنرغب عن كثير من لحن أُبى ، يعنى: لغة أُبى. وقال فى الخبر المروى عن عثمان- رضى الله عنه- هذا عندى يعنى: بلغتها، وإلا لـو كـان فيه لحن لا يجوز فى كلام العرب جميعاً لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرءونه")

ويقول أيضاً: "ولا يجوز عندى أن يجتمع أهل الأمصار كلها وأصحاب النبى (ﷺ) معهم على الخطأ وخاصة فى كتاب الله عز وجل".

وقـد رد أبو بكر الأنبارى الأخبار المروية عن عثمان بن عفان فى ذلك- كما ينقل السيوطى- وهى عنده "لا تقوم بها حجة لأنها منقطعة غير متصلة"

كذلك هو ينفى أن يكون معنى قوله "أرى فيه لحناً" أرى فى خطه لحناً إذا أقمناه بألـسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب لأن الخـط منبـئ عن النطق فمن لحن فى كتبه فهو لاحن فى نطقه ، ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً فى هجاء ألفاظ من جهة كتب ولا نطق.

ونقل **السيوطي** أيضاً رأى ابن أشته فى الأخبار المروية عن عثمان وما يذهب إليه فى توجـــيهها، فيروى أنه قال: "**لعل من روى تلك الآثار السابقة عنه حرفها ولم يتقن اللفظ الذى صدر عن عثمان ، فلزم منه ما لزم من الإشكال ، فهذا أقوى ما يجاب عن ذلك**".

ويقـــول السيوطى: إن تلك الأجوبة لا يصلح منها شئ فى الإجابة عن حديث عائشة، ثم ينقل ما قاله ابن أشته فى ذلك وتبعه فيه ابن جبارة (أحمد بن محمد المقدسى ت ٧٢٨هـــــ) فى شرح الرائية **بأن معنى قولها "أخطأوا" أى فى اختيار الأُولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه لا أن الذى كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز.**

وتـــناول أبو عمرو الدانى تلك الأخبار بالنقد والتوجيه فقال عن الخبر الذى يـــروى عن عثمان: "هذا الخبر عندنا لا تقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين: **إحداهما أنه مع تخليط فى إسناده واضطراب فى ألفاظه مرسل** لأن ابن يعمر وعكرمة لم يـــسمعا مـــن عثمان شيئاً ولا رأياه، وأيضاً فإن ظاهر ألفاظه ينفى وروده عن عثمان- رضـــى الله عـــنه- لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده فى بذل النصيحة واهتباله بما فيه الصلاح للأمة.."

ثم يوجه معنى اللحن فى الخبر- **لو صح- بأن المراد به التلاوة دون الرسم** ؛ إذ كان كثير منه لو تلى على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها من مثل (أو لا أذبحنه) وما شاكله.((وهذه سنقف لها على تعليق فى حينها))

ويـــرى الـــدانى فى قـــول عثمان- رضى الله عنه- فى آخر هذا الخبر: (لو كان الكاتـــب من ثقيف والمملى من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف) أن معناه لم توجد فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعانى دون الألفاظ المخالفة لذلك؛ إذ كانت قريش ومن وَلِـــىَ نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك فى كثير من الكتابة وسلكوا فيها تلك الطـــريقة و لم تكـــن ثقيف وهذيل مع فصاحتها يستعملان ذلك، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرسمتا جميع تلك الحروف على حال اســـتقرارها فى اللفظ ووجودها فى المنطق دون المعانى والوجوه، إذ إن ذلك هو المعهود عندهما والذى جرى عليه استعمالهما.

وإذا صـــح ذلك فينبغى البحث عن معنى آخر للحن الوارد فى الأخبار المذكورة بعيداً عن مفهوم الخطأ فى الإعراب.

ويبدو أن المعنى المناسب لذلك هو أن اللحن جاء بمعنى اللغة وطريقة الكلام إذ تشير مجموعة من النصوص المروية من تلك الفترة على أن من بين معانى اللحن اللغة أو القــراءة ، فمــن ذلك الحديث الذى يرويه حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله (ﷺ)يقــول: "اقرءوا القرآن بألحان العرب" وفى رواية: "بلحون العرب وأصواهما وإياكم ولحــون أهل الفسق وأهل الكتابين" ومن ذلك ــ أيضاً ــ ما يرويه البخارى من قول عمر ــ السابق ــ "أُبيّ أقرؤنا وإنا لندع من لحن أُبيّ...." أى لغة أُبيّ وقراءته.

وعلى ذلكِ فقد رجح بعض العلماء أن يكون المقصود بقول عثمان رضي الله عنه ــ إن صح ــ إنما هو تلاوة الحروف المرسومة بزيادة حرف أو نقصانه مما لو قرئ علي وجهه لتغير اللفظ وفسد المعنى، أى أن هناك كلمات على القارئ أن يقيم قراءهما وفقاً لما تلقاه وسمعه دون ما يجده مكتوباً فى الخط.

أمــا حــديث عروة الذى يرويه عن عائشة فإن علينا أن نشير أولاً إلى بعض الحقائــق المتعلقة بالآيات التى وردت فيه وأول هذه الحقائق هى أن الكلمات موضع السؤال قد جاءت صحيحة فى رسمها جارية على قواعد الهجاء فكلمة(هَذان) فى الآية الأولى الــواردة فى الخــبر جاءت على وفق القاعدة التى جرى عليها الرسم العثمانى من حذف ألف(ها) التي للتنبيه ووصلها بما يليها من اسم الإشارة أو نحوه وحذف الألف من (ذان)على نحو حذفها من كل مثنى ((ولكن الصحيح فى ذلك أن – هذه الكلمة فى هذه الآيــة فقــط رسمت على هذا الشكل لأن لها قراءتان.(هذان ، هذين) فكان الأنسب والأوفــق لهاتين القراءتين هو حذف الألف ، وهذا من قمة الروعة والإعجاز فى رسم الكلمة))

وبالرجوع إلى القراءات الصحيحة المروية فى هذه الكلمات يمكن أن يتاح لنا فهم ســر رسمهــا على ذلك النحو فالآية الأولى رقم ٦٣ [فى سورة طه]إن هذن) قرأها ابن كثير- وحده- بتخفيف(إن) و(هذان) بالألف مع تشديد النون ، وقرأ حفص كذلك إلا أنــه خفــف نون(هذان) ووافقه ابن محيصن وقرأ الباقون ما عدا أبا عمرو بتشديد(إن) و(هــذان) بالألــف وتخفيف النون وقرأ أبو عمرو(إن) بتشديد النون و(هذين) بالياء مع تخفيف النون ، ونجد أن أوضح القراءات فى هذه الآية معنى ولفظاً وخطاً هى قراءة ابن كــثير وحفص وذلك أن(إن) المخففة من الثقيلة أهملت و(هذان) مبتدأ و(لساحران) الخبر ، واللام للفرق بين النافية والمخففة ، وقراءة أبي عمرو واضحة من حيث الإعراب والمعنى رغم مخالفتها الرسم ، وقد تكلم أهل العربية فى توجيه القراءة الأخرى.

(((وسنقوم بالشرح والتفصيل السبب فى وضع هذه الكلمات القرآنية على هذا الرسم ، وسنرى فيه- على الصفحات القادمة- أجمل وأروع نواحى الإعجاز الذى أظهره لنا هذا الرسم القرآنى المعجز)))) **ويكمل د: قدورى :**

أمـــا الآيـــتان فى سورة النساء الآية ١٦٢. وسورة المائدة الآية ٦٩. فقد اتفق **الجمهـــور على قراءة (والمقيمين)** بالياء منصوباً على نحو ما هو مرسوم إلا رواية يونس وهارون عن أبي عمرو لها بالواو **وقراءة عاصم الجحدرى لها بالواو كذلك مع محافظته علـــى رسمهـــا بالـــياء**.(أى أنه يعلم أن هناك إجماع على هذه القراءة والرسمة المتواجدة بالمصحف ولكنه يعرض جواز قراءة أخرى)

واتفقـــوا كـــذلك على قراءة **(الصبئون)** بالواو على نحو ما هو مرسوم إلا ابن محيـــصن فقد قرأها بالياء والجحدرى كذلك، **وما دامت قراءة العامة قد جاءت موافقة للرسم على هذا النحو وقد تواترت عن القراء فلا مجال- إذن- للكلام هنا عن الخطأ فى الرسم أو القراءة ، خاصة أن النحاة قد تكلموا على ما فى الآيتين من تخالف إعرابى ووجهـــوا ذلك بوجوه كثيرة رغم أن القراءة إذا صحت روايتها لا ينظر فى موافقتها قواعد النحاة ولا يطلب لها التعليل والمثال من كلام العرب؛ فصحة روايتها هى نفسها أقـــوى فى الدلالـــة على علوها فى الفصاحة والعربية من التماس قول مجهول أو شعر مـــنحول لتوجيهها ، وما أجل قول الفخر الرازى فى** هذا المعنى حين يقول: "**إذا جوزنا إثـــبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيراً ما ترى النحويين متحيرين فى تقرير الألفاظ الواردة فى القرآن ، فإذا استشهدوا فى تقريرها ببيت مجهول فـــرحوا به ، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلاً على صحتها فلأن يجعلوا القرآن دليلاً على صحتها كان أولى**".

ويقول الدانى بعد أن ناقش ما ورد فى دلالة الخبر: "على أن أم المؤمنين- رضى الله عـــنها- مع عظيم محلها وجليل قدرها واتساع علمها ومعرفتها بلغة قومها لَحنت الصحابة ، وخطأت الكتبة ، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة موضعهم الذى لا يُجهل ولا ينكر ، هذا ما لا يسوغ ولا يجوز" .

ونخلـــص مـــن ذلـــك كله إلى نفى دلالة الخبرين على وقوع الخطأ فى الرسم العثمانى، . . ،

ويقـــول **د: غـــانم قـــدورى:** فهذا الاتجاه القائل بأن ما جاء من رسم بعض الكلمـــات فى المصحف على طرق مخصوصة خالفتها القواعد التى وضعها علماء العربية

لاحقاً هو من خطأ الكاتب لا يقوم- إذن- على خبر صحيح ولا استنتاج مؤيد بدليل ، **بــل هو رأى أنتجه** (**النظر غير المتمهل**) **إلى هجاء الكلمات** ، مع فقدان الحس بالجانب التاريخــى للكتابة والتعلق بأن الأصل فى الكتابة موافقة الخط للفظ ، **فلا ينبغى للناظر فى الرسم العثمانى إلا أن يستبعد فكرة الخطأ وهو يحاول أن يجد التفسير الصحيح لظواهر الهجــاء الواردة فيه وأن يتوقف عن القول فى ما لم يتوفر فيه ما يرجح به رأياً أو يقدم تفــسيراً لأن جانباً كبيراً من تاريخ الكتابة العربية فى تلك الفترة المتقدمة لا يزال غير معــروف** ويظل الرسم العثمانى بكل ما يقدم من أمثلة وصور لرسم الكلمات خير ممثل لواقع الكتابة العربية فى تلك الحقبة ولا شك فى أن كشف جديد فى مجال النصوص القديمة المكتوبة سيزيد الحقائق الكتابية التى يقدمها الرسم تأكيداً ووضوحاً بعيداً عن فكرة الخطأ الــتى يجب أن تكون آخر احتمال فى هذا المجال بل على الباحثين استبعاد فكرة الخطأ فى هذه المرحلة من البحث حيث تشير كل الدلائل إلى أن ما جاء فى رسم المصحف هو واقع كتابى تميزت به الكتابة العربية فى تلك الفترة .

وهــنا نقــف وقفة أخرى للرد على شبهاتهم الواهية التى ذكروها فى معرض الحديث السابق الذى نسبوه إلى السيدة عائشة زوراً وبهتاناً وهى ما نسميه نحوياً(رفع المعطوف على المنصوب)فى رسم كلمة "الصابئون"

منشأ هذه الشبهة:

فى سورة المائدة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ مخالفة لوضعها فى الآيــتين الأخــرتين فى ســورة البقرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وســورة الحــج ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) .. ﴾. التى وردتا بالياء على النصب (الصابئين)

هــذه الآيــة هــى منشأ هذه الشبهة عندهم لأنهم نظروا فيما بعد "الواو" فى "الــصابئون" وقارنوا بينه وبين "الذين آمنوا" الواقع بعد "إن" وهى حرف ناسخ ينصب "المبتدأ" ويرفع "الخبر" ، واسم "إن"- هنا- هو "الذين" وهو مبنى لأنه اسم موصول.

وقد عطف عليه "الذين هادوا" أما "الصابئون" فجاءت مرفوعة بـــ"الواو" لأنها جمع مذكر سالم وجاء بعدها "النصارى" . وكل من "الذين" فى الموضعين السابقين على "الـــصابئون" وكذلك "النصارى" إعرابها تقديرى ، لا يظهر لا فى الخط ولا فى النطق ، وذلـــك لأن الأسم الموصول "الذين" من المبنيات على حالة واحدة ، أما "النصارى" فهو اسم مقصور يتعذر ظهور حركة الإعراب عليه .

وخصوم القرآن – بل بعض الذين يدعون فهماً فى القرآن- نظروا فى نظم هذه الآية الحكيمة وقالوا إن فيها خطأً لغوياً (نحوياً) لأن "الصابئون" معطوفة على منصوب

الرد على الشبهة:

للـــنحاة والمفسرين فى توجيه رفع "الصابئون" فى هذه الآية عدة آراء منها ما هو قوى مشهود له فى الاستعمال اللغوى عند العرب الخلص، ومنها ما هو دون ذلك، وقد بلغت فى جملتها تسعة توجهات نذكر منها ما يلى:

الأول: ما قاله جمهور نحاة البصرة الخليل وسيبويه وأتباعهما قالوا: إن "الصابئون" مرفوع على أنه "مبتدأ" ، وخبره محذوف يدل عليه خبر ما قبله- "إن الذين آمنوا" – قالوا: والنية فـــيه الـــتأخير؛ أى تـــأخير "والصابئون" إلى ما بعد "والنصارى" ، وتقدير النظم والمعنى عـــندهم: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون **والصابئون كذلك**".

ومن شواهد هذا الحذف عند العرب قول الشاعر:

نحن بما عندنا *وأنت بما عندك "**راض**" والرأى مختلف

فقد حذف الخبر من المبتدأ الأول – وتقديره نحن بما عندنا "**راضون**"– لدلالة الثانى عليه "راض" . والمعنى: نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض.

وقول الآخر: ومن بك أمسى بالمدينة رحله فإنى* وقيار بها لغريب

والتقدير: فإنى **لغريب** وقيار كذلك.

وقول الشاعر: وإلا فاعلموا أنا * وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق

الشاعر يصف الفريقين أنهم "بغاة" إن استمروا فى الشقاق والتقدير: اعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك.

وهكذا ورد فى الاستعمال اللغوى عند العرب أن الجملة الإسمية المؤكدة بـــ"إن" يجوز فيها مبتدأ آخر غير اسم "إن" ، وأن يذكر خبر واحد يكون لإسم "إن" ويحذف خبر

المبـــتدأ الثانى لدلالة خبر اسم "إن" عليه، أو يحذف خبر اسم "إن" ويكون الخبر المذكور للمبتدأ الثانى دليلاً على خبر اسم "إن" المحذوف .

ونظم الآية التى كانت منشأ الشبهة عندهم لا يخرج عن هذه الأساليب الفصيحة التى عرفناها فى الأبيات الشعرية الثلاثة ، وهى لشعراء فصحاء يُستشهد بكلامهم.

** **الثانى**: أن "إن" فى قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" ليست هى "إن" الناسخة التى تنصب المبتدأ وترفع الخبر، بل هى بمعنى: "**نعم**" يعنى حرف جواب ، **فلا تعمل** فى الجملة الاسمية لا نصباً ولا رفعاً، وعلى هذا فالذى بعدها مرفوع المحل لأن "**الذين**" اسم موصول وهو مبنى فى محل رفع ، وكذلك "الصابئون" فإنه مرفوع لفظاً وعلامة رفعه "الواو"، لأنه جمع مذكر سالم مفرده "صابئ". وقد استعملها العرب كذلك قال قيس بن الرقيات:

برز الغوانى من الشباب يلمننى وألومهنه

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت إنه

أى فقلت: نعم.

وعلـــى هذا فإن كلا من "الذين" و "الصابئون" والنصارى أسماء مرفوعة إما محلاً وهما: الـــذين " فهـــى مبنية فى محل رفع، والنصارى مرفوعة بضمة مقدرة لأنها اسم مقصور لا تظهر على آخره حركات، **وإما لفظاً** مثل: "الصابئون" فهى مرفوعة لفظاً بواو الجماعة.

وعليه- كما كان فى المذهب الأول- فلا خطأ فى الآية كما زعم خصوم القرآن.

أما المفسرون: فقد اختار الزمخشرى منهم المذهب الأول المعزو إلى جمهور علماء البـــصرة ؛ ومن شيوخهم الخليل وسيبويه فقال: "والصابئون" رفع على الابتداء ، وخبره محذوف ، والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك "**ثم وقال : فإن قلت ما التأخير والتقديم إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم؟**

قلـــت : فائدتـــه التنبـــيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الـــصالح فما الظن بغيرهم؟ وذلك لأن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا ، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبأوا عن الأديان كلها أي: خرجوا .

وقـــال الإمـــام الـــشوكانى: "والصابئون" مرتفع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون **والصابئون والنصارى كذلك**".

وقـــد ألمح الإمام الشوكانى إلى إضافة جديدة خالف بها كلا من الخليل وسيبويه والزمخشرى لأن هؤلاء جعلوا "**الصابئون**" مقدما من تأخير كما تقدم، أما هو فجعله قاراً فى موضعه غير مقدم من تأخير بدليل قوله: "**والصابئون والنصارى** كذلك" وهذه إضافة حسنة ومقبولة. وعليه يمكن جعل "النصارى" مرفوعة عطفاً على "الصابئون" ولا حاجة إلى جعلها منصوبة عطفاً على "إن الذين آمنوا".

والواقـــع أن هـــذا المذهب- على جملته- الذى ذهب إليه جمهور علماء البصرة وتابعهم فيه الإمام الشوكانى هو أقوى ما أورده النحاة فى توجيه رفع "الصابئون" فى هذه الآية الكريمة. أما بقية الآراء فهى دون ذلك بكثير.

هذا هو توجيه رفع "الصابئون" عند جمهور النحاة والمفسرين.

أما توجيهه بلاغة فهو ما يأتى:

إن مخالفة إعراب "الصابئون" عما قبلها سواء كانت مقدمة من تأخير على رأى الجمهـــور أو غير مقدمة على رأى الإمام الشوكانى فيه لمحة بلاغية رائعة تشير إلى وجود فرق كبير بين هذه الطوائف الأربع: * الذين آمنوا.* الذين هادوا.* النصارى.* الصابئون.

فالطوائف الثلاث الأولى يربط بينها رابط قوى هو أن كل طائفة منها لها كتاب ورسول من عند الله عز وجل.

فالـــذين آمـــنوا لهم كتاب هو القرآن ورسول هو محمد (ﷺ).والذين هادوا لهم كـــتاب هو التوراة ولهم رسول هو موسى عليه السلام.والنصارى لهم كتاب هو الإنجيل ولهـــم رسول هو عيسى عليه السلام.أما الصابئون فليس لهم كتاب ولا رسول وهم على ضـــلال مطبق لا ذرة من هداية فيه. والمقام الذى تتحدث عنه الآية هو فتح باب القبول عند الله لكل من آمن إيماناً صحيحاً صادقاً وداوم على عمل الصالحات ، فالإيمان يمحو ما قـــبله ولا ينظر الله إلى ماضيهم الذى كانوا عليه من كفر ومعاصٍ ، والآية بدأت بالذين آمنوا ليستمروا على إيمانهم الذى هم فيه ويلتزموا بعمل الصالحات ، والله سيجزيهم خير الجزاء على إيمانهم المستمر وصلاحهم الدائم.

ثم ثنت بالذين هادوا يعنى: اليهود وهم كانوا فى عصر نزول القرآن قد غالوا فى ديـــنهم وحادوا عن الحق وغيروا وبدلوا فيما أنزله الله على أنبيائهم فوعدهم الله إذا آمنوا إيمانـــاً صحيحاً صادقاً وتابوا إلى الله من كل ما ابتدعوه فى عقائدهم واتبعوا ما أنزل الله على خاتم رسله بأنهم سيكونون فى أمن من عذاب الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وكذلك النصارى حيث جعلوا لله صاحبة وولدا وغالوا كثيراً فى دينهم. إذا آمنوا إيماناً صحيحاً صادقاً وبرئوا من عقائدهم التى ابتدعوها وأصلحوا شأنهم وآمنوا بما أنزله الله على خاتم رسله ولزموا العمل الصالح كان سعيهم عند الله مشكورا ووقاهم الله عز وجل من الخوف والحزن يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثم زاد الله فى ترغيب هذه الفرق الثلاث فيما عنده بأن يجعل هذا الفضل للصابئين الذين خرجوا عن جميع الرسالات السماوية ، **وإذا كان الله يقبل منهم إيمانهم إذا آمنوا ويثيبهم على عمل الصالحات فإن الذين آمنوا واليهود والنصارى أولى بالقبول عند الله إذا آمنوا وعملوا الصالحات.**

ومن أجل هذا خولف إعراب و"الصابئون" ليلفت الأذهان عند قراءة هذه الآية أو سماعها إلى الوقوف أمام هذه المخالفة وليتساءل القارئ أو السامع ما سبب هذه المخالفة ثم يقوده هذا التساؤل إلى الحصول على هذا المعنى الذى تقدم.

فهذه المخالفة أشبه ما تكون بالنبر الصوتى فى بعض الكلمات التى يراد لفت الأنظار إليها عند السامعين

قالوا: والواو فى "والصابئون" ليست لعطف المفردات على نظائرها وإنما هى **لعطف "الجمل"**، و"الواو" التى تعطف جملة على أخرى لا تعمل فى مفردات الجملة المعطوفة لا رفعا ولا نصبا ولا جرا، بل تربط بين الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها فى المعنى دون الحركات الإعرابية.

ولكن يبقى السؤال : لماذا كانت هذه المخالفة فى سورة المائدة فقط ولم تكن فى آية البقرة أو الحج؟ والمخالفة هى:

(ا) **لماذا رفع الصابئون** هنا فقط وكان حقها أن تنصب مثل آية البقرة والحج، وقد أجبنا عن أن ذلك جائز نحوياً ولا شك فى ذلك ، وأنه ليس فيها أى خطأ نحوى.، وهذا أمر ثابت ويتوقعه أى عاقل دارس لسيرة الإسلام وسيرة الذين نزل فيهم القرآن ، وهم فطاحل اللغة وفرسان البيان ، و لم يقم أحد منهم بتخطيء القرآن فى ذلك ، وهم الحريصون على ذلك وهو يتحداهم ليل نهار ويقرع أسماعهم (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ البقرة).

الأمـــر الـــثاني : هـــو لماذا قدم الصابئون -- بعد رفعها -- على النصارى ؟ وفى الآيتين الأخريين قدم النصارى على الصابئين .

ونقـــول أنه إذا كان المراد هو الترتيب الزمني للإيمان فهو: الذين هادوا أولاً ، ثم النصارى ، ثم الصابئون الذين قيل فيهم أنهم خرجوا من عباءة النصرانية -- على رأى من الآراء - ، وهـــذا الترتيب بهذه الصورة يراعى فيه تشريف الكتب التي نزلت - حتى وإن انحـــرف بهـــا أصحابها- .(وهذا الترتيب على هذين المعنيين هو ماحدث فى آيتى البقرة والحج، فسورة البقرة تحكي عن الخلافة والإمامة فى الأرض ؛ بدأها من آدم عليه السلام وقوله(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) وقوله لإبراهيم أبو الأنبياء: إنى جاعلـــك للـــناس إماما....) ثم يثني بعد ذلك بالإمامة الدينية (لبنى إسرائيل) وهو ترتيب زمـــنى وديـــنى فى طريق رحلة الخلافة الدينية ، فكان هذا التقديم فى موقعه الطبيعي- النصارى على الصابئين -.

مـــع ملاحظـــة أن الحـــديث فى سورة القرة يركز على اليهود فقط دون ذكر للنصارى **بخلاف سورة المائدة التى حدث فيها الآتي:**

(١) المـــشهد فى هـــده السورة يركز تركيزاً شديداً على ضلال النصارى فى قولهم الذى يحكيه القرآن ويقرعهم عليه فى هذه السورة فقط بهذه الشدة وبهذا الوضوح: **﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُـــمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْـــصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْـــتَهُوا عَمَّـــا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) .. ﴾** وأرجو من القـــارىء الكريم أن يراجع سلسلة كتبنا فى مقارنة الأديان وخاصة كتابنا (فلسفة العمران بين الإسلام والعقائد الأخرى) ليرى بالدليل القاطع -- حتى من أقوال علمائهم من علماء الغـــرب وشـــهادة الـــتاريخ بكاملة - التى تفيد - بكل حزن وأسى -- أن هذه العقيدة النـــصرانية هـــى نتاج العقائد الوثنية والصابئة ، وأنها مقتبسة منها اقتباساً كاملاً شديد المطابقة ، والقارىء لأقوال علماء التاريخ وباحثى الأديان يصل بك إلى نتيجة هامة وهى: أنه لافرق بين تقديم النصارى على الصابئين ، أو تقديم الصابئين على النصارى ؛ فهما فى العقيدة سواء.

وحيـــنما يدرس القارئ سيرة وواقع النصارى العقائدى ، والذى يعلمه الجميع ، يدرك هذا المعنى جيداً دون عناء ؛ فهذا (روMLيوس بن ريا سلفيا) ادَّعوا له أنه ابن الله وأن

أمــه – ريـــا سلفيا – نذرت نفسها للعفة و لم تتزوج، وحملت من إله الحرب"مارش" ، وصُلِب ابنها "رومليوس" – الإله أو ابن الإله – فداء للبشرية أيضاً ، وقام أيضاً من قيامته قـــبل مولد عيسى عليه السلام بستمائة عام تقريباً ، ومثله مئات من الآلهة التى اخترعتها الفئات الصابئة التى صبأت (خرجت وحرفت) الأديان – قبل وبعد النصرانية -. وراجع عزيزى القارىء تاريخ بوذا وفشنا وكرشنا وسيفا وغيرهم وكيفية المضاهاة لقول الذين كفروا فى آلهتهم وأنهم ثلاثة فى واحد أيضاً، وصدق الله عز وجل فى قوله عنهم (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) ، ولذلك قال الإمام ابن الزبير الغرناطى فى ملاك التأويل رداً علـــى ســؤال حـــواه: لماذا قدم اليهود على النصارى فيقول: قلت النصارى أقرب إلى الصابئين من حيث التثليث وسوء نظرهم فى ذلك وتصورهم، ثم إنهم لم يجر لهم ذكر فيما تقدم (سورة البقرة) بخلاف يهود..

وأقول : انه لأجل هذه المعانى قُدِّم الصابئون على النصارى فى سورة المائدة

ونضيف ملحظ آخر وهو : أن الحديث عنهم هنا – فى المائدة – عن حكمهم فى الآخرة، والحكـــم فى الآخـــرة لايكون التقديم لهم على المسميات – يهودى أو نصرانى – بل إن الصابىء – الذى نظن فيه فقدان الأمل– يسبق هؤلاء الفئة المحرفة من النصارى ، والعبرة كمـــا نقول بالعمل الذى يقدم هذه الفئة وليس ترتيب المسميات الملية فى الآخرة ؛ فمن (آمن وعمل صالحاً) فهو الفائز.

ولذلك وبعد هذا السرد – وفى سورة المائدة التى تركز تركيزاً شديداً على ضلال الأمـــة النصرانية بهذه الصورة – كان من العظمة والإعجاز أن يقدم النص القرآنى كلمة "الصابئون" على "النصارى" لفتاً لهذا المعنى التصويرى والتوبيخى فى آن واحد لهذه الأمة التى أصبحت أسوأ من الأمة الصابئة التى لم يأتها وحى من الله ، ولايمكن التعبير عن هذه المعانى فى هذا الجو الذى رسمته سورة المائدة إلا بتقديم الصابئين على النصارى، ولفت نظر القارىء لهذا لنص فى هذا السياق للوقوف على هذا المعنى والتأمل فى هذا المقصود.

ولكن النص القرآنى المعجز يريد فوق ذلك كله أن يقول: أنه قدم "الصابئين" لهذا الغـــرض التوبيخى كما ذكرنا – ولكنه يريد أن يشير إلى أن مقام الصابئين هو التأخير – ولذلك قام النص – إشارة على هذا المعنى - بتغيير إعراب الكلمة (وكتبها الصابئون بدلاً من الصابئين) لهذا الملفت ، وللملفت الذى ذكره الإمام الزمخشرى وغيره ، والذى يقول فيه : **فإن قلت ما التأخير والتقديم إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم؟**

قلـــت : فائدتـــه التنبـــيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الـــصالح فما الظن بغيرهم؟ وذلك لأن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا ، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبأوا عن الأديان كلها أي: خرجوا .

وربمـــا يتخـــيل القارىء أن النصارى أفضل من اليهود، وكان يجب تقديمهم علـــيهم لهـــذا السبب ، ويستند لقوله هذا على قول الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَـــدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُـــوا إِنَّـــا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَـــنَا رَبُّـــنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦). ﴾.

وهـــذا فهم خاطىء بُنى على أساس صحيح من أنهم أرق قلباً من اليهود وأقرب إلينـــا مـــن يهود وفيهم الصالحون من القسيسين والرهبان الذين وصفهم النص القرآنى السابق، بخلاف البعض الآخر منهم الذين لعنهم الله فى آيات أخرى .. والذى يهمنا الآن هو سوء هذا الفهم والخلط بين مشاعرهم تجاهنا — التى هى أخف عداءً من اليهود— وبين الحكـــم على عقائدهم وتثليثهم المحرف والمخرف ، فيهود فى توحيد الله أقرب إلى توحيد المسلمين من النصارى ؛ فالإله عندهم واحد ولايتعدد بالنصوص الكثيرة فى التوراة لديهم .بخـــلاف عقيدة النصارى التى هى أضل عقائد أهل الأرض وأبعد عن وحى السماء ومن توحيد المسلمين.

فلأجل هذين المعنيين كان هذا التقديم للصابئين ومخالفة الإعراب بجعلها مرفوعة بدلاً من النصب الذى شرحناه

ونعود لنستعرض للقارىء أحداث سورة المائدة وحديثها الخاص عن النصارى بصفة خاصة وعن أهل الكتاب بصفة عامة ، حيث أنه لم يعد الحديث عن اليهود فقط ، بـــل هـــو عـــن الـــيهود والنـــصارى معـــاً حـــيث يقـــول:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِـــيهِ هُـــدًى وَنُـــورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦)

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴾.. ..﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾

.......ثم يدخل بنا السياق تدريجياً إلى الحديث عن أجر وثواب العاملين منهم والمؤمنين بمحمد(ﷺ) فيقول:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ((هذا أجر لهم)) ولذلك سوف لايذكر الأجر فى آيتنا المقصودة القادمة بعد هذه الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) ﴾ولم يقل (ولهم أجرهم) كما قال فى سورة البقرة فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم..وهذا من روائع البيان فى عدم التكرار الذى لايلحظه العامة....

ثم تكمل الآيات جزاءهم فيقول:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾

فهنا تبين أن الترتيب ليس بمسمى الديانة أو الترتيب الزمنى بل هى تؤكد على العمل والتقوى ؛ حتى وإن كان صاحبها من الصابئين فله السبق بعمله هذا.

ثم يقوم النص بتوضيح الصورة من أن التفاضل فى حكم الآخرة ليس بالترتيب الزمنى أو المسمى الدينى (يهودى ونصرانى) وإنما الترتيب هنا فى الآخرة على عملهم فى الدنيا وإن لم يعملوا و لم يؤمنوا الإيمان الصحيح فهم ليسوا على شيء وليس للمسمى الدينى للطائفتين أى قيمة ، وهذا المعنى هو مايشير إليه النص:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩).﴾ فهو يطلب منهم إقامة التوراة والإنجيل ، وهنا يقف فلاسفتهم ويقولون : نحن سنقيم التوراة والإنجيل وبدون الإيمان بمحمد نبى المسلمين ويشهد قراءنكم على صلاحنا إذا فعلنا ذلك ؟ وهذا يقولونه لعامة المسلمين بغرض تشكيكهم فى معتقدهم حيال هذه القضية ولو أنهم أكملوا هذه الآية﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا

مـــنهُمْ مَــا أُنْــزلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا.. ﴾ التى تأمرهم بإقامة التوراة الحقة والإنجـــيل الحق الذى فيه ذكر ومواصفات نبى المسلمين ، ثم بعد ذلك يطالبهم النص القـــرآنى بالإيمان بما نزل على محمد فى تكملة الآية(وَمَا أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) ، ويخبر بـــأنهم كافرون بوحى السماء بسبب كفرهم بما أنزل على محمد(ﷺ) فقال (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنهُمْ مَا أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا)

وهكـــذا تأتـــى الآية فى مكانها ، ومن بعدها يذكر ويخصص الحديث عن هذه الطائفـــة الضالة — التى قدم عليها الصابئين — فيقول: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إلَهٍ إلَّا إلَهٌ وَاحِدٌ وَإنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَـــرْيَمَ إلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) ﴾

ونعـــود ونكـــرر : أن هذا كله كاف لتقديم الصابئين على النصارى ، وقد غيَّر الإعراب لها بأن جعلها بصيغة الرفع، لأن مقام الصابئين هنا هو التأخير، ولأنه خولف فى مكانـــه فخولـــف أيضاً فى إعرابه ليعطى بإشارة آسرة من الوحى إلى هذه اللفتة الخطيرة مطالـــباً الوقوف عليها — كما يقوم أحدنا بوضع خط أحمر تحت الكلمة المهمة والعربى الـــذى نـــزل بلغـــته القرآن يدرك هذه الإشارة الحمراء أو الضوء الأحمر للوقوف عليها والتدبر من المقصود منها وما يعنية بهذه المخالفة الإعرابية — وهذا هو منهجهم وهذا هو بيانهم الذى نزل به القرآن وليس لحناً كما يدعى الإخوان!!!

وقـــد أعجبنى رأياً — نراه مضيفاً وليس معارضاً — وهو قول الإمام الكرمانى:

لأن النصارى مقدمون على الصابئين فى الرتبة، لأنهم أهل كتاب، فقدمهم فى البقرة .

والصابئون مقدمون على النصارى فى الزمان، لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم فى الحج .

وراعى فى المائدة بين المعنيين وقدمهم فى اللفظ وأخرهم فى التقدير لأن تقديره (والصابئون كذلك).

وهـــذا ملحـــظ لطيف يتذوقه من عرف حلاوة النص القرآنى وتعود عليه وعاش جماله وروعـــته وتناســـقه وانسجام آياته ، وكأننى أستشف من قوله معنى آخر وهو أن سورة

المائــدة هى السورة الوسطى بين سورتى البقرة والحج ولذلك جمعت المعنيين (الوسطى) بتناسق جميل ومدهش ، ومما يزيد هذا المعنى تألقاً هو تعليق المحقق الأستاذ عبد القادر عطا فى قــوله: وترتيب الطوائف فى المائدة جامع للترتيب بالكتب والزمان ، فتقديم الصابئين فيها على النصارى يدل على ترتيب الزمان – يقصد آية سورة الحج–﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّــذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (١٧) ﴾ لأن أكثر المذكورين ممن لاكتاب لهم – (لأنه زاد هنا المجوس والذين أشركوا وأصبح للكافرين النصيب الأكبر فى سياق الآية)، وأخر الذين أشركوا وإن تقدمت لهم أزمنة لأنهم كانوا أكثر من ابتلى بهم الرسول (ﷺ) ويحــادهم فكانوا أهل زمانه أيضاً ، ورفعها بين المنصوبات – آية المائدة – يدل على نية تأخيرهم والترتيب بالكتب السماوية.

وترتيبهم فى البقرة بالكتب فأخر المجوس لأنهم لاكتاب لهم.

(لاحــظ أن "الصابئون" فى الحج مقدمة على النصارى ؛ ولكنها منصوبة ليعطى الترتيب الطبيعــى للكفــر– كما وضحنا نصيبه الأكبر والتركيز عليه وليس على أهل الأديان فى سورة الحج – لأن سياق سورة الحج عن الكفر بكل أنواعه ومنه كفر الأصنام ومشركى مكة وغيرهم

وهــنا أقف وقفة بعد هذا العرض مع هؤلاء الذين يجرون خلف الأحاديث المشكوك فــيها ومــنهم من يجاهد على تصحيحها– مثل حديث عائشة هذا وأن هناك لحن فى القــرآن ســتقومه ألسنة العرب .. ويستدلون على قولهم هذا بهذه النصوص (من رفع "الــصابئون" فى المائــدة بخلاف النصب فى الآيتين الأخرتين والذى جعل أحد القساوسة يشير أيضاً بالتهكم على هذا الخطأ الإعرابى ويدعى أن جريدة الأهرام القاهرية نشرت هذا السؤال من طفل صغير لأبيه المسلم حول هذه المخالفة الإعرابية فلم يستطع الأب المسلم جواباً على ذلك ، ثم ذهب هذا الأب إلى شيخ الأزهر أو من علماء الأزهر فقال له بعد الــتحير وعدم المعرفة لتفسير هذا الخطأ: "إن القرآن لايخضع للغة العربية!!) وهذه كارثة إخرى – إن صدقت هذه الرواية– يضاف إليها الكارثة الأخرى من هؤلاء العلماء الذين يلهــثون وراء تصحيح حديث متوهم من عائشة أم المؤمنين وأن هذا لحن فى القرآن ..، ونقــف ونــتعجب ويزداد العجب ويطول وليتهم لربهم يتقون ولكتابه يفقهون ولآياته يتدبرون.

ويقول د: **المطعنى**: ولهذه الآية نظائر فى مخالفة إعرابها لما قبلها اتخذ منها خصوم القرآن منشأ لشبهات مماثلة ، ولكن الذى يؤسف له أن نسمع ذلك من علماء مسلمين يدَّعون الفهم فى كتاب الله ويصححون مثل هذه الأحاديث .

والخلاصة:

إن هذه الآية: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر) تخلو من أى خطأ نحوى أو غير نحوى. بل هى فى غاية الصحة والإعجاز وقد بينا وجوه صحتها والمعانى البيانية التى ألمح إليها رفع "الصابئون" وهؤلاء الذين يلحدون فى آيات الله لا دراية لهم بالنحو ولا بالصرف ولا بالبلاغة وليسوا هم طلاب حق ولا باحثين عنه والذى سيطر على كل تفكيرهم هو البحث "عن العورات" فى كتاب لا عورات فيه بل هو أنقى وأبلغ وأفصح وأصح وأصدق بيان فى الكون كله ولا يأتوننا بمثل إلا جئناهم بالحق وما هم بسابقين.

نصب المعطوف على المرفوع

أما ألاية الثانية التى تكلموا فيها

قوله تعالى: فى سورة البقرة الآية﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا (وَالصَّابِرِينَ) فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧).**﴾ وشاهدهم على هذه الشبهة هو قوله سبحانه: "والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس" لأنه جاء منصوباً بـــ"الياء" بعد قوله تعالى: "والموفون بعهدهم إذا عاهدوا".

وكان يجب أن يرفع المعطوف- يعنى: الصابرين- على المرفوع- يعنى: الموفون- فيقول: والموفون والصابرون" هذا قولهم.

الرد على الشبهة:

يُحسن بنا أولاً أن نذكر هذه الآية بتمامها لننظر فيها نظرة جُملية قبل مواجهة ما آثاره الخصوم حولها:

(١) ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ.**﴾

(٢) ﴿ (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾

(٣) ﴿ (وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ. ﴾

(٤) ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ ﴿. ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

(٥) ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧). ﴾. ترى أننا وزعنا كلمات هذه السورة على وحدات كل وحدة منها تضم معانى وقيماً متجانسة.

۞ **أما الوحدة السادسة**: فهى بيان فضل هؤلاء المذكورين فى الآية وبخاصة ما ذكر قبل الفاصلة مباشرة ومترلتهم عند الله: "أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون" . وإذا تأملت هذه الوحدات وعناصرها المندرجة تحتها وجدت **أن أشدها وقعاً على النفس وأكثرها أعباء وأشقها كلفة هى الصبر فى المحن والشدائد والأخطار وبخاصة فى ملاقاة العدو والتعرض لزحفه وسلاحه وقد يفضى بالإنسان إما إلى حدوث عاهات مؤلمة فى الجسم وإما إلى الموت فالمقاتل فى ساحات الكر والفر إنما يصارع الموت ومقدمات الموت .**

ولهذا جاء إعراب "الصابرين" مخالفاً لإعراب ما قبلها ليفت الله أذهان العباد إلى أهمية الصبر فى هذه المجالات ، وهذا الإعراب المخالف لما قبله يفيد مع تركيز الانتباه وتوفير العناية بتأمل هذا الخلق العظيم يفيد أمراً آخر مبهجاً للنفوس هو مدح هؤلاء الصابرين شديدى العزيمة قويى الاحتمال.

وهنا نقف وقفة سريعة لتوضيح الصورة وهى كالآتى:

(١) أن جميع الصفات التى ذكرت فى هذه الآية قوامها الصبر ؛ فالإيمان بالله وعبادته يحتاج إلى صبر ، والإنفاق فى سبيل الله يحتاج إلى صبر، وخاصة أن النص القرآنى يقول: **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** ، وورود حرف الاستعلاء (على) حبه و لم يقل (وآتى المال مع حبه)

ليفيد إستعلاء نفوسهم على حب المال والإنفاق فى سبيله ، وهكذا المحافظة على الصلوات بكامل أركانه وخشوعها يحتاج إلى الصبر والمصابرة، والوفاء بالعهود مع الغادرين يحتاج إلى ذلك أيضاً .. إلى أن يصل النص القرآنى بنا إلى الصفة العظيمة التى هى موضوع حديثنا وهي ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)) ﴾. والتى قال فيها العلماء أن كلمة (والصابرين) تم تغيير إعرابها للنصب بدلاً من الرفع للإختصاص بالمدح (كأنه يقول وأخص الصابرين بالمدح ، فيكون الصابرين مفعول به لفعل محذوف تقديره أمدح الصابرين ، هكذا علمنا علماء اللغة .

(٢) ويبقى السؤال الهام وهو:لماذا حدث هذا التغيير وهذا التخصيص بالمدح لصفة الصابرين فى هذا السياق من آيات سورة البقرة؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من مراجعة هذه الصفات المذكورة وأهمية الصبر لها والأمر الثانى هو مراجعة سياق الآية وأنها لاتتحدث الصبر المعتاد ولكنها تتحدث عن أعلى طبقات الصابرين وأعلى درجات الصبر، فهى تتحدث عن : الصابرين (فى) البأساء والضراء وحين البأس.. ومعلوم أن و { البأساء } الفقر والشدة { والضراء } المرض والزمانة ، وحين البأس : أى القتل والمقاتلة والجهاد بالنفس والنفيس وتحمل كل آلام هذه الأحوال المذكورة التى لم تأتهم على فترات متباعدة تعطيهم بينها قسطاً من الراحة، ولكن هذه الشدائد تحيط بهم من كل جانب وفى كل وقت إحاطة كاملة ولايجدون متنفساً لهم ، وهذا ما أشار إليه النص القرآنى المعجز باستخدام حرف الظرفية (فى)، فى قوله تعالى: الصابرين (فى) البأساء والضراء وحين البأس، والذى يعطى كل هذه المعانى التى أشرنا إليهاكما فى قول الشاعرربيعة بن مقرم يصف حاله فى الحرب:

شهدت طرادها فصبرت فيها إذا ما هلل النكس اليراع

فالصبر فى الحرب شيء والصبر عليها شيء آخر

.. وهذا بخلاف ورود صفات الصابرين فى آيات أخرى يستعمل فيها حرف الاستعلاء– الذى يفيد تعاليهم على هذه المصيبة ويعطى إشارة على هوانها بالنسبة لهم كما فى قوله تعالى : والصابرين (على)ما أصابهم، ولنصبرن (على) ما أذيتمونا،فصبروا (على) ما كذبوا، واصبر (على) ما يقولون... كل هذه الصيغ تختلف عن قوله تعالى عنهم: (الصابرين (فى) البأساء والضراء وحين البأس،) ولذلك يقول الإمام الألوسى:

{والصابرين * فِى البأساء والضراء} نصب على المدح بتقدير أخص أو أمدح ، وغير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته على سائر الأعمال حتى كأنه ليس من

جـنس الأول ، ((وهذا ما يسميه العلماء بأسلوب القطع أى أنه قطع السياق الذى كان بالرفع وجعل السياق المعطوف عليه بالنصب -- كما فى حالتنا هذه -- للفت الانتباه على صـفة المـدح هذه) ولذلك يكمل الإمام الألوسى قوله: ومجي القطع في العطف مما أثبته الأئمة الأعلام ووقع في الكتاب أيضاً واستحسنه الأجلة وجعلوه أبلغ من الاتباع .

و البأسـاء: البؤس والفقر ، و الضراء: السقم والوجع { وَحِينَ البأس } أي وقت القتال وجهـاد العدو ، وهذا من باب الترقي في الصبر من الشديد إلى الأشد ، لأن الصبر على المرض فوق الصبر على الفقر ، والصبر على القتال فوق الصبر على المرض .

وعدى الصبر على الأولين ب(في) لأنه لا يعد الإنسان من الممدوحين إذا صبر على شيء من ذلك إلا إذا صار الفقر والمرض كالظرف له ، وأما إذا أصاباه وقتاً مّا وصبر فليس فيه مـدح كثير إذ أكثر الناس كذلك ، وأتى بحين في الأخير- أى حين البأس - لأن القتال حالة لا تكاد تدوم في أغلب الأوقات .

وإلى هنا وبعد هذا الشرح الوافى بعض الشى فإن الأمر لايحتاج إلى تعليق ، وهذا يكفى للإجابة عن هذا السؤال القائل: لماذا تغير ت الحركة الإعرابية من الرفع إلى النصب، وإن كـان للتخصيص بالمدح للهؤلاء الصابرين فلماذا هؤلاء الصابرون بصفة خاصة وفى هذا السياق ؟ ولكننا نضيف فوق ذلك وصف الله تعالى لهم — وهو أعلى من كل وصف —بقوله عنهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) فما أروعه من وصف ومـا أجلـه وهو يشير إليهم مرتين بقوله (أولئك) بإسم الإشارة للبعيد ليدل على بعد مكانتهم وعلوها — وهذا هو الذى به استحقوا هذا القطع وهذا التغييرفى نظم الآية ، لهذا الملفت العظيم وهذا المدح على هذا المقام العالى، وكما يكمل الإمام الألوسى عنهم:

{ أُولَـئِكَ الذين صَدَقُوا } في إيمانهم أو طلب البر . { وَأُولَئِكَ هُمُ المتقون } عذاب الله تعالى بتجنب معاصيه وامتثال أوامره ، وأتى بخبر أولئك الأولى : موصولاً بفعل ماض — أى : صدقوا - أيذاناً بتحقق اتصافهم به _ أى بالصدق-وإن ذلك قد وقع منهم واستقر ، وغاير في خبر الثانية (وأولئك هم المتقون ، و لم يقل وأولئك الذين اتقوا): ليدل على أن ذلـك (أى الوصف بالتقوى) ليس بمتجدد بل صار كالسجية لهم (أى الطبع الدائم لهم)، وأيضاً لو أتى به على طبق سابقه لما حسن وقوعه فاصلة

وبعـد هذا الشرح المبسط هل يبقي هناك أى مبرر لسردهم لحديث واهنٍ واهى ينـسب إلى عائـشة (رض) بأن هناك لحناً فى القرآن .. ويكون من ضمن هذه الآيات الملحونة هذه الآية ؟؟!!!!

ويقــول الدكــتور المطعني: فانظر إلى نفائس هذه المعانى التى دل عليها نصب "الــصابرين" مع كون ما قبله مرفوعاً ، إنها بلاغة القرآن المعجز وعبقرية اللغة العربية لغة التنزيل الحكيم .

وهــذا الإعــراب المخالــف لإعراب ماقبله هو الذى يسميه النحاة واللغويون بــ"القطع" كما تقدم فى نظيريه فى هذه الدراسة إما للمدح كما فى هذه الآية وآية النساء "والمقيمين الصلاة" وقد تقدمت.

وإمــا بقصد الذم كما فى قوله تعالى فى سورة المسد "**وامرأته حمالةَ الحطب**" أى امرأة أبى لهب التى كانت تحمل الشوك وتنثره فى طريق رسول الله (ﷺ)لتؤذيه ، لأن كلمة "حمالــة" جاءت منصوبة بعد رفع ما قبلها وهى "امرأته" فهذا قطع كذلك ، القصد منه الــذم أى: أذم أو ألعــن حمالة الحطب.((ولك أن تتخيل ورود النص على سياقه المعتاد والمــتوقع برفع "حمالةُ ، وستجد وقتها أنه كلام عادى يصف إمرأة أبلى لهب بأنها تحمل الحطــب وهذا ليس فيه ذم لها بخلاف أسلوب القطع الذى أعطى معنى الذم بتقدير فعل محــذوف تقديــره أذم أو ألعن حمالةً الحطب ، فما أروعه من بيان وما أطيبه واعذبه من حديث.

وأيــاً كــان القطــع للمدح أو الذم فإنه من أرقى الأساليب البلاغية يحتوى على فضيلة الإيجاز، وهى أن تكون المعانى أكثر وأوفر من الألفاظ التى تدل عليها أو المستعملة فيها ؛ لأن كــل كلمة قُطع إعرابها عما قبلها نابت هذه الكلمة مناب ثلاثة قيم بيانية رامزة إلى وجودها فى المقام وإن كانت محذوفة وهى:

١- الكلام الذى عمل الإعراب المخالف فى الكلمة المقطوع إعرابها عن إعراب ما قبلها وهو فى "الصابرين" أمدح أو أخص الصابرين بالمدح. وفى آية "المسد" أذم أو ألعن .

٢- إفادة المدح أو الذم بغير الألفاظ التى تدل عليهما .

٣- فــضيلة الإيجــاز البيانى المفعم بالمعانى الآسرة والدلالات الساحرة .فسبحان من هذا كلامه!

وبقيت هذه الآية (الصابرين فى البأساء..) وآية (والمقيمين الصلاة) بهذا الرسم ولهذا التخــصيص لهاتين الصفتين لتشرحا قوله تعالى فى أول كتابه (واستعينوا بالصبر والصلاة) وهاهو تفصيل هذه الآية بهذه الإشارات الساحرة بريشة الوحى الإلهى

الآية الثالثة:

هو قوله تعالى: فى سورة النساء الآية ﴿ **لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)** ﴾

نظـــروا فى هذه الآية فوقعت أعينهم على كلمة "المقيمين" فقارنوا بينها وبين ما قـــبلها: "الراسخون"- "المؤمنون" وبين ما بعدها "المؤتون"- "المؤمنون" فوجدوا ما قبلها ومـــا بعـــدها مرفوعاً بـــ"الواو" لأنه جمع مذكر سالم أما "المقيمين" فوجدوها منصوبة بـــ"الياء" لأنها كذلك جمع مذكر سالم. حقه أن يرفع بـــ"الواو" ينصب ويجر بـــ"الياء".

وسُـــرعان ما صاحوا وقالوا إن فى القرآن خطأ نحوياً من نوع جديد هو "عطف المنصوب على المرفوع أو نصب المنصوف على المرفوع". ثم علقوا قائلين:

"وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: "والمقيمون الصلاة" هذا هو مبلغهم مين الجهل أو حظهم من العناد وكراهية ما أنزل الله على خاتم رسله (ﷺ) **الرد على الشبهة:** هذه الآية وردت فى سياق الحديث عن اليهود تنصف من استحق الإنصاف منهم بعد أن ذم الله تعالى من عاند منهم وحاد عن الحق فى الآيات التى سبقت هذه الآية.

ومجـــئ "المقيمين" بالياء خلافاً لنسق ماقبله ومابعده لفت أنظار النحاة والمفسرين والقراء فأكثروا القول فى توجيهه- مع إجماعهم على صحته.

وقد اختلف آراؤهم فيه وها نحن نقتصر على ذكر ما قل ودل منها فى الرد على هـــؤلاء الكارهين لما أنزل الله على خاتم رسله (ﷺ)ولن نذكر كل ما قيل توخياً للإيجاز المفهم.

وأشهر الآراء فيها أن "المقيمين" منصوب على الاختصاص المراد منه المدح فى هـــذا الموضـــع بدلالة المقام لأن المؤدين للصلاة بكامل ما يجب لها من طهارة ومبادرة وخشوع وتمكن جديرون بأن يُمدحوا من الله والناس.

يقول الإمام الزمخشرى:

"و" المقيمين" نُصبَ على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع ، **ولا يلتفت إلى ما زعمـــوا من وقوعه لحناً فى خط المصحف** ، وربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب و لم يعرف مذاهب العرب وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان" .

الزمخشرى أوجز كلامه فى الوجه الذى نُصب عليه "المقيمين"وهو الاختصاص مع إرادة المدح. ومع إيجازه فى عبارته كان حكيماً فيها ، ومن الطريف فى كلامه إشارته إلى خطأ مـــن يقـــول إن نصب "المقيمين" لحن فى خط المصحف- لا سمح الله- ثم وصفه بالجهل بمذاهب العرب فى البيان والتفنن فى الأساليب وكأنه- رحمه الله- يتصدى للرد على هؤلاء الطاعنين فى القرآن الذين نرد عليهم فى هذه الرسالة .

والرأى الذى اقتصر عليه الإمام الزمخشرى هو المشهور عند النحاة والمفسرين والقراء. وقد سبق الزمخشرى فى هذا التوجيه شيخ النحاة سيبويه وأبو البقاء العكبرى. وهذا الاختصاص أو القطـــع بيان لفضل الصلاة التى جعلها الله على الناس كتاباً موقوتاً وأمر عباده بإقامتها والمحافظة عليها فى كثير من آيات الكتاب العزيز ومثلها رسوله صلى الله عليه وسلم- كما فى صـــحيحى الـــبخارى ومسلم- بالنهر الذى يستحم فيه المكلف فى اليوم خمس مرات فيـــزيل كل ما علق بجسمه من الأدران والأوساخ وكذلك الصلوات الخمس فإنها تمحو الخطايا وتزيل المعاصى كما يزيل الماء أدران الأجسام.

أمـــا الآراء الأخـــرى فكثيرة ولكنها لا تبلغ من القوة والشيوع ما بلغه هذا الرأى وهو النصب على الاختصاص أو القطع.

وقد أوردوا عليه شواهد عدة من الشعر العربى المحتج به لغوياً ونحوياً.

والخلاصة:

أما النصب على الاختصاص فلا مناص من قبوله لأنه أسلوب شائع فى الاستعمال اللغوى العربى ، وفيه من البلاغة أمر زائد على مجرد التوجيه النحوى الذى لا يتجاوز بيان عامل النصب أو الجر.

ويبقـــى السؤال هو: لماذا كان الإختصاص بالمدح لمقيمى الصلاة فى هذه السورة (سورة النساء) دون غيرها ؟

والإجابـــة : أن القرآن الكريم عودنا أن يضع المشهد المناسب فى السورة التى تناسب هذا المشهد وتنسجم معه.

وفى مـــشاهد سورة النساء نلاحظ أنها تتحدث عن الضعفاء فقط (صلة الرحم .. الذى تساءلون به والأرحام ، ثم بعد ذلك عن اليتامى ، ثم رفعة شأن هؤلاء الضعفاء من النساء الـــذين يحـــتاجون إلى راع لهـــم من الأزواج ، ثم بعد ذلك الحديث عن الميراث ، وعن المنافقين الذين نعلم حالهم من الضعف وعدم المواجهة ، ثم يعرج النص القرآنى بعد ذلك علـــى قصص الأنبياء الكرام فيختار منها المشهد الملائم والمناسب لجو هذه السورة ، التى

يمكـــن لنا أن نسميها بسورة الضعفاء ، فكان من المناسب أتم المناسبة أن يختار من قصص الأنبياء قصة عيسى عليه السلام الذى استضعفه يهود وحاولوا القبض عليه وصلبه وتعليقه – حـــتى أوصلوه للصلب كما تحكى كتبهم وتقول به عقائدهم – وقد حكت الأناجيل ساعة القبض على عيسى عليه السلام وصورت مشاهد الضعف الشديد والإهانة من بنى إسرائيل – أعداء الله ورسله– له ، وفى النهاية قاموا بصلبه على هذه الحالة من الضعف – كما يحكون هم–.

إذن قصة عيسى عليه السلام – وإن كنا ننكر مسألة صلبه أو تعليقه عى الصليب – ولكنـــنا لاننكر مطاردة أعداء الله له ، ومحاولات القيض عليه وقتله ، وكلها لحظات ضعف شديد تتناسب مع مشاهد الضعف والضعفاء فى هذه السورة ، ولذلك لم يأت فى هذه السورة مشهد حديث المعجزات لعيسى عليه السلام – الذى هو مشهد قوة وسلطان – ولكـــنه جـــاء بمشهد الكيد القوى من بنى إسرائيل له وتدبيرهم لقتله ، وورود هذا المـــشهد بصفة خاصة يتناسب ويتناغم مع صور ومشاهد السورة ، وهذا مانكرره دائماً وأن هذا دليل من دلائل الروعة والإبهار والتناسق والتناغم والانسجام وحسن الجوار بين مشاهد السورة جميعها.

والآن نـــصل إلى إجابة السؤال : لماذا تم التركيز على أهمية الصلاة فى وسط هذا المشهد لعيسى عليه السلام بصفة خاصة ومشاهد السورة بصفة عامة؟

والـــذى يسترجع ماقاله كتابهم المقدس من أن نبى الله عيسى كان يستعين على هـــذه اللحظات العصيبة بأمر واحد ، ألا وهو الصلاة – وكان يصلى بلجاجة ، وكما يحكـــى كتابهم أنه خر ساجداً أكثر من مرة وكان يكرر قائلاً: إيلى إيلى لم شبقتنى ، أى إلهى إلهى لم تركتنى – كما تحكى أناجيلهم –

فالتخصيص بالمدح للصلاة هنا يتناغم مع هذا المشهد لأهميتها العظمى فى الإسلام ، ولتناســـق الحديث عنها فى هذا المشهد وهذا المقام ، وأنها هى السلاح الذى كان يلجأ إليه عيسى عليه السلام كما يلجأ إليه جميع الأنبياء والمرسلين من إخوانه

وبعـــد أن عـــشنا هذه المعانى نعود لسياق الآيات لنكمل اليقين الكامل بعظمة وإعجاز هذا النص القرآنى وإليك سياق الآيات:

﴿وَبِكُفْـــرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي

شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧). ((هذا هو مشهد الاستضعاف)).

ثم يقول بعدها:﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ ..

وبعدها يأتى مشهد الاختصاص بالمدح للصلاة فى هذا الموقف العصيب (١٦١)) ﴾ ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا(١٦٢). ﴾

ثم يتحدث بعدها عن موكب إخوانه من الأنبياء الذين يلتجئون إلى الصلة بالله والتى من أعظمها هى الصلاة فيقول: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾

ولأجل هذا المعنى ، وفى نفس هذا المكان — سورة المائدة - دون غيره جاء إختصاص الصلاة بالمدح ، وليكمل المعنى الذى ذكره فى أول كتابه (واستعينوا بالصبر والصلاة) فكانت هنا الإشارة على الصلاة وسنرى فى العرض التالى التركيز بالمدح على الصفة الثانية وهى (الصبر) فىأية البقرة التاليةوهى﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) ﴾

نقص اليــاء (= حذف اليــاء) (١)

تحدثنا فى الحلقة الثامنة من لطائف وأسرار زيادة "الياء" فى بعض كلمات القرآن الكريم وبينا أن كل موضع زيدت فيه "الياء" أفادت تلك الزيادة معنى لطيفا جعلت الزيادة رمزا دالا عليه ونتحدث هنا عن نقص "الياء" أو حذفها فى كلمات لا تكاد تحصى فى كتاب الله العزيز لأن نقص "الياء" فى بعض كلمات القرآن أكثر بكثير من زيادتها و لم يأت هذا النقص عبثا جاريا من الدلالة بل هو حافل بالمعانى والأسرار اللطيفة كما سيأتى: فى سورة

النمل:﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ﴾ وسورة الكهف﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) ﴾وسورة آل عمران﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١). ﴾ وسورة الإسراء﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢). ﴾ وسورة يس﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾

وهــذا الــنقص له فصائل وتنوعات، فمنه نوع يسقط فيه "الياء" فى الخط وفى الــنطق، ومــنه نوع يسقط فيه "الياء" فى الخط دون النطق ، و"الياء" المحذوف إما ضمير المتكلم وإما لام الكلمة (= آخر حرف فى الكلمة حسب الميزان الصرفى) . ومنه مايكون فى الأفعال. والياء المحذوف إما مجرور محلا بالإضافة وإما مفعول به. والأول خاص بالأسماء والثانى خاص بالأفعال وسيأتى التمثيل لكل هذه الفصائل والتنوعات بإذن الله مع الإشارة إلى ذلك وبيان المعانى والأسرار التى يدل عليها النقص فى كل موضع.

الحذف فى الأفعال

وهاكم الأمثلة: فى سورة النمل﴿: قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ (٣٦) ﴾

حذفت "الياء" فى هذه الآية فى موضعين: الأول: "أتمدونن"...والثانى "ءأتان".

وظاهر أن حذف "الياء" فى الموضعين لم يكن لعلة صرفية ولا لعلة نحوية، بل هو رمز لمعنى يدل عليه ، وفى كلا الموضعين كان "الياء" ضميرا مفعولا به للفعل قبله.

والمعــنى الــذى يرمز إليه بحذف "الياء" فى قوله تعالى: حكاية عن سليمان عليه السلام: "أتمــدونن" الإشارة إلى ما كان يدور فى باطن سليمان عليه السلام من استبعاد نفسه عن زمــرة مــن يرتشى بالمال بدليل أن الاستفهام فى الآية انكارى توبيخى شديد الإنكار. ((اقول: وكأنه استغراب منه ودهشة تجعله يخطف فى نطق الكلام ؟؟؟))

أما حذف "الياء" فى الموضع الثانى "ءأتان" فإن هذا الحذف رمز به للتفرقة بين ما آتى الله رسوله سليمان عليه السلام وبين ما أتاه الله ملكة سبأ: فالذى اتاه الله سليمان هو الحكم والكتاب والنبوة والذى أتاه الله ملكة سبأ هو المال والسلطان الدنيوى. فعطاء الله سليمان فى الفضل فى الذروة العليا باق إلى العلو والرفعة فى درجات الآخرة.

وأقول: لنا أن نقول أنه عطاء ملكوتى وعلوى، وعطاء الله ملكة سبأ سلطان زائل ومـــال نافد لا بقاء له. وتبعته فى الآخرة ثقيلة والحساب فيه عسير (عطاء مادى سفلى). هذا مادل عليه نقص "الياء" فى "ءاتان".

أنها معان أرق من النسيم واسرع لمحا من البرق.

وكذلك قول الله تعالى لنوح عليه السلام: فى سورة هود﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ . هذه الآية توجيه من الله لرسوله نوح حين ناداه نوح قائلا لما رأى ابنه هالكا مع الهالكين.

فى ســـورة هود:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤٥).﴾ توسل نوح إلى الله فى شأن ابنه بصلة القرابة النسبية فجاءه الرد من الله بإلغـــاء هذه الصلة لأن كفر إبن نوح قطع ما بينه وبين أبيه ، فهذا رسول مؤمن وذاك كافر عنيد ، والانساب مهما تفرقت وتلاصقت فلا وزن لها عند الله ، وإنما الفضل- كل الفضل- للإيمان والتقوى والعمل الصالح. والشاهد فى الآية الكريمة هو حذف "الياء" من الفعل "تسألن" وهو حذف الخط دون النطق ، والياء المحذوف هنا ضمير المتكلم مفعول به للفعل قبله.

ومن البداية أن هذا الحذف لم يكن لعلة نحوية ولا لعلة صرفية. وإنما هو رمز لمعنى لطـــيف وسر خفيف ، ذلك المعنى هو أن المسئول عنه أمر غيبى من شئون الله عز وجل لأن مافى صدور العباد لا يعلمه إلا الله وحده ، وتأكيدا لهذا المعنى قوله تعالى لنوح فى الآية نفسها: (ماليس لك به علم) تم تسمية مثل هذا السؤال جهلا: (إنى أعظك أن تكون من الجـــاهلين). ويـــؤكد هذا المعنى اللطيف المرموز اليه بحذف "الياء" فى "فلا تسألن" بجئ "الـــياء" فى نظير هذا الفعل فى قول العبد الصالح لموسى عليه السلام: فى سورة الكهف : ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا(٧٠)﴾ . ثبت "الياء" هـــنا ولم يحـــذف كمـــا حـــذف فى آية "هود" الآنفة الذكر للفرق بين المسئول عنه فى الموضعين؛ فالمسئول عنه فى آية "هود" كان شأنا غيبيا من الشئون التى لا يحيط بها علما إلا الله. والمسئول عنه فى آية "الكهف" هو وقائع محسوسة لها صورة مادية فى الوجود إذ هى : * قتل الغلام.*خرق السفينة. *إقامة الجدار.

ومحـــال أن يكون مجئ الفعلين فى السورتين على صورتين مختلفتين عبثا خاليا من الدلالة ذلك طن قصيرى النظر من الناس فخصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف

مفعمـــة بالإيحاءات الصادقة ولا يخلو موضع واحد منها من هذه الدلالات المشعة بلطيف المعانى ودقائق الأسرار.

۞۞ ((ونذكر بأننا سنضيف رأياً أخر فى ظاهرة الحذف وهذه الكلمات للأستاذ الدكتور فاضل السامرائى فى نهاية هذا البحث عن الحذف على الصفحات القادمة))

وكذلك قوله تعالى: فى سورة آل عمران:﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠ ﴾ الشاهد فى هذه الآية حذف "الياء" فى الفعل "اتبعن" ، وقد رمز بهذا الحذف للدلالة على أن المراد من الاتباع فى الآية هـــو الاتباع فى "العقيدة" أى الاتباع المعنوى لا الحسى. ويدل على ذلك قوله تعالى قبل هـــذه الآيـــة بقليل: فى سورة آل عمران:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨).﴾ فقد ذكرت عقيدة التوحيد فى هـــذه الآيـــة مرتين ، ويدل عليه كذلك قوله تعالى فى الآية نفسها: (أسلمت وجهى لله) والإسلام الموجه لله كناية عن قوة الإيمان بالله. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: فى سورة آل عمـــران:﴿ قُـــلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١).﴾

ثبوت "الياء" هنا لأن المراد من الاتباع هو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فى العمل الحسى بالجوارح أى الاتيان بالتكاليف التى أمر الله بها كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله.

ومـــثل الآيـــة فى حذف "الياء" قوله تعالى حكاية لقول موسى لأخيه هارون- علـــيهما السلام-. فى سورة طه : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝٩٣ ﴾ ضلال بنى إسرائيل المذكور فى الآية ضلال فى العقيدة حـــيث اتخـــذوا العجل إلها من دون الله لذلك كان الاتباع الذى كان يرجوه موسى من هارون- عليهما السلام- هو حملهم على عقيدة التوحيد لأن هارون لم يسلك مسكلهم فى الإيمان بالعجل إلها مع الله أو من دون الله.

أما قول هارون عليه السلام لبنى إسرائيل: فى سورة طه﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ۝٩٠ ﴾ فقد

ثبت فيه "الياء" "فاتبعونى" و لم يحذف لأنه اراد الاتباع فى عبادة الله عز وجل والعبادة صور محسوسة. يؤيد هذا المعنى قول بنى إسرائيل فى الرد على هارون فى الآية التالية لهذه الآية مباشرة: فى سورة طه:﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) ﴾ والعكوف هو العبادة الظاهرة.

۞ ((أرى إضافة رأى آخر يعتمد على ملحظ السرعة- الذى يستدعى حذف الحرف – وملحظ الموقف الهادىء الذى لايحذف فيه الحرف.. وراجع فاضل السامرائى)))

وقوله عز وجل حكاية عن إبليس: فى سورة الإسراء:﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢)﴾.

الشاهد فى هذه الآية هو حذف "الياء" فى الفعل "أخرتن" والقياس أن يثبت أخرتنى وقد عورض هذا القياس وحذف "الياء" للرمز بهذا الحذف على معنى دقيق؛ هو أن المراد هنا التأخير المعنوى بترك مؤاخذة إبليس على عصيانه لله عز وجل حيث أبى أن يسجد كما أمره تكريما مأذونا فيه من الله لآدم وليس المراد التأخير الحسى الظاهر ، إنما هو إظهار فى تأخير العقوبة وهذا أمر معنوى عقلى غير محسوس فى الوجود الظاهر.

من النماذج التى تقدمت يبدو جليا أن حذف "الياء" يرمز به إلى الدلالات المعنوية والغيبية وقد تأكد هذا من المقارنة بين ماحذف منه "الياء" وبين نظائره التى أثبت فيها "الياء" أصالة مع اطراد دلالة هذا الاثبات على المعانى المادية الحسية الظاهرة فى الوجود.

وقد يأتى حذف "الياء" للدلالة على معنى لطيف غير ماتقدم نذكره إذا يسر الله الأمر بعد سوق أمثلة أخرى قد تكون "فردية" فى آى الكتاب العزيز ليس لها نظائر جاء "الياء" فيها مثبتا.

من ذلك قوله تعالى فى قصة صاحب الجنتين الكافر وجاره الفقير المؤمن: فى سورة الكهف:﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤١) ﴾. هذا قول الجار المؤمن الفقير لصاحبه الكافر الغنى حين فاخره بأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا ، إنه يزهو عليه بحظوظه من الدنيا ولا أمل له فى غيرها فجاء رد صاحبه المؤمن الفقير يحمل هذا المعنى الكبير "إن ترنى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك" وقد حذف "الياء" من الفعل المضارع "يؤتين" مستعاضا عنه بالكسرة. ولما كانت سنة لغة القرآن ورسمه الخطى يرمز بحذف "الياء" فى مثل هذه المقامات كانت دلالة حذف "الياء" من الفعل "يؤتين" رامزًا إلى معنى لطيف

رقيق؛ ذلك المعنى أن الرجل المؤمن الفقير لا يرجو من الله حطام الدنيا الفانى وإنما يطلب منه نعيمه الأخروى الدائم وهو نعيم غيبى فى علم الله لا يحيط به أحد سواه؛ ولو أراد حطام الدنيا لأثبت الياء و لم يحذف.

وقد بقى "الياء" و لم يحذف فى نظير هذا الفعل فى قوله تعالى: فى سورة المنافقون: **﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) ﴾**.

الشاهد فى الآية هو إثبات "الياء" فى الفعل "أخرتنى" وهذا هو الأصل فلا يسأل عنه وإنما الذى يسأل عنه هو لِمَ ثبت على الأصل و لم يحذف كما حذف فى آية "الإسراء" المذكورة قبلا.؟

والجواب: كان الحذف فى آية "الإسراء" للدلالة على معنوية التأخير. و لم يحذف هنا لأن المراد من "أخرتنى" هو التأخير الحسى بتأجيل الموت إلى وقت آخر غير الوقت الذى حضر فيه الموت لقائل هذا الكلام، فحذف "الياء" مع التأخير المعنوى وثبت على الأصل مع التأخير المادى الظاهر المحسوس.

والياءات التى اعتراها الحذف والاثبات فى جميع الأمثلة التى تقدم ذكرها ضمائر متكلمين وموقعها من الإعراب مفعول به. وقوله عز وجل معلما خاتم النبيين: فى سورة الكهف.. **﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾**

والشاهد فى هذه الآية هو حذف "الياء" من الفعل المضارع "يهدين" ؛ والذى اقتضى حذفه هنا هو الذى مر ذكره فى الشواهد السابقة وهو الرمز إلى أن المراد من الهداية أمر معنوى لا مادى محسوس. والدليل على ذلك فى الآية نفسها قوله تعالى: (إذا نسيت) والنسيان كيفية نفسية لا صورة من صور الوجود المادى المحسوس ، وكذلك الهداية بمعنى التذكر بعد النسيان أمر معنوى لا مادى محسوس .

قارن هذا الموضع بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام فى سورة القصص:**﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) ﴾**

. جاء الفعل هنا "يهدين" بإثبات "الياء" فلماذا لم يحذف كما حذف فى نظير هذا الفعل فى آية "الكهف"؟

والجواب: أن الهداية- هنا- هداية حسية فموسى عليه السلام لما خرج من مصر خائفا يترقب بعد أن علم أن الملأ يتربصون به ليقتلوه رجا ربه أن يبصره بأيسر الطرق

الموصـــلة إلى مدين.. إذن فهى هداية حسية ظاهرة لا معنوية مستترة. والياء فى الموضعين ضـــميرا متكلمين: محمد وموسى- صلى الله عليهما وسلم. وكلاهما مفعول به للهداية أو الفعـــل الدال عليهما ولولا هذه اللطائف والأسرار لجاء رسم هذه الكلمات جميعا بإثبات "الياء" ولما حذف "الياء" مما حذف منه ومحال أن يسوى بين دلالتى الاثبات والحذف لأن ذلك يؤدى إلى محظور فى قدسية كتاب العزيز..

وحذف "الياء" كذلك فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وهو يخاطب العبد الصالح: فى سورة الكهف:﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾وجـــاء هذا الحذف رامزا إلى معنى لطيف ؛ ذلك المعنى أن موضوع "التعلم" الذى يرجوه موسى من العبد الصالح غيبى يتصل ببواطن الأمور لا ظواهرها وهى الأسباب الخفية فى: * قتل الغلام.* خرق السفينة.* إقامة الجدار.

فهذه الأسباب من علم الله الغيبى كشف عنها للعبد الصالح و لم يكشف عنها لأحد سواه.

وإذا قارنـــا بـــين "أن يؤتين" و"تعلمن" وبين قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: فى سورة يوسف : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِـــرَ الـــسَّمَاوَاتِ وَالْـــأَرْضِ أَنْـــتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالـــصَّالِحِينَ (١٠١)﴾ لرسخ فى وجداننا ما قدمناه من تطبيقات صائبة على القواعد التى نص عليها العلماء فى "خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف" فقد ثبت "الياء" فى "آتيـــتنى" و "علمتنى" فى ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام لأن المعنى فيهما مادى حسى أى الوزارة وفك رموز الرؤى المنامية.

أما معنى "أن يؤتين خيرا من جنتك" فهو أمر غيبى يتعلق برضوان الله ونعيم الآخرة.

وكذلك قول موسى "أن تعلمن" فهو يتعلق بالأسرار الإلهية وراء الوقائع الظاهرة.

وهذه إضافة قوية- أعنى المقارنة بين هاته الكلمات الأربع- لتوكيد أن "خصوصيات الرسم العثمانى المصحفى" ذوات دلالات رائعة سواء قلنا إن هذه الخصوصيات "توقيفية" أو "اتفاقـــية" ؛ والخـــلاف بـــين هـــذين الرأيين لا يعنينا وإنما الذى نُصر عليه أن هذه "الخـــصوصيات" وضعت لمعنى فليست هى عاطلة عن الدلالة يستوى وجودها وعدمها ، ذلك ظن يجب أن يتره عنه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتره عن العيوب وخلا من كل فضول لأنه كلام من أحاط بكل شئ علما.

ومـــن الكلمات المفردات التى حذف فيها "الياء" قوله تعالى: فى سورة الكهف : ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾

حذف "الياء" من الفعل المضارع "نبغ" للدلالة على ماقى هذا السعى من "غيبيات" فالعبد الصالح لا عهد لموسى به ولا معرفة له سابقة بما خصه الله من العلم "اللدنى" وموسى عليه السلام لم يطلب العبد الصالح لذاته وشخصه المجسم الظاهر وإنما طلبه لما عنده من علم "لدنى" امتن الله به عليه.

۞۞ وهــنا يحــسن بنا أن نضيف رأياً آخر لأحد أعلام اللغة وفرسان البيان فى هذا العصر وهو الأستاذ الدكتور: فاضل السمرائى.. حول هذه النقطة ومثيلاتها من الوجهة البلاغــية الصرفة ، ونرى كيف حدث الإنسجام والتواؤم الكامل مع رسم الكلمة.. وإليك ما قاله:

ومن الذكر والحذف فى الفعل قوله تعالى ﴿ **قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا** ﴿٦٤﴾ ﴾ الكهف. بحذف الياء من الفعل وقوله ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا** .. (٦٥)﴾ يوسف. بعدم الحذف ، ذلك أن الحدث مختلف فى الآيتين، وأن الـــسياق يوضح ذلك قال تعالى فى الكهف﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَــسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا** (٦٣) **قَــالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** (٦٤).﴾ . ونسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة، وإنما يبغى الشخص الذى يريد موسى أن يتعلم منه.

وأمــا فى ســـورة يوسف، فالطعام هو ما يبغون، وهو سبب رحلتهم، ففرق بين البغيــتين، فلما كان ما فى الكهف ليس هو ما يبغون(أى: بغية ناقصة) حذف من الحدث إشـــارة إلى عـــدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام، وإنما هو علامة على الموضع الذى يجدون فيه بغيتهم.

ولما كان ما فى يوسف هو بغيتهم (الكاملة) ذكر الفعل كاملاً و لم يحذف منه... فناسب كل مقامه ، والله أعلم

ومـــن ذلـــك قوله تعالى﴿: **فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُــوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** (٢٠)﴾ آل عمران.

وقوله:﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (١٠٨) ﴾ يوسف.

فقال فى الآية الأولى: (ومن اتبعن) بلا ياء, وقال فى الآية الثانية:(ومن اتبعنى) بالياء,

ذلك أن الآية الأولى فى الدخول فى الإسلام, قال تعالى: ال عمران.﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

وأما الآية الثانية, فهى فى الدعوة الى الله, وهى خصوصية بعد الدخول فى الاسلام.

ولا شـــك أن الدعوة إلى الله تتطلب علما وبصرًا بأحكام الإسلام أكثر من مجرد الدخـــول فى السلام, لأنها مقام تبليغ, وهكذا لا يكون إلا عن علم وبصيرة, وخاصة أنه قال: (على بصيرة).

ثم إنها تتطلب اتباعا للرسول أكثر فى القول والعمل, فإن الذى يقف نفسه للدعوة إلى الله ينبغى أن يكون شديد الالتزام بتعاليم الإسلام والاتباع لرسوله الكريم قولا وعملا, حتى يكون مقبولا مجابًا.((علم وشدة وصرامة على نفسه))

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى, أن المذكورين فى آية يوسف داخلون فى الآية الأولى, فهم مسلمون, وأما المذكورون فى آية آل عمران, فلا يشترط أن يكونوا داخلين فى آية يوسف, إذ ليس كل مسلم داعيا الى الله على بصيرة, وبذا يكون اتباع الرسول فى آية يوسف أكثر. فهو يشمل الأتباع الأول وزيادة, فكان ذكر الياء فيها أولى من الاجتزاء بالكـــسرة ؛ لأن الياء عبارة عن الكسرة وزيادة, فلما زاد الاتباع زاد بذكر الياء, فوضع كل تعبير فى مكانه المناسب, زالله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَـــا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾ هود. بحذف الياء من (تسألن).

وقـــوله : ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)﴾ الكهف.

إن الآية (الأولى) هى فى سؤال نوح لربه بعد ما غرق ابنه قائلا: ﴿..قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وأما آية الكهف, فهى فى اشتراط الخضر على موسى, إذا صحبه أن لا يسأله عن شى حتى يكون هو الذى يخبره.

فحذف الياء من آية هود وذكرها فى آية الكهف. وبالنظر فى السياقين يتضح مايأتى:

١- فى قصة موسى والخضر أن الخضر كان يتوقع أنه يسأله موسى عن كل عمل يقوم به مما لا يدرك حكمته. وأحداث المصاحبة بينهما قائمة كلها على أن الرجل الصالح يعمل أعمالا مستنكرة فيما يرى موسى, فيستنكر ويتعرض أو يسأل. إذن فالقصة كلها تدور حول ما يفعله الخضر واعتراض موسى. فى حين أنه لم يكن فى قصة نوح إلا سؤال واحد, وهو شأن إبنه. فاقتضى مقام الإطالة والتفصيل فى الكهف ذكر الياء دون هود.

٢- إن موسى سأل عن ثلاثة أمور مشاهدة, فى حين سأل نوح أمرا واحدا, فتناسب الاطالة بذكر السؤالات وتعددها أن يذكر الياء فى الكهف.

٣- كان التحذير من السؤال فى هود أشد مما فى الكهف. وقد عقب على سؤال نوح, بقوله: (انى أعظك أن تكون من الجاهلين), وليس الأمر كذلك فى الكهف, بل ألمح إلى أنه سيعلمه حكمة ما يقوم به فيما بعد, فقال (حتى أحدث لك منه ذكرا).

فناسب ذلك حذف الياء فى هود إشارة إلى النهى عن أصل الحدث بخلاف ما فى الكهف.

ومن نافلة القول أن نقول: إن السؤال يختلف فى الآيتين. فالسؤال فى الكهف هو سؤال الاستفهام والاستفسار, ولذا عداه بعن فقال: (فلا تسلنى عن شيء). أما سؤال نوح, فإنه سؤال طلب كما تقول: سألته حاجة, ولذلك عداه بنفسه.

ومن ذلك قوله تعالى: فى هود ٤٧. ﴿ .قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧).﴾ بدون توكيد . وقوله: فى الأعراف ٢٣ ﴿..قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣).﴾ بتوكيد الجواب . وقوله: فى الأعراف ١٤٩ ﴿.وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)﴾ بتوكيد الجواب وباللام الموطئة قبل الشرط .

فالثالثة آكد من الثانية ، والثانية آكد من الأولى ، وذلك حسبما يقتضيه السياق.

قال تعالى فى سياق الآية الثالثة: فى الأعراف ١٤٩ ﴿.وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)﴾ وهذا فى بنى إسرائيل بعدما عبدوا عجل الذهب واتخذوه إلهاً لهم وهو كفر صريح وضلال مبين .. ولذلك عند توبتهم أكدوا قولهم باللام الموطئة زيادة على توكيد الجواب : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)﴾ .

وأمـــا الآية الثانية التي هي: الأعراف﴿..قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَـنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)..﴾ فهي على لسان آدم وزوجه بعدما أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عنها . وهذه المعصية اقل من معصية بني إسرائيل ؛ فإن معصية قوم موسى كفر لأنه عبادة لغير الله و لم يفعل ذلك آدم بل هو مقر بربوبية الله ومقر بعبوديته لربه وإنما هـــي لحظـــة ضعف أدركته كما تدرك الكثير من الناس من غير أن تخرجهم عن دينهم ثم يـــتوبون عنها ألم تر كيف وصف بني اسرائيل بالضلال فقال: (ورأوا أنهم قد ضلوا) و لم يـــصف آدم بـــذلك **فلمـــا كانت المعصية أقل حذف اللام الموطئة التي تفيد التوكيد .**

فالأول آكد لأن المعصية اكبر فالتوبة وطلب المغفرة يكونان على قدر المعصية .

وأمـــا الآية الثالثة وهي قوله تعالى: في هود ٤٧.﴿ .قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧).﴾ فهي على لسان نوح عليه السلام وذلك أنه سأل ربه أن ينجي ابنه من الغرق لأن الله وعده أن ينجي معه اهله فقـــال: في هـــود ٤٥﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْـــتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥).﴾ فقال الله له: في هود ٤٦.﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِـــكَ إِنَّـــهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦).﴾ فطلب نوح من ربه المغفرة والعفو لسؤاله هذا فقال: في هود ٤٧﴿.قَالَ رَبِّ إِنِّـــي أَعُـــوذُ بِـــكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧). ﴾ فهذا ليس بمعصية كمعصية آدم ؛ وإنما فهم نوح أن ابنه يدخل مع أهله الناجين ، فبين الله أنه ليس من أهله لأنه كافر، فطلب من ربه المغفرة لما سأل ولذلك لم يأت الكلام مؤكداً **فانت ترى أن التوكيد يتناسب وقدر المعصية فلما لم يكن سؤال نوح معـــصية لم يؤكد كلامه ولما كان فعل آدم معصية لربه أكده بالنون ولما كان فعل بني اســـرائيل كفـــراً وضـــلالاً أكده بالنون وباللام الموطئة فالخسران إنما يكون على قدر المعصية ولاشك .**

ثم ألا تـــرى **كيف قدم الرحمة على المغفرة مع بني اسرائيل** (لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) بخـــلاف الآيتين الأخريين فإنه قدم المغفرة على الرحمة ، وذلك لأن الرحمة أعم وأوسع من المغفـــرة ، فإن الرحمة لعموم الخلق حتى البهائم ويدخل في رحمة الله المؤمن والكافر فكلهم يعيـــشون في رحمة الله ، فالبهائم تعيش برحمة الله ، والبهائم تتراحم فيما بينها ، ولايصح وصفها بالمغفرة ، فإذا طرد أحد من رحمة الله فلا مطمع له في شئ بعد ، فالمغفرة تأتي بعد

الرحمة وهى رحمة خاصة بالمؤمن ، فالرحمة تأتى أولاً ثم المغفرة ؛ فمن لم يرحمه ربه لايغفر له ومن غفر له كان مرحوماً ، وليس كل مرحوم مغفوراً له ، فالخلق كلهم فى رحمته ولذا قــدم هؤلاء الذين كفروا وضلوا الرحمة على المغفرة ، فهم كانوا أحقاء بأن يطردوا من رحمــة الله إذا مابقــوا على ذلك، ولذا طلب هؤلاء الرحمة أولاً ليكونوا كعموم الخلق الــداخلين فى رحمته ثم المغفرة فيما بعد ، وهذا يتناسب مع كبر معصيتهم فإنهم حذروا أن يؤيــسهم ربهــم من رحمته فأرادوا أن يشملهم ربهم برحمته ليكون ذلك مرقاة إلى المغفرة بخلاف الآيتين السابقتين فليس الأمر فيهما كذلك. **فانظر إلى فخامة هذا الكلام وعظمته ونعود للدكتور المطعنى:**

وقوله تعالى: فى سورة الصافات:﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) ﴾ حذف "الياء" من الفعل المضارع "تردين" لأن المراد منه الإرداء الأخروى لا الدنيوى بدليل قوله تعالى بعده مباشرة: فى سورة الصافات:﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) ﴾

وقــوله تعالى: فى سورة الدخان :﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠)﴾ حذف "الياء" من الفعل المضارع "ترجمون" لأن المراد من "الرجم" البهتان والتكذيب بالرسالة فهو أمر معنوى وليس الرجم بالحجارة وهو أمر حسى

وجميع هذه "الياءات" المحذوفة من معمولات الأفعال فهى مفعول به فى كل موضع. وهى كلها ثابتة فى النطق مع حذفها فى الرسم الخطى

وقــد جــاء الحذف والاثبات فى آيتين متجاورتين فى قوله تعالى: فى سورة يس: الآيتان ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ حــذف "الــياء" من الأول "يحى" لأنه غير موجود حين تساءل عنه منكر البعث. وثبت فى الثانى "يحييها" لأنه جواب صادق بإحياء الموتى فكأنه لصدق الوعد به وقرب يوم الحــشر فى علــم الله احياها بالفعل وهذا من دقائق المعانى فى هذا الرسم الحكيم.((**ولماذا لانــدخل نبرة الحديث ولهجته فى الرد التقريرى ولفظ** (قل)- الذى يزيد من قوة الرد والأمر به دون تهاون- **وهذا ملحظ هام ومتكرر كثيراً سنمر عليه**)

وقوله تعالى: فى سورة الفجر: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) حذف "الياء" فى هذا الفعل المضارع "يسر" ونابت عنه الكسرة تحت "الراء" و"الياء" المحذوفة- هنا- لام الفعل ووزن الفعل بعد الحــذف يفع لأنه من سرى يسرى. أما "الياء" المحذوف من الكلمات السابقة فهى- كما تقدم- ضمير متصل مفعول به.

وعلـــة الحـــذف فى هذا الموضع "يسر" هى علة الحذف فى كل ماتقدم. **أعنى الرمز إلى التفرقة بين المعانى الذهنية المعنوية التى لا صورة لها محسوسة ماديا فى الوجود وبين المعانى الماديـــة المدركة بإحدى الحواس الخمس.** والمراد من "يسر" فى آية "الفجر" ليس الذهاب بـــالحس المدرك بالبصر بل الذهاب المعنوى لأن الناس لا يرون سرى الليل بأبصارهم وإنما يدركـــون ذلك "السرى" بعقولهم وأذهانهم. **وفى نقص "الياء" هنا لطيفة أخرى وهى أن سُرى الليل يدل على نقصانه شيئا فشيئا.**

والـــنقص الحسى فى صيغة هذا الفعل الحادث بحذف "الياء" يشع منه معنى بالغ النهاية فى الدقـــة وهو: نقصان الليل نفسه فى الواقع. وهذا المعنى أشبه مايكون بالتفسير "الإشارى" عند المتصوفة(٤)

۞۞ ((**(وهنا أصيف رأياً آخر مع ما أشار إليه د: مطعنى** — والذى نقله عن و قال به الأئمة الأعلام.. ومنهم الإمام الأخفش- حيث قال(**عادة العرب أنها إذا عدلت بالشىء عـــن معناه نقصت حروفه**.. وهى قاعدة عظيمة وهامة جداً جداً.. ثم يكمل: والليل لما كـــان لايسرى ، وإنما يسرى فيه ، نقص منه حرف ، كما قال تعالى من سورة مريم (**يَا أُخْـــتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** (٢٨) والأصل (بغية) فلما حـــول عـــن فاعل نقص منه حرف)).. ويعلق الأستاذ الدكتور محمد ابو موسى قائلاً: (الحذف هنا دليل على شىء فى المعنى، أى فى دلالة اللفظ على معناه،... وأشار إلى قاعدة النقص فى قول الأخفش التى ذكرناها)..

وبعـــد هذا الكلام الطيب — وارتضائى عن هذا القول البليغ - أقف وقفة لأضيف تعليقاً علـــى قول الإمام الأخفش الذى يقول فيه: (والليل لما كان لايَسرى ، **وإنما يُسرى فيه** ، نقص منه حرف)..وأقول: أنه — بناءً على ما أخبرنا به العلم — من أن الأصل فى الكون هو الظلام (أى:الليل) وأن هذا الظلام ثابت على ظهر الكرة الأرضية ويلف الكرة الأرضية .. وأن هذه الكرة الأرضية تلف **بسرعة كبيرة جداً** حول محورها أمام قرص الشمس .. مما ينتج عنه أن هذا الضوء - الساقط من الشمس على هذا الجزء من الأرض المواجه له- يقوم بإزالة (ونقصان) هذا الجزء من الظلام .(أى إنقاص الليل) ..

ومـــع ملاحظـــة أن الليل(الظلام) هو الذى يسير أيضاً (أى يدور بدوران الأرض به).. فـــيكون الليل يسرى أولاً بسرعة — كما ذكرنا- ولكن هذا السريان ليس بسريان ذاتى منه- أى ليس بحركة ذاتية من الظلام منفصلة عن الأرض - ولكنه يحدث بسريان الأرض به .(فالأرض هى التى تسير بالحقيقة وليس الليل، لكنه يوجد سريان لليل ظاهرى فقط).

كما ذكرنا ذلك فى مرور الجبال مر السحاب ، وقلنا أن الأرض هى التى تمر ولكن لوجود الجبال محمولة عليها (والجبال أوتادا) جاز لنا أن نقول أن الجبال تمر، ولكن ليس بحقيقة المرور الذاتى لها ، بل لمرورالأرض الحاملة لها .. كما تمر السحاب بمرور الريح الحاملة لها.. وهكذا الحال بالنسبة للظلام فهو يسير ولكنه ليس بذاته.. فأصبح سيراً على غير الحقيقة المعروفة لدينا (فتغير ظاهر الكلمة بالنقص لهذا المعنى العظيم الذى قاله الإمام الأخفش..)..

وهذا المعنى (السير غير الحقيقى ، وسرعة سيره بالفعل – وإن كان محمولاً–) يشير إليه حذف الحرف .. وهذا المعنى يختلف عن قول الأخفش ((والليل لما كان لايَسرى ، ((وإنما يُسرى فيه)) ، نقص منه حرف.)– وهو ((وإنما يسرى فيه)) معنى غامض قليلاً عما قلناه. والله أعلم

وبذلك نرى كما رأت الدكتورة (عائشة عبد الرحمن) بنت الشاطىء.. أن هذا الحذف قد يكون لدلالة معنوية بلاغية، وأيضاً لدلالة فنية جمالية فى هذه الآيات، لا لأجل رعاية الفواصل فحسب، أو الفضيلة السجعية كما يظنون – على اعتبار حسن نيتهم وليس أيضاً كما يقولون خطأ من الكاتب.

أما قوله عز وجل: فى سورة الفجر:﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾

فقد حذف فيه "الياء" فى فاصلتى الآيتين هكذا "أكرمن" "أهانن".

وهذا الحذف فى الموضعين رُمز به على خطأ وقع فيه الإنسان القائل هذا الكلام. ذلك الخطأ هو أن من ينعم عليه الله ويبسط له الرزق يعتقد أن هذا الإنعام من الله دليل على حب الله إياه وسمو منزلته عنده. وأما من يضيق الله عليه فى الرزق فيرى كذلك أن الله لا يحبه وأن منزلته عنده وضيعة. ووجه الخطأ– هنا– أن كلا منهما جهل سنة الله فى خلقه؛ تلك السنة هى أن الله تعالى يبتلى الصالح والطالح وأن الابتلاء(= الاختبار) يكون بالنعم كما يكون بالنقم ؛ فليس إغداق النعم من الله على بعض عباده دليلا على فضلهم وصلاحهم عنده. وليس ابتلاء أحدًا من خلقه بالشرور دليلا على بغض الله إياه وانتقامه منه. **وكان حذف "الياء" فى الآيتين مدرجًا للفت الأنظار وإثارة الذهن للتساؤل عن سبب الحذف فى الموضعين ويتجه لفهم هذا المعنى اللطيف.**

أقول إنه يقصد: (أن يلفت النظر إلى أن الظاهر على خلاف الحقيقة)

و"الياء" فى الموضعين ضمير المتكلم ومفعول به للفعل قبله وبقيت الكسرة دليلا عليه.

۞۞ ((وأقول مضيفاً – فى هذا الحذف وأمثاله– مثل تكرار قوله: **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨)** بحذف الياء من كلمة (نذر)... **أن هذه الياء حذفت لوجود قرينة دالة عليها – أى الكلمة قبلها فكيف كان عذابي)** فيكون ذلك دليلاً على أن النذر هى (نذرى) أيضاً .. وهذا الحذف أضاف معنىً إضافياً لايستفاد عند الذكر(أى ذكر الحرف "نذرى")، وهذا المعنى هو: الإيجاز والتنزه عن اللغو والعبث – كما يقول العلماء– لأن فى ذكر (الياء) مع وجود قرينة دالة عليها وتغنى عنها يعتبر إطناباً فى العبارة من غير داعٍ، وهذا ما يعده البلاغيون العرب فى غير القرآن لغواً وعبثاً ينبغى للمبدع الحكيم أن يتحرز عنها، ويصون كلامه منها؛ إذ أن القرينة فى الآيات على وجود المحذوف (الياء) واضحة، فأصبح كالمتعين، فلم تكن الحاجة إلى ذكره لشدة وضوحه، فآثر الحذف بعداً عن اللغو وإسراعاً إلى ما تعلق به الغرض من النذر).. وهذا المعنى هام جداً جداً لايتذوقه إلا علماء البلاغة .. ولابد من تكرار قراءته والتمعن فيه، فهو من أقوى أنواع البلاغة .. وهو ما يسمى ببلاغة الحذف.. إضافة إلى المعانى الأخرى التى ذكرناها ..

ولعلنا نذكر قول الله تعالى فى سورة الشعراء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام فى أعظم خطبة نقلها القرآن الكريم وهى قوله:(**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١)**). فإن لم يكن وراء هذا الحذف من لطائف – كما تعودنا – أو خفى علينا أمرها – فقد أفاد الحذف معنى إضافياً لايستفاد عند الذكر، وهو **الإيجاز فى العبارة** – مع وجود القرينة – **والإسراع إلى الغرض المقصود** من حديثه (عليه السلام) – وهو ذكر صفات ربه عز وجل والثناء والإطراء عليه–: فهو خالقه(خلقنى) وهاديه (يهدينِ).. وهنا نلاحظ أنه قد حذف الياء من (يهدينى) ووضع بدلاً منها – وعلامة عليها– كسرة، وذلك لوجود القرينة على أن الهادى هو نفسه الذى(خلقنى) فى الكلمة السابقة مباشرة. .. وهو مطعمه (هو يطعمنى) وهو ساقيه (يسقين) ولاداعى لتكرار القول بوجود القرينة فى الكلمة السابقة فى" ياء" (يطعمنى) ويكون ذلك الحذف فى مكانه وفى قمة البلاغة والروعة والجمال أيضاً.. وهكذا فى (يشفين) من المرض ..(ويحيين) مع وجود القرينة قبلها

ونكرر أن هذا الحذف فيه إيجاز فى اللفظ، وإسراع إلى ما يتعلق به الغرض.

وليس من البلاغة أن يذكر المحذوف إذا دلت عليه قرينة واضحة تدل عليه، إذ يكون حذفه أولى من ذكره وأفضل، لأن ذكره حينئذٍ يكون نوعاً من الزيادة من غير داعٍ، والعرب تعد هذه الزيادة فضولاً ولغواً فى القولٍ يلزم التنزه عنه، فما ظنك ببلاغة رب البلغاء!! وما تقول فى بلاغة وحى السماء؟! قل ما شئت ولاحرج.

نقص الـــياء(= حذف الياء) (٢)

نـــوالى الحـــديث عن حذف "الياء" فى الأفعال لأنه لم يتسع المقام لاستيفاء كل المواضـــع التى حذف فيها "الياء" فى المقال السابق وكلمات القرآن حافلة بهذا النوع من الحـــذف وأول ما نبدأ به فى هذا المقال هو المقارنة بين موضوعين ورد "الياء" فى أحدهما محـــذوفا وفى الآخـــر مثبتا فى فعل واحد ورد فى الموضعين. فى سورة البقرة﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلـــنَّاسِ عَلَـــيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)﴾ وفى سورة البقرة آية ١٥٦. وسورة المائدة آية ١.

وأول هذين الموضعين هو قوله سبحانه وتعالى: فى سورة البقرة آية ١٥٠. وسورة المائـــدة..﴿ . حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

فى آيـــة البقرة ثبت "الياء" فى الفعل "واخشونى" وهو ضمير المتكلم مفعول به للفعل قبله. وفى آية المائدة حذف "الياء" فى الفعل نفسه "واخشون" وهنا يرد سؤال لحوح: لماذا أثبت "الياء" فى الأولى وحذف الثانية؟

والجواب: أن "الياء" فى آية البقرة جئ به على الأصل لأن الأصل هو الإثبات لا الحذف. أما فى آية المائدة فقد كان الحذف رمزا على معنى يدل عليه. هذا المعنى هو أن **المنهى عن خـــشيته طائفة خاصة هم الذين ظلموا المؤمنين من الناس لا كل الناس** لأن الضمير فى "فلا تخشوهم" عائد على أقرب مذكور قبله وهو هنا "الذين ظلموا". ومراعاة لهذا المعنى ذهب بعض العلماء إلى أن ثبوت "الياء" فى آية البقرة فى "فلا تخشوهم واخشونى" رمز إلى معنى مقابل للمعنى الذى حذف "الياء" من أجل الدلالة عليه فى المائدة ، والمقام ينصر هذا **لأن مـــافى آية البقرة هو "الذين ظلموا"** أما مافى **سورة المائدة فهو "الذين كفروا"** وهم أعم من "الذين ظلموا" ، وعلى هذا **فإن حذف "الياء" فى آية المائدة رُمز به إلى "العموم" وإثبات "الياء" فى آية البقرة رُمز به إلى "الخصوص".**

وقد عبر عن هذا الفرق الإمام ازركشى بأن الخشية الكلية رمز لها بحذف الياء ، والخشية الجزئية رمز لها بإثبات"الياء"(١).

((نلاحـــظ هنا أن دكتور: المطعنى لم يوجة آية المائدة ٤٤﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.....وهى تتحدث عن خـــشية الناس (بصيغة العموم) وحذف منها الألف ، وهذا المعنى يسير على نفس القاعدة التى ذكرها)

ولكننا نقف وقفة لنضيف رأياً مكملاً للدكتور فاضل السامرائى ليؤكد لنا أن مائدة القرآن لايشبع منها العلماء ، حيث يقول:

ومـــن هذا النوع من الذكر والحذف قوله تعالى: فى البقرة ١٥٠﴿..**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُـــونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَـــيْكُمْ وَلَعَلَّكُـــمْ تَهْتَدُونَ** (١٥٠).﴾ وقوله فى المائدة ٣﴿ .**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ الـــسَّبُعُ إِلَّـــا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَـــئِسَ الَّـــذِينَ كَفَـــرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (٣).﴾ وقوله فى المائدة ٤٤ ﴿.**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُـــمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** (٤٤)﴾ فذكر الياء فى (اخشونى) فى آيـــة البقرة وحذفها واجتزأ بالكسرة فى آيتى المائدة ، وذلك أن السياق فى البقرة يستدعى تحذير المسلمين من خشية الناس وعدم الالتفات إلى أراجيفهم كما يستدعى توجيههم إلى مراقبة الله تعالى وخشيته **أكثر بكثير مما فى الموطنين الآخرين**؛ وذلك أن السياق **فى البقرة فى تبديل القبلة** من بيت المقدس إلى المسجد الحرام فى مكة، وقد أرجف اليهود والمنافقون بسبب هذا التغيير وأكثروا القول فيه، فاستدعى ذلك توجيه المسلمين إلى عدم الالتفات إلى

أقوال أعداء الله أو خشيتهم ، وإنما عليهم أن يخشوا الله وحده، فأبرز الضمير العائد على الله فقال: (فلا تخشوهم واخشونى) ؛ فقد بدأت الآيات بقوله: فى البقرة ١٤٢.﴿ .سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)..﴾ إلى أن يقول: فى البقرة ١٤٩- ١٥٠. ﴿ .وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) ﴾.

فى حين كان سياق الآية الثانية يختلف عن ذلك فهو يدور على ذكر المحرمات من الأطعمة قال تعالى: فى المائدة ٣﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣).. ﴾ ثم قال: ايضاً فى المائدة ٣. ﴿ .الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ.﴾ فالكفار يائسون من محاربة الإسلام بعد أن أظهره الله وأعلى كلمته. فالمحاربة فى الموقف الأول ومظنة خشية الناس اكبر بخلاف آية المائدة التى انزلت بعدما اظهر الله دينه.

وكذا الأمر فى الآية الأخرى وهى الآية ٤٤ من سورة المائدة فإنه ليس فيها مايستدعى الخشية من الناس وليس فيها إرجاف ولا محاربة ؛ قال تعالى: فى المائدة ٤٤ ﴿ .إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤).﴾ .

فأنت ترى ان سياق آية البقرة وما فيها من خصومة ومحاجة ومحاربة يستدعى جانباً كبيراً من الخشية فأظهر الله نفسه طلباً لمراقبته وخشيته وعدم الاكتراث بأقوال المرجفين، بخلاف مافى الآيتين الأخريين.

ثم انظر طول السياق وتكراره فى سورة البقرة فقد بدأ بقوله: فى البقرة ١٤٢ ﴿ .سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

وَالْمَغْـرِبُ يَهْـدِي مَـنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢).﴾ .وقوله: فى البقرة ١٤٣. ﴿ .وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَـهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَـيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)..﴾ فذكر أن تغيير القبلة كبير عند الناس. ثم ذكر بعدها: فى البقـرة ١٤٤ ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤).﴾ ثم أخبر أن الذين أوتوا الكتاب لا يتبعون قبلة الرسول مهما جاءهم بالبينات فقال: فى البقرة ١٤٥ ﴿..وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّـذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِـبْلَةَ بَعْـضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)..﴾ وهكذا فأنت ترى أنه أطال القول ههنا فكان المناسب أن يطيل بذكر الضمير أيضاً وهو المناسب لإطالة السياق بخلاف ماقى الآيتين الأخريين. هذا من ناحية ومن ناحية أخـرى إنه أبرز الضمير (الياء) فى سياق آية البقرة اكثر مما فى الموطنين الآخرين من مثل قوله: (واخشونى) و: (ولأتم نعمتى) (فاذكرونى) (واشكروا لى) وغيرها. فناسب كل ذلك ذكـر الـياء فى آيـة البقرة بخلاف آيتى المائدة. وهذا كما ترى نظير مامر من ذكر الياء وحذفها آنفاً.

❁❁❁ وشـبيه بهـذا الذكـر والحذف وليس منه قوله تعالى: فى الأنعام ١٥٨.﴿ ..هَلْ يَنْظُـرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَـاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)..﴾ وقوله: فى الأعراف ٥٢- ٥٣ ﴿...وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُـرَدُّ فَـنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣).﴾ وقوله: فى هود ١٠٢- ١٠٥ ﴿..وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْـذَهُ أَلِـيمٌ شَـدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ

لَـا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥).﴾ فحذف الياء من (يأت) واجتزأ بالكسرة فى آية هود دون الآيتين السابقتين ، ولهذا الحذف سببه، فقد ذكر الله فى عدة مواطن من هود **تعجل الذين كفروا للعذاب كما تردد الوعد بقرب نزوله** فقد قال: فى هود ٨ ﴿..وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨).﴾ وقال قوم نوح: فى هود ٣٢ ﴿..قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢).﴾ وقال صالح لقومه: فى هود ٦٤- ٦٥ ﴿..وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) ﴾ وقال فى قوم لوط: فى هود ٨١ ﴿ .قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ(٨١).﴾ وقال فى موطن آخر: فى هود ٨٣ ﴿..مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)..﴾ **فأنت ترى أنه تردد ذكر استعجال العذاب من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه تردد الوعد بقرب حلوله فكان من المناسب الحذف من فعل الإتيان إشعاراً بقرب حلوله.**

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أنه ذكر فى سورة (هود) عقاب الأمم السابقة وهلاكهم ثم ذكر أن يوم القيامة آتٍ وأنه سيحل فيه عقاب الكافرين كما حل عقاب الأمم السابقة وإن هو إلا أجل معدودٌ فيحل، فحذف الياء من فعل الإتيان للدلالة على سرعة الإتيان وليس الأمر كذلك فى الآيات الأخرى.

هذا ومن ناحية أخرى أنه تردد ذكر الإتيان باشتقاقاته المختلفة فى كل من (الانعام) و (الأعراف) أربعاً وعشرين مرة ، وفى (هود) ثلاث عشرة مرة ، فلما كثر الفعل فى سورتى الأنعام والأعراف كثر البناء ، ولما قل تردده فى هود قلل من البناء، وهو نظير مافى (المهتد) و(المهتدى) وغيرها مما سبق ذكره.

ويمكن أن يضاف شئ آخر: وهو أنه لما منع الكلام فى آية هود إلا بإذنه حذف من الكلام فحذف الياء من (يأتى) وحذف التاء من فعل التكلم فقال: (تكلمُ) و لم يقل: (تتكلم) **إشعاراً بقلة الكلام فى ذلك الوقت وهذا مما يدعو إلى العجب.**

❁❁❁❁❁❁

ويقول د: مطعنى.

وكذلك "الياء" من الفعل المضارع لغير علة نحوية ولا صرفية فى قوله تعالى:

فى سورة النساء:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾

إنَّ حـــذف "الياء" من الفعل المضارع "يؤت" دون أن يقتضى هذا الحذف عامل نحوى أو بناء صرفى ، ومعنى هذا أن الحذف هنا له دلالة لطيفة من أجلها كانت هذه الدلالة ؛ هى أن الإتيان الذى وعد الله به عباده المؤمنين الموصوفين بهذه الأوصاف العظيمة وهى:

❁ التوبة النصوح. ❁ الإصلاح فى القول والعمل. ❁ الاعتصام بالله عز وجل.

❁ إخـــلاص الـــدين لله والإعراض عمن سواه. **هذا الاتيان الذى وعدهم به هو إتيات غيبى أخروى لا يدرك كنهه أحد.** فحذف "الياء" للدلالة على هذه اللمحة اللطيفة

❁❁ (وأقـــول: لامانع من أن يكون فى ذلك ملحظ السرعة فى إتيان الله المؤمنين الأجر العظيم فى مقابل التشديد على المنافقين وايقافهم طويلاً أمام شروط زائدة عليهم فى التوبة — لم يشترطها على الكافرين التائبين الذين شرط عليهم (أمنوا وعملوا الصالحات فقط.). ولكـــنه هنا مع المنافقين زاد عليهم ((١) تابوا .. (٢)وأصلحوا..ثم زاد: (٣) **وَاعْتَصَمُوا بِاللَّه** ، (٤) **وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّه**.)... **ورغم ذلك التشديد عليهم نجده سبحانه قد قال بعدها:** (٥) **فَأُولَئكَ مَعَ الْمُؤْمنينَ** (ولم يقل فأولئك من المؤمنين).**زيادة فى التوبيخ لهم.. (٦) ولم يقـــل (وســـوف يؤتـــيهم — جميعاً— أجرا عظيما) بل قال: وَسَوْفَ يُؤْت اللَّهُ (الْمُؤْمـــنينَ) أَجْـــرًا عَظيمًا** .....وكأنهم ما زالوا من غير المؤمنين......... فجعلهم على انتظار طويل ودائم ...

كل ذلك يقابله المشهد الملائم — والمقابل— وهو: **سرعة النجاة والخلاص والفوز الـــسريع للمؤمـــنين** — فـــيكون ذلك زيادة فى تحسرهم .. مثلما يُرى اللهُ الكافرَ مقاعدَ المؤمنين فى الجنة زيادة فى تحسرهم.

وقـــد حدث هذا التعبير بهذه الصورة (ليوقفنا) على التأمل فى خطورة النفاق .. (ويـــوقفهم) طويلاً قبل قبول توبتهم — فى مقابل سرعة الفوز للمؤمنين المخلصين.. فهى مقابلة عظيمة أشار إليها الوحى المعجز برسم الكلمة))

ومـــثل هذه الآية من بعض الوجوه قوله عز وجل فى سورة هود:﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ

وَشَهِيقٌ ﴿١٤٥﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾الآيـة تتحدث عن يوم القيامة الوارد ذكره فى الآية التى تقـدمت علـيها مباشرة وهى:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) ﴾

و"الياء" حذف- كما ترى- لغير علة نحوية أو صرفية وحاشا أن يكون هذا الحذف خاليا مـن الدلالة وإلا ما حذف. إن معناه اللطيف الذى دل عليه هو غيبية مجئ يوم القيامة ثم قرب مجيئه، وهذا المعنى درج عليه القرآن كثيرا وإن لم يحدد مدة القرب والحذف من بنية الكلمة وخاصة إذا حدث هذا فى أطراف الكلمات يترتب عليه قصر المسافة المكانية ، وفى هـذا إيحاء بقصر المسافة الزمانية بين الخلق وبين حدوث يوم القيامة فبين المسافتين إيحاء لطيف .(وأطلب من القارىء أن يكمل تعليق د: فاضل)

هذا وفى سورة الأنعام آية وردت فيها أفعال قد تثير تساؤلات على القاعدة التى تقـدم فى حذف "الياء" من الفعل "يأت" فى الآيتين المذكورتين آنفا ولنذكر الآية أولا: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)﴾ ورد الفعل "يأتى" فى الآية أربع مرات و "الياء" مذكور لم يحذف.

وموضوع الأفعال الأربعة أمر غيبى هو على التفصيل:

۞ إتيان الملائكة.۞ إتيان الله (ربك) .۞ إتيان بعض آيات (مرتان) . فلماذا إذا تثبت "الياء" ولم يحذف على غرار حذفه فى (وسوف يؤت الله المؤمنيم أجرا عظيما) . (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) ؟.

والجواب: الأفعال الثلاثة الأولى:

(تأتيهم الملائكة). (يأتى ربك) . (يأتى بعض آيات ربك) . هذه الأفعال الثلاثة ثبت فيها "الياء" لأن الفعل الأول تقدم عليه "ناصب" للمضارع هو "أن" فثبتت "الياء" لتظهر عليه "فتحة الإعراب" .

أمـا الفعلان التاليان له وهما: "يأتى ربك" "يأتى بعض آيات ربك" فهما معطوفان عليه ولابد من ظهور "فتحة الإعراب" على الحرف الأخير فيهما ، فثبت "الياء" من أجل هذا.

أما الفعل الرابع "يوم يأتى بعض آيات ربك" فهو غير معطوف والظاهر يقتضى حذف "الياء" منه وعليه يرد التساؤل المذكور.

والجـــواب: هذا الفعل وإن كان متعلقه أمرا غيبيا مثل "وسوف يؤت". ومثل "يوم يأت لاتكلـــم نفس..".فإن بينه وبينهما فرقا ملحوظا واضحا. ذلك أن متعلق "سوف يؤت"- و"يـــوم يأت" لن يكون فى الحياة الدنيا بل هما أمران من شئون الحياة الآخرة. هذا واضح فى "وســـوف يـــؤت" أما فى "يوم يأت لاتكلم نفس " فهذا حديث عن يوم البعث من القبور، فهو إذا يوم من أيام الآخرة لا من ايام الدنيا.

أمـــا "يـــوم يأتى بعض آيات ربك" فهذا من أيام الدنيا قبل نفخة "الصعق" إذا هو يوم سيشهده الناس فى يوم من أيام الدنيا ، فالغيبة فيه غير كاملة. هذا الفرق الكبير بينهما هو الذى اقتضى عدم حذف "الياء" فى: (يوم يأتى بعض آيات ربك) لأنه- كما تقدم- يوم مـــن أيـــام الدنيا بدليل ما بعده فى الآية نفسها **﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ. ﴾**

ويرى بعض المفسرين أن "بعض آيات ربك" هو طلوع الشمس من المغرب(٣). وهو- قطعا- من أيام الدنيا فى أواخر عمرها .

هـــذه المقارنـــات الدقـــيقة تظهـــر لـــنا بكل وضوح الفعالية وبالغ الحكمة فى الخصوصيات التى انفرد بها الرسم العثمانى للمصحف الشريف. وأن كل ما فيه مما فارق به الخـــط الاملائى العام يرمز إلى معان جد لطيفة، منها ماهو مدرك ملحوظ بيسر ومنها ما يحـــتاج إلى تأمـــل طويل يضاف إلى تلك الجهود التى بذلها علماؤنا الأقدمون قريبو العهد بالكتبة الأولى للمصحف فى خلافة ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهى لم تحدث فى عصره إنما كان المصحف مدونا بها فى عصر الرسالة

ومـــن المواضـــع التى حُذف فيها "الياء" فى درج الكلام قوله عز اسمه: فى سورة البقرة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

حُـــذف "الياء" فى هذه الآية فى موضعين الأول من "الداع" وهو اسم فاعل. والثانى من "دعان" وهو فعل ماض كما ترى ونحن وإن كنا بصدد الحذف من الأفعال هنا فإن المقام يقتـــضى بيان سر الحذف فى الموضعين معا لأن مقتضى الحذف فيهما واحد. فالآية تقرر قرب الله من أحوال عباده.

وقيل فى سبب نزول هذه الآية ان رجلا أو جماعة سألوا رسول الله صلى الله عليه وســـلم: أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأمسك عن الجواب فترل قوله تعالى: (وإذا سألك عبادى..).

هــذا هــو المقــام ولما كانت الإجابة بالقرب لا بالبعد **كان حذف "الياء" فى الموضعين لتأكيد ذلك القرب من وجه لطيف بعد توكيده بــ**"أن" واسمية الجملة.

وحــذف "الياء" فى الموضعين قصر المسافة المكانية التى رسمت فيها الآية وتقصير المسافة هو القرب الذى قررته الآية.

فهذا الحذف من ألطف الكنايات على معنى القرب الذى وصف الله به نفسه وهو قــرب علــم وإحاطة وانعام وتدبير لا قرب مكان ومجاورة، قرب "معية" معنوية لا قرب تضام ومجالسة.

وقــد تولد عن تلك الكناية اللطيفة (= دلالة الحذف على القرب) لطائف أخرى يبثها البيان القرآنى أرق من نسيم الحدائق فى الأسحار. **لطيفة سرعة سماع الدعاء لقرب المدعــو. ولطيفة سرعة الإجابة إذا كان الداعى من أهل القبول عند الله عز وجل** ولم يطعم أو يلبس حراما ولا دعا بسوء ظلما ولا بشحناء أو قطيعة رحم..

۞۞ ((وأقول : إذا كان دعاء الداعى من القلب العامر بالإيمان.. وليس بحركة اللسان الظاهرية .. فهنا يأتى قرب الله له.. وهنا يكون الحذف أيضاً لهذا السبب المعنوى حسب القاعدة أيضاً))

قــال الإمــام الزمخشرى فى شرح الآية: **تمثيل لحاله فى سهولة إجابته لمن دعاه ، وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه ، فإذا دعى أسرعت تلبيته ، ونحوه { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْه منْ حَبْلِ الوريد }** [ق : ١٦]. ثم ذكر سبب نزول الآية كما تقدم آنفا.

وهنا يكمل الدكتور فاضل السامرائى حديثه قائلاً:

ومــن ذلــك ذكر ياء المتكلم أو حذفها والاجتزاء بالكسرة وإن لم تكن ياء المتكلم من الحروف ، وذلك نحو قوله تعالى: فى الأعراف ١٩٥) ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

وقــوله فى هــود ٥٥ ﴿..إِن نَّقــولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِه فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥)﴾

فقد حذف الياء واجتزأ بالكسرة فى الأعراف فقال: (ثم كيدون) ، وذكرها فى هود فقال: (فكيدونى) .

ويمكن هنا أن نذكر أصلاً عاماً فى ذكر الياء وحذفها وهو: أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلف عن ذكر الياء فى كل ما ورد فى القرآن الكريم - عدا خواتم الآى والنداء- ولها فى كل ذلك خط عام إضافة إلى السياق الخاص، **ففى كل موطن ذُكر الياء فيه يكون المقـــام مقـــام إطالـــة وتفصيل فى الكلام بخلاف الاجتزاء بالكسرة فإن فيه اجتزاء فى الكلام**، هذا من ناحية , ومن ناحية أخرى إن الياء تتردد مظهرة فى المواطن التى تذكر فيها الـــياء أكثر من المواطن التى يجتزأ بالكسرة عنها. وقد تتردد الكلمة ذات الياء المظهرة فى السورة أكثر من تردد الكلمة ذات الياء المجتزأة فى موطنها.

هذا علاوة على السياق الخاص الذى يقتضى الذكر والحذف كما سنبين.

ونعـــود إلى الآيتين اللتين ذكرناهما، فإن المقام **فى هود مقام تحد كبير ومواجهة فأظهر نفسه زيادة فى التحدى**، إذ المتحدى وطالب المواجهة لابد أن يظهر نفسه ، وليس الأمـــر كـــذلك فى الأعراف فإنه ليس فيها هذا التحدى، يدل على ذلك سياق كل من الآيتين، فقد قال فى الأعراف:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

وأما هود فالمقام فيها مختلف فقد دعاهم هود إلى عبادة الله وحده وترك ما عداه فقال لهم: فى هود ٥٠ **﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)﴾** ونصح لهم بالتوبة والاستغفار ليرضى عنهم خالقهم ويزيدهم من فضله فرفضوا قوله وردوا عليه قائلين: فى هود ٥٣- ٥٥ **﴿..قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَـــا نَحْـــنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥)﴾**

فهـــم لم يكتفوا برد دعوته وعدم التصديق به بل قالوا له: إن بعض آلهتهم اعتراه بـــسوء مما جعله يتحداهم ويتحدى آلهتهم فأشهد الله وأشهدهم على البراءة من آلهتهم ثم دعاهم جميعاً إلى كيدهم له ثم لا يمهلونه إن استطاعوا فزاد كلمة (جميعاً) زيادة فى التحدى رداً علـــى قولهم: فى هود ٥٤ **﴿.إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤)﴾**

إنهم قالوا له: إن أحد آلهتهم اعتراه بسوء فتحدى الجميع ثم اظهر نفسه **فذكر الياء زيادة في التحدي**. هذا من ناحية

ومن ناحية ثانية إن التحدي والمواجهة في هود أطول وأكثر مما في الأعراف (انظر الآيات ٥٠- ٥٨) فذكر الياء في هود لأن الياء أطول من الكسرة وحذف الضمير، واجتزأ بالكسرة في الأعراف **فناسب بين طول الكلمة والسياق فجعل الكلمة الطويلة للسياق الطويل والكلمة المجتزأة للسياق المجتزأ**

ومن ناحية أخرى نرى أنه قد تردد ذكر ياء الضمير في هود في هذا الموطن مرات عديدة، وليس الأمر كذلك في الأعراف فقد قال: (إني أشهد الله) و (اشهدوا أني برئ) (فكيدوني جميعاً) (إني توكلت على الله ربي وربكم) (إن ربي على صرلط مستقيم) و (يستخلف ربي قوماً غيركم) (إن ربي على كل شئ حفيظ)

وليس الأمر كذلك في الأعراف فإنه لم يظهر الياء في السياق إلا مرة واحدة وهو قوله: (إن وليي الله). فناسب ذكر الياء ماورد في هود وناسب الاجتزاء بالكسرة سياق ما ورد في الأعراف.

ثم انظر من ناحية اخرى كيف قال في آية الأعراف: (ثم كيدون فلا تنظرون) فأدخل (ثم) على الكيد والفاء على الإنظار، وفي هود العكس: ادخل الفاء على الكيد و (ثم) على الإنظار، والفاء تفيد التعقيب أما (ثم) فتفيد التراخي، فقد طلب منهم في الأعراف عدم المهلة في الإنظار وعدم الإنظار هو المناسب لسياق الأعراف فقد ذكر في هذه السورة تعجيل العقوبات لمستحقيها في الدنيا بخلاف سورة هود فإن سياقها في الإمهال في إيقاع العقوبات، فقد بدأت الأعراف بقوله: ٤ ﴿.وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤).﴾ فذكر حلول العقوبات وإهلاك الأمم، في حين قال في هود ٣ ﴿.وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)..﴾

فذكر التمتع والإمهال. وقال في هود ايضاً: ٨﴿ ..وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣).﴾

فذكر تأخير العذاب إلى أجل وهو الإمهال. وقال في الأعراف: ٩٥ .﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)﴾ فقال: (فأخذناهم بغتة) بعد قوله: (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة)

وهو نظير قوله: (ثم كيدون فلا تنظرون) فالاستدراج المذكور فى الآية وهو قوله: (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ...) نظير الكيد فى قوله: (ثم كيدون) معنى واستعمالاً ، فكلاهما بثم وكلاهما إمهال.

وقوله: (فأخذناهم بغتة) نظير قوله: (فلا تنظرون) فكلاهما بالفاء وكلاهما عدم إنظار. فانظر إلى التناظر الجميل بين الآيتين.

(ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) (فأخذناهم بغتة) .

(ثم كيدون) (فلا تنظرون).

ثم انظر إلى القصص فى السورتين تر الفرق واضحاً بين السياقين

فانظر إلى قصة نوح فى الأعراف فهى موجزة وظاهر فيها عدم الإمهال فقد قال لهم نبيهم: فى الأعراف ٦٣ ﴿..أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣). ﴾ وبعدها قال الله تعالى: فى الأعراف ٦٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤).﴾ فجاء بالفاء دالاً على سرعة إنزال العقوبة وعدم الإنظار (فكذبوه فأنجيناه).

أما فى هود فالكلام طويل وهناك مهلة حتى استبطؤوا ما وعدهم به: فى هود ٣٢ - ٣٣ ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣). ﴾

وكذلك قصة عاد فقد قال فى خاتمتها فى الأعراف: ٧٢ ﴿..فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)..﴾ وقال فى هود: ٥٨- ٦٠ ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ فانظر كيف عجل العقوبة لهم فى الأعراف فجاء بالفاء الدالة على عدم الإمهال بخلاف ما فى سورة هود.

وكذا قصة صالح فقد قال فى نهايتها فى الأعراف: ٧٨ ﴿.فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨).﴾ وقال فى هود: ٦٦- ٦٧ ﴿..فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧)..﴾ فذكر إنزال العقوبة بالفاء فى الأعراف: (فأخذهم الرجفة) وقال فى هود: (وأخذ الذين ظلموا الصيحة).

وهكذا فأنت ترى أن سياق الأعراف هو عدم المهلة فى الإنظار بخلاف السياق فى سورة هود: ولذا كان الأليق أن يأتى بالفاء مع عدم الإنظار فى الأعراف فيقول: (فلا تنظرون) وأن يأتى بـ(ثم) معه فى هود فيقول: (ثم لا تنظرون)

وهنالك أمر فى آخر وهو أنه حيث اجتمعت ثم والفاء فى الأعراف قدم (ثم) على الفاء ومنها الآية المذكورة ، وفى هود بالعكس فقد قال فى الأعراف: ١١ ﴿..وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١). ﴾ وقال: فى الأعراف ٩٥.﴿ .ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)﴾ وقال: فى الأعراف ١٠٣ ﴿.ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾

وقال فى الأعراف ١٩٥.﴿ .أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٥) ﴾ وقال فى هود: ٥٥ ﴿..إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥).﴾ وقال فى هود: ٦١.﴿ .وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١).﴾

۞۞ وهنا وبعد هذا العرض الرائع من علماء البلاغة وفرسان البيان نقف أيضاً وقفة هامة لإظهار هذا الإعجاز والإبهار والتناسق المبدع بين رسم الكلمة والإعجاز البلاغى الذى ذكرنا طرفاً منه ونقول:

فى سورة الأعراف : الأعداء هنا لا قيمة لهم ولا لوجودهم .. فليس لهم أرجل أو أيدى أو أعين أو آذان – بل إنهم فى غاية العجز – فهم أصنام وخشب مسندة– ولذلك أمهلهم الرسول (ص) لإحضار وتجميع من يعتد به لديهم فأتى بحرف الإمهال (ثم) ، وقال (ثم كيدون) فلا.. وحذف حرف الياء من الكلمة (كيدون) لأنه بعد هذا الإمهال الذى أعطاه لهم لإتمام كيدهم طلب منهم (سرعة) الحضور إليه (فلا تنظرون) فإتى بحرف (الفاء) الذى يفيد التعقيب والسرعة – أى سرعة الحضور إليه بعد إعطائهم الفرصة(ثم) لإتمام الكيد – فكان المناسب هنا هو حذف الياء من (كيدون) فلا– لإظهار هذه السرعة بعد الكيد – مع ورود حرف السرعة (فاء التعقيب) بعدها– فلا تنظرون- ليتم التناغم الجميل الذى تعودناه فى النص القرآنى..

وهذا بخلاف آية هود: فالعدو يدعى القوة له ولآلهته المدعاة (إن نراك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء..) ولهذا حدث عكس ماسبق فى الأعراف فى حروف العطف وفى إضافة الياء هنا فى (كيدونى) ..

وأدع الأستاذ الدكتور أمين الخضرى يقوم بإكمال التوضيح لهذا المعنى تحت عنوان : **تطويع الزمن لأغراض النظم** فيقول:

.الأعراف ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾..﴾.وفى هود: ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ..﴾ وحين نفتش عن سبب هذه المغايرة، فيما يبدو كالموضع الواحد، نجد أن سورة الأعراف سبق فيها التحدى بتحقير الشركاء، والنعى على عقول عبدهما، لأنهم يعبدون مخلوقين أمثالهم، لايملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فضلا عن أن يضروا عابديهم أو ينفعوهم، لذلك أمر المشركين أن يدعوا هؤلاء الشركاء، ويتضامنوا معهم فى الكيد له، وأمهلهم من الزمن مايتيح لهم فرصة الاستعداد والاحتشاد له، فعطف الأمر بالكيد على الأمر بدعوة شركائهم بحرف المهلة، إمعانا فى الاستهانة بالشركاء، وعدم مبالاة بكيدهم، وجاء عطف عدم الإنظار بالفاء، إغراقا فى التحدى والاستهانة، حين لايطلب لنفسه نفس المهلة للرد على كيدهم، فطلب معاجلته بالقضاء عليه إن استطاعوا، وفى ذلك من التحقير والتهكم مالا مزيد عليه.

أما فى سورة هود فإنهم صرحوا بأن آلهتهم قادرة على إنزال الضر به، والكيد له، بل إنهم ادعوا حدوث ذلك فى قولهم: "إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء" فإذا كانوا يثبتون لآلهتهم هذه القدرة على إنزال الشر به، فليس بحاجة إلى أن يطلب منهم دعوتها، وإمهالهم لحشد قواهم، فهم قد بدءوا حربه بالفعل، فطلب منهم التعجيل بالكيد له والقضاء عليه، فأدخل الفاء على الأمر بالكيد لتدل على طلب المبادرة به- لما أن آلهتهم مستعدة لعقابه على مازعموه- فكان الإمعان فى التحدى أن يمهلهم وآلهتهم ليبلغوا بالكيد غايته، ويستنفذوا معه كل أسلحتهم، لذلك دخلت "ثم" بين الكيد وعدم الإنظار لتطيل زمن الكيد وترخى لهم العنان فيه، حتى يكون عدم إمهاله هو الغاية والهدف الأسمى من الكيد، على مايفيده التراخى الرتبى. وانظر إلى هذا الإعجاز فى التناغم بين المهلة الزمنية التى أشاعتها "ثم" على فعل الكيد، وبين إثبات ياء المتكلم فى قوله "فكيدونى" لتطيل زمن النطق بالكلمة مع طول النطق بثم، فيتسق طول النطق فى التعبير مع طول الزمن فى الإمهال. وبالمقابل حين قصر زمن الكيد بالعطف عليه بالفاء تجاوب قصر الزمن فى نطق

الفـــاء مع حذف الياء فى قوله "ثم كيدون فلا تنظرون" ليتناغم قصر العبارة مع قصر زمن الكــيد. وهـــذا آية من آيات الإعجاز فى الذكر الحكيم فسبحان من لاتحيط بأسرار بيانه الأفهام وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فما أجمل هذا التناسق وما أجل هذا الكلام!

ويكمل د: فاضل السامرائى حديثه عن إعجاز الحذف فى الكلمة فيقول:

ومـــن ذلك: أى ذكر ياء المتكلم أو حذفها قوله تعالى: فى الكهف ٢٤﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾

وقـــوله: فى القـــصص ٢٢ ﴿..وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ الـــسَّبِيلِ (٢٢).﴾ فإنه حذف ياء الضمير واجتزأ بالكسرة فى (الكهف) فقال: (يهدين) وأبـــرز الضمير فى القصص فقال: (يهدينى) ، وذلك أن المقام يستدعى إبراز ياء المتكلم ؛ لأنه مقام التجاء وخوف وخشية ، والخوف يستدعى أن يلصق الانسان بمن يحميه ويلقى بنفـــسه كلـــها علـــيه ، ويستدعى أن يلتجئ إلى من ينصره ويأخذ بيده بكل أحاسيسه ومشاعره إلتجاءً كاملاً ، وهذا هو الموقف الأول، فقد خرج موسى خائفاً يترقب فاراً من بطش فرعون فالتجأ إلى ربه التجاء الخائف الوجل طالباً منه أن يهديه سواء السبيل ، ولذا أظهـــر الياء دلالة على كمال الالتجاء وإلقاء النفس كلها امام خالقه بخلاف مافى الكهف فإنه ليس المقام كذلك فإنه قال: فى الكهف﴿..وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)﴾.

فالفرق كبير بين المقامين فمقام موسى فى القصص يستدعى إلقاء النفس كلها أمام ربـــه وخالقه ، ولما كان الخائف الضعيف يطلب أولاً من يحميه ويلتجئ اليه قدم (الرب) علـــى فعل الهداية لأنه هو الملجأ فقال: فى القصص ٢٢.﴿ .وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)..﴾ ....

بخـــلاف مـــافى الكهف فإن المقام فيها مقام ذكر القول الحق فيما اختلفت فيه الأقـــوال وبيان الأمر الصحيح فيما تباينت فيه الآراء وهذا أمر يحتاج إلى الهداية والرشد، فقدم الهداية ، وهذا من دقيق الاستعمال.

ثم لننظر من ناحية أخرى فإن ياء الضمير تكرر فى (القصص) أكثر مما فى الكهف فناسب ذكر الياء فى القصص.

(((ونقول أن هناك رأياً آخر : وهو أن الهداية فى الكهف هداية معنوية يطلبها النبى (ص) — وهـــى نـــزول الوحى لإخباره بالغيبيات المسئول عنها وهو معنى علوى تشريفى

(يحذف منه الألف) .. بخلاف لفظ الهداية المطلوبة فى سورة القصص – للنبى موسى (عليه السلام) – حيث أنه يطلب هداية مادية أرضية محسوسة- وهو الطريق إلى مدين – فلما توجه تلقاء مدين- فهنا لايتم حذف الحرف بل يظهر الحرف (يهديني)))

ويكمل الدكتور فاضل حديثه قائلاً: ثم إن لفظ الهداية تكرر فى القصص اثنتى عشر مرة أما فى الكهف فقد تردد خمس مرات فزاد اللفظ فى القصص لما تردده وهذا الأمر مراعى فى القرآن الكريم كما ذكرت ألا ترى كيف قال الله تعالى فى سورة الأعراف ١٧٨. ﴿ .مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨) ﴾ بإثبات الياء فى حين قال فى سورة الإسراء: ٩٧... ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ﴾ وفى سورة الكهف: ١٧. ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ بالاجتزاء بالكسرة فيهما وذلك أن لفظ الهداية تردد فى سورة الأعراف أكثر مما تردد فى سورتى الإسراء والكهف مجتمعين فقد ورد فى الأعراف سبع عشرة مرة فى حين ورد فى الإسراء ثمانى مرات وفى الكهف ست مرات فلما زادت ألفاظ الهداية فى سورة الأعراف على مافى السورتين زاد لفظ: (المهتدى) على مافى السورتين.

(((ونقول نحن: أن هناك رأياً آخرسنتناوله بالتفصيل))

وقال: فى الإسراء ٦٢. ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) ﴾ بالاجتزاء بالكسرة. وقال فى المنافقون(١٠) ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠).﴾ . فذكر الياء وذلك أنه تردد فعل التأخير مرتين فى سورة (المنافقون) فى حين ذكر مرة واحدة فى سورة (الإسراء) فزاد فى موطن الزيادة وحذف فى موطن الاجتزاء. ونعود إلى آيتى الهداية فى القصص والكهف فنقول علاوة على مامر إن مقام التبسط والتطويل فى (القصص) فى قصة موسى اكثر بكثير مما ورد فى (الكهف) فإن المقام فى (الكهف) مقام إيجاز جاء عرضاً فى أثناء قصة اصحاب

الكهف فلما طول الكلام وتبسط طول الفعل بذكر الضمير فى (القصص) ولما اجتزأ القول فى (الكهف) اجتزأ بذكر الكسرة عن الضمير وهو نظير ماسبق ذكره فى الآيتين السابقتين.

ومما حسن الحذف فى الكهف علاوة على ماذكرنا حذفه الياء من لفظ الهداية فى موضع آخر من السورة واجتزاؤه بالكسرة وذلك هو قوله تعالى: فى الكهف ١٧ ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾

هذا علاوة على حذف الياء فى مواطن أخرى متعددة من هذه السورة وذلك نحو قوله تعالى: فى الكهف ٣٩ (.وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩).﴾ بحذف الياء من (ترنى) وقوله: فى الكهف ٤٠ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ بحذف الياء من (يؤتينى) ، لأن هذا قول المؤمن الذى يبتغى أن يؤتيه الله الإيتاء الأخروى وليس الدنيوى الذى يمر عليه سريعاً محتقراً له

وقوله: فى الكهف ٦٦ ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ بحذف الياء من (تعلمنى) .. فهو علم لدنى غيبى سيتعلمه من الخضر.

وقوله: فى الكهف ﴿٦٤ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ بحذف الياء من (نبغى) ..

فانظر كيف تعاضد المعنى والسياق والألفاظ والإحصاء على وضع كل لفظة فى موضعها

وراجع بحثنا حول قوله تعالى (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يهد الله فهو المهتدى)... أما قول موسى للخضر (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) فهو كما هو معلوم لدينا – كان يبحث عن العلم الغيبى اللدنى ، وليس علم الدنيا أو العلم التشريعى الذى يعلمه موسى مباشرة من ربه)

ومن كتابه (بلاغة الكلمة فى التعبير القرآنى) يقول:

ومن الذكر والحذف فى الفعل قوله تعالى﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الكهف(٦٤) بحذف الياء من الفعل.. وقوله:﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ

بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ..(٦٥) ﴾ يوسف.. بعدم الحذف، ذلك أن الحدث مختلف فى الآيتين، وأن السياق يوضح ذلك..

قال تعالى فى الكهف:﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾.﴾ ونسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة ، وإنما يبغى الشخص الذى يريد موسى أن يتعلم منه((وأقول هى هنا بغية ناقصة.. فنقصت الكلمة))

أمـا فى سورة يوسف، فالطعام هو كل ما يبغونه وهو سبب رحلتهم (البغية الكاملة .. ولذلك اكتملت الكلمة) ففرَّق بين البغيتين. فلما كان مافى الكهف ليس هو ما يبغون حذف من الحدث إشارة على عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام، وإنما هو علامة على الموضع الذى يجدون فيه بغيتهم (أى على غير الحقيقة — حتى فى كتابة الكلمة).. يذكرنا بكلمات (الليل إذا يسر.. والجوار.. و).. ولما كان ما فى يوسف هو بغيتهم ذكر الفعل كاملاً و لم يحذف منه.. فناسب كلٌ مقامه والله اعلم.. وهذا هو رأى مكمل لرأى العلماء السابقين الذين نقل عنهم د: المطعنى

ومن ذلك قوله تعالى على لسان المتوفى ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)﴾ المنافقون.. بذكر الياء فى (أخرتنى)

وقوله على لسان إبليس:﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢)﴾ الإسراء. بحذف الياء منه

والفرق بين المقامين ظاهر؛ ذلك أن طلب إبليس لايريده من أجل نفسه، ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريده ليضل ذرية آدم، ثم إن هذا الطلب لايعود عليه بنفع ولا يدفع عنه ضرا، وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصحيح، بخلاف الطرف الآخر، فإنه يريده لنفسه حقاً وأنه لاشىء ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه.... فلما كان التأخير لمصلحة الطالب حقاً، وأنه ابتغاء لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير. ولما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود عليه بالنفع ، حذف منه الضمير واجتزأ بالكسرة

ثم فى الحقيقة ، إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم، فقال (لئن أخرتن) فهو من باب الطلب الضمنى، وليس من باب الطلب الصريح

وأمـــا قوله: (لئن أخرتني) فهو طلب صريح، ففرق بين التعبيرين، فصرح بالضمير وأظهر نفـــسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح صرح بالضمير.. وفي الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير

((ولعلـــي– أنا– أضيف رأياً آخر : وهو أن السياق المعبر بحروفه ومداته في قول المتوفى ﴿رَبِّ لَــوْلَا أَخَّرْتَنـــي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يصور مشهد مد الصوت بالدعاء لمن هو في العذاب ولايريد أن ينتهي النداء منه والاستغاثة.. فيقول (لولا) ولم يقـــل (لو) وواضح أن في الأولى ترداد الصوت وتكرره .. مما يناسب مشهد الإلحاح على ربه..ويقول(أَخَّرْتَنِي~~~ إِلَى~~ أجل)

وأنـــت تنطق بين الكلمتين بالمد المعلوم لدينا – وليس المد العادى–و(إِلَى أَجَلٍ) هكذا .. وكأنه مد التنفيس عن الكرب الذى يعيش فيه.

بخلاف قول إبليس وهو في الدنيا و لم يعاين الكرب والعذاب بعد

ومن أمثلة الحذف أيضاً

ومـــن ذلـــك قوله تعالى في سورة النحل ١٢٧ ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ في سورة النمل ٧٠ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)﴾ فحذف نون (تكن) في آية النحل وأبقاها في آيـــة الـــنمل. وذلـــك أن الـــسياق مختلف في السورتين فالآية الأولى نزلت حين مثل المـــشركون بالمسلمين يوم أحد: "بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة – وقد مثل به – فرآه مبقور البطن فقال: "أما والذى احلف به لـــئن أظفـــرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك" فنزل قوله تعالى: في النحل ١٢٦– ١٢٨ ﴿ .وَإِنْ عَاقَبْـــتُمْ فَعَاقِــبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْـــبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّـــهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨.)﴾ فكفَّر عن يمينه و كفَّ عما أراده" فقـــد أوصـــاه ربنا بالصبر ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكرهم فقال له: في النحل ١٢٧ ﴿.وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)﴾ أي: لايكـــن صدرك ضيق مهما قل ، فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الـــضيق من النفس أصلاً. وهذا تطييب مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن وتخفيف لأمر

الحدث وتهوينه على المخاطب فخفف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس.

أمـــا الآيـــات الثانية فهى فى سياق المحاجة فى المعاد وهو مما لايحتاج إلى مثل هذا التـــصبير قال تعالى: فى النمل ٦٧- ٧٠ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْـــرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُـــلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠).﴾ جاء فى (البرهان) للكرمانى: إنما خصت سورة النحل بحذف النون موافقة لما قبلها وهو قوله: فى النحل ١٢٠ ﴿..إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠).﴾ والثانى: "أن هذه الآية نزلت تسلية للنبى صلى الله علـــيه وســـلم حـــين قـــتل عمه حمزة ومُثل به فقال عليه الصلاة والسلام: "لأفعلن بهم ولأصنعن".

فأنزل الله تعالى: فى النحل ١٢٦-١٢٧ ﴿.وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧).﴾

ليكون ذلك مبالغة فى التسلى وجاء فى النمل على القياس لأن الحزن هناك دون الحزن هنا والله اعلم"

ونحـــو هذا قوله تعالى: فى هود ١٧ ﴿. أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وقوله فى السجدة ٢٣ ﴿.وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣).﴾ فقال فى الآية الأولى: (فلا تك فى مرية) بحذف نون تكن، وقال فى الثانية (فلا تكن فى مرية) بذكرها .. وذلك أن السياق فى الآيتين مختلف فقد قال فى الآية الأولى: فى هود ١٧ ﴿.أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ وقال فى

الثانـــية: فى السجدة ٢٣- ٢٤ .﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣). ﴾ فإن الآية الأولى تثبيت للرسول ونهى له عن الريب والمـــرية فقد بدأ الكلام بقوله: إنه كان على بينة من ربه ثم يتلوه شاهد منه ثم قبله كتاب موسى وختمه بقوله: (إنه الحق من ربك) فناسب ذلك أن يقال: (فلا تك فى مرية منه) .. بخلاف الآية الأخرى فإنها ليس فيها مثل هذه الدواعى كما ترى.

ثم إن الكـــلام فى الآية الأولى على القرآن الكريم وعلى قوم الرسول وتهديد من يكفر به / والكـــلام فى الثانية على التوراة وبنى اسرائيل. فناسب الحذف فى الآية الأولى دون الثانية تثبيتاً للرسول ونهياً له عن الريبة فيه وذلك أنه طلب منه أن لا يكون فى شئ من المرية اصلاً .. فلما كان الكلام فى القرآن وفى قومه ناسب الحذف هاهنا دون الثانية... وجاء فى (الـــبرهان) للزركشى أن حذف النون فى نحو هذا قد يكون "تنبيهاً على صغر مبدأ الشئ وحقارته وأن منه ينشأ ويزيد إلى مالا يحيط بعلمه غير الله مثل: القيامة ٣٧ ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ﴾ حـــذفت النون تنبيهاً على مبتدأ الانسان وصغر قدره بحسب مايدرك هو من نفسه ثم يترقى فى أطوار التكوين: فى سورة يس ٧٧ ﴿.أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْـــسَانُ أَنَّـــا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧). ﴾ فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون ......

وكذلك فى النساء ٤٠ ﴿. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾ حذفت النون تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرة المقدار حقيرة فى الاعتبار فإن إليه ترتيبها وتضاعيفها ومثلها: فى لقمان ١٦ ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) ﴾ وكذلك فى غافر ٥٠ ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ (٥٠) ﴾ جاءهم الرسل من أقرب شئ فى البيان الذى اقل من مـــبدأ فيه وهو الحس إلى العقل إلى الذكر ورقوهم من أخفض رتبة وهى الجهل إلى أرفع درجة فى العلم وهى اليقين وهذا بخلاف قوله تعالى: فى المؤمنون ١٠٥ .﴿ .أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَـــى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥). ﴾ فإن كون تلاوة الآيات قد اكمل كونه وتم وكـــذلك فى النـــساء ٩٧ ﴿..إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ

مَــأْوَاهُمْ جَهَـــنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)..﴾ هذا قد تم تكوينه .... وكذلك فى غافر ٨٥ ﴿ .فَلَــمْ يَــكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥.)﴾ انتفى عن ايمانهم مبدأ الانتفاع ، وأقله ما انتفى أصله".

ولعلَــنا نُذَكِّر بأن هذا الأمر كان يعلمه العرب فى كلامهم ، بل إن الحبيب محمد (ص) – وهو أفصح الفصحاء – نهج نفس المنهج القرآنى فى حذف بعض الحروف من الكلمة فى بعــض المواقف، لعلة معنوية بلاغية؛ فقد روى ابن رشيق القيروانى أنه قال : كفى بالــسيف (شا) ولم يكملِ الكلمَة وفهمَها القوم أنه أراد (شاهداً) ولم يتمها النبى (ص) للمــرور علــيها بسرعة وعدم التوكيد عليها وجعلها قاعدة وهى فى حالة استثناء.. وقالــوا: أن الرســول (ص) لم يــرد أن يصير هذا الخبر حكماً شرعيا، فقطع الكلام، وأمــسك عــن تمامه... وهذا ما يؤكد على أنهم كانوا يدركون أن وراء حذف جزء الكلمة إشارة نصبت دليلاً على شيء

وقد ضرب العلماء أمثلة كثيرة لهذا النوع من الحذف البلاغى وعلى رأسهم الإمام (ابن جنى) وقوله (إن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتمدته ولا معتزمة عليه أسرعت فــيه ، و لم تتأن على اللفظ المعبلر به عنه ، وذلك كقوله: قلنا لها قفي قالت قاف (معناه وقفــت) فاقتصرت من جملة الكلمة (وقفت) على حرف منها، تهاوناً بالحال وتثاقلاً عن الإجابــة واعتماد المقال. وهذا كله يدل على أن الأصوات فى اللغة تابعة للمعانى ، فمتى قــويت قــويت ، ومتى ضعفت ضعفت ، ويكفيك من ذلك قولهم: قطَع وقطَّع، وكسَر وكــسَّر.. زادوا فى الــصوت لــزيادة المعــنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه.. ولعلى أذكرماتناوله علماء القراءات حول قول الله تعالى ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ الزخــرف.. وكــيف تعاقبت القراءتان فى قراءة (يا مالك) بإثبات الكــاف وحذفها (!!) وما قاله الإمام ابن عباس فيها وما علق عليها الإمام "ابن جنى" فى كــتابه (المحتــسب)حيث قال موجهاً القراءة بحذف الكاف (أن فيه فى هذا الموضع سراً جديــداً، ذلــك لأنهم – لعظم ماهم فيه – أهل النار–ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم ، وصغر كلامهم، فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه..) وكأنه يريد أن يقول : أن أهــل الــنار آنذاك عاجزون، وقد ضاق بهم المقام عن إتمام المنادَى ، وكأنه يخرج من أفواههم– بل لنقل من أحشائهم –بحشرجة فى أصواتهم لاتصدر إلا عن مكروب يشارف الهلاك.

وهــذا هــو نفــس الحــال فى تعاقــب القراءات على قراءة الفعل)اسطاعوا) و(اســتطاعوا) بــزيادة الــتاء فى الثانى (لصعوبة نقب الجدار) وحذفه فى الأول (لسهولة اســتعلاء الجدار عن نقبه) كما وجهها العلماء وسنذكره فى حينه.. هكذا فى قوله تعالى (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً .. حيث كتبت الكلمة (تستطع) كاملة بحروفها وثقيلة فى مبناها لثقل الموقف على موسى – قبل معرفته لتفسير ما حدث – ، ولكن بعد تفسير الخضر لما حدث وزوال وتخفيف هذا الهم خففت الكلمة وقال بعدها (ذلك تأويل ما لم "تسطع" عليه صبراً) وكتبت مخففة بدون تاء

ونعود للدكتور: مطعنى.. أكرمه الله.. وعنوان:

حذف "الياء" فى فواصل الآى

قدمــنا– حــتى الآن– نماذج من حذف "الياء" فى الأفعال كان أكثرها فى درج الكلام والآن نتحدث عن حذف "الياء" فى فواصل الآيات الفعلية وهذا الحذف كثير جدا فى الأفعال وفى الأسماء أو الصفات المشتقة ، وعلى منهجنا الذى تقدم نمضى بادئين بعرض مستقل لحذف "الياء" فى الأفعال الواقعة فواصل للآيات ، ونتبين بعض الأسرار واللطائف فى بعض النماذج لأن استقصاء الحديث عنها غير مستطاع ولأن بيان اللطائف والأسرار فى بعض النماذج يغنى عن تتبعها كلها ولنبدأ بنماذج من سورة البقرة أول سورة فى المصحف بعــد فاتحة الكتاب. سورة البقرة: الآيتان﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾

وقع "الياء" فى فاصلتى هاتين الآيتين وهما– أعنى الفاصلتين– فعل أمر: الأول: "ارهبون". والثانى: "اتقون".. و"الياء" المحذوف فيهما ضمير المتكلم – عز وجل – وموقعه الإعرابى مفعول به ، والحذف فى الفواصل كثير و لم يقتصر على حذف المفعول به إذا كان "ياء" بل كثيرا ما يحذف المفعول به وهو ليس ضميرا ومن أمثلة ذلك ما يأتى: فى سورة البقرة: آية ١٧. والبقرة آية ٢٢. والبقرة آية ٣٣. والبقرة آية ٥٢. والبقرة آية ٦٣.والبقرة آية ١٣٤.

هــذه ست فواصل من أوائل سورة البقرة كل فاصلة منها فعل متغير له مفعولبه واحد أو مفعولان و لم يذكر النظم القرآنى أى مفعول منها بل حذفه ونزل الفعل المتعدى إلى مفعول أو مفعولين منزلة الفعل اللازم الذى لا يحتاج إلى مفعول. وذلك لأن الفواصل القرآنية لها وضــع خــاص فى النظم القرآنى لأن رؤوس الآيات ومعاقد المعانى فيها ، فخصت بمنهج

يـــساعد علـــى أدائها ووظائف فى اللفظ والمعنى، وقد أحصى بعض العلماء سمات منهج القرآن فى بناء فواصل الآيات فوجدها ثلاثا وأربعين سمة(٥).؟؟؟؟ ووظائف هذه الفواصل فى القرآن كله من أبرزها تيسير القرآن للذكر والحفظ. واحداث إيقاع صوتى (ترنيم) عند تلاوته يجذب الأسماع جذبا قويا ويأسر القلوب أسر بالغا ويضفى على ترتيل الذكر وقعا فى الـــسمع لا تجد له مثيلا فى أى نظم أو كلام. وكان الحذف الذى نحن بصدد الحديث عنه معوانا على ذلك كله. هذا ما يعود على الألفاظ أو الإيقاع الصوتى الجذاب .

أما ما يعود على المعانى فهو أمران تحتهما فروع دقيقة.

الأمـــر الأول: أن جمال الإيقاع الصوتى مصيدة الأسماع والقلوب فى الاقبال على القرآن وهـــذا مدرج يلقى فى النهاية فى أسر القرآن فتقبل القلوب على حبه والسياحة فى حدائق معانيه.

وتقبل العقول على تدبر تلك المعانى وهذا مدرج آخر لحدوث الهداية التى من أجلها نزل القرآن تقوم الحجة لله على من أعرض وتولى وهذا هو الأمر الذى بعث الله من أجله رسله جميعا .

ويـــضاف إلى جانـــب خدمـــة المعانى من سمات الحذف غرض آخر هو الإيجاز فى اللفظ والاكثار فى المعنى ، وهذا الإيجاز من أبلغ صفات الكلام البليع.

ونعـــود إلى آيتى البقرة لنرى دور الحذف فيهما فى تحقيق الأغراض البلاغية والتربوية التى أشـــرنا اليها هاتان الآيتان حذف فيهما "الياء" كما تقدم "فارهبون" والأصل: فارهبونى و"فاتقـــون" والأصـــل"فاتقونى" ؛ فمن حيث خدمة الألفاظ والبناء الصوتى الآسر مكننا الحذف من الموقوف على آخر الفاصلتين بالسكون وهذا السكون حقق الانسجام الصوتى بين ما تقدم على هاتين الآيتين وما تأخر عنهما من آيات وبينهما وهذا يقتضى أن نذكر مجموعة هذه الآيات متصلة وهى سورة البقرة: الآيات ٣٨- ٤٣.﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

ندعو القارئ الكريم أن يتلو هذه الآيات بصوت مسموع تلاوة مجودة وأن يتأمل ويتعـــرف علـــى دور الوقف على السكون فى فواصل الآيات الست وأثر هذه التلاوة فى القلوب والمشاعر والأسماع مما ترتب على هذه التلاوة الشجية الحلوة الرنين الطيبة المذاق. ثم لـــيعد ليتبين بعناية خاصة أثر حذف "الياء" فى تمكين القارئ من استمرار التلاوة على نسق ترنيمى واحد اسهم فى تحقيق الحذف وحرف المد الواو والياء قبل الحرف الأخير فى الفاصـــلة فى الفواصل الست أما حرف الفاصلة فهو "النون" فى الفواصل الست مسبوقا بحـــرف المـــد "الواو" فى خمس فواصل وبحرف المد "الياء" فى فاصلة واحدة هى الأخيرة: "الراكعين" .

وقـــد عد بعض الدارسين المعاصرين هذا الإيقاع الصوتى الفريد لنظم القرآن سمة قوية الظهور أما من حيث خدمة المعانى فإن هذا النسق العجيب هو الطعم الذى يصطاد به القرآن القلوب من بعيد أو رائحة "الشواء" الشهى الذى يسيل لعاب السامعين فيحدون فى أنفسهم جذبا قويا نحوه فإذا وقعوا فى أسره فإن معانيه تشرق عليهم من كل جهة ويكون المصير.أما الهداية الجالبة لسعادتى الدنيا والآخرة ، وأما إقامة الحجة لله على المعرضين ليحيا مـــن حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ولئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل. ويمكـــن أن تـــستعير مصطلحا بلاغيا يستثمره البيانيون فى توجيه أساليب الحذف ونطبقه بجـــدارة علـــى هذه المحذوفات فى خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف ذلك المصطلح هو ما يعرف عندهم بـــ"توفير العناية بالمعنى" فقوله عز وجل: (وإياى فارهبون) وقوله (وإياى فاتقون) حذف "الياء" منهما لتوفير العناية بالمعنى والمعنى فى الآية الأولى هو "الرهبة" وفى الثانية هو "التقوى" .

أى أن القـــرآن ركـــز على تحقيق هذين المعنيين فجردهما من الزوائد لئلا تشغل الذهن ولو برهة من الزمن ، والحذف- بوجه عام - لا يصار إليه إلا بعد توفر أمرين:

الأول: أن يكون الحذف من حيث المعنى أولى من الذكر.

الثانى: أن يكون فى الكلام دليل يدل على المحذوف .

وقـــد تحقـــق هذان الشرطان فى كل المحذوفات القرآنية ومنها حذف "الياء" فى الآيتين اللتين هما موضوع الحديث هنا. فأما من حيث اللفظ فقد ظهر لنا مافى هذا الحذف من خدمة الألفاظ والمعانى ولا حاجة لإعادة ذكره ، وأما من حيث الدليل الذى يدل على المحـــذوف فإن "الياء" لما حذف فى الآيتين وفى غيرهما من كل ما تقدم بقى فى الكلام ما يدل عليه من جهتين: **الأولى من جهة المعنى**: فإن من يسمع "فارهبون" أو "فاتقون" يدرك

لتوه ان هذا حديث متكلم ويدرك- وكذلك- أن ضمير المتكلم فى مثل هذه السياقات هو "الياء".

الثانية من جهة اللفظ: فإن الكسرة التى الحقت بالياء تدل دلالة قوية عليه وهو محذوف ومن لطائف ما يضاف هنا: أن الرسم العثمانى جمع بين الحذف والذكر فى موضع واحد لأن "الياء" فى النماذج التى معنا محذوفة جسما مذكورة عقلا.

هذا وكنا نود أن نسوق نماذج أخرى غير هذين النموذجين "فارهبون- فاتقون" ولكننا أثرنا الاكتفاء بما تقدم توخيا لعدم الإطالة. ولنا إضافة مهمة نذكرها قبل توديع الحديث عن حذف "الياء" فى الأفعال وخلاصتها:

❁ ان حذف "الياء" فى الأفعال الواقعة فى فواصل الآيات كثيرة كثرة مستفضية من العسير الاحاطة بها فى هذه المقالات.

❁ وأنها على كثرتها تخضع جميعها للطائف والأسرار وخدمة الألفاظ والمعانى التى أجملنا الحديث عنها فيما تقدم ، وأن الحذف فى فواصل الآيات- أيا كان المحذوف- لا يصار إليه من أجل حلية لفظية لا صلة لها بخدمة المعانى؛ هذا محال وإن لم ير بعض الباحثين فيه حرجا، وما من موضع من الفواصل القرآنية إلا وقد جمع بين خدمة اللفظ والمعنى معا وإن خفى ذلك على قليل من الدارسين.

❁ وأن بعض المحذوفات فى الفواصل يكون لها سر آخر غير التى أشرنا إليها قريبا فى هذا المقال وقد تقدم لنا نماذج منها فى المقال السابق مثل: سورة الصافات: آية ٥٦ فإن للحذف هنا معنى آخر هو الإشارة إلى الارداء الأخروى غير الدنيوى. ومثل: سورة الدخان آية ٢٠، ٢١. فإن للحذف هنا معنى آخر هو الإشارة إلى المراد من الرجم هو التكذيب وليس الرمى بالحجارة.

ونعود للدكتور فاضل السامرائى مع عنوان فواصل الآى

حيث يقول: من المعلوم ان الآيات القرآنية الكريمة تنتهى بفواصل منسجمة موسيقياً بعضها مع بعض مثل: (تعلمون ، تؤمنون، تتقون) ومثل (خبيراً، كبيراً، عليماً، حكيماً) . ومن الملاحظ ان القرآن يعنى بهذا الانسجام عناية واضحة لما لذلك من تأثير كبير على السمع ووقع مؤثر فى النفس، فقد ترى أنه مرة يقدم كلمة ومرة يؤخرها انسجاماً مع فواصل الآيات فمثلاً يقول مرة: فى الشعراء ٤٨ (..رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨).) بتقديم موسى على هارون فيجعل كلمة (هارون) نهاية الفاصلة انسجاماً مع الفواصل السابقة واللاحقة ومرة يقول: فى طه ٧٠ .﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) ﴾

بتقديم هارون وجعل (موسى) نهاية الفاصلة لأن الألف فيها هى التى تناسب فواصل الآى فى سورة طه .

وقد ترى أنه يحذف شيئاً من الكلم لتنسجم مع فواصل الآى إذ لو أبقى المحذوف لم ينسجم وذلك نحو قوله تعالى: فى الشعراء ٧٢-٧٣ . ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ إذ الأصل: (أو يضرونكم) مقابل: (ينفعونكم) ولكنه حذف المفعول به من (يضرونكم) إذ لو ابقاه لم تنسجم فاصلة الآية مع بقية الآيات . وقد يزيد شيئاً فى الكلمة للغرض نفسه وذلك نحو قوله تعالى: فى الأحزاب ٦٧ ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧).﴾ فقد مد فتحة (السبيل) لتنسجم الفاصلة مع فواصل الآى المتقدمة والمتأخرة .

وقد نرى أنه يبدل كلمة بكلمة أخرى مع أن الآيتين متشابهتان ذلك لأن فواصل الآى فى كل من الموطنين مختلفة فيجعل فى نهاية كل آية ماينسجم موسيقياً مع أخواتها وذلك نحو قوله تعالى: فى إبراهيم ٣٤ ﴿.وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾وقوله: فى النحل ١٨ ﴿..وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)..﴾ فأنت ترى ان الآيتين متشابهتان إلا فى خواتم الآى، فإن فاصلة آية إبراهيم وهو قوله: (كفار) منسجمة مع فواصل الآيات قبلها وبعدها (الأنهار، النهار، كفار، الأصنام) .

وفاصلة آية النحل: (رحيم) منسجمة مع فواصل الآيات قبلها وبعدها: (تشكرون، تهتدون، تذكرون) . وقد ترى أنه يضع كلمة فى مكان ويضع غيرها فى مكان آخر يبدو شبيهاً بالموضع الأول تجنباً للتكرار وذلك نحو قوله تعالى: فى النساء ٤٨ ﴿.إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨).﴾ وقوله فى مكان آخر من السورة نفسها النساء ١١٦.﴿ .إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦).. ﴾فأنت قد ترى أنه غاير بين الفاصلتين تجنباً للتكرار ونحو ذلك مما يبدو فيه مراعاة الانسجام الموسيقى واضحاً .

غير أن الذى نريد ان نؤكده هنا ان القرآن الكريم راعى فى كل ذلك أيضاً ما يقتضيه التعبير والمعنى ولم يفعل ذلك للإنسجام الموسيقى وحده ، فإنه لو لم يكن الجانب الموسيقى مراعى فى ذلك لاقتضاه الكلام من جهة أخرى فهو لم يختم آية الشعراء بكلمة

(هارون) وآية طه بكلمة (موسى) مراعاة للانسجام الموسيقى وحده بل اقتضاه الكلام من جهـــة أخرى ، فهو قد راعى الانسجام الموسيقى ومايقتضيه الكلام فلم يجر موطن على آخر، **وهذا غاية الإعجاز ونهاية الحسن فى الكلام** .

وقد تظن أن فى كلامنا هذا غلواً ومبالغة دفعنا إليهما إحساس دينى وتقديس نُكنه للقرآن الكريم وليس نابعاً من روح عملية ولامن نفس بريئة من العصبية والهوى، ولانريد أن ندفع عن أنفسنا هذه التهمة أو نقرها وإنما ندع ذلك للبحث يدفعه أو يقره ، غير أننا نود أن نذكر هنا أن كثيراً من علماء السلف ذكروا ذلك فقد قال الآلوسى رحمه الله راداً علـــى القاضـــى البيضاوى قوله فى قوله تعالى: فى البقرة ١٤٣ ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُـــنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَـــى الَّـــذِينَ هَـــدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** (١٤٣)﴾ "ولعلـــه قدم (الرؤوف) وهو أبلغ محافظة على الفواصل" . "وقول القاضى بيض الله تعالى غرة أحواله: لعل تقديم (الرؤوف) مع أنه أبلغ محافظة على الفواصل ليس بشئ ، لأن فواصـــل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع ؛ فالمراعاة حاصلة على كل حـــال ولأن [الـــرأفة] حيث وردت فى القرآن قدمت ولو فى غير الفواصل كما فى قوله تعـــالى: فى الحديـــد ٢٧ ﴿**.ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِـــيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا** ..(٢٧) ﴾ فى وسط الآية" .

صحيح أن قسماً من الذين بحثوا فى أسرار التعبير القرآنى لم يوفقوا فى اكتناه أسرار التأليف بحيث تدرك أن تعليلاتهم متكلفة وتأويلاتهم بعيدة وربما أدركت أ يضاً أنه لو كان الكلام على غير هذه الصورة لأولوه وعللوه تعليلاً آخر ، ولكن هناك قسم آخر تمكن من أن يضع يده على أنفس الجواهر فى التأليف وأن يستكنه أدق أسرار التعبير من غير تكلف ولا غموض .

وأحـــسب أنه من الأولى ان نضرب أمثلة نوضح بها هذا الادعاء وأن لانطيل فى الكلام وتقرير الأحكام. فمن ذلك ماذكرناه آنفاً وهو قوله تعالى: فى الشعراء ٧٢-٧٣. ﴿ **.قَـــالَ هَـــلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ** (٧٢) **أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** (٧٣). ﴾فقد ذكر مفعول النفع و لم يذكر مفعول الضر، وقد تظن أنه إنما فعل ذلك لفواصل الآى ، ولا شك أنـــه لو ذكر المفعول به لم تنسجم الفاصلة مع فواصل الآى ، ولكن الحذف اقتضاه المعنى

أيضاً ؛ فقد ذكر مفعول النفع فقال: (ينفعونكم) لأنهم يريدون النفع لأنفسهم ، وأطلق الضر لسببين:

الأول: أن الإنسان لايريد الضرر لنفسه وإنما يريده لعدوه .

والآخر: أن الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضرر ؛ فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضر موضع إطلاق ، فخص النفع وأطلق الضر ، والمعنى أن هذه الآلهة لا تتمكن من الإضرار بعدوكم كما أنها لاتستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها ؟ ولو ذكر المفعول به فقال: (أو يضرونكم) لما أفاد هذين المعنيين فانظر كيف أن الإطلاق فى الضر اقتضاه المعنى علاوة على الفاصلة ؟

ومثل ذلك قوله تعالى: فى طه ٧٩ ﴿..**وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** (٧٩). ﴾و لم يقل: (وما هداهم) وذلك أنه أخرج الفعل مخرج العموم أى: إن فرعون لم يتصف بصفة الهداية البتة ولو قال: (وما هداهم) لكان عدم الهداية مقيداً بقومه إذ يحتمل أنه هدى غيرهم لكنه قال: (وماهدى) أى: ماهدى أحداً .

فهو قد أضل قومه و لم يهد أحداً لا من قومه ولا غيرهم

ومن ذلك قوله تعالى فى طه ﴿.**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى**(٧٠)﴾

وقوله: فى الشعراء ﴿..**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ** (٤٦) **قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** (٤٧) **رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ** (٤٨).﴾

قدم فى (طه) ذكر هارون وفى (الشعراء) ذكر موسى وقد تظن أن ذلك مايقتضيه أواخر الآى ونقول: صحيح أن أواخر الآى فى سورة (طه) تقتضى أن يكون (موسى) فى آخر الآية ، وفى (الشعراء) تقتضى أن تكون كلمة (هارون) هى الفاصلة، ولكن هناك ملحظ آخر يقتضى تقديم ماقدم وتأخير ما أخر ولو لم تكن أواخر الآى كذلك ، وانظر إلى الفرق بين القصتين فى السورتين:

١- إن ذكر (هارون) تكرر فى سورة (طه) كثيراً وقد جعله الله شريكاً لموسى فى تبليغ رسالته فى حين لم يرد فى سورة الشعراء إلا قليلاً من ذلك قوله فى سورة طه:

أ- ٢٩-٣٢ ﴿..**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي** (٢٩) **هَارُونَ أَخِي** (٣٠) **اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي** (٣١) **وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** (٣٢). ﴾.

ب- طه ٤٢.﴿ .**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآَيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي** (٤٢).﴾ فقد أمر كلاً من موسى وهارون بالذهاب بآياته و لم يخص موسى بذلك .

جـ- وكرر ذلك فقال: فى طه ٤٣-٤٤ ﴿.**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** (٤٣) **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** (٤٤).﴾

د- وكان الجواب صادراً منهما معاً: فى طه ٤٥ ﴿.قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) ﴾

هـ- وقد طمأنهما ربهما معاً فقال: فى طه ٤٦ ﴿..قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦).﴾

و- وأمرهما معاً فقال: فى طه ٤٧ ﴿.فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧).﴾

ز- وكان خطاب فرعون لهما معاً: فى طه ٤٩﴿..قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩).﴾ ولم يقل له: فمن ربك ؟

ح- ونسبهما كليهما إلى السحر فقال: فى طه ٦٣.﴿ .قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) ﴾

ط- وقد ورد تخليف موسى لهارون فى قومه فنصح لهم فى غيبته قال تعالى: فى طه ٩٠ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠).﴾ .

ى- ولقد عاتب موسى أخاه هارون بشدة: فى طه ٩٢-٩٣.﴿ .قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣).﴾ .فى حين لم يرد هارون سورة الشعراء إلا قليلاً وهو

قوله: أ- فى الشعراء ١٣ ﴿.وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣).﴾

ب- وفى الشعراء ١٥.﴿ .قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥).﴾

وفيما كان الخطاب فى آيات طه موجهاً إلى موسى وهارون معاً كان موجهاً إلى موسى وحده فى الشعراء: ٢٩ ﴿.قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩). ﴾

وقد نسب موسى وحده إلى السحر ولم ينسب معه هارون كما جاء فى طه فقال: فى الشعراء ٣٤-٣٥ ﴿.قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)) ﴾ ولم يرد ذكر لهارون بعد هذا .

فأنت ترى أن القصة فى طه مبنية على التثنية وأنها فى الشعراء مبنية على الإفراد .

٢- هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إنه ذكر فى آيات طه خوف موسى فى ٦٧. ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧).﴾ ولم يذكر حالة الخوف هذه فى الشعراء .

فأنت ترى أنه ذكرت جوانب الكمال والقوة فى موسى فى الشعراء ولم تذكر حالة الضعف البشرى الذى اعتراه ، فاقتضى كل ذلك المغايرة فى التعبير بين القصتين، وأظنك

فى غـــنى عـــن أن اقول لك: لو قيل لك: قدم وأخر بين الإسمين حسبما يقتضيه السياق لقدمت هارون على موسى فى طه وموسى على هارون فى الشعراء .

وفـــوق هذا الكلام المشبع للغاية نجد من عظمة البيان القرآنى أنه لايشبع منه العلمـــاء.. ولذلك نجد آراء أخرى فى سبب هذا التقديم لهارون على موسى فى طه — يذكـــره لنا الأستاذ العظيم الدكتور : محمد أبو موسى: فى رسالة الدكتوراه الشهيرة له (البلاغة عند الزمخشرى) حيث يركز على جانب آخر فى السياق القرآنى لاحظه فى الآيات السابقة للآية مع التركيز على تصوير القرآن على حالة القوم النفسية.. فهم فى سورة طه قد قاموا بعمل كافة الإستعدادات وحشدوا كل القوى وتريثوا فى ذلك لمواجهة موسى — كمـــا يحكى النص هذا الاهتمام- ﴿ **فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُـــهُ نَحْـــنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ (ثُمَّ) أَتَى (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَـــى اللَّـــهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَـــرُّوا الـــنَّجْوَى (٦٢) قَالُـــوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِـــسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ (ثُمَّ) ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥).** ﴾

.. هـــنا نلاحظ اهتمامهم بالجمع والحشد والترتيب وتسرعهم على أن يكونوا أول من ألقى...﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى .(٦٦).فَـــأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِيـــنِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩)..﴾

وهنا يقف بعض العلماء (الحسناوى فى كتابه الفاصلة القرآنية) عند هذا المشهد .. ويرى أنه : حينما كان كيد القوم كبير ومكرهم وإعدادهم لموسى وأخيه أكبر ، تولى الله تعالى بنفسه إدارة المعركة وأصبح هو الظاهر أمام أعين السحرة وليس موسى - وكأن المعركة بينهم وبين الله تعالى لابينهم وبين موسى- كما نقولها دائماً فى أسلوب التناسق القرآنى-: لكل فعل رد فعل مسوى له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه.. وهنا نجد أنه قد أختفى دور موســـى وراء ســـياق الآيات .. **قَالَ بَلْ أَلْقُوا** ..ويكمل بعدها- دون أن يقول (فالقى موســـى عـــصاه) - **بل إن السحرة قاموا بالسجود بعد قول الله تعالى ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِيـــنِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩).﴾** ..

وكأنهم كانوا يشاهدون قوة الله ووجوده أمام أعينهم وأنه هو الذى أدار المعركة – وليس موســى كما قلنا– فانتابهم الرعب والهلع وفعلوا ما فعله الرجل الذى خرج فى فلاة ومعه زاده وراحلــته ، ونــام وقام من نومه فلم يجد الزاد والراحلة ، ويئس من طلبهما ، ونام بعدها نومته للموت وأيقن أنه هالك .. ثم استيقظ بعد ذلك فوجد الزاد والراحلة فقال من دهشته وذهوله وفرحته (اللهم أنت عبدى وأنا ربك .. بدلاً من أن يقول : اللهم أنت ربى وأنا عبدك.. فهكذا فعل السحرة وقدموا هارون على موسى.. من ملاحظتهم لله وذهولهم عن أنفسهم))﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠)**﴾

وهكذا تتنوع الآراء والأفكار فى النص القرآنى الواحد .. وكما قال الدكتور أمين الخضرى: إنه نوع آخر من الإعجاز وهو إعجازالفهم الذى يرتبط بإعجاز النظم.

نقص الياء (= حذف الياء) (٣)

فى الحلقــتين السابقتين كان الحديث مقصورا على نقص "الياء" فى الأفعال، وله مواضـــع يكثر فيها فى النظم القرآنى الحكيم، هذه المواضع هى فواصل الآيات ، وقد تقدم أن حـــذف "الياء" فيها يحقق عرضين عظيمين أحدهما ما تعددت علله وأسبابه ، والثانى التوافق الإيقاعى بين رءوس الآيات ؛ وهو عامل جذب نحو القرآن تمهيدا للتأمل فى مراميه والتفقه فى معانيه، ويترتب على ذلك واحد من أمرين:

الأول: تيسير سبل الهداية لطلاب الحق والباحثين عنه.

الثانى: إقامة الحجة لله على المعاندين.

وكنا قد أشرنا إلى حقيقة ذات شأن عظيم وهى أن النظم القرآنى المعجز يخلو تماما من أى خصوصية فيه تكون لخدمة اللفظ وحده دون خدمة المعنى.

وهب أن بعض المواضع غاب عنا فيه جانب العناية بالمعنى فليس معنى ذلك أن تلك العناية غير موجودة ؛ لأن جهلنا بها لا يعد دليلا على إنعدامها.

وحذف "الياء" فى أى موضع فعلا كان أو اسما مقترن دائما بدليل يدل عليه هو الكسرة تحت الحرف الذى كان "الياء" تاليا له فى الخط.

حذف "الياء" فى الأسماء.

نبدأ بما ورد فى سورة البقرة وهى قوله تعالى: سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾

الداع اسم فاعل من دعا يدعو و"الياء" المحذوف فيها أصله "الواو". وجاء حذفه رمزا على معنى لطيف هو رفعة شأن هذا الدعاء لأنه دعاء ورد فى مقام الاستجابة من الله عز وجل.
ورفعة شأن هذا الدعاء لها اعتباران:

❁ أنه دعاء قد قبله الله واستجاب لداعيه فحقق له ما دعا به.

❁ أنه دعاء أخلص فيه الداعى العمل لله فى السر والعلن لأن الله لايقبل الدعاء إلا من المخلصين الذين أطابوا مأكلهم ومشربهم وملبسهم و لم يشغلهم أو يصرفهم عن الله شاغل أو صارف.

وقد دل على هذا قوله تعالى فى الآية نفسها: (فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) فهذا الداع الذى أجاب الله دعوته تحقق فيه أمران:

❁ الاستجابة لله عز وجل. ❁ الإيمان الخالص .

وشبيه بهذا قوله تعالى فى سورة القمر سورة القمر الآية﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ﴾

فقد حذف "الياء" من "الداع" وهذا هو وجه الشبه بين آيتى البقرة والقمر. ثم اختلفنا فى المقتضى الذى كان سببا فى الحذف فى كل منهما، وقد عرفنا لماذا حذف "الياء" فى آية البقرة.

أما السر الذى حذف من أجله "الياء" فى آية القمر فهو أن هذا الداع أمر غيبى سيكون يوم القيامة وعلماء علوم القرآن يطلقون على هذا أنه: شأن ملكوتى أى غير واقع الآن.
و"الياء" المحذوف فى الموضعين هو أصل من أصول الكلمة وهى:
الدال والعين والواو - وقد انقلب "ياء" هنا كما تقدم - .

ومثلهما قوله تعال ى: فى سورة القمر ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ﴾

وقد يرد الذكر والحذف فى آية واحدة فى كلمتين متجاورتين فيهما: من ذلك قوله تعالى: **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** (١٦)القمر:﴿ (**كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** (١٨)) ﴾ ، (٢١) (٣٠)وقوله تعالى: القمر: (٣٧، ٣٩).

والشاهد فى الآيات الست هو: الآية ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** (١٦)) ﴾ وردت تعقيبا على إهلاك الله الكفرة من قوم نوح. والآية (١٨) جاءت تمهيدا لما أهلك به "عاد" لذلك

قـــدم علـــيه هكذا: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩)﴾ . والآية (٢١) وردت تعقيبا على ما حل بـــ"عاد" كذلك تهويلا لما حل بهم.

أمـــا الآية (٣٠) فقد عقبت على ما حل بـــ"ثمود" قوم صالح عليه السلام. والآية (٣٧) والآيـــة (٣٩) كلـــتاهما كانتا خطابا لقوم لوط لما عاثوا فى الأرض فسادا وقلب الله بهم الأرض بطـــنا علـــى ظهـــر. هذا هو النسق النظمى الذى ورد فى إطاره (عذابى ونذر). والملاحظ أن "الياء" وهو هنا مضاف إليه ثبت فى "عذابى" فى الآيات الست. وحذف فى "نذر" فى الآيات الست كذلك. ومن هنا يبرز سؤال مهم.

لماذا ثبت "الياء" فى (عذابى) وحذف من "نذر"؟

والجواب: إن العذاب المضاف إلى ضمير اسم الجلالة ومعناه هنا: التعذيب ، هذا العذاب مضى وانتهى بكل صوره وأشكاله المادية المحسوسة. فطوفان نوح وريح عاد وصيحة ثمود وحاصب قوم لوط. كل هذه صور وأشكال يحكمها وصفان:

الأول: أنها صور وأشكال مادية محسوسة.

الثانى: أنها بعد وقوعها فى مواقيتها ذهبت ولا وجود لها الآن.

فهى- إذن- أمور مدركة بالحواس.

أمـــا "النذر" فهى المعانى الذهنية المعقولة، ولا تزال تؤدى دورها من الانذار والتخويف لكل من نحا منحى تلك الأقوام والجماعات. ويحكمها كذلك وصفان:

أولهما: كونها معانى ماثلة فى الأذهان.

ثانيهما: كونها عظات وعبرا باقية تتدبرها جميع الأجيال.

إذا تقرر ذلك ظهرت لنا اللطائف والأسرار التى رُمز لها بإثبات "الياء" فى "عذابى" وحذفها مـــن "نُذُر" للدلالة فى الأول "عذابى" على المادية، والانتهاء وللدلالة فى الثانى "نُذُر" على "المعنوية" ، ثم على الاستمرار والدوام.

أى أن إثبات "الياء" فيما ثبت فيه، وأنه هو الأصل، وأن حذف "الياء" فيما حذف رمزان للدلالة على معنين فى غاية اللطافة و لم يحدثا عبثا وإنما وراءهما ما اقتضاهما من مجال الإيقاع فى "نذر" ، واللطائف والأسرار فى كل منهما، والمعروف أن الأصل هو السكون فى آخر أحرف كلمات الفواصل ، وسورة "القمر" بنيت فواصلها على حرف "الراء" فناسب ذلك حذف "الياء" فى "نذر" لإنه لو ثبت لما أمكن الوقوف عليه بسكون "الراء"ولحدث "نشاز" فى الإيقاع الصوتى الممتع ، لأن ما قبل هذه الفواصل "ونذر" فواصل يوقف على الراء فيها بالسكون وكذلك ما بعدها.

ومما اجتمع فيه الاثبات والحذف فى آية واحدة فى كلمتين متجاورتين معطوفة ثانيتهما على الأولى قوله تعالى: فى سورة إبراهيم: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)﴾.

أثبت "الياء" فى "مقامى" وحذف من "وعيد" لأن الأصل فى "المقام" هنا هو قيام العبد ومثوله بين يدى ربه وشأنه أن يكون "مبصرا" لذلك أثبت فيه "الياء" المضاف إليه "مقام" جريا على الأصل. أما الوعيد فمعناه حضور الخبر التهديدى فى الذهن فهو أمر معنوى معقول مستمر لا انقطاع له فى الوجود . والوعيد والانذار بمعنى واحد وإن حدث اختلاف فى التسمية والحذف- هنا- جرى على خلاف الأصل للدلالة على المعنى المشار إليه .

وحال ثم محال أن يكون الحذف عاريا من الدلالة على معنى.

ثم إن هذا الحذف كان فيه رعاية لجمال النسق الصوتى، لأن الفواصل التى وردت بعده كانت دالية مسبوقة بحرف المد "الياء" هكذا: فى سورة إبراهيم: الآيتان﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦)﴾ . وهذا كان فى هذا الحذف لطيفتان:

❁ معنوية كما تقدم.

❁ ولفظية وهى مراعاة مجئ فاصلتين بعدها حرف فيهما الدال التالى لحرف المد "الياء".

ومثله قوله تعالى: فى سورة ق: الآيتان﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) ﴾

حذف "الياء" من "وعيد" وهى فاعل "حق" والأصل "وعيدى" فحذف منها "الياء" ونابت الكسرة منابه وصارت دليلا عليه. **وعلة الحذف فيه هى التى تقدمت فى نظيره وهى الدلالة على مثوله وحضوره فى الذهن لأنه معنى واسم لما يعاقب به الله المجرمين.**

هذا من حيث المعنى. أما من حيث اللفظ فقد جاءت بعد هذه الفاصلة عشر فواصل كلها دالية مسبوقة بحرف المد "الياء" هكذا: "جديد- الوريد- قعيد- عنيد- تحيد- الوعيد- شهيد- حديد- عتيد- عنيد" وهى فواصل الآيات من (١٥) إلى (٢٤).

وحذف "الياء" كذلك من كلمة "نكير" مضافا إلى ضمير اسم الجلالة فى أربعة مواضع هى: فى سورة الحج: آية﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)﴾ وسورة فاطر ﴿: ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾.

وســورة الملك:﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨)﴾ النكير فى هذه الآيــات الأربــع اسم لعقاب سابق أنزله الله على مكذبى الرسل وصوره وأشكاله كانت مختلفة ولكن معناها وأثرها الذهنى ظل موجودا بعد وقوعها وذهاها من الوجود. والله هنا يذكــر ها ويهول ويفظع من شأها فصاغ الإشارة إلى ذلك فى أسلوب الاستفهام المثير: (فكيف كان نكير) وهو استفهام المراد منه التهويل والتعظيم والتفظيع .

وسمى العقاب نكيرا للدلالة على أنه مسبب عن أفعال ومواقف منكرة. وفى هذه التسمية إلماح إلى ضلالهم ونكارة سلوكهم هذا فى جانب خدمة المعنى. أما من حيث خدمة اللفظ فإن الذى أداه حذف "الياء" هو تحقيق التوافق الصوتى فى الفواصل حيث أمكن مع حذف "الياء" الوقف على "نكير" بالسكون. حيث كانت الفواصل قبلها هكذا: "الأمور- ثمود- لوط". وكانت الفواصل بعدها هكذا: "مشيد- الصدور- تعدون" .

وكــذلك حــذف "الياء" من "التلاق" و "التناد" فى الآيتين الآتيتين: فى سورة غافر: آية ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)﴾ وسوره غافر:﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢)﴾ "الياء" المحذوف فى هذين الموضعين ليس ضمير المتكلم كما كان فى الأمثلة السابقة بل هو من أصول الكلمة التى حذف فيها. والذى اقتضى حذف "الياء" فى الموضعين الرمز إلى كلا من "التلاق والتناد" أمر غيبى حتى الآن ولن يكونا إلا يوم القيامة ، وكل منهما كناية عنه. هذا من حيث المعنى .

وأمــا مــن حيث اللفظ فلأن "التلاق" لما حذف منه "الياء" سوغ هذا الحذف الوقــوف علــيه بالسكون كما هو الشأن فى الفواصل التى تقدمت عليه وهى: "ينيب- الكافــرون" .وكذلك التى أتت بعده وهى" "القهار- الحساب- بطاع". أما "التناد" فقد أوفى هذه المهمة كذلك فكانت الفواصل قبله هكذا: "الأحزاب- العباد". والفواصل التى بعدها هكذا: "هاد- مرتاب- جبار".

ومــن نافلة القول أن نذكر- مرة بعد مرة- أن شدة التناسق فى الإيقاع الصوتى هو فى نفسه خدمة جليلة للمعانى ، لأن هذه الخصائص الصوتية تجذب الأسماع نحو القرآن ، وهــذا يتــرتب عليه إقبال القلوب ثم العقول للتدبر، وفى هذا كله تيسير سبل الهداية ثم إقامة الحجة على الجاحدين.

وجاء حذف من اسم الفاعل الرباعى فى قوله تعالى: فى سورة الكهف:﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)﴾ . وهذا رمز إلى سرعة هداية من يهديه الله عز وجل هذه واحدة.

والثانـــية رمز إلى كمال هداية من هداه الله لأنها هدايتان: هداية ظاهرة فى سلوكه وخلقه وعملـــه ممـــا يراه الناس ، وهداية باطنة كانت هى المصدر للهداية الظاهرة على حد قول الشاعر الحكيم: وإذا حلت الهداية قلبا نشطت فى العبادة الأعضاء

ويدلك فى الآية نفسها على هذا المعنى المرموز له بحذف "الياء" الطرف المقابل وهو: (ومن يـــضلل فلن تجد له وليا مرشدا). فهو مهما بُذلت الجهود فى تحويله من الضلال إلى الهدى لن تثمر فيه لأنه أغمس فى الضلال وحرم- عقابا له- من رعاية الله عز وجل.

فهـــم مهمـــا دعاهم الدعاة وأخلصوا فى النصح لهم فلن ينفعهم شئ لأن الله حرمهم من الطاعة.

وقد مر بنا أمثلة للحذف فى الواو أجمع علماؤنا أن الحذف فيها دليل على سرعة حـــدوث الفعـــل ومن ذلك كان قوله تعالى: فى سورة الإسراء:﴿ **وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا** (١١) ﴾

وفى ســـورتى "النمل" و"الروم" أيتان تكاد صياغتهما أن تكون واحده ومع هذا التشابه الكبير وردت فيهما كلمة واحدة مرتين تلك الكلمة هى اسم الفاعل "هادى" فى إحـــدى الـــسورتين وردت محذوفا منها "الياء" وفى الأخرى أثبت فيها "الياء" و لم يحذف والآيتان هما: فى سورة النمل:﴿ **وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴿٨١﴾ ﴾.وســـورة الروم:﴿ **وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴿٥٣﴾ ﴾

إن النظـــر فى الآيتين يثير فى النفس سؤالا مهما جديرا فعلا بأن يثار. لماذا أثبت "الـــياء" فى "هادى" فى آية "النمل"؟ ثم لماذا حذف منها فى آية "الروم" والآيتان عبارة عن آية واحدة كررت مرتين ؟

فأولا ننفى نفيا قاطعا أن يكون هذا الاختلاف فى رسم كلمة "هادى" خاليا من الدلائل والأسرار. فما علينا- إذاً- إلا البحث عن تلك الدلائل والأسرار مقتدين بعلمائنا فى هذه السبيل.

وخلاصـــة مـــا يقال فيهما إن ما أثبت فيه "الياء" كان المراد منه الهداية الحسية الظاهرة ، وهى محالة فى عُمى الأبصار.

أما ما حذف منه "الياء" فالمراد به الهداية القلبية الكلية وهذا لا يختص به إلا الله عز وجل. وهاتان الآيتان لهما فى النظم القرآنى المعجز شأن هو العجب حقا. فقد سُبقت كل منهما بآيـــة تكررت بلفظها ومعناها مع اختلاف فى حرف واحد مرتين ؛ مرة قبل آية "النمل"

ومـرة قـبل آية "الروم". أما التى قبل آية "النمل" فهى: آية ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)﴾ .. وأما التى فى آية "الروم" فهى:﴿ فَإِنَّكَ لَـا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢)﴾ قارن بينهما فإنك تراهما آية واحدة فعلا كررت مرتين مع فرق طفيف هو:

أن آيـة "الـنمل" خلا مطلعها من أية أداة عاطفة ، أما آية "الروم" فقد تصدرها حرف العطف "الفاء": "فإنك".

وكـذلك الآيتان التاليتان لهما لا فرق بينهما إلا اثبات "الياء" فى "هادى" فى آية "النمل" وحذفها فيه فى آية "الروم" هكذا: "بهاد" .

وإذا توسـعت قلـيلا فى النظر بان لك أن هذه الآيات الأربع أو الآيتين المكررتين مرتين جـاءت أو جاءتـا تعقيـبا على مواقف الكافرين وإصرارهم على الجحد مع كثرة العبر والآيات الكونية التى لفت الله أذهانهم إليها فى السورتين الكريمتين.

وفى هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم لئلا يأسى عليهم .

ومجموع هذه الآيات فيه تشبيهات ثلاثة للذين كفروا: فهم موتى وهم صم مدبرون وهم عمى لا يبصرون ؛ فلا موت ولا صمم ولا عمى على الحقيقة، وإنما نُزلوا منزلة الموتى فى عدم الانتفاع بالهدى ومنزلة الصم فى الإعراض عن الإذعان لدعوة الحق ومنزلة العُمى فى عدم سيرهم وراء الدعاة إلى ما أنزل الله..

۞۞ وهنا لابد من وقفة تكميلية لحديث د: مطعنى

بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ... بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ

(١) ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (٨١)﴾. النمل

(٢) ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (٥٣)﴾ الروم

ملحـوظة: نلاحـظ أن كلمـة (بِهَـٰدِ ، وبِهَـٰدِى) تتفقان فى إخفاء الألف بعد الهاء .. ولكنهما تختلفان فى وضع الألف فى سورة النمل وحذفها من سورة الروم.

أما بخصوص إخفاء الألف فى الآيتين فذلك لوجود قراءتين لهما : القراءة بإسم الفاعل (هاد) والقراءة بالفعل (هدى ، هتدى) وهذا ما يقوله علماء القراءات والمفسرون هكذا: (الألوسـى: وقـرأ يحيى بن الحرث . وأبو حيوة (هاد) بالتنوين { العمى } بالنصب.. و(هدي) مضارع هدي { العمى } بالنصب ، وقرأ ابن مسعود وما أن هتدي بزيادة أن بعدما ...

(وهذه القراءات — كما قلنا — تشرح السبب فى حذف الألف بعد الهاء — إضافة إلى معنى الهدايـة القلبـية فى هذه الكلمة- ولكنها لاتشرح سبب حذف الياء التى فى آخر الكلمة (بهـد) فى سورة الروم)

((**وأنـا — أى المؤلف**- أرى أن الجمل التى قبل هذه الآية (بهـدى)- فى سورة النمل - هى جمل (فعلية) ومرتبطة بشخصٍ واحد (دون انفصال فى المقصود) فى الآيتين — هو النبى محمد (ﷺ)— فى هذه الآية والآية التى قبلها ، هكذا: فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ (أى يامحمد (ﷺ)) إِنَّـكَ عَلَـى الْحَقِّ الْمُبِينِ (فيه جو التطمين والتهدئة وليس جو الإنذار والزجرة والغضب والانتقام والتوبيخ والزجر)(٧٩)ثم يقول له: إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّـوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَـدِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ... ففى هذا الجو الهادىء والمطمـئن والمتواصـل مع قلب النبى محمد (ﷺ) حسن لذلك التلميح فى الرسم إلى قراءة (وكتابة) الكلمة على الصيغة الفعلية أيضاً(هدى) والمد بها والوقوف الهادىء عليها.

مع ملاحظة — كما قلنا - أن الآيات قبلها فيها تطمين وتهدئة (لقلب النبى (ﷺ))إِنَّ رَبَّكَ يَقْـضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ .. وأيضاً الآيات قبلها دعوة بالبرهان واللين (أمن خلق .. أمن .. أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُـوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَـا مِـنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِـبَةُ الْمُجْـرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ((وراجع درس حـذف وإضافة النون فى كلمة "تكن" لتعلم لين وهدوء الأحداث هنا فى هذه الآيات فى سورة النمل وما ناسبها من زيادة الياء أيضاً فى "بهـدى"))).. وأكمل بعدها الآيات:(٧٠) وَيَقُولُـونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّـذِي تَـسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

((وهــذه التلمــيحات ليس فيها دعوة الاستعجال بل على العكس من ذلك فإن فيها الدعــوة الــصريحة للإمهال والتمهل وعدم الاستعجال) (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُــدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ — هى دعــوة هادئــة أيــضاً- (٧٥) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ((فهنا يتحدث عن قصص لإظهار الحق فيها ، ولإثبات صدق الوحى على النبى محمد(ﷺ) والدعوة المستمرة والهادئة بالتعقل والتدبر وليس فيها عنصر التهديد والعقاب.. الذى فى آيات سورة الروم)).

ويقول الألوسى: لما ذكر سبحانه ما يتعلق بالمبدأ والمعاد ذكر تعالى ما يتعلق بالنبوة ؛ فإن القــرآن أعظم ما تثبت به نبوة نبينا (ﷺ)، فذكر جل وعلا أنه يقص على بني إسرائيل ، والمراد هم كما روى عن قتادة اليهود ..

ويقــول أ السعود: منْ جُملته ما اختلفُوا في شأنِ المسيحِ وتحزَّبوا فيه أحزاباً وركبُوا متنَ العُــتوِّ والغُلوِّ في الإفراطِ والتَّفريطِ والتَّشبيه والتَّنزيه ووقعَ بينَهم التَّناكُدُ في أشياءَ حتَّى بلغَ المُــشاقَّة إلى حيثُ لعنَ بعضُهم بعضاً وقد نزلَ القرآنُ الكريمُ ببيانِ كُنْه الأمرِ لو كانُوا في حيِّــز الإنصاف . ...((فكلها دعوات للقراءة ولتعقل والتمهل والتدبر)).... والفاءُ في قــوله تعالى : { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ } لترتيبِ الأمرِ على ما ذُكر من شؤونه عزَّ وجلَّ فإنَّها موجــبةٌ للــتوكلِ عليه وداعيةٌ إلى الأمرِ به ، أي فتوكَّل عَلى الله الذي هَذا شأنُه ، فإنَّه موجبٌ على كلِّ أحد أنْ يتوكلَ عليه ويفوض جميعَ أموره إليه وقولُه تعالى : { إِنَّكَ عَلَى الحَــق المــبين } ..فإنَّ كونَهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كذلكَ ممَّا يُوجبُ الوثوقَ بحفظه تعالى ونُصرته وتأييده لا محالةَ .

ويقــول أبــو حيان: { لذو فضل } : أي إفضال عليهم بترك معاجلتهم بالعقوبة على معاصيهم وكفرهم ، ((إذن الآيات تتحدث عن إقامة الدليل والبرهان فى صدق الوحى — الــذى يــستدعى أيــضاً الهدوء والتباطؤ فى البحث والتنقيب والتفكير - وليس التهديد والإنذار الذى يحتاج إلى السرعة والمباغتة التى يناسبها حذف الحرف -))،

وأيضاً قوله: قل(عسى). — و لم يؤكد على العقاب لهم- وأن ما سيصيبهم هو (بعض..) ما يستعجلونه وسيؤخر عنهم العذاب الأكبر (سواء الاستئصال فى الدنيا أو عذاب الآخرة.) وكل هذه المعانى تعطى الإيحاء بعدم توكيد العقاب عليهم ، بل إنها تلمح إلى تهوين شدته (بعض) الذى تستعجلون، والتطمين لقلب النبى محمد(ﷺ)بأنه على الحق المبين وأن لايعبأ بما هم فيه.

ونلاحـــظ أيضاً الآية بعدها التى فيها الهدوء والتأمل — حتى فى الحديث عن أحداث نهاية الكـــون — وهـــو كلام الدابة: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُـــمْ أَنَّ الـــنَّاسَ كَانُـــوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) ﴾ .. ويقول أبو حيان: وفي بعض القراءات : تحدثهم .. : تكلمهم ببطلان سائر الأديان سوى الإسلام . وقيل : تخاطبهم ، فـــتقول للمؤمن : هذا مؤمن ، وللكافر : هذا كافر . وقيل معنى تَكْلمهم : تجرحهم من الكلم ، والتشديد للتكثير؛ . . . . انتهى .

فالـــسياق كله محاورات — حتى فى حديث الدابة السابق ليوم القيامة— وهو إقامة براهين وسياق هادىء — على كل حال — وهو ما يكتنف هذه الآية

إضـــافة إلى أن سورة النمل تتحدث عن العلم والثقة والظهور — راجع الإعجاز والتكرار فى قصة موسى فى هذه السورة وما قلناه عن الثقة واليقين فى حديث موسى دون تردد منه — وهو ما يلائم الحديث مع محمد (ﷺ)بقوله له : فتوكل على الله إنك على الحق المبين).

بخلاف سورة الروم التى بدئت بالحديث عن حدث غيبى -﴿ الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِـــي أَدْنَـــى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾- وإعجاز بعلم الغـــيب والتركيز على وقت لقاىء ربهم.- وهى أحاديث غيبية يناسبها (الحذف) — كما تعـــودنا.- وإشارات الريح والسحاب — التى سنتحدث عنها فى حديث خاص — وكلها فـــوق ذلك أحاديث متسارعة ومزمجرة ومخوفة ، والخطاب للكافرين فى الآية قبلها وليس خطاباً متواصلاً عن شخص الحبيب (ﷺ) (كما فى آيات سورة النمل السابقة.

ولذلك لانجد داع لتسارع الأحداث والحروف فى آيات سورة النمل بخلاف الآيات فى ســـورة الـــروم الـــتى يقول قبلها: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا (رِيحًا) فَرَأَوْهُ (مُصْفَرًّا) لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُـــرُونَ (٥١)﴾ .. فالحديث عن الكافرين ، والحديث أيضاً يروى أحداث متسارعة فى وصف الريح واستعجال نصرة المؤمنين وعذاب الكافرين .

ويقـــول فى الآيـــات قبلها(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ (فَانْتَقَمْـــنَا) مِـــنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَـــزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْـــدَ مَـــوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا

فَــرَأَوْهُ مُــصْفَرًّا (لَظَلُّوا) مِنْ بَعْدِهِ (يَكْفُرُونَ) (٥١)((فهو سياط ملتهب بالوعيد والإنذار للكافرين . وليس مجادلة بالحسنى والبرهان وتطمين لقلب الحبيب)) ولذلك جاءت الآية بعــــدها:﴿ **وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴿٥٣﴾ ﴾ **الـــروم** ــ بدون الياء فى نهاية الكلمة (هـــد) للمحى : السرعة والجو العاصف ، وأيضاً لحديث الغيبيات فى هذه السورة التى كان مطلعها حديث الغيب ، وقد علمنا أن مطلع السورة يحدد جو السورة كله ويرمز إليه (راجع كتبنا : الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم)

وقد لاحظنا أن كلمة (هـــدى) بالياء وبغير الياء لها قراءتان(قراءة إسمية وقراءة فعلية — هـــدى—) وقلـــنا أن سياق سورة النمل يناسبها إبراز قراءة الصورة الفعلية بخلاف سورة الروم .. ولهذا كان الرمز الآسر فى رسم الكلمة – الذى أراه أنه أهم وأولى بالدراسة من علم القراءات إن لم يساويه على أقل تقدير–.

ونقف أخيراً على تعليق الإمام الزركشى الذى تركه دكتور المطعنى — وسنقوم بالشرح له فى داخله والتعليق عليه بعده — وهو:

وكذلك وما أنت بهاد العمى في الروم هذه الهداية هي الكلية على التفصيل بالتوالى– أى ليست هداية كاملة من البداية كهداية محمد (ﷺ) فى سورة النمل.. فهى هنا هداية كلية علــى التفــصيل)؛ هذه الهداية هي الكلية على التفصيل التى (ترقى) العبد في هدايته من الأربـــاب إلى ما يدركه العيان ، ليس ذلك للرسول عليه السلام بالنسبة إلى العيان، ويدل علـــى ذلك قوله قبلها فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها الآية ..(**فهذا النظــر مـــن عالم الملك ذاهبا في النظر إلى عالم الملكوت إلى ما لا يدرك إلا إيمانا وتسليما)**.

وهـــذا بخلاف الحرف الذى في النمل وما أنت بهادي العمى **فثبتت الياء لأن هذه الهداية** ((كلية كاملة)) بدليل قوله إنك على الحق المبين (**كأنه يقول أن قوله تعالى لنبيه محمد (ﷺ)** فى آيـــة سورة النمل: إنك على الحق المبين..هى هداية كاملة ، من البداية **عندك فهدايتك** كاملة فتكتب الكلمة كاملة أيضاً.(بهادى).

أمـــا فى الروم فهى طلب الهداية لباقى البشر (أى: الذين لم يصلوا لكمال الهدى ومازالوا يــــرتقون ويتدرجون فى مدارجها) ، وليست فيها إشارة للهداية الكاملة لمحمد (ﷺ) على وجه الخصوص ، وهى بنصب الأدلة (أى فى قوله تعالى: – فانظر إلى آثار رحمة الله كيف

يحيى الأرض بعد موتها)- وهى تناسب (المقام الأدنى والترقى به) إلى الدرجات الأعلى من الهداية – كما هو الحال فى باقى البشر غير محمد(ﷺ)- وهذا الترقى يناسبه الحذف كما بينا عند قوله تعالى: (ألم يك نطفة..) .. وحذف النون من كلمة (يكن) وراجع هذا البحث كاملاً فى الصفحات الماضية..، وهى على التفصيل ، ويبدأ الداعى لهم على لسان نبينا محمد(ﷺ) من أقل درجات الفهم ويرتقى بهم،، "بهاد"- بحذف الياء لأنها غير كاملة))،

ونقول: هذه لفتة جميلة تركها أستاذنا المطعنى ، وهى أحرى بالقبول ، وخاصة أن آيتا النمل والروم تتفقان فى سياق الآيتين المتشابهتين تشابهاً يكاد يكون كاملا ، فيما عدا الإشارة إلى خطاب الحبيب محمد (ﷺ)وتذكيره بالهداية الكلية فى أية سورة النمل وهى فى قوله: إنك على الحق المبين ، وهى التى جعلت الكلمة كاملة – كما أن الهداية كاملة لمحمد ((ﷺ))-.. وأرجوا من القارىء مراجعة الإضافات على هذا الشرح تحت باب (هاد ، هادى)

(فَهُوَ الْمُهْتَدِي)... (فهو المهتد)

۞۞ وهنا نأتى للحديث عن آيتين مشابهتين لهذا الموقف وهما ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ ... والثانية ﴿ فهو المهتد﴾ وندعو القارىء للتركيز على سياق الآيتين والتدبر والتأمل الذى لايحتاج إلى تعليق وهو:

(١) ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)﴾ .

ملحوظة: أبو حيان يعرض آراء كثيرة عن هذا الهالك الذى ضل .. وهو أمية بن أبي الصلت الثقفي قرأ الكتب وعلم أنه سيبعث نبي من العرب ورجا أن يكون إياه وكان ينظم الشعر في الحكم والأمثال فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده ووفد على بعض الملوك وروي أنه جاء يريد الإسلام فوصل إلى بدر بعد الوقعة بيوم أو نحوه فقال من قتل هؤلاء فقيل : محمد

فقال: لا حاجة لي بدين من قتل هؤلاء فارتد ورجع وقال : الآن حلت لي الخمر وكان قد حرم الخمر على نفسه فلحق بقوم من ملوك حمير فنادمهم حتى مات ، وقدّمت أخته فارعة على رسول الله (ﷺ) واستشدها من شعره فأنشدته عدّة قصائد فقال صلى الله عليه وسلم : « آمن شعره وكفر قلبه وهو الذي قال فيه تعالى {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها} . »
وقال سعيد بن المسيب أيضاً : هو أبو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق وكان ترهّب في الجاهلية ولبس المسوح وهو الذي بني له المنافقون مسجد الضرار جرت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم محاورة فقال أبو عامر : أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً ، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بالقوة والسلاح ، ثم أتى قيصر واستجاشه ليخرج محمداً (ﷺ) وأصحابه من المدينة، فمات بالشام طريداً شريداً وحيداً ، وقيل : غير هذا .

والأولى في مثل هذا إذا ورد عن المفسرين أن تحمل أقاويلهم على التمثيل لا على الحصر في معين فإنه يؤدي إلى الاضطراب والتناقض والخلاف في { آتيناه آياتنا } مترتب على من عنى الذي آتيناه أذلك اسم الله الأعظم أو الآيات من كتب الله أو حجج التوحيد أو من آيات موسى أو العلم بمجيء الرسول .

والانسلاخ من الآيات مبالغة في التبري منها والبعد أي لم يعمل بما اقتضته نعمتنا عليه من إتيانه آياتنا ، جعل كأنه كان ملتبساً بها كالثوب فانسلخ منها ، .. .

(وأقول: وعلى أى حال فهو مجرم عاتى الإجرام – من اليهود على الراجح – أو من غيرهم من الذين يحتاجون إلى هزة قوية وعنيفة ..وهذا لايتطلب حذف الحرف بل يتطلب ثقل الكلمة.. تماماً كما شرحنا معنى وهدف التشديد فى قوله تعالى(أفلم يدبروا القول) بتشديد الحرف مع تناسب تشديد الموقف مع الكافرين.. وقوله (أفلا يتدبرون القرآن) بدون التشديد فى الحرف ليناسب هدوء الموقف مع المنافقين والتغاضى عنهم وإمهالهم ليسمعوا ويتدبروا طالما قد كفونا هم شرهم من الحرب والإيذاء القولى والفعلى، فكتبت الكلمة – مع هذا الكافر والمجرم العاتى – بكامل ثقلها (المهتدى)
ولزيادة التعرف على هذا المجرم الذى تغير له الحرف فى رسم الكلمة وحتى نفهم السبب فى ذلك ننقل رأى آخر لعلماء التفسير، حيث يقول عنه الزمخشرى: { واتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذى ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ مِنْهَا } هو عالم من علماء بني إسرائيل . وقيل : من الكنعانيين ، اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله { فانسلخ مِنْهَا } من الآيات، بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره { فَأَتْبَعَهُ الشيطان } فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً

لــه. أو فأتبعه خطواته . وقرىء : «فاتبعه» بمعنى فتبعه { فَكَانَ مِنَ الغاوين } فصار من الـــضالين الكافرين..... { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب } فصفته التي هي مثل في الخسّة والضعة كصفة الكلب في أخسّ أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله ، سواء حمل عليه - أي شدّ عليه وهيج فطرد - أو ترك غير متعرّض له بالحمل عليه.

ويقـــول صـــاحب الظـــلال: فهو يمثل حال الذين يكذبون بآيات الله (بعد أن تبين لهم فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها . . .. ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة ، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً!

إنه - في حسنا كما توحيه إيقاعات النبأ وتصوير مشاهده في القرآن - ذلك اللهاث وراء أعـــراض هذه الحياة الدنيا التي من أجلها ينسلخ الذين يؤتيهم الله آياته فينسلخون منها . ذلك اللهاث القلق الذي لا يطمئن أبداً . والذي لا يتركه صاحبه سواء وعظته أم لم تعظه؛ فهو منطلق فيه أبداً!((صورة الدوام طوال حياته — إمتداد الظل والزمن مع امتداد الكلمة - مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي)))

ثم نقف أمام هذا النبأ والتعبير القرآني عنه وقفة أخرى . .

إنـــه مـــثل للعلم الذي لا يعصم صاحبه أن تثقل به شهواته ورغباته فيخلد إلى الأرض لا ينطلق من ثقلتها وجاذبيتها؛(((فهو حديث عن ثقل الشهوات بصاحبها لايناسبه إلا إبقاء الكلمـــة بكامـــل ثقلها "فهو المهتدى" لأن صورة المهتدى المقابلة لابد أن تكون بصورة المبالغة فى الهداية والتمسك بها مقابل المبالغة فى الضلال والتمسك به)) ...

ويقف السياق وقفة قصيرة للتعقيب على ذلك المثل الشاخص في ذلك المشهد ، للذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ، بأن الهدى هدى الله . فمن هداه الله فهو المهتدي حقاً؛ ومن أضله الله فهو الخاسر الذي لا يربح شيئاً :

{من يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون} . .((وهنا نلاحظ الأهمية القصوى على (التركيز) على (هداية الله) فى هذا الجو الذى يحدث منه الفتنة العظمى بمن آتاه الله علماً (كما يقال: إذا زل العالم زل بزلته عَالَم).

وذلك كما جاء في الآية التالية في السياق :﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعـــام بـــل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ .((ولاحظ هذه المبالغات فى حال هذا الضال لما يقابلة فى المبالغة فى هداية هذا المهتدى))) . . .

وهذا المثل .. التصويرى لهذا العالم الكافر (عن علم) ، لايحتاج إلى إقناع عقلى – فهو عالم بذلك – ولكنه يحتاج إلى (هداية الله) التى يركز عليها النص – بخلاف السياق فى الآيات التالية (المهتد).

(٢) ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦)وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)﴾ . هم هنا:

(١) (جاهلون) و لم يجادلو عن علم كحال هذا العالم الذى آتاه الله العلم الظاهرى وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا..

(٢) فى آية الأعراف السابقة يضرب له مثل سفلى مهين (كالكلب) وصورة حسية معلومة: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ...ولذلك يضغط ربنا فى النص القرآنى على قراءة الكلمة (المهتدى) – مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي– .. وكأنه يستوقنا على هذه الكلمة طويلاً لنعلم ونتأكد أن الهداية ليست عن طريق العلم والتعالم ودراسة الكتب والتضلع بها ولكن لابد من هداية الله – فمن يهديه فَهُوَ الْمُهْتَدِي – ولايمل من طلب هدايته فهى الأهم الذى يجب الوقوف عليه – كما نفعل دائماً بأن نطلب من الله الهداية وأن يثبتنا عليها– ..وتالله لولا الله ما هتدينا.. وكما قال ربنا : ثم تاب الله عليهم ليتوبوا ..

ثم إن هذا الحرف الغير محذوف (المهتدى) يؤكد أيضاً على ثقل وخطورة هذا الحدث : فهو عالم أضله الله على علم وله فتنة كبيرة فى أنفس الناس.. مع ملاحظة خاتمة الآية:

﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)﴾ الأعراف.. بخلاف الآيتين الأخريتين — فى الإسـراء:﴿ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)﴾ .... ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِه.﴾ .الكهف.. ففى الأولى — الأعراف- شدة وصرامة وتأكيد على الخسران المطلق ؛ والذى يعنى عدم الإهتداء نهائياً وبأى وسيلة كانت ولو بالصدفة أو المحاولات المنفردة بذاته- ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.. بخلاف من لم تجد له ولـياً يرشـده ؛ إذ ربمـا يتخيل الذهن أنه ربما يهتدى للطريق بنفسه- بدون مرشد- أو بالمحاولات ، مما يفتح باب التخيل للنجاة والإسترشاد حتى ولو بالصدفة ؛ وذلك كالفرق بين قولك أن فلان هلك وخسر .. وقولك أن فلان لايجد من يدله على الإنقاذ.. إذ -- فى الحالـة الثانية - ربما ينقذ نفسه بنفسه أو عن طريق الصدفة... بخلاف هذا الحكم النهائى والقاطـع بكـل أساليب التأكيد (فَأُولَئِكَ).. إشارة عليهم لتعيينهم .. (هُمُ) توكيد آخر (الْخَاسِرُونَ) بالألف واللام .. وكأنه لا خاسر هذا الخسران الكامل غيرهم..

أضـف إلى ذلـك أن آية (الأعراف) تتحدث عن هداية ظاهرية .. وآية (الإسراء) هداية باطنـية لأنهم جاهلون بحقيقة النبوة﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ و (الكهف) عن هداية باطنية يطلبونها من الله فى قوله: ﴿وَتَـرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِـدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)﴾ .۞ . ومع التركيز على أن قصتهم فيها الغموض وطلب الهدايـة القلبـية بعـد هدايتهم الظاهرية(كما نقول عن كرامات الأولياء) وكما يقول الزمخشرى: ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم ، فلطف بهم وأعانهم ، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة ،(آيات الحماية لهم بهذه الصورة فى الكهف والتكريم لهم)

ويقـول الـرازى: ثم يـبين تعالى أنه كما أن بقاءهم هذه المدة الطويلة مصوناً عن الموت والهلاك من تدبيراته ولطفه وكرمه ، فكذلك رجوعهم أولاً عن الكفر ورغبتهم في الإيمان كان بإعانة الله ولطفه فقال : { مَن يَهْدِ الله فَهُوَ المهتد } مثل أصحاب الكهف : { وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّا مُّرْشِدًا } كدقيانوس الكافر وأصحابه ،.

وعلى هذا نرى :

(١) أن آية الأعراف فيها صورة هذا المجرم الذى أضله الله (على علم) وثقل هذا المعنى مع ثقل هذه الكلمة (المهتدى) بالياء

(٢) آية الأعراف ضربت له مثلاً دنيوياً.

(٣) آية الأعراف تؤكد على الخسران المطلق والمؤكد ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ويقابلها التأكيد على الهداية الكاملة (المهتدى) .

بخلاف آية الإسراء والكهف: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِه﴾، ﴿ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

(٤) آية الكهف تركز على الهداية القلبية والأحداث الغيبية.

(٥) وفى النهاية جو الظهور والإعلان والتمثيل – فى الأعراف – يناسبه إظهار الحرف (المهتدى) ، وجو المجادلة مع جاهلين بالحجة والدليل لإثبات (الوحى)، وجو الغموض والغيبية فى الإسراء والكهف يناسبه (حذف حرف الياء- "المهتد")

ونكتفى بهذه الإشارات والدلائل لهذا الإعجاز الواضح فى رسم الكلمة ، ونقول : وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً .. وأنا واثق أن هناك علماء ومتدبرين سيفتح الله عليهم بأسرار لم يصل إليها علمنا القاصر.

ونعود لتكملة حديث د: مطعنى الذى قطعناه حيث يقول:

كما وردت كلمة "عباد" مضافة إلى ضمير اسم الجلالة "الياء". فى بعضها نرى "الياء" مثبتة (عبادى) وفى بعضها نرى "الياء" محذوفا . ولابد لهذا من دواع اقتضته فى حالتى الإثبات والحذف ، وهذا يتضح بعد ذكر الأمثلة إثباتًا وحذفاً.

أولا: أمثلة الاثبات:

فى سورة العنكبوت: ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون (٥٦)** ﴾

وسورة الزمر: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)** ﴾

ثانيا: أمثلة الحذف:

فى سورة الزمر: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ (١٠) ﴾

وسورة الزمر : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) ﴾

وسورة الزخرف: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) ﴾

التوجيه:

الأمثلة التي حذف فيها قالوا فيها إن الحذف فيها رمز إلى معنى لطيف أو معان لطيفة لا معنى واحد أبرزها ما يأتي:

❁ إنه خطاب غير مباشر لعباد الله لأنه خطاب من الله لرسوله الكريم مأمور فيه بأن يبلغه لعباد الله.

❁ إنه خطاب غيبي بالنسبة للعباد ظاهر بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

❁ إن حذف "الياء" فيه دلالة على قرب هؤلاء العباد بأعمالهم من الله عز وجل ، والمقام يقوى هذا المعنى ، فمثلا ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا**﴾. نجد المنادى "عباد" موصوفين بوصف الإيمان **وزيادة الترغيب فى تقوى الله.**

وقوله تعالى: (**فَبَشِّرْ عِبَادِ** (١٧)) ، وإن لم يكن منادى فقد أمر الله رسوله أن يبشرهم وهذا تكريم عظيم. وكذلك قوله تعالى: ﴿**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾.

المقام فى هذه الآيات يقوى معنى أن الحذف فيه دلالة على قرب هؤلاء "العباد" من الله عز وجل. وهذه المعانى لا تزاحم بينها ؛ بل يجوز أن تكون هى كلها مرموزا إليها بحذف "الياء".

وبعض العلماء يقول إن سبب الحذف فيها أنها خطاب للرسول ، ولكن هذا الرأى مدفوع لأن قوله تعالى: (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله). الخطاب فيه للرسول وليس خطابا مباشرا للعباد، بدليل قوله فى صدر الآية "قل" فإن "الياء" لم يحذف من كلمة "عباد" .

فلو كانت العلة هى مخاطبة الرسول لوجب حذف "الياء" ، ومن قال بهذا الرأى قال: ما كان خطابا للعباد بتوسيط الرسول يقول الله له: "قل" يطرد فيه حذف "الياء" وما كان خطابا للعباد بدون توسيط الرسول بـ"قل" ثبت فيه "الياء".

وهذا- كما تقدم- غير مُسلم على إطلاقه فقد تقدم دفعه بآية "الزمر" (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) لذلك وجب البحث عن علة أخرى لإثبات "الياء" وهى- فيما نرى:

- أن إثبات "الياء" له توجيهان:

الأول: أن الإثبات هو الأصل وما جاء على الأصل فلا يُسأل عنه.

الثانى: أن سبب إثبات "الياء" رمز إلى بُعد المنادى "عبادى" عن الله عز وجل **لقصور فى علاقاتهم به .**

والسبب ظاهر جدا فى المثالين اللذين ورد فيهما إثبات "الياء" وهما: (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) فهم عباد مسرفون على أنفسهم بالمعاصى ، هذا من شأنه أن يبعدهم عن ألطاف الله ورحمته. ثم: فى سورة العنكبوت﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦)﴾ .. فتذكيرهم بسعة أرض الله عز وجل وأمرهم بتخصيصه بالعبادة فيه إلماح إلى نوع تقصير منهم أمام الله عز وجل.

ومما يدفع الرأى الذى أشرنا إليه من قبل أن كلمة "عباد" جاءت محذوفة "الياء" دون أن يكون فى المقام توسيط للرسول صلى الله عليه وسلم فى خطابهم بـ"قل" وذلك قوله تعالى: (يا عباد لا خوف عليكم اليوم). فقد حذف "الياء" فى الخطاب المباشر الذى خلا من توسيط النبى- عليه الصلاة والسلام- وحذفه هنا رمز إلى قربهم من تكريم الله لهم .

۞ **((مطلوب الإشارة إلى القراءات فى آية الزخرف.. حيث أنها قرئت بالإثبات والحذف لتعطى المعنيين، وسنذكره فى استعراض رأى الإمام الزركشى)))**

وصفوة القول فى هذا ما يأتى:

إن حذف "الياء" من كلمة "عباد" المضاف إلى ضمير اسم الجلالة لا يخضع لقاعدة واحدة ؛ وهى كونها خطابا غير مباشر لهم كما تقدم. بل منها ما يسلم توجيهه على هذه القاعدة ومنها مالا يسلم كما تقدم. كما أن مجئ "الياء" مثبتا وإن كان هو "الأصل" ليس لأنه خطاب مباشر لهم ، بل له فوق كونه أصلا اعتبارات، دقيقة أشرنا إليها آنفا.

۞۞ **وهنا نقف على ((رأى الأستاذ الدكتورفاضل السامرائى)) ليزداد الإمتاع والإشباع الروحى والعقلى مع رسم الكلمة فى القرآن وعلاقة ذلك بباقى أنواع الإعجاز البلاغى وغيره..وقد أشرنا من قبل أن هناك نوعاً من الإعجاز هو ما نسميه بإعجاز الفهم وتنوع واتساع مدارك العلماء فيه وتذوقهم لحلاوته .. حيث يقول:**

وقد يكون ذكر الياء وحذفها لغرض آخر قريب مما مر وهو أن يكون ما فيه الياء أوسع وأشمل مما حذفت منه الياء, وذلك نحو ما ورد من ذكر ياء المتكلم وحذفها من كلمة (عباد) و (عبادى). فما ذكرت فيه الياء أوسع وأشمل مما حذفت منه. فكان طول البناء إشارة إلى سعة المجموعة, وذلك نحو قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ الزمر.

فالعباد هنا قاعدة عريضة واسعة فالذين أسرفوا على أنفسهم هم الاكثرون. قال تعالى﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ يوسف... وقال:﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)﴾ الانعام. وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) سبأ فذكر الياء.

ونحـــوه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ البقرة.

فالعباد هنا كثر, وهم عموم العباد, فهم اذا سألوه, فهو قريب منهم يجيب داعيهم, فذكر الياء.

ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣) ﴾ الاسراء. وهو طلب من عموم عباد الله لم تقيد بقيد, وانما هى مطلقة فذكر الياء.

وقـــوله: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) ﴾ العنكبوت.

والمؤمنون أيضا طبقة واسعة, إذ هم لم يقيدوا بغير الإيمان.

وقد تقول: ولكنه قال فى مكان آخر: الزمر﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾

والحق أن الفرق بينهما واضح من وجوه منها:

١- أنه قال فى آية الزمر: (قال يعباد الذين امنوا **اتقوا ربكم**) فخصص الذين آمنوا بطلب الـــتقوى, فضيق دائرة المؤمنين , وذلك أن عموم المؤمنين أكثر من المتقين, فى حين أنه لم يقيدهم بغير الايمان فى العنكبوت فهم طبقة أوسع.

٢- طلـــب فى آيـــة الزمر من المؤمنين التقوى, وطلب فى آية العنكبوت العبادة, والعبادة أوســـع مـــن دائرة التقوى, وبهذا اتسعت الصفة فى آية العنكبوت, وشملت جماعة أكبر. فالمتقون أقل ممن يقومون بالعبادات على العموم, فليس كل من يقوم بالعبادة متقيا.

٣- ومما حسن إظهار الياء فى (عبادى) فى العنكبوت قوله تعالى: (يعبادى الذين آمنوا **إن أرضـــى واسعة**) فأضاف الارض الى الياء (أرضى). فالأرض أرضه والعباد عباده, فأظهر ضمير التتكلم فى الموطنين فى المسكن والساكن (عبادى).

فى حين لم يضفها الى الياء فى آية الزمر, وانما قال: (وارض الله واسعة).

وههنا أمر آخر, وهو أنه لا يحسن إ ضافة الأرض الى ياء المتكلم فى الزمر, لأنه قال: (قل ياعـــباد) فلـــو قـــال: (وأرضى واسعة) لأوهم ذلك أن الأرض أرض المبلغ - أى أرض الرســـول,- فيكون المعنى: قل لهم: إن أرضى واسعة, فهذا يحتمل أن تكون الأرض لله,

وأن تكـــون للرسول, فلما قال: (وأرض الله واسعة) رفع هذا الاحتمال بخلاف ما فى آية العنكبوت, فإنه قال فيها: (يا عبادى), و لم يقل: (قل يا عبادى).

فإضافة الأرض إلى ياء المتكلم فى العنكبوت أنسب, وإضافتها إلى الله فى أية الزمر أنسب. والأرض ممــا يــصح أن تضاف إلى الله وإلى غيره, فتقول: أرض فلان, وأرض الله. قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ .. (٢٧)﴾ الاحزاب.

١- ثم إن سعة الأرض مؤكدة فى آية العنكبوت دون آية الزمر, فقد قال تعالى: (إن أرضى وســعة) فوسع مجموعة العباد مناسبة لهذه السعة ، فى حين قال فى آية الزمر: (وأرض الله وسعة) من دون توكيد.

٢- قال فى آية الزمر: (إنما يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب). وقال فى آية العنكبوت: (كـــل نفـــس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون). والصابرين قليل ليسوا كثرا ؛ فهم جزء ممن يذوقـــون الموت الذين ذكرهم فى قوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت.....), فهذه تشمل كـــل عباد الله بخلاف آية الزمر. فلما توسعت دائرة العباد فى العنكبوت, قال: (يعبادى) بالياء, فأظهر الضمير. ولما قلل العباد فى الزمر حذف الضمير.

٣- ذكـــر ضمير المتكلم مع العبادة مرتين فى العنكبون فقال: (فاي فاعبدون). فالضمير الأول هـــو: (إياى) والثانى: (الياء) المحذوفة من (اعبدون). فى حين قال فى الزمر: (اتقوا ربكـــم) من دون ذكر الضمير المتكلم, فلم يقل: (فاتقون) ولا (وإياى فاتقون). فناسب ذلك ابراز الضمير مع العباد فى آية العنكبوت دون الزمر.

٤- قال فى العنكبوت: (إلينا ترجعون) فذكر مرجع الخلق إليه, بذكر ضمير المتكلمين فى (إلينا)، فناسب إبراز ضمير المتكلم مع العباد، فإن عباده يرجعون إليه.

٥- قـــال فى آية الزمر: (انما يوفى الصبرون أجرهم بغير حساب) وهذا الجزاء ليس متسعا اتـــساع مـــا قال فى العنكبوت وهو: (الينا ترجعون) فليس كل العباد يوفون أجرهم بغير حساب، ولكنهم كلهم يرجعون إليه، فاتسعت الدائرة فى العنكبوت فزاد الياء.

٦- ثم إن ضـــمائر المتكلم فى آية العنكبوت أكثر مما فى آية الزمر. فليس فى آية الزمر غير ضمير محذوف، دلت عليه الكسرة فى قوله: (ياعباد). فى حين أن فى آية العنكبوت خمسة ضـــمائر للمـــتكلم والمـــتكلم المعظم نفسه، وهى ضمير المتكلم فى (عبادى) والضمير فى (أرضى) والضمير (إياى) والضمير الذى دلت عليه الكسرة فى (فاعبدون) والضمير المعظم نفسه فى (إلينا). فحسن ابراز الضمير فى آية العنكبوت دون آية الزمر.

٧- ثم إن لفظ العموم (كل) فى العنكبوت مما حسن إبراز الضمير، لأنه يدل على العموم والشمول إذ اتسعت به دائرة العباد اتساعا شاملا، حيث لم يستثن أحدا منهم بخلاف ما فى العنكبوت.

٨- إن سورة الزمر تكاد تكون مبنية على ضمير الغيبة، وعلى الالتفات من المتكلم إلى الغيبة بخلاف سورة العنكبوت، فإنها مبنية على ذكر النفس. فإنه بعد أن قال فى الزمر: (إنا أنزلنا إليك الكتب بالحق) التفت إلى الغيبة فقال: (فاعبد الله مخلصا له الدين) ولم يقل: (فاعبدنى). ثم سار الكلام على هذا النسق فقال: (والذين اتخذوا من دونه أولياء .... إن الله يحكم بينهم ... إن الله لايهدى من هو كذب كفار ٣). (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لا صطفى... هو الله الواحد القهار. خلق السموات والارض... ويكور اليل... وسخر الشمس والقمر.. ألا هو العزيز الغفر. خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ٤-٦) (ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم... ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم ٧). ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ**﴾.. (٨) **فقال : (دعا ربه) ولم يقل: (دعانا) كما قال فى موطن آخر ثم انظر إلى التناسب اللطيف بين قوله: (دعا ربه) وقوله(قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ** ..(١٠) الزمر. بذكر الرب وهكذا يسير النسق.

بل إنه حتى فى قوله ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ** (٥٣)﴾ إلتفت من المتكلم إلى الغيبة فقال:﴿ **لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (٥٣)﴾ . ولم يقل لاتقنطوا من رحمتى إنى أغفر الذنوب جميعاً إننى أنا الغفور الرحيم).. وقال فى الآية التى هى مدار البحث((اتقوا ربكم .. وأرض الله واسعة) فى حين قال فى العنكبوت)) إن أرضى واسعة فإيى فاعبدون) فبنى الكلام فى الزمر على الغيبة، وبنى الكلام فى العنكبوت على المتكلم وإظهار النفس.

إن سياق سورة العنكبوت مبنى على المتكلم كما ذكرت. فقد قال:﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** (٣) **(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا** (٤) ..**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٧) **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** (٨) **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ** (٩).......... **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا. ..فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً**

لِلْعَالَمِينَ (١٥). وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..﴾ الخ. ويستمر إلى أن يقول:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ .. (٥١).... يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ..(٥٨) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ .. (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا .. (٦٧)﴾ وختم السورة بقوله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾

فأنت ترى أن جو السورة وسياق الآيات فى الزمر مبنى على الغيبة، فى حين أن السياق مبنى على التكلم، فناسب ذكر ضمير المتكلم وإبرازه فى العنكبوت دون الزمر

وقد تقول: و لم قال فى الزمر(قل ياعباد الذين آمنوا) بذكر (قل)، و لم يقل مثل ذلك فى العنكبوت، بل قال (ياعبادى الذين آمنوا) من دون (قل)

والجواب : أن سياق الآيات فى الزمر مبنى على التبليغ بخلاف ما فى العنكبوت، فإنه مبنى على ذكر النفس.

فقد أمر بالتبليغ بقوله (قل) فى الزمر أربع عشرة مرة فقال: ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا (٨)و قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ(٩) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا .. (١٠)قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ (١٣)قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤).. قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا (١٥).. قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ (٣٩)قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا .. (٤٤) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. (٤٦).. قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .. (٥٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤)﴾

فى حين لم يأمره بالتيليغ بقوله(قل) فى العنكبوت إلا ثلاث مراتوهى قوله﴿..قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ .. (٥٠)﴾ وقوله:﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ..(٥٢) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٦٣).﴾ .... فناسب ذكر القول فى الزمر دون العنكبوت.

❁❁❁ **ومما حذف منه ضمير المتكلم** قوله: الزمر ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) ﴾ فحذف الياء لأنهم قلة. فإنه قيد العباد بالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فهم لم يكتفوا بالحسن بل يتبعون الأحسن ، ولاشك أن هؤلاء قلة. ثم ذكر أن هؤلاء هم الذين هداهم الله، وأنهم أولوا الألباب. فحذف الياء لقلة المذكورين نسبياً

هـذا إضافة إلى فواصل الآي، فإن هذه الآية تقع ضمن مجموعة من الآيات خواتمها تنتهى بـنحو هذه الفاصلة وذلك نحو ﴿ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾ وغيرها

فحسن حذف الياء من كل وجه، والله أعلم.

ونعـود لنناقش آراء العلماء – قديماً وحديثاً– متمثلة فى نقل الأستاذ الدكتور المطعنى لهم – أكرمه الله–.

نقص الياء (= حذف الياء)

نعالج فى هذه المقالة مواضع لحذف "الياء" فى الأسماء يدل الحذف فيها على معان غير التى تقدمت ، وصور ومواضع هذا الحذف كثيرة ، و"الياء" المحذوف فيها قد يكون مضافا إليه وقد يكون أصلا من أصول الكلمة المحذوف هو منها.

وبعـض الكلمات التى اطرد فيها الحذف تكررت كثيرا ، وبعضها قل تكراره وبعضها لم يتكرر.

ولنبدأ بأكثرها تكرارا ، و"الياء" المحذوف فيها إسم مضاف إليه ، ومن ذلك كلمة "رب" إذا أضيفت إلى ضمير المتكلم المفرد. سواء كان مذكرا فى المعنى أو كان مؤنثا.

الأمثلة:

سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا .. (١٢٦)﴾

و آل عمران : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي . (٣٥) هُـنَالِكَ دَعَـا زَكَـرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) ، : فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى... ٣٦، : قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ..﴾ و الأعراف: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)﴾

و إبـراهيم﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠)﴾ و يوسف:﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي .. (١٠١)﴾ . و الأنبياء﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْـرُ الْـوَارِثِينَ (٨٩)﴾ و المؤمنون:﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩)﴾ و طه:﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤)﴾

(٤٠) والحجر﴿: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) و النمل : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)﴾ و الفرقان:﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)﴾

و الزخرف ﴿: وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

هـــذه خمسة عشر موضعا وردت فيها كلمة "رب" محذوفة "الياء" المضاف إليه، وتركيز النظر والتأمل فيها يسفر عن الخصائص النظمية والبيانية الآتية:

- إن كلمة "رب" فيها جاءت منادى.
- إنها جاءت مضافة إلى "ياء" المتكلم المفرد مذكرا ومؤنثا والغالب هو التذكير.
- محذوف منها حرف النداء "الياء" .
- إن موضعين منها ذكر فيهما حرف النداء "الياء".
- إنها مستعملة فى الدعاء إلا نادرا.
- إنها- أعنى كلمة رب- المراد منها "الله" عز وجل.

والـــذى يـــدخل معنا فى أصل موضوعنا من هذه الدراسة هو حذف "الياء" المضافة إلي كلمة"رب" المدلول عليه بالكسرة تحت "الباء" ، لأن هذا التصرف يعتبر "خصوصية" من "خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف"، أما فى الرسم الإملائى الحديث فيثبت حـــرف الـــياء هكذا "ربى" ولا يحذف ، فإذا حذف فهو مقتبس من رسم المصحف. أما حذف "ياء" النداء فلا يعد من "خصوصيات الرسم العثمانى". وإنما له دواع بلاغية سنشير إليها إن شاء الله تعميما للفائدة.

مـــع ملاحظـــة أن فى القـــرآن مواضع أخرى كثيرة حذف فيها "الياء" المضاف إليه آثرنا الاكتفاء بما ذكرناه عنها توخيا للإيجاز. أما السر الذى رمز إليه بحذف "الياء" المضاف إليه فى المواضع المذكورة قبلا وفى المواضع التى لم نذكرها فهو: **التخفيف والتيسير** لأن كلمة "رب" تستعمل كثيرا فى حياة المسلم فى الدعاء وفى غير الدعاء. ولما كان كل حذف لابد أن يكـــون فى الكـــلام دليل يدل عليه كانت الكسرة تحت "الباء" هى الدليل على "الياء" المحـــذوف ؛ لأن الكسرة من فصيلة "الياء" فى النطق. وقد تقدم مرات أن من قواعدهم فى الحذف الرمز إلى **أن المحذوف منه أمر غيبى** ، وهذا وارد هنا لأن "رب" من حقائق الإيمان الغيبية أو ما يطلق عليه فى الفكر الفلسفى "ما وراء الطبيعة".

ولهذا ولذلك فإن "الياء" حذف من كلمة "رب" فى القرآن الكريم إذا كانت منادى مضافا إلى ضمير المتكلم المفرد فى جميع مواضع ورودها فى الذكر الحكيم.

أمـــا حذف "ياء" النداء معه – حيث لم يذكر إلا فى موضعين سيأتى الحديث عنهما– فله معنيان متلازمان:

الأول: الرمز إلى أن المنادى (الذات العلية) قريب من الداعى (المنادى) ، وأداة النداء "الياء" ينادى به البعيد ، والله ليس بعيدا كما قال هو عز وجل فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ .. (١٨٦)﴾

الثانى: هو التخفيف والتيسير لأن قوله تعالى: (رب اغفر) أخف فى الأداء من: ياربى.
أمـــا الموضعان اللذان ذُكر فيهما "ياء" النداء وهما: **وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هـــذا القرآن مهجورا)**. **(وقيله يارب** إن هؤلاء قوم لايؤمنون) فإن هاتين الآيتين تحكيان قـــول صـــاحب الرسالة (ﷺ)، والموضعان واردان **فى مقام الشكوى** من قومه. ففى آية الفـــرقان يشكو عليه السلام قومه إلى ربه لهجرهم القرآن. وفى آية الزخرف يشكوهم إلى ربه لإعراضهم عن الإيمان مع حرصه الشديد على إيمانهم وحب الخير لهم.
ومقـــام الشكوى مقام إطناب لا مقام إيجاز كما هو معروف بلاغة. ولا يُفهم من ذكر "ياء" النداء هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم استشعر بُعد ربه عنه - حاش لله - وإنما استـــشعر بُعده هو عن ربه متوهما أن تقصير ما فى مجال الدعوة حدث كان نتيجته هجر قومه للقرآن وإعراضهم عن الإيمان ؛ لذلك ناداه نداء المنادى البعيد عن المنادى القريب.
ولـــيس هذا الشعور ببعيد عن الذين يخشون ربهم كل الخشية ورسولنا الكريم إمام المتقين الذين قال الله فيهم: فى سورة المؤمنون : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** (٦٠)﴾
ولم يذكـــر فى غـــير هذين الموضعين حرف النداء "ياء" فى القرآن الكريم ، لا فى "رب" المـــضاف إلى ضـــمير المتكلم المفرد وقد مرت بعض شواهده ، ولا فى المضاف إلى ضمير الجمع المتكلم ومن شواهده ما يأتى:
فى سورة البقرة:﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ..(٢٨٦)﴾ و آل عمران﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** (٨) و **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** (٩)﴾ و المائدة:﴿ **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ** . (١١٤)﴾).
ونقف هنا لنضيف: الملاحظة الثانية هى فى رسم كلمة
عبادى
(١) ﴿**يَعِـــبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** (٥٦)﴾ العنكـــبوت.. دعوة للعـــبادة (وليس التقوى ... لم يناديهم بنداء التقوى، كما قال فى آية أخرى: **يَعِبَادِ الَّذِينَ آمَـــنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ**. والتقوى هى الخوف من الجليل و. **والخوف يستدعى السرعة بخلاف الأمن.**

وفى الآية أيضاً إمهال وتأنى عليه ليعبد الله وينتقل من بلد ضيق عليه فيها إلى أرض واسعة وهذا يحتاج إلى وقت وتأنى. ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾. فلا مجال لحذف الياء التى تحذف فى حال السرعة المطلوبة فى تنفيذ الأمر .

(٢) ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ .. وهنا أيضاً دعوة لمراجعة النفس و(لاتقنطوا) ليس فيها ملمح السرعة التى تستدعى الحذف من الكلمة– على منهج القرآن المتكرر–.

(٣)﴿ارْجِعِــي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَــدِي (٢٩)﴾ .. كل كلمة عــبادى كتبت بالألف ماعدا هذه الآية ، مع ملاحظة حرف الظرفية (فى) إذا دخل على الكلمــة (فى أمــثلة أخرى شبيهة) وكأنه يحدث تجويفاً ترسمه الصورة كما يرسمه حرف الظــرفية.. وملاحظــة أن عبادى هنا هم **عبادي الصالحين في الجنة**.. وليس العباد فى الدنيا.. بخلاف كلمة عبادى فى باقى القرآن فهم العباد فى الدنيا... ولذلك سنجد قراءتين أو رسمين لآية الزخرف على إعتبار الحديث عنهم فى الدنيا أو الحديث عنهم فى الآخرة (يا عباد لاخوف عليكم.....)

(٤) الزمر ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾.. هنا النداء على المؤمنين بتقوى الله (الخوف منه والفرار من المعصية)..والنداء فى الدنيا.

(٥) الزمر ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾

هنا السياق عاصف وسريع وتخويف لهم (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعِبَادِ فَاتَّقُونِ)

(٦) الزخرف ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾. والآية قبلها: **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** وملاحظة أن النص{ المتقين ياعباد لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليوم وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } يعني : يوم القيامة ثم وصفهم فقال : { الذين ءامَنُواْ بئاياتنا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ } يعني : مخلصين بالتوحيد . قوله تعالى : { } يعني : تكرمون وتنعمون ..– إذن هى ترسم مــوقفين لهم أحدهما فى الدنيا ، والثانى فى الآخرة ، ويكاد يتداخل الموقفان هكذا: **الذين**

ءامَنُواْ بئاياتنا وَكَانُواْ مُسْلمِينَ (دنيا) ادخلوا الجنة أَنتُمْ وأزواجكم تُحْبَرُونَ(آخرة).
..مع ملاحظة أن هذه الآية لها رسمين وهو يناسب الحالين – حال الدنيا والآخرة– كما هو واضح فى سياق الآيات–
ومع ملاحظة أن حذف الألف من حرف النداء (يا) لقربه سبحانه من عباده المؤمنين ولا يحجبه عنهم شىء، والمتحدث والمنادى هو الله..
ولكن الأمر يختلف فى حال نداء الخلق لله فإنه يكون أحيانا بحرف النداء (يارب) .. وأحياناً بدون حرف النداء (رب) .. حسب إحساس العبد أو مقامه مع ربه هكذا:
١ – ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ الفرقان
ويقول الإمام البقاعى: .. وعبر بأداة البعد (يـــا) هضماً لنفسه مبالغة في التضرع.
٢ – ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ الزخرف.
وقد لاحظ الإمام البقاعى نغمة الإنكسار فى دعاء النبى (ﷺ) حيث قال: والحال أن قيله كذا في شكايتهم ، أفيظنون أنا لا ننصره وقد أرسلناه : { وقيله } الذي صار في ملازمته وعدم انفكاكه حالاً من الأحوال ، الدال على وجه "قيله" (وانكسار نفسه بما دلت عليه كسرة المصدر وياؤه المجانسة لها ، والتعبير بقوله : { يا رب } دال على ذلك بما تفيده « يا » الدالة على بعد) ، أو تقديره ، والرب الدال على الإحسان والعطف والشفقة والتدبير والسيادة الاختصاص والولاية ، (وذلك على غير العادة في دعاء المقربين ، فإنها جارية في القرآن بإسقاط أداة النداء) ، ولما كان الإرسال إليهم – والمرسل قادر – مقتضياً لإيمانهم ، أكد ما ظهر له من حالهم بقوله زيادة في التحسر وإشارة إلى أن تأخير أمرهم يدل على أن إيمانهم مطموع فيه : { إن هؤلاء } لم يضفهم إلى نفسه بأن يقول : قومي ، ونحو ذلك من العبارات ولا سماهم باسم قبيلتهم لما ساءه من حالهم ، وأتى بهاء المنبهة قبل اسم على غير عادة الأصل إشارة إلى أن استشعر من نفسه بعداً استصغاراً لها واحتقاراً { قوم } أي أقوياء على الباطل { لا يؤمنون } أي لا يتجدد منهم هذا الفعل .
{فاصفح عنهم} أي اعف عمن أعرض منهم صفحاً فلا تلتفت إليهم بغير التبليغ {وقل} أي لهم : { سلام } أي شأني الآن متاركتكم بسلامتكم مني وسلامتي منكم { فسوف

يعلمـــون } بوعد لا خلف فيه ، فهذا ظاهره تهديد كبير.(وأرى أن فى نبرة الحديث فيها الشكوى والشعور بطول المعاناة من قومه ناسبها وضع أداة النداء بطولها).

الخلاصـــة:نلاحـــظ فى الآيتين أنها بث شكوى من النبى (ﷺ)إلى ربه والتطويل فى بث شـــكواه لربه – كما يفعل المهموم – حزنا على قومه – بمد الصوت فى النداء – وربما نسميها ألف التنفيس واستصغاراً لنفسه وإحساسه بأنه ربما يكون عدم إيمانهم به تقصيراً مـــنه فى دعوتهم – وهو الرءوف الرحيم –.فاستخدم حرف النداء كاملاً (يا)رب.. بخلاف الحال فى الآيات التالية :﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ..ففيها قوة وليس طول معاناة... رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ..وَقُلْ رَبِّ أَعُـــوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ.﴾ . وهكذا باقى النداءات فى القرءان.

❁❁❁❁❁❁

ونعود للدكتور: **مطعنى** حيث يقول:

ومن الكلمات التى لازمها حذف "الياء" إذا كانت منادى مضافا إلى ضمير الفرد المتكلم كلمة "قوم" فهى دائما فى القرآن "ياقوم" محذوفة "الياء" مدلولا عليه بالكسرة تحت "الميم". ومن أمثلتها الآيات الآتية:

سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ .. (٥٤)﴾

وسورة الأنعام: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ..(١٣٥)﴾

وسورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ.. (٥٩)﴾

وسورة يونس: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا (٨٤)﴾

وسورة هود: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي .. (٢٨)﴾

وسورة النمل: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ .. (٤٦) ﴾

وسورة غافر: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾

وسورة يس: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)﴾

وسورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي ..(٥)﴾ .

وسورة نوح : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢)﴾ .

هذا قليل من كثير من مجئ كلمة "قوم" مضافة إلى ضمير المفرد المتكلم محذوف منها "الياء" المضاف إليه. و لم يأت هذا الحذف اعتباطا خاليا من الدلالة على معنى بل له معنى من أجله كـــان حذف "الياء" كما هو الشأن فى حذف "الياء" من كلمة "رب" التى تقدم الحديث عـــنها. بيد أن المعنى المرموز إليه بحذف "ياء" "رب" يختلف عنه المعنى المرموز إليه بحذف

"ياء"- "قوم" . المعنى المرموز إليه بالحذف فى "قوم" هو الدلالة على أن المتكلم منفصل عـن المخاطـب من جهة وممتزج فيه من جهة أخرى. هو ممتزج بالمخاطبين عن طريق اضـافتهم إلى ضميره، لأن من يضيف "قوم" إلى ضميره دل على أنه واحد منهم وإلا لما صـحت الإضـافة. أما انفصاله عنهم باعتباره مخاطبا لهم وهم يسمعون خطابه فقد رمز للدلالة على هذا المعنى بحذف "الياء" الذى هو كناية عن المتكلم.

ولـسائل أن يقـول: ما الفائدة من الإيماء إلى أن المنادى قومه منفصل عنهم؟ وهل هذه الإشارة يترتب عليها كبير معنى؟

والإجابة على هذا السؤال نوجزها فيما يأتى:

ليس المراد الإشارة اللطيفة إلى الانفصال الحسى بين القوم وبين من يناديهم بـ"ياقوم" بل المراد فيما نفهم هو **الإشارة إلى تفاوت الرتبة بين المنادِى والمنادَى** لأن المنادى رائد قومه يخاطبهم خطاب الرائد الرشيد، وهذا يتضح من النظر فى مضامين النداءات الآتية:

- فقـول موسـى عليه السلام: (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا): يناديهم موسى مناداة الناصح الأمين فيذكرهم بخطئهم الذى وقعوا فيه ويدعوهم إلى التوبة إلى الله ، وفى هـذا تمايـز بين الرتبتين: رتبة موسى وهو رسول الله المبعوث هاديا إلى بنى إسرائيل، ورتبة قومه الوالغين فى الآثام والمعاصى. فجاء حذف "الياء" من "ياقوم" مشعرا بـأن موسى عليه السلام بريئا مما وقع فيه قومه فرتبته فوق رتبتهم و لم يكن شريكا لهم فى معاصيهم.

۞ ((**وربما يكون مشهد السرعة** فى المرور على اللفظ بدون ياء يا(قومى) ودون الوقوف علـيه تشير إلى ذلك المعنى ، وذلك يتضح بمحاولة النطق لكلمة (ياقومى) كاملة — التى تشعر بالتوكيد على هذه الرابطة وأهميتها وثقلها عنده- وربما يكون حذف الياء لمعنى نقوله كـثيراً ، وهـو أنه يريد المعنى على خلاف الواقع؛ أى هم قومه فى الصورة وليسوا على الحقـيقة لأنهـم كافرون وهو مؤمن ، وهذا هو الذى نقوله فى صورة المجاز التى تستدعى حذف الحرف))

وقول مؤمن (يا قوم اتبعوا المرسلين) دل حذف "الياء" على رفعة رتبة هذا المؤمن؛ إذ هو مـؤمن بالرسل متبع لهم وقومه كافرون بالرسل عاصون لهم ، فهو من هذه الجهة منفصل عنهم وإن كانوا قومه فهو واحد منهم وخيط فى نسيجهم باعتبارهم قومه **ومنفصل عنهم معنى لأنه مهتد وهم ضالون.**

- وقول نوح لقومه: (يـــقوم إنى لكم نذير مبين) مخبر لهم بأنه رسول الله إليهم يخاطبهم خطاب العالم لغير العالم فجاء حذف "الياء" فى "ياقوم" ليدل على انفصاله عنهم من حيث العقيدة والعمل وإن كان واحدا منهم لأنهم قومه.

- وقـــول مـــؤمن آل فرعون لقومه: فى سورة غافر : ﴿ **يَـــقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَـــتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)** ﴾ .. فيه تحذير لهم من الركون إلى الحياة الدنيا ويرغبهم فى الحياة الآخرة ، فهو ناصح لهم يعلم ما لا يعلمون ويعمل مالا يعملون. ومن أجـــل هـــذه الفروق بينه وبين قومه حذف "الياء" ليدل هذا الحذف **على انفصاله عنهم عقيدة وسلوكا** وإن كان واحدا منهم لأنهم قومه.

وهكـــذا اتضح لنا أن حذف "الياء" المضاف إليه فى ياقوم" ليست دلالته الانفصال الحسى بل دلالته الانفصال "الرتبى" فرتبة المنادى فوق رتبة القوم الذين يناديهم. وهذا المعنى جدير بلفت الأذهان إليه فجاءت هذه "الخصوصية" وهى حذف "الياء" رمزا له.

۞ (وأقول : أن هذا المعنى قريب مما نردده حولا المعنى الحقيقى للكلمة والمعنى المجازى)

وكذلك حذف "الياء" من كلمة "واد" فى المواضع الآتية:

سورة طه:﴿ **فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢** ﴾النمل: **حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ .. (١٨)** ﴾ و القصص: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ..(٣٠)**﴾ و النازعات:﴿ **إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)**﴾ .

"الـــياء" المحذوف من "الواد" فى الآيات الأربع ليست إسما ولا ضميرا وإنما هى أصل من أصول الكلمة ، وأسباب الحذف والأسرار اللطيفة التى كان من أجلها الحذف يختلف من موضع لآخر. ففى "الواد المقدس" حذف "الياء" للتنويه برفعة مكانة هذا "الواد" **ولسرعة اجراء الوصف بالتقديس عليه.**

وكذلك "الواد الأيمن" **وقد وصفه الله بما يبين فضله وعلو مكانته.** وقد رمز إلى هذا الفضل بحذف "الياء" ثم وصف الواد بالأيمن ثم البقعة المباركة.

أما آية النمل "واد النمل" فإن "الياء" حذف فيها من كلمة "واد" رمزا إلى معنى آخر مغاير لمـــا للمعنى الذى تقدم فى حذف "الياء" من "واد" فى الآيات الثلاث الآنفة الذكر. **ذلك المعـــنى هو خفاء الوادى وخفاء النمل المقيم فيه** ، وقد تقدم أن حذفه فى بعض الأفعال كان رمزا على معنى "الغيبة" فى مثل: سورة القمر:﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)**﴾

وهـــذا المعنى قد تحقق فى "واد النمل" لأن سليمان عليه السلام وجنوده لم يكونوا يعرفون هـــذا الوادى وهم يبدأون السير فيه ، ولذلك قالت النملة: لا يحطمنكم سليمان وجنوده **وهـــم لا يـــشعرون**). فنفت عنهم الشعور بالواد وبما فيه من النمل، والشعور هو أول درجات الاحساس.

❁ (وربمـــا يكـــون وادى النمل وادٍ مجازياً لانعرفه ولا يعرفه مجتمع النمل على الحقيقة.. وربما يكون بمعنى مكان إجتماعهم)

وهكذا كان حذف "الياء" فى الآيات الأربع رمزا على معنى لطيف وسر طريف.

وحـــذف "الـــياء" من كلمة "الجوار" ثلاث مرات فى القرآن الكريم. والأصل "الجوارى" والمواضع الثلاثة التى حذفت فيها "الياء" هى:

❁ فى سورة الرحمن : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤)﴾ .

❁ سورة التكوير : ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦)﴾ . * سورة الشورى: وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢)﴾ .{ *الجَوَارِي } جمع جارية من الجري وهو المر السريع.

وحذف "الياء" فى سورتى الرحمن والشورى من كلمة "الجوار" له معنيان.

أحدهما: الدلالة على توفير العناية بالحدث (الجرى).

والثانى: سرعة الجرى ويسره بتدبير الله عز وجل بدليل قوله تعالى: **(وله الجوار) أى له هو لا لغيره** ولو شاء لتوقفت عن الجرى بدليل قوله تعالى: فى سورة الشورى: الآيتان﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِـــي ذَلِـــكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) ﴾وحذف "الياءً" هو الذى أومأ إلى هذين المعنيين ،

أمـــا تـــوفير العناية بالحدث فله دليل آخر هو حذف الموصوف "السفن" وإقامة الوصف (الجـــوار) مقامه. وقد مر أن "الياء" قد رمز به إلى سرعة وقوع الحدث فى مواضع تقدم الحديث عنها فى بحثى الأفعال والأسماء الآنفة الذكر.

أمـــا قـــوله تعالى: (الجوار الكنس) فإن حذف "الياء" مع رمزه إلى سرعة الجرى فإنه رمز كذلك إلى غيبية هذا الجرى وعلويته لأنه لا يدرك بالعين الباصرة وإن كان شأنه أن يدرك بها.

❁❁ ((وأرى —والله أعلم — أن الرسم القرآنى يراعى البيان والتوضيح وإقامة الفروق فى الكلمات التى تعطى معان مختلفة ربما يذهب وراءها الذهن والتخيل، وهنا يكون مثالنا فى كلمـــة "الجوار" التى من حقها أن تكتب "الجوارى" بالياء ، ولكن لأن الذهن ربما يذهب

إلى تخيل معنى قريب ومعلوم لديه وهو "الجوارى" جمع الجارية وهى "البنت الجارية" المتزينة والراقصة فى مشيتها وهيئتها ،- ولأن النص من الله الحكيم يقصد كلا المعنيين معاً — المعنى القـــريب والمعـــنى البعيد : أى السفن السريعة والتى مثل الجارية فى زينتها وهيئتها وجمالها وتبخترها- ولكن لأن المعنى المراد هو غير المتبادر إلى الذهن - أى أنه لايقصد معنى الجارية (البنت) على الحقيقة — فخالفت الرسم المعتاد وكتبت بدون ألف رمزاً لهذا المعنى وإعطاء المعنيين معاً (السرعة والجمال)-

والقرآن فى بيانه الرائع دائماً يضع أحياناً الكلمة التى توحى بالمعنيين: المعنى القريب، والبعيد — المعـــنى المـــشترك- فهو فى مثالنا هذا يريد أن يقول أن له السفن الجارية (الجوارى) فى البحر كالأعلام .. وهو يقصد السريعة.. ولكنه لم يقل (وله السفن السريعة) لأنه يريد منا أن يذهب بنا الخيال لتخيل عنصر ومشهد الجمال فى هذه السفن وهى تسير وتمخر عباب البحر برشاقة وخفة وعلو وسمو وتراقص مع الأمواج (وكل هذه المشاهد يتخيلها المرء من مجرد ذكر "الجوارى" ويستعير منها هذه المعانى ؛ فحذف الحرف للوقوف والتأمل على سر هذه المخالفة فى الرسم ثم السؤال بعدها لماذا يجعله يخرج بهذه المعانى .

وهـــذا المعنى الذى أشرنا إليه هو المقصود أيضاً فى قوله تعالى فى تكملة الآية (وله الجوار المنـــشئات فى البحر (كالأعلام).. ونحن جميعاً نعلم المعنى القريب لنا من مجرد ذكر كلمة (الأعلام) وهى جمع (علم) — كعلم البلدان المزين بالألوان والمرفوع عالياً — ولكن المعنى البعـــيد الـــذى يقول به المفسرون هو (الجبال) ، والله عز وجل لم يقل (الجبال) لأنه يريد المعنـــيين معاً ويريد أن يذهب الذهن إليهما فى تأمل القوة والعظمة فى الجبال وتأمل جمال الارتفـــاع فى الأعـــلام التى نعلمها .. وهذا نجده كثيراً كما فى قوله تعالى (الجمل فى سم الخـــياط) ويقـــصد به (الحبل الغليظ) ويقصد أيضاً أن يذهب النظر إلى صورة الجمل — الحيوان الذى نعلمه-. ..

وشـــرر كالقصر ويقصد به المعنيين: الحبل الغليظ والقصر بعظمته وضخامته التى نعلمها أيضاً.. وهكذا الكثير فى النص القرآنى والمعنى المشترك للفظ.

..وهكذا الليل إذا يسر.. حذف الياء لهذا الغرض وللفت الذهن إلى أنه ليس بسريان المشى المعتاد (وإن كان فيه معنى الغموض والمعنى المعنوى أيضاً)

وكذلك حذف "الياء" من ثلاث كلمات فى سورة واحدة على الترتيب الآتى:

۞ سورة الرعد:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ ﴾

۞ ســـورة الرعد ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ .. وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾

والحـــذف فى الكلمات الثلاث مرموز به إلى معان دقيقة كما تقدم ففى "المتعال" "الياء" المحـــذوف أصل من أصول الكلمة وأصله "واو" لأنه اسم فاعل من مادة علا يعلو ولهذا الحـــذف معان لا معنى واحد ؛ فإذا أجريناه على القواعد التى ذكرت من قبل فى المقالات السابقة صح أن يكون المعنى.

– أن الحذف دل على أن الله التعالى الكلى الذى لا يشركه فيه أحد.

۞ ((وهذا يؤيد رأينا السابق أن الحذف للتفرقة بين **التعالى البشرى وتعالى رب العالمين** ، وأنه ليس بالتعالى بصورته المادية المعلومة لدينا))

– وأن يكون الحذف دالا على غيبية هذا التعالى الذى لا يحيط به أحد غير الله عز وجل.

والمعـــنى الثالث هو تحقيق التناسق الصوتى فى التلاوة لأن فاصلة الآيات التى يقبلها يصح الوقوف عليها بالسكون وكذلك الآيات التى بعدها هكذا.

"متاع– أناب– مئات– متاب– الميعاد– عقاب– هاد– واق".

ولو كان "الياء" قد ذكر ولم يحذف ما تحقق هذا التناسق والانسجام.

وقد تقدم مرات أن بناء فواصل الآيات بما يحقق هذا التناسق **فيه خدمة للمعنى واللفظ** ولا يقتصر على خدمة التناسق الصوتى لأنه يجذب سمع السامعين ، وفى هذا إقبال للقلوب على سمـــاع كـــتاب الله ، وهذا الإقبال يمكن القلوب والعقول من تدبر معانى القرآن وتذوقها فيدعوهم ذلك للإيمان به والعمل بمقتضاه وإقامة الحجة لله على من أعرض أو كفر.

۞۞ ((ونـــضيف أن ذلـــك متمـــشياً مع لغة العرب واستعمالاتهم فى الحذف كما يقول الشاعرواصفاً سرعة إجابة السامع للأمر قلت له قف قال قاف.. أى وقفت))

وأن العرب قد استغنت فى بعض كلامها عن الواو بالضمة، وعن الياء بالكسرة، وعن الألف بالفتحة ، فيكتفون بالأصل عن الفرع لدلالة الأصل على فرعه كقول الشاعر

فلولا أن الأطبا كان حولى وكانُ مع الأطباء الأشاة

فحذفت الواو من (كانوا) وأبقيت الضمة تدل عليها.. وهكذا كلمة (الأطبا)

وقـــال الآخـــر: (دار لسلمى إذه من هواكا) فحذفت الياء من (هى) بعد أن سكنت لدلالة الكسرة عليها .. وقال الآخر:

فبيناه يشرى رحله قائل... لمن جمل رخو الملاط نجيب

يريد فبينما هو(فبيناه) فأسكن الواو ثم حذفها لدلالة الضمة عليها

ويقولون : أن فى الدار . فيحذفون الألف من (أنا)فى الدار لدلالة الفتحة عليها

فلو أنك فى يوم الرخا سألتنى   فراقك لم أبخل وأنت صديق.. وهكذا الكثير.

وهـــذا المعنى ينطبق على حذف "الياء" فى الآيتين الأخريين: (وإليه متاب) . (فكيف كان عقـــاب) . بيد أن (فكيف كان عقاب) فيه رمز آخر لمعنى لطيف ؛ لأن المراد بـــ"عقاب" المعـــنى الذهنى لما أنزله الله من الجزاء الوفاق لمكذبى الرسل وليس المراد الحدث نفسه أعنى العذاب الذى وقع بهم فعلا ، لأن ذلك العذاب وقع فى زمن قديم فلا يمكن مشاهدته ساعة نزل القرآن فهو مثل (فكيف كان نكير) الذى سبق الحديث عنه فى العدد الماضى.

وإن شـــئت فقل: إن حذف "الياء" فى كلمتى: عقاب ونكير يرمز إلى غيبية وقوع الحدث وبقاء ذكره ، ثم ارجع إلى المصحف وانظر فيما تقدم وما تأخر عن هاتين الكلمتين نجدهما أسهما فى تحقيق الإيقاع الصوتى الآسر للسمع والقلوب.

وحـــذف فى سورة إبراهيم عليه السلام فى كلمتين اسميتين فى قوله تعالى:﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)﴾

وقد تقدم بيانها فى المقالة السابقة.وفى قوله تعالى: فى سورة إبراهيم:﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ وحذف "الياء" من كلمة "دعاء" رمز إلى رغبته الشديدة عليه السلام فى سرعة استجابة الله له مع تحقيق التناسق فى الإيقاع الصوتى . وقد أشرنا من قبل أن فيه رعاية للمعنى واللفظ معا.

وفى سورة "سبأ" ورد حذف "الياء" فى قوله فى ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَـــانٍ كَالْجَـــوَابِ وَقُـــدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)﴾ فقد حذف "الياء" من كلمة "الجواب" جمع جابية وهى البئر الواسعة أو الحياض التى يجمع فيها الماء.

وقد وجه حذف "الياء" الإمام ابن عطية بأنه للتخفيف والإيجاز.

ومعروف أن المفسرين لا يكترثون كثيرا بخصوصيات الرسم القرآنى كعلماء علوم القرآن ، والـــذى تـــرجمه فى توجيه حذف "الياء" هنا - بناء على ماذكره أهل العلم من قواعد فى توجـــيه هذه الخصوصيات- أن الحذف رمز إلى الفرق بين المشبه (الجفان) وبين المشبه به "الجواب". فالجفان مهما كانت ضيقة أو واسعة فهى بارزة فوق الأرض يراها الناظر إليها من بعيد. أما الجواب فهى أماكن غائرة فى الأرض أيا كان المراد منها - آبار أو حياض - فهى تختفى أمام النظر ولا يدركها إلا من وقف على حافتها.

وقد تقدم كثيرا أهم فسروا حذف "الياء" بوجوه منها الرمز إلى الخفاء أو الغيبية.

وإعمال هذه القاعدة فى "الجواب" ليس بمستنكر ؛ وهذا التوجيه أحرى بالقبول من توجيه الإمـــام ابن عطية لأنه لو كان هو المراد لاطرد فيما ماثل هذه الكلمة "الجواب" فى القرآن كله. وأحرى بالقبول من توجيه الإمام الزركشي لأنه مضطرب العبارة وغير مفهوم.

❁ وقوله تعالى: فى سورة ص:﴿ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)﴾ بعـــد قوله تعالى كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُـــوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣)﴾ فيحتمل حذف الياء من كلمة عقاب وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد من (عقاب) ماحل بهؤلاء الأقوام من عذاب الله العاجل لما كذبوا الرســـل، ويكون الحذف رامزاً إلى المعنى الذهنى المتعلق بهذا العذاب الذى وقع فل نزول العذاب.

الـــثانى: أن يكـــون المراد من (عقاب) ما أعده الله لهؤلاء المكذبين من الخلود فى النار فى الآخرة, ويكون الحذف حينئذٍ رامزاً إلى غيبية ذلك العقاب لأنه سيكون فى الآجلة.

فإن كان الأول فالغيبية فيه نسبية، مراعى فيها الزمن الذى وقع فيه ذلك العقاب، والزمن الـــذى نـــزل فيه القرآن مخبراً بوقوعه.. وإن كان الثانى كانت الغيبية فيه حقيقية من كل وجه؛ لأنه سيقع بعد الإخبار عنه

❁❁ ومثل هذه الآية فى احتمال الوجهين فى حذف الياء قوله تعالى ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤).﴾ . أى ماحل بهم فى الدنيا ، أو ما أعده الله لهم فى الآخرة

ونختم مبحث حذف الياء بهذه الآية*﴿*لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾**

وحـــذف الياء هنا يرمز إلى معنى لطيف ، هو الإشارة إلى كمال الدين المضاف إلى ضمير المـــتكلم محمـــد (ﷺ).. هـــذا من حيث المعنى، أما من حيث اللفظ فهو تحقيق التناسق الصوتى، لأن فواصل السورة كلها مبتناه على أحرف النون- الدال-الميم الصالحة للوقوف عليها بالسكون هكذا (الكافرون — تعبدون- أعبد — عبدتم-أعبد دين) ولو كان قد ذكر الياء فى دين هكذا (دينى) لاختل الوقف عليه بالسكون

أما دلالة حذف الياء على كمال الدين فقد تقدمت نظائر منها: (وما أنت بهاد العمى).. وتقـــدم أن حـــذف الياء من (هاد) كان رمزاً إلى الهداية العظمى التى لايملكها إلا الله عز وجل.

❁❁ وأنا أرى – والله أعلم – أن السورة– قل يا أيها الكافرون– مبنية على الإيجاز والإيجاز بناسبه الحذف – وهذا معلوم فى كلام العرب أيضاً–.

❁❁ وأرى أنـــه لم يقـــل (ولى دينى) وقال (ولى دين) ليشير إلى معنى هام : هو عدم خـــصوصية هذا الدين به وحده بل هو دين الأنبياء جميعهم ، وليس بدعاً من عنده أو تألـــيفاً مـــنه – بخلاف دينكم الذى اخترعتموه أنتم (دينكم) – وهذه السورة حاسمة قاطعة (مثل : قل هو الله أحد..)

❁❁ وأرى أيضاً أن تنكير كلمة (ولى دين) – بدون إضافة– يعنى التعظيم والتفخيم لهذا الـــدين ، وربما أشار إلى ذلك بعض المفسرين مثل الإمام البقاعى حيث يقول: (ولى دين) من واسع روضة الإسلام إلى أعلى مقام : مقام الإيقان والإحسان.... ويقول أبو حيان: وقرأ سلام : ديني بياء وصلاً ووقفاً ، وحذفها القراء السبعة ، والله تعالى أعلم .

راجع ابن القيم وتفسيره القيم

❁❁ وأرى أن هـــذا المعـــنى ممكن أن ينطبق على كلمة (عقاب) بالتنكير - إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)-لتهويل وتفخيم وتنوع هذا العقاب

زيادة الألف ونقصه: (١)

سورة النمل﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

وسورة يوسف﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

وســـورة الكهف﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ وسورة الفجر ﴿ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ وسورة الزمر﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾وســـورة الأحزاب ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧)﴾

الألف. زيادة ونقصا. من خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف وزيادته ونقصه لم يكن عبثا بل له لطائف وأسرار ذات معانٍ لم تكن تتصور إلا من وراء زيادة الألف أو نقـــصه. وها نحن أولا نعرض بعض المواضع من الذكر الحكيم التى يزاد فيها "الألف" أو

يــنقص ، بادئين بمواضع الزيادة وأسرارها لقلة الكلام على الزيادة بالنسبة للنقص وذلك كلــه علــى غرار ما سلكناه فى مباحث زيادة وحذف "الواو" وزيادة وحذف "الياء" فى الأعداد السابقة.

زيادة "الألف":

من أظهر زيادة "الألف" الألف المزيدة فى قوله تعالى: فى سورة النمل:﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ومن النظر فى "لأذبحنه" تجده فعلا مــضارعا مــسبوقا بـــ"لام" القسم أو التوكيد وبعد "اللام" الهمزة التى هى علامة الفعل المــضارع وبعد هذه الهمزة تجد ألفا بين الهمزة وبين أحرف الفعل وأولها حرف "الذال" أنطــق الفعــل فى صــورته "المضارعية"، ولاحظ كيفية "النطق" "الألف" بعد الهمزة غير مــنطوقة، وأن وجوده وعدمه سواء فى النطق. إذن هو حرف زائد لأنه يكتب ولا ينطق، وهو بهذا الاعتبار خصوصية من خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف.

أما المعنى اللطيف الذى من أجله كانت زيادة "الألف" فهو كما قال العلماء: الإشارة إلى أن مــا بعد "الألف" وهو "الذبح الذى توعد به سليمان عليه السلام الهدهد أقسى وأشد إيلاما مما قبلها وهو "التعذيب الذى تضمنه الفعل "لأعذبنه"(١).

۞۞ ((**وإن كــنت أرى رأياً إضافياً** لرأى أستاذنا المطعنى — الذى هو رأى الإمام الزركشى والمراكشى — والرأى — والله أعلم - هو:

أن هذا اللفظ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ يحوى أمرين:

أولهمــا التوكيد "بنون التوكيد" فى الكلمة وهذا التوكيد — كما هو معلوم- لايجتمع معه حرف النفى (لا) - **إذ لا يؤكد المنفي بنون التأكيد** - معنى ذلك أن (لا) لابد أن تكون مزيدة للتأكيد — كما قال علماؤنا --. أو

ثانياً: تكون هذه الكلمة تجمع توكيداً على الذبح (بنون التوكيد) - وربما كان هذا الأمر فى لحظــة الانفعــال الأولى مــن سليمان عليه السلام — ثم بعد ذلك ظهر تردده فى هذا التوكيد وتراجعه عنه — رحمة منه - فكانت الإشارة بعد ذلك بنفى الذبح ووضع حرف (لا) .. وبــذلك تكون هذه الكلمة **تحوى التوكيد على الذبح والنفى له فى آن واحد**، وكأنهــا تقوم بتصوير الحالة النفسية لسليمان عليه السلام مع الهدهد بتردده بين العاطفتين (القسوة الطارئة ،والشفقة الحانية بعدها)— والله أعلم-.

وهذا المعنى قريب مما ألمح إليه الطاهر بن عاشور – وإن كان لايعطى رأيه فى معنى الرسم على هذه الصورة سوى أنه تدرج فى إتقان الكتابة !!!–حيث قال: وكتب في المصاحف {لَأَاذْبَحَنَّهُ} بلام ألف بعدها ألفٌ حتى يخال أنه نفي الذبح وليس بنفي ، لأن وقوع نون التوكيد بعده يؤذن بأنه إثبات إذ لا يؤكد المنفي بنون التأكيد إلا نادراً في كلامهم ، ولأن سياق الكلام والمعنى حارس من تطرق احتمال النفي ((إى:لا))، ولأن اعتماد المسلمين في ألفاظ القرآن على الحفظ لا على الكتابة ، فإن المصاحف ما كتبت حتى قرىء القرآن نَيِّفاً وعشرين سنة . وقد تقع في رسم المصحف أشياء مخالفة لما اصطلح عليه الراسمون من بعد لأن الرسم لم يكن على تمام الضبط في صدر الإسلام وكان اعتماد العرب على حوافظهم.

وهنا أضيف لكلام الإمام الطاهر حديثاً آخر للإمام الزركشي يقرب ويؤكد لنا هذا المعنى فى آيات شبيهة مثال قوله فى الجزء الثالث ص٧٣:

فإن قوله "فبما رحمة من الله لنت لهم" –ولم يقل : فبرحمة من الله – يقول عن زيادة "ما" فى قوله "فبما": معناه "ما" لنت لهم "إلا" رحمة ، وهذا قد جمع "نفيا" و"إثباتا" ، ثم اختصر على هذه الإرادة وجمع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي "ما".

وكذا قوله تعالى (إنما الله إله واحد) فإنما ها هنا حرف تحقيق وتمحيق ، "إن" هنا للتحقيق و"ما" للتمحيق فاختصر، والأصل: ((ما الله اثنان فصاعدا وأنه إله واحد))

فانظر هناك تنبيهات: الأول أهل الصناعة يطلقون الزائد على وجوه منها ما يتعلق به هنا وهو ما أقحم تأكيدا نحو (رحمة من الله لنت لهم) و(إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة)و (كمثله شئ)

ومعنى كونه زائدا أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد، فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشئ إلا لفائدة .

وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاط كل الحرف لا يخل بالمعنى فقال: هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف ، قال ومثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعا ، فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال أجد نفسي على خلاف ما أجده بإقامة الوزن ، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه ((وأضيف توضيحاً للقارىء العزيز يُفهم به قول الإمام الزركشي وهو سؤال

أطلب من القارىء أن يقوم بالإجابة عليه بنفسه هو : حاول أن تقرأ الآية (فبما رحمة من الله لنت لهم) المرة الأولى بزيادة (ما) فى (فبما) ، والمرة الثانية بدون هذه الإضافة ، وتأمل وراجــع التأمل فى كيف سيكون الفرق فى استقبال الجهاز السمعى والوجدانى لهما ، مع ملاحظة قول بعض العلماء : أن وضع (ما) هذه يستدعى الوقوف فترة على الحرف للتأمل فى الكــلام الذى سيأتى بعدها وللتأنى فى استقباله لأهميته ولكونه أمر عجيب ؛ وهو هنا الرحمة العالية من الحبيب محمد (ﷺ)على ما يفعلونه به من الأذى الشديد له.

مع ملاحظة أن هناك اختلافاً فى زيادة الألف بعد (لأوضعوا ، لأتوها ، لإلى الله) هل تزاد أم لا؟

ويقول الإمام الطاهر بعد عرض آراء باقى المفسرين: لا أراهم كتبوا ألفاً بعد اللام ألف – فيما كتبوها فيه – (أى فى الكلمات المذكورة مثلها ومثل لأاذبحنه .. لأاوضعوا) إلاّ لمقصد ، ولعلّهم أرادوا التنبيه على أنّ الهمزة مفتوحة وعلى أنّها همزة قطع ... (وربما يقصد أنها لــو كتــبت بــدون الألــف الزائدة – يقرؤها القارىء بالضم (لأُضعوا) أو همزة وصل (لاضعوا).. وهذا الرأى يحتاج إلى تحقيق ومراجعة – والله أعلم بمراده -. وكل هذه المعانى والـــتأويلات التى ذكرناها لاتغنى عن الرأى بأن إيضاع الفتنة بين الصفوف أثقل وأخطر وأعظم أثراً وتخريباً – كما نعلم من تأثير ذلك الذى هو أقوى من عدم خروجهم مع النبى وتخلفهم عنه.. والفتنة أشد من القتل – وأكبر من القتل...

وأرى أن هــذا التــصوير – لخطورة الفتنة والوقوع فيها – هو الذى استدعى زيادة الألف فى قوله:﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ **ويقــول الزمخشرى:** يريد : ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة – التي يفرون خــوفاً منها – مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين ســابين ، ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة { الفتنة } أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين ، لأتوها : لجاؤها وفعلوها . وقرىء : «لآتوها» لأعطوها.. (وأنا أقول – إضافة إلى المعنيين (جاءوها ،وأعطوها) وإعطاء معنى القراءتين لمعنيين ، وخطورة الفتنة الــتى هــى الردة والرجعة – أقول: كأننى – والله العظيم – استشعر مد الصوت بكلمة «لآتوها»، وفيها نبرة العتاب التى تطيل وتمد الصوت بالنعى عليهم والتحسر عليهم، وأنا أؤكــد أن هذا الرسم يحكى صوت وانفعال المتحدث – ولعله هنا النبى محمد(ﷺ)أو غيره من التالين للآية – أو الكاتب الذى يصورالمشهد ودخائل النفوس برسم الكلمة..ولعلك

تــراجع رسم كلمة (أنت ولى) تجد ياء البطة بعد الياء(ولى ى) لإظهار المد الملائم لحال المتكلم.. وراجع ما قلناه فى "عليين" ، "الإميين"

ومــن هــذا يعلم أن الرسمين جائزان – فى هذه الكلمات المختلف فى زيادة الألف فيهم (لأوضــعوا ، لأتوها ، لإلى الله)– ، ولا مانع من الرسمين معاً– كما نفعل فى القراءات المختلفة – ولكنى أقول وأردد بكل ثقة ما قاله بعض العلماء:

الخــلاف فى رســم المصحف ليس خلافاً حقيقياً بل هو خلاف صورى ، أما الخلاف الواقع فى وجوه القراءات السبع فهو خلاف حقيقى ((الطاهر الكردى)). ولعلى أذكر بعض خلافات القراءات – التى يقرها علماء القراءات فى علم القراءات – وينكرون رسم المصحف الذى أجمع عليه اثنى عشر ألف صحابى ، ومن هذه الاختلافات:

(كانــوا أشــد منكم... قرئت (منهم) ، ما عملت أيديهم .. قرئت : ما عملته أيديهم، و(سارعوا).. قرئت (وسارعوا)..ننشزها ، وننشرها.. إلا صيحة واحدة قرئت (إلا زقية واحــدة)،..... كــالعهن المــنفوش ..قرئت كالصوف المنفوش.. طلع منضود ، طلح منضود)....... جاءت سكرة الموت بالحق .. قرئت (جاءت سكرة الحق بالموت).... (إن الله هو الغنى .(لقمان ٢٦).. قرئت: إن الله الغنى) .. وهلم وتعال وأقبل ...وقد تعمدت نقــل هذه الأمثلة – وهى من الأمثلة التى ذكرها الإمام ابن قتيبة – الذى ينكر خصوصية الرســم العــثمانى ويجعلــه خطأ من الكاتب– وفى نفس الوقت يقر هذه الاختلافات فى القراءات ويفسر بها – كباقى العلماء – حديث النبى (ﷺ): أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافية....

وملاحظة أخرى فى قوله تعالى (لكنا هو الله ربى)

(**وأقــول أنه يتضح أن هناك قراءات** – كما رأينا – ومنها (لكن هو الله ...لكن أنا) فكان خير جمع للقراءتين – كما يرى القارىء– هو ما عليه الرسم (لكنا)– مع ملاحظة تعــدد القــراءات –. وهناك رأى آخر وهام جداً وهو متكرر كثيراً فى الرسم القرآنى – وهــو: أنه زيدت الألف (لكنا) لزيادة توكيد حديث القائل حيث يؤكد على أن الله ربه ولا يــشرك به شيئاً فكانت زيادة الألف بجوار ضمير القائل أنا) فى (لكنا)،– وكما يقول الطاهر: وموقع الاستدراك مضادةُ ما بعد (لكن) لما قبلها ، ولا سيما إذا كان الرجلان أخوين أو خليلين كما قيل فإنه قد يتوهم أن اعتقادهما سواء .

وأقول أنا مضيفاً: ويزداد التوكيد أيضاً توكيداً وإظهاراً برسم الكلمة بزيادة الألف.

وكلـــنا يعلـــم أن الموقف كان موقفاً إنفعالياً بين رجل مؤمن بالله – تعلو فيه نبرته هو فقـــط– ، والآخر يكفر بالله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه..) . وهذا تراه أيضاً واضحاً فى رســم كلمة (لصاحبه) بالألف الفاصلة والظاهرة والمؤكدة – فى قول المؤمن للكافر– ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ (المؤمن) وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَـــوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨).﴾ .ولك أن تتخيل كـــيف كانـــت نبرة الحديث (من المؤمن للكافر) وهو يقول له مستنكراً بشدة (أكفرت بالذى خلقك ..).....وهذا بخلاف رسم كلمة (صـــــحبه) بدون ألف – التى نطق بها الكافـــر له– المترهل والنائم والغير منفعل فى حديثه والذى ليس له اهتمام أو انفعال لأن القـــضية لاتعنيه – فرسمت كلمة (صاحبه بدون هذه الألف) هكذا ((وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـــــحِبِهِ (الكافر)وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤

فما أروع هذا التناسق والتناغم فى رسم كلمة (صاحبه ..و.. لكنا) بالألف.. مصورة للمشهد بدواخل النفوس أروع تصوير.

ونعود للدكتور المطعنى حيث يكمل:

❁ ومن الشواهد زيادة "الألف" فى قوله تعالى: فى سورة يوسف:﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾-﴾ **الهمزة ليست لها نبرة–**

الفعـــل يايـــئس تكرر فى الآية الكريمة مرتين وفى كل مرة جاءت فيه زيادة "الألف" بعد "الياء" الأولى وقبل "الياء" الثانية وعلامة زيادة "الألف" أنه كُتب و لم ينطق لأن الذى يظهر فى النطق هو الياء أن متتابعين فى النطق بلا فاصل أما فى الرسم فإن حرف "الألف" فصل بينهما كما ترى ذلك واضحا فى رسم الفعلين.

أما من حيث المعنى فإن لحرف "الياء" المزيد سرا لطيفا نص عليه العلماء.

وبـــيان ذلك أن "اليأس" مرحلة نفسية لا يكون حدوثها ابتداء بلا مقدمات وإنما يسبقها مـــرحلة أخرى، والعلاقة بين المرحلتين علاقة السبب بالمسبب أو علاقة المسبب بالسبب.

اليأس لابد أن يسبقه رجاء وطول ترقب وانتظار.

ومع طول الترقب والانتظار لابد من الصبر ؛ والصبر من الأمور الشاقة على النفس وبخاصة إذا كـــان طويلا. ومهما كان الأمر فإن الصبر أخف وقعا على النفس من "اليأس" ؛ لأن الـــصبر يـــصاحبه أمل فى الحصول على المطلوب ، أما "اليأس" فهو قطع الرجاء مع خيبة الأمل. لذلك كانت زيادة "حرف الياء" إشارة إلى ثقل "اليأس" وشدة آثاره على النفوس. ومن شأن "اليأس" أن يدعو إلى توقف السعى والاستسلام إلى الأمر الواقع. فإذا عدنا إلى

قول يعقوب عليه السلام إلى بنيه (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تايئسوا من روح الله إنــه لاياِئس من روح الله إلا القوم الكافرون). نجد هذا الرسول الكريم يريد أن يثـبت بنيه على الصبر والسعى وحسن الظن فى الله ونهاهم عن "الإياس" لأنه سوف يثبط هممهـم ويصيب حركتهم بالشلل التام. ومن أجل هذه "اللطيفة" كانت زيادة "الألف" رمزا للدلالة على هذا المعنى.

۞۞ ((ونلاحظ أيضاً- إضافة لرأى الدكتور - تعدد القراءات فى الكلمة والتى جعلت الرسـم علـى هذه الصورة خير ممثلٍ لذلك.. كما يقول الألوسى: **وقرىء { *تأيسوا }** **.وقرأ الأعرج { *تيئسوا } بكسر التاء.............وهكذا أصبحت الهمزة حائرة فكتبت بدون نبرة مع وجود الألف بدون همزة فى هذا المكان**

ويقـول البحر المحيط: **وقرأ الجمهور : تيأسوا ، وفرقة : تأيسوا . وقرأ الأعرج : تئسوا بكسر التاء** . لا يائس.. استيئس . **حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ**((وراجع: فصل القراءات)

وعودة للدكتور: مطعنى:

۞ ومنه قوله تعالى: فى سورة الكهف:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾

لاحـظ رسم كلمة "شاىْ" تجده على غير المعهود فى الرسم المصحفى ، فعلى كثرة ورود هذه الكلمة فى القرآن الكريم لم تأت فيها زيادة "الألف" بين "الشين" و"الياء" إلا فى هذا الموضـع، فلماذا جاء حرف "الألف" فيها هنا مع خلو كلمة "شئ" منه وقد وردت فيه مئات المرات؟

إن الإجابـة علـى هذا السؤال توضح لنا المعنى المرموز إليه بهذه الزيادة والجواب هو: إن كلمة "شاىْ" فى آية "الكهف" لها معنى يختلف اختلافا يسيرا جدا مع معانى كلمة "شئ" بدون زيادة "الألف" الملحوظة فى آية "الكهف" .

۞۞ وأقـول: وربما لتصوير حالة وقول النبى محمد(ﷺ) مؤكداً للقوم على إخبارهم بهذا الـشىء وخطـورته - من علم الغيب - فزيدت الألف(لشاىء) ..ونستأنس لذلك بما أشرفت إليه نفس الإمام البقاعى حيث يقول: **{ ولا تقولن لشيء } أي لأجل شيء من الأشـياء الـتي يعزم عليها جليلها وحقيرها ، عزمت على فعله : عزماً صادقاً من غير تردد وإن كنت عند نفسك في غاية القدرة عليه : { إني فاعل ذلك }** - والله أعلم-.

أضـف إلى ذلـك أن الحـديث فيه نبرة العتاب والتربية للنبى (ﷺ)التى تستدعى الوقوف والتوكيد على الحرف .

وهـــذا المعنى المرموز إليه بزيادة"الألف" هو: أن كلمة "شاءٔ" هى الوحيدة فى القرآن التى تدل على أن "شاءٔ" لا يكون موجودا حين اجراء الحديث عليه. والدليل على ذلك قوله تعـــالى: (إنى فاعل ذلك غدا) يعنى أنه "شاءٔ" سيفعل بعد زمن التكلم: غدا أو بعد غد. فالـــشئ الـــذى فى آيـــة "الكهف" مقطوع بعدم وجود ساعة التكلم. أما فيما عدا آية "الكهـــف" فلم تخضع معانيها للقطع بعدم الوجود وهكذا انفرد معناها من بين أخواتها فى القرآن الكريم فانفرد رسمها الخطى تبعا لانفراد معناها.

❁إن هذه الخصوصية لهى من أبرز وأدق تلك الخصوصيات القرآنية.

وكذلك زيادة حرف "الألف" فى كلمتين أخريين من كلمات القرآن الكريم.

الأولى: فى ســـورة المائدة: **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾** . وفى سورة القصص: **﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ .. (٧٦)﴾**

والكلمتان هما: "تبوأ" لَتَنُوأُ والأصل قبل الزيادة "تبوء". والثانية: "لتنوء" ، والمعنى المرموز إليه بزيادة"الألف" فى "تبوأ" هو الإشارة إلى مضاعفة "الإثم" المشار إليه فى "إثمى وإثمك".

♠ **(وأقول للقارىء** : أرجوا من القارئ إعادة قراءة الحديث عن رسم كلمة (جزاؤا) فى آيـــات المائدة ، ليرى التناسق العجيب بين رسم هاتين الكلمتين("جزؤا" الظالمين ، "تبوأ" بإثمى وإثمك) فى سياق واحد يجتمع فيه تفخيم الجزاء"جزؤا" وتفخيم الرجوع بالإثم "تبوأ" والمعـــنى المرموز إليه فى "لتنوأ" ثقل مفاتح الكنوز التى منَّ الله بها على قارون وثقل مافى الكنوز من خزائن المال.

فأنت ترى ماذا دلت عليه زيادة "الألف" فى هذين الفعلين وأن الزيادة لم ترد عبثا بل لمعنى لطيف.

وممـــا جاءت زيادة "الألف" فيه قوله تعالى: فى سورة الفجر: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ (٢٣) والـــزيادة ظاهرة فى الفعل الماضى "جاىٔ" ،والأصل قبل الزيادة "جئ" ، لأنه فعل مـــاض مبنى لما لم يسمَّ فاعله. أما المعنى اللطيف المرموز إليه بهذه الزيادة فهو لفت الأذهان إلى أن هـــذا "المجئ" غير معهود لدى الناس لأنهم فى الدنيا لم يروا جهنم لا قارة ولا قادمة ولا ذاهـــبة. لكـــنهم ــــ مؤمنين وغير مؤمنين ــــ سيرونها "جائية" يوم القيامة. ❁ (ولها ســـبعون ألـــف زمام فى كل زمام سبعون ألف ملك ، ولها شهيق وزفير ، وتكاد تميز من الغيظ.. و,,).

ويضاف إلى هذا المعنى معنى آخر يفهم من السياق وهو تهويل وتفظيع هذا المجئ والترويع منه. ومما يؤكد أن هذه الزيادة قصد منها هذا المعنى قوله تعالى: فى سورة الزمر: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴿٦٩﴾ ﴾ فهذا المجئ مثل المجئ الأول غير معهود لدى المخاطبين لأنهم لم يروا فى الدنيا موكبا يسير فيه النبيون والشهداء قادمين فى طريق واحد. (وأقول أيضاً: راعى مشهد التفخيم والتعظيم لهذا الموكب). فكانت الزيادة فى الموضعين رمزا على غرابة المجئ وتهويله فى الأول، وعلى غرابته وتعظيمه فى الثانى.

❁ (ولنا تعقيب على ذلك أيضاً لما ورد من تعدد الرسم — كما روى الزركشى والدانى وغيرهما— فى قوله (وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ) واتفاقهم على رسم مجيء جهنم (وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ)؛ وهذا — كما سنرى - من روائع البيان والإعجاز فى رسم الكلمة فى القرآن الكريم حيث أنهم جميعاً لم يروا جهنم فى الدنيا و لم يروا مجيئها، بخلاف رؤيتهم لمجيء موكب الأنبياء الذى ربما يتشابه مع موكب كان لهم أو لبعضهم فى الدنيا ولذلك رسم(مجيء الأنبياء) على الرسمين.

وقد يزاد "الألف" فى كلمات فواصل الآيات رمزا إلى معنى لا تدل عليه كلمة خاصة به فى درج الآية؛ ومن ذلك قوله تعالى: فى سورة الأحزاب: ﴿ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا** (٦٦) **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** (٦٧)﴾ والأصل فى الرسم قبل الزيادة: الرسول فجئ بالألف بعد "اللام" كما ترى. والمعنى الذى رُمز إليه بهذه الزيادة هى شدة التحسر والندم لأنهم تمنوا طاعة الله وطاعة رسوله بعد فوات الأوان لأنهم قالوا هذا الكلام وهم فى النار.

❁ ((ملحوظة: سنفرد عنواناً خاصاً بهذا الرسم (الرسولا، والسبيلا) إن شاء الله))

وشبيه بهذه الزيادة فى قوله تعالى: فى سورة الأحزاب: ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** (٦٧)﴾ هذا الكلام صدر منهم عن طريق **الشكوى والتفجع** فزيدت "الألف" كاشفة عن الأسى الشديد الذى يعتمل فى نفوسهم.

ومثل هاتين الآيتين أو قريبة منهما كلمة "سلاسلا" فى قوله تعالى: فى سورة الإنسان: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا** (٤)﴾ . لأن كلمة "سلاسلا" ممنوع من الصرف فحقها أن تنصب بالفتحة بلا تنوين؛ لكنا نراها فى الرسم القرآنى زيدت فيها الألف بعد اللام الأخيرة، **لكن هذه الألف غير منطوقة** فهى زائدة فى الخط غير زائدة من حيث

المعنى. لأن المقام مقام تهويل وتفظيع لما أعده الله للكافرين من آلات العذاب المهين؛ وهى السلاسل والأغلال والسعير وقد دُل على التهويل فيها بـ"التنكير" ؛ لأن الكلمات الثلاث جاءت منكرة لا معرفة. واختصت كلمة :سلاسلا" بالزيادة دلالة على التهويل لشأنها وشدة إيذائها للكافرين تلك هى زيادة الألف فى آخرها.

وكذلك زيد حرف "الألف" بعد الميم فى "مائة ومائتين" فى قوله تعالى: فى سورة الأنفال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ..(٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ .. (٦٦)﴾ والأصل أن تكتب "مئة"- "مئتين" بدون ألف، والمعنى الذى من أجله كانت هذه الزيادة هو رفع اللبس إذا كتبتا بدون "ألف" بين مئة وفئة ومئتين وفئتين ، لأن الفرق بين مئة وفئة ومئتين وفئتين هو نقطة "الفاء"، وهذه النقطة قد تسقط فى الخط سهوا فجاءت زيادة "الألف" رافعة لهذا اللبس.

لا يقال إن كتابة مائة ومائتين بزيادة "الألف" ليست من "خصوصيات الرسم القرآنى" لأنها شائعة كذلك فى الرسم الإملائى الحديث. لأنا نقول: إن الرسم الإملائى الحديث فيه اقتباسات كثيرة من خصوصيات الرسم القرآنى ، وكتابة مائة ومائتين من هذه الاقتباسات وغيرها كثير مثل ذلك (هذا هذه ، أولئك هؤلاء، الملأ).. الخ.

۞وهنا أقف وقفة لأشير إلى رأى الإمام الزركشى الذى تركه د: المطعنى وهو:

ومثله زيادتها في مائة لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتبتين آحاد وعشرات (وهذا رأى يستحق الوقوف عليه وهو مقبول لمقارنته بفئة وفئتين)

ولم تزد في فئة ولا فئتين ((لأن الفاء عليها نقطة فلا يحدث معها لبس ولا تنطق (منه) — كما يمكن أن يحدث مع مئة — والله أعلم))

ولاحظ قراءة وكتابة فَلَا تَسْـَٔلْنِ (٤٦) أن الهمزة بدون نبرة لأنها تقرأ (تسلنى)

۞۞ وزيد "الألف" فى كلمة "قواريرا" مرتين فى قوله تعالى: فى سورة الإنسان: الآيتان ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦)﴾ . زيدت "الألف" لأن الأصل: "قوارير" والكلمة ممنوعة من الصرف وحقها النصب بالفتحة بدون تنوين مثل كلمة "سلاسلا" التى تقدمت. والمعنى المرموز إليه بزيادة "الألف" هو التنبيه على شدة بياض الأكواب. لذلك زيد "الألف" للفت الذهن إلى ذلك المعنى الذى يرف وراء تلك الزيادة.

كما وردت زيادة "الألف" فى كلمة "لؤلؤا" فى قوله تعالى: فى سورة فاطر: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣)﴾والأصل قبل

زيادة "الألف": "لؤلؤ" ومثل هذه الآية ،﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)﴾ من سورة الحج.

﴿(وأرجو من القارئ أن يراجع البحث الخاص عن تعدد القراءات أو الرسم لهذه الكلمة فى باب (تعدد الرسم فى المصاحف)

ومثله: فى سورة يونس:﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)﴾

وقوله تعالى:فى سورة الروم: ﴿وَمَا آَتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آَتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾

وقوله عز وجل: فى سورة الرعد:﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾

وقوله جل شأنه: فى سورة الزمر: ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ .

فالأفعال: **ادعوا- يتلوا- تبلوا- يربوا- يمحوا- يرجوا**. زيد فى آخرها "الألف" لأنه لا ينطق وليس من أصول الأفعال التى زيدت فيها. فهو- إذن- زائد فى الخط غير زائد من حيث المعنى. لأنه رمز بزيادته للدلالة على تكثيف دلالات الفعل مقارنا بدلالة الإسم.

((ملحوظة: سنفرد باباً خاصاً لهذه المفردات ص..)

ومحال أن تكون زيادته لغير معنى لأنه حينئذ يكون حشوا أو لغوا وكتاب الله العزيز ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) فصلت.

التطبيقات التى أجريناها على القاعدة الكلية فى زيادة "الألف" فى أواخر بعض الأفعال هى الأصل، وقد توسعوا فى صور زيادها فى غير الفعل المضارع المسند إلى ضمير الفاعل المفرد، كما نقلوه من الفعل المعتل الآخر (الناقص) إلى غيره من الأفعال الصحيحة الأخر.

فقد جاءت هذه الزيادة فى الفعل الماضى كما فى قوله تعالى: فى سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣)﴾ زيادة "الألف" تلحظها فى الفعل "دعوا"، وهو وإن كان معتل الآخر بـ"الواو" فإنه فعل ماض لا مضارع.

ومثله فى المضى والاعتلال قوله تعالى: فى سورة الحج:﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)﴾ الفعل "سعوا" زيد فيه "الألف بعد الواو" وهو ماض معتل بـ"الياء" لأن مصدره "السعى" والواو هى واو الجماعة لأن الفعل غير مسند إلى ضمير المفرد، والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة **هو المعنى نفسه الذى كنوا عنه بـ"ثقل الفعل"** مقارنا بخفة الإسم كما تقدم.

۞ ((ونقول: ويبقى (سعو) كتبت بدون ألف فى "سبأ " تحتاج إلى تعليل؛ وكما سنرى أن عنصر الإمهال الدنيوى استدعى ابقاء الألف فى الحج، وعنصر السرعة والغيبية — كعلم الغيب والساعة – استدعى حذف الألف فى سبأ... ولعل هذا الملحظ نجده أيضاً فى باقى الكلمات المشار إليها هنا مثل:

(١) ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا.. ﴾ .الفرقان. ومعلوم أنه دعاء طويل وممتد وصراخ لاينتهى (ليس فيه عنصر السرعة)

(٢) ﴿ أمن هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ .. وواضح هنا أنه قانت آناء الليل — أى طوال الليل — يطيل فى صلاته ، ويكرر، ويستمتع بطول المناجاة مع ربه ، وله رجاء عريض فى رحمة (ربه) — وهذا الرجاء هو رجاء عظيم ومُفخَّم لأنه صادر من هذه النفس الموصوفة بالقنوت والعلم و(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).. فلكل ذلك كان إضافة الألف وتثقيل الكلمة لثقلها فى الميزان وللملحظ عدم السرعة المشاهد فى ذلك.(مع ملاحظة أن (يرجوا) جميعها بالألف لأنها يأتى بعدها رحمة الله أو لقاء الله)

(٤) وهذا ما سنراه أيضاً فى سورة الرعد: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾ .. فهو محو لايحتاج إلى عجلة فى ذلك فهو محو متعدد وكثير للآجال والأرزاق والمعاصى و..و.وغيره – كما تذكر كتب النفاسير فى قوله: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ. وهو محو لكثير- كما ذكرنا من قبل من أقوال المفسرين والصحابة والتابعين — بخلاف آية الشورى التى تتحدث عن محو الباطل من على قلب النبى محمد(ﷺ) إذا وقع افتراضاً (فهو لايحتاج إلى إبطاء ولو للحظة واحدة) ففيها ملحظ السرعة الذى يناسبه حذف الألف؛ كقوله تعالى :﴿ بَلْ نَقْذِفُ بالحق عَلَى الباطل فَيَدْمَغُهُ ﴾ [الأنبياء : ١٨] فقام بحذف الألف من (يمح) هكذا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤).﴾ . وكما يقول المفسرون ومنهم الزمخشرى: يعني : لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ((وهذا المعنى يلاحظ فيه ملحظ السرعة))

ويكمل الزمخشرى رأياً آخر بأنه هو بُشرى للنبى (ﷺ)، وهنا نضيف أن البشرى تحتاج إلى السرعة فى زفها إلى صاحبها.

ويقول أيضاً: ويجوز أن يكون عِدَة لرسول الله (ﷺ)- أى وعد له- بأنه يمحو الباطل الذي هُم عليه من البهت والتكذيب ، ويُثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مردّ له من نصرتك عليهم ، إنّ الله عليم بما في صدرك وصدورهم.

(٥) وكذلك قوله :﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا ..﴾ وهنا "لِيَرْبُوَا" وكما هو معلوم أن الربا هو إعطاءٌ لمهلة زمنية ؛ معلوم أنها تطول. وفيها أيضاً طلب الزيادة فى الكمية والعنصران يلائمهما زيادة الألف مع هذه الزيادات-أى فى الوقت والكم-.

(٦) أما آية يونس﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)﴾ فإنه بالرجوع إلى كتب التفاسير يتضح الآتى:

١) ثقل هذا البلاء فى هذا الموقف العصيب جداً — يوم القيامة-.

٢) (ظهور) الخفاء من مستور أعمالهم والفضيحة على رءوس الأشهاد.

٣) وفوق ذلك تبرؤ المعبودون من دون الله منهم،وهذا واضح من أقوال المفسرين هكذا: يقول الزمخشرى: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ.. وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل ، وقيل : الأصنام ينطقها الله عزّ وجلّ فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم .. وعن عاصم : نبلو كلَّ نفس بالنون ((ونقف لنقول أنه على هذه القراءة تكون الواو واو الجمع ويزاد فيها الألف)).

٤) وهنا نضيف رأياً رابعاً نستشفه من هذا الشرح وهو أن هذا الموقف يتم فيه مواجهة هذا الظالم لنفسه بكل (ما أسلفت نفسُه) — كل الأعمال صغيرها وكبيرها- ويكون من الأنسب الإطالة معه زيادة فى تحسيره وتبكيته (إضافة إلى أن اليوم طويل ومقداره خمسين ألف سنة) — ولعلنا نتخيل مثالاً مقربًا لهذا فى حياتنا الدنيا: حين يجرم أحدنا جرماً ويوقفه القاضى ويقرر فيه ويعيد ويطيل الموقف معه عتاباً أو إيلاماً نفسياً له ، ونحن نعلم أن الجانى فى هذا الموقف يتمنى عكس ذلك؛ فهو يتمنى أن يسرع فى عرض هذه المشاهد وهو يجد أن عذابه هو فى هذا التطويل ... فهذا هو مثال تقريبى لقوله (هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ).

مع ملاحظة أن الموقف مازال فى موقف الحساب والمناقشة والأخذ والرد وعرض الأعمال فى يوم كان مقدار خمسين ألف سنة.

٥) ويزيد الإمام الألوسى رأيا آخر يعطينا سبباً خامساً لظهور الألف فى كلمة (تبلوا) وهو: { هُنَالِكَ } أي في ذلك المقام الدحض والمكان الدهش وهو مقام الحشر .. وقرأ

حمزة . والكسائي { تَتْلُو } من التلاوة بمعنى القراءة ، والمراد قراءة صحف ما أسلفت ، وقيل : إن ذلك كناية عن ظهور الأعمال . وجوز أن يكون من التلو على معنى أن العمل يتجسم ويظهر فيتبعه صاحبه حتى يرد به الجنة أو النار أو هو تمثيل .

وعلى هذا القول من الإمام الألوسى — صاحب الإشراقات العظيمة–يتضح معانٍ أخرى هى:

(١) شدة هذا المقام وثقله (المقام الدحض والمكان الدهش)

(٢) القراءة الثانية وهى (تلاوة) أعماله وفيها ما فيها من مشهد البطء فى التلاوة حتى أنه فى هذا الموقف يتلعثم لسانه ولايكاد يقرأ الكلمة مجتمعة ويردد فيها.

(٣) ثم المشهد الآخر وهو مشهد تجسيم الأعمال(على معنى أن العمل يتجسم ويظهر فيتبعه صاحبه حتى يرد به الجنة أو النار)............ وكفى بهذه الآراء شاهداً على عظمة ودقة الكلمة فى رسمها حين تُضاف إليها الألف أو تحذف منها.

ونعود — بعد هذه الوقفة منا – لنكمل حديث د: مطعنى حيث يقول:

ومن أكثر ما توسعوا فيه فى زيادة "الألف" خارج دائرة "القاعدة" مايأتى:

* كل فعل مضارع صحيح الآخر كان أو معتل الآخر إذا دخل عليه ناصب أو جازم وهاك الأمثلة: – سورة البقرة: .. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾ والشاهد: "تصوموا" وهو صحيح الآخر منصوب بـــ"أن". وسورة الجن: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾ والشاهد "تدعوا" وهو معتل الآخر مجزوم بـــ"لا" الناهية.

۞ كل فعل أمر مسند إلى "واو الجماعة" كقوله سبحانه: فى سورة آل عمران:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا .. وَاذْكُرُوا (١٠٣)﴾ والشاهد "اعتصموا– اذكروا" وهما صحيحا الآخر.

– فى سورة الجمعة:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .. (٩)﴾ والشاهد "اسعوا" وهو معتل الآخر.

۞ كل فعل ماض أسند إلى "واو الجماعة" سواء كان معتلا أو صحيحا كقوله عز وجل: فى سورة المائدة:﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ (٧١) ﴾والشاهد: "عموا– صموا" وهما صحيحا الآخر.

وقوله تعالى: فى سورة البقرة:﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا .. (٢٠)﴾ والشاهد "مشوا– قاموا" الأول معتل الآخر والثانى صحيح الآخر. وأمثلة هذه الصور لا تكاد تحصى فى كتاب الله عز وجل.

۞ ((وكنت أود أن يضيف د: مطعنى كلمة– إلا ما استثنى– وهو ما سنراه فى ملحقاتنا التى سنضيفها على الصفحات القادمة ولحكمة بالغة – كما سنرى فى رسم كلمة (سعو) بألف وبدون ألف (مثلاً). وفيها ما قلناه وما يحتاج إلى تدبر شديد)

موقف الرسم الإملائى الحديث

موقف الرسم الإملائى الحديث من هذه القاعدة مزدوج ، فهو لم يلتزم بها فى شطرها الأول وهو زيادة "الألف" فى الفعل المضارع المعتل الآخر إذا أسند إلى ضمير الفرد مثل: ادعوا- يمحوا- يرجوا- يتلوا. لأن "الألف" لا يزاد فى الخط الإملائى الحديث بعد الواو فى هذه الأفعال، وما جرى مجراها فعل: يغزو- ينمو- يزكو. أما فى شطرها الثانى وهو زيادة "الألف" فى المضارع المنصوب والمجزوم والأمر والماضى إذا أسندت إلى "واو الجماعة" فإن الخط الإملائى الحديث قد أخذ منهج الرسم العثمانى للمصحف الشريف فى كتابة هذه الأفعال قاصدا من زيادة "الألف" الفرق بين هذه الأفعال إذا أسندت إلى واو الجماعة وبين المعتل بالواو إذا أسند إلى ضمير الفرد مثل: يدعوا للجمع ويدعو للمفرد.

وهاك الأمثلة: سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ . فالفعل "أدعوا" مضارع معتل الآخر بـ"الواو" (= ناقص) وقد أسند إلى ضمير المفرد المستتر الذى تقديره "أنا" وقد زيدت فيه "الألف" بعد االواو (=لام الفعل)، والأصل قبل الزيادة أن يرسم الفعل هكذا "أدعو" بدون ألف ، والألف حرف مزيد على أصول الكلمة (= ع واو) ، وقد رمز بهذه الزيادة إلى ثقل الفعل مقارنا بالإسم (وأقول: أن هذه الإضافة ليست لهذا الملحظ فقط – كما يقول أستاذنا المطعنى – ولكنه لأسباب أخرى عظيمة سنبينها فى خال التفرقة بين رسم الكلمتين بالألف وبدون ألف)، ويكمل: وقد تقدم أن المراد من (ثقل الفعل) دلالته المتعددة التى هى الحدث، وهو هنا الدعوة ، والزمن وهو هنا المضارع ، والفاعل وهو هنا الضمير المستتر فى الفعل وجوه وهو أنا.

۞ (وهنا حتى يعيش معنا القارىء نزيد على كلام د: المطعنى: أن هذا الموقف من يوسف – أدعوا – يشير إلى منهج الدعوة فى سبيل الله ؛ وهو منهج يحتاج إلى (طول النفس والصبر والوقت والتكرار والهدوء والمجادلة ... إضافة إلى (ثقل) الدعوة وأعبائها التى يجب أن يعلمها الداعى ...وهى فوق ذلك ثقيلة فى ميزان الله- (أدعوا إلى اللــة) – فهذه الملاحظ لاتحتاج إلى سرعة وحذف للألف.

ومثله قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥) يونس.﴾ ...ومثله فعل الجاحد: ﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢)﴾ الحج . فهو عاكف على هذا الدعاء وهذه العبادة. ،﴿ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣)﴾ ..

وأيضاً الشيطان يتمهل فى دعوته ويستخدم كل الحيل ولا يمل فى ذلك:﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ فاطر.

والإنسان عادة لايمل ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .. (٨)﴾ الزمر..فقد كان فى الماضى يدعو (بالخير) لنفسه .فهو دعاء كان فى إلحاح .

ولتوضيح هذه المعانى؛ قارن ذلك بآية الأسراء الآتية التى حذف منها الألف(يـدع). وهى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)﴾ ..مع ملاحظة كلمة (عجولا) التى ترسم جو السرعة فى هذا الموقف. وقارن ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾٥ الأحقاف ..والتى يتضح فيها ملحظ الدعاء الملح والمتكرر ويظهر فى الصورة مشهد غفلة آلهتهم عنهم طوال هذه المدة (إلى يوم القيامة).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١)﴾ الإنشقاق.. ولك أن تتخيل طول الدعاء والاستغاثة وتكرار هذا الدعاء وهو يقول (يا ويلاه .. و ياغوثاه .. ويامصيبتاه).

هذا بخلاف الآيات الأخرى التى تلحظ فيها ملمح السرعة – وحذف منها الألف – كما فى قوله :

(١)﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)﴾ القمر ..

(٢) ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)﴾ ..... وواضح هنا أن الإنسان لايدعو بالخير – كما فى آية (٨)الزمر – حيث أن الإنسان يطيل فى دعاء الخير ويكثر منه ولا يكون فى لحظة تهور أو انفعال – ، أما هنا فإن هذا الإنسان يدعوا بالشر – على نفسه أو أولاده أو.. – وهى لحظة سرعة وتهور يندم بعدها .. ولذلك يعقب ربنا بقوله: وكان الإنسان عجولا.

ويبقى الموقف الثالث فى حذف الياء وهو:

(٣) ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) ﴾– زبانية جهنم لنصرة محمد (ﷺ) وأخذ هذا الكافر – فى الدنيا أو فى الآخرة – حسب أقوال المفسرين – وواضح هنا ملحظ السرعة الرهيب الذى ناسبه حذف الألف

يدعو--- يدع

وهكذا (ادعوا) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾.(ملحظ التحدى والإمهال لهم بالمدة الطويلة الكافية لهم لاختيار شركائهم الذين يثقون فيهم ، وهو جمع)

ولكن: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)﴾ المؤمنون.. هنا يسبقها حرف جزم(وَمَنْ يَدْعُ..)أداة الشرط (من) ومثلها: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّه﴾.(فعل أمر مجزوم، وفيها ملحظ الشدة والحدة والانفعال).

ومثله قوله تعالى: فى سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ (١٢٩)﴾ والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو الإلماح إلى : قيمة التلاوة من رسول الله (ﷺ)وثقلها؛ فهى ليست تلاوة فقط بل هى تلاوة مع دعوة مؤثرة فى طريق الهداية ، وفيها أيضاً ملحظ التكرار والهدوء.

وهذه المعانى اللطيفة وإن كان بعضها ملحوظا من الكلمة نفسها – فى بعض الكلمات التى تقدمت – فإن زيادة "الألف" معوانٌ قوى على إبرازها ودفع الغفلة عنها(**لأن مجئ الكلمة مزيدا فيها حرف غير منطوق يدعو القارئ إلى التساؤل عن سبب الزيادة والتساؤل وسيلة إلى معرفة المعنى المراد**).

*** ما تقدم كانت الزيادة فيه فى كلمات أفراد ، وبقى مجال آخر لزيادة "الألف" هو بمثابة قاعدة كلية تندرج تحتها كلمات لا تدخل تحت الحصر وإنما يدخل فيها كل ما صلحت له القاعدة. وهذا يتضح من البيان الآتى:

تأتى زيادة "الألف" فى كل فعل مضارع معتل الآخر بـ"الواو" إذا أسند إلى ضمير المفرد سواء ورد فى جملة تامة المعنى أو قُصِد لفظ الفعل فى نفسه دون قصد فاعله معه. هذه هى القاعدة الكلية مثل: يدعوا- يتلوا- يبلوا- يربوا- يمحوا- ينبؤا- يرجوا وما كان على شاكلة هذه الأفعال مندرجا تحت هذه القاعدة. والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو التفرقة بين الفعل والإسم: والفرق بين الفعل والاسم أن الفعل مركب الدلالة. أما الاسم فدلالته مفردة.

فـ"محمد" وهو اسم يثير فى الذهن عند سماعه مجرد التصور حول شخص اسمه محمد. و"شجرة" وهى اسم لا تثير فى خيال السامع إلا شكل شجرة سواء كانت شجرة معهودة عند السامع أو شجرة شائعة فى جنس الشجر. أما الفعل فهو بإتفاق العقلاء فإنه يدل على ثلاثة معان: فمثلا الفعل: صام يدل قطعا على ما يأتى:

* الحدث أو المعنى وهو الصوم الذى هو الكف عن الطعام والشراب وشهوة الفرج.
* الزمن الذى وقع فيه الصيام سواء كان نهار شهر رمضان أو غيره .
* الفاعل لأن الفعل أثر يصدر عن مؤثر ومحال أن يتصور فعل فى الوجود بدون فاعل فعله.

وعلماء علوم القرآن يطلقون على هذه الدلالة الفعلية مصطلح "الثقل" وقالوا إن زيادة "الألف"

فى الفعل فى الطائفة التى ذكرناها من الأفعال إنما هى رمز إلى ثقل الفعل مقارنا بالإسم وهما الأداتان اللتان تتكون منهما الجمل والتراكيب المفيدة فى اللغة العربية وفى مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوى وكتب التراث.

حذف الألف (= نقص الألف)

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ (٦١ ﴾البقرة

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ .. (٩)﴾ الحشر.

﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾.﴾

(٤١)هود ..... ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ الواقعة.

﴿وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦)﴾ يوسف

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾سبأ

حذف الألف ونقص الألف فى الرسم العثمانى الشريف أكثر خصوصيات رسم المصحف فلا تكاد تخلو منه سورة من سور القرآن ، وإحصاء المواضع التى وردت فيها هذه "الخصوصية" ليس ميسورا فى مثل هذه المقالات بل يحتاج إلى سفر ضخم تسرد فيه صوره ويشار فيه إلى لطائفه وأسراره.

ومن اللافت للنظر فى صور هذه "الخصوصية" أنك كثيرا ما تجد الكلمة الواحدة محذوفا فيها "الألف" فى أكثر من موضع. كما أنك تجد الكلمة الواحدة تأتى مرة أو مرات محذوفا منها "الألف" ومرة أو مرات أخرى مثبتا فيها "الألف" الذى حذف فى مواضع منها: مثل "الكتاب" و"القرآن" مقترنين بـ"أل" أو غير مقترنين

نرى "الألف" محذوفا فى بعض مواضع ورودها ثم تراه مثبتا فى مواضع أخري. ومحال أن يكون الحذف والإثبات خاليين من الدقائق والأسرار التى اقتضت الحذف أو الإثبات، ولا ندعى أننا سنعرض لكل موضع من هذه المواضع وإنما نسير سيرتنا التى ألفناها من قبل وهى سوق بعض الشواهد كى تزيل كثرة التساؤل حول هذه "الخصوصيات" ونكشف عن المعانى الخبيئة وراءها.

وأول ما نبدأ به حذف "الألف" من "باسم" مضافا إلى اسم الجلالة "الله".

هذه "الخصوصية" نراها فى أول كلمة من أول آية فى أول سورة من سور القرآن الكريم "سورة الفاتحة" حسب الترتيب المصحفى فى قوله تعالى:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)﴾ من هذه السورة الكريمة. ونراها فى قوله تعالى: فى سورة هود: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ

اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١)﴾ ونراها فى قوله عز وجل: فى سورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠)﴾ فى هذه الآيات الثلاث وردت كلمة "اسم" مضافة إلى "الله" وقد حذفت همزة الوصل بين حرف الجر "بـ" وبين "السين". ثم نرى بعد ذلك أن "الألف" جاء مثبتا فى مواضع أخرى وذلك فى الآيات الآتية:

فى سورة الواقعة: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ .الآية(٧٤) و (٩٦)﴾

وسورة الحاقة: الآيتان: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾ هذه ثلاث آيات جاء "الألف" فيها مثبتا على خلاف ماتقدم فى الآيات الثلاث الأولى التى جاء "الألف" فيها محذوفا، والآيات الست ورد فيها "اسم" مجرورا بحرف الجر "بـ".

كما ورد مضافا فى الثلاث الأولى وفى الثلاث الثانية ، إلا أن الاختلاف بين المجموعتين كان فى لفظ المضاف إليه لا فى المعنى.

فالإسم فى المجموعة الأولى أضيف إلى إسم الجلالة "الله" ، أما فى المجموعة الثانية فقد أضيف إلى "ربك" ومعناه هو: "الله" ، فاللفظان مختلفان وأصل المعنى فيهما واحد.

هذه المقدمة تمهد لنا الطريق للإجابة عن هذا السؤال: لماذا حذف "الألف" فى آيات المجموعة الأولى؟ ولماذا أثبت و لم يحذف فى آيات المجموعة الثانية ؟

وخلاصة الجواب عن هذا السؤال: إنهم رمزوا بحذف "الألف" فى المجموعة الأولى إلى **خصوصية معان يدل عليها اسم الجلالة "الله" ليست لها وجود فى كلمة "ربك".**

فإسم الجلالة "الله" هو الاسم الخالص فى كونه علما فردا على خالق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما؛ هو علم وليس صفة ، **ودلالة "العلمية" هى الثبوت الذى لا يعتريه أدنى توقف أو انقطاع** ، هذا معنى، المعنى الثانى أن اسم الجلالة "الله" لم يسم به كائن غير الله عز وجل ، وإن كان غيره من الأعلام صالحا لوقوع الاشتراك فيه مثل: محمد- أحمد- عمر فهذه وإن كانت أعلاما فإنها وقع ويقع فيها الاشتراك كثيراً، فآلاف الأشخاص يسمون محمدا وأحمد وعمر فى البلد الواحد والزمن الواحد. **لكن "الله" علم فرد على مسمى فرد لا يجوز نقلا ولا عقلا وقوع الاشتراك أبدا.**

ومعنى ثالث هو أن اسم الجلالة "الله" **لا يضاف إلى** أى شئ لأنه المتفرد فى الجلال والكمال والجمال. أما ما عداه من أسمائه الحسنى ومنها "رب" فهى صفات لازمة لاسم الجلالة ؛ فـ"الله" هو الموصوف وأسماؤه الحسنى الباقية (ثمانية وتسعون اسما) هى فى التحقيق صفات كمال وصفات جلال وصفات جمال. **والموصوف أصل والصفات فروع** ، والأصل هو مبدأ الفروع ، والفروع توابع للأصل الذى هو الله عز وجل.

لذلك رُمز فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف بحذف "الألف" من "بسم الله" للدلالة على هذه المعانى و لم يحذفوه عبثا حاشا لله.

**أما إثباته فى "ربك" فى الآيات الثلاث (فسبح باسم ربك) ففيه توجيهان:

الأول: أنه جاء على الأصل وما جاء على الأصل فلا يلتمس له علة.

والثانى: أنه مع مجيئه على الأصل يراعى فيه سلب المعانى التى تقدمت مع اسم الجلالة "الله" وتفسير ذلك:

(١) إن كلمة "رب" ليست علما خالصا على خالق الخلق ، بل هى صفة تدل على التكوين والرعاية والإنعام –

۞ وهو معنى جزئى أيضا-(((ولكننا سنضيف توضيحاً آخرًا لحذف الألف من الرحمن- وكنت ارجو أن يقول د: مطعنى أن هذه القاعدة لها استثناءات لحكمة عالية سنراها على الصفحات القادمة إن شاء الله)))

وهذا هو شأن ما عدا اسم الجلالة "الله" من أسمائه الحسنى لأنها كلمة ينقدح فى الذهن عند سماعها معنى الوصف مثل: الرحمن- الرحيم- الأول- الآخر- الظاهر- الباطن- المحيي- المميت.....الحافظ- الكبير- المتعال.إلخ.

فهذه الأسماء الحسنى إما صفة صريحة، وإما فيها لمح الصفة ، **ودلالة اسم "الجلالة" هى** مبدأ هذه الصفات جميعا وموردها الذى ترد إليه...

وأسماؤه الحسنى- ماعدا "الله"- يسمى بها ويوصف بها غيره لملابسات تسوغ هذا الاتساع؛ اللهم إلا قليلا منها مثل: المحيي- المميت- فهى يقع فيها الاشتراك

وكذلك فإنها صالحة لأن تضاف إلى غيرها.

فالفروق- إذن- جد كبيرة بين اسم الجلالة "الله" وبين ماعداه من اسمائه الحسنى وإلى هذه المعانى رُمز فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف بحذف "الألف" من "بسم الله" وإبقائه فى "باسم ربك"، وبهذا يزول التساؤل الذى يثور فى ذهن قارئ المصحف الشريف حين يقع بصره على "الألف" محذوفا فى "بسم الله" ومثبتا فى "باسم ربك".

۞ وهنا نضيف لطيفة من لطائف الإمام ابن القيم:

لنرى التكامل المبهر بين أنواع الإعجاز البلاغى ورسم الكلمة، حيث يقول فى تفسيره القيم: فإن قيل فما الفائدة فى دخول الباء فى قوله (فسبح باسم ربك العظيم) و لم تدخل فى قوله (سبح اسم ربك الأعلى)؟

قيل : التسبيح يراد به التنزيه والذكر المجرد، دون معنى آخر. ويراد به مع ذلك الصلاة، وهو ذكر وتنزيه (أى الصلاة) مع عمل، ولهذا تسمى الصلاة تسبيحاً.

فإذا أريد التسبيح المجرد (أى بدون عمل) فلا معنى للباء(أى يقال: سبح اسم ربـك)، لأنـه لايتعدى بحرف جر، لاتقول سبحت بالله.

وإذا أردت (أى التسبيح) المقرون بالفعل- أى الصلاة-أدخلت الباء، تنبيهاً على ذلك المراد،(أى تسبيح مع الصلاة){وكأنه يقول (الزيادة) مع الزيادة ، والحذف مع الحذف..وهـى نفـس القاعدة التى نراها فى رسم المصحف أيضاً }

ثم يكمل الإمام: وإذا أردت (أى التسبيح) المقرون بالفعل- وهو الصلاة- أدخلت البـاء، تنبيهاً على ذلك المراد، كأنك قلت: سبح مفتتحاً باسم ربك، أو ناطقاً باسم ربك.. كما تقول : صل مفتتحاً، أو ناطقاً باسمه،

ولهذا السر – والله أعلم – دخلت اللام فى قوله تعالى(سبح لله ما فى السموت والأرض).- أى "لله"-. ويكون المراد التسبيح الذى هو السجود والخضوع والطاعة، ولم يقل فى موضـع: سبح الله ما فى السموات والأرض.... كما قال تعالى (ولله يسجد من فى السماوات والأرض)- أى مضافاً إليها حرف اللام (لله) لتعطى معنى إضافة الفعل(الصلاة) مع تسبيح اللسان...

ثم يكمل الإمام: وتأمل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)﴾ الأعراف..فكيف قال (ويسبحونه) – أى بدون إضافة (لـه)- أى لم يقل:يسبحون له- التى تعنى التسبيح المجرد فقط-.. ولكنه لما ذكـر السـجود قـال (ولـه يسجدون)- فهو تسبيح مع فعل-.

وقبل ذلك كان الإمام قد أجاب على سؤال مشابه وهو: لماذا قال سبح اسم ربك ولم يقل سبح ربك بدون كلمة (اسم)؟ وكان مما قاله: فصار معنى الآيتين : سبح ربك بقلبك ولسانك، واذكر ربك بقلبك ولسانك، فأقحم الإسم (إسم ربك) تنبيهاً لهذا المعنى، حتى لايخلو الـذكر والتسبيح من اللفظ باللسان(وقال: هذه الفائدة تساوى رحلة ولكن لمن يعرف قدرها)

وقال الإمام أيضاً كلام ماتع فى قوله (لايمسه إلا المطهرون).. والفرق بين هـذا التعـبير القرآنى (لايمسه) وبين (لايمسسه..) .. ولك أن تعيش الجمال والمتعة مع جرس الكلمـة ورسم الكلمة؛ و(ثقلها فى اللفظ وثقلها المادى فى الموصوف فى قوله (لايمسسه)، وخفتها اللفظية فى الرسم والنطق(لايمسه) مع الخفة الملائكية والروحية (المطهرون)) لـتعلم أنهـا قواعد واحدة فى نواحى الإعجاز المختلفة ومنها رسم الكلمة وجرسها فى القرآن الكريم.

۞ الرحمـــــن .. والرحيم

يقول: تمام حسان بعد سرد الآيات التى تذكر كلمة (الرحمـــن) وكلها بدون ألف ..: يؤخذ مما سبق (من سياق الآيات) أن الرحمـــن هو المتصف برحمة (الهيمنة) التى يكون لها كل ما ينسب إليها فى الآيات السابقة (إسم جامع لكل صفات الخلق والهيمنة فى الـدنيا والآخرة)

ولقد علمنا من السيرة النبوية ومن الاستعمال اللغوى عند العرب أن مسيلمة الكذاب الذى كان يسيطر على إقليم اليمامة من أقاليم نجد كان يلقب نفسه بلقب (رحمن اليمامة) أى المهيمن على هذا الإقليم أما الرحيم فرحمته تقترن بالتوبة والرأفة والمغفرة والود والبر (أى رحمة جزئية متفرعة من الرحمة الكلية (رحمن)... ويقول الزمخشرى: .

وأما قول بني حنيفة في مسيلمة : رحمان اليمامة ، وقول شاعرهم فيه :

وأَنْتَ غَيْثُ الوَرَى لا زِلْتَ رَحْمَانَا ... فباب من تعنتهم في كفرهم ..

فإن قلت : فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه – الرحمن الرحيم–، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم : فلان عالم نحرير ، وشجاع باسل ، وجواد فياض؟ قلت : لما قال [الرَّحْمَنِ] فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها – عام –، أردفه (الرحيم) كالتتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف- خاص –..

ومعنى هذا الكلام أن (الرحمن) لها أيضاً معنى "كلى" استدعى حذف الألف.

قاعدة

القاعدة الإملائية المتبعة فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف وفى الخط الإملائى الحديث فى كل فعل ماض أسند إلى واو الجماعة. هى أن تزاد "الألف" بعد واو الجماعة مثل: ذهبوا- كتبوا- أكلوا- قاتلوا- شاءوا وهكذا.

وقد أخذ الخط الإملائى الحديث هذه الطريقة عن الرسم العثمانى للمصحف الشريف وفى حلقة الشهر الماضى بينا سر زيادة "الألف" فى الفعل الماضى المسند إلى واو الجماعة وفى غير الماضى فليرجع إليه من يريد.أما الآن فإنا سنبين لطائف وأسراراً لحذف "الألف" فى طائفة من الأفعال الماضية المسندة إلى واو الجماعة خروجا عن تلك القاعدة التى أثبتوا "الألف" بعد واو الجماعة من أجلها. فسنذكر تلك الأفعال ثم نعقب عليها بالإشارة إلى المعنى الذى جاء حذف "الألف" رامزا إليه، والأفعال هى الواردة فى الآيات الآتية:

سورة الأعراف : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)﴾

سورة يوسف : ﴿ وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾

سورة الفرقان : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا (٤)..﴾

هذه أربع آيات- ولها نظائر- جاء فيها الفعل الماضى المسند إلى واو الجماعة هكذا: "جاءو" محذوفا منه "الألف" بعد واو الجماعة.

بل إن كل مافى القرآن من الفعل "جاء" مسندا إلى واو الجماعة اطرد فيه حذف "الألف" و لم يشذ من هذا ولا فعل واحد(٣).((ويعود د: مطعنى ليتدارك – فى الهامش- موضع واحد غير مستعمل فى الشر وهو ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(الحشر١٠) ويقول: و لم يوجه العلماء سر الحذف فيه ، والظاهر – بناء على توجيهات مماثلة لهم فى مواضع أخرى- أنه للرمز على أن هذا المجيء معنوى عقلى ، لا حسى ولا مادى . وأنه (بعد) زمانى لا مكانى.

ولتوضيح ذلك أقول : أنه لايقصد من قوله (الذين جاءوا من بعدهم) لايقصد بعد رحيلهم – جسدياً- من الدنيا، ولكن أراد جاءوا بإسلام بعد إسلام السابقين – وإن كانوا معاصرين لهم فى الدنيا أو أكبر منهم سناً ، أو أسبق منهم فى الوجود الزمنى والمكانى- ولكن الترتيب هنا – القبلية والبعدية – هو بأسبقية(قبلية) أوبعدية الإيمان ؛ أى ليس بالمعنى المتعارف عليه فى لفظ (بعدهم) المكانى ، بل هو (بعدهم المعنوى) الإيمانى .

وقد علمنا مما سبق أن كل ما كان خلاف الظاهر فى المعنى كتب أيضاً خلاف الظاهر فى الرسم. – والله اعلم-.

ويقول د: مطعنى: وقد نص العلماء على أن هذا الحذف فى كل مواضع هذا الفعل رمز به إلى معنى واحد ؛ ذلك المعنى هو الإشارة إلى ذم الفعل نفسه ؛ يعنى أنه مجئ معيب لأنه فى الشر لا فى الخير. وإذا التمسنا هذا المعنى فى الأفعال نجدها فى محاربة الإيمان وفى آية "يوسف" الأولى كان مجئ إخوته يبكون خداعا لأبيهم. وفى آية "يوسف" الثانية كان الدم الذى جاءوا به على قميصه دم زور وبهتان. وآية "الفرقان" تصف مجئ المشركين الطاغين فى القرآن بأنه "ظلم وزور"

۞ ((وأنا أريد أن أقول أن السبب هو أن المجيء هنا هو مجيء معنوى (سواءٌ كان خيراً أم شراً) وكان المجيء على خلاف الظاهر المادى المعلوم لكلمة جاءوا.. وتحليل ذلك كالآتى:

(أ) ﴿وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)﴾ هو مجيء معنوى؛ لأن السحر أمر معنوى.. فهو لم يقل: جاءوا بعصا أو بكذا من الأمور المادية المعلومة لنص المجيء.

(ب) ﴿وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ . فهم جاءوا بالبكاء ، وجاءوا بدم كَذب .. والمقصود فى المجيء بالكَذب (بكَاء كَذب) صفة البكاء المخادع والمضلل، وأيضاً وصف الدم ب(دم كذب) وصف معنوى(أو مجازى)؛ لأن الدم نفسه لا يكذب . وأعتقد أن النص لو قال: جاءوا (بدم فقط)أو (دم أحمر) لاختلف

رسم كلمة (جاءو) ولكتبت على الحقيقة بزيادة الألف(ألف الجمع) . وهذا هو معنى: أن المجىء جاء على خلاف الواقع – الذى نكمل به رأى الدكتور المطعنى ، وليتناسب مع المجىء بالخير فى قوله تعالى﴿وَالَّذِينَ جاءو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا .. (١٠)﴾الحشر. فهو مجىء معنوى على خلاف ظاهر المجىء المعهود.. سواء كان هذا المجى بالشر أو بالخير.

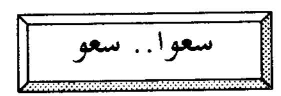
(ج) ﴿فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا (٤).﴾ . (ونفس هذا المعنى وهو المجىء المعنوى الذى على خلاف الظاهر المادى المعتاد لكلمة المجىء)؛ فهو لم يصف شكلهم وهيئتهم فى المجىء المادى المعلوم؛ راجلين أو راكبين أو بالعصا أو.. .. ولكن وصف مجيئهم بوصف معنوى غير الظاهر وهو(ظلماً وزوراً).

ويزيد د: مطعنى إشارة لطيفة منه وهى قوله: **إلا أن هذا الحذف فيه زيادة تركيز ولفت للأذهان الغافلة.(لأنه جاء على غير المعتاد)**

ومن هذا القبيل الأفعال الواردة فى الآيات الآتية:

سورة البقرة:﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآبِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) ﴾ فقد حذف "الألف" بعد واو الجماعة من الفعل "فاءو" لا لأن الفعل مذموم بل لمعنى آخر شريف هو الإشارة إلى "الفئ" القلبى، وهو الأساس فى إصلاح مابين الزوجين وليس المراد الفئ (أى الرجوع) الجسدى المادى؛ لأنه مع انعدام صفاء القلوب لا يعيد الوئام بين الزوجين .
وملمح آخر يرمز إليه هذا الحذف قد مر بنا نظائر له فى المقالات السابقة وهو سرعة رجوع الزوج إلى الصفح عن زوجته قبل انقضاء الأشهر الأربعة التى أذن الشرع فى هجره إياها.
ومن هذه الأفعال قوله تعالى: فى سورة سبأ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٥)﴾ حذف "الألف" بعد واو الجماعة من الفعل "سعو" زيادة توكيد لذم هذا الفعل وفاعليه لأنه سعى فى محادة الله ورسوله.

۞ ((وأنا أخالف أستاذنا العظيم فى هذا الرأى ؛ حيث أنه بعد التأمل المعتاد فى الآيتين المتشابهتين وفى سياق الآيات المجاورة فى السورتين(الحج ، وسبأ) لاحظنا أن هذين الرسمين لايخرجان عن هذه القاعدة التى سرنا عليها فى حديثنا السابق (السرعة والغيبى يحذف منه الألف والعكس بالعكس) دون تناقض أو اختلاف وبيان ذلك كالتالى:



(١) آية الحج:﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ

ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾

**١) هنا جاءت الآيات قبلها عن حديث (أرضى)؛ عن نصرة الله للمؤمنين ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ ..

**٢) المشهد الثانى هو دعوة للتأمل واتخاذ الوقت الطويل و(الإمهال).

**٣) وفى هذه السورة - الحج -: الحديث عن معارك أرضية، ودفع الله الناس بعضهم ببعض ، وعن مشاعر الحج. وليس عن علم الساعة (موعدها الغيبى عنا).. بل إنه إذا تحدث عن الساعة فهو يتحدث عن (الأحداث الفعلية) التى ستقع فى يوم القيامة ؛ قد أخبرنا عنها وأعلمنا بها، وليس الحديث عن الإستفسار عن موعد مجيئها الغيبى- كما فى سبأ-.

**٤) فى الآيات السابقة أيضاً يوجد فيها (ظل الإمهال والتأخير) وربما ليوم القيامة ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ - يوم القيامة-(٤٧).. وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا..﴾ (ثم) أخذها ،ولاحظ:(ثم) وهى حرف يفيد التراخى والمهلة.

**٥) ختام الآية يوحى أيضاً بتأخير العذاب إلى يوم القيامة ((وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١).أخَّر عذابهم إلى الجحيم وهو الآخرة، ولم يشر إلى العذاب الدنيوى العاجل أو بعضه.

بخلاف سورة سبأ حيث يقول ﴿ .وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ (مِّن) رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ فهو - فى سبأ- استعجال لهم بجزء (من) عذاب من "رجز" أليم ..

وهذا يذكرنا بفهم ابن عباس للآية القرآنية الشبيهة (ولنذيقنهم "من" العذاب الأدنى ..) حيث قال: والعذاب الأدنى هو ما قبل يوم القيامة (الدنيا وعذاب القبر) ولفظ (من) العذاب الأدنى جعله عذاب يوم بدر — أى دنيوى عاجل- وبقى لهم الجزء الآخر وهو عذاب القبر. وهنا (عذاب من رجز أليم : أى :عاجل فى الدنيا قبل يوم القيامة)

(٢) أما فى سورة سبأ — التى حذف منها الألف (سعو)- يقول ربنا فى الآيات قبلها:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) — أى: إحاطة علم الله- **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)**- أى: علم الساعة والغيب- **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ (٨)﴾**

هنا:

(١) الحديث قبلها عن الساعة (وهى فى السماء) وليس الحديث عن أحداث أرضية.

(٢) والحديث أيضاً عن علم الله المحيط (الواسع والغيبى).

(٣) والحديث ليس فيه جو الإمهال السابق الذى فى آيات الحج.

(٤) والعذاب معجل لهم قبل يوم القيامة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ،وهذا قد سبق أن بيناه .

(٥) ويقول: فى الآية بعدها ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ (٨)﴾ (هذا الضلال أيضاً دنيوى. ولذلك سيأتى بعدها بقصص دنيوية مثل: داود وسليمان وسبأ).

وملاحظة جو الإستهزاء والتحقير(أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ) يقابله حديث البشرى بالملك والسلطان الدنيوى العاجل لمحمد (ﷺ) الذى يتمثل فى التناسق المبهر مع نوع القصص القرآنى المعجزالذى قام بسرد قصة الأنبياء الملوك مثل داود وسليمان ..

وملاحظة أن جو الإستهزاء بالنبى (ﷺ) واتهامه بالجنون يستدعى سرعة التدخل -كما تعودنا — ويستدعى تسارع الأحداث والحذف من الحروف...

كل هذه الأمور (السرعة والغيبية) التى يناسبها حذف الألف من (سعو) فى آيـــة ســبأ. تختلف عن مشاهد الإمهال والأحداث الأرضية التى استدعت وجود الألف وإظهاره كما فى سورة الحج

وكذلك قوله عز وجل: فى سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)﴾ فى صدر هذه الآية حكى الله عز وجل جرائم الذين كفروا بلقاء الله ثم تعنتهم وعنادهم حيث جعلوا شـــرط الإيمان بالله واحدا من أمرين:

* أن يترل الله عليهم الملائكة يروهم رأى العين ويسمعوهم. * أو يرون الله عز وجـــل وتعالى عما يقولون، ثم قضى الله عليهم بأهم اغتالهم الغرور ورأوا انفــسهم كبـــارا لا يخضعون لنداء الحق وتجاوزوا كل مدى معهود فى البغى والعناد ، وجاء حذف "الألف" من الفعل "عتو" رمزًا على قبح هذا الفعل وشناعة إثم فاعليه وتفردهم فى الكفر والعناد.

۞ وأضيف رأى الإمام الزركشي وغيره حيث يقول: **وكذلك – أى حذف الألـــف– وعتوا عتوا كبيرا ، هذا عتو على الله لذلك وصفه بالكبر فهو باطل في الوجود**

(وأنا أرى ضرورة النظر فى قولنا (توكيد الفعل) حيث أن التوكيد هنا هو وضعه على صورة إضافة المصدر له هكذا(عتو عتوا) الذى أغنى عن وجود الألف فى (عتوا) .

..ويقول **الزمخشرى:** فإن قلت : ما معنى { فِى أَنفُسِهِمْ } ؟ قلت : معناه أهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوهم واعتقدوه . كمـــا قـــال : { إِن فِـــى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبالغيه }غافر : ٥٦ { وَعَتَوْا } وتجاوزوا الحدّ في الظلم . يقال : عتا علينا فلان . وقد وصف العتوّ بالكبير ، **فبالغ في إفراطه يعني أهم لم يَجْسروا على هذا القول العظيم ، إلا لأهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتوّ ،**

((إذن هو استكبار وعتو متأصل فى أنفسهم وليس فلتة عابرة، وهو عتو مبالغ فيه وعتواً كبيراً.. واكتفى بهذه الزيادات المؤكدة فى النص والمضافة و لم يحتج معها إلى زيادة الألف))

***وكذلك حذف "الألف" من الفعل المسند إلى واو الجماعة فى الآيات الآتية: فى سورة البقرة: ..﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ .. (٦١) ﴾.

وسورة البقرة:﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِـــنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ (٩٠) ﴾

وسورة آل عمران:﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ .. (١١٢) ﴾

فى هذه الآيات الثلاث حذف "الألف" بعد واو الجماعة.. هكذا: "باءو". وجاء هذا الحذف مرموزا به إلى ذم الفعل "باء" وذم فاعليه. ومما يؤكد هذا سياق الكلام فى الآيات الثلاث ؛ ففى آية البقرة رقم (٦١) جاء هذا الفعل فى سياق الحديث عن اليهود وجرائمهم الشنيعة التى اقترفوها مع أنبيائهم والمرسلين إليهم. فقد اعتدوا على أنبيائهم بالقتل وكفروا بآيات الله عز وجل مع مخاز أخرى أسندت إليهم فكان جزاؤهم "الوفاق" إحلال غضب الله فى الدنيا وسوء المصير فى الآخرة.

وفى آية البقرة الثانية رقم(٩٠) جاءت عبارة: (فباءو بغضب على غضب) بعد فصل طويل قصة القرآن عن بنى إسرائيل (اليهود) من اتباع اهوائهم ورفضهم الإذعان للحق وتكذيبهم وحى الله عز وجل، فجاء تسجيل الغضب عليهم جزاء لهم ، وحذف "الألف" من "باءو" إشارة إلى أنه فعل استحقه اليهود على كفرهم وإفسادهم فى الأرض وإشارة إلى أن اسباب هذا "البوء" بلغت من القبح والشناعة مبلغا غير معهود فى دنيا الناس.

أما آية آل عمران رقم (١١٢) فمقام الحديث فيها هو مقام الحديث فى آيتى البقرة الآنفتى الذكر وما يقال فى آية منهما يقال فى الآية الأخرى.

وينبغى أن نفرق بين الدقائق والأسرار التى من أجلها حذف "الألف" فى الأفعال التى تقدمت: "جاءو- فاءو- عتو" وبين أسرار حذف "الألف" فى "باءو".

فحذف "الألف" فى "باءو" ليس رمزا إلى ذم الفعل نفسه ولكن باعتبار الأسباب والجرائم التى صيرت بنى اسرائيل "اليهود" هذا المصير ، وذلك لأن هذا الفعل "باءو" مجازاة من الله لهم على عنادهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حق

۞ (**وأقول**: ربما جاءت هذه العانى من رسم الكلمة على خلاف المعهود — كما قلنا- أى على المعنى المجازى لكلمة "باء"، ولا أرى مانعاً من إعطاء الكلمة معنى سرعة الرجوع بغضب الله ، وسرعة غضب الله وانتقامه منهم... أو أن المبيء هو ميء معنوى ومجازى وليس مادى).

ويلخص الرازى هذا المعنى فيقول: أما قوله تعالى : { وَبَاءو } ففيه وجوه . أحدها : البوء الرجوع ، فقوله : { باءو } أي رجعوا وانصرفوا بذلك ولا يقال باء إلا بشر .

وثانيها : البوء التسوية . فقوله : { باءو } أي استوى عليهم غضب الله . قال الزجاج .

وثالثها : باؤ أي استحقوا ، ومنه قوله تعالى : { إِنّي أُرِيدُ أَن تَبُوء بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ }المائدة : ٢٩ أي تستحق الإثمين جميعاً .

(والمعنى المترادف من ذلك هو أنه رجوع معنوى – ومجازى- وليس مادى كالعودة بذواتهم وأجسامهم.. مثله مثل قوله { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة } فالمعنى – كما يقول الرازى: جعلت الذلة محيطة بهم حتى مشتملة عليهم، فهم فيها كمن يكون في القبة المضروبة أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط...

فهو ضرب معنوى ولو كانت الكلمة"ضربت" بها ألف لحذف الألف لهذا المعنى – والله أعلم-.

ومما حذف فيه "الألف" بعد واو الجماعة من الفعل المسند إلى هذه الواو موضعان آخران: الأول قوله تعالى: فى سورة الحشر: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾**

انظر إلى رسم الآية تجد الفعل "تبؤءوا" حذف منه الألف واستعيض عنه بهمزة رسمت على "الواو" تلتها همزة أخرى رسمت على السطر وفوقها ضمة وهى فى الرسم الإملائى الحديث ترسم هكذا: "تبوأوا". ثم حذف منها "الألف" بعد واو الجماعة الذى هو فاعل الفعل (تبوأ). والذى يعنينا هو "الألف" المحذوف بعد واو الجماعة وقد وجه العلماء هذا الحذف بأنه **رمز إلى أن التبؤ فى الآية معنوى لا حسى**؛ هو الاختيار القلبى ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

والتبؤ فى اللغة هو "التمكن" و"الاستقرار".هذا خلاصة ماقاله علماؤنا قديما والمقام يحتمل توجيها آخر حاصله أن مفعول التبؤ فى الآية أمران:

الأول: الدار وهو المدينة المنورة وإيقاع التبؤ عليها **بمعنى التمكن** فيها سائغ لأنها مكان والتمكن فى المكان حقيقة لغوية لا تحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر.

أما المفعول الثانى فهو **"الأيمان"** وهو معنى قلبى وليس مكانا حتى يكون صالحا للإقامة فيه مثل الدار.

إذا تمهد هذا فليس بمستنكر أن يكون حذف "الألف" هنا رمزا إلى هذه اللطيفة وهى أن الفعل "تبؤءو" استعمل فى "الدار" على وجه الحقيقة **واستعمل فى الإيمان على وجه التنزيل للدلالة على رسوخ الأنصار المتحدث عنهم فى هذه الآية فى الإيمان متمكنا فى قلوبهم كتمكنهم هم فى الدار "المدينة" التى يقطنون فيها**؛ يعنى: أن لهم مباءتين أو مأويين: المدينة دار إقامتهم ومثواهم آمنين فيها، والإيمان الذى يحقق لهم أمنهم فى الدنيا وأمنهم فى الآخرة.

وهذا الفهم لا يتنافى مع ما ألمح إليه علماؤنا من قبل. وقد أشار إلى قريب مما فهمناه بعض أئمة التفسير والتمس له شاهدا من الشعر العربى المأثور.

هذا وقد سبق فى الحلقات السابقة- مرات- أن الحذف- عموما- قد يأتى رمزا إلى المعانى الغيبية غير المحسوسة وحمل التبؤ على الاختيار يجعله من الأمور الغيبية التى رُمز إليها بحذف "الألف" هنا

❁ ((وأقول : أنه لمن الممتع أن نسمع رأى الإمام الرازى فى ذلك المعنى وهو: فإن قيل: في الآية سؤالان أحدهما : أنه لا يقال : تبوأ الإيمان والثاني : بتقدير أن يقال : ذلك لكن الأنصار ما تبوءوا الإيمان قبل المهاجرين؟. والجواب عن الأول من وجوه أحدها : تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله : ولقد رأيتك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحاً
وثانيها : جعلوا الإيمان مستقراً ووطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه ، كما أنهم لما سألوا سلمان عن نسبه فقال : أنا ابن الإسلام وثالثها : أنه سمى المدينة بالإيمان ، لأن فيها ظهر الإيمان وقوي .

والجواب : عن السؤال الثاني من وجهين الأول : أن الكلام على التقديم والتأخير ، والتقدير : والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان . والثاني : أنه على تقدير حذف المضاف والتقدير : تبوءوا الدار والإيمان من قبل هجرتهم..
((وعلى هذا الشرح السابق يتبين أن هذا التبوء للإيمان هو تبوء مجازى أو معنوى))

ونعود لحديث د: مطعني:وبقى موضع تحسن الإشارة إليه وهو قوله تعالى: فى سورة النساء:﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

فالفعل "يعفو" حذف منه "الألف" بعد الواو الأصلية؛ والأصل أن تثبت هكذا: يعفوا، مع أن هذا الألف مزيد فى الأصل لمعنى تقدم الحديث عنه فى مبحث زيادة "الألف" .

وفى توجيه حذف "الألف" هنا قالوا: إن هذا الحذف رمز إلى أن عفو الله تعالى وهو ترك المؤاخذة عما لا ينبغى أن يكون، وقد كان ، هو أمر غيبى لايدرك بالحواس. هذا ماقالوه.

وفى المسألة توجيه آخر ذكروه فى بعض مواضع الحذف فيما تقدم وإن لم يذكروه هنا وهو: إن هذا الحذف قد يكون مؤذنا بالإشارة إلى تحقق الوعد من الله وسرعته وهو العفو عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

❁ **وهنا نقوم بمناقشة هذا الرأى من أقوال المفسرين ليكون إضافة لرأى الكاتب هكذا:**

يعفوا

(١) ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (٢٣٧)﴾ البقرة

(٢)*﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)﴾ النساء .. ويؤكد على العفو

(٣)﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)﴾ . التغابن

(٤) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)﴾ المائدة.. ويقول أبو السعود: وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ } أي ولا يُظهر كثيراً مما تخفونه ، إذا لم تدعُ إليه داعيةٌ دينية صيانةً لكم عن زيادة الافتضاح كما يُفصحُ عنه التعبير عن عدم الإظهار بالعفو ، وفيه حثٌ لهم على عدم الإخفاء ترغيباً وترهيباً ، .. وقيل : يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه ((تأكيداً على عفو محمد (ﷺ) عنهم.. وهذا معلوم لايحتاج إلى نقاش فيه))

(٥) ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) ... وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾ .. الشورى

(٦) ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)﴾ وَلْيَعْفُواعن ذنب حدث ويؤكد على العفو

(٧) ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾ التوبة. ولكنها هنا مجذومة بأداة الشرط

(٨)﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤)﴾ الشورى . ولكنها هنا مجذومة وتبقى الآية التى حذف منها الألف ولها وقفة وهى :

(٩)**﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)﴾ النساء

*** إذن جميعها بالألف ماعدا آية النساء ٩٩ هذه التى تتحدث عن حالة معينة:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

يقول الزمخشري: { توفاهم } يجوز أن يكون ماضياً كقراءة من قرأ : «توفتهم» . ومضارعاً بمعنى تتوفاهم ، ..فإن قلت : لم قيل { عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ } بكلمة الإطماع؟ قلت : للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه ، حتى أن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني ، فكيف بغيره ...((وهنا يتبين السبب فى حذف الألف لضيق مساحة العفو وتضييق دائرة الأعذار)

ويقول أبو السعود: وأما إن أريد بهم الأطفالُ فللمبالغة في أمر الهجرة والإيذان بأنها بحيث لو استطاعها غيرُ المكلّفين لوجبت علهم ، والإشعارِ بأنهم لا محيصَ لهم عنها البتةَ تجب عليهم (إذا) بلغوا ، حتى كأنها واجبةٌ عليهم قبل البلوغِ لو استطاعوا أن يهاجروا بهم متى أمكنت.. { عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ } جيء بكلمة الإطماعِ ولفظ العفوِ إيذاناً بأن الهجرةَ من تأكُّد الوجوب بحيث ينبغي أن يُعدَّ تركُها ممن تحقق عدمُ وجوبِها عليه ذنباً يجب طلبُ العفوِ عنه رجاءً وطمعاً لا جزماً وقطعاً { وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً } تذييلٌ مقررٌ لما قبله .

ويقول الطاهر: وفعل { عسى } في قوله : { فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم } يقتضي أنّ الله يرجو أن يعفو عنهم ، وإذْ كان الله هو فاعل العفو وهو عالم بأنّه يعفو عنهم أو عن بعضهم بالتعيين تعيّن أن يكون معنى الرجاء المستفاد من { عسى } هنا معنى مجازياً بأنّ عفوه عن ذنبهم عفوٌ عزيز المنال ، فمُثّل حال العفو عنهم بحال من لا يُقطع بحصول العفو عنه ، والمقصود من ذلك تضييق تحقق عذرهم ، لئلاّ يتساهلوا في شروطه اعتماداً على عفو الله ، فإنّ عذر الله لهم باستضعافهم رخصة وتوسعة من الله تعالى ، لأنّ البقاء على إظهار الشرك أمر عظيم ، وكان الواجب العزيمةُ أن يكلّفوا بإعلان الإيمان بين ظهراني المشركين ولو جلب لهم التعذيب والهلاك ، كما فعلت سُمَيَّة أمُّ عمّار بن ياسر .

وقال الألوسي: { فَأُوْلَئِكَ } أي المستضعفون { عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ } فيه إيذان بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى أن المضطر الذي تحقق عدم وجوبها عليه ينبغي أن يعد تركها ذنباً ، ولا يأمن ، ويترصد الفرصة ويعلق قلبه بها .{ وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً } تذييل مقرر لما قبله بأتم وجه .

ويقول الرازى: ثم قال تعالى : { فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ } وفيه سؤال ، وهو أن القوم لما كانوا عاجزين عن الهجرة ، والعاجز عن الشيء غير مكلف به ، وإذا لم يكن

مكلفاً به لم يكن عليه في تركه عقوبة ، فلم قال : { عَسَى اللهُ أن يَعْفُوَ عَنْهُمْ } والعفو لا يتصور إلا مع الذنب ، وأيضاً { عَسَى } كلمة الإطماع ، وهذا يقتضي عـدم القطـع حصول العفو في حقهم .

والجواب عن الأول : أن المستضعف قد يكون قادراً على ذلك الشيء مع ضرب من المشقة ، وتمييز الضعف الذي يحصل عنده الرخصة عن الحد الذي لا يحصل عنده الرخصة شاق ومشتبه ، فربما ظن الإنسان بنفسه أنه عاجز عن المهاجرة ولا يكون كـذلك ، ولا سيما في الهجرة عن الوطن فإنها شاقة على النفس ، وبسبب شدة النفرة قد يظن الإنسان كونه عاجزاً مع أنه لا يكون كذلك ، ، فلهذا المعنى كانت الحاجة إلى العفو شـديدة في هذا المقام .

۞ معنى ذلك الكلام أنه حذف حرف الألف من (يعفو) إشارة إلى عدم التأكيد على العفو وخاصة ما سمعناه عن الحديث عن مفاد كلمة (عسى) هنا..وعدم إطمـاعهم فى التأكيد على هذا العفو لعدم خلق الأعذار التى لاتتضح لأى أحد بسهولة وممكن التلبيس عليه فيها.وهذه لفتة خطيرة بثتها رسم الكلمة (بدون ألف) على هذه الصورة المخالفـة للصورة المعتادة وذلك للتوقف على هذا الموقف الغير معتاد أيضاً

ولعلنى ألمح قصد المعنيين فى هذا الرسم وهما : ملمح سرعة العفو على المستضعفين بعـذر محقق منهم دون شائبة من حظ النفس فى التقاعد عن الهجرة ، والملمح الآخر فى التشديد على هؤلاء الذين لم يكن لهم عذر محقق ، وترك الطرفان على حافة الرجاء لأن صـدق العذر أو تحقيقه لايكون علمه إلا عند الله ولا يعلمه أحد غيره – لأنـه أمـر بـاطنى – وتركهم على (رجاء) لحين علمهم العفو من الله . كما أننى أرى ملمحاً آخر فى ختـام الآية وهو: وكان الله عفواً غفورا.. فهو لم يقدم المغفرة أولاً كباقى آيات العفو والغفران (غفوراً رحيماً) ولكنه قدم العفو قبل المغفرة لتبيان المبالغة فى المسامحة لمن تحقق عذره دون خداع منه لنفسه أو غيره – وبدون معصية–، وأن علم ذلك عند الله فى هـذا الموقـف الغامض فى حقيقته.. وقد تتبعت الآيات التى قدم فيها العفو على المغفرة فوجدت فيهـا شاهداً على ما قلناه كما يلى:

الآية الأولى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَـا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)﴾

يقول أبوالسعود: { إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً } تعليلٌ للترخيص والتيسيرِ وتقريرٌ لهما فإن مَنْ عادتُه المستمرَّةُ أن يعفوَ عن الخاطئين ويغفرَ للمذنبين لا بد أن يكون ميسِّراً لا معسراً، وقيل : هو كنايةٌ عنهما فإن الترفيهَ والمسامحةَ من روادف العفوِ وتوابعِ الغُفران .

وزاد الألوسى: وقيل : العفو هنا بمعنى «التيسير» .. واستدل على وروده بهذا المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم : " عفوت لكم صدقة الخيل والرقيق " وذكر المغفرة للدلالة على أنه غفر (ذنب) المصلين سكارى ، ..(أى العفو لغير ذنب سابق – وفيه معنى التيسير والمسامحة – والمغفرة عن ذنب سابق)

ويقول الطاهر: وقوله : { إن الله كان عفواً غفوراً } تذييل لحكم الرخصة إذ عفا عن المسلمين فلم يكلّفهم الغسل أو الوضوء عند المرض ، ولا ترقّبَ وجود الماء عند عدمه ، حتّى تكثر عليهم الصلوات فيعسر عليهم القضاء .

(وكل هذه المعانى تجعلنا نميل إلى رأينا الذى ذكرناه فى فى سرعة عفو الله عز وجل لمن تحقق عذره الذى لايعلم حقيقته إلا الله وربما لايعلمه هذا الذى تخلف عن الهجرة ويظن أنه تحقق له العذر – بحسن نية ولكنه قصر فى تحقيق العذر– وهو فى الحقيقة كان مقصراً وهو لايعلم ولهذا السبب جعل العفو عنهم أولاً ومقدماً على المغفرة، وجعل العفو عنهم غير محققاً (عسى الله ....) وجعلهم على رجاء لأنه أمر غير متيقن علمه منهم – كما ذكرنا–.. وهذا الرأى يتمشى مع قول علماء التفسير الذى ذكرناه ({ إن الله كان عفوا غفورا } وهو كناية عن الترخيص ، والتيسير ، لأن من كان من عادته أن يعفو عن المذنبين ، فبأن يرخص للعاجزين كان أولى، ولكن زاد عليه قوله تعالى (عسى..) للأسباب التى ذكرناها وذكرها العلماء

أما الآية الثانية:﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)﴾ النساء **(فهو هنا أيضاً لم يذكر ذنباً ولذلك فلم يقدم المغفرةَ وقدم العفو)**

***هذه هى المواضع التى حذف الألف من أواخر الأفعال أما ما عداها مما شابهها فقد وردت كلها مثبتة "الألف" وقد أورد أبو عمرو الدانى جملة منها فى أحد مصنفاته فى علوم القرآن(٨).

حذف الألف (= نقص الألف) (٢)

تحدثنا فى المقال السابق (الرابع عشر) عن بعض كلمات فى رسم المصحف الشريف حذف منها الألف وأشرنا إلى المعانى والأسرار اللطيفة التى تكمن وراء ذلك الحذف ، وقد ذكرنا فى بعضها كلمات تقابل الكلمات التى حذف منها الألف جاء الألف فيها

مثبتا غير محذوف مثل: "بسم الله" و"باسم ربك" حيث حذف الألف من الأولى "بسم الله" و لم يحذف مع الثانية "باسم ربك" وبيننا مقتضى الحذف ومقتضى الإثبات موضحين مادل عليه الحذف من دقائق ولطائف.

وكان الهدف من هذه المقارنة بين موضعي الحذف والإثبات ، هو توكيد أن ما فى الرسم العثمانى من خصوصيات تخالف الرسم القياسى الحديث، ليس عاريا من الدلالة ، ولا هو مجلوب لغير معنى ، ولا وليد سهو أو عبث ، أو لأن كتبة الوحى كانوا ضعفاء فى معرفة قواعد الخط كما قال ذلك بعض السابقين(مقدمة ابن خلدون).

ونورد فى هذه المقالة شواهد أخرى لحذف الألف فى مفردات القرآن مع بيان المعانى اللطيفة التى يرمز إليها حذف الألف فى لغة القرآن ، وشواهد هذا الحذف لا تكاد تحصى، وتتبعها كلها غير ميسور ، فلنكتف بما تيسر منها:

ففى سورة الفاتحة "أم الكتاب" حذف الألف من ثلاث كلمات هى: "ٱلرَّحْمَٰنِ- مَٰلِكِ- ٱلصِّرَٰط" والأصل فى هذه الكلمات أن تكتب هكذا: "الرحمان- مالك- الصراط" فلماذا عُدل عن اثبات الألف إلى حذفها؟

لقد وجه بعض العلماء (علماء علوم القرآن) وعلماء القراءات الحذف فى "الرحمن" و"ملك" وهانحن نوجز مايفهم من كلامهم:

أما "الرحمن" فوجهوا حذف "الألف" فيه بأن رحمة الله ندركها بآثارها الظاهرة ولا نحيط بها علما كما هى فى علم الله ، بل نؤمن بها إيمانا مفوضين علم حقيقتها إلى الله لا على ما يرتسم فى نفوسنا بالوهم والخيال "لأنه لا يعلم الله إلا الله".

۞ ((أقول مقرباً : ربما يقصد أن حقيقة الرحمة من الله تختلف عن تصورنا لها ونحن لا نستطيع أن نقف على كنهها.. ولكننى لا أؤيد هذا الرأى حيث أن ذلك المعنى ينطبق على كل صفات الله وأفعاله مثل الجبار والقهار والغفار والستارو....)

۞ (**وأضيف ملاحظات على إسم الرحمن**) وهى:

أولاً: قيل أن (الرحمن) **إسم خاص لله تعالى ولايثنى ولا يجمع** لأنه لايكون إلا لله عز وجل،، أما الرحيم فهو نعت وجمعه رحماء.. يقال رجل رحيم ، ولا يقال : رحمن.. (هذا المعنى نقله د: أحمد عبد المجيد خليفه فى كتابه(نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقى)

ثانياً : الرحمة لها طرفان (رحمن) و (رحيم) .. وحين يكون للكلمة معنيان يفرق القرآن بينهما برسم الكلمة (وهذه ملاحظة هامة جداً لفهم طبيعة الرسم العثمانى)

والمعنى الذى شرحناه من نقول العلماء: أن (رحمـــــن) هى صفة (إمـــتلاء) بالرحمـــة ، و (رحيم) صفة دوام واستمرار للرحمة (راجع جرس الكلمة حال النطق بها — أيضا_ فإنها تعطيك نفس المعنى) ... فأنت حينما تنطق بكلمة (رحمـــــن) تجد أنك تأخذ — فى حال المد بها — شهيقاً عميقاً يملأ الصدر دون زفير - وهو نفس المعنى المعجمى لهـــا - وهـــو (الإمتلاء) بالرحمة — ولك أن تتخيل فى حال رسم كلمـــة هـــذه الـــصفة — الإمـــتلاء والتجويف العميق بالشهيق- وليس بالزفير الذى فيه طرد وإخراج— وهـــذا التجويـــف العميق بصورته يناسبه حذف الألف ((وهذا ملحظ هام جداً سيُكرر فى شواهد كثيرة))

ثالثاً : حديث القرآن الذى يشير إلى هذه المعانى ويشرحها فى قوله (ورحمتى وســعت كل شىء) فهذا يعطى معنى العموم الذى أشار إليه د: مطعنى من قبل.

لكل هذه المعانى استحق حذف الألف .

رابعاً: معنى الرحمة من الله لنا هو: أن لايكلفنا ما لا نطيق .. وأن يعفو ويغفر ويـــصفح ويتنازل عن حقه ولا يعاقب.. وهكذا ترى أنها صفات لله عز وجل من الجانب السلبى— أى التى فيها عدم الفعل - وليس الإيجابى..

بخلاف الصفات الإيجابية - التى فيها صفة الفعل - وتكتب بالألف الظاهرة.. وهذا مطرد فى الرسم القرآنى فى أسماء الأفعال السلبية والتى يحذف منها الألف ، والإيجابية - التى فيها صورة الفعل — ويظهر فيها الألف ولو اشتركا فى نفس الحـــروف (مثـــل : باســـط ، بـــــسط) وغيرها،

ومن صفات الله عز وجل أيضاً التى تسير على هذا المعنى — كمثال — هى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾وواضح أن صفة(ٱلْجَلَٰلِ) هى صفةُ عظمةٍ للـــذات وليس فيها صفة الفعل — فحذف منها الألف-.. بخلاف (الإكرام) التى فيها صفة الفعل (الكرم والعطاء)- فأظهر فيها الألف

*** وأما ﴿ (مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) ﴾ فقد حذف منها الألف رمزا إلى أن فيها قراءتين: فقرأ عاصم والكسائى ويعقوب وخلف "مالك" بإثبات الألف بعد الميم على أنه اسم فاعل من "ملك" والمالك هو المتصرف فى الأعيان كيف يشاء. وقرأ الباقون "ملك" بحذف الألـــف وكسر اللام بعد الميم والكاف على وزن "حَذِر" على أنه صيغة مبالغة.

وأما "الصراط" فلم يوجهوا الحذف فيه صراحة ونقول حملا له على مـــا ذكـــروه مـــن توجيهات فى نظائره: إن الحذف هنا للدلالة على أنه صراط معنوى - وهو الإسلام - لا مادى .

الأسماء الأعجمية

ومن المواطن التى شاع فيها أو كاد أن يطرد حذف "الألف" - فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف- الأسماء الأعجمية غير العربية مثل الأسماء الآتيه: إبراهيم إسماعيل اسحق هاروت ماروت وهارون وسليمان وقارون وهامان وميكال وإسرائيل ولقمان؛ كل هذه الأعلام غير العربية رسمت فى المصحف الشريف محذوفا منها "الألف" هكذا: إبرهيم، إسمعيل، اسحق، هروت، مروت، هرون، سليمن، قرون، همن، ميكل، إسرءيل، لقمن.

ويلاحظ أن هامان حذف فيه "الألف" مرتين: مرة بعد "الهاء" وأخرى بعد "الميم" هذا هو المتبع فى الأعجميات إلا "طالوت- جالوت- التابوت" فقد أثبت فيها "الألف"، وكذلك "يأجوج- مأجوج- داود".

وقد وجهوا إثبات "الألف" فى "داود" لأنه حذف منه أصل الواوين بعد "الألف" فكرهوا اجتماع حذفين فيه ولو اجتمع الحذفان لصار "دوود".

وقد يقول قائل إنهم حذفوا من "هامان" حذفين فلماذا كرهوا ذلك فى "داود" ؟

لم نر لبعض العلماء توجيها لهذا لكن يبدو أنهم فرقوا بين "همن" و"داود" بأن"همن" كان الحذف فيه لحرف واحد هو "الألف" أما "داود" فإن الحذف كان سيعترى حرفين هما "الألف" و"الواو" ، وفى هذا إجحاف بحذف أصليين من أصول الكلمة.

أما عدم الحذف فى "يأجوج ومأجوج" فيبدو- كذلك- أنهم فرقوا بين "الألف" الذى هو حرف "مد" ولين وبين "الهمزة" ، وهو أقوى وأظهر وجودا فى النطق والخط من "الألف" التى هى حركة صوتية ناتجة عن فتح ما قبلها وامتداد لتلك الفتحة.

أما "طالوت- جالوت- تابوت" فلم أر من وجه اثبات "الألف" فيها مع أنها أعلام أعجمية لا عربية سبيلها سبيل غيرها من الأعجميات فى حذف "الألف" ، لذلك فإن اثبات "الألف" فيها تثير هذا السؤال: لماذا لم تحذف "الألف" فى هذه الكلمات الثلاث ؟.

وفى الحقيقة فإنى لم أجد إجابة عند العلماء على هذا السؤال لكن الذى بدا لى فيه بقوة أن هذه الكلمات أشبه ما تكون بكلمات عربية، لأن تحريرها من المقطع الأخير فيها يسفر عن كلمة عربية أصلية هكذا: طال- جال- تاب ، وذلك بعد حذف القطع "وت"(٦).

فهل- ياترى- كان هذا هو السبب فى تركهم حذف "الألف" فيها؟

من جانبى أرجح هذا فإن أصبت فمن الله وإن كانت الأخرى فمنى وفوق كل ذى علم عليم. وأيا كان الشأن فإن حذف "الألف" من الأعلام غير العربية فى رسم المصحف رمزوا به إلى الدلالة على أعجمية هذه الأعلام ولن يحذفوه عبثا أو جهلا بقواعد الخط.

۞ (وهنا أشير إلى أن لنا وقفة خاصة مع (جالوت) وسبب الكتابة على رسمين)
وبعض العلماء أشار إلى أن "سليمان" ليس أعجميا ثم التمس وجها لحذف "الألف" منه ومن صالح ومالك وخالد هو كثرة الاستعمال(٧).

۞ **(وبقى توجيه كلمة (إِبْرَٰهِـۧمَ) فى البقرة فقط ، وفى غير البقرة بالياء هكذا (إِبْرَٰهِيمَ).. وسنعود إليه على الصفحات القادمة إن شاء الله)**

ومن الكلمات الأعجمية التى ثبت فيها "الألف" و لم يحذف كلمة "إلياس" الواردة فى قوله تعالى: فى سورة الصافات:﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾ . وقد عدلوا عن توجيه إثبات الألف فيه. والذى يتبادر إلى الفهم أنهم لم يحذفوا منه "الألف" لأن فى حذفه إنهاكا فى بنية الكلمة بكثرة الحذف منها لأن "إلياس" هذا هو "إل ياسين" فى قوله تعالى: فى سورة الصافات: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠)﴾ ولو كانوا قد حذفوا منه "الألف" لصار المحذوف منه ثلاثة أحرف هى: الألف- الياء- النون ، وكلها أحرف يغاير بعضها بعضا ، وهذا يشير إلى أنهم **يميلون إلى حذف الحروف المتماثلة غير المتخالفة؛** فقد رأينا أنهم حذفوا "الألفين" من "هامان" هكذا: "همن" وهكذا صنعوا فى "طه" والأصل: "طاها" ، فحذفوا منه الألفين لأنهما متماثلان ، وفى هذا إيماء إلى المنهج الدقيق الذى روعى فى كتابة المصحف الشريف فى عصر النبوة لأول مرة واعتمدته الأمة، ونص الأئمة الأعلام على منع كتابة المصحف بغير الرسم الذى كتب به فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم . ثم جُمع بعد ذلك فى المصحف الإمام فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه(٨)

۞۞۞۞۞

النداء

كثر النداء فى القرآن الكريم بـ"أيها" بإثبات "الألف" بعد "الهاء" وذلك مثل الآيات الآتية: فى سورة البقرة:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا (١٠٤)﴾
وسورة آل عمران:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ (١٠٠)﴾
وسورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ..(٤٣)﴾
وسورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ .. (١) ﴾
وكذلك ورد مع غير الذين آمنوا مثل: سورة البقرة:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا .. (١٦٨)﴾ وقد بلغت هذه الصيغة الندائية أكثر من مائة موضع، وهى مثبت فيها "الألف" ، إلا فى ثلاثة مواضع ترى "الألف" محذوفا فيها ، وهى على الترتيب المصحفى على النسق الآتى:

الموضع الأول:﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ النور

الموضع الثانى:سورة الزخرف: ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ (٤٩) ﴾

الموضع الثالث:سورة الرحمن: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١)﴾

ويرد على هذا سؤال لحوح: لماذا أثبت "الألف" فى رسم المصحف الشريف فى جميع ما ورد فيه من "ياأيها" ، وحذف من هذه المواضع الثلاثة: فى النور وفى الزخرف وفى الرحمن؟

إنه لمن المحال أن يكون هذا التصرف لغير حكمة أو لغير معنى مراد أو لغير مقتضى اقتضاه. إذن فما الذى اقتضى الحذف فى هذه الآيات يا ترى؟

رحم الله علماءنا خدمة كتاب الله عز وجل فأجابوا على هذا السؤال إجابة صائبة يعاضد صواها المقام أو السياق الذى ورد فيه هذا الحذف فى الآيات الثلاث وإليكم **البيان:**

ذكروا فى توجيه هذا الحذف فى المواضع الثلاثة عبارة جامعة قالوا فيها: "والسر فى سقوطها- يعنى الألف- فى هذه الثلاثة **الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها غاية فى الفهم يمتد النداء إليها**.."- فلا يوجد فى نهاية الكلمة (مد).

وتفصيل ذلك هو مايأتى: أن النداء فى (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) فإن النداء فيه موجه إلى "المؤمنون" جميعا بأن يحصلوا التوبة التى يترتب عليها الفلاح وليس بعد تحقيق هذه القيم غاية تتطلب نداء.

وأن النداء فى "يأيه الساحر"، والمراد منه رسول الله موسى عليه السلام ، ليدعو الله بما عهد عنده من الوعد الحسن لعباده المهتدين ، وترتيب هدايتهم على هذا النداء ، غاية قصوى لا تترك نداء لما هو فوق منها .

وأن النداء من الله عز وجل يوم القيامة للإنس والجن لا يترك مجالا آخر لنداء غيرهم لأن الإنس والجن هم المكلفون.

هذه هى إجابة علمائنا الأقربين (خدمة كتاب الله العزيز) فى كشف اللثام عن السر اللطيف وراء حذف "الألف" بعد "الهاء" من الصيغة الندائية الكثيرة الورود فى القرآن "ياأيها" .

وفى هذه الإجابة كفاية وشفاء ، وتطبيق قاعدتها على مقام الحديث فى الآيات الثلاث يؤازر ما قالوه- رحمهم الله-

۞وهنا نقف لنحاول أن نتلمس أسراراً أخرى وراء هذا الحذف

يا أيها

أيه المؤمنون (النور)... يا أيه الساحر .. أيه الثقلان

(١) ﴿مَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾الزخرف

الزمخشرى: وقرىء «يا أيه الساحر» بضم الهاء ،...وقيل : كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر : { بِمَا عَهِدَ عِندَكَ } بعهده عندك : من أن دعوتك مستجابة . أو بعهده عندك وهو النبوّة . أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة. أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى .

السمرقندى: { وَقَالُواْ يأَيُّهَا الساحر } وكان الساحر فيهم ، عظيم الشأن يعني : قالوا لموسى : يا أيها العالم

الثعالبى: وقالوا لما عاينوا العذاب لموسى : { ياأيها الساحر } [أي] : العَالِمُ ، وإنَّما قالوا هذا على جهة التعظيم والتوقير؛ لأنَّ عِلْمَ السحر عندهم كان علماً عظيماً ، وقيل : إنَّما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء ، والأَوَّلُ أرجَحُ ،

ويقول الطاهر: والمعنى : ولما أخذناهم بالعذاب على يد موسى سألوه أن يدعو الله بكشف العذاب عنهم . ومخاطبتهم موسى بوصف الساحر مخاطبة تعظيم تزلفاً إليه لأن الساحر عندهم كان هو العالم وكانت علوم علمائهم سِحرية ، أي ذات أسباب خفية لا يعرفها غيرهم وغيرُ أتباعهم ..وكان السحر بأيدي الكهنة ومن مَظاهره تحنيط الموتى الذي بقيت به جثث الأموات سالمة من البِلى و لم يطلع أحد بعدهم على كيفية صنعه .

وقرأ الجمهور { باأيه الساحر } بدون ألف بعد الهاء في الوصل وهو ظاهر ، وفي الوقف أي بفتحة دون ألف وهو غير قياسي لكن القراءة رواية .

من هنا يتضح أن ذهاهم لموسى وندائهم له كان على وجه السرعة والإستنجاد السريع به وخاصة بعد قوله: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾...فهو موقف سرعة وتزلف منهم لموسى ووصفه بصفة العلم وتوقيرهم له ب(أيها).. وكل ذلك (لمصلحتهم فى طلب رفع العذاب عنهم .. وبسرعة)

وأقول أيضاً: لاحظ: «يـأيهُ الساحر» نداء للقرب والزلفى والتملق ، بخلاف حكايته عنهم فى قولهم للنبى محمد(ﷺ)﴿ يـأَيُّها الذى نُزّلَ عَلَيْهِ الذكر إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ فإنه نداء للبعد والإستبعاد والتهكم وفيه الهدوء وليس السرعة))..

(٢) أما الآية الثانية فقد وردت فى سياق هام وخطير جداً وفى مناسبة عصيبة فى سياق آيات سورة النور وحادثة الإفك ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ .. هنا يلاحظ : النداء العاجل فى نبرة السياق وخاصة بعد الحديث عن العفة.. ((**وَتُوبُوا**)) **إِلَى اللَّهِ** ((**جَمِيعًا**)).. وخاصة فى سياق السورة الملتهبة بأخطر قضية (حادثة الإفك) التى كانت نذير رهيب بهدم المجتمع ، ويحتاج الأمر سرعة إرساء قواعد العفة **والتوبة السريعة** . ولاحظ تقديم النداء بالتوبة على يا أيها(أى قال: وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون) .. فلم يقل (بأيها الذين آمنوا توبوا).. والتى تعطى ملمح البطء فى التوبة .. أما تقديمها فهو للإعتناء بالتوبة والسرعة فى طلبها؛ فالأمر لايحتمل تأجيل أو تهاون بعد ما حدث ، وخاصة فى معرض الحديث عن أخطر قضية هزت المجتمع الإسلامى كله وكادت تقضى على الدين كله.... ويقول الطاهر: ووقع التفات من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطاب الأمة لأن هذا تذكير بواجب التوبة المقررة من قبل وليس استئناف تشريع .

(وأقول: ومن هنا نلحظ ملمح السرعة والأهمية فى ملفت الإلتفات أيضاً)

(إذن هو نداء للسرعة والقرب يناسبه حذف الألف إضافة إلى توجيه الزركشى السابق)

(٣)﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ . الزمخشرى: { سَنَفْرُغُ لَكُمْ } مستعار من قول الرجل لمن يتهدده : سأفرغ لك ، يريد : سأتجرّد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنك ، حتى لا يكون لي شغل سواه ، والمراد : التوفر على النكاية فيه والانتقام منه (((**(وهذا يعنى سرعة الانتقام وأن الانتقام وصل إلى غاية ما بعدها غاية**))))،

((وربما نقول أن النص يقصد السرعة فى إنهاء الكلام المناسب أيضاً مع جو التهديد الملاحظ .. وهذا بخلاف قول موسى الذى يريد الإطالة والأنس مع الله **(قال هى عصاى** أتوكؤا)... ولاحظ النطق بكلمة (أتوكؤا)- بالفتحات المتوالية على الألف والواو والكاف - وحاول استبدالها بكلمة أخرى مثل (أعتمد ، أو أرتكز عليها) تجد البطء

والتباطؤ المتعمد واضحاً فى حال النطق بكلمة (أتوكؤا) بفتحاتها المتوالية التى تجعل من الكلمة الواحدة عدة كلمات متوالية... ولاحظ قول فرعون: ياأيها الملأ....وغيرها ليس فيها ملحظ السرعة هذه.

إذن – بعد كل ماسبق يتضح أن الحذف لملمح السرعة ، وطى الحديث على عجل ؛ إما للتوبة السريعة او للإستنجاد السريع بالمنادى أو بالتهديد العنيف والسريع ((سنفرغ لكم أيه)) .. وكل هذا يناسبه عدم الإطالة التى يحدثها وجود الألف والتى تعنى الهدوء الذى يناسب جميع الآيات الذكورة سابقاً ؛ من الدعوة إلى التشريع والأمور التشريعية وتقوى الله – التى هى على المدى البعيد وليس على وجه السرعة– .

يبنؤم

(١)﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ طه.

(٢)﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) ﴾الأعراف

نلاحظ فى أن النصوص فى سورة الأعراف تصور الحدث سريعا وعنيفاً (..غَضْبَانَ أَسِفًا.. وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ...) بخلاف المشهد الهادىء فى سورة "طه" الذى يناسب هدوء السورة ولينها ولين حروفها، الذى يختلف عن سياق سورة الأعراف ، ولعله – فى سورة طه –كان فى البداية قبل ارتفاع سورة الغضب – التى يقول قبلها:﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَبْنَؤُمَّ...﴾ (ففى آية طه) هو نص هادىء ولذلك جاء قبلها بحرف النداء (يــــا).. ثم جمع كلمة (بْنؤُمَّ) – دون تفرقة لحروفها – ليذكره بالرحم الواحد الذى جمعهما و(الصلة) والرابطة القوية بينهما (التى عبر عنها الرسم بوصل وربط الحروف ببعضها) ..

ولكن لما زاد موسى حدةً على أخيه – فى آيات الأعراف– وأخذ برأسه يجره إليه وألقى الألواح .... هنا كان رد هارون سريعاً وصارخاً فقام بإلغاء وحذف حرف النداء (وقال ابن أم) .. ثم (زادت) نبرة وحدة الصوت منه – كما هو متخيل – فقطَّع كلمة يَبْنَؤُمَّ .. وجعلها(ابْنَ أُمَّ) التى تصور المشهد العالى النبرة المتوقف والمظهر والصارخ بكل حرف من حروف الكلمة..وخاصة وأنت تنطق كلمة أم" جاهراً بحرف الألف الذى هو حرف

الشدة والجهر وبادئاً به ، وهى متفرقة الحروف (ابْنَ أُمَّ) وأنت تقرأ حرف النون وهو مفتوح قبل ألف كلمة "أم".، وحاولها على الوجه الآخر المتجمع فى سورة "طه" لترى الفارق.

وبعد أن كتبت هذا الحديث اطلعت على ما قاله الإمام الزركشي ووجدته قد عكس النداءين- وربما يكون على صواب- فقال: ومن ذلك "ابن أم" في الأعراف مفصول على الأصل،وفى طه روى موصول لسر لطيف وهو: أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه فناداه من قرب على الأصل الظاهر في الوجود ، ولما تمادى ناداه بحرف النداء ينبهه لبعده عنه في الحال لا في المكان،مؤكدا لوصلة الرحم بينهما بالربط(ينؤمَ) فلذلك وصل في الخط ، ويدل عليه نصب الميم ليجمعهما الاسم بالتعميم

❁❁❁❁❁

ومما شاع فيه حذف "الألف"، الجموع السالمة ، وكذلك المكسرة مذكرة كانت أو مؤنثة ، وذلك مثل ما ورد فى قوله تعالى: فى سورة الأحزاب٣٥ ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ فى هذه الآية الكريمة عشرون جمعا سالما ، عشرة جموع مذكرة وعشرة جموع مؤنثه.

وقد ورد حذف "الألف" فى سبع جموع مذكرة هى القانتين، الصادقين، الصابرين، الخاشعين، الصائمين، الحافظين، الذاكرين .أما الجموع العشرة المؤنثة فقد حذف "الألف" فيها جميعها ، وفى ثلاثة منها حذف "الألف" مرة واحدة وهى: المسلمات، المؤمنات، المتصدقات. أما فى الجموع السبعة الأخرى فقد حذف "الألف" مرتين فى كل جمع منها وهى: القانتات، الصادقات، الصابرات، الخاشعات، الصائمات، الحافظات، الذاكرات.

وفى توجيه هذا الحذف أشاروا أولا إلى أن هذه "الألفات" المحذوفة زائدة ليست من أصول الكلمة وهذا حق وبيان ذلك:

أن "الألفين" المحذوفين من "القانتات" مثلا لا وجود لهما فى الفعل الذى صيغ منه اسم الفاعل المؤنث المجموع ، لأن صيغة الفعل هى: قنت فى الماضى يقنت فى المضارع ، وكذلك: "الصدقت- الصبرت" فهما اسم فاعل من: صدق وصبر و"الألفان" اللذان

فيهما استُجلب أولهما لبناء اسم الفاعل - مذكرا كان أو مؤنثا-: صادق، صادقة، صابر، صابرة. أما "الألف" الثانى فمستجلب للدلالة على الجمع: صادقات، صابرات.

ولعل مرادهم من النص على هذه الزيادة أن يقولوا إن الزائد يسهل التصرف فيه **مع بقاء ما يدل عليه** . ثم أضافوا إلى هذه سببا آخر فى حذف "الألف" فيما يحذف منه **وهو الاختصار وكثرة الاستعمال**. هذا ما ذكروه فى توجيه الحذف فى هذه المواضع.

وبقيت لنا اضافة مستوحاة مما سبق أن قالوه وتقدم ذكره كثيرا فى الحلقات السابقة؛ وها نحن نذكر تلك الإضافة كما لاحت لنا بالقياس على بعض قواعدهم- رحمهم الله-. القارئ الذى صحبنا بدقة منذ بدأنا الحديث عن أسرار خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف حتى هذه اللحظة يعرف أن علماءنا الأقدمين الذين عللوا ماكتب فى المصحف مخالفاً للخط الإملائى العام قد أفصحوا مرات على **أن الحذف يرمز به كثيرا إلى التفرقة بين المعنوى الذى يدرك بالعقل والمادى الحسى الذى يدرك بالحواس الظاهرة**: السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس، وقد نصوا كثيرا على أن حذف "الياء" وحذف "الألف" كثيرا ما يكونان رمزا للدلالة على "المعنويات"

وإنعاشا لذاكرة القارئ نعيد المقارنة بين كلمتين مما سبق لنا توجيه الفرق بينهما على الأساس المتقدم. قال الله عز وجل: فى سورة الكهف:)﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾

وقال: حكاية عن موسى عليه السلام: فى سورة القصص:﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)﴾

ورد الفعل فى آية الكهف "يهدين" محذوفا منه "الألف" وورد فى آية القصص "يهدينى" مثبتا فيه "الألف" ، قال علماؤنا- رضى الله عنهم- إن سبب الحذف فى آية الكهف هو الدلالة على أن "الهداية" المطلوبة معنوية - هى التذكر بعد النسيان فهى- إذن- أمر معنوى يحس فى فكر الإنسان. أما الحذف فى آية القصص فلأن موسى عليه السلام طلب من الله هداية حسية هى معرفة الطريق الذى يسلكه إلى مدين.

إذا تقرر ذلك نقول: إن الحذف فى الكلمات الواردة فى آية سورة الأحزاب لا يبعد أن يكون رمزًا إلى معنوية الصفات المذكورة فيها وهى: الإسلام، الإيمان، القنوت، الصدق، الصبر، الخشوع، التصدق، الصيام، الحفظ المراد به العفة الخلقية، الذكر. لأن المراد من المؤمنات والمسلمات والقانتات ومن بقية الصفات المدلول عليها بأسماء الفاعلين مذكرين ومؤنثات **هو الصفات لا الذوات**.

وليس فى هذا الفهم مصادرة لما قاله علماؤنا الأقدمون- رضى الله عنهم- ولكنه اضافة لا تلغى ماقالوه لأنها مسايرة لما ذكروه لا مغايرة له.

ونحن- كما يعرف القراء الكرام - استوحينا هذه الإضافة من قواعدهم التى نصوا عليها وطبقوها على عشرات الخصوصيات فى الرسم المصحفى الشريف.

ومن الآيات اللافتة للنظر فى الاثبات والحذف قوله تعالى: فى سورة الأعراف:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ فقد أثبت "الألف" فى: الطوفان، والجراد. وحذف فى: الضفدع وآيت مفصلت. وجريا على القواعد التى ذكرت مع تطبيقاتها من قبل يمكن أن يدرك أن "الألف" فى الطوفان والجراد لأنهما كائنان ماديان حسيان لهما وجود ظاهر فى عالم المحسوسات؛ فالطوفان هو تدفق الماء مع ارتفاعه. والجراد حشرات طائرة وقد تسير فى أسراب تحجب ضوء الشمس. فثبت "الألف" رمز على ماديتها وحسيتها الظاهرة.

أما حذف "الألف" فى "الضفدع" وإن كانت كائنات مادية حسية فليس لها ظهور حسى كالطوفان والجراد، لأنها تعيش فى الماء، ففيها نوع خفاء كما ترى ولا يقدح فى هذا الفهم الاحتجاج بقوله تعالى: فى سورة الأعراف:﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ ﴿١٦٣﴾ ﴾ لأن "الألف" أثبتت فى "حيتانهم" وهى كائنات مائية من شأنها الخفاء أكثر من الضفادع؟ لأننا نقول فى الرد على هذا الاحتجاج: إن "حيتانهم" فى هذه الآية لم تكن خافية فى الماء لأن الله عز وجل أثبت لها صفتين قويتين فى الظهور وهما:

* الإتيان المدلول عليه بـ"تأتيهم" .
* ثم قوله تعالى: "شرعا" لأن معناه: ظاهرة على وجه الماء(١٢).

۞ (((وأقول: أنه من العجيب والمدهش أن هناك رسمان (للضفدع والجراد) بالألف مرة وبدون الألف مرة أخرى فى بعض المصاحف ، مما أثار ثائرة هؤلاء المنكرين لإعجاز الرسم العثمانى .. والحقيقة أن توجيه هذين الرسمين لايحتاج إلى هذه المعضلة ؛ فإذا نُظر إلى هيئتها الظاهرية – المادية الملموسة – وما تفعله فى عالم المادة والمشاهدة (تظهر فيها الألف) .. وإذا نظر إلى غرابتها فى مكانها وفعلها – على أنه آية عجيبة – نقصت وأخفيت منها الألف – وهذا ما يوجهون بمثله القراءات المختلفة فى علم القراءات ولايجدون فى ذلك أدنى حرج- ؛ وهذا ليس بدعاً خاصاً للرسم العثمانى حتى تثار بسببه

شبهة قالها بعض الأخوة العلماء وهى: أننا لايجب علينا الاعتماد على الرسم العثمانى الذى فى أيدينا حيث أنه ثبت أن لبعض الآيات رسم مختلف فى بعض المصاحف القديمة.

والعجيب أنه يسرد هذه الكلمات التى لها رسمان ، وهى القليلة جداً والنادرة جداً وهى تعد على أطراف الأصابع بخلاف ما نراه فى علم القراءات وما يعلمونه. والعجيب أيضاً أنهم هم أنفسهم الدارسون لعلم القراءات ، وهم الذين يحاولون محاولات مضنية فى توجيه هذه القراءات المختلفة(التى تعد بالمئات إن لم تكن الآلاف) ، ولعلنا نسمع إنكار بعض العلماء وعلى رأسهم الإمام الطبرى —وغيره– لبعض هذه القراءات وقوله : أنها كانت رخصة فى حينها (لجهل الأعاجم الداخلين فى الإسلام حديثاً)؛ ولكن بعد أن توحد اللسان العربى ونزلت العرضة الأخيرة على النبى (ﷺ) زالت هذه الرخصة ؛ ونراه يردد كثيراً أن. هذه القراءة (المتواترة) لاتعجبه — وليقرأ الجميع تفسير الإمام الطبرى — شيخ المفسرين — و لم يكفر بذلك......

وقول الإمام الزركشى فى البرهان ج ١ ص ٣١٩ طبعة مكتبة دار التراث القاهرة: (والتحقيق أنها — أى القراءات السبعة– متواترة عن الإئمة السبعة، **أما تواترها عن النبى (ﷺ)ففيه نظر؛** فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود فى كتب القراءات، **وهى نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر فى استواء الطرفين والواسطة** ... ويكمل الإمام الزركشى قوله: وهذا شىء موجود فى كتبهم ، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى كتابه "المرشد الوجيز" إلى شىء من ذلك)انتهى قول الإمام الزركشى بنصه

بل إنه فى ص٣٢٠ يقول: وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كره قراءة حمزة - التى وقفنا على أحد أمثلتها فى (الميْت) و(الميِّت) - لما فيها من طول المد وغيره، فقال– أى الإمام أحمد– لاتعجبنى ، ويكمل الإمام الزركشى قوله: وإن كانت متواترة لما كرهها — أى الإمام أحمد–...).انتهى كلام الإمام الزركشى بنصه

ورغم كل ذلك — وعلمهم بذلك - نجدهم يستنكرون أن توجد رسمتان لكلمة واحدة — فى كلمات نادرة جداً تعد على أطراف الأصابع– وتوجيهها لايحتاج إلى كثير من إعمال الفكر — كما رأينا–؛ مع ملاحظة اعترافهم — كما ذكر غانم قدورى فى رسالته عن رسم المصحف من الوجهة التاريخية قوله–:أنه لايوجد مصدر موثوق به يؤكد أن هذه المصاحف — التى يشيرون إليها بالقديمة – هى النسخة الأصلية التى كتبت بخط عثمان .

((راجع مناقشتنا لغانم قدورى))

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ويكمل د: مطعنى قوله : وحذف "الألف" فى "مُّفَصَّلَٰت" ، لأن ذلك التفصيل أمر معنوى فى تدبير الله عز وجل ؛ فهذا التفصيل غيبى من تقدير الله قبل أن يروه واقعا فى حياتهم.

أما الحذف فى "ءَايَٰت" فله حديث خاص سيأتى فى موضعه إن شاء الله.

إن فى ما قدمناه فى هذه الحلقة وما قبلها أدلة قاطعة على أن كتبة وحى الله عز وجل لم يكتبوا آيات الكتاب العزيز إلا على منهج حكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه صورة للوحى الإلهى ، وكان رسم المصحف الشريف فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه هو مادُوِّن به الكتاب العزيز فى حياة من أرسله الله رحمة للعالمين . **ولذلك أطلقوا على عمل عثمان أنه جمع للمصحف وليس كتابته من جديد.**

القبض والبسط (١)

وبدءا من هذه الحلقة (الثامنة عشرة) نودع الحديث عن الحذف والاثبات أو النقص والزيادة. إلى الحديث عن سمات أخرى تتصل برسم بعض الحروف فى رسم المصحف الشريف.

وحديثنا فى هذه الحلقة نبدؤه مع كلمات قرآنية مختومة بـ"تاء" التأنيث فعلى الرغم من أن الكلمة واحدة فى مبناها ومعناها تجد "تاء" التأنيث التى هى فى نهاية الكلمة تأتى على صورتين:

إحداهما: أن تكون "التاء" مربوطة (= مغلقة) وهو الأصل مثل رحمة- نعمة- امرأة- كلمة- سنة وهكذا.

الثانية: أن تكون "التاء" مبسوطة (= مفتوحة) وهو خلاف الأصل مثل: رحمت- نعمت- امرأت- كلمت- سنت وهكذا ، وهذه ظاهرة لافتة للنظر مثيرة للتساؤل لماذا ربطت "التاء" فى ماربطت فيه؟ ولماذا فتحت فى ما فتحت فيه؟

ومحال محال أن يكون الربط والفتح خاليا من الدلالة والمقتضى للربط أو الفتح والبسط ؛ إذ لابد من معنى وراء كل منهما ، وهذا ما نعرض له- الآن- بعون الله وتسديده. ولنأخذ فى سَوق الشواهد وتحليلها بما يزيل كل لبس بإذن الله الهادى لأقوم سبيل.

الرحمة مقبوضة ومبسوطة

من الكلمات القرآنية التى ورد رسمها فى المصحف الشريف بقبض "التاء" وبسطها كلمة الرحمة ولها حالتان من حيث البناء الصرفى:

إحداهما: قطعها عن الإضافة ، سواء كانت معرفة أو نكرة ، وفى هذه الحالة تكون "التاء" فيها مقبوضة أو مربوطة، والقبض والربط بمعنى واحد ، ومن أمثلتها قوله تعالى: فى سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ .. (١٧٨)﴾ وقوله تعالى: فى سورة آل عمران: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ..(٨)﴾

وقوله تعالى: فى سورة الأنعام: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ(١٢).﴾

ثم قوله تعالى: فى سورة الإسراء:﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ .. (٢٤)﴾ . هذه أربعة أمثلة فى أربع آيات من أربع سور ، مثالان منها وردت كلمة "رحمة" نكرة ، ومثالان وردت معرفة "الرحمة" ، وكلها كانت "التاء" فيها مقبوضة مربوطة ، مع ملاحظة أنها كلها مقطوعة عن الإضافة.

أما الحالة الثانية: فوردت كلمة "رحمة- رحمت" **مضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى** ، إما إلى "الله" وإما إلى "ربك" بكاف الخطاب.

واختلاف رسم "التاء" فيها بين القبض والبسط (= ربط التاء وفتحها) هكذا: "رحمة - رحمت" له دلالات ولطائف ، ولم يأت خاليا من الدلالة على معنى قط. ومن **مواضع قبض "التاء"** قوله تعالى:

فى آل عمران: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾

وقوله تعالى: فى سورة الحجر: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾

الإسراء: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ (١٠٠)﴾

فى سورة ص: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)﴾

فى سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣).﴾

هذه خمسة أمثلة وردت فيها كلمة "رحمة" مضافة إلى اسم ظاهر من أسماء الله الحسنى، وقد رسم فيها حرف "التاء" مربوطا - أى مقبوضا مغلقا غير مفتوح ولا مبسوط-. وهذا هو منهج لغة القرآن الكريم فى رسم هذه الكلمة سواء كانت معرفة أو نكرة أو حتى مضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى.

يقول الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى المعروف حدثنا محمد بن أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم النحوى قال: "وكل مافى كتاب الله عز وجل من ذكر الرحمة فهو بـ"الهاء" - يعنى التاء المربوطة التى تنطق فى الوقف هاء تأنيث- فهو بـ"الهاء" إلا سبعة أحرف".

يعنى أن هذه الكلمة "رحمة- الرحمة" الأصل فيها ربط تائها لا فتحها ، إلا فى سبع مواضع من القرآن الكريم رسمت فيها كلمة "رحمت" بتاء مفتوحة أو مبسوطة أو ممدوة ، وهذه المصطلحات تعنى عند علماء علوم القرآن الكريم معنى واحدا.

وقبل أن نبين لطائف وأسرار هذا الاختلاف فى رسم هذه الكلمة نذكر أولا **المواضع السبعة التى وردت فيها كلمة "رحمت"** بالتاء المفتوحة وهى على ترتيب المصحف كما يلى:

الموضع الأول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨) ﴾ البقرة

الموضع الثانى: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ الأعراف

الموضع الثالث: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) ﴾ هود

الموضع الرابع: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) ﴾ مريم

الموضع الخامس: ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (٥٠) ﴾ الروم

الموضع السادس: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ الزخرف

الموضع السابع: الآية نفسها من سورة الزخرف

هذه هى المواضع السبعة التى وردت فيها كلمة "رحمت" مبسوطة "التاء" غير مربوطة ، وهنا يأتى السؤال المهم: عرفنا أن الأصل فى رسم هذه الكلمة فى كل مواضع ورودها فى القرآن أن يكون "التاء" فيها مغلقا، فلأى شئ خولف هذا الأصل فى المواضع السبعة المذكورة؟

أما كان الأولى هو توحيد رسمها إما مربوطة "التاء" على الأصل؟ وإما مفتوحة "التاء" ؟

والجواب: إن مجئ "التاء" مربوطا فى الأعم الأغلب على الرغم من أنه الأصل فإن له معنى اقتضى ربط أو غلق "التاء" ؛ ذلك المعنى **هو الدلالة على مجرد الاسمية دون اعتبار- آخر زائد- على مجرد الاسمية**؛ أى المعنى العام للرحمة المقابل لمعنى العذاب.

أما المفتوح "التاء" فإن معناه مختلف عن معنى مربوط "التاء" لأنه أخص منه وذلك أعم **لأن المراد منه معنى الفعل لا معنى الاسم**، أو بعبارة أشد وضوحا: **المراد من مربوط**

"التاء" المعنى العام للرحمة ،وهو يشمل الرحمة المدخرة عند الله إلى أبد الآبدين. ثم الرحمة الواقعية التى يتمتع بها الناس واقعا ملموسا فى حياتهم.

أما معنى المفتوح "التاء" فإن المراد منه **الرحمة الواقعية فحسب** - أى التى ينعم بها الناس الآن-

۞ ((وأقول: هذا المعنى — العام والخاص- ليس غريباً على حس اللغة العربية وذوقها- وخاصة فيما نسميه بالمترافات - حيث أننا نجد الكلمة لها معنى عام ، ومرادفها — الذى يظهر لنا أنه نفس المعنى- نجد له معنى خاص نميزه بجرس الكلمة(راجع أبو هلال العسكرى فى الفروق اللغوية... وسنضرب أمثلة لذلك فى نهاية الباب.))

إذن فما كان مدخرا عند الله غير مستعمل فهو "رحمة" بربط "التاء". وما كان مستعملا فى حاضر الناس وآثاره مدركا لهم - كالماء الذى يشربونه والطعام الذى يأكلونه وصحة الأبدان والحواس التى يميزون بها بين المدركات -فهذه "رحمت" بفتح "التاء" ، وما كان عند الله من الرحمة الواسعة التى سينعم الناس بها فى أوقات لاحقة فهو "رحمة" بالتاء المغلقة المربوطة.

وتفصيل ذلك وتوضيحه أكثر فأكثر يتوقف على المقارنة بين ما كان "التاء" فيه مغلقا مربوطا هكذا "رحمة" ، وما كان "التاء" فيه مفتوحا هكذا "رحمت".

على أننا فى هذه المقارنة **سنستبعد الأمثلة التى وردت فيها الرحمة معرفة أو نكرة ، ونقصر المقارنة على ما ورد مضافا إلى اسم ظاهر من أسماء الله الحسنى لأنه هو المقصود لنا من هذه الدراسة** .. فنقول مستمدين الهداية والتوفيق من الله عز وجل. ولنبدأ بالمقارنة بين الموضعين الأولين مما ذكرناه قبلا من أمثلة مقبوض "التاء" و"مفتوحها" وهما:

* ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾ آل عمران:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)﴾ .

قبضت "التاء" فى الأولى (ففى رحمة الله). لأن الرحمة هنا المراد بها الجنة ، والجنة سيدخلها أهلها فى الحياة الآخرة لا فى الحياة الدنيا، فهى- إذن- رحمة مدخرة عند الله غير مستعملة الآن. ... وفتحت "التاء" فى نظيرة الآية الأولى (أولئك يرجون رحمت الله) لأنها رحمة عاجلة فى المقام الأول؛ فهى رحمة مهيئة للاستعمال والتمتع بها فى الدنيا موصولا التمتع بها فى الآخرة. فجاء قبض "التاء" رمزا على الرحمة الآجلة، وفتحها رمزا على الرحمة العاجلة.

الموضع الثانى مع نظيره:

* ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ (٥٦) سورة الحجر
*﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) سورة الأعراف

قبضت "التاء" فى الأولى (ومن يقنط من رحمة الله)، لأنها وردت فى سياق حديث عن الضالين الذين يئسوا من رحمة الله فهم محرومون ، وهى رحمة ممتنعة فى حقهم ليس لهم فى رحمة الله نصيب ، **إنها رحمة مغلقة أبوابها فى وجوههم** فناسب هذا غلق "التاء".

أما فى نظيرتها فقد جاءت كلمة "رحمت" مفتوحة "التاء" لأنها وردت فى سياق الحديث عن المحسنين ، ورحمت الله قريب منهم ، فهى رحمة مبذولة لهم فى الدنيا "رحمة عاجلة" ليتمتعوا بها فى هذه الحياة الدنيا.

رحمة مفتوحة أبوابها للمحسنين من الله عز وجل كما قال سبحانه: فى سورة فاطر: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾ فقبض "التاء" رمز به إلى معنى لطيف هو حرمان الضالين من ألطاف الله ورحمته فى الدنيا موصولا هذا الحرمان بمصيرهم فى الآخرة

أما مع المحسنين فإن رحمت الله مبذولة لهم كما قال عز وجل: فى سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾

۞ (وأرى إضافة لهذا الرأى رأياً آخر وهو النظر إلى قوله تعالى (رحمة الله قريب) حيث أنه أخبر عن الرحمة – وهى مؤنثة- بقوله "قريب" وهو مذكر ، وقد ذكر الإمام ابن القيم لها إثنى عشر مسلكاً، ونختار أعدل ما إختاره هو هو:أن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر، لكونه تبعاً له ومعنى من معانيه مثل قوله (والله ورسوله أحق أن يرضوه)والمعنى : والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، فاستغنى بإعادة الضمير إلى الله إذ إرضاؤه هو إرضاء رسوله فلم يحتج أن يقول: يرضوهما.

وعلى هذا يكون الأصل فى الآية (إن الله قريب من المحسنين وأن رحمة الله قريبة من المحسنين).. وكما يكمل: بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين... وأن الاحسان يقتضى قرب الرب من عبده كما أن العبد قرب من ربه بالإحسان، وأن من تقرب منه شبراً تقرب الله منه ذراعاً...

ففى حذف التاء هنا من (قريب)- رحمة الله قريب-تنبيه على هذه القاعدة العظيمة الجليلة، وأن الله قريب من المحسنين **وذلك يستلزم القربين : قربه وقرب رحمته**، ولو قال (إن رحمة الله قريبة من المحسنين) لم يدل على قربه تعالى منهم لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته، والأعم لايستلزم الأخص بخلاف قربه.... فلا تستهن بهذا المسلك فإن له

شأناً وهو متضمن لسر بديع من أسرار الكتاب... إلى أن قال: ..فكان العدول عن "قريبة" إلى "قريب" من استدعاء الإحسان وترغيب النفوس فيه..) وأكتفى بهذا النقل القيم من الإمام ابن القيم الذى يؤكد فيه على ضرورة فتح التاء لكل هذه المعانى التى يتعانق فيها رسم الكلمة مع بلاغة الكلمة فى التعبير القرآنى.

الموضع الثالث مع نظيره:

* ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ (١٠٠)﴾

* ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ (٧٣) هود)﴾ .

قبضت "التاء" أو أغلقت وربطت فى الآية الأولى من كلمة "رحمة" لأنها رحمة مخزونة بدليل قوله عز وجل: (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) فهى إذن رحمة مخزونة غير مبذولة رحمة واسعة مدخرة عند الله عز وجل.

فناسب هذا المعنى المصرح به إغلاق "التاء" وربطها أو قبضها.

أما فى نظيرة هذه الآية فجاءت "رحمت" مفتوحة "التاء" لإنها رحمة مبذولة لأهل بيت نبوة إبراهيم عليه السلام، ومن صورها العاجلة بشرى إبراهيم عليه السلام بالولد رحمة من الله . لأنه قبل هذه الآية ورد قوله تعالى: فى سورة هود:﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) . قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) ﴾فهذه رحمات منجزة عاجلة من الله بها على أبى الأنبياء إبراهين عليه السلام وعلى زوجه فرزقهما إسحاق فى سن الشيخوخة الفانية والله على كل شئ قدير. لذلك جاءت كلمة "رحمت الله" هنا مفتوحة "التاء" للإشعار بهذا المعنى من طرف خفى وهذا ملمح جديد من ملامح الإعجاز القرآنى فى رسمه الشريف.

الموضع الرابع مع نظيره:

* ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (٩) سورة ص.

* ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (٢) سورة مريم) .

أغلق حرف "التاء" فى الآية الأولى لأن الرحمة فيها هى الرحمة المدخرة عند الله بدليل قوله تعالى: (خزائن رحمة ربك) ، والشئ المخزون مدخر محفوظ كما تقدم فى آية الإسراء ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾ .

فجاء حرف "التاء" مربوطا مغلقا حتى لكأن ربطه وكاء مطبوع على منافذ أو أبواب خزائن الرحمة المدخرة عند الله عز وجل.

أما فى الآية الثانية (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) فكان فتح "التاء" فى (رحمت) رمزا لطيفا إلى معنى لطيف هو أن القرآن يتحدث عن رحمة عاجلة مبذولة هى ما أنعم الله بها على عبده زكريا عليه السلام، وجاءت الآيات التى بعد هذه الآية تشرح ذلك وتفصله:

* فى سورة مريم: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧)﴾ . إن الخلاصة السريعة لهذه الآيات أن زكريا عليه السلام دعا ربه فاستجاب الله دعاءه ومنَّ عليه بـ"يحيي" عليه السلام.

إذن فإن الرحمة فى هذه الآية (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) رحمة عاجلة منجزة لذلك جاء حرف "التاء" فيها مفتوحا على مصراعيه ليومئ إلى هذا المعنى اللطيف ويؤكد بكل قوة صدق القاعدة فى ربط "التاء" و"فتحها" .

الموضع الخامس مع نظيره:

* فى سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾

*وسورة الروم: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾

قبضت "التاء" فى الآية الأولى لأن الرحمة وردت فى سياق الحديث عن المسرفين على أنفسهم فى المعاصى حتى صاروا قانطين من رحمة الله ، فهم فى هذه الحالة محرومون من الرحمة ما لم يرجعوا ويتوبوا إلى الله عز وجل. وفى الآية ترغيب لهم فى الإنابة إلى الله لتنالهم هذه الرحمة التى هم محرومون منها قبل توبتهم إلى الله. فأنت ترى أن ربط أو إغلاق "التاء" فى (رحمة الله) فى هذه الآية جاء رمزا على هذا المعنى ولا ينازع فى هذا أحد منصف للحق أين وجده.

أما **الآية الثانية** فقد فتحت فيها "التاء" من كلمة (رحمت الله) لأنها تتحدث عن رحمة واقعية منجزة عاجلة فى الحياة الدنيا ترى بالبصر والبصيرة معا وكفى دليلا على ذلك قوله تعالى: (فانظر إلى آثار رحمت الله) .فقد دعانا الله عز وجل إلى النظر إلى آثار رحمته لأنها

ماثلة أمامنا حتى أصبحت موضوعا للنظر ثم دعانا إلى التأمل فى كيفية إحياء الله للأرض بعد موتها .فقد كانت جرداء قاحلة قبل إنزال الله الماء عليها ثم اهتزت الأرض وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من الزروع والنباتات والأشجار والثمار المختلف الحجوم والألوان والطعوم .أليست هذه رحمة حاضرة مفتوحة أبوابها . وهكذا جاء فتح "التاء" فى كلمة (رحمت الله) فى هذه الآية إشارة لطيفة إلى هذا المعنى اللطيف.

فهل- بعد هذا الوضوح- يشك شاك أو يرتاب مرتاب فى صدق هذه الملاحظات حول ربط "التاء" فى "رحمة الله ورحمت الله" فى رسم المصحف الشريف ؟ وهل يصح فى عقل عاقل أن يسوى بين رحمة الله المربوطة "التاء" ورحمة الله المفتوحة "التاء" فى الدلالة ؟! كلا ثم كلا ، **فكتاب الله العزيز كل شئ فيه جاء لمعنى لا لغو فيه ولا نقص ولا زيادة .**

***بقى موضعان من المواضع السبعة التى جاءت كلمة الرحمة فيها مفتوحة "التاء" وقد ورد فى آية الزخرف فى قوله تعالى: فى سورة الزخرف: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾**

فتحت "التاء" فى (رحمت ربك) فى الموضعين . أما فى الأول فلأن المراد من (رحمت ربك) هو النبوة أو القرآن ، وهما رحمتان حاضرتان منجزتان. والدليل على أن المراد من هذه الرحمة النبوة أو القرآن قوله تعالى قبل هذه الآية مباشرة (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) . فقد زجوا بأنفسهم فيما ليس هم له بأهل ، فرد الله عليهم بأنه هو المتصرف فى أخص شئونهم لا هم ، فكيف يتدخلون فيما ليس هم له بأهل.

أما الموضع الأخير وهو:

* (ورحمت ربك خير مما يجمعون) فالمراد من الرحمة هنا: هداية الله والفوز بالنجاة فى الدنيا والآخرة وهى- كما ترى- رحمة منجزة حاضرة ممتدة آثارها إلى أبد الآبدين.

وهكذا ظهر لنا جليا من خلال هذه التحليلات والمقارنات أن ربط "التاء" و"فتحها" فى كلمة الرحمة **مضافا إلى اسم ظاهر من أسماء الله** فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف سمة من سمات إعجازه "الخطى" لكل منهما معنى خاص ، وما قدمناه فى هذه الحلقة كاف شاف فى بيان الفرق بين الربط والفتح أو القبض والبسط وسيأتى لهذين نظائر فى الحلقات الآتية بإذن الله.

۞۞وهنا نكمل البحث باستعراض الآيات وبعض التعقيب عليها

((رحمـــة))

(١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّـــهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)﴾ **البقرة**.. الزمخشرى: { إِنَّ الذين ءامَنُواْ والذين هَاجَرُواْ } روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ، ظنّ قوم أهم إن سلموا مـــن الإثم فليس لهم أجر ، فنزلت { أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ الله } وعن قتادة : هؤلاء خيـــار هـــذه الأمّة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون . وإنه من رجا طلب ، ومن خاف هـــرب (ومن هنا نعلم أنها نزلت فى خير الصحابة من المجاهدين الذين تنالهم رحمـــة الله لـــيس فى الآخرة فقط ولكنه يشير هنا إلى رحمته لهم بسرعة العفو عنهم فى موقفهم هذا وفتح باب الرحمة بهم واضح فى هذا المشهد الذى جعله تطميناً لقلوبهم)

(٢) ﴿أمن هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ **الزمر**. هنا يرجو رحمة ربه يقصد بها (الآخرة) بخلاف رقم (١)- آية البقرة- فهى طلب مغفرة وأمان من العقاب الدنيوى أيضاً...

ويقول ربنا فى آيات الزمر هذه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُـــونَ إِنَّمَـــا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ فهو ينفى استواءهم فى الآخرة لأن الدنيا دار ابتلاء وربما يكون الكافر أوفر حظاً فيها.

وملحوظة أخرى وهى: أن التاء المفتوحة وردت (٧) مرات ، و أنها جميعاً وردت فى السور التى بدئت بالحروف المقطعة.وهذا سرٌ آخر لعل القارىء يفتح الله عليه فى ذلك

۞ ((وهنا ألفت نظر الإخوة القراء بأن هذا الحديث عن كلمة(رحمة) هـــو للرحمـــة المضافة **إلى اسم الجلالة** (رحمت الله أو رحمت ربك).. وهذا يختلف عن (رحمة) مفردة - غير مضافة لإسم الجلالة-(فهذه كلها مغلقة التاء وليست فى موقف المقارنـــة فى بحثنـــا هذا)... **وهذا ملفت هام جداً جداً** ،لأنه — للأسف الشديد - اختلط هذا الأمر علـــى بعض العلماء الأحباء — دون ذكرٍ لأسمائهم — وأخذوا يضربون الأمثلة على ما يخـــالف هذه القاعدة: قاعدة (القبض والبسط) دون فهم لهذا الملفت وهو: أننا نقـــارن **الإســـم المضاف للفظ الجلالة** ، أما الغير مضاف فهى مغلقة دائماً بمعنى الإسم "الرحمة" ..

وأضرب مثال على ذلك الخلط غير المتعمد ضربه عالم فاضل — نكن له كل الاحترام — قام فيه مقارناً بين الآيتين: الأولى :﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّـــا (٢)﴾ .. والآيـــة الثانية: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)﴾

الكهف .. وقال: فى الآية الأولى رحمة (فتحت) فى مريم ، وفى الثانية- آية الكهف- رحمة مفتوحة أيضاً لأنها هى (بناء السد) وقد تم بناؤه وقد حدث على الواقع ، ويقول بعدها : لماذا لم تكتب آية الكهف مفتوحة هى أيضاً ؟..

وعالمنا العزيز لم يلتفت لهذا الملحظ ، وهو أن (رحمة من ربك) غير مضافة ، بخلاف لو أنه قال (رحمت ربك) ، حينئذ تكون مضافة وتخضع للقاعدة التى سردنا لها الأمثلة السابقة ، وكانت حينئذ ستكتب مفتوحة التاء.

وضرب أمثلة أخرى كلها مقارنة إسم مفرد بإسم مضاف. وهذا بعد عن الحقيقة التى سردناها. ولذلك كان هذا التنبيه))

القبض والبسط (٢)

سورة البقرة ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) ﴾

سورة آل عمران: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾

سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾ ،،،،

سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨)﴾

سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)﴾

تقدم فى الحلقة السابقة أن هذين المصطلحين (القبض والبسط) أو (المد والقبض) خاصان بـ"تاء التأنيث" ، وهذه "التاء" فى الرسم الإملائى الحديث لا تكتب إلا مقبوضة (= مربوطة) مثل رحمة- نعمة- شجرة- كلمة- سنة وهكذا.

أما فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف فقد جاءت هذه "التاء" مفتوحة فى بعض المواضع وفى بعض الكلمات هكذا: رحمت- نعمت- شجرت- كلمت- سنت- ابنت- امرات. وهذا خلاف الأصل كما ترى لا بالنسبة للرسم الإملائى الحديث فحسب بل بالنسبة للرسم العثمانى كذلك ، لأن الأصل الأعم الأغلب فيه أن تكتب هذه "التاء" مغلقة لا مفتوحة .

وقد وضحنا فى المقال السابق لماذا عُدل عن الأصل إلى فتح "التاء" وسقنا نماذج تطبيقية كثيرة من كلمة "رحمة" حيث جاءت مفتوحة "التاء" أو ممدوة أو مبسوطة وهذا "الفتح أو المد أو البسط لم يأت عبثا خاليا من الدلالة على معنى مقترن به، بل هو رمز على معنى لطيف سبق ذكره من قبل ، وهو أن ماجاء مفتوح "التاء" فى بعض الكلمات فى القرآن الكريم **يدل على حضور معنى هذه الكلمات وظهوره فى الحياة الدنيا** ؛ فكلمة "رحمت الله" بفتح "التاء"، إشارة إلى الجزء المستعمل من رحمة الله الواسعة ، والذى يتفضل الله به على المخلوقات فى الحياة الدنيا كعطف الأم على وليدها وكالماء الذى يترله الله تعالى لمنافع الناس. أما إذا ربطت "تاء" رحمة فإن معناها يختص بما أدخره الله لعباده من النعم فى الدار الآخرة ؛ **فالمعنى فى المربوط التاء عام شامل لكل نعم الله عز وجل**.(حاضرة وغائبة)

ومثل كلمة "رحمة" كلمة "نعمة" فقد جاءت فى القرآن مربوطة "التاء" فى مواضع كثيرة على الأصل. وجاءت مفتوحة "التاء" فى أحد عشر موضعا فى كتاب الله العزيز. مرادا منها كلها ما تفضل الله به فعلا على عباده فى هذه الحياة الدنيا إليك بيانها فى الآتى:

* سورة البقرة: **﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا)(وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)﴾**

فالمراد من "نعمت الله" فى الآية على ماذكره المفسرون **هى الإسلام وهى نعمة** حاضرة- الآن- ويؤكد هذا المعنى **أن الله** عز وجل عطف على "نعمت الله" كلا من الكتاب (القرآن) والهدى النبوى (الحكمة) وهى كلها نعم حاضرة يتمتع بها المؤمنون منذ عصر النبوة حتى الآن وإلى أن تقوم الساعة.

۞ ((وهنا أضيف رأياً آخر وهو: أنه ربما يصح لنا أن نقول: أن سياق الآية من بدايته يتحدث **عن الرحمة فى تشريع الطلاق** بهذه الأحكام العظيمة **(الجزئية والواقعة)** والرحمات الكبيرة التى كانت قد حرمت منها المراة طوال حياتها ، وكيف أعاد هذا التشريع العدل والرحمة لكلا الطرفين — الرجل والمرأة — وهذا التشريع أصبح واقعاً.. **وربما يكون هو المقصود بهذه النعمة هنا** ... ونقول أنه لامانع من هذا الرأى ، بل إننى أؤيد هذا الرأى ، وأنه لايقصد به نعمة الإسلام بصفة العموم بل بصفة الخصوص لهذا التشريع ، وهذا الرأى على هذه الصورة له أهميته لما سنرى فى حديثنا القادم فى الآيات

المشابهة وأن الخاص تفتح له التاء بخلاف العام(وأحكام وتشريعات الطلاق أيضاً نعمة مفتوحة) وهو أيضاً من نعمة الإسلام الذى تحقق فى الوجود- كما قال عالمنا : المطعنى))

* سورة آل عمران:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾ الشاهد فى هذه الآية الكريمة هو (نعمت الله) حيث جاءت مفتوحة "التاء" وهى مضافة إلى اسم ظاهر (اسم الجلالة)، أما قوله تعالى بعدها: (بنعمت) فهى مضافة إلى ضمير فلا تدخل معنا فى هذا البيان لأن فتح "التاء" فيها لازم.

والسر فى فتح "التاء" فى (نعمت الله عليكم) الإشارة إلى أن الله عز وجل يمتن على الأوس والخزرج (أنصار اهل المدينة) بنعم منه حاضرة فى حياتهم الدنيا وهى كما ورد فى الآية. إزالة العداوة التى كانت بينهم فى الجاهلية قبل إسلامهم وقبل هجرة النبى (ﷺ)إليهم.

((**إذن هى نعمة مخصوصة ومحددة من نعم الإسلام (نعمة جزئية واقعة)**))

- كونهم أصبحوا إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين .
- إنقاذهم من عذاب النار الذى أشرفوا عليه فى الجاهلية لولا أن من الله عليهم بالهداية.

فهى- كما ترى- نعم كانوا يغدون فيها ويروحون وإلى هذه المعانى رمز فتح "التاء" فى (نعمت الله) . وبين فتح "التاء" من حيث الصورة والرسم الخطى وبين حضور هذه النعم والاستمتاع العاجل بها صلة وثيقة . **لأن فتح "التاء" يدل على سيولة النعمة وفيضانها** ، **أما ربط "التاء" هكذا (نعمة) فيدل حسًا على خزن النعمة وإمساكها**، **فأنت ترى** هذه الإيحاءات اللطيفة الشريفة نوعا من لغة التتريل لا عهد للناس به ولا وجود له إلا فى كتاب الله العزيز الذى لا تنتهى عجائبه .

* سورة المائدة:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾ .

فى هذه الآية الحكيمة يمتن الله على عباده المؤمنين بنعمة له عليهم وهى: كشف الكرب عنهم ، ودفع عدوهم دون أن ينالوهم بأذى ، وهى-كما ترى- نعمة أحس بها المؤمنون وعاشوا فى ظلالها الوارفة فى الحياة الدنيا، **فهى- إذن- نعمة مبذولة من الله لهم نعمة خاصة** ، عرفوا فضل الله عليهم فيها، فنجوا من بأس عدوهم. من أجل هذا المعنى جاءت "تاء" (نعمت) مفتوحة لا مغلقة .

۞ **وهنا نقف وقفة هامة لنعلق ونزيل بعض الغموض**

ونبدأ بالتعرف على سبب نزول الآية حيث أننا سنتعرض إلى آية شبيهة ولكنها قبضت تاؤها (نعمة) لم يتعرض إليها علماؤنا السابقون ومنهم د : مطعني:

يقول الإمام الرازي: **وقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اذكروا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ (١١)﴾ المائدة** .وفيه مسائل :المسألة الأولى : في سبب نزول هذه الآية وجهان : الأول : أن المشركين في أول الأمر كانوا غالبين ، والمسلمين كانوا مقهورين مغلوبين ، ولقد كان المشركون أبداً يريدون إيقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين ، والله تعالى كان يمنعهم عن مطلوبهم إلى أن قوي الإسلام وعظمت شوكة المسلمين فقال تعالى : { اذكروا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ } وهو المشركون { أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ } بالقتل والنهب والنفي فكف الله تعالى بلطفه ورحمته أيدي الكفار عنكم أيها المسلمون ، ومثل هذا الإنعام العظيم يوجب عليكم أن تتقوا معاصيه ومخالفته .

الوجه الثاني : أن هذه الآية نزلت في واقعة خاصة، ثم فيه وجوه :

الأول : خلاصتها أن بني النضير ، قالوا أجلس حتى نطعمك ونعطيك ما تريد ، ثم هموا بالفتك برسول الله وبأصحابه ، فنزل جبريل وأخبره بذلك ، فقام رسول الله (ﷺ) في الحال مع أصحابه وخرجوا ، فقال اليهود : إن قدورنا تغلي ، فأعلمهم الرسول أنه قد نزل عليه الوحي بما عزموا عليه . قال عطاء : توامروا(تآمروا) على أن يطرحوا عليه رحاً أو حجراً ، وقيل : بل ألقوا فأخذه جبريل عليه السلام ،

والثاني : قال آخرون : إن الرسول نزل منزلاً وتفرق الناس عنه ، وعلق رسول الله (ﷺ)سلاحه بشجرة ، فجاء إعرابي وسل سيف رسول الله (ﷺ)وقال : من يمنعك مني؟ فقال لا أحد ، ثم صاح رسول الله (ﷺ)بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقبه.

وعلى هذين القولين فالمراد من قوله { اذكروا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ } تذكير نعمة الله عليهم بدفع الشر والمكروه عن نبيّهم ، فإنه لو حصل ذلك لكان من أعظم المحن.

والثالث : روي أن المسلمين قاموا إلى صلاة الظهر بالجماعة وذلك بعسفان ، فلما صلوا ندم المشركون وقالوا ليتنا أوقعنا بهم في أثناء صلاتهم ، فقيل لهم : إن للمسلمين بعدها صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وآبائهم ، يعنون صلاة العصر ، فهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها ، فنزل جبريل عليه السلام بصلاة الخوف .

ويقول الألوسي: والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر

وعلى كل هذه الحالات فهو كان أذى مادى (بالقتل) ، وكفه الله عن النبى (ﷺ) وعنهم ..ولكن لايغفل أبداً النعمة العظيمة التى فُتحت على المسلمين بأن حفظ الله لهم نبيهم (ﷺ) من القتل ، فهى فوق أنها نعمة خاصة إلا أنها أغلى وأجل نعمة فتحت عليهم ...

وأعيد وأذكر بهذه النعمة العظيمة وهى نجاة النبى (ﷺ) من القتل..

والملحوظة الثانية هى أن هذه الآيات كانت تركز على الجانب المادى دون التركيز على الأذى النفسى والحالة النفسية (كما سنرى فى الآية الأخرى الشبيهة فى سورة الأحزاب)..كما أن الله عز وجل كف أذاهم فى محاولة قتل النبى (ﷺ) بعد ذلك فى الغزوات التالية (بدر وغيرها) إضافة إلى قيامه بطرد يهود الذين دبروا قتله ، وقام بحصارهم (بالطرق المادية وبالوقائع الخاصة والمعلومة فى كتب السيرة)

ويقول الألوسى: .. وأن ضرر الرئيس ونفعه يعودان إلى المرؤوس .((إذن هى قضية خاصة بأعظم الخلق وبزعيم الأمة ونبيها) وضررها عام على المسلمين جميعاً وفيها هدم للدين كله – فالنعمة هنا خاصة بالنبى (ﷺ)وهى نعمة خاصة أيضاً لهم –.

وقد تناولنا هذه الآية بالتعقيب والتعليق حيث أن دكتورنا المطعنى لم يذكر توجيه آية تكاد تكون مطابقة لهذه الآية وفى نفس السورة ولكنها كتبت بالتاء المغلقة .. والآية هى: آية المائدة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)﴾

وهنا يسأل السائل: لماذا لم تكتب (نعمت) بالتاء المفتوحة مثل زميلتها الآية(١١) من نفس السورة وهى هى بنفس البداية ونفس المعانى؟؟

وأرى – والله أعلم – أن الأمر يحتاج إلى تدبر أعمق – وسيرى القارىء أن هذه الآية تتحدث عن نعمة (مغلقة) لم تفتح أيام موسى – وهو المتكلم معهم فى ذلك الحديث وتلك الآيات– لأنهم لم يكونوا ملوكاً فى الواقع فى أيام موسى ، فى وقت الحديث معهم بهذه الآية ، و لم يكونوا أنبياء و لم يؤتهم – بعد – ما لم يؤت أحداً من العالمين؛ (بل إنى أرى أنه يحدثهم عن غيب لم يحدث لهم بعد، أو تقدير فى علم الله أخبر به نبيه موسى و لم يتحقق بعد على أرض الواقع حتى فى حياة ووجود موسى.. وهذا لاينكره أحد من قارئى التوراة أو القرآن الكريم أو دراسى سيرة بنى إسرائيل من يوم خروجهم إلى يوم وفاة نبيهم

موسى عليه السلام– بل إن موسى (عليه السلام) – المخاطب لهم بهذا الحديث – مات وهم مشردون فى التيه (أربعين سنة) بنص وإجماع التوراة والقرآن معاً– (تشريد وعقاب متوالى) – و لم يكن شىء من هذه (النعم) قد حدث (أو فتح عليهم) ... بل إن دخـــول الأرض المقدسة وإتمام هذه الوعود المذكورة جاءت فى زمن – وبعد زمن – يشوع– بعد موت موسى.. ولذلك كتبت هذه النعمة (بالتاء المغلقة) ،

وهذا أراه من قمة الإعجاز فى مواقف ربما تتشابه أو نكاد نراها متطابقة مـــع الآيـــة الأخرى تطابقاً يكاد يكون بالنظرة العاجلة – تطابقاً كاملاً – والآية تبدأ بنفس قوله فى الآيتين (اذكروا) .. والحديث بصيغة الماضى (جعل فيكم ، جعلكم، وآتاكم) حتى ليتخيل القارىء أن هذا قد حدث من زمن قد مضى قبل أو فى وجود المتحدث الذى هو موسى عليه السلام.. وحقيقة الأمر أنه لم يحدث بعد ولكن عبر عنه بلفظ الماضى ليشير لهم إلى تحقق الوقوع وأنه لابد أن يحدث ؛ كما تذهب أنت لصاحب مصنع وتريد منه توظيـــف إبنك فيقول لك: إذهب فإن ابنك قد توظف ، ويقول لك ذلك بصيغة الماضى ، رغم أنه يكمل لك الحديث قائلاً: وابعثه لى بعد شهرين أو ثلاثة ليتسلم العمل (أى أنه لم يتوظف أو يتسلم الوظيفة بعد) ولكن صاحب المصنع عبر فى حديثه بالماضى لأنه يعلم أن قراره نافذ لامحالة ولا يعقب عليه أو يرده أحد ((وهكذا حال اللغة العربية فى أساليب التوكيد على الحدث بجعل صيغته على صيغة الماضى))) ونجد أن القرآن الكريم مليئٌ بهذه الأمثلـــة التى تفيد التوكيد والتحقيق (مثال قوله تعالى: أتى أمر الله فلا تستعجلوه (وهو لم يـــأت بعد).. وقوله: وجاءت سكرة الموت بالحق .. وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد .. وجىء يومئذ بجهنم ..ونفخ فى الصور .- (وكل ذلك لم يأت بعدُ). وهكـــذا الكـــثير وخاصة فى ذِكر أحداث القيامة ، ولا يتغير إلا لحكمة أخرى يقصدها السياق (وراجـــع سلسلة كتبنا عن الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم)..

ولا أطلب من القارىء العزير – عالم أو متعلم – إلا عمق التدبر فى كتـــاب الله – ليرى هذه العجائب المذهلة ويسأل نفسه: أليس هذا هو إمتاع العقل وإشباع العاطفة بكل صورها من الحكمة والجمال والإبهار فى البيان القرآنى؟؟!...

ونكمل :.وبقى توجيه آية المائدة(٧).. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ .. مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْـتُمْ سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾

ومقارنتها بآية البقرة(* سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا)(وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)﴾ والتى قيل فيها أنها نعمة خاصة بهم وهى نعمة الإسلام عاشوها ورأوها بأعينهم

أما آية المائدة:

يقول السمرقندى فى تفسيره : قوله تعالى : { واذكروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ } يقول : احفظوا منن الله عليكم بإقراركم بوحدانية الله تعالى { وميثاقه الذى وَاثَقَكُم به } يعني يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام وقال : { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ على أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بلى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافلين } [الأعراف : ١٧٢] هكذا قال في رواية الكلبي ومقاتل والضحاك . وقال بعضهم : هو الميثاق (الجبلة والإدراك) ، فكل من أدرك فقد أخذ عليه الميثاق ، وشهدت له خلقته وجبلته فصار ذلك كالإقرار منه ، ثم قال { إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } يوم الميثاق ، قلتم سمعنا قولك يا ربنا وأطعنا أمرك .

((إذن هو ميثاق عام ، وهم لم يروه ، وربما يستشعروه بفطرهم الدالة على التوحيد الخالص لله، وربما يكون هذا هو السبب فى قبض التاء : إذكروا (نعمة الله))

ويقول أبو السعود: .. وقال مجاهد (وما أدراك ما مجاهد- كما يقول صاحب تفسير المنار-): هو الميثاقُ الذي أخذه الله تعالى على عباده حين أخرجهم من صُلْب آدمَ عليه السلام... ويقول الألوسى: ﴿ واذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ ﴾ وهي نعمة الإسلام ، أو الأعم على إرادة الجنس ،**((فعلى أى تفسير من هذه التفاسير فهى نعمة عامة منها مافتح لهم عياناً وعاشوه ، ومنها مالم يروه عياناً كالميثاق من لدن آدم))**

وآية الأحزاب:.﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)﴾ .....هو يقصد بها لفت الأنظار (إلى السماء) وإلى الانتباه إلى نعمة النصر بالطريقة الغيبية والخفية ؛ وهى التأييد بجنود لم يروها ؛ فهى نعمة ملكوتية علوية و لم تكن مادية بالقتال بالسلاح والعتاد – كما نعلمه من السيرة عن غزوة الأحزاب – ولذلك كتبت بالتاء المغلقة ليتدبروا كيف حدث لهم ذلك بالطريقة الخفية ، وذلك أيضاً بعد تصوير مشهد الرعب النفسى لهم والتركيز عليه ، وحديث القلوب التى كادت تزيغ عن دينها ، وحديث المنافقين الخفى، وغير **ذلك**

من التركيز الواضح على خفايا النفوس وليس الحديث المادى- كما فى آية(المائدة ١١)- وهذا يجعل الحديث فى هذه الآيات حديث نفسى وغيبى ويناسبه قبض التاء (نعمة الله)

*سورة إبراهيم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨)﴾ .. فتحت "التاء" فى هذه الآية فى كلمة (نعمت) لأنها نعمة حاضرة أنعم الله بها على فريق من عباده ومكنهم من التمتع بها، بدليل أنهم بدلوها من معنى النعمة وجعلوها كفرا.

فالتبديل هو دليل التمكن من النعمة لأنها لو كانت نعمة غيبية غير واقعة ما استطاعوا تبديلها. فجاءت "التاء" ممدوة (= مفتوحة) للدلالة على هذا المعنى.

وفتح "التاء" فى هذه النماذج متسق تماما مع قوله تعالى: فى سورة فاطر : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ... (٢)﴾

كما أن ربطَ "التاء" فى نحو فى سورة النحل:﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)﴾ يناسب معنى الإمساك فى قوله تعالى: فى سورة فاطر:﴿ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾ لأن ربط "التاء" فيه دلالة على حصر ما بداخله ، فهو يشمل العاجل المبذول من نعم الله والآجل المأمول

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى فى نفس السورة: إبراهيم : ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ . فعلى الرغم من مجئ الآيتين على نظم واحد فى الألفاظ والتراكيب قبضت "التاء" فى الآية الأولى (٢٨) ومدت فى الثانية (٣٤) ، والفارق بينهما دقيق هو الذى اقتضى ربط "التاء" فى الأولى وبسطها فى "الثانية"

فالنعمة فى الأولى عامة شاملة لما هو واقع فى حياة الناس ولما هو مدخر مأمول عند الله عز وجل. أما فى الآية (ابراهيم) فالمراد النعمة المبذولة المعروفة للناس يدلك على هذا الآيات المذكورة قبل هذه الآية وهى:

* سورة إبراهيم: الآيات ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ (٣٤) * ثم قال: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)﴾

تأمل ماذكره الله فى هذه الآيات من أصول النعم وفروعها تجدها نعما حاضرة ينتفع بها الناس فى حياتهم العاجلة وهى:

- خلق السموات والأرض .- إنزال الماء من السماء .- إخراج الثمرات من الأرض .- جرى الفلك فى البحر .- تسخير الأنهار .- تسخير الشمس والقمر والليل والنهار .- إجابة الله الدعاء وفق حكمته وإرادته .

هذه النعم يتفيؤ الإنسان ظلالها فى كل لحظة تمر به من حياته ، فهى نعم مبذولة حاضرة لا مأمولة غائبة . لذلك كان فتح "التاء" فى (نعمت الله) رمزا واضحا على تدفق تلك النعم وانفجارها من أبوابها الإلهية الواسعة ، وهذه أعجوبة من عجائب كتاب الله العزيز، لا فى مفرداته وتراكيبه فحسب ، بل وفى رسم كلماته المقروءة المرئية بالعين الباصرة.

۞ (وهنا أقف موقفاً توضيحياً ومكملاً لراى د: مطعنى — أكرمه الله — وهو أنه ربما يسأل سائل: إن سياق الحديث فى سورة إبراهيم سياق **تعداد نعم مفتوحة** وموجودة فكان حقها أن تفتح التاء — وهذا نوافقكم عليه — ، ولكن الذى يقرأ آيات سورة النحل من بداية السورة حتى هذه الآية (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله غفور رحيم) — بالتاء المغلقة (نعمة) — يجد أن سياق هذه الآيات يتحدث أيضاً عن النعم المفتوحة، وإليك الآيات هكذا: ﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)**﴾

ويسأل السائل: أليس هذا كله تعداد لنعم موجودة بالفعل ؟ فلماذا كتبت هنا بالتاء المغلقة — و لم تكتب بالتاء المفتوحة كما فى سورة إبراهيم-؟

ونقول أن الإجابة على هذا السؤال هامة جداً وقد تعرضنا لسياقات مماثلة تبين الدقة البالغة فى الرسم القرآنى التى تحرك عقول العلماء وتعطيهم فرصة البحث والإبداع والتأمل

والتدبر — إضافة إلى الآيات الأخرى التى يستنبطها العامة من الناس وهذا هو قمة الإعجاز دائما — كما قال د: دراز: أن النص القرآنى هو القادر وحده على مخاطبة العالم والجاهل خطاب يناسب الإثنين .

ومن هذا النوع هو هذه الوقفة، والتى نقول فيها:

أن المتأمل فى سياق الآيات فى السورتين يجد الآتى:

(١)* أن سياق سورة إبراهيم هو سياق تعدد النعم (لطلب شكرها) ((ولئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم – بعدم الشكر– ...)) .. وليس الحديث هنا للوصول بهذه النعم إلى (إثبات الألوهية)– كما فى سورة الأنعام – التى تريد أن تصل بهذا المخاطب إلى أن الخالق لكل هذا هو الواحد القهار الذى يجب أن نعبده — كما هو الحال فى مخاطبة المنكرين لوجود الله حين أخاطبهم بهذه النعم وأقول لهم : سماوات بعظمتها وأرض بسعتها وما خلق فيهما، من يقدر أن يفعل ذلك : أليس هو الله . وهل يعقل أن الذى فعل ذلك بغاية الدقة والتدبير المحكم هل يعقل أن يكون له شريك؟ فيقول العاقل : لا.. لاإله إلا الله .. فهذا هو سياق سورة الأنعام؛ مخاطبتهم بالنعم للتوصل إلى إثبات الألوهية والمعاد (أتى أمر الله .. إلى أن وصل إلى قوله (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم)– بيده وحده المغفرة لأنه هو الإله الحق .. ولم يقل — كما قال فى سورة إبراهيم — (إن الإنسان لظلوم كفار) – أى الإنسان لايشكر النعم–. ولعلى أقولها بأسلوب آخر تقريبى وهو: أنك حينما تقرأ الآية فى سورة إبراهيم (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسن لظلوم كفار).. يتجه نظرك إلى الأرض والنظر إلى هذا الإنسان .. والأرض بالنسبة للنعم هى مكان وصولها (أى فتحها) على الواقع فتكتب(نعمت).. ولكنك حين تقرأ آية الأنعام (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم) يتجه نظرك إلى السماء (إن الله لغفور رحيم) وفى السماء تكون النعم المغلقة والمدخرة (نعمة).

وهكذا الحال فى السورتين : الأنعام– سياق النعم (لإثبات الألوهية والمعاد) ، (ومع قوم منكرين لذلك وكافرين بالألوهية)، وتعريفهم بالله الحق والألوهية الحقة﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ،إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . (كلها تعريف بالإله والألوهية والشكر علي معرفة الألوهية الحقة... إلى أن وصل إلى قوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)﴾ ....

فكل هذه الآيات مُساقة لهذا الغرض .. حتى أنه ركز فى هذه النعم على (وسائل

المواصلات) فى البر والبحر وكما قال الطاهر بن عاشور: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)﴾ :

فلما ذكرت نعمة تيسير السبيل الموصلة إلى المقاصد الجثمانية ارتُقي إلى التذكير بسبيل الوصول إلى المقاصد الرُّوحانية وهو سبيل الهدى ، فكان تعهّد الله بهذه السبيل نعمة أعظمَ من تيسير المسالك الجثمانية ، لأن سبيل الهدى تحصل به السعادة الأبدية . وهذه السبيل هي موهبةُ العقل الإنساني الفارق بين الحقّ والباطل ، وإرسال الرسل لدعوة الناس إلى الحقّ ، وتذكيرهم بما يغفلون عنه ، وإرشادهم إلى ما لا تصل إليه عقولهم أو تصل إليه بمشقّة على خطر من التورّط في بنيّات الطريق .

.. . ويزيد هذه المناسبة بياناً أنه لما شرحت دلائل التوحيد ناسب التنبيه على أن ذلك طريق للهدى ، وإزالة للعذر ، وأن من بين الطرق التي يسلكها الناس طريق ضلال وجور ...انتهى

((وكأنه يريد أن يقول أن الله تعالى ذكر النعم التى فيها سلوك (السبل) الجثمانية من ركوب الخيل والبغال والحمير و.. ليصل بها الحديث إلى (السبل) الروحية الموصلة (للألوهية) ومعرفة من هو الإله الحق.

وهذا الحديث الذى ذكرناه عن سورة النحل ومقاصدها وأهدافها وصولاً إلى هذه الآية يوصلنا إلى الآيات بعدها: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)﴾ ... وليكمل القارئ باقى السياق ليعلم هذه الحقيقة.

(٢)* وهذاالسياق فى سورة النحل يختلف عنه فى سورة (ابراهيم) فإن الحديث في سورة (إبراهيم) من بداية السورة خطاب (لمن يعرفون الله والألوهية — وهم بنو إسرائيل- ولكنهم لايشكرون النعم)- فهو يتحدث ويركز على النعم التى فى أيدينا أو نلمسها بأيدينا ولكننا لانشكرها- هكذا:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)﴾

فالسياق هنا لقوم يعرفون الإلوهية ، وهو لبنى إسرائيل الذين يقرون بالألوهية ، ويطالبهم بتذكر أيام النعم التى نزلت عليهم ، ويعددها عليهم طالباً منهم شكرها والصبر على البلاء

معها هكذا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)﴾

إلى أن يصل لبيت القصيد والهدف من السياق وهو : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ .. وهو أقوى سياق فى طلب الشكر والحض عليه ، وجعل عدم الشكر كفر.

ثم يعرض علينا مصائر الأقوام التى لم تشكر النعم (ومنها هذا الجبار العنيد)- فهو يتحدث على أرض الواقع وفى رحلة أرضية نزلت إليها النعم وكفروا بها ، ويوجه الأنظار– كما قلنا – إلى المشاهد الأرضية التى فتحت فيها النعم ، إلى أن يصل إلى قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩).. قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ...(٣١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾

ونلاحظ هنا: أن (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ (رِزْقًا لَكُمْ)... وسخر (لكم)و.. (وَآتَاكُمْ) مِنْ كُلِّ (مَا سَأَلْتُمُوهُ) كلها (بصفة الخصوصية والتمليك لهم)...حتى دعوة إبراهيم (سؤاله لله) بعدها كانت فى هذا السياق ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (وَارْزُقْهُمْ) مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ(يَشْكُرُونَ) (٣٧)﴾

والخلاصة: أن سياق تعداد النعم فى إبراهيم هو للفت أنظار هؤلاء (المؤمنين) أصلاً بتوحيد الله ولكنهم لايشكرون النعم (وشكرها هو استعمالها فى طاعة المنعم – كما يقول العلماء-) ولذلك هو يلفت نظرهم لهذا الطرف (الأرضى) الذى وصلت فيه النعم بالفعل.

و شبيه بهذا السياق هو سياق سورة لقمان﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)﴾

وهذا بخلاف السياق فى سورة النحل فهو تعداد النعم للوصول إلى معرفة الإله الحق الذى يعبد ويشكر– كما قلنا– وتوجيه النظر إلى الألوهية وإلى السماء (إن الله لغفور رحيم) وبخلاف إبراهيم (إن الإنسان لظلوم) فهنا (الله) وهناك (الإنسان). هنا النظر إلى السماء (الله)، وهناك النظر إلى الأرض (الإنسان)

ونكتفى بهذا القدر فى الرد على هذا التساؤل وهذه الآيات التى تركهـا القـدامى.. ونرجوا أن يكون هذا مثالاً لما نواجهه من الآيات المشابهة وهى كثير ، وربمـا يـوحى ظاهرها بالتناقض ، ولكن بعد التأمل والتدبر فى السياق نجد فيها الإعجاز والإبهار الـذى يحترم عقل وفكر العلماء، ويدعوهم دائما لهذاالنداء : أفلا يتدبرون القرآن...

وربما يستدرك علينا أحد القراء أو يصحح لنا أو يضيف إلينا رأيا؛ وهذا لابد منه فهذا هو طبيعة كل عمل بشرى .. ولايمكن أن يصل أبداً إلى الكمال إلا قول الله تعالى.. ونحـن لاندعى غير ذلك.. ولكن ندعوا إلى التدبر وليس العجلة .

❁❁❁❁❁

ونعود لنكمل الحديث العذب مع د: مطعنى بعد هذه الوقفة الطويلة حيث يقول:

وفى سورة "النحل" وردت كلمة "نعمت الله" مفتوحة "التاء"

ثلاث مرات: فى الآية﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** (٧٢)﴾ ... فتحت "تاء" (نعمت الله) هنا لأن ما قبل هذه العبارة فى الآية نفسها تعداد لنعم حاضـرة مبذولة فعلا يستمتع بها المتحدث عنهم هكذا:(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) **فجاء فتح "التاء" دليلا على تمكـن المخاطبين من هذه النعم:** الأزواج- البنون- الحفدة- الرزق الطيب ولذلك حسن أن ينكر القرآن عليهم كفرهم بنعم الله وإيمانهم بالباطل وهو الاعتقاد فى الأصنام وعبادتها.

ومن اللافت للنظر- حقا- أن قبل هذه الآية (٧٢) مباشرة وردت عبارة (نعمـت الله) مربوطة "التاء" هكذا: فى سورة النحل: ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** (٧١).﴾ .. ضرب الله فى هذه الآية مثلا للمشركين ينكر عليهم تسويتهم بين الله الخـالق المدبر وبين أصنامهم ، حيث جعلوهم شركاء لله فى ملكه قائلا لهم: إنكـم يـا معـشر الأحرار لكم عبيد تملكون أمرهم، ولكم معارف أقل منكم مالا ، فهل أنـتم تجعلـون عبيدكم وفقراءكم شركاء فى أموالكم يتصرفون فيها مثلكم دون الرجوع إلـيكم ؟، إن هذا المحال فكيف تجعلون بعض مخلوقات الله شركاء لله فى ملكه؟.

فالآية تنبههم إلى خطأ هم واقعون فيه ، وليس فيها تفصيل للنعم ، لذلك جاءت عبـارة (أفبنعمة الله يجحدون) مربوطة "التاء" ؛ لأن المراد بنعمة الله- هنا- معنى عام شامل لكل النعم ، ولولا هذه الفروق الدقيقة لتوحد رسم كلمة (النعمة) فى الموضعين.

أجل: إن فى ذلك لبلاغا لقوم يعقلون.

﴿۞﴾ ((وأقول قبل أن نغادر هذه الوقفة الجميلة من أستاذنا الدكتور المطعنى : أن ما قاله هنا من التفرقة بين الآيتين المتجاورتين بالرجوع إلى سياق الآيات المحيطة بكل آية واستنتاجه أن سياق هذه الآية هو الدعوة إلى توحيد الله فكتبت بالتاء المغلقة ، وأن سياق الآية الأخرى عن النعم المبذولة فى الزوج والأولاد فكتبت بالتاء المفتوحة .. أقول أن ما قاله هذا هو عين ما شرحناه من قبل فى الفرق بين آية إبراهيم وآية النحل (وإن تعدوا (نعمة — نعمت) الله...وليراجع القارىء ذلك..)))

والموضع الثانى فى سورة "النحل" هو قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣)﴾ فتحت "التاء" فى هذه الآية لأن المراد من النعمة نعم خاصة يدركها المتحدث عنهم بدليل قوله تعالى: (**يعرفون** نعمت الله) فهى نعمة يعيشون فيها صباح مساء.

وقد أجملت الآيات التى قبل هذه الآية تلك النعم فقال عز وجل: فى سورة النحل: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠) ﴾فهذه النعم التى عددها الله فى هذه الآيات هى الحياة نفسها التى يعيش فيها الناس ، جمعت بين أصول الإنعام وفروعه ، ومن أجل ذلك فتحت "التاء" فى (نعمت الله) للدلالة على معنى حضور هذه النعم فى حياة البشر.

ويطيب لنا– الآن– أن نعود فنذكر عبارة كنا قد قلناها فى بداية الحديث عن خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف، تلك العبارة هى: أن هذه الخصوصيات وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم ؛ هو الإعجاز الخطى فى رسم الكلمات . إنه منهج مبتكر فى رسم المصحف لا وجود له إلا فيه.. هدى الله إليه كتبة الوحي فى حياة النبى (ﷺ)حين كان القرآن يتزل؛ لأن هذا الرسم مأخوذ عن الوثائق النبوية التى كانت محفوظة فى بيته يوم انتقل إلى الرفيق الأعلى، وهى التى نسخها عثمان بن عفان رضى الله عنه فى "المصحف الإمام" ، وعنه صدرت كل المصاحف (أنظر البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى(١/ ٤١٢)).

والموضع الثالث فى سورة "النحل" هو قوله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)﴾

إن هذه الآية تضع المخاطبين أمام "نعمت الله" وجها لوجه حيث تأمرهم بالأكل المباشر من رزق الله ، وفى الأكل أقوى صلة وأقرب حال بين العباد وبين النعم التى أجراها طيبة سخية فى أيدى عباده. .. وهذا يفسر مجئ "نعمت الله" مفتوحة "التاء" لأنها نعمة جارية أمام أعين الناس بل **وموضوعه أمامه على منضدة الطعام** ، والله عز وجل يأمر عبـــاده أن يشكروه على هذه النعم المسخرة المبذولة متاعا للناس.

فهل- مع هذا- يرتاب أحد فى أن خصوصيات الرسم العثمانى لم تقم على منهج ولم تـــدل على معنى؟ أو هى لحن يقومه العرب بألسنتهم؟!

* وفى سورة "لقمان" ورد قوله جل شأنه:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَـــتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)﴾

إن القارئ الذى صحبنا فى هذا الفرع من الدراسة (القبض والبسط) ليس فى حاجة لشرح وبيان لماذا جاءت (بنعمت الله) فى هذه الآية مفتوحة "التاء" بعد أن عرف السبب فى هذا "الفتح" فى النظائر التى تقدمت، لأن تصدير الآية **بقوله "ألم تر" مشعر بأن القرآن يلقـــى الضوء على نعم حاضرة مبصرة** هى: جريان الفلك فى البحر ولو كانت قد أرادت إرادة الله عدم جريانها ما جرت ولركدت على ظهر البحر أو لغرقت فيه. ثم قوله فى عجز الآية: (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) إشارة أخرى إلى ظهور هذه النعمة وحـــضورها لأن الله تعالى لا يحيل فكر الناس إلى شئ مجهول وإنما يلفت الأنظار إلى حقائق مـــشرقة شروق الشمس.

* وفى سورة فاطر جاء قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِـــنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُـــونَ (٣)﴾ .. فتحـــت "تاء"- نعمت- هنا لأنها إشارة إلى رزق الله عباده من السماء والأرض ومن قبل ذلـــك خلقه لهم من العدم.

والخلق والرزق نعمتان حاضرتان ماثلتان أمام الأعيان لذلك جاء فتح "التاء" رمزا إلى هذه المعانى.

أما آخر المواضع فهو قوله جل شأنه: فى سورة الطور:﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّـــكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩)﴾ .النعمة- هنا- هى النبوة، لأن المشركين قـــابلوا نبوتـــه (ﷺ) فوصفوها بهذه الأوصاف. والنبوة نعمة حاضرة ظاهرة لم تنفك عنه عليه الصلاة والسلام. وهكذا تطرد علة "فتح التاء" فى هذه المواضع جميعا لم يشذ منها واحد.

وصفوة القول أن "تاء" - "نعمت" مثل "تاء" - "رحمت" تفتح في الرسم العثماني للمصحف الشريف أو تمد إذا كانت حاصلة بالفعل وتقبض فيما عدا ذلك.

(ولعل ذلك يذكرنا بحديث النبي (ﷺ): أن الرحمة مائة جزء أمسك الله عنده منها تسع وتسعون جزءاً(المغلق التاء) وأنزل جزءاً واحدا (التاء المفتوحة) منه يتراحم الناس....)

وبقيت أية الزخرف..﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣)﴾ الزخرف .

..وربما نقول.((هو يقول (نعمة ربكم) ولم يقل (نعمة الله)) مثل قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)﴾ الصافات.. فهما بالتاء المغلقة ..

۞ولكن لها توجيه آخر (أرى هنا أن هذه الآية مثل آية (وإن تعدوا نعمة الله.. النحل) - نعمة الهداية إلى معرفته الحقة وذكره وتوحيده - كما ذكر المفسرون-، والآيات قبلها تبين ذلك ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦).... وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) .. بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) .. فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾

وهكذا نجد أنها كلها دعوة لإبطال الشرك ولتوحيد الله وإثبات البعث والخروج ، وليست دعوة للتذكر بالنعم للشكر عليها فقط- وهي ليست لقوم مؤمنين - بل إنه حديث لقوم (في غاية الشرك) ويحتاجون إلى هذه اللفتة إلى ذكر الله وتوحيده (والهداية الكاملة) وليس النعم الجزئية... وتبقى أجل نعمة فتحت على أعظم أهل الأرض وعاشها وأحس بها وقال لعائشة - حينما دعته أن يرفق على نفسه من قيام الليل وقد تورمت قدماه - قال لها يا عائشة: أفلا أكون عبداً شكورا: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩)﴾ الطور

۞الخلاصة:

(١) إذا كان المقصود من النعمة نعمة الهداية من الله ، أو الإسلام ككل ، فهى نعمة كلية (نعمة)..

(٢) وإذا كان المقصد من ذكر النعم هو التوصل بهذه النعمة لتوحيده وذكره – فهى نعمة عامة وكلية – (فهى لفتة إلى السماء وهى نعمة كلية) بالتاء المربوطة (نعمة) ..

(٣) وإن كانت هذه النعمة لم يباشروها بأيديهم – وكانت أيضاً نعمة نفسية وروحية – وأصبحت غير مادية فقط – (كما فى آية الأحزاب) فهى نعمة كلية أو على الأقل ليست مادية فقط.. وهى هنا أيضاً تلفت الأنظار والقلوب إلى السماء وليس إلى الأسباب الأرضية.(نعمة)

** أما نعمة الرزق ، والتشريع الخاص ، والنصر فى واقعة معلومة أو خاصة – كما فى نجاة النبى (ﷺ) من محاولة قتله– ، أو تكون هذه النعمة قد مارسوها بالفعل وبالمباشرة الأرضية لها، فإنها تكتب (نعمت) بالتاء المفتوحة

وهنا يتضح معنى الإشارة إلى المعنى الخاص والمعنى العام .. والأرضى وغير الأرضى ، والمادى وغير المادى ، والفعل والإسم.

وهذا المعنى للقبض والبسط للتاء سنجده واضحاً عند الحديث عن(سنة وسنت) وغيرها .. حيث أننا سنرى أن: نبرة الإنتقام والتهديد و المباشرة المادية – وليست المعنوية أو الروحية أو الفكرية – تستدعى فتح تاء (سنت الأولين) ، وكما يقول د:الزركشى وغيره: **فـ(سنت) تشير إلى الوقوع الحسى الذى له صور فى الوجود. و(سنة) تشمل كل تدابير الله وقوانينه فى الكون والكائنات**.(الصفة العامة لما وقع ولما لم يقع ولما هو حاضر وما هو غائب)

(سنة – سنت)

وردت كلمة "سنه" فى القرآن مرات عديدة ترسم "التاء" فيها مقبوضة هكذا "سنة" أحيانا ومبسوطة أو ممدودة هكذا "سنت" أحيانا أخرى ، وكما علمنا من قبل محال محال أن يكون هذا "الصنع" عشوائيا خاليا من الدلالة ؛ لأنه كتاب مصون محفوظ من كل خلل فى ألفاظه وفى تراكيبه وفى معانيه وفى مناهج رسم كلماته المقروءة فى صفحاته الورقية.

ونبادر– الآن– ونقول: إن ما جاء من كلمة "سنة" مقبوض أو مربوط "التاء" جاء على الأصل وما جاء على الأصل لا يبحث عنه ولا فيه. أما ما جاء على خلاف الأصل فهو الذى يجب البحث عن دلالاته وأسراره التى من أجلها خولف ذلك الأصل

ويعرض علينا د: مطعنى – أستاذ البلاغة والنقد – ملفتًا جميلاً لهؤلاء الذين يفصلون رسم المصحف عن بلاغة القرآن أو إعجازه البلاغى، وهو قوله:(**مخالفة الأصل فن بلاغى دقيق المسلك ويعرف عند علماء البلاغة بالإخراج على خلاف الظاهر، وهو العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى لداع بلاغى، وبهذا الفن ألحقنا العدول عن ربط التاء إلى فتحه ، ودواعيه البلاغية هى المعانى اللطيفة التى أشرنا إليها مرات**) .

وردت كلمة "سُنت" مفتوحة "التاء" فى سورة "الأنفال"**﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨)﴾** فلماذا فتحت "التاء" فى كلمة (سنت) هنا؟ و لم تربط والربط هو الأصل؟ لماذا خولف الأصل فيها ياترى؟

والجواب: إن فتح "التاء" هنا جئ به لمعنى لطيف، وهو الدلالة على أن المراد من كلمة (سنت) فى هذا السياق **هو الانتقام والإهلاك والعقوبة العاجلة التى لها ظهور فى الوجود**. لأن قوله تعالى (فقد مضت سُنت الأولين) خبر مستعمل فى التهديد وشدة الوعيد: أى: إذا لم ينتهوا عن كفرهم نهلكهم فى الدنيا قبل الآخرة.

ويدل على هذا ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى: **﴿..أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)﴾** ، كما يدل عليه ما بعدها وهو قوله تعالى: فى سورة الأنفال: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)﴾**

۞ ((ولاحظ قوله: (قل) والشرط والجزاء بعدها.. والتوكيد بقد.. ويقول الطاهر: **ويجوز أن المراد بالأولين أيضاً السابقون للمخاطبين من قومهم من أهل مكة الذين استأصلهم السيف يوم بدر ، وفي كل أولئك عبرة للحاضرين الباقين ، وتهديد بأن يصيروا مصيرهم**

والموضع الثانى فى سورة "فاطر" وهو قوله تعالى: **﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾**

وردت كلمة (سنت) فى هذه الآية مفتوحة "التاء" ثلاث مرات فى المرة الأولى أضيفت لـ"الأولين" لفظا لا معنى ، وفى المرتين الثانية والثالثة أضيفت إلى اسم الجلالة "الله" ، والأولى وإن أضيفت لـ"الأولين" لفظا فهى مضافة لله معنى لأن التقدير سنت الله فى الأولين. والمراد منها فى المرات الثلاث هو الانتقام والإهلاك العاجل.

والدليل على ذلك ما ورد فى الآية نفسها (استكبارا فى الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) والمعنى: هل ينظرون إلا أن ينتقم منهم الله ويهلكهم كما أهلك أمثالهم من قبل وانتقم منهم.((لاحظ صيغة التهديد أيضاً– هل ينظرون إلا)

والموضع الثالث فى سورة "غافر"﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾

واضح جدا من سياق الكلام فى هذه الآية أن المراد من (سنت الله) هو الانتقام العاجل الذى أحله الله بهذا الفريق من الكفار بدليل قوله تعالى فى الآية نفسها: (ولما رأوا بأسنا) والرؤية هنا رؤية بصرية؛ أى لما رأوا عذابنا حالا بهم وأبصروه بأعينهم.

ويزيد هذا الوضوح تألقا قوله قبل هذه الآية مباشرة: فى سورة غافر: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)﴾ . إن فتح "التاء" أو بسطها ومدها- هنا- جاء رمزا للدلالة على معنى لطيف هو أن المراد من (سنت الله) هو فعل الانتقام الظاهر فى الوجود ، وهذا لم يدل عليه بلفظ أو جملة وإنما كان سبيل الدلالة عليه هو "صورة التاء مفتوحة" .

فهذه خمس مرات فى هذه الآيات وردت فيها كلمة (سنت) مفتوحة "التاء" إشارة لطيفة إلى أن المراد من كلمة (سنت) فى المرات الخمس هو الانتقام الذى وقع فعلا فى الوجود ، إما حقيقة كما أهلك الله أقوام هود وصالح ونوح، وإما إبعادًا وتهديدا كما فى خطاب مشركى العرب ؛ لأن معنى (سنت الأولين) تهديد لهم بإنزال العذاب الذى أوقعه الله حقيقة بالأمم الغابرة.

أما "سنة" المقبوضة "التاء" فإنها تشمل أمرين:

* الانتقام العاجل فى هذه الحياة الدنيا.

* **قوانين الله ونواميسه** فى خلق سواء كان ذلك فى الكائنات الحية مثل الإنسان والحيوان والنبات. وفى الجماديات كقوانين الكيمياء والفيزياء وكل ما تخضع له المادة من تغيرات حسب الظروف التى تطرأ عليها مثل تمدد الحديد بالحرارة وانكماشه بالبرودة وتبخر الماء وتجميده ...إلخ.

ففى سورة "الحجر"﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣)﴾ جاءت كلمة (سنة) بقبض "التاء" للدلالة على قانون من قوانين الله عز وجل فى مكذبى الرسل وهو **الطمس على قلوبهم لصدهم عن سبيل الله** (**وهو مظهر معنوى وليس انتقام مادى**) بدليل ماذكره الله قبل هذه الآية مباشرة: فى سورة الحجر:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) ﴾

هذا التصرف الإلهى هو الذى سماه الله (سنة الأولين) والمعنى هنا أن الله حرمهم من ألطافه فحجَّر قلوبهم، كما قال عز وجل: فى سورة البقرة :﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)﴾ . فالمراد من "السنة" فى هذه الآية ما هو أعم وأشمل من العقاب الحسى والانتقام المادى.

وهنا أنقل أقوال المفسرين تأكيداً لهذا المعنى هكذا: أي هكذا نولج القرآن في عقول المشركين ، فإنهم يسمعونه ويفهمونه إذ هو من كلامهم ويدركون خصائصه؛ ولكنه لا يستقر في عقولهم استقرار تصديق به بل هم مكذبون به ، كما قال تعالى : **﴿وإذ ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم** زادته هذه **إيماناً فأما الذين** آمنوا **فزادهم إيماناً وهم يستبشرون** وأما الذين **في قلوبهم مرض فزادهم** رجساً إلى **رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾** [سورة التوبة : ١٢٤ ١٢٥] .وهذا السلوك تقوم الحجة عليهم بتبليغ القرآن إليهم ويعاد إسماعهُم إياه المرة بعد المرة لتقوم الحجة . فضمير نسلكه و { به } عائدان إلى { الذكر } في قوله : **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾** [الحجر : ٩] أي القرآن .والمجرمون هم كفار قريش .

وكذلك فى سورة الإسراء **﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)﴾ ..... جاءت كلمة (سنة) فى الآية مربوطة "التاء" للدلالة على معنى هو حماية الله رسله جميعا وتبوير مكايد أعدائهم ، وليس فى الآية دليل على أن المراد منها **انتقام مادى عاجل** ؛ لأن صدر الآية التى قبلها يقول: فى الإسراء **﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)﴾** و(كادوا) من أفعال المقاربة والمعنى: أنهم كادوا أن يزعجوك ليخرجوك ، وهم لم يخرجوه بل أمره الله بالخروج من مكة إلى المدينة. فالآية تحمل وعدا من الله لرسوله الكريم بأنهم لو حدث منهم إخراجك فإن الله عز وجل سيشتت جمعهم ويمزق اجتماعهم.

وقد عرفنا من قبل أن "سنة" المربوطة "التاء" **معناها أشمل وأعم** من "سنت" المفتوحة "التاء". **فـ(سنت) تشير إلى الوقوع الحسى الذى له صور فى الوجود. و(سنة) تشمل كل تدابير الله وقوانينه فى الكون والكائنات.**

ومثل هذه الآية قوله تعالى فى سورة "الأحزاب"**﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾**

رسمت كلمة (سنة) فى الآية مرتين بقبض "التاء" لأن المراد منها معنى عام يشمل الانتقام وغير الانتقام الحسى المادى، ومن غير الانتقام الحسى المادى فى دلالة الآية لعنة الله لهذا الفريق من الناس وحرمانهم من ألطافه ورحمته.

وكذلك جاءت كلمة "سنة" بقبض "التاء" فى قوله تعالى: فى سورة الكهف: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥)﴾

ومعنى الآية الذى لا نزاع فيه هو أن تأخير العذاب عنهم أغراهم على البقاء على الكفر والمعاصى فهو فاعل مجازى لا حقيقى.

وأيا كان الأمر فإن المراد من (سنة الأولين) فى الآية هو "التخويف" لا الانتقام الفعلى المادى المحسوس ، لأن الله لم يستأصل شأفة مشركى العرب كما حدث لقوم نوح وهود وصالح ولوط لذلك رسمت كلمة "سنة" مربوطة "التاء" أو مقبوضة "التاء" .

وبعض العلماء يخص كل ما كان مفتوح "التاء" من هذه الكلمات بأن المراد منه "الفعل" وما كان مقبوض "التاء" بأن المراد منه "الاسم" .

ونضيف الآية (٥) الأحزاب: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)﴾

ويقول الزمخشرى: { سُنَّةَ الله } . { مَّا كَانَ عَلَى النبى مِنْ حَرَجٍ } كأنه قيل : سنّ الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين ، وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره ،.. . وقرىء : «رسالة الله».((وهذه القراءة تعنى أن سنة الله هنا ليست بمعنى الانتقام ولكنها تعنى الرسالة والهداية).

إمرات– إمرأة

وما قيل فى: "رحمت ورحمة– ونعمت ونعمة– وسنت وسنة" يقال فى: "امرأت– وامرأة" حيث جاءت هذه الكلمة فى القرآن الكريم مقبوضة "التاء" فى مواضع وهو الأصل. وجاءت مفتوحة "التاء" فى مواضع سبعة . ومفتوح "التاء" منها يدل على معنى مغاير للمعنى الذى تدل عليه مقبوضة "التاء" – كما تقدم فى رحمة ونعمة وسنة–.

وهذا يتضح من النظر فى الآيات نفسها ولنبدأ بالمفتوح "التاء" فى مواضعه السبعة وتوخيا للإيجاز نذكر هذه المواضع دفعة واحدة ثم ننظر فيها:

* الموضع الأول: فى آل عمران:﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ .. (٣٥)﴾
* الموضع الثانى: فى القصص:﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ .. (٩)﴾

* الموضع الثالث: فى التحريم:﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ .. (١٠)﴾

* الموضعان الرابع والخامس: فى التحريم:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ .. (١١)﴾

* الموضعان السادس والسابع: فى يوسف:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ..(٣٠)..قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ..(٥١)﴾

هذه الكلمات فى كتاب الله العزيز وفى الرسم القرآنى لها دلالات باهرة معجزة .

إن النظر الدقيق فى هذه السياقات السبعة التى وردت فيها كلمة "امرأت" مفتوحة "التاء" يسفر عن الحقائق الآتية:

أولا: أنها فى المواضع السبعة **جاءت مضافة** .

ثانيا: أن هذه "الإضافة" إلى غير الضمائر بل هى إضافة **إلى أسماء ظاهرة:** فرعون مرتان والعزيز مرتان ونوح ولوط مرة وعمران مرة .

ثالثا: إن كلمة "امرأت" فى المواضع السبعة **تدل على ذات معينة لا يشترك معها غيرها فهى دلالة خاصة لا عامة.**

۞ (وأقول: بهذا يخرج منها الآية : (**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً..**) وقد كتبت مغلقة التاء لأنها لم تضاف إلى إسم ظاهر... لكن يبقى سؤال: ألا يوجد فيها معنى الفعل ؟ والإجابة ربما لأنها فقدت معنى الخصوصية – بل العمومية – أى فى أى زوجة ولأى رجل وليست زوجة فلان بالتحديد والخصوص..... مع ملاحظة قوله (بعلها) و لم يقل (زوجها) وربما يكون لهذا الملحظ دخل فى ذلك؟ حيث أن (البعل) يقال فى منهج القرآن فى حالات عدم التوافق فى الحياة الزوجية. (وراجع بحثنا عن (البعل والزوج) فى كتبنا (الإعجاز القصصى والتكرار)

رابعا: أن المضاف "امرأت" والمضاف إليه فى كل موضع بينهما **علاقات وروابط زوجية قائمة.**

خامسا: أن هذه العلاقات والروابط الزوجية هى الأساس فى "الإنجاب" و"التوالد" من حيث الجملة.

وينتج عن هذه الاعتبارات الخمسة أن فتح "تاء" التأنيث فيها جاء رمزا إلى هذه المعانى ، فقد خولف الأصل فى رسم "امرأت" و لم تكتب بالتاء المربوطة.

فلله در القرآن الكريم ما أعظمه ، وما أعظم إعجازه من أى جهة نظرت إليه حتى رسم كلماته وحروفه معجز كنظمه وبلاغته ومعانيه .

أما "امرأة" بـ"التاء" المقبوضة أو **المربوطة فدلالة عامة على واحدة غير معينة** من النساء فهى كرجل تدل على نكرة شائعة فى جنسها لا تخصيص فيها، ولنسق على هذا بعض الأمثلة:

فى سورة النساء: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ .. (١٢)﴾ تأمل فى دلالتى رجل وامرأة فى الآية لا تجد أنهما يدلان على رجل معين ولا امرأة معينة، بل تدل كلمة رجل على فرد غير معين شائع فى أفراد جنسه ، وتدل كلمة امرأة على فرد غير معين شائع فى أفراد النساء؛ أى كل من مات من أفراد الرجال وليس له أصل (أب– أم) وارث ، وكل من مات من أفراد النساء وليس لها أصل ولا فرع وارث..

واذا وازنت بين "امرأة" فى هذه الآية وبين كلمة امرأة فى قوله تعالى: (امرأت عمران) ظفرت بوضوح الدلالة فيهما ،و(امرأت عمران) هى فرد معين مخصص بالاسم والصفة والزمان والمكان .ولهذا فإن فتح "التاء" فى "امرأت" يدل على التحديد والتخصيص. وقبض "التاء" فيها يدل على التعميم والشيوع الواسع فيشمل أفراد الجنس كله، وارجع– إن شئت– إلى الخصائص الخمسة التى ذكرناها آنفا التى لوحظت فى كلمة "امرأت" المفتوحة "التاء" فى آيات كتاب الله العزيز **لتعلم يقينا أن خصوصيات الرسم القرآنى لها دلالات باهرة معجزة لا كما يدعى قصار النظر أن هذه الخصوصيات وليدة العشوائية أو لضعف كتبة الوحى فى فن الإملاء؟**

إبنت:

ويلحق بفتح "التاء" فى "امرأت" فتح "التاء" فى "إبنت" فى موضع واحد من القرآن الكريم فى قوله عز وجل: فى سورة التحريم:﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا .. (١٢)﴾ عوملت (ابنت) معاملة (امرأت) وإن لم تضف إلى رجل هو زوج لها بل إلى رجل هو أبوها ، وسبب فتح "التاء" فيها هو "الإنجاب" لأنها– رضى الله عنها– أنجبت عيسى عليه السلام وقد تقدم أن "الإنجاب" معتبر فى فتح "التاء" .

فسبحان الذى أنزل هذا الكتاب (القرآن) الذى لا تنتهى عجائبه ولا ينضب معينه ولا تجف مجاريه .

لَعْنَت .. لعنة

ومن ذلك كلمة "لعنة" فقد جاءت مربوطة "التاء" فى الرسم القرآنى فى مثل قوله تعالى: فى سورة سورة البقرة:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)﴾ . وقوله تعالى: فى سورة الأعراف:﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤)﴾

ومجئ "لعنة" مربوطة "التاء" هو الأصل، وهى حينئذ تدل على المعنى العام لكلمة "اللعنة" ، وهى الطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل.

وقد جاءت مخالفة للأصل فى موضعين فى الرسم القرآنى الأول فى قوله تعالى: فى سورة آل عمران:﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾ .

إن فتح التاء فى كلمة "لعنت" فى هذه الآية جاء رمزا للدلالة على معنى لطيف هو: أن المراد من اللعنة هنا هو غضب الله الذى **يحل على الكاذب فى الحال**؛ أى الطرد العاجل من رحمة الله أو العقوبة العاجلة فى وقت الابتهال. من أجل ذلك بسطت "التاء" فى الرسم القرآنى هكذا: (لعنت الله على الكاذبين)

أما الموضع الثانى فهو قوله تعالى: فى سورة النور:﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)﴾.

هذه الآية من الآيات التى **فصلت أحكام اللعان** بين الزوجين إذا اتهم الزوج امرأته بالزنا ولم يكن له شهود إلا نفسه ، فإنه يشهد أربع مرات بالله أنه رآها وفى المرة الخامسة يقول- بعد الإقسام بالله- أن لعنة الله عليه إن كان كاذبا فى اتهامه إياها بالزنا ، ومجئ "لعنت" مبسوطة "التاء" غير مقبوضة دليل على أن الله يرتب حلول **لعنته على هذا الكاذب فى الحال** قبل المآل.

ففتح "التاء" فى هاتين الآيتين يرمز رمزا لطيفا إلى حلول العقوبة على مستحقيها فى الدنيا قبل الآخرة. وبعض العلماء يقول فى المعنى المدلول عليه بربط "التاء" أو "قبضه" أن المراد به الدلالة على مجرد "التسمية" أو على الاسم، أما فتح "التاء" أو "بسطه" فإن المراد منه الدلالة على "الفعل" فى الواقع فى الوجود ، وهذا يعم كل مدلولات الكلمات التى جاءت على رسمين مختلفين فى القرآن الكريم.

"شجرة" .. شجرت

فقد رسمت تاؤها مربوطة فى مواضع ، ورسمت مفتوحة فى موضع واحد ، فمن رسمها مربوطة قوله تعالى: فى سورة الصافات:﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤)﴾ جاءت كلمة "شجرة" مرسومة بـ"التاء" المربوطة **لأن المراد تصويرها فى الذهن** من حيث إنها شجرة عجيبة

فهى نوع من النبات ، والنبات لا ينمو ولا يعيش فى النار لكن قدرة الله لا يعجزها شئ، وأن ثمارها فى بشاعة منظره كأنه رءوس الشياطين فى هولها وفى فظاعتها.

فالمراد من ذكرها فى هذه الآيات التعجيب والتهويل والتبشيع.

أما مجيؤها بـ"التاء" المبسوطة أو المفتوحة (قد أخطأ الشيخ وقال عنها (التاء المقبوضة).. وهذا سهو منه فى الكتابة رحمه الله) فهذا تراه فى قوله عز وجل: فى سورة الدخان : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)﴾ فتحت "التاء" فى كلمة "شجرة" فى الآية لأن المراد ليس مجرد "الاسم" بل المراد هو "الفعل" أى: الأكل ؛ فالبيان القرآنى ذكر "شجرة الزقوم" باعتبارها مصدرا لأكل الآثمين فهى- كما صورها البيان القرآنى- بمثابة قصيعة أو مادة طعام يأكله "الآثمون" ؛ فهم قد التهموه لأنهم جوعى، وازدردوه فملأوا به بطونهم فطفق يغلى فيها غليانا يشبه غليان السائل فى إناء أوقدت عليه وحوله النار.

قارن بين الموضعين اللذين رسمت فيهما الكلمة: مرة مربوطة "التاء": (أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم).ومرة مفتوحة "التاء" "إن شجرت الزقوم"...

نجدها فى الموضع الأول **كأنها علبة طعام مغلقة، ونجدها فى الموضع الثانى كأنها مائدة طعام يتكالب عليها آكلوها** وهذا هو "الفعل" أو "الحدث" الذى له صورة محسوسة فى الوجود. لذلك ربطت "التاء" فى الأول وفتحت فى الثانى.

۞ ((وأقول أن هذا تشبيه رائع وبليغ وذكى من أستاذنا المطعنى .. وهو ملحظ يجب استيعابه وتطبيقه فى حالات أخرى ربما لم يذكرها الدكتور نفسه)

ومنها كلمة

"جنة" "جنت"

هذه الكلمة جاءت فى الرسم القرآنى مربوطة "التاء" وهى مضافة إلى ما بعدها أو غيرها مضافة إلا فى موضع واحد جاءت فيه مفتوحة "التاء" فى قوله تعالى: فى سورة الواقعة:.. ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩)﴾

فتحت "التاء" فى "جنت نعيم" لأن المراد منها هو النعيم الحاضر الذى يكون مصيرا مباشرا لمن مات من "المقربين" فور خروج روحه من جسده. فهو نعيم واقع فعلا بدءًا من تلك اللحظة التى تفارق الروح فيها الجسد ، دليل ذلك هو سياق الكلام الذى وردت فيه هذه الآية وهو سورة الواقعة: الآيات﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ

﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

هذه الآيات الكريمة تتحدث عن مشهد يتكرر آلاف المرات فى اليوم الواحد هو ساعة رحيل كل حى من بنى آدم. وعطف (روح وريحان وجنت نعيم) على واقعة خروج الروح من الجسد بالفاء هكذا (فروح وريحان وجنت نعيم) دليل على أن حصول هذا النعيم يكون فى الحال لأن القبر كما جاء فى الحديث الشريف إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار".

۞ ((وأضيف إلى هذا الملحظ الرائع والتوجيه الحكيم من أستاذنا المطعنى- الذى لم أعثر عليه فى كتب السابقين - أن هذا يشخص حديث النبى (ﷺ): والله لايخرج أحدكم من الدنيا إلا وقد رأى مقعده من الجنة أو من النار...) والنص يصور حالة الغرغرة وهى قبل خروج الروح خروجاً نهائياً حيث يقول:﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ .وهو مازال على قيد الحياة الدنيا. و لم يقل: (فلولا إذا خرجت الروح) وهذا يؤكد على أنه ما زال خاضع للحياة الدنيا .. وهو فى الحياة الدنيا يرى الجنة (فهى المرة الوحيدة والحالة الوحيدة التى يرى المرء فيها الجنة مفتوحة أمام عينيه وهو فى الدنيا)..

ومن روائع البيان ما ذكره الإمام ابن القيم حول قوله ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾..﴾ و لم يقل: فلولا إذا خرجت الروح.. حيث يشير إلى أن هذا مقام التحدى من الله لكل البشر ، حيث أنه لو قال فلولا إذا خرجت الروح . لقال هذا المتفلسف أن الروح خرجت ولا أعلم مكانها ولو أعلم مكانها لأرجعتها إلى الجسد .. فإذا بالنص القرآنى يصور له الروح بأنها لم تخرج ولكنها هى (فى الحلقوم) ولاتحتاج إلى البحث عنها خارج جسدها .. ولو عندكم القدرة أدخلوها من الحلقوم....

وبعد هذا العرض الرائع من أستاذنا المطعنى والعلامة ابن القيم نجد المتعة والجمال والإبهار والإعجاز فى هذا النص وفى رسم الكلمة فيه حيث أننا كنا نقول دائماً: الجنة غيبية ولن يرها أحد إلا يوم القيامة فمن حقها – دائما – وحسب حكمة الرسم القرآنى للكلمة – أن تكتب (مغلقة) – جنة – ولذلك كان العجب الشديد من ورودها هنا فى هذا الموقف الوحيد فى القرآن كله لأنه هو الموقف الوحيد الذى يصور صاحبه وهو فى حالة الاحتضار.. فأى جمال وأى روعة وأى إعجاز نقولها لهؤلاء الذين لايتدبرون القرآن ورسمه، وربما يقول قائل : أن جنة هنا فتحت لأنها مضافة أى:(جنت نعيم) .. ولكننا نجد أن هناك آيات فيها هذه الإضافة وكتبت بالتاء المغلقة كما سيكمل أستاذنا المطعنى:

قارن هذا الموضع بقوله تعالى: فى سورة الشعراء:﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)﴾ وقوله تعالى: فى سورة المعارج:﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨)﴾ تجد دلالة فى هذين الموضعين تختلف عن دلالتها فى الموضع الأول؛ فقد كانت الدلالة فيه هو النعيم الواقع فعلا، وهو فوق ذلك نعيم خاص.

۞ (وأقول: إن معنى قوله: النعيم الواقع فعلا((أى الذى يراه المحتضرعلى الواقع)) ،.. ومعنى قوله: وهو فوق ذلك نعيم خاص .. ربما استفاده استاذنا من السياق من عطف الجنة فى قوله (فروح وريحان وجنة نعيم) والذى يعطى إيحاء بالتعظيم لها و بأنها جنة خاصة ومخصوصة من ضمن الجنان، وهذا ملحظ لامانع منه بلاغياً.وأستاذنا هو أستاذ البلاغة والنقد.

ويكمل د: مطعنى:

أما المراد من كلمة "جنة نعيم" فى هذين الموضعين (المغلق فيهما تاء الجنة) فهو معنى عام كما ترى وكذلك فإنه غير واقع بالفعل؛ ففى آية "الشعراء" هو مجرد دعاء من إبراهيم عليه السلام أن يجعله الله فى المستقبل من أهل الجنة. وأما فى آية "المعارج" فهو الإشارة إلى طمع الذين كفروا فى أن يدخل الله كل امرئ منهم جنة نعيم وهم فى الواقع مبعدون عنها.

من أجل ذلك المعنى "اللطيف" فتحت "التاء" فى آية الواقعة: (فروح وريحان وجنت نعيم) ، مع ملاحظة أن نظم الآيات الثلاث واحد، ليس فيه فرق إلا فتح "التاء" فى آية الواقعة، وقبضها فى آيتى "المعارج والشعراء" .

۞ وهنا أضيف لهذا الجمال جمالاً آخر – لم يذكره أستاذنا المطعنى– ووصفه لنا الإمام المراكشى (مع شرحنا وتعليقنا عليه للتوضيح والإفادة) وهو يستعرض الآية ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) .. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)..﴾ وقد لاحظ أن (جنت) كتبت مفتوحة التاء ، وأن (تصلية) كتبت مغلقة التاء.. وكما قلنا من قبل أن فتح التاء دليل الفعل (أى التمتع بها لنفسه وأنها فتحت عليه هو– وليس على غيره– بالفعل).. أما إغلاق التاء فهى للإسم وليس للفعل _ أى أنها لم تفتح له (هو) – وربما تفتح لغيره.. وقد لاحظ الإمام المراكشى أن الخطاب فى بداية الآيات (للمؤمنين)؛ والجنة قد فتحت علي (المؤمنين) فكتبت (جنت)بالفتح .. ولكن قوله (تصلية جحيم) فإنها بالطبع لم تفتح على المؤمنين (المخاطبين فى الآيات) بل هى (مغلقة بالنسبة لهم) فكتبت (تصلية) مغلقة التاء.. ولو كان

الخطاب للكافرين فى بداية السياق لفتحت الجحيم لهم وكتبت (تصليت) بالتاء المفتوحة.. وهذه ملاحظة رائعة يستنبطها العلامة المراكشى من سياق الآية ومن معرفة من هو المخاطب فى الآيات .. وهو لون من الإعجاز ليس له مثيل.. وإليك ما قاله الإمام:

ومن ذلك: (الجنّة) مدت تاؤها في موضع واحد في الواقعة: (وَجَنّت نَعيم) يدل على أنها بمعنى فعل التنعم بالنعيم اقترانها بالروح والريحان. وتأخرت عنهما وهما من الجنة. فهذه جنة خاصة بالمنعم بها) وقد شرحنا قوله هذا.

وأما: (مِن وَرَثَة جَنّة النَّعيم) و (أَن يَدخُل جَنَةَ نَعيم) فإن هذا بمعنى الإسم الكلي.

ولم تمد (تَصلِيَةَ جَحِيم) لأنها اسم ما يفعل بالمكذب في الآخرة " أخبرنا الله بذلك. فالمؤمن يعلمه تصديقا به " ولا يجده بالفعل أبدا في الدنيا ولا في الآخرة. و قال تعالى: (وَنَادى أَصحابُ الجَنَة أَصحاب النارِ أَن قَد وَجَدنا ما وَعَدَنا رَبُنا حَقاً فَهَل وَجَدتُم ما وَعَد رَبّكُم حَقّا قالوا نَعَم) فكلمة العذاب إنما حقت على الكافرين هم الذين يجدون ذلك بالفعل. وأما المؤمن فلا يجد منها إلا الإسم دون الفعل. والخطاب إنما هو " للمؤمن " فلذلك كانت (تَصلِيَةَ جَحيم) بمعنى الإسم في حق المؤمن. وإن كانت بمعنى الفعل في حق الكافر " فهي " على خلاف " جنة " نعيم فإنما يجده المؤمن بالفعل.

"معصية" "معصيت"

جاءت مفتوحة "التاء" فى موضعين من سورة واحدة فى قوله تعالى: فى سورة المجادلة: ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ..(٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩)﴾

وفتح "التاء" فى الموضعين رمز إلى معنى لطيف هو أن "معصيت الرسول" المراد منها الفعل الواقع من المنافقين فى حال نجوى بعضهم بعضا بدليل قوله تعالى حاكيا عما كانوا يقولون فى أنفسهم. (لولا يعذبنا الله بما نقول)؛ فهم كانوا يعرفون أن فعلهم هذا معصية. أما فى خطاب الله المؤمنين فقد نهاهم أن تتضمن مناجاتهم قولا فيه معصية للرسول كما كان يحدث من المنافقين ، لأن المناجاة هى الحديث والحديث واقع فعلا سواء كان طاعة او معصية ، فإن كان معصية فهى معصية واقعة فعلا فى الوجود.

"فطرت"

جاءت مفتوحة "التاء" فى القرآن مرة واحدة وذلك قوله تعالى: فى سورة الروم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ..﴾ لأن المراد من "فطرت الله" هنا الاستعداد للإيمان وعمل الصالحات الذى خلق الله عليه الناس ، يؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

فالله- عز وجل- يخلق الناس على صفة الطهر والاستقامة وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهذه الفطرة النقية الطاهرة تتعرض للفساد بإهمال الوالدين فى التربية وبما تعكسه البيئات السيئة من الفساد والإفساد، ففتح "التاء" فى "فطرت الله" رمز إلى الوجود الفعلى لهذه الفطرة فى الأطفال حين يولدون ، فمن عُصم منهم لازمته هذه الفطرة ومن ضل أفسدها وصار مسئولا عنها أمام الناس يوم يقوم الناس لرب العالمين.

"قرة" "قرت"

حيث وردت فى القرآن مرتين إحداهما مفتوحة "التاء" والأخرى مربوطة "التاء" **وكلتاهما مضافتان**. فالأولى وردت فى قوله تعالى: فى سورة القصص: **﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾**

جاءت كلمة "قرت" هنا مفتوحة "التاء" لأنها بمعنى **المسرة والسعادة الحاضرة فى الوجود** لأنها وقعت خبرا عن موسى عليه السلام، وكان موسى حيا موجودا فى طور الطفولة الباكرة، فالسرور به كان حاصلا ساعة قالت امرأة فرعون هذا الكلام وجاء فتح "التاء" رمزا دالا على هذا المعنى.

أما **الموضع الثانى** الذى رسمت فيه هذه الكلمة بـ"التاء" المربوطة فهو قوله تعالى: فى سورة الفرقان: **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾** فمع أنها جاءت على الأصل وما جاء على الأصل لا يسأل عنه، فإن مقارنتها بالأولى يُظهر لها معنى كأن ربط "التاء" جئ به رمزًا إليه. ذلك المعنى هو أن السرور والإسعاد بالأزواج والذريات ليس له وجود فعلى حين يقال هذا الكلام. وذلك لأنه دعاء ، والدعاء لغة وشرعا وعقلا وواقعا يطلب به ما ليس حاصلا وقت الدعاء. وهذا ظاهر لا يحتاج إلى طول تفكير.

إذن امرأة فرعون كانت تشير بقولها "قرت عين لى ولك" إلى نعمة حاصلة ((موجودة بين يديها وهو الطفل موسى). أما عباد الرحمن فى سورة "الفرقان" فكانوا يطلبون من الله فضلا لم يكن حاصلا وقت الدعاء.

"بقيت"

فقد جاءت فى الرسم القرآنى بـ"التاء" المفتوحة وهى مضافة إلى اسم الجلالة مرة واحدة فى قوله تعالى حكاية عن قول شعيب لقومه: فى سورة هود: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦)﴾ فتحت "التاء" فيها لأن المراد فيها ما تبقى حلالا من المال الذى فى أيديهم بعد أن نهاهم الله على لسان شعيب ، وعن الاحتيال لأكل أموال الناس بالباطل؛ وذلك فى قوله عز وجل قبل هذه الآية مباشرة. فى سورة هود﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ ...﴾

ولا نزاع أن ما بقى فى أيديهم من المال الحلال بعد تنفيذ هذه الأوامر والنواهى هم متمكنون منه منتفعون به، وهو مال حاصل لهم ليس غائبا عنهم ولا محظورا عليهم الاستمتاع به. من أجل ذلك فتحت فيها "التاء" إيذانا بحرية التصرف فيها.

"كلمت"

وبقيت لنا من هذه الكلمات التى توارد عليها قبض "التاء" وبسطها فى الرسم القرآنى الشريف كلمة واحدة هى "كلمت" مضافة إلى اسم ظاهر وشاهدنا عليها هو قوله عز وجل: فى سورة الأعراف: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾ فتحت "التاء" فى "كلمت ربك" فى هذه الآية لأن "كلمت ربك" هنا تشير إلى واقع فعلى ملموس هو:

* توريث الله الصابرين من بنى إسرائيل فى عهد موسى البقاع التى بارك الله فيها
* تم تدمير حضارة فرعون وجنوده وتبوير كل ما عمله هو وقومه فوق سطح الأرض .

وهنا نقف على بحث فى (كلمة،كلمت)

(كلمة،كلمت)

(١) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)﴾ الانعام .. **يقول الرازى: قرأ عاصم وحمزة والكسائي : { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ } بغير ألف على الواحد ، والباقون { كلمات } على الجمع ، قال أهل المعاني ، الكلمة والكلمات ،

معناهما ما جاء من وعد ووعيد وثواب وعقاب ، فلا تبديل فيه ولا تغيير له كما قال : {مَا يُبَدَّلُ القول لَدَيَّ } [ق : ٢٩] فمن قرأ { كلمات } بالجمع قال : لأن معناها الجمع فوجب أن يجمع في اللفظ ، ومن قرأ على الوحدة فلأنهم قالوا : الكلمة ، قد يراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد ، كقولهم : قال زهير في كلمته : يعني قصيدته ، وقال قس في كلمته ، أي خطبته ، فكذلك مجموع القرآن كلمة واحدة في كونه حقاً وصدقاً ومعجزاً .ومن هذا الشرح يتضح لنا قواعد لهذا الرسم :

(١) واضح أنها تمت فى الدنيا.

(٢) وقرىء (كلماتُ) ربك أي ما تكلم به . وقيل : هي القرآن .

(٣) الإضافة إلى إسم من أسماء الجلالة.وليست مفردة أو مضافة لغير ذلك

وأرجو من القارىء الكريم أن يلاحظ هذه الثلاث نقاط فيما يلى من الأمثلة:

**(٢) ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ الأعراف.. وقرأ عاصم في رواية : «وتمت كلمات ربك الحسنى» ونظيره { مِنْ ءايات رَبّه الكبرى } النجم.

**(٣)﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾ يونس.
الطاهر: وقوله : { أنهم لا يؤمنون } بَدل من (كلمة) أو { من كلمات .
وقرأ نافع ، وابن عامر { كلمات ربك } بالجمع . وقرأها الباقون بالإفراد ، وملاحظة (وكذلك) وعائد على الأمثلة المضروبة لهم وعدم الإهتداء الدنيوى بها. وهى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) .... وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) ..﴾ فما قبلها وبعدها أحداث دنيوية تمت وشاهدوها أو علموها يقينا، وأن السياق الدنيوى متأكدٌ من قوله تعالى فى فاصلة الآية﴿ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾وعدم إيمانهم هو (دنيوى) وقد تم فى الوجود.

**(٥) لاحظ غافر: ﴿ (وَكَذَلِكَ) حَقَّتْ كَلِمَت رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّار (٦)﴾ غافر..فهى أيضاً عن كلمات تم تحقيقها فى الدنيا على الأقوام السابقين وليس عن يوم القيامة - كما يتخيل القارىء، - ويتبين ذلك من خلال الشرح التالى للإمام الطاهر حيث يقول:

ويجوز أن يكون المراد ب { الذين كفروا } عين المراد بقوله آنفاً : { ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا } [غافر : ٤] أي مثل (أخذ) قوم نوح والأحزاب حقت كلمات ربك على كفار قومك ، أي حقت عليهم كلمات الوعيد إذا لم يقلعوا عن كفرهم .((فهى أيضاً بمعنى الفعل)) فى الدنيا

و (كلمات الله) هي أقواله التي أوحى بها إلى الرسل بوعيد المكذبين.

ويضيف رأياً هاماً يوضح المعنى الدنيوى المراد فيقول: **ويجوز أن يكون - (وَكَذَلِكَ) حَقَّتْ كَلِمَت رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّار - على تقدير (لام التعليل) محذوفة على طريقة كثرة حذفها قبل (أنّ)- أى قبل "أنهم"- . والمعنى : لأنهم أصحاب النار ، فيكون ضمير { أَنَّهُم } عائداً إلى جميع ما ذكر قبله من (إهلاك) قوم نوح والأحزاب من بعدهم ومن الذين كفروا .

وقرأ نافع ، وابن عامر { كلمات ربك } بالجمع . وقرأها الباقون بالإفراد)انتهى.

ولاحظ استعمال كلمة (وَكَذَلِكَ) وهى عائدة على السياق قبلها ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ (فَأَخَذْتُهُمْ) (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) (٥) ﴾ (وكذلك.). تجعل السياق كأنه واقع مشاهد وعائد على مشهد هلاك دنيوى مصورٌ قبله.. وهو فى السياق هكذا:

(٦)﴿ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَت رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّار (٦) غافر. { حَقَّت كَلِماتُ رَبك } ولك أن تجعل المشار إليه الأخذ المأخوذ من قوله : { فأخذهم } [غافر : ٥] ، أي ومثل ذلك الأخذ الذي أخذ الله به قوم نوح والأحزابَ من بعدهم حقت كلمات الله على الذين كفروا (لأنهم أصحاب النار).

**(٧) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَت رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)﴾ يونس. يقول الطاهر: وقوله : { أنهم لا يؤمنون } بَدل من (كلمة) أو { من كلمات . والمراد مضمون جملة أنهم لا يؤمنون }

وقد تم إغلاق ملفهم وعلموه كاملاً فى (الدنيا)ويقول الزمخشرى: ثبت عليهم قـول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره .

**(٨) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)..﴾ .

وهذه لم يرد فيها قراءتان ، وهى كلمة واحدة، وستحدث يوم القيامة، ولـيس لهـا احتمال حدوثها فى الدنيا – كما فى الآيات السابقة – وهى بمعنى (السنة) الدائمة – وتأخذ بذلك معنى العموم من قوله تعالى عن جميع الخلق فى جميع الأزمان ﴿وَلَا يَزَالُـونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾وهى مثيل (سنة ، سـنت ...جنـة ، وجنت):

أما الآيات التالية فهى مفردة أو غير مضافة للفظ الجلالة:

(١)﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾ (مفردة وغير مضافة للفظ الجلالة)

(٢)﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ (١٩)

(٣)﴿ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)﴾

(٤)﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ.. (٧٤) ﴾التوبة

(٥)﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ..وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ....﴾

(٦)﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾وكل السابق إسم وليس فعل

(٧)﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩)﴾ طه.. والكلمة هنـا هى (تأجيل العذاب إلى يوم القيامة –أى لم يفتح العذاب عليهم فى الدنيا– فهى مغلقة–.

(٨)﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا (١٠٠)﴾ المؤمنون .. يوم القيامة.

(٩)﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩)﴾

(١٠)﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ (٤٥)﴾ فصلت. (والقـضاء فى يـوم القضاء : أى : الآخرة)

(١١)﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ (١٤)﴾ الشورى.. فهى لم تحدث – أى لم تفتح بعد – لأها مؤجلة إلى أجل مسمى.

(١٢)﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ (٢١)﴾ الشورى

(١٣)﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى (٢٦)﴾ الفتح.. (إسم أيضاً وليس فعل)

***إذن الكلمة تفتح إذا تمت فى الدنيا بصورة معلومة لهم – فى الدنيا–أى: بصورة الفعل ؛ كالهزيمة أو الإبادة لهم أو لأمثالهم الذين يعلمون قصتهم حق اليقين .أو التمكين لهم فى الأرض وتدمير ما كان يصنع فرعون وجنوده – فى الدنيا أيضاً – بصورة تمام الفعل–..

وأن يكون ليس المقصود بها الإسم الجامع ، أوالسنة الدائمة– الذى هو سنة الله المطردة فى الكون– فهذه صورة (الإسم).

وتغلق الكلمة إذا كانت مفردة ومضافة للفظ آخر غير لفظ الجلالة – كما قلنا فى سنة ، ونعمة،ورحمة،ولعنة و...–

إضافة إلى جواز قراءتى الجمع (كلمات) والإفراد (كلمة) ولايصلح لإثبات وحفظ تلك القراءتين إلا حذف الألف.

وهناك الرأى– لبعض النحويين – أن تكون الأسماء بالهاء والأفعال بالتاء – وقال به الإمام الزركشى

ولاحظ صورة الجمع فى (كلمت) بدون ألف أيضاً فى قوله:﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾ البقرة.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا (١٠٩) ﴾ الكهف ..

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)..﴾ فهذه الآيات الثلاثة – من سياق الآيات وتحكيم العقل والمنطق لابد من قراءة الجمع لها مع قراءة المفرد.

وتبقى هذه الآية الأخيرة التى أفردنا لها مكاناً خاصاً لأهميتها وخطورة معناها وهى:

**(٣) ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ التوبة.

۞ (وأرى – والله أعلم –أن هذه الآية بصفة خاصة كتبت بالتاء المغلقة لتعطى صفة العموم لهذا الحكم لكل زمان ولكل مكان ، ولو أن الرسم القرآنى كتبها بالتاء المفتوحة (كلمت) لأعطت الخصوص لواقعة معينة فقط وفى زمن معين فقط .. وهذا ليس هو المراد فى هذا الحكم الهام والخطير والذى يترتب عليه قاعدة إيمانية هامة مؤداها: أن كلمة الذين

كفروا فى كل زمان ومكان هى السفلى ، وكلمة الله فى كل زمان ومكان هى العليـــا — بصفة العموم والشمول.

(مع ملاحظة أن النص القرآنى لايساوى بين كلمة الله وبين كلمة الذين كفروا حـــتى فى سياق الآية ووجود حرف العطف الذى يفيد المساواة فى الحكم؛ ولذلك — كما يقـــول علماؤنا — قام النص القرآنى بتغيير الإعراب فى الآية هكذا:﴿ وَجَعَلَ (كَلِمَةَ) الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى (وَكَلِمَةُ) اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾..والمتتبع لإعراب — أو تشكيل- الكلمة (كلمة) يجدها أنها منصوبة بالفتحة (مع الذين كفروا) على إعتبار أنها مفعول (به) منصوب للفعل (جعل): أى أنها (كلمة مجعولة) من الله .. وكان يجب أن تعطف عليها (كلمة الله) لأنها معطوفـــة بحرف العطف وهو (الواو)- (وَكَلِمَةُ) اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا- وكان من حقها أن تكون منصوبة أيضاً وتابعة لما قبلها (المعطوفة عليها — كَلِمَةَ الذين كفروا).. ولكن الإعراب لكلمة الله خالف هذا المتعارف لدينا وقام النص بتغيير الإعراب وجعلها مرفوعة وليست منـــصوبة كالمعتاد ليعطى معنى المخالفة فى الحكمين (بين كلمة الله وكلمة الذين كفروا) فأصبحت كلمة الله غير تابعة للفعل (جعل) ولذلك لم يجعلها منصوبة ، بل جعلها جملـــة مـــستقلة (مستأنفة وجديدة) وتبدأ بقوله (وكلمةُ الله العليا) والواو (واو استئناف) و (كلمةُ الله) مبتدأ مرفوع بالضمة — غير تابع للجملة قبلها -، (والعليا) خبر للمبتدأ.. وبذلك اختلف الحكمان .. ولكن بقى الملحظ الخاص برسم الكلمتين على صورة واحدة من غلق التـــاء (كلمة) رغم أنها فى الثانية (كلمة الله) مضافة إلى لفظ الجلالة، وكان ذلك — كما قلنا — للإشارة إلى معنى (العموم) وليس الخصوص : أى العموم لكل زمان ومكان للحكمين ؛ مع ملاحظة أن كلمة الذين كفروا هى السفلى بصيغة العموم أيضاً (ولكنها مجعولة مـــن الله) أما كلمة الله فهى حقيقة بذاتها و لم يجعلها أحد.وهكذا يكون الإعجاز والإبهار الذى يتعانق فيه رسم الكلمة وبلاغة السياق المبهر فى آن واحد ليشير إلى حفظه معنى وكتابة إلى أبد الآبدين.

وهكذا اتضح لنا لماذا تقبض "التاء" ولماذا تفتح فى بعض كلمات القـــرآن وأن القـــرآن مصون من "العبث" ، **إن كل هذه الخصوصيات لم تأت عبثا بل لها دلالات وثيقة الصلة بمفهوم الإعجاز القرآنى المتعددة الوجوه والسمات.**

الفصل والوصل

الفصل والوصل

﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (٣٤) سورة إبراهيم

﴿ أَنَّ وَبَشِّرِ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ (٢٥) سورة البقرة

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (٩٢) سورة الشعراء

﴿ وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥) سورة البقرة

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ ﴾ (٩٠) سورة البقرة

﴿ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٢) سورة المائدة

للفصل والوصل فى الدراسات الأدبية والبلاغية وغيرهما معان مختلفة فيراد منهما فى فن الإلقاء أن الفصل هو سكوت خاطف بين كلمتين أو جملتين، والوصل هو متابعة القول بدون سكوت بين مفرداته وجمله.

فى علوم القرآن فإن المراد من الفصل والوصل خصوصيات فى رسم المصحف الشريف تختص بفصل بعض الحروف أو وصلها فى الكتابة بعضها عن بعض أو بعضها ببعض ، وهى خصوصيات كثيرة الوجود فى المصحف الشريف.

ومجيؤها موصولة فى مواضع ، ومفصولة فى مواضع أخرى ، والكلمات التى ورد فيها الفصل والوصل واحدة ، يلفت النظر بشدة ويثير تساؤلا لحوحاً حول:

لماذا كان الوصل هنا ؟ ولماذا كان الفصل هنا ؟

ومن تلك الكلمات– مثلا– ما يأتى:

كلما– كل ما ، أينما– أين ما، إنما– إن ما، أنما– أن ما، بئسما– بئس ما.

وغير ذلك كثير ، والتساؤل اللحوح الذى يثيره اختلاف الكلمات القرآنية فى الرسم على النحو الذى تقدم يظل صاحبه حائرا إذا لم يقف على اللطائف والأسرار التى جاء الفصل والوصل رامزًا إليها من طرف خفى.

وهذا الفرع من الدراسة من أهم المباحث التى تضع فى أيدينا مفاتيح لفهم كتاب الله العزيز ، وتفتح أمامنا آفاقا ونوافذ تقربنا من الاطلاع على خبيئات المعانى فى كتاب الله

المعجز فى ألفاظه ومعانيه ، فى مفرداته وجمله وتراكيبه ، بل وفى طريقة رسم كلماته على الورق ؛ وهو ما أسميناه بـ"الاعجاز الخطى" ، وإنه لجدير بهذه التسمية.

هذا هو الفصل والوصل فى مباحث علوم القرآن الكريم.

وبعد هذا التمهيد نشرع فى تفصيل ما أجملناه مستمدين العون والتوفيق من الله.

كلما – كل ما

من يقرأ القرآن الكريم ، يجد أن "كلما" وهى مركبة من حرفين ، موصولة –أعنى أن حرف الميم فيها متصل بحرف اللام ، والمواضع الثلاثة ٥

الأول: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ (٩١)النساء.. يقول الألوسى: أناس كانوا يأتون النبي (ﷺ) فيسلمون رياء ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا نبي الله تعالى (ﷺ) ويأمنوا قومهم ، فأبى الله تعالى ذلك عليهم .

وقيل : الآية في حق المنافقين ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى الفتنة ﴾ أي دعوا إلى الشرك كما روي عن السدي وقيل : إلى قتال المسلمين { أُرْكِسُوٓاْ فِيهَا } أي قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه، يروى عن ابن عباس أنه كان الرجل يقول له قومه : بماذا آمنت؟ فيقول : آمنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء..

يعنى هذا أن الفتنة مختلفة الأنواع وليست نمطا واحدا ، مثل الكفر ، والمعاصى ، والنفاق، وكان هذا هو السبب فى الفصل – كما سنرى إن شاء الله –.

والثانى فى قوله تعالى ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) سورة إبراهيم

والثالث فى قوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤) المؤمنون

الموضع الرابع : ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠) المائدة

ومن البداية أن وصل "ما" ب"كل"(كلما) هو الأصل، أما الفصل فهو خلاف الأصل.

وقبل أن نشرع فى بيان السر أو السبب فى فصل "ما"عن "كل" فى هذه المواضع الثلاثة ، نذكر موضعا واحداً مما وصلت فيه "ما"ب"كل" ليكون معيناً لنا على فهم الفروق بين

الحالتين ؛ ذلك الموضع هو قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (70) سورة المائدة

والآن نورد هذا السؤال :لماذا فصلت "ما"عن "كل"فى المواضع الثلاثة الأولى ،ثم وصلت "ما" ب"كل"فى الموضع الرابع ؟

والجواب:أن الوصل ،مع أنه الأصل (الموضع الرابع) ،**يدل على اتصال المعنى فى الوجود سواء كان اتصالا ماديا محسوسا أو اتصالا معنويا معقولا.**

فتكذيب الرسل وقتل بعضهم أو العزم على القتل طبع متأصل فى اليهود. سواء فى ذلك قدماؤهم قبل الأسلام ،أوالذين كانوا موجودين فى عصر الرسالة المحمدية ، صلى الله على حاملها وسلم.

من أجل ذلك وصلت "ما"ب"كل"رمزا إلى اتصال وصف اليهود بتكذيب الرسل والتمرد عليهم فى أى زمان ومكان وجدوا فيهما. مع ملاحظة أن الحديث فى الأية جرى على قوم جنسهم واحد ، وعقيدتهم واحدة ولغتهم واحدة .

أما الآية الأولى من الآيات الثلاث التى فصلت فيها "ما"عن "كل"

وهى: (**كل ما ردوا إلى الفتنة اركسوا فيها**)، فلأن الفتنة مختلفة الأنواع وليست نمطا واحدا ، مثل الكفر ، والمعاصى ، والنفاق، يعنى انهم كل ما لاحت لهم ضلالة وانحراف سارعوا وتحملوا أثامها (٢).(حديث عام غير محدد)

وأما الآية الثانية (**وآتاكم من كل ما سألتموه**):

فقد فصلت فيه "ما" عن "كل" لأن عطاء الله عز وجل متفاوت لا جنس واحد : عطاء المال – عطاء الولد – عطاء الصحه والسلامة المواهب – عطاء الأمن والراحة النفسية الخ. .فلذلك فصلت"ما"و لم توصل ب"كل".

وأما الموضع الثالث (**كل ما جاء أمة رسولها كذبوه**)**، فقد فصلت فيه "ما" عن "كل"** لأن الحديث جرى على أمم مختلفة ورسل مختلفين متعددين وغير خاف أن الحديث لما كان عن أمة واحدة فى أية المائدة (٤٤) المتقدم ذكرها وصلت "ما"ب"كل" **وهنا اختلفت الآمم ففصلت "ما" عن "كل".**

ومثل آية المائدة قوله تعالى : ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل﴾.

وصلت "ما" ب "كل" فى هذه الآية الكريمة ، **التى تتحدث عن نعيم أهل الجنة ،لأن رزق أهل الجنة متواصل غير مقطوع لا فى الزمان ولا في المكان كما قال عز وجل**

(أكلها دائم)الرعد : أية ٣٥.. وكذلك هو متشابة فى صفات الجودة والاستطابة، بدليل قولة تعالى فى الآية نفسها : (وأتوا به متشابها) • لذلك وصلت "ما" ب "كل" فى هذه الآية.

ومما يزيد المعنى توضيحا قوله : ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠) سورة البقرة. وصلت "ما" ب "كل" فى آيتنا هذه لأن مصدر الإضاءة واحد ، هو البرق ولأن المشى ملازم للإضاءة

ونكمل نحن الأمثلة لوصل (كلما):

(٣) ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٠) البقرة

(٤) ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾. (٣٧آل عمران

(٥)﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦٤) المائدة

(٦) ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (٧٠) المائدة

(٧) ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٣٨)هود

(٨)﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٩٧)الإسراء

(٩) ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (٢٢) الحج

(١٠) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (٢٠) السجدة

(١١)﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ (٨)الملك

(١٢) ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ (٧) نوح

واضح فى أمثلة الوصل جميعها أنها تتحدث عن شيء واحد متصل فى الوجود ويؤكد على اتصال المعنى فى الوجود سواء كان اتصالا ماديا محسوسا أو اتصالا معنويا معقولا •

إنما–إن ما

وكما فصلت "ما" عن "كل" فى المواضع الثلاثة المتقدم ذكرها، فصلت عن "إن" بكسر الهمزة فى موضع واحد فى القرآن كله، وفيما عدا هذا الموضع جاءت موصولة ، مثل قوله

تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠) النساء

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٤٠) النحل

وقوله تعالى : ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ الغاشية ٢١

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)﴾ البقرة

وهذا كثير جدًا فى القراءن لا يكاد يحصى .

****أما الموضع الوحيد الذى جاءت فيه "ما" مفصولة عن "أن" فهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ (١٣٤) سورة الأنعام.**

والسر اللطيف فى فصل "ما" عن "إن" فى الآية ، أن" ما توعدون" مفصل فى الحقيقة وفى الواقع ، **لأنه وعد ووعيد** : وعد بالخير للذين أحسنوا باتباع الحق فى هذه الحياة الدنيا. ووعيد بالشر للذين أساءوا بمخالفة الرسل فكفروا وعصوا. فمعنى "ما"مفصول فى الوجود لذلك فصلت "ما" عن "إن" فى هذه الآية الكريمة .

أنما – أن ما..

كذلك توارد الوصل والفصل بين "أن" بفتح الهمزة ، وبين الحرف "ما".

فقد جاءت "أن" موصولة ب"ما" فى القراءن كله ، إلا فى موضعين فصلت فيهما "ما"عن " أن" مفتوحة الهمزة. **والموضعان هما** : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢) سورة الحـج .

أما الموضع الثانى فهو قوله عز وجل : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٣٠) سورة لقمان

فصلت "ما" عن "أن" فى الموضعين ، لأن ما يدعونه – يعنى يعبدونه – من دون الله كائنات متفرقة متعددة : أصنام – أوثان – نار – كواكب – أهواء – بقر . وهذا هو الباطل . أما الحق فهو الله الواحد الأحد من بيده مقاليد السموات والأرض ، منه المبدأ ، وإليه المعاد ولا يشرك في حكمه أحدا.

وإلى هذا المعنى أشار يوسف عليه السلام بقوله : ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) سورة يوسف

ولما كان ما يعبدون من دون متفرقين غير موصولين فصلت "ما" عن "أن " رمـزا إلى هذا المعنى اللطيف •

وقد جاءت "ما" موصولة ب "أن" فيما يشبه هذين الموضعين فى قوله جل شأنه حكاية عن مؤمن أل فرعون: ﴿أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴾ غافر ٤٣ سر الوصل هنا أن يوسف عليه السلام جمع بين كل ما يصدر من دون الله فى صفة العجز الدائم فى الدنيا والآخرة .

۞ وهنا نبدأ بسرد باقى الآيات التى وصلت فيها الكلمة (أنما)

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَـزْدَادُوا إِثْمًـا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (١٧٨) أل عمران

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّـاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (٤٩)المائدة ...الزمخشرى: يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافـه ، فوضع { بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ } موضع ذلك وأراد أنّ لهم ذنوباً جمة كثيرة العدد ، وأنّ هـذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها ، وهذا الإبهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه الألوسى: وقال الجبائي : ذكر البعض وأريد الكل كما يذكر العمـوم ويـراد بـه الخصوص ،

(من هنا يتبين أن الحديث عن ذنب واحد معلوم وموصول فى الوجود)

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨)الأنفال

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤) هود..

الألوسى: أي ما أنزل إلا ملتبساً بعلمه تعالى لا بعلم غيره ، قيل : وهو معنى قول من قال : أي ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله تعالى ولا يقدر عليه سواه .(يقصد علم الله بصدق الكتاب وتوحيده واحد ومتصل فى الوجود ، ونضيف ملحظ آخر هو: أن الكلام فيه رقـة لأن الخطاب لمحمد (ص) وصحبه.. فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ . بخلاف الآية التاليـة الـتى نلحظ فيها ملحظ الشدة لأنه يقرع بها الكافرين وهى ((فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ...)

**وأرى – والله أعلم – أن فصل (فإن لم) فيه تؤكيد لهذا المعنى حيث أننـا تعودنـا فى خطاب القرآن .. أنه إذا أراد نصح المؤمن وتبليغه أمر من الأمور أو علم من العلوم فإنه يمر

بالنصيحة أو هذا الحديث له مروراً سريعا.. بخلاف إذا كان الخطاب للكافر عن هذا الحدث وهذه المعلومة ، فإن النص القرآني يقف طويلاً على كل كلمة وكل أمر كأنه يفصله له ويقرره به — دون المرور عليه سريعاً- لأنه يخاطب جاحد ؛ وخير مثال على ذلك — حتى من الوجهة البلاغية- قوله تعالى نفس المعلومة للمؤمن فى سياق ، وقولها له للكافر فى السياق الآخر ، فأسرع المرور فى الأول ، وأبطأ المرور عليه فى الثانى — مع ملاحظة التمثيل لذلك بحرف العطف على نفس الأطوار فى خلق الإنسان ب(ثم) — التى تفيد المهلة والتوقف طويلا — مع الكافر... والتمثيل بالسرعة بحرف العطف (الفاء) — الذى يفيد السرعة والتعقيب — فى حال الحديث مع المؤمن المصدق وليس الكافر الجاحد هكذا :

فى سورة الحج الخطاب (للكافر) وسورة المؤمنون (للمؤمن) كالآتى.. وإليك البيان:

سورة الحج : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ (ثُمَّ) مِنْ نُطْفَةٍ (ثُمَّ) مِنْ عَلَقَةٍ (ثُمَّ) مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٥) الحج..........

وفى سورة المؤمنون: نجد نفس الآيات ولكن الخطاب فيها مع(المؤمن) يقول:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً (فَ)خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً (فَ)خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا (فَ)كَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) وفى هذه الآية تجد سرعة الحديث أيضاً متمثلة فى استخدام حرف العطف (بالفاء) التى تفيد التعقيب والسرعة لأن الخطاب للمؤمن وليس لتقريره والتوكيد عليه ولكن لإعطائه المعلومة فقط وتذكيره بها بخلاف خطاب آيات الحج التى استخدم فيها حرف العطف (ثم) الذى يفيد التراخى والإمهال لأن الخطاب للكافر ؛ رغم أن المعلومة واحدة فى كلتا السورتين وهى عن (مراحل تخليق الجنين فى داخل الرحم) .

**ولذلك أرى — والله أعلم — أن الخطاب للكافر الجاد يكون مفصلاً — والتفصيل يعنى أيضاً "التوكيد للمعلومة- فكتبت (فـإن لم) مفـصلة - كمـا فى الآيـة التالبـة (القصص).. والعكس إذا كان الخطاب مع المؤمنين فإنها رسمت موصولة وسريعة — وقليلة التوكيد — وعبر عن ذلك بالرسم هكذا (فإلم) ،كما هى هنا (آية هود).. وربما يكـون هذا الملحظ فى باقى آيات الفصل والوصل (بئسما .. بئس ما).. وسنلاحظ أن المفصولة

فيها (بئس ما) تكون مصحوبة بأداة التوكيد "اللام" (لبئس ما) بخلاف الأخرى ؛ فهنا توكيد وعلو نبرة وربما نلحظ أنها نبرة تحذيرية تحتاج إلى الضغط على كل حرف والوقوف عليه. ونلاحظ ذلك أيضاً مع (إن ما .. وإنما): (فذكر إنما أنت مذكر) فهنا السياق سياق هادىء النبرة وفيه إعطاء معلومة وليس فيه التوكيد والملهجة العالية ، التي ربما تكون لهجة إستنكارية ، مثل سياق الآية التالية :﴿ ذَلكَ بأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ من دُونه هُوَ الْبَاطلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَليُّ الْكَبيرُ﴾ (استنكار بعد توكيد).. ومثلها:

﴿و إنَّ مَا تُوعَدُونَ لآت وَمَا أَنتم بمُعْجزينَ﴾ (استنكار بعد توكيد) أيضاً..

﴿ فَإنْ لَمْ يَسْتَجيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ ممَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بغَيْر هُدًى منَ اللَّه إنَّ اللَّهَ لَا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمينَ ﴾ (٥٠) القصص

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إلَيْكَ منْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَاب﴾ (١٩) الرعد

﴿هَذَا بَلَاغٌ للنَّاس وَليُنْذَرُوا به وَليَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إلَهٌ وَاحدٌ وَليَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَاب ﴾ (٥٢)ابراهيم

﴿قُلْ إنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مثْلُكُمْ يُوحَى إلَيَّ أَنَّمَا إلَهُكُمْ إلَهٌ وَاحدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالحًا وَلَا يُشْركْ بعبَادَة رَبِّه أَحَدًا﴾ (١١٠)الكهف

﴿قُلْ إنَّمَا يُوحَى إلَيَّ أَنَّمَا إلَهُكُمْ إلَهٌ وَاحدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلمُونَ﴾ (١٠٨)الأنبياء

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمدُّهُمْ به منْ مَالٍ وَبَنينَ﴾ (٥٥)المؤمنون..

وانظر ما قاله الزمخشري: ف(ما) موصولة اسم (أن) ، ولا يضر كونها موصولة لأنها في الإمام كذلك لسر لا نعرفه .(وأقول: أن هذا هو ما نبحث عنه وما نتحدث بشأنه على صفحات كتابنا هذا وندعو الله تعالى أن يفتح علينا من فضله وعلمه وتوفيقه)

﴿أَفَحَسبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥)المؤمنون

﴿وَلَوْ أَنَّمَا في الْأَرْض منْ شَجَرَة أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ منْ بَعْده سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفدَتْ كَلمَاتُ اللَّه إنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ ﴾ (٢٧)ابراهيم

﴿إنْ يُوحَى إلَيَّ إلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذيرٌ مُبينٌ﴾ (٧٠) ص

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَني إلَيْه لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ في الدُّنْيَا وَلَا في الْآخرَة ﴾ (٤٣) غافر

﴿ يُوحَى إلَيَّ أَنَّمَا إلَهُكُمْ إلَهٌ وَاحدٌ ﴾ (٦) فصلت

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعبٌ وَلَهْوٌ وَزينَةٌ .. ﴾ (٢٠) الحديد.. تلاحظ السياق – فى الآيات الموصولة.. (أنما)– كأنه يسوق معلومة عامة – مثل الجملة الخبرية– دون تأكيد

شديد عليها ودون استنكار فى الشق الآخر.. فكل هذه الآيات الموصولة على هذا المنوال.. بخلاف الآيات المفصولة كما قلنا.

وهناك رأى آخر- فى الفصل والوصل – نقله د: غانم قدورى.. وهو: (أما اتصال (ما) ب(كل) أو (إن) أو (أن) أو (أين) فقد ذهب علماء العربية إلى أن (ما) إذا كانت موصولة أى بمعنى (الذى) كتبت مفصولة... وإذا كانت غير ذلك وصلت ، لأنه كثر استعمالها مع هذه الأشياء حتى صارت منها..)

وربما يكون هذا الكلام هو عين ماقاله الإمام الطاهر حيث قال: ولعل وجه هذا الانفصال أنه طريقة رسم قديم كانت الحروف تكتب منفصلاً بعضها عن بعض ولا سيما حروف المعاني ؟

وأرى أنه رأى غير صائب ، والدليل هو قراءة الآيات الأخرى ومنها :﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا﴾ . هنا (ما) بمعنى (الذى) ولكنها موصولة ﴿..وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ... أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾.. وأنما غنمتم..وعكسها: كل ما ردوا....

وعلى كل حال فإن رأى الإمام الطاهر يحتاج إلى الوقوف عليه لفهم معناه ولعل فيه الصواب الذى يخفى علينا ، وربما يفتح الله على أحد القراء بذلك.

أينما – أين ما

ومن هذه الكلمات التى توصل بها "ما" وتفصل عنها لاعتبارات لطيفة كلمة "أينما" والأصل فيها هو الوصل ، أما الفصل فيطرأ عليها فى بعض المواضع. وقد جاءت "ما" موصولة ب "أين" فى الرسم القرآنى الا فى ثلاثة مواضيع ، هى :

الموضع الأول فى قولة جل شأنه : ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٢) سورة الشعراء

الموضع الثانى فى قوله تعالى : ﴿..يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤) سورة الحديد

والموضع الثالث فى قوله جل ثناؤه : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١١٢) سورة آل عمران

والذى اقتضى فصل "ما"عن "أين" فى المواضع الثلاثة ،لأن ما بعد "ما" مفصول متفرق فى الوجود الحسى . بيان ذلك هو الآتى :

فى **الموضع الأول** كان الاستفهام التحسيرى عن معبودات المشركين ، وهى كائنات متفرقة متعددة مفصولا بعضها عن بعض ٠

وفى الوضع الثانى (وهو معكم **أين ما** كنتم) نجد الأمكنة المدلول عليها ب "أين" مختلفة فى الوجود، وليست مكانا واحدا ٠ والمعنى : أن الله محيط علمًا بالعباد **مهما تباينت أماكن وجودهم أو تباعدت أو تقاربت ٠**

أما الموضع الثالث (ضربت عليهم الذلة **أين ما** ثقفوا). **فهذه الآية وعيد شديد لليهود** ، وأن الذلة لاحقة بهم فى كل الأماكن وليس فى مكان دون مكان ٠ فأنت ترى أن ما بعد "ما" متعدد مختلف مفصول بعضه عن بعض ٠ **ومن أجل هذا فصلت "ما" عن "أين" للدلالة على هذه المعاني البالغة الدقة ٠**

۞ (وأنا أرى **إضافة لهذا الرأى** أن سياق الآية فيه كثير من التوكيدات(ضربت عليهم.. وباءوا بغضب .. وضربت (مرة ثانية) ثم يؤكد تأكيداً شديداً على السبب فى ذلك **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ﴾** (و لم يقل بغير (الحق) كما فى آية أخرى وهذا التغيير له أهمية كبرى سنعيش معها مع كتابنا الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم) ، ثم يكرر (ذَلِكَ) (مرة ثانية).. بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (وهو يكاد أن يكون تكراراً للمعنى السابق).

وهذه التأكيدات والتركيزات تستدعى، ويناسبها فصل الحروف والوقوف على كل حرف – كما قلنا – وذلك بخلاف الآية الأخرى: **﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا.﴾** . **بدون تفصيل وتأكيد – كما فى الآية السابقة–.**

۞۞۞۞۞۞۞

قارن هذه المواضع الثلاثة بالمواضع الثلاثة الآتية :

﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٥) البقرة

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ (٦١) الأحزاب.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (٧٨) النساء

قارن هذة المواضع الثلاثة بالمواضع الثلاثة التى تقدمت ، ثم اسأل نفسك هذا السؤال : لماذا فصلت "ما" عن "أين" هناك؟ ولماذا وصلت هنا ؟

والجواب :

تقدم سر الفصل فى المواضع الثلاثة الأولى ، أما سر الوصل فى الثلاثة الثانية ، **فهو أن معنى** ما بعد "ما" فى هذه المواضع **متصل بعضة ببعض ،غير منفصل : فالمعنى فى الموضع الأول**

(فأينما تولوا فثم وجه الله) أن الله موجود فى كل مكان ، لا فى جهة دون جهة (معـــنى الاتصال وعدم التجزئة أو التفرقة فى ذات الله وصفاته؛ من العلم والقدرة وغيرها....).

والمعنى فى الموضع الثانى (أينما ثقفوا أخذوا)...الإشارة إلى سنة من سنن الله عز وجل فى العصاة الكفرة ، **وهى سنة مطردة** (أى ثابتة ودائمة وغير متغيرة) بدليل قولة تعالى بعـــد هذه الآية مباشرة ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّــهِ تَبْــدِيلًا﴾ (٦٢) الأحزاب

۞ وأنبه القارىء إلى أن هذه الملحوظة مهمة جداً ؛ وهى ملاحظة الفرق بـــين أن تكون صورة الفعل .. أو سنة الله.

ولأن الحديث فى الآية جرى على قوم مخصوصين - وهم المتمردون فى المدينة فى عـــصر الرسالة - بدليل قوله تعالى : ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠) سورة الأحزاب

أما **الوصل فى قوله تعالى** : ﴿ أينما تكونوا يدرككم المـــوت ﴾ فلأن المعنى اطراد المـــوت واستحالة الفرار منه.

وقد يقال : إن أماكن الموت مختلفة فكان أولى الفصل لا الوصل؟ . وليس الأمر كذلك ، لأن المعني المراد هنا ليس تعدد أماكن الموت ، بل المراد أن الموت الواحد فى كل زمـــان ومكان لا ينجو منه احد،ولا تنفع الحيلة فيه وهذا المعنى دائم ثابت باختلاف الأزمنـــة وا لأمكنة

ثم نسوق باقى الأمثلة وهى:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ النساء

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾النحل

﴿**مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾٦٢) الأحزاب

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾البقرة

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ (١٤٨)البقرة

﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾آل عمران

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (٣٧)الأعراف

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾٣١مريم

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ ﴾..(٩٣)الشعراء
﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ غافر
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤)الحديد
﴿وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا .﴾ . (٧) المجادلة

وعلى القارىء الكريم أن يعيد التأمل فى هذه الأمثلة ويراجع الشرح السابق وسيجد الإجابة واضحة لديه.

بئسما- بئس ما

ومنها "بئسما" جاءت موصوله ب "ما" فى الرسم القرآنى إلا فى موضعين جاءت فيهما مفصولة وهما قولة تعالى ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٦٢) سورة المائدة

وقوله تعالى : ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٨٠) سورة المائدة

والذى اقتضى الفصل فى الموضعين كون معنى "ما" مفصل فى الوجود •

ففى الآية الآولى (لبئس ما كانوا يعملون) جاء الفصل إشارة ورمزا لاختلاف فى أعمالهم فى الوجود المحسوس •

وفى الآية الثانية (لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) تفصيل لما قدمت لهم أنفسهم • وهو نوعان :

• حلول سخط الله بهم فى الدنيا •   خلودهم فى العذاب فى الآخرة •

ولهذافصلت "ما" عن "بئس " ...

قارن هذين الموضعين بالمواضع الثلاثة الآتية:

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ..﴾ (٩٠) سورة البقرة

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٩٣) البقرة.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ﴾ الأعراف ١٥٠

إن كل أمثلة "بئس" ترد فى مقام الذم • كما أن التركيب اللغوى فى الآيات كلها التى وردت فيها "بئس" تركيب واحد فى النطق وفى الأحرف المكون منها هذا التركيب ،وكل مابين هذه الصياغات من فروق هى مجىء (ما) مفصولا أو موصولا. فما سر الوصل فى هذه الآيات الثلاث بعد أن عرفنا سر الفصل فى الآيتين الأوليين؟

الجواب:

إن سر الوصل فى هذه الآيات الثلاث هو الرمز إلى المعنى الذى بعد (ما) أو المعنى الـــذى أومأ إليه التركيب ، **وأنه واحد متصل لامتعدد ولامنفصل.**

فهو فى الآية الأولى الكفر (أن يكفروا بما أنزل الله).

وفى الآية الثانية هو حبهم – أى اليهود- عبادة العجل.

وفى الآية الثالثة هو اتخاذ اليهود العجل إلها يعبد من دون الله بينما كان هو يتلقى الألواح من ربه.. لذلك وصلت (ما) ب (بئس) لأن المعنى من هذه التراكيب الثلاثة موصول فى الوجود الذهنى (المعنوى) والحسى (المادى)

وهكذا اتضح لنا من خلال الآيات التى ذكرت فى مبحث الفـصل والوصـــل فى الرسم القرآنى أن كلاً من الفصل والوصل لهما دلالات ومقتضيات وأسرار ومعـــان لطيفة، فلا يقعن فى وهم واهم أن هذه الخصوصيات عيوب فى الرسم القرآنى ينبغـــى تداركها ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

ولكن بقيت آية وهى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧) ال عمـــران .. **وربما يقال أن مايشترون به آيات الله كثير ومتعدد** (**وهو الجاه أو السلطان أو المال أو التقـــرب إلى الآخـــرين أو متابعة الآباء والأجداد وحب متابعتهم**) ،

۞ **وأضيف هنا:** ما قلته سابقاً من أن عنصر التوكيد له ملحظ آخر أيـــضاً فى رســـم الكلمة وورودها على هيئة الفصل ، وواضح- أيضاً- أن العطف بالفاء (فبئس) هو على جواب الشرط وعلى أوامر ونواهى وتوكيدات (لتبيننه...ولا تكتمونه... فنبذوه .. فبئس ما) وكلها أساليب توكيد تتناغم مع بعضها البعض.

ويرى بعض اللغويين أن فصل (بئس) عن (ما) فى هذه الآيات الثلاثة لاستطالة الكلمـــة بلام (لبئس) أو بالفاء (فبئس) .. وعندما حذفت منها هذه الزيادات مالت الكلمـــة إلى الوصل(بئسما) وهذا الرأى نسوقه ولانرتضيه بصورة قاطعة ونقول "والله أعلم".

يوم هم ... يومهم

نتابع في هذه الحلقة ذكر نماذج أخري منها تأصيلا لهذا المنهج القرآني الحكـــيم ، لأن كل إجراء حصل في الرسم القرآني يرمز إلي دقائق وأسرار قارئ القرآن الكريم في أمـــس

الحاجة إلي معرفتها لئلا يتوهم بعض الناس أن هذه الإجراءات وقعت عفوا خالية من الدلالة والأسرار.

ومن هذه النماذج ما يراه قاريء المصحف الشريف من مجيء(هُم) موصولا ب(يوم) هكذا (يومهم) ومجيؤه في بعض الأحيان مفصولا عنه هكذا(يوم هم)،

ومحال ألف محال أن يكون هذا الوصل وذلك الفصل خاليا من الدلالة، ومن رأي هذا فقد أساء فهم الكتاب العزيز، فالفصل جاء في قوله تعالي في سورة

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٣) (الذاريات)

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (١٦)..غافر

أما الوصل جاء في قوله تعالي في سورة **الطور**:﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ (٤٥)..وفي سورة **الزخرف**:﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٨٣)

تامل قوله تعالي **﴿فذرهم حتي يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾**وفي قوله تعالي **﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتي يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾**

تجد (يوم)مضافا و(هم) مضافا اليه. وأن الضمير (هم) في الآيتين **جزء من الكلمة** التي هو فيها وجزء الكلمة يوصل بها ولا يفصل عنها، هذا حكم القواعد وحكم الذوق والإحساس المرهف بالجمال؛ لهذا كان الوصل بين (يوم) و(هم) في هاتين الآيتين وكان هذا الفصل ضروريا لا اختياريا ، وبقيت لمحتان إحداهما نحوية، والأخري بلاغية ..أما النحوية فإن (هم) في الآيتين اللتين فصل فيهما (هم)عن(يوم) هو ضمير مبني علي السكون في محل رفع،

لأنه مسند إليه (= مبتدأ) أما الآيتين اللتين وصل فيهما (هم)ب(يوم) فهو مبني علي السكون في محل جر، لأنه مضاف إليه والمضاف إليه مجرورا بالاضافة دائما.

أما اللمحة البلاغية فتتضح بتقديم هذا السؤال والإجابة عليه السؤال لماذا خُصِّص (يوم) بالضمير (هم) و لم يجعل يوما عاما ؟

والجواب إن في هذا التخصيص زيادة زجر وتهويل لشان المتحدث عنه ، وهم الكافرون العصاة العتاه. هذا التخصيص يشير إلي ذلك كانه لا يقع فيه إلا عقاب أولئك الناس، من فتنتهم علي النار، ومن صقعهم وهلاكهم، ووقوع كل ما أوعدوا به من سوء المصير.

وهذه اللمحة البلاغية تضاف إلي دلالة الوصل المتقدم ذكره ، وجهل بعض الناس بهذه الدلالات هو حجة عليهم، ولا يمكن ان يكون الجهل معيارا نحاكم به الرسم القرآني المعجز للإنس والجن.

في مَا.. فيما

(١) ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠) البقرة

(٢) ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢) الانبياء

(٣) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٤٨) المائدة

(٤) ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٤) النور

ومن صور هذا الوصل إنفصال (ما) عما بعدها في آيات الذكر الحكيم ، وقد أحصي أهل العلم أحد عشر موضعا في القرآن الكريم، فصلت فيها(ما) عما قبلها منها النماذج الاتية.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٤٠) البقرة.. فصلت (ما) عن حرف الجر (في) قبلها و لم توصل بها كما وصلت في مواضع أخري في الرسم القرآني،من ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٣٤) البقرة

۞ أقول مقدماً وقبل الشرح: لاحظ أن هذه الآية سابقة فى ترتيب الآيات حيث أن رقمها هو(٢٣٤)- وسنسميها **الآية الأولى**- وسابقة عن الآية السابقة – التى رقمها (٢٤٠) – وسنسميها الثانية)

ويقول الدكتور المطعنى وغيره من العلماء : الآيتان- كما ترى – فى سورة واحدة تفصل بينهما خمس آيات ، والموضوع الذى وردتا فيه واحد هو عدة الزوجة المتوفى عنها زوجها (**وهنا أختلف مع عالمنا الجليل – ومن نقل عنهم – فى هذا – كما سنوضح بعد قليل– وأقول أن الموقف ليس واحداً ولكنه مختلف**)

ويكمل: والفاظ الآيتين تكاد تكون واحدة. ومع ذلك جاءت(ما) مفصولة عن (في) فى آية ، وموصولة ب(فى) في آية أخري ، وهذا يدعو إلى التساؤل عن السبب فى هذا الاختلاف .... وطريق التوصل إلي معرفة السبب في فصل ما فُصل ووصل (ما) في ماوُصل في الآيتين هو التأمل في سياق الكلام الوارد فيه الفصل والوصل .. هذا التأمل

يكشف لنا النقاب عما خفي من أسرار، وهذا يظهر من التحليل الاتي.

إن فصل (ما) عن (في) في الآية الثانية (فِي مَا فَعَلْنَ) يرجع إلي اعتبارين:

الأول: أن كلمة (معروف) جاءت منكَّرة، ومعروف أن التنكير لا يدل على (مُعيّن) بل يدل على كثيرين **دلالة عامة**، إما علي سبيل البدل فكلمة (من معروف) فى الآية المراد بها **تعدد صور المعروف وتفاوتها فى الوجود، وليس شيئاً واحدا** .. فبينها صورة إنفصال لا إتصال ((ونحن نوافقه فىذلك ولكن نختلف معه فى التفاصيل القادمة))، لذلك لم توصل (ما) ب (فى) فى الآية الكريمة لعدم اتصال أفراد (من معروف) فى الواقع. وهذا ما اشار إليه أهل العلم المشتغلين بعلوم القرآن.

أما الاعتبار الثاني : فإن هذه الآية تتحدث عن (معروف) تفعله الزوجة في نفسها قبل إتمام مدة العدة بدليل قوله تعالى في الآية نفسها **{متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف}** .. ومعني ذلك أن الزوجة تكون حريصة عن الإسراف في ممارسة الزينة ما دامت في عدتها ، تمارسها في بعض الأوقات ، وتتركها فى بعض الأوقات مما يجعل تزينها غير متصل.؟؟؟

أما سبب الاتصال فى قوله عز وجل **{ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهم بالمعروف}** فهو كنظيره فى الآية السابقة من حيث أن سبب الوصل بين (فى) و(ما) يرجع إلي إعتبارين :

الأول : أن (المعروف) فيها جاء معرفا بأداة التعريف (الألف واللام) والتعريف يدل على شيء واحد معين .. **فهو إذن معروف واحد ليس له أفراد مفصول بعضها عن بعض** ، لذلك وصل بينه وبين حرف الجر(فى).

الثانى: أن هذا المعروف الذي تتحدث عنه الآية الكريمة مقصور على تمام مدة العدة و وهى أربعة أشهر وعشر ليال. وهى مأذون لها شرعاً بالتزين بعد تمام العدة .

ومعنى هذا أن هذا المعروف الذي، لا حظر فيه شرعا من شأنه أن يكون ظاهرًا تفعله الزوجة فى جميع الأوقات بلا حرج عليها. ودليل هذا قوله عز وجل { فإذا بلغن أجلهن } أي قضين مدة العدة وخرجن من المحظور إلى المباح .

تأمل- عزيزى القارىء- هذه الدلالات التى تشع فى لطف من اختلاف الرسم القرآنى في كلمة جاءت فى أحد الموضعين على رسم خطى، وجاءت فى الموضع الآخر على رسم خطى آخر .. تأمل هذا وقل للذين يدعون الى إعادة رسم المصحف على قواعد الرسم الاملائى الحديث أعيدوا نظركم فى هذه الدعوة واجثوا على ركبكم أمام روعة الكتاب

العزيز فى مفرداته وجمله وتركيبه ورسمه ومعانيه، فإنه معجز بكل ماهو عليه منذ عصر نزوله وتدوينه وإلى ان يقوم الناس لرب العالمين.

وهنا وقبل أن نغادر هاتين الآيتين نقف على بعض الملامح الآسرة لنكمل ماقاله العلامة الدكتور: عبد العظيم المطعنى وغيره من العلماء القدامى والحداثى؛ مع مناقشة سريعة لما تفضل به سيادته وتوضيح لبعض ماسبق .. ولكى نصل إلى المقصود سريعاً نحاول أن نضع كل آية فى جدول مقابلٍ للأخرى- على أن نراعى أسبقية وضع الآية كأسبقيتها فى ترتيب الآيات – كما هى فى المصحف الشريف – ومع ملاحظة أن الآيتين تتحدثان عن :﴿ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ – وهنا وقف العلماء فى حيرة مع الآيتين؛ حيث **أنهم افترضوا** – كما افترض عالمنا المطعنى- **أنهما تتحدثان عن موضوع** واحد – وهو عدة المتوفى عنها زوجها – **وهذا خطأ** بيِّن سنرى توضيحه بعد قليل – ، وهذا الخطأ جعلهم يتصورون أن الآية (السابقة فى ترتيب الآيات فى المصحف) نسخت الآية المتأخرة عنها فى الترتيب !!!(وهذا بالطبع أمر عجيب وغريب ولا داعى له – كما سنرى – وليس معهم عليه دليل من الكتاب أو السنة – ولو حتى بحديث ضعيف–)؛ وذلك لأن الآية الأولى (فى الترتيب) تتحدث عن مدة أربعة أشهر .. والثانية تتحدث عن مدة حول كامل.. وهم قد علموا أن عدة المتوفى عنها زوجها هى أربعة أشهر – ومن أجل هذا – ولتخيلهم أن الآيتين تتحدثان عن موضوع واحد- قالوا أن الآية الأولى(!!) نسخت الآية التالية ؟؟!!.. ومن أجل هذا الخطأ الذى يكرر ذكره دائماً- تحت عنوان الناسخ والمنسوخ- الذى كاد أن يقضى على هذا الجمال البلاغى فى سياق الآيات وفى رسم الكلمات – نقف هذه الوقفة لنرى الآتى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٣٤)البقرة	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠) البقرة
(١) هذه هى الآية الأولى وتتحدث عن الفترة التى (تتربص) فيها المرأة بنفسها ، وتُلجم نفسها وتحجمها عن الإقبال على الزواج إلا بعد مرور العدة التى قررها النص للمتوفى عنها	(١) أما هذه الآية فهى تتحدث عن أمر آخر غير العدة ، بل تتحدث عن فترة المتعة التى يطلب النص القرآنى من الزوج المتوفى -- فى حال وفاته أو قبل وفاته – أن يوصى بها

زوجها (أربعة أشهر وعشرا). فالآية ترسم بحروف كلماتها حال المرأة المتسرعة على الزواج – بعد وفاة زوجها – وهو واضح فى رسم الكلمة (يتربصن) بأنفسهن. التى يقول عنها الزمخشرى: فإن قلت : هلا قيل : يتربصن ثلاثة قروء ، كما قيل ﴿ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ وما معنى ذكر الأنفس؟ قلت : في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث ، لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن ، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال ، فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص).... فهى تصور كأن نفسها تريد أن تفلت إلى هذا الأمر المعروف –وهو الزواج – ويطلب منها النص أن تنتظر – وتتربص بنفسها وتلجمها – فترة العدة – التى هى أقل فترة تمكثها بعد الوفاة – أربعة أشهر وعشرا – (نكرر: فترة العدة) وبعدها تنطلق من هذا العقال

(٢) بعد ذكر فترة العدة – يأتى التأكيد بقوله (فَإِذَا) بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ، بصيغة التأكيد (فإذا) ولم يقل(فإن) التى تفيد الشك غالبا- وهو بلوغ أجل العدة المذكور والذى لايجوز لها تغييره أو تناسيه أو الزواج قبل بلوغ أجله

(٣)...وهذا يعنى أن هذا الأمر – وهو المعروف ، المعرف بالألف واللام – هو (واحد) وهو الزواج. وهذا المعنى يترتب عليه ما ذكره د: مطعنى .. من أنه – المعروف– واحد وموصول فى الوجود – غير لزوجته – من باب الوصية وليست الفرض كما فى فترة العدة– بالمكوث فى البيت وعدم إخراجها منه وتمتيعها طوال هذه الفترة **﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾**.. ولكنها بنص الآية الأخرى- لها حق الخروج منه والزواج (الذى هو المعروف– المعرف بالألف واللام –) بعد فترة العدة (الأربعة أشهر) فى الآية السابقة.. ولاحظ قوله (فإن) خرجن .. ولم يقل (فإذا) خرجن ، ليتناسب مع جو الوصية بعدم الخروج وعدم التوكيد على خروجهن؛ فهو تناسب مع التمتيع فى البيت الذى نرى فيه دقة التعبير.

(٢)كلمة : مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ : **أى تمد الأربعة أشهر (إلى) الحول وهو العام– وهى فترة (المتعة) الموصَّى بها الزوج – وفى هذه الفترة الممدودة وبعدها ..﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ.﴾** . وهنا واضح تمام الوضوح أن سياق الآية لايتحدث عن زواج المرأة ، ولكنها تتحدث **عن أنواع كثيرة أو متعددة من المعروف** لاحرج فى أن تأتيه المرأة (وهو التزين .. والخروج .. والتواعد على الزواج .. وقبولها الخطاب .. وغير ذلك (من) أنواع المعروف المنَكَّرة والمتعددة).. والذى استدعى (الفصل بين "في"و"ما") **لهذا التعدد**

(٣) هذه المعانى المذكورة تنادى بأعلى الصوت أن هذه الآية **ليست منسوخة ،** ولكنها بسياق الآيات وترتيبها – بل برسم

متعدد ومختلف– فكان سببا فى وصل الكلمة (فيما فعلمن ..بالمعروف).. ولم يقل هنا (من معروف.. بصيغة النكرة التى تفيد التعدد).. مع ملاحظة (باء الإلصاق) فى قوله (بالمعروف) التى تفيد الزواج أيضاً وهو **شىء لصيق بالمرأة** (٤) ختام الآيات؛ التى هى مسوقة لعدة المرأة التى لايجوز لها الزواج فيها أو التواعد عليه يقول فيها: ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (**٢٣٤**) .. وهى تتناسب وتتناغم مع قوله (يتربصن)	حروفها – ووصلها أو فصلها –تلغى فكرة النسخ فى هاتين الآيتين، بل وتنادى بقمة البلاغة والحكمة والتقدير فى نظمهما – كما رأينا–. (٤) وختام الآيات تحذر من التلاعب بوصية الزوج – فى متعة الزوجة بعد موته – من قبل أهل الزوج – ولذلك يقول فيها ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ أى قوى قادر على معاقبة هؤلاء المتلاعبين بوصية الزوج لزوجته بعد موته وعدم استطاعته لمعاقبتهم ومنعهم فقال تعالى مهدداً لهؤلاء﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ وهوعزيز على هؤلاء و حكيم فى تشريعه هذا

فما أروعه وما أعظمة من تناسب بين المعنى واللفظ و(رسم الكلمة)!!!

***ومن صور الفصل بين (في) و(ما) فى الذكر الحكيم

﴿**لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ**﴾ (١٠٢)**الانبياء**

والسبب فى الفصل ظاهر، لأن شهوات النفس ليست شيئا واحدًا بل هى أمور متعددة ، لذلك فصل (ما) عن حرف الجر (فى)

وهكذا ترى قاعدة الفصل مطردة ملحوظة فى كل ما ورد فى القرآن مفصولا فيه(ما) عن حرف الجر(فى)﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ (٣٧)ق

ومن صور هذا الفصل قوله تعالى فى سورة المائدة آية ﴿..وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ (٤٨) المائدة

فصلت(ما) عن (فى) فى هذه الآية الكريمة لانفصال معناها فى الوجود عما بعدها، وهو مدلول ضمير الخطاب (الكاف) لأن المخاطبين وهو الناس شىء والنعم التى أتاهم الله شىء آخر فالنعم مملوكة للمخاطبين، وغير موصلة بذواتهم وصلا عضويا.

لذلك فُصلت (ما) عن (فى) للدلالة علي هذا المعني .

فأنت تري أن هذا الفصل لم يجىء عرضا بل لحكمة لطيفة ترف من وراء هذا الانفصال.

ومثله تماما فى قوله سورة الانعام ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ**

بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥)
وتحليل هذا الشاهد هو تحليل الشاهد الذى قبله . جاء فصل (ما) فيه عن حرف الجر (فى) لانفصال الأمرين (=النعم والمخاطبة عن بعضهما فى الوجود الخارجى)
والابتلاء هو الاختيار والامتحان وليس إنزال البلايا والكوارث كما قد يتبادر إلي الذهن.

ومن صور هذا الفصل قوله تعالى سورة الانعام﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥)) .

هذا الموضع قد يبدو مجافيا لقاعدة الفصل التي تقدم الحديث عنها فى تحليل الشواهد التي تقدمت ولذلك فإنها تحتاج منا إلي دقة نظر لأن لقائل أن يقول: لافصل فى الوجود الخارجى بين معنى (ما) و(الوحى) بل بينهما اتصال وطيد ، كان يقتضى أن تأتى(ما) موصولة ب(فى) لامفصولة عنها ، ودفع هذا القول ميسور ، لأن المراد ليس الفصل بين ما ووحى الله إلى رسوله الكريم ، بل المراد هو الفصل بين معنى ما وبين ورود التحريم الزائد على الاصناف التي ذكرها القران الحكيم بعد أداة الاستثناء ؛ وهذا التحريم الزائد لاوجود له فى الوحى الإلهى فضلا عن كونه مفصولا أو موصولا فهو تحريم معدوم ، فهو إذن مفصول قطعا عن الوحى فصل انعدام لا فصل وجود ....وبهذا التوجيه يزول ذلك الوهم الذى قد يتبادر إلى بعض الأذهان ويصبح أعمال قاعدة الفصل بين(ما) وحرف الجر(فى) سائغا مقبولا

ومن صور هذا الفصل قوله عز وجل. فى سورة النور ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) .هذه الآية تتحدث فى إطار مواجهة القرآن لحديث (الإفك) الذي أشيع حول أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها–

وقد جاءت(ما) فيها مفصولة عن (فى) كما ترى . وسبب الفصل إنما هو ما أفاض فيه المخاطبون وهو حديث الافك والافتراء على ربة العفاف والطهر –عائشة (رض).
وهذا الحديث شئ منفصل قائم بذاته وكذلك المخاطبون فى الآية الحكيمة هم شئ آخر مستقل قائم بذاته.

وهذا الانفصال بين حديث الافك والافتراء وبين المخاطبين هو سبب الفصل بين (ما) و(فى) فى الرسم القرآنى الشريف.

وبقيت لمحة بلاغية دل عليها الفصل بين (ما)و(فى) فى هذا الموضع.

تلك اللمحة هى الايمان بأن هذا (الافك) ينبغى على المؤمنين أن يتبرأوا منه حالا ويطهروا منه ألسنتهم وأن لا يكون لهم أى صلة به.

ويؤكد ذلك أن سياق الآيات التى واجهت هذه الفرية الشنيعة ، حـذرت النـاس مـن الوقوع فيه، ودعتهم الى إعدامه ، وتجنب الخوض فيه، ومن ذلك قوله عزوجل فى سورة النور ﴿يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ...

❁ ((وهنا أطلب من القارىء الكريم أن يراجع هذا الفصل (فِي مَا أَفَضْتُمْ) **الخاص بحديث الإفك** ،ويربطه بموقف آخر — فى نفس الحادثة — والخاص برسم كلمة (بأفواهكم) وهى الكلمة الوحيدة التى رسم فيها الألف الفارقة والفاصلة ، بخلاف باقى الكلمات فى بـاقى السور التى رسمت بدون ألف (أفوههم ، أفوهكم) لترى هذا التكامل العجيب والمـدهش فى رسم الكلمة فى المصحف الشريف وأنه ليس فلتة عابرة أو خطأ من الكاتب !!!!))

**** ومن صور هذا الفصل قول الحق جل وعلا فى سورة الشعراء ﴿أَتُتْرَكُونَ فِـي مَـا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ (١٤٦) . جاءت (ما) مفصولة عن (فى) فى رسم المصحف الشريف. وهذا خلاف الأصل الذى جاءت عليه كثير من الآيات.

وهو- كما تقدم رمز الي معني لطيف، وهو وقوع الفصل الخارجي بين معني (ما) ومعنى مابعده. فالآية-كما ترى- استهلت **بالاستفهام الإنكارى** وهو (أتتركون)؟ ومعناه النفى أى : لاتتركون آمنين فى هذه الحياة الدنيا، والحياة الدنيا هى المشار إليها فى (ههُنـا) ؛ فالمعنيان مفصولان فى الوجود الخارجى، غير موصولين، هو فصل **بين المخاطبين** وهم قوم صالح عليه السلام الذين كذبوه وعصوه، **وبين خلودهم آمنين فى الحياة الـدنيا.** هـذا الفصل الحاصل بين الأمرين فى الوجود **كان هو السبب فى فصل** (ما) عن (فى) فى الرسم القرآني المعجز.

ومن صور الفصل الإحدي عشرة قوله جل ثناؤه فى سورة الروم ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨)

هذه الآية مضروبة مثلا لجعل المشركين أصنامهم مساوية لله فى القدرة والتصرف والنفع والضر ساق الله هذا المثل لإبطال عقيدة الشرك من جذورها لأن المـشركين لا يـرون عبيدهم وإماءهم شركاء لهم فى أموالهم (وانظر تفسير هذا المثل فى كتب التفسير). وقـد فصلت (ما) عن (فى) فى الرسم القرآني لانفصال المعنى فى الوجود بين المـشركين وبـين عبيدهم وإمائهم ، لأن مالك العبد أو الأمة ذات مستقلة قائمة بنفسها ، وكذلك العبيـد

والإماء المملوكون هم ذوات تشغل حيزا فى الفراغ ، غير الحيز الذى يشغله مالكوهم في الفراغ . لذلك فُصلت (ما) عن حرف الجر (فى) هكذا {فى ما} . وهذا الفصل الحسى المادي بين المالكين والمملوكين يؤازره فصل معنوي ، هو علو درجة المالك ودنو درجة المملوك .

***ومن صوره كذلك قوله تعالى في سورة الزمر **﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** (٤٦) .

وإجراء هذا الفصل بين (ما) و(فى) على قاعدة الفصل المتقدم ذكرها سهل وميسور؛ لأن اختلاف العباد شئ معتبر في الذهن ليس له حيز يشغله فى الفراغ، (أمر معنوى معقول لامادى محسوس) وأما العباد فهم شئ اخر غير متصل حسيا بالخلاف .

هذا هو معني قاعدة الفصل فى الرسم القرآنى (ما) وحرف الجر (فى) .

وبقي ملمح آخر يحتاج إلى إعمال الفكر ، وهو معزز آخر لقاعدة الفصل، وسيلحظ من الاعتبار الزمني على أساس أن حكم الله بين العباد فى الأمور التي اختلفوا فيها سيكون يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين . أما الاختلاف نفسه فقد وقع فى الحياة الدنيا .

فزمان وقوع الاختلاف سابق فى الوجود على زمن حكم الله فيه .

فتأمل هذه الدقائق الآسرة، التى يدل عليها اختلاف الرسم القرآني فى المواضع المتشابهة او المتحدة فى اللفظ والنطق، المختلفة فى الرسم الخطى فقط ، تأمل هذا لتزداد يقينا بأن رسم المصحف الشريف وجه من وجوه إعجازه الباهر .

*** ومن صوره عز وجل فى سورة الواقعة **﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** (٦١)

ولا أرى القارئ الكريم فى كبير حاجة إلى توجيه الفصل بين (ما) و(فى) في هذه الآية لأن ماتقدم يغنيه عن التكرار ، وأيا كان الأمر فإن قاعدة الفصل تتجلى فى هذه الآية فى أنصع صورها؛ لأن فاصلة الآية (**لاتعلمون**) تدل على سر الفصل بكل وضوح . لأن الفاصلة تنفي علم المخاطبين بما يمكن ان ينشئهم الله فيه إذا أراد، وكفى بالجهل فاصلا بين الجاهل والمجهول

هذا هو سبب الفصل الخاص بهذا الموضع،

((وقبل التوقف عن هذا الحديث نضع بين أيدى القراء الكرام سمة أسلوبية تتدرج تحتها مواضع الفصل الأحد عشر .. تلك الكلمة أن (ما) فى هذه المواضع جميعها اسم موصول بمعني (الذى) وان ما بعده في جميع صوره جملة فعلية هي صلة هذا

الموصول)) .

ثم : ها انت قد وقفت على الخفايا والأسرار اللطيفة التي دل عليها كل موضع فصلت فيه (ما) عن (في) في الرسم القرآني المعجز ، الذى يدعى البعض أنه خال من كل دلالة ، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

❁❁❁❁

أن لا ... ألا

سورة الاعراف ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (١٠٥)

سورة الاعراف ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ (١٦٩)

سورة التوبة. ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ (١١٨)

سورة هود ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤)

سورة الحج ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦)

ونحيط القراء الكرام بأن هاتين الكلمتين قد وردتا في آيات الذكر الحكيم مجتمعين كثيرا وأن الأصل فى نون (أن) أن تدغم فى (لا) بعدها ، يعني أنها تسقط فى الخط فلا يكون لها وجود إلا فى عشرة مواضع نص عليها العلماء ،فإن نون (أن) تظهر فى الخط ولا تحذف، وذلك بإجماع القراء جميعا.

والقاعدة التي روعيت فى هذا (= فصل النون عن لا النافية) قاعدة واحدة مطردة فى جميع المواضع العشرة الآتى ذكرها مفصلة وهى- أعني القاعدة -: **صدق توكيد المعنى المدلول عليه فى هذه المواضع.. مع ملاحظة تكذيب من يدعى نفى ثبوت المعنى فى الوجود الخارجي** وسوف يتضح للقراء الكرام اطراد **هذا الصدق** الذى جئ بنون (أن) مفصولا فى الخط عن (لا) رمزًا إلى توكيده. وهو المعنى اللطيف (=الدقيق) من هذه **الخصوصية التى يظن بعض الواهمين أنها تخلوا من آية دلالة ، وجهلُ من جهل بها لا يصلح ان يكون مقياسا لفهم كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.**

وإليكم الحديث عن هذه المواضع العشرة واحدًا واحدًا وبالله ومن الله التوفيق.

الموضع الأول: سورة الاعراف ﴿**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ (١٠٥)

هذه الآية الكريمة طرف حوار بين نبي الله موسي عيه السلام وبين عدو الله فرعون.

وفصل النون عن (لا) رمز إلى أن موسى عليه السلام - لأنه رسول من رب العالمين - لن يتقول على الله ولن ينسب إليه باطلا مهما علا فرعون وطغى ..... هذا ما كان فى نفس موسى عليه السلام نية صادقة وعزم مبرم على التزام قول الحق.

ومعروف أن موسى يخبر عن نفسه بهذا الكلام **والخبر إذا اقترن ببعض أساليب التوكيد قوى وعلا سلطانه ، وأسلوب التوكيد -هنا- خاص ببيان القرآن ولغته وهو- كما علمت- فصل نون (أن) عن (لا) النافية بعدها** فتأمل هذا البيان الرائع.

هذا التوكيد المعجز فيه تكذيب من جهة أخرى لمن يدعى أو يتوهم أن موسى علبه السلام ما كان يريد حقيقة ما قال.

۞ **((وأقول مكرراً: وهذا يتمشى مع ما رجحناه من الرمز بالفصل على التوكيد))**

ويقول الزمخشرى: والرابع : - وهو الأوجه - الأدخل في نكت القرآن : **أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق** في ذلك المقام لا سيما وقد روى أنّ عدو الله فرعون قال له - لما قال : { إِنّى رَسُولٌ مّن رَّبّ العالمين } كذبت ، فيقول : **أنا حقيق عليَّ قول الحق أي واجب علي** قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ، **ولا يرضى إلاّ بمثلي ناطقاً** به.

ويقول البقاعى: { حقيق } أي بالغ في الحقية ، وهي الثبات الذي لا يمكن زواله.

((أرأيت معى عزيزى القارىء كل إشارات التوكيد المحيطة بفصل (أن) عن (لا؟)).

***الموضع الثانى: سورة الاعراف ...﴿ **أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾

هذه الآية الكريمة تقص طرفا من مساوئ بنى إسرائيل (اليهود) وعبادتهم لمطامعهم فى الحياه الدينا **ونقضهم المواثيق المغلظة التى أخذها عليهم**.

وأنت تلاحظ أن (أن) ظهرت فى الخط، و لم توصل ب(لا) بعدها .

وتقدم أن هذا المنهج يرد فى رسم المصحف **زيادة فى توكيد المعنى من طرف خفى** وهو نهج خاص بالبيان القرآني ولغته المعجزة.

إذن فما هو المعنى الذى أريد توكيده فى هذه الآية؟ هل هو التزام بنى إسرائيل بقول الحق فى جانب الله باعتبار أن هذا الالتزام سلوك خلقى سلكوه فى الحياة؟

كلا: لأن بني اسرائيل كان دأبهم الكذب على الله عز وجل إلا الصالحين منهم وقليل ما

هم . بل ان المعنى المراد توكيده وصدقه فى الوجود هو كون الله عز وجل أخذ عليهم المواثيق الغلظة ، أما سلوك بنى إسرائيل الواقعى فهذا شئ آخر خارج عن إطار هذا التوكيد. بدليل أن الآية نفسها سجلت من مساوئهم ما تقشعر منه الجلود وتخر منه الجبال الرواسى.

قارن هذا الموضع بالموضع الذى تقدم تر القاعدة فى فصل نون(أن) عن (لا) مطردة وأن هذا الفصل لم يأت عبثا كما يتوهم المبطلون.

الموضع الثالث: سورة التوبة **﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** (١١٨)

هذه الاية الكريمة تتحدث عن ثلاثة من أصحاب رسول الله (ﷺ) تخلفوا عنه فى غزوة تبوك بلا عذر يبح لهم التخلف عن الخروج غزاة فى سبيل الله.

والملاحظ أن نون (أن) فُصل عن (لا) وهذا الفصل جاء رمزا **إلى توكيد الظن الذى ظنه هؤلاء الثلاثة** حين ندموا على مابدر منهم وسدُت فى وجوههم الطرق وضاقت الأرض بهم على اتساعها - حتي أنفسهم التى بين جنباهم ضاقت عليهم. - هنا كاد اليأس يستبد بهم، وأدركوا أن خروجهم من الكرب الذى هم فيه ليس له مفرج إلا الله عز وجل الذى وسعت رحمته كل شئ فصدقوا فى توبتهم فتاب الله عليهم .

مع ملاحظة أن (أن) هنا لسيت هى الناصبة للمضارع، بل هى (أن) المخففة من التقلية.

***الموضع الرابع سورة هود **﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** (١٤)

نزلت هذه الآية الحكيمة فى معرض التحدى بإعجاز القرآن الكريم حيث أمر الله رسوله الكريم أن يقول لمنكرى نزول القرآن من عند الله ، المدعين أنه من كلام البشر ، أن يقول لهم ائتوا بمثله ، وعجزوا عن ذلك.

ثم يرتب الله على عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن ثلاثة امور:

الأمر الأول: حصول العلم اليقينى بأن القرآن نزل بعلم الله وحده .

الأمر الثانى : العلم اليقينى بأن الوجود يخلو من إله غير الله عز وجل.

الأمر الثالث: حصول الانقياد والاستسلام الكامل لله عز وجل .

والآية التى قبل هذه الآية مباشرة سورة هود **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (١٣). وقد جاءت نون (أن)

مفصولة عن (لا) التى بعدها وهذا الفصل مرموز به فى لطف إلى صدق المعنى وقوة توكيده وأنه معنى ثابت لا يتطرق إليه شك، ولا يقبل جدلا. والمعنى الذى قُصد توكيده - هنا- هو إنزال القرآن بعلم الله عز وجل و(أن) هى المخففة من الثقلية كما تقدم.

***الموضع الخامس : ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٦) هود ..

وأيا كان التقدير فإن نون (أن) فصلت عن (لا) الناهية بعدها فى الخط، وهذا الفصل إشارة موحية إلى صدق المعني وصحة توكيده ، يعنى أن نوحا عليه السلام قال هذا القول لقومه يقينا لا ريب فيه. أما قوله تعال (إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) فهو تعليل لنهيه إياهم أن يخصوا أحدا بالعبادة من دون الله أو يشركوا معه أحدا فى العبادة.

وحتى الآن فأنت ترى أن تطبيق قاعدة فصل نون (أن) عن (لا) التى بعدها فى المواضع الخمسة التى تقدمت لم يشذ واحدا منها، أو تعترض تطبيق القاعدة صعوبة أو يشوب هذا التطبيق تكلف ومماحكة.

****الموضع السادس:- سورة الحج ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٢٦)

والذى ورد فى سياق (أن) و(لا) هو النهى عن الإشراك بالله ، وهو المعنى المراد التنويه بصدقه وصحة توكيده ؛ يعنى حصول عدم الإشراك بالله عز وجل. فجاء فصل النون (أن) عن (لا) موحيا بهذا التوكيد. أى لا يكن منك إشراك بالله أبدا

***الموضع السابع: سورة يس ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠)

ومعنى (أعهد إليكم) آخذ عليكم العهد بأن تؤمنوا بى وخصونى بالعبادة ولا تعبدوا الشيطان لانه عدو ظاهر لكم.

وقد فصلت نون (أن) عن (لا) الناهية بعدها إشارة شديدة اللطافة إلى صحة المعنى وتوكيده وهو ترك عبادة الشيطان والاقبال على عبادة الله وحده.

***الموضع الثامن : سورة الدخان ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٩) .. المعنى المراد تقريره وصدقه وصحة توكيده هو إذعان فرعون وقومه لامتثال ما نهاهم عنه موسى عليه السلام من ترك التعالى والتعاظم عليه ، لأنه رسول من عند الله مؤيد بالمعجزات.

۞ (ولكن على القارىء أن يلاحظ قول موسى (أن لا تعلوا على الله) والعلو على الله له الخطورة الكبرى.. بخلاف قول سليمان لملكة سبأ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣١)النمل. أى علـى شـخص سليمان ؛ وهناك فارق فى أقوال الأنبياء بين العلو على الله وبين العلو عليهم (كبشر)، وهذا الفارق العقائدى الخطير – فى أقوال الرسل صفوة الخلق – يجسده رسـم الكلمـة المعجز فى القرآن الكريم (أن لا) مع الله ، و (ألا) مع سليمان ، وسنشرح ذلـك علـى الصفحات القادمة)

***الموضع التاسع: سورة الممتحنة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَـهُ بَـيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢).. هذه الآية الكريمة تتحدث **عن بيعة النساء المؤمنات** لرسـول الله (ﷺ)، وقـد فصلت الآية العناصر التى انعقدت عليها البيعة وهى:**-عدم الإشراك بالله. **--اجتناب السرقة. **-اجتناب الزنى. **-اجتناب قتل الاولاد. **-اجتناب البهتان ؛ فلا تكـذب المرأة فتنسب ولداً إلى غير زوجها وهى تعلم أنـه لـيس مـن انجابـه (=التـدليس فى النسب)**-عدم معصية الرسول عليه الصلاة والسلام إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر.

وكما ترى أن النهى عن الإشراك بالله يتصدّر هذه العناصر جميعاً، لفظاعته ولأنه أساس صحة وقبول الأعمال الصالحة التى ذكرت ضمن عناصر البيعة بعده.

وهذه العناصر كلها واقعة فى حيز التوكيد المدلول عليه بفصل نون(أن) عـن (لا) الـتى بعدها ، ولكن ما هو المعنى الذى أريد توكيده على التحديد الدقيق؟

إن إنعدام النظرة فى سياق الكلام يفيد أن هذا المعنى هو كون بيعة النساء المؤمنات للـنبى عليه الصلاة والسلام ينبغى أن تكون جازمة لا تردد فيها أبداً، يعنى قـوة العـزم عنـد المبايعات وصدق النية هو المطلوب منهن من جهة وهو الشرط الرئيسى فى قبول تلـك المبايعة عند الله وما يترتب على ذلك مما ذكره الله مخاطباً لرسوله الكريم وهو:

**فبايعهن : أى أقبل مبايعتهن ولا تردها . **- وأستغفر لهن الله.

إذن فإن التوكيد ليس مقصوراً على عدم الإشراك بالله عز وجل ، وإن كان هو الأساس فى صحة تلك المبايعة وما يترتب عليها، ولكنه يشمل بقية العناصر التى نصت عليها الآية الكريمة. ومن البداية أن (لا) الأولى الداخلة على الفعل "يـشركن" هـى (لا) النافيـة، وكذلك ما عطف عليها فى التراكيب التى سردت بعدها، وهكذا تطرد قاعدة فصل النون عن (لا) فى هذا الموضع ، كما اطردت فى المواضع التى تقدمت.

۞ (ملاحظة: كتابة (أن لاإله إلا الله) مكتوبة على الفصل دائماً .. وهذا حقهـا فى التوكيد على كل حرف فيها.. وهكذا أن لايشركن .. أن لا تعبدوا ..)

***الموضع العاشر سورة القلم ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴾ (٢٤)... هذا هو الموضع العاشر والأخير، الذى اتفقت جميع المصاحف على فصل نون (أن) فيها عن (لا) **وهى –هنا– نافية وليست ناهية** ، وفصل النون فى الآية جار على قاعدة الفصل التى طبقناها فى المواضع التسعة المتقدم ذكرها، ومن الميسور على القراء الكرام إدراك سر الفصل فيها: **وهو توكيد المعنى الواقع فى حيزها**، بيد أن المقام فى حاجة إلى شئ من النظر ، فى تحديد المعنى الذى قصد توكيده فى هذا الموضع.

إن هذا التوكيد **أداة كاشفة عن مشاعر أصحاب الجنة** (الحديقة المثمرة) الذين وردت هذه الآية فى سياق الحديث عنهم.

والمعنى الذى كشف عنه هذا التوكيد، الحاصل بفصل نون (أن) عن (لا) هو شدة حرص أصحاب الجنة عن الاستئثار بثمار الجنة جميعه، وحرمان المساكين منه.

هذا المعنى– بالتحديد الدقيق– هو الذي كشف عنه القرآن بالرمز اللطيف، الذى بيناه مرات من قبل ، وهو فصل نون(أن) عن (لا) يريد القرآن أن يقول: **إن أصحاب الجنة عزموا عزما أكيدا ، وأصروا إصرارا عنيدا على حرمان الفقراء والمساكين من ثمار حديقتهم** ، و لم يكونوا هازلين فيما قالوا

ملحوظة: يقول الزمخشرى: { أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا } **أن مفسرة** . وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول ، أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها؛ **(وهذا معنى أخر للفصل)**

فهذا الفصل فى المواضع العشرة ، الذى جاء على خلاف الأصل **لم يجئ اعتباطا خاليا من الدلالة –حاشا لله– وإنما نوع من البيان القرآنى الحكيم لم يرد ولم يعرف فى غير البيان القرآنى المعجز فى مفرادته وفى جمله وتراكيبه، وفى معانيه وفى خصوصيات رسم بعض الكلمات فيه**، ومنها (أن) هذه التى فصلت نونها عن (لا) التى بعدها فى هذه المواضع العشرة، التى سعدنا بالحديث عنها فى الصحائف الماضية، والقرآن كتاب لا تنقضى عجائبه ولا ينضب معينه، ولا تجف روافده حتى يرث الله الكون ومن فيه وما فيه .

۞ **وبعد هذا العرض نقف هنا على باقى آيات الوصل وهى:**

(١) ﴿وَلَا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ..﴾ (٢٨٢) { وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ } وأقرب من انتفاء الريب(ليس بصيغة التوكيد) ....لاحظ أن قوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) أَلَّا تَكْتُبُوهَا.. تنفى قصد التوكيد أوالتشديد فيه ((مع ملاحظة أن الكتابة للدين والإشهاد هو وصية أنت بالخيار فى تنفيذها

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ وليست فرضاً على المسلمين – كما قال بذلك علماء الأمة الثقات من المفسرين– ولذلك لم تفصل حروف الكلمة(أن لا).

(٢) ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾.(٤١)مريم .. وهو كلام خبرى وليس بقوة النهى أو الإلزام.

(٣) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤)..جملة خبرية وليست طلبية مثل الممتحنة. . وكلمة (سواء).. أرى أنها دعوة باللين .. وهادئة النبرة

(٤) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠).. الطاهر:وفي الآية بشارة لأصحاب أُحُد بأنهم لا تلحقهم نكبة بعد ذلك اليوم .وأرى أن (أن) هنا تفسيرية وليست بقوة النهى والإلزام

(٥) ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦).. ((فهى ليست بصيغة الأمر أو التوكيد الشديد والكلام عنهم وليس معهم)).

(٦)﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٨٣).. وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله ، ..وأنهم يقولونها بسرعة خاطفة– وعدم توكيد – لأنهم يدارون كذبهم فى ذلك القول فهو قول غير مؤكد وهم لايقولونه بصيغة التوكيد.. عكس كلام أهل الجنة (الحديقة) فى سورة القلم.

(٧) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾......هى بمعنى ظننتم ،وليس فيها التأكد من عدم العدل ، فهو سبحانه لم يقل فإن تأكدتم.

(٨) ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا.﴾ . وربما يدعوهم بُغض القوم على التسرع فى عدم العدل فينهاهم الله عن (التسرع) فى عدم العدل.. فأسرع فى حروف الكلمة.

(٩) ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا.﴾ .(٧١) المائدة ...لاحظ (حسبوا) أى (ظنوا) وليس فيها (قوة) التأكيد،، وهو ظن خاطىء لم يبن على يقين..

(١٠) ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢)الأعراف...... فهو كما نقول مغرر به ومُستَغَلاً لظروفه ومضطراً له ليس

عن اقتناع.وفيها التضمين ؛ الذى معناه أن الفعل يضمن و يضم معنيين فى معنى واحد وهو: ما الذى (أغراك أو أحوجك) و (اضطرك) لأن لاتسجد .. – كما يقول علماء البلاغة – وهذا الضم يناسبه ضم حروف الكلمة.

(١١) ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢).. لاحظ أن المعنى ليس معنى النهى وقوة تأكيده .. بل أن المعنى لو تأملناه – وأمثاله من الأمثلة الماضية – هو: حزناً من أنهم ما وجدوا ما ينفقونه فى سبيل الله..أو لأنهم لم يجدوا..فليس للأمر علاقة بتوكيد الخبر أو توثيقه أو الأمر أو النهى.

(١٢) ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧).. فهو يحكى عنهم بالغيبة ، وهى حالة (جهل) وليس يقين { وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ } وأحقّ بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ، والحديث فيه أيضاً تقدير فى القول وليس بالطريق المباشر.

(١٣) ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠).. الجو جو نصح ونصيحة – على سبيل الحكاية – وليس أمر تعنيف ومواجهة وتوكيد لهم من يوسف.

(١٤) ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٢).. **كلام الصفوة من الخلق (الرسل) لأنفسهم .. فليس فيه علو النبرة بالتوكيد على ذلك..**

(١٥) ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣٢) **الحجر..وأرى أن الكلام على تقدير دخول (فى) فكأنه يقول – كما يقول الألوسى-: { أَلاَّ تَكُونَ } أي (في) أن لا تكون { مَعَ الساجدين } ..فخفضت نبرة الحديث وقوته – فهو كأنه فى مقام استفسار – وأخذ ورد كما نقول– وليس توجيه أمر ونهى وتوكيده.**

(١٦) ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ (٢).. وهى ـــ كما يقول البقاعى أيضاً- { ألا } أي لئلا { تتخذوا } .. والألوسى: { أَلاَّ تَتَّخِذُواْ } أي (أي) لا تتخذوا على (أن) تفسيرية و(لا) ناهية ، .. وقيل لمحذوف أي آتينا موسى كتابة شيء هو لا تتخذوا....... فهذه الآيات هى تفسيرية فى أسلوبها.وعلى سبيل الحكاية. .. . هكذا نرى انخفاض نبرة الصوت فى رسم الكلمة (ألا) بخلاف (أن لا)

(١٧) ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (١٠) .. كأنها تفسير وتوضيح وشرح للآية – وليس أمر وتقرير – ومثلها:

(١٨)﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (٢٤). الألوسي: { أَلاَّ تَحْزَنِى } أي (أي) لا تحزني على أن أن مفسرة أو (بأن) لا تحزني على أنها مصدرية .

(١٩) ﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٤٨) .. انخفاض النبرة.. ويقول الألوسي: وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب.

(٢٠) ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩) كأنها دعوة لتحكيم العقل والمراجعة باللين والفكر.

(٢١)﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْـرِي ﴾ (٩٣) والتقدير : ما منَعك أن تتبعني واضطرّك إلى أنْ لا تتبعني، ونظيره قوله تعالى : { مـا منعك ألا تسجد إذ أمرتك } في سورة الأعراف (١٢)

(٢٢) ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ (١١٨) ليست بصيغة النهى بل هى جملـة خبرية

(٢٣) ﴿لَعَلَّكَ بَـاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) الشعراء..

ونعود لحديثنا واستخدام لفظ (لعلك.....) يقول الزمخشرى موضحا أسلوب الشفقة بنبيه محمد (ص) فيقول: يعني : أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتـك مـن إسلام قومك { أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ } لئلا يؤمنوا ، أو لامتناع إيمانهم ، أو خيفـة أن لا يؤمنوا.. وواضح انخفاض نبرة الحديث الذى هو الشفقة بنبيه وصيغة الجملة الخبرية.

(٢٤) ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُـونَ وَمَا تُعْلِنُـونَ ﴾ (٢٥) هو هنا لايقرر أو يؤكد ولكنه يتعجب ويندهش ، والدهشة فيهـا ملمح السرعة فى الحديث والبهت فى القول.. وهناك إشارة أخرى من الإمام البقـاعى وهى قوله: فقال : { ألا } أي لئن لا { يسجدوا } أي حصل لهم هذا العمى العظـيم الذي استولى به عليهم الشيطان لانتفاء سجودهم ، ويجوز أن يتعلق بالتزيين ، أي زين لهم لئلا يسجدوا((فهى هنا أيضاً تعليلية)) وليست أمراً أو نهياً.

(٢٥)*** ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣١)النمل ..وهنا نلحظ فيها ملمح السرعة التى يشير إليها قوة سلطان سليمان عليه السلام (بخلاف ضعف موسى بجانب سلطان فرعون فهو لا يملك التهديد بإيقـاع

العقاب السريع كما سيفعل سليمان) ولاحظ أن سرعة مرور المشهد مع سرعة مـرور الكلمة متمثلة فى انضمام حروفها(ألا) – وقارن بها آية الدخان التى تحكى قول موسى- الذى لم يكن يملك سلطاناً فى ذلك الوقت وحين صدور هذا القول منه – فى قوله لهم " ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٩)"..

وهنا أمر آخر استدعى التوكيد بفصل الحروف(أن لا) وهو لأن موسى ينهاهم عـن العلو على الله – وليس عليه -كما فى دعوة سليمان -وأنه سيأتيهم بسلطان مبين (وهو الآيات والمعجزات والبراهين الدالة على صدقه) وكل هذا يستدعى الوقت الأطول مـن وقت نداء ودعوة سليمان التى يرسم سرعتها السياق وحروف الكلمات كمـا يلـى: ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).. وتأمـل فى سرعة الخطاب (وحرف الفاء الدالة على السرعة والتعقيب) ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) وتأمل سرعة واختصار الرسالة أيضاً فى خمس كلمات.. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُـو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِـعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّـةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧).. ثم انظر السرعة فى تنفيذ الأمر: قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (٣٩)

وتأمل بعد ذلك حال موسى- على عكس ذلك من الأمر- وسياق الآيات التى ترسم ذلك أيضاً : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧)﴾ -طريق حكايـة القصة الهادىء-﴿ (أَنْ) أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) (وَأَنْ) لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٩).. وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُـونِ (٢٠) وَإِنْ لَـمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ (٢٢)..و(أن) التفسيرية.. مع ملاحظة أن العلو على الله (أن لا تعلوا على الله)- له ثقله الكبير ، ويتمثل ذلك فى رسم الكلمة بالحروف الأثقل (أن لا) .. والعلو على سليمان-(ألا تعلو علىَّ) يناسـبه الثقـل الأقل – حتى فى رسم الكلمة (ألا)-.. وكأنه فى رسم المصحف لاينسى أن يرسم بريشة

الوحى المعجز – بحروف الكلمات – عدم مساواة الخالق بالمخلوق – كما ذكرنا من قبل فى أمثلة كثيرة لهذا المثال حينما تتكرر آيات متشابهة مع الخالق والمخلوق.

(٢٦) ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (١٤) فصلت.. فهى هنا تفسيرية لما قالته الرسل على طريق الحكاية وليس التقرير والتوكيد –

(٢٧)﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠)فصلت... وقال الزمخشري : بمعنى "أي" أو المخففة من الثقيلة انتهى . ، وهذه آية عامة في كل هم مستأنف ، وتسلية تامة عن كل فائت ماض ،((أى كلام خبرى عادى وتسلية بخطاب هادىء ليس فيه أمر أو نهى أو توكيد لهم)).. مع ملاحظة سرعة زف البشرى لهم (ألا تخافو ..) وهم الذين قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا .... فناسبها سرعة الكلمة (ألا) .. وهكذا – ملحظ السرعة– فى الآية التالية:

(٢٨) ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢١) الأحقاف.. **ولاحظ جو الإنذار الذى يتطلب السرعة**(إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ) وكما يقول الألوسى وغيره { وَقَدْ خَلَتِ النذر } أي الرسل كما هو المشهور (ولاحظ تسمية الرسل هنا بالنذر ليتلاءم مع مشهد الإنذار السريع فى وقعه فى الصورة وملمح السرعة حتى فى لفظ الرسل ودعوهم)،

(٢٩)﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٣٨).....أيضاً هى تفسيرية وحكاية حال ماضية وشرح لقوله: أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى

(٣٠)﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ (٨) نبرة هادئة.

(٣١) ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) الحديد .. الطاهر: وذهب جمهور المفسرين إلى جعل (لا) زائدة . وأن المعنى على الإثبات ، أي لأن يعلم ، وهو قول ابن عباس وقرأ { ليعلم } ، وقرأ أيضاً { لكي يعلم } (وقراءته تفسير).. وأكمل قراءة وتوضيح هذه الآية من تفسير الطاهر بن عاشور هذا ففيه الكفاية هنا – ونخلص من قوله بالآتى: والمعنى : لا تكترثوا بعدم علم أهل الكتاب بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وبأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، أي لا تكترثوا بجهلهم المركب في استمرارهم على الاغترار بأن لهم مترلة عند الله تعالى ، فإن الله عالم بذلك وهو خلقهم فهم لا يقلعون

عنه، وهذا مثل قوله تعالى : { ختم الله على قلوبهم } في سورة [البقــرة : ٧] .)).
فهى على شاكلة الآيات السابقة من الحكاية عنهم وبنيرة هادئة ليس فيها الأمر والنــهى وشدة التوكيد.

(٣٢) ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ (٧) **عبس**.. والمعنى كما يقول الطاهر: والمعنى : عــدم تزكّيه ليس محمولاً عليك ، أي لست مؤاخذاً بعدم اهتدائه حتى تزيد من الحرص علــى ترغيبه في الإيمان ما لم يكلفك الله به . وهذا رفق من الله برسوله (ﷺ)....وكما يقــول الألوسي: وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم.......**فليس فى كل ذلك تأكيد لأوامر أو نواهى أوعلو للنــبرة التقريرية التى تستدعى فصل** (أن لا*)

(لكيلا – لكي لا)

الناظر فى المصحف الشريف بوعى وتأمل ، يلحظ أن (كى) وهى من نواصب المضارع إذا اقترنت باللام قبلها وبعدها، اختلف رسم حروفها فأحياناً تراها وسط اللامين ، وهما موصلان بها فى الخط هكذا : (لكيلا) .وأحيانا ترى اللام الثانية مفصولة عنها فى الخــط هكذا (لكى لا) وحاشا أن يكون هذا الاختلاف اعتباطا خاليا من الدلالة علــى معــنى لطيف بل له معنى دقيق يشع منه. ومن غاب عنه هذا المعنى عجل وقــال : إن رســم المصحف لا يقاس عليه ، ولا يبحث فيه عن معنى؟ **وهذا قول شنيع لا يليق بكتاب الله** عز وجل ، والأصل فى رسم هذه الكلمة فى القرآن الكريم هو الفصل بين (كى) واللام التى بعدها، أما اللام التى قبلها فتوصل بها دائما لذلك كان المفصول هو الاكثر لأنــه – كما قلنا – الأصل. أما الموصول فلم يتجاوز ثلاث مرات فى القرآن كله.

والسبب فى وصل ما وصل منها ، **وفصل ما فصل هو النظر فى** (اللام) التى بعدها ومعلوم أن اللام الأولى فى (لكيلا) تعليليه ناصبة للمضارع إذا انفردت أو وصلت بها أما اللام الثانية فهى نافية لما يقع بعدها ومعنى(النفى) فى هذه اللام يأتى على نوعين .
الاول: أن يكون نفيا كليا عاما.   الثانى أن يكون نفيا جزئيا خاصا.

فإذا كان معنى النفى ب(لا) كليا عاماً وصلت اللام بكى.

وإذا كان معنى النفى جزئياً خاصا فصلت اللام عن (كى) .

۞ تعليق:وهذا الفصل يتناسب مع الفصل والتجزئة والتخصيص – الذى يفيد أيــضاً التوكيد والتحديد والتركيز من ضمن معانيه –، وهو ملحظ دائم فى الرسم القرآنى نــراه أيضاً فى رسم الألف وإظهارها فى المعنى الجزئى.. وإخفاء الألف فى المعنى الكلى –

هذا هو السر فى وصل ما وُصل ، وفصل ما فَصل والتطبيقات الآتية تؤكد هذا الكلام

أولا : الموصول

الموضع الأول: سورة الحج ﴿..وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ (مِنْ) بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾.. (٥)

دقة التأمل فى هذه الآية تريك أن معنى (لا) النافية الموصولة ب(كى) معنى كلـــى عـــام بدليل تنكير(شيئاً) الواقع مفعولا به ل (يعلم) ، لأن المراد من التنكير فى (شـــيئاً) هـــو الاستغراق والعموم.

۞ (ملحوظة وتعليق: أنا أخالف أستاذنا الدكتور فى هذا الـــرأى – فى أن ســـبب الوصل هو لتنكير "شيئاً" التى تفيد العموم– لأن هذا يخالفه آية النحل: لكيلا يعلم بعد علم "شيئاً" .. ورغم ذلك فصلت (لكى لا) ، ونقول أن هذا الوصل والفصل لسبب أخر غير تنكير (شيئاً) سنقوم بتفصيله بعد قليل فى التعليق على أية النحل والحج.

ولكننا سنكمل الآن مع د: مطعنى حيث يقول: ومعلوم أن نفى الكلى يـــستلزم عقـــلاً وواقعا نفى كل فرد من أفراده. ولدلالة التنكير فى هذه الآية مثل دلالة التنكير فى مثل قوله تعالى (إن الله على كل شئ قدير) لأن جميع الاشياء خاضعة لقدرة الله عز وجل .

وللدلالة على (كلية النفى وعمومه) وصلت (لا) النافية ب(كى) فى الآية المتقدم ذكرها

** **الموضع الثانى** : فى سورة الاحزاب ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَـــا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٥٠)

هذه الآية تتعلق بزواج النبى (ﷺ) من زينب بنت جحش بعد أن طلقها مولاه زيد بـــن حارثة وكان يطلق عليه ابنه بالتبنى ، وكان المؤمنون قبل هذا الزواج يعتبرون زوجـــات أبنائهم بالتبنى محرمات عليهم كزوجات أبنائهم من أصلابهم ، فأبطل الإسلام هذا السلوك بزواج النبى (ﷺ)من زينب بنت جحش – التى كان مولى النبى زوجا لها – ثم طلقهـــا ، وبعد زواج النبى منها اقتدى به المسلمون فلم يعودا يعتبرون زوجات أبنائهم بالتبنى مثـــل زوجات أبنائهم من اصلابهم.

۞ (تعليق : وأنا غير مقتنع بهذا الرأى ، وسبب النزول لهذه الآيات هو فى الواهبـــة وليس فى زواجه(ﷺ) من زينب وقضية التبنى ، وسنبين ذلك بعد قليل)

ووصلت (لا) النافية فى الآية ب(كى) للدلالة على عموم النفى واستغراقه ، لأن الرسول

فى أول الأمر استشعر حرجا من زواجه بزينب حتى أن الله عز وجل عاتبه على ذلك الشعور والدليل على عموم النفى فى قوله تعالى لرسوله الكريم : (لكيلا لا يكون عليك حرج) سياق الكلام تم تنكير (حرج)٠؟؟؟؟؟ولعله يقصد السياق قبل الآية المقصودة وهو:﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ (عموم المؤمنين) فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ(عموم المؤمنين) لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ (فى هذه القضية العامة)؟؟؟؟؟

الموضع الثالث: فى سورة الحديد (.﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣)

وإذا تأملت الآية الثانية وجدت المنفى ب (لا) هو السخط والتحسر فى الابتلاءات والمصائب ، والفخر المخرج عن الاعتدال فى ظل ما ينعم به علينا من نعم٠

ووجدت – كذلك– النفى كليا عاما ، **بمعنى أن الله لن يأذن بممارسة شئ مما كرهه لنا ، ولهذا العموم جاء وصل (اللام) ب (كى) للدلالة على ذلك العموم الشامل لجميع أنواع الأسى والحزن والأفتخار والفرح المخرج عن حد الوقار ٠**

تلك هى المواضع الثلاثة التى جاءت فيها اللام النافية موصولة ب(كى) رمزا لطيفاً على ذلك المعنى اللطيف٠

﴿ ((**تعليق**: لماذا لايكون المقصود من وصل (لكيلا) هو معنى التواصل والإتصال من البدء للختام – إضافة لما سبق قوله– .. وشرح ذلك كالآتى:

(١) فى الآية الأولى من سورة الحج ووجود حرف الإبتداء (من): لِكَيْلَا يَعْلَمَ (مِنْ) بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ..التى تفيد فقد العلم (من) بداية الشيخوية دون فترة انقطاع بين فترة العلم وفترة فقده فى الشيخوخة.. وذلك بخلاف آية النحل التى يقول الله فيها **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾** (٧٠).بدون (من). حيث أننا نجد فى آية النحل هذه الآتى:

١) أية النحل لاتهتم بتفاصيل المراحل وبدايتها بل إنها اكتفت بمرحلتين – على سبيل الإنفصال ؛ وليس على سبيل التتابع والإتصال – فقالت(خلقكم ثم يتوفاكم)– ضمت البداية والنهاية (المنفصلتان) فى كلمتين فقط– .... إلى أن قال لِكَيْ لَا يَعْلَمَ (بَعْدَ) عِلْمٍ شَيْئًا .... .. وذلك بخلاف التفصيل فى آية الحج التى يبدأها ربنا بقوله: خلقكم (من) تراب ثم (من) نطفة ثم (من) علقة... إلى قوله (لكيلا يعلم (من) بعد علم شيئاً)– فزاد (من) مع أخواتها لتنتظم فى هذا العقد الفريد المعجز،

وإننا لنلاحظ الدقة والروعة والتناسق فى وجود حرف الابتداء (من) وتلاصق المراحل إلى أن وصل لمرحلة وصل العلم بمرحلة فقد العلم بدون فاصل لِكَيْ لَا يَعْلَمَ (بَعْـدَ) عِلْـمٍ.. بخلاف آية النحل كما قلنا — التى بنيت على الفصل وليس الوصل .. ولذلك فصلت فيها (لكى لا) وحذف منها حرف الابتداء (والتواصل) (من).. بخلاف الأخرى — الحـج — التى كان فيها التواصل بحرف الابتداء (من) .. والتواصل فى (لكيلا) .. فما أروعه وأبهره من كتاب معجز يحوى بين دفتيه الجمال والكمال ، وفيه الإمتاع المبهر للعقل والإشـباع الكامل للعاطفة)

مع ملاحظة أن هناك رأياً لطيفاً سيضيفه الدكتور المطعنى على الصفحات التالية فتأمله وضمه إلى هذا الرأى لتعيش المتعة والجمال مع الكمال وإمتاع العقل وإشـباع العاطفـة ص٣١٨.

والموضع الثانى: فى سورة الحديد ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَـاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (٢٣).. **واضح هنا الإتصال بين مافاتكم وما أتاكم.. والآية قبلها** ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْـلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (٢٢) .. **أى أنها — المصائب — (مجموعة) فى كتـاب عند الله وليست هذه الحادثة وليدة اليوم أو منفصله عن الـتى فى علـم الله الأزلى ، وبمعنى آخر (قل كلٌّ من عند الله)**.. ويقول الطاهر: والكتاب : مجاز عن علم الله تعالى — وهو متواصل لاينقطع لحظة ولا يتوقف — ووجه المشابهة عدم قبوله التبديل والتغـيير والتخلف.

وبعد هذا العرض نقول : ربما يكون هذا المعنى الذى أضفناه لرأى د: المطعنى يكون قريباً منه وليس مضاداً له .. حيث أن معنى التواصل فى الوجود يكون قريباً من (المعنى الكلى) الذى ذكره د: المطعنى

الموضع الثالث وهو ما سنقف عليه للمقارنة بينه وبين الآية الشبيهة له ولكنها علـى الفصل فى باب الفصل التالى ؛ والآية هى: فى سورة الاحزاب ﴿**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَـتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ (٥٠).. **وهذه الآية أيضاً تتحدث عن التواصل..**

وإن كان مقصود الآيات فى إباحة الهبة من المرأة للنبى (ﷺ) وإباحة تزوجها للنبى بـدون مهر(خالصة له من دون المؤمنين) فيكون المعنى هو:

١) تواصل الإباحة (نفى الحرج) — بمهر وبدون مهر- كما يقول البقاعى { لكيلا يكون عليك حرج } أي ضيق في شيء من أمر النساء حيث أحللنا لك أنـــواع المنكوحـــات وزدناك الواهبة .فهو (تواصل الإباحة) و

٢) (لشخص واحد) (ﷺ) فحسن تواصل الكلمة فى الرسم مع تواصلها فى الوجود.

ثانياً : المفصول

المفصول فى هذا المقام على النقيض من الموصول ، لأن الموصول يدل على عموم النفى- كما تقدم – أما المفصول فيدل على خصوص النفي المستفاد من (لا) المفصولة عن (كى) ومن أمثلة ذلك فى المصحف الشريف قوله تعالى سورة الاحزاب **﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾** (٣٧) .

فصلت اللام على (كى) **لأن المراد منها نفى خاص لا عام** .. وإذا قارنا بـين قولـه تعالى (لكيلا يكون عليك حرج) الذي تقدم الحديث عنه، وبين قوله عز وجل (لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) وجدنا الثانى مخصصا بوصفين ،

الأول:(فى أزواج ادعيائهم) الثانى:(إذا قضوا منهن وطرا) ،

وهذان الوصفان قيدان أخرجا الحرج من العموم الى الخصوص ،

لذلك فصلت اللام عن (كى) ،

۞ وأنا أرى — **والله أعلم** — أن الأمر فى هذه الآية فعله النبى — زواجة من إمرأة الابن (بالتبنى) وليس الابن الصلب- فعله (ﷺ)ليحله للطرف الآخر - وهو الأمة - (لكـــى لا يكون على "المؤمنين" حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا).- وهذا يـستدعى الفصل فى الكلمة كما حدث الفصل فى الوجود فى هذا الحكم.

إضافة إلى معنى آخر وهو: الآية تتحدث عن ابتداء تشريع للأمة - وعن علاقـة قائمـة (الإبن بالتبنى) سيتم قطعها-..ففصلت وكتبت (لكى لا).

أما الموقف الآخر(الواهبة) — الأحزاب ٥٠ الماضية - فقد أحل الله للنبى محمـد (ﷺ) الواهبة نفسها .. وفى ذلك استمرار ووصل التحليل (هذه واحدة)... وفيه ملاحظة رفع الحرج وإزالة القطع(أى الوصل) (هذه ثانية) ...والحكم عن نفس هذا الشخص-- وهـو محمد (ﷺ) (لكيلا يكون (عليك) حرج) بخلاف الأخرى (لكى لايكون على المـؤمنين حرج)وهى طرف آخر غير النبى صاحب الحكم الأولى.(هذه ثالثة). ...وهى أيضاً علاقة

كانت مقطوعة – لايمارسها- (زواج الواهبة) – وسيتم وصلها (هذه رابعة)
(لكل هذه الأمور الأربعة وصلت الكلمة (لكيلا) هنا وقطعت هناك)

ونعود لأستاذنا العلامة د: المطعنى ليكمل لنا قوله:

وكذلك قوله تعالى فى سورة النحل ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ (٧٠)... لك أن تتساءل وتلح فى السؤال : لماذا فصلت (اللام) عن (كى) و لم توصل كما وصلت فى نظيره السابق:(لكيلا يعلم من علم شيئا) لأن الظاهر أنهما بمعنى واحد، والفاظ واحدة ؟

والجواب: إذا دققت النظر فى الآيتين وجدت بينهما فرقا واضحا من حيث اللفظ:

فآية الحج فيها زيادة كلمة عن آية النحل، **تلك الكلمة** هى حرف الجر (من) ، **هكذا:**(لكيلا يعلم (من) بعد علم شيئا) **هذا** فى سورة (الحج)، **أما** آية (النحل) فلم يرد فيها حرف الجر (من) . .. و(من) فى آية (الحج) له دلالة متفق عليها عند اللغويين والبلاغيين والمفسرين ، **وتلك الدلالة هى العموم الكلى أو الاستغراق وهو** شمول عموم **الافراد**، بحيث لا يستثنى أى فرد من أفراد الجنس، كما فى قوله تعالى سورة هود ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ (٦) والمراد من الدابة فى الآية: كل مادب على وحه الأرض من عظيم أو حقير ، كبير أو صغير ، مشاهد أو غير مشاهد ، والأصل أن يقال: وما دابة فى الأرض. فزيدت (من) قبل (دابة) للدلالة على المعنى الذى بيناه ، وهو شمول جميع أنواع الدواب . ولو قيل: وما دابة فى الأرض، لاحتمل هذا القول خروج بعض الدواب عن الحكم الوارد بعدها .

إذا تقرر هذا نقول: أن مجئ (من) فى آية (الحج) **يفيد أن الذى بلغ أرذل العمر لم يعد يتذكر شيئاً مما كان يعلمه حتى أسمه ينساه، ويكون المعنى حينئذ أنه نسى كل شئ . فالنفى هنا عام كلى ، فوصلت من أجل الدلالة على هذا المعنى .**

إن خلو التركيب من (من) **فى آية(النحل) يدل على** أن الذى **بلغ أرذل العمر** فى الآية **غابت عنه أكثر الأشياء لا كل الأشياء، فهو ما يزال يذكر شيئا أو أشياء قليلة جدا منها**

وعلى هذا فإن النفى الواقع على(شيئاً) فيها ليس كلياً عاما ولذلك فصلت اللام عن (كى) فى هذه الآية الكريمة لأن المنفى فيها أشياء مخصوصة لا عامة . وعلى هذا فإن الآيتين تدلان على ما هو فى الواقع المعروف ، وهو أن الذين يبلغون أرذل العمر نوعان:

– نوع محيت ذاكراته تماماً، فلم يعد يذكر مما كان يعلم شيئاً قط.

–ونوع بقى فى ذاكرته شيئاً ما أو بعض أشياء ثم غاب عنه ما عداها .

وهذا هو الواقع المشاهد فى دنيا الناس ، وكون الآيتين فيهما دلالة على هذا المعنى فإن ذلك من وجوه الاعجاز القرآنى الذى لاتنقضى عجائبه ولا تجف ينابيعه مهما طال العهد.

ومحال محال أن يكون مجئ حرف الجر (من) فى احدى الآيتين ، وتركه فى الثانية ليس لهما معنى . ذلك ظن الذين غفلوا عن فقه معانى التتريل الحكيم

۞ **تعليق**: وهذا رأى لطيف وعظيم – من عالمنا– نضيفه إلى ما قلناه سابقاً فى التعليق على آيتى النحل والحج – ولا تعارض– بحمد الله تعالى.. ولكن يبقى السؤال وهو: لماذا وضعت (من) فى سورة الحج ، ورفعت من سورة (النحل)..؟..

والإجابة:أنه كشأن القرآن الذى عودنا دائماً على وضع كل كلمة فى مكانها المقصود والمخصص لها، بحيث أنه لايستطيع أحد من البشر أن يستبدل كلمة أو حرف مكان الآخر

فإن المتأمل فى سياق آيات **سورة الحج** يجد أنه مقام (**تحقير للكافر**)، الذى يناديه بقوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي (رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾** – ثم يعدد له منشأه فى كل مرحلة من مراحل حياته (من): **﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ (مِنْ) تُرَابٍ ثُمَّ (مِنْ) نُطْفَةٍ ثُمَّ (مِنْ) عَلَقَةٍ ثُمَّ (مِنْ) مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ .﴾** . إلى أن يصل: **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ (مِنْ) بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾** .... فهو يعدد له جميع المراحل من بدايتها وبالتفصيل الواضح لإظهار حالته أمام نفسه وهى فى حالة الجهل (الكامل) – لِكَيْلَا يَعْلَمَ (مِنْ) بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا – أى لايعلم أقل شيء من العلم ، أى:من بداية ما يسمى بعلم – ويستمر السياق بعد ذلك ليناسب هذا المقام لهذا الكافر فيقول: وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً[1]

نعود لنقرر – من خلال السياق القرآنى المعجز– أن آيات سورة الحج تتحدث عن مقام التحقير للكافر ، وتحشد له كل صور التحقير المناسبة لشأنه ماثلةً أمام عينيه ، فناسب

---

(١)–ولم يقل خاشعة التى تعطى جو العبادة والطاعة الذى لايتناسب مع هذا الكافر– وقاله فى سورة فصلت (وترى الأرض (خاشعة) لأن السياق فى حديث عن جو طاعة وتسبيح من المخلوقات والملائكة لله ﴿ (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾....))..

ذلك استحضار صورة (عموم الجهل) وإضافة (من)..

وذلك بخلاف سياق سورة النحل — التى تتحدث عن سياق (تعداد النعم) على عباده ؛ فكان المناسب لذلك هو مشهد (بعض الجهل وليس كل الجهل) حتى لايُفسد جو النعم هذا- وراجع نفس هذا الملحظ الإعجازى حينما شرحنا مراحل خلق الإنسان ووقفنا على مرحلة (صلصال كالفخار) وقلنا أنها هى المرحلة الوحيدة التى فيها صورة النعمة والفائدة — بخلاف التراب — ولذلك وضعها فى سورة النعم (الرحمن)للتناسق والإبهار.

وهكذا يستمر موكب الإعجاز من أكثر من زاوية فى الآية الواحدة ؛ فالكلمة أو الحرف كاللؤلؤة التى تعطى أكثر من بريق من كل جانب منها — وهى هى نفس اللؤلؤة — وصدق رسول الله(ﷺ) حيث يقول (لايشبع منه العلماء ولا تنقضى عجائبه ولايخلق عن كثرة الرد))، وندعوا الله أن لايحرمنا لذة النظر والتأمل فى كتابه .. آمين.

ونكمل ذكر الأمثلة التى تركها القدامى وهى:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أحَد وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٣)..

۞ وهى شبيهة بآية الحديد .. ولكننا هنا تزيد الأمر إيضاحاً وتوضيحاً لحكمة الوصل فى (لكيلا) وهو زيادة النص قبلها(**فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ**) .. أى غم موصول بغم آخر (دون انقطاع أو راحة لهم بين ذلك).. والذى أفاد هذا المعنى هو حرف (الباء)- الذى يسميه علماء اللغة (حرف الإلصاق) ، ويكون المعنى غماً موصولاً (ملتصقاً) بغم.. وهذا هو عين ما حدث فى غزوة "أحد" وكان تصويراً دقيقاً لشدة ما نال المسلمون فيها.. ولذلك لم يقل النص (فأثابكم غما (على) غم .. أو غما (بعد) غم ..) أو غير ذلك من الألفاظ التى لاتعطى **معنى الإلصاق والتواصل الذى ينسجم مع تواصل واتصال كلمة** (لكيلا) فى نص واحد.

النص الثانى: **﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُوله منْ أَهْلِ الْقُرَى فَللَّه وَللرَّسُول وَلِذي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ (منْكُمْ) وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾** (٧) أى أنه ينهى أن يكون المال مخصص عند الأغنياء فقط (**منْكُمْ**) (كى لايكون خاصاً بهم فقط)

فإن لم —— فإلم

هاتان العبارتان وردتا فى الرسم العثمانى الشريف ، فى العبارة الأولى أظهرت نون (أن) الشرطية ٠وفى العبارة الثانية أخفيت هذه (النون) و لم تظهر فى الخط (= الرسم) ٠

ومحال أن يكون أظهار ما أظهر ، واخفاء ما أخفى عبثاً لا معنى له ولا أسباب ، لأن كل ما فى المصحف الشريف كان لحكمة ، وضد الحكمة (السفه) وكتاب الله لايأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه .. فما هو السر فعلاً فى هذا الاختلاف بين هاتين العبارتين ؟ نذكر أولاً الآيتين اللتين وردا فيهما هذا الاختلاف .

الآية الأولى هى قوله تعالى سورة القصص **﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** (٥٠).. جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى سورة القصص **﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (٤٩)

الآية الثانية هى قوله تعالى سورة هود **﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** (١٤)

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى فى سورة هود **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (١٣).

قف قليلاً أمام الآيتين تجد المقام الذى وردتا فيه واحد: ففى آ ية القصص كانت الآية رد على المشركين فى طعنهم فى التوراة والقرآن الكريم. وفى آية هود كانت الآية رداً عليهم فى الطعن فى القرآن الكريم بأنه مفترى وليس من عند الله ؟

وفى سورة القصص أمر الله رسوله أن يقول لهم ائتوا بكتاب آخر من عند الله أهدى من التوراة والقرآن ولكم علىّ اتباعه إن كنتم صادقين ، وفى سورة هود أمر الله رسوله أن يقول لهم أئتوا بعشر سور مثله مفتريات ، واستعينوا بمن شئتم من دون الله إن كنتم صادقين .

وفى كلتا الآيتين ورد فعل الامر (ائتوا) مرادا منه الافحام والتعجيز للخصم، ومع هذا التشابه الكبير فى سياق الكلام ومقامه والتماثل التام بين :(فإن لم) و (فإلم) **ترى نون (إن) أظهرت فى الأولى خطأ وأخفيت فى الثانية فما هو السر فى ذلك؟**

إن المقارنة بين الآيتين تكشف لنا بكل وضوح عن سبب هذا الاختلاف، وذلك بالنظر فى ما بعد (إن)- أى فى جواب الشرط الواقع بعدها - فهو (أعنى جواب الشرط) فى الأولى هو :(**فاعلم انما يتبعون أهواءهم**) . وفى الثانية (**فاعلموا أنما أنزل بعلم الله**).

فالاول ، وهو اتباع الأهواء ، **أمر سفلى محسوس مشاهد** فى سلوك المتحدث عنهم وأخلاقهم الوضيعة.

الثانى ، وهوالإنزال بعلم الله **أمر علوى شريف** ، **غيبى** غير مشاهد بالعين الباصرة

فأظهرت (النون) مع الأمر السفلى المكشوف الظاهر ٠ وأخفيت (النون) مع الأمر الغيبى غير المدرك بالابصار ٠وفى هذا تناسب حكيم بين إظهار (النون) مع الأول وإخفائه مع الثانى ٠

وهكذا قد تجلى لنا السر اللطيف فى اختلاف الرسم القرآنى الذى يزعم قوم أنه مجرد اختلاف خال من الدلالة عار عن الافادة ، هدانا الله إياهم لفقه معانى هذا الإعجاز المفحم ، الذى أنزل بعلم الله لايعلم سواه

۞ **وأرى أيضاً** .أن الآية الأولى فيها **شدة التوكيد والتقرير** على أنهم يتبعون أهواءهم، وهذا شيء ممكن التحقق منه ، بخلاف الأمر الغيبى : أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو..) ولذلك نجد أن القرار هنا للنبى (ﷺ)ليبلغه ويؤكده للأمة ، لأنه ليس فى حاجة للتوكيد (كقوله تعالى فى أول سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ** (**خطاب للنبى فى بداية الآية**) **ثم يقول بعدها**: **وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** (١) **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** (مازال الخطاب للنبى (ﷺ) لكنه بعدها مباشرة يكمل الآية: **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ (انقلب الخطاب بصيغة الجمع للأمة)..

وهنا نفس هذا المعنى فالخطاب بالتوكيد على النبى (ﷺ)— بأنهم يتبعون أهواءهم — فاعلم ... — والرسول يعلم ذلك علم اليقين بلا شك أو تردد — ولكنه يراد به إبلاغ هذا التوكيد للأمة الكافرة (**الطرف الآخر**)[٢] ولذلك كانت اللفتة الآسرة بفصل الكلمة (فإن لم) لتبين هذا الفصل الذى لابد من وضعه فى الذهن حين ورود هذا الخطاب وأمثاله للنبى (ﷺ).. أى الخطاب للنبى (ﷺ) ويراد به الطرف الاخر وهو الأمه الكافرة — يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن ..— فأصبح هناك فصل فى الوجود الخطابى يناسبه فصل فى حروف الكلمة.

أما آية هود فالخطاب للنبى والمؤمنين ، وطلب العلم لنفس الجهة دون انفصال (أى: فاعلموا — أى يا مؤمنون)- أنما أنزل بعلم الله .. فالخطاب من البداية للنهاية متواصل فى الوجود - لنفس الجهة- فتواصل أيضاً فى رسم الكلمة (أنما).

(٢) نلاحظ أيضاً أساليب التوكيد والوقوف المؤكد والمطول والمفصل على نفس المعنى .. والسياق العنيف والملتهب والهجومى عليهم (**عالى النبرة**) فناسبها الفصل .. ﴿ فَإِنْ لَمْ

---

(٢)(ومثال آخر هو: يا أيها النبى إذا طلقتم النساء).. فبداية الأمر هو للنبى (ﷺ) لكنه يراد به الأمة — فى شخص قائدها — كما يقول رئيس الجمهورية للقائد العسكرى عنده: إهجموا .. واضربوا .. والحديث موجه لشخص القائد العسكرى ويراد به كل فرد فى الجيش)...

يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ (١) أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ (٢) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ (٣) إِنَّ (توكيد) اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٠). وهذا سبب آخر للفصل.

❁❁❁❁❁❁❁

ونكمل ذكر الأمثلة التي تركها علماؤنا :

(١) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤).. نرى هنا التوكيد بل وشدة التوكيد بحكم صادر بلا نقض ولا أبرام ومعه التحدى الكامل (الفصل)..وهو تحدى دنيوى أيضاً.

(٢) ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٦٥).البقرة مثل دنيوى ، وتفرقة بين حالتين.

(٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.﴾ . (مثل (١))

(٤) ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾فصل وتفصيل

(٥) ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ ﴾ (المقام مقام تفصيل)

(٦) ﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ المقام مقام تفصيل لأنه تشريع .

(٧) ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ النساء.فيه شدة وتهديد

(٨) ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (٦٠)يوسف فيه شدة وتهديد

(٩) ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾النور (تشريع وتفصيل)

(١٠)﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾الأحزاب.

(١٠) ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢) الحجرات.

نلاحظ فوق ذلك أن هذه الأمثلة (تفاصيل دنيوية) مما يؤكد المعنى السابق (حذف الحرف فى الأمور الملكوتية العلوية والغيبية.. ووضعها فى السفلية والمادية الملموسة .. إلا ما استثنى لغرض بلاغى عظيم نراه فى حينه — إن شاء الله تعالى—).

أن لن —— ألن

ومن ذلك مجئ نون (أن) الناصبة للفعل المضارع ظاهرا مع (لن) حينا، وخافيا معها حينا آخر هكذا. (أن لن – ألّن) والفصل والإظهار هو الأصل.. لذلك فإن كل ما فى القرآن من هذا النوع مفصول هكذا (أن لن) إلا موضعان خولف فيهما هذا الأصل فجاءت (نون– أن) مخفية لا ظاهرة ونذكر أولا هذين الموضعين:

الأول: القيامة ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ (٣)

الثانى سورة الكهف ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ (٤٨)

أما أمثلة الإظهار والفصل فمنهما قوله تعالى سورة التغابن ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧).

وفى سورة الجن ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (٧)

قارن بين الآيات الأربعة تجد النون فى الأوليين لا وجود لها فى الخط، ولكل من الإظهار والإخفاء فيهما سبب، وله معنى دل عليه وإليك البيان :

فى الآيتين اللتين تحكيان ما قاله الكفار تجد : **فعلا إدَّعوه (هم) ونسبوه إلى الله عز وجل.**

ففى الآية الأولى منها نسبوا جمع العظام منفيا إلى الله ، مستبعدين قدرة الله عليه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

وفى الثانية منهما نسبوا الموعد منفيا كذلك إلى الله ، والموعد هو البعث أى أن الله – على زعمهم – لم يجعل يوما يبعث فيه الأموات للحساب.

والخلاصة أن المشركين فى هاتين **يتحدثون عن الله لا عن أنفسهم** ، وهذا الحديث **كاذب** كما ترى ، ومع كذبه هذا أكدوه ب**(أن) المخففة** من الثقلية ، فعمد الرسم القرآنى إلى **حرف التوكيد الكاذب** فحذفه فى الخط ، هدما لما أرادوه منه من التوكيد

وهذا هو السبب فى الإخفاء ، **رمزًا به إلى معنى لطيف هو تكذيبهم فيما ادَّعوا.**

تعليق: ونرى رأياً مكملاً لما سبق وهو:كأن الله يريد أن يقول أن هذا الكلام موصول هم لادخل لله (الطرف الآخر) بذلك ، وهذا يتمشى مع تعليقنا السابق الذى ذكرناه فى (فإن لم) و(فإلم)

أما الآتيتن الأخرين فظهر (النون) كما رأيت ، مع أن دعواهم فيه كاذبة ، وقد أشار القرآن إلى كذب دعواهم فى آية (التغابن) بقوله:(قل بلى وربى لتبعثن).

كما أشار إليه فى آية القيامة بقوله (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) وتسوية البنان

(نقش الأصابع والكف) أعقد من جمع العظام. فلماذا؟

أما إظهار (النون) مع كذب الدعوة فى الآيتين فلأنهم يتحدثون عن أنفسهم لا عن الله عز وجل، فهم الذين زعموا أنهم لم يبعثوا، والظن فى آية الجن (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) هو ظنهم هم، وهم فاعلوه، وليس الله عز وجل، لذلك أظهرت(النون) ولم تدع حاجة إلى إخفائها لأنهم قد سوّل الشيطان صدق ما يقولون ويتوهمون، وهم يعتقدون أنهم صادقون.

ولنستوضح الحقيقة فى باقى الآيات نسردها كالآتى:

(١) ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧).. دنيا

(٢) ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥) الحج **دنيا**

(٣) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (٢٩) دنيا

(٤) ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (١٢) دنيا

(٥) ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧)

(٦) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٥)الجن

(٧) ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (٧)الجن

(٨) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ (١٢)الجن

(٩) ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾

(١٠) ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (١٥)الانشقاق

(١١) ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ (٧)البلد

(١٢) ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٣) القيامة.. بلى قـدرين.على... (ولم يقل (ألن تُجمَع عظامه.. بالتاء وليس النون).. ولكنه قال: نجمع (نحن)– بصيغة الجمع – والخطاب المباشر

(١٣) ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٤٨).. ولم يقل (ألن يُجعَل لهم) بل قال: نجعل (نحن) – بصيغة الجمع – والخطاب المباشر..

تعليق: فى آيات الجمع (ألن) يكون الملحظ هو: (**عملية تجميع** - وليس انتشار-- للعظام أو للخلائق .. **وبكيفية غيبية فى الآخرة**.. وهو ظنهم هم وهم فاعلوه ، وليس الله عـز وجل — وهم **يؤكدون** بشدة على ظنهم هذا

كلمة أخيرة

بعد هذه الاشواط الطويلة التى سرناها مع لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثمـانى للمصحف الشريف نشعر أمرين :

الأول: أننا قدمنا قدراً صالحا من دراسة هذه الخصوصيات والأسرار التى تدل عليها ،

الثانى: أننا سددنا الطريق أمام الدعوة بإعادة كتابة (المصحف الشريف) على منهج الخط الإملائى الحديث ، بحجة واهية ذكروها هى أن هذه الخصوصيات تخلو من الدلالة وأنها لا معنى لها. **سددنا الطريق أمام هذه (السخيفة) ، وكشفنا ما تنطوى عليه مـن غفلـة وجهل** ، وأننـاً أن كل خصوصية من خصائص رسم المصحف الشريف تدل على معان ولطائف لا يمكن فهمها إلا من تلك الخصوصيات التى تابعنا فيها قراء (منـبر الإسـلام) **وعلى كثرة ما قدمنا من خلال هذه الدراسة المضنية. فأننا نعترف بأننا لم نستقص كل ما كان يمكن أن يقال فى المجال، آملين أن يهيىء الله باحثين آخرين يقطعـون أشـواطاً أخرى فى** الحديث عما لم نتحدث عنه .... والحمد لله فى الأولى والأخرة.

مناقشة الرأى الآخر

يمثله دكتور: غانم قدورى وكتاب (رسم المصحف دراسة تاريخية)

وكما ذكرنا فى المقدمة أن هذا الكتاب (**رسم المصحف دراسة تاريخية**) هو عبارة عن رسالة دكتوراه قام بها فى هذا الموضوع ، وقد أشار البعض من العلماء بقراءتها لأهميتها القصوى من وجهة نظر المؤيد والمعارض.

وقد بنى الكاتب"قدورى" بحثه ،على التأصيل التاريخى لظاهرة الرسم والكتابة ،وقام بترجيح آراء هو نفسه لايقطع بصدقها أو مصداقيتها حيث يشير إليها بقوله "ربما" أو"محتمل" أو "الرأى الأقرب للصواب".... وهكذا كثيراً.

ثم بعد ذلك يحاول أن يخضع البحث لهذه الفكرة التى يقول هو عنها فى ص٢٢((كانت لعلماء العربية روايات فى أصل الكتابة عامة ، والكتابة العربية خاصة، لكن الروايات فى هذا الباب **تكثر وتختلف** – كما يقول ابن فارس..)) معترفاً باختلاف الروايات المعتمد عليها.

وفى ص٢٠٢ يقول كلاماً طيباً – نلاحظ أنه سينقضه وسيهدمه فى خلال بحثه – وهو: قوله (ولا ينبغى لدارس الرسم العثمانى إلا أن يستبعد فكرة الخطأ وهو يحاول أن يجد التفسير الصحيح لظواهر الهجاء الواردة فيه ، وأن يتوقف عن القول فى ما لم يتوفر لديه فيه ما يرجح به رأياً أو يقدم به تفسيراً ، لأن جانباً كبيراً من تاريخ الكتابة العربية فى تلك الفترة المتقدمة **لايزال غير معروف**، ويظل الرسم العثمانى بكل ما يقدم من أمثلة وصور لرسم الكلمات خير ممثل لواقع الكتابة العربية فى تلك الحقبة.. ثم يزيد قائلاً: ولا شك فى أن أى كشف جديد فى مجال النصوص القديمة المكتوبة سيزيد الحقائق الكتابية التى يقدمها الرسم تأكيداً ووضوحاً بعيداً عن فكرة الخطأ التى يجب أن تكون آخر احتمال فى هذا المجال..))انتهى.. وحكى كثيراً عن علماء سبقوه فى الكتابة ، وادعى أنهم كلهم لايقفون على الحقيقة التى توصل هو إليها، مدعياً جهلهم بها ، ومضيفاً إلى ذلك عدم توفر المصادر الموثوق بها !! ورغم ذلك سنجده فى هذا الكتاب (الذى هو رسالة دكتوراه) يرفض مناقشة الرسم على أرض الواقع واستجلاب النصوص والتدبر فيها إلا عن طريق واحد ، ألا وهو الطريق التاريخى الذى يقول فيه: بأن أصل الكتابة كانت اللغة النبطية ، وقد بقيت أثر هذه الكتابة النبطية فى رسم بعض الكلمات فى القرآن الكريم و لم يغيرها كتبة القرآن ، وبعد أن تطورت الكتابة لدى كتبة الوحى قاموا بتعديل بعض هذه الكلمات

وتركوا مثيلاتها على ماهى عليه دون تغيير،أى غيروا البعض وتركوا البعض المشابه له،التى كانت موجودة بها قبل تطور علم الكتابة لدى كاتبى الوحى، مدعياً أنه لايوجد أى وجه من الحكمة فى وجودها على هذه الصورة وهذا الرسم سوى أنها تشير إلى وجود خط سابق لهذا الرسم قبل تطويره، وبقى من أثره هذه الكلمات التى أبقى عليها الرسم القرآنى لتكون دليلاً وشاهداً على هذا التاريخ ؟!

بل ويذكر أن علماء السلف وقعوا فى (خطأ جسيم) حينما حاولوا تفهم هذه الصورة التى تتناسب بين المبدأ الصوتى والكتابة،وغيرها مما سنبحثه على الصفحات القادمة ؛وذلك لأنهم يجهلون الوجهة التاريخية التى اهتدى هو إليها.

و فى ص٦٩ **ينقل رأى الإمام ابن قتيبة** ، ويعجب المرء أشد العجب من أن يسمع من علماء مسلمين يقولون بأن هذه الكتابة وأمثالها خطأ من الكاتب ، ومن سوء هجاء الأولين – كما يقول أحدهم ، بل ويصرح بها (ابن قتيبة) فى كتابه (تأويل مشكل القرآن)ص ٤٠– ٤١ . مصرحاً بأن كل ماجاء فى رسم المصحف من وجوه مخالفة للمشهور من قواعد الهجاء عند الكتاب هو من باب الخطأ ؟؟!!!! ويقول بعد أن أورد حديث عائشة (المريب والمشكل لدى العلماء) فى غلط الكاتب وحديث عثمان-: (أرى فيه لحنا..) – الذى ناقشناه وأثبتنا زيفه وبطلانه على الصفحات الماضية – يقول ابن قتيبة (وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب أو **أن تكون خطأ من الكاتب**- كما ذكرت عائشة- رض- .

ثم يقول: فإن كانت على مذاهب النحويين فليس ههنا لحن ، بحمد الله، **وإن كانت خطأ فى الكتاب فليس على الله ولا على رسوله(ﷺ) جناية الكاتب فى الخط**، ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التهجى!!!!!

ويقول: فقد كتب فى الإمام (إن هذن لسحرن) طه ٦٣.. بحذف ألف التثنية. ثم يتعرض إلى- ما يسميه خطأ الكاتب – فى كتابة كلمة (الصلوٰة، والزكوٰة،... الربوا). ويقول : واتبعناهم- أى كتبة الوحى- فى هذه الحروف خاصة، على التيمن بهم.. وعرج على بعض الأمثلة فى الوصل والوصل – ناقشناها كاملة وكل ماورد فى كتاب د: قدورى على الصفحات الماضية وسنكملها على الصفحات القادمة إن شاء الله) .

ولكن العجب العجاب من عالم كهذا كيف يجهل هذه المقدمات التى أشار إليها السابقون؟ وكيف أنه لم يقرأ تعدد القراءات فى الآية (إن هذان لساحران).. وكيف أن

هذا الألف - الذى حذف — قد حذف لحكمة بالغة وعظيمة، حيث أن القراءات قرأت (لساحران ولساحرين) وأنه فى هذه الحالة لو كتبت بألف ظاهرة لقيدت القارىء بقراءة واحدة وهى التى بالألف ، أما فى حالة حذف الألف ووضع إشارة تدل عليه بدلاً منه فهو إشارة آسرة من الرسم بجواز القراءة بالقراءتين) — وقد ناقشنا ذلك بتوسع على الصفحات الماضية- فكيف يكون هذا خطأ (وجناية) من الكاتب !!(وهو الصحابى الذى كتب القرآن وأجمعت عليه الأمة) — كما يقول-؟!!!.

وهكذا — وللأسف- الحال نراه من ابن خلدون ؛ حيث يقول((ولا تلتفتن فى ذلك إلى ما يزعمه **بعض المغفلين** من أنهم — أى الصحابة- كانوا محكمين لصناعة الخط..... وما حملهم (أى بعض المغفلين) على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص فى قلة إجادة الخط..... وذلك ليس صحيح) ؟؟!!.

والعجيب أن د: غانم قدورى(صاحب الرسالة المطولة فى الدراسة التاريخية لرسم المصحف) - يقول بعد نقل هذه الأقاويل (ولا ينبغى أن ننخدع بما فى كلام العلامة ابن خلدون- رحمه الله-) وهذا كلام طيب من د: قدورى ، ولكن للأسف سينقضه بعد قليل بعرضه لرأيه ، وكأنه نفس التهجم ولكن بصورة أخرى سنناقشها بعد قليل.

وبعد أن يؤكد على رهافة حس الصحابة اللغوى — كما يقول- ويُخطِّئ ابن خلدون (بأنه كان يتصور بأن هناك نظاماً للكتابة- فى أول الإسلام.. وأن الصحابة قد قصرت هممهم عن إجادة استخدام ذلك النظام الكتابى، فوقع نتيجة لذلك ما جاء فى المصحف من(أخطاء)..!!.

وبعد أن يعلق بكلام طيب قائلاً وناقلاً قول المدافعين عن هذا الحق ((وإذا كان سلفنا الصالح من علماء الأمة الذين ذهبوا إلى هذا المذهب قد عصمهم إيمانهم عن الخطل فى القول، فعبروا بأسلوب العالم الأمين المخلص لكتاب ربه ، المجل لحملته وكاتبيه عما وصل إليه علمهم وبلغه اجتهادهم فى فهم تلك القضية ، **فإن طائفة من المحدثين تنسب إلى العلم أطلقت ألسنتها تصف الرسم بما نجل الرسم والصحابة الذين كتبوه عن مجرد ذكره، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على الجهالة فى العلم والبلادة فى الذهن والقصور فى الإدراك، إن لم يدل على سوء النية وخبث القصد والعداء لكتاب الله العزيز).**

ولكنه رغم ما قاله هذا فإنه يصر على أن هذا الرسم ليس له أى وجه من وجوه الحكمة سوى **أنه يذكرنا بتطور فى تاريخ الكتابة..** حيث أنه كانت تكتب الكلمات بالواو .. وتطورت الكتابة بعد ذلك فكتبت **بعض هذه الكلمات** بالألف، **وبقيت الأخرى** كما

هى بالواو لتدل على هذا التطور التاريخى للكتابة ، دون أن يكون لذلك أى وجه حكمة سوى هذا الجانب التاريخى الذى يجب أن نفهم خصوصية الرسم المصحفى عليـــه !! — حسبما يقول- وبذلك — حسب زعمه — تحل جميع هذه الإشكالات القائمة ؟؟؟؟!!!!

ونجد الكاتب — على سبيل المثال - يصر على أن الواو فى (عمرو) يمكن أن تكون مـــن بقايا زيادة الواو فى نهائيات الأعلام فى الكتابة النبطية التى هى الأصل بالنسبة إليه ؟ وهكذا سيحدثنا طوال بحثه ولايذكر لنا لماذا كتبت هذه الكلمة (بالبقايا النبطية) غير المألوفـــة لدينا، وكتبت أختها على الطريقة المألوفة لدينا؟

وهو يؤكد دائماً أن ذلك تم فى كتابة المصحف نتيجة لتطور علم الكتابة تـــدريجياً لـــدى الصحابة كتبة الوحى ،فأبقوا هذه الكلمات بالحروف النبطيـــة لتـــشهد لهـــذا التـــاريخ للكتابتين،أى ليشهد بأنه كانت توجد كتابتان بطريقتين مختلفتين، وهذا هو الرأى الصواب بالنسبة له !!.

ويضرب أمثلة سنناقشها على أرض الواقع — منها (الربا .. الربوا) حيث جعـــل وجـــه الإعجاز والحكمة العليا فى رأيه هو(إبقاء التى بالواو) لتدل على الأصل النبطى للكلمـــة قبل تطور الكتابة لدى الصحابة!! ويرد بهذا الرأى على كل من يحاول تلمس السبب أو الحكمة وراء ذلك الرسم،ويدعى جهل هؤلاء بأهم سبب- عنده هو- ألا وهـــو هـــذا السبب التاريخى ،غيرالموثق به وغير المؤكد عنده أيضاً، والمختلف فيه لدى مـــن ســـبقوه وعاصروه من العلماء.

❁❁❁❁❁

وهو يقنعنا فى ثنايا بحثه أنه لاثقة عنده بوجود نسخ أصلية لمصحف عثمان الأصلى الذى بعث به للأمصار، ويحاول أن يجيب على السؤال عن وجود النسخة الأصلية من مصحف عثمان — فى ص١٥٨ ، ١٥٩ حيث يقول (ومن الملاحظ أن أئمة الرسم كثيراً ما يقولون أنهم رأوا كلمة معينة فى مصحف الإمام مصحف عثمان كالذى يروى عن أبى عبيـــد ، وعاصم الجدرى،ويحى بن الحارث وابن حاتم.ولعل كلمة (المصحف الإمام)كانت تشمل جميع المصاحف التى كتبت بأمر عثمان — رضى الله عنه — فى أى مصر من الأمـــصار ، وليس مصحف المدينة أو المصحف الخاص بالخليفة فحسب، وربما تـــشمل — أيـــضاً — المصاحف الكبيرة التى كانت توضع فى المساجد الجامعة للقراءة أو لنسخ المصاحف منـــها والتى نسخت من المصاحف العثمانية الأصلية، ولعل ذلك يفسر لنا أيضاً ما يكتب فى آخر بعض المصاحف من أنه بخط الخليفة عثمان، أى بنفس الهجاء الذى كتبت عليه المصاحف

التى نسخت فى خلافة عثمان- رضى الله عنه -... إلى أن يصل إلى قوله: ويثار السؤال القديم مرة أخرى، فى الوقت الحاضر، وهو : هل يمكن أن يكون واحد من هذه المصاحف القديمة الباقية أحد المصاحف العثمانية الأصلية؟

ثم يجيب هو قائلاً: إن أغلب الباحثين يميل إلى استبعاد ذلك، إذ من المتعذر- اليوم- العثور على مصحف كامل كتب فى القرن الأول الهجرى أو الثانى، وعليه تاريخ نسخه أو اسم ناسخه. وكذلك فإنها فى الغالب غير مجردة تماماً من العلامات التى أدخلت فى وقت متأخر،إلى جانب أن إقرار ذلك يحتاج إلى أدلة تاريخية ومادية واضحة وقوية، ودراسة متعددة الوجوه وهو ما لم يتح للدارسين – بعد- القيام بها.)انتهى الاقتباس.

ولا أدرى أى سند تاريخى يعتمد هو عليه بعد هذا القول !! والعجيب أنه – الكاتب- وبعض علماء العصر يعتمدون على قصاصات لايعلم أصلها- كما قال هو- ثم يستندون عليها وكأنها المصدر المتواتر!! وسنرى إن شاء الله وضوح هذا الخلط فى الروايات وتناقضها عند مناقشة أهم الكتب الجامعة فى ذلك مثل (المقنع للإمام الدانى) مما يسقطها جميعا أو على الأقل يجعلها قابلة للصدق أو الكذب .. كما رأينا عند مناقشتنا لأهم كتاب فى ذلك وهو(المقنع) للدانى ، و(البرهان) للزركشى.

ويقول:ص١٦٥: ويبدوأن محاولات جرت منذ وقت مبكر لإدخال بعض صور الكلمات المستعملة عند الكتاب فى المصحف، فيروى الدانى أن إمام المدينة مالكاً (ت١٧٩هـ) رحمه الله سئل فقيل له "أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم أترى أن يُكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: "لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتابة الأولى".

ويروى أيضاً أنه سئل عن الحروف التى تكون فى القرآن مثل الواو والألف أترى أن تُغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ فقال: لا. ويعقب الدانى على ذلك بقوله: "يعنى الواو والألف الزائدتين فى الرسم لمعنى المعدومتين فى اللفظ" .

ويقول: وقد أجمع العلماء على مثل ما ذهب إليه الإمام مالك؛ فقد قال الدانى بعد أن روى رأى مالك السابق "ولا مخالف له فى ذلك من علماء الأمة"؛ حتى أن الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤- ٢٤١هـ) قال: تحرم مخالفة مصحف الإمام فى واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك.

وقال البيهقى أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) فى شعب الإيمان: من كتب مصحفاً فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به هذه المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوا شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا، فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم.

وقال الليب: ....فما فعله صحابي واحد فلنا الأخذ به والاقتداء بفعله والاتباع لأمره فكيف وقد اجتمع على كتاب المصاحف حين كتبوه نحو اثنى عشر ألفاً من الـصحابة رضى الله عنهم أجمعين؟

وقال الزمخشرى (ت٥٣٨هـ) وهو يعقب على رسم لام الجر مفصولة فى قوله تعالى: فى سورة الفرقان: آية ٧.﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ .

(٧) وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي ، وخط المصحف سنة لا تغير .. وبعد تعرضه لرأى الإمام العز بن عبد السلام الذى أوهم بإباحة كتابة المصحف بالرسم المعتاد مخالفاً رأى جمهور العلماء (من الصحابة والتابعين) نجـده يعلق على هذا الموقف قائلاً:. وقد أداه اجتهاده(أى العز بن عبد السلام) أن فى مذهبـه مصلحة وتيسيراً على الأمة (يقصد: أى ليستطيعوا قراءة الكلمات دون الخطأ أو التعثر فى قراءتها مثل (الملؤا) وغيرها — وربما يقصد(العزبن عبد السلام) هذه الإباحة لغرض التعليم فقط لمن لايحفظ القرآن- كما نفعل نحن فى الكتاتيب ونكتبها للأطفال (الملأ) - ولكننى لا أرى أنه يقصد تغيير الرسم القرآنى فى المصحف الشريف مخالفاً بذلك جمهور العلماء — كما قلنا —)) .

ويكمل د: قدورى مناقشته : وقد أداه اجتهاده(أى العز بن عبد السلام) أن فى مذهبـه مصلحة وتيسيراً على الأمة لكن يبدو أنه قد غاب عنه ما للرسم العثمانى مـن دور فى تصحيح القراءات !!، إضافة إلى كونه أثراً من أيدى الصحابة الكرام الذين منهم مـن تلقى القرآن وسمعه من النبى صلى الله عليه وسلم وأول من خطه فى المصاحف !!، "ولم يكن ذلك من الصحابة كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق" وسيتضح لنا صـدق هذه المقولة فى الصفحات القادمة إن شاء الله.﴾ انتهى رأيه !!!!. وهو رأى عظيم لينـه حاول الوقوف عليه فى تدبر النصوص على الصفحات التالية — كما سنرى -.

ويكمل قوله: ونتيجة لعجز بعض العلماء عن إدراك أسـباب ورود بعـض الكلمـات مرسومة بهيئة تخالف اللفظ من زيادة حرف أو نقصه، ذهـب إلى أن رسـم المـصحف وهيئات صور الكلمات إنما هى توقيف عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد عبر عن هذا المذهب بكل أبعاده الشيخ عبد العزيز الدباغ (١٠٩٠- ١١٣٢هـ) فيما نقله عنـه تلميذه أحمد بن المبارك (١٠٩٠- ١١٥٥هـ) فى كتاب الإبريز بقوله "ما للـصحابة ولا لغيرهم فى رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو بتوقيف من النبى صلى الله عليه

وسلم وهوالذى أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدى إليها العقول... وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية ... وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز،وكيف تهتدى العقول إلى سر زيادة الألف فى (مائة) دون (فئة) وإلى سر زيادة الياء فى (بأييد) فى قوله تعالى: فى سورة الذاريات وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف فى(سعوا)من فى سورة الحج:﴿ والذين سعوا في آياتنا معاجزين..... آية﴾ وعدم زيادتها فى سبأ:﴿ والذين سعو في آياتنا معاجزين....﴾ فكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الربانى...".

وبالطبع كما سنرى،أنه لايمكن ان يكون ذلك خطأ من الكاتب ، أو تطور الكتابة هوالذى ترك هذه الكلمة بألف والأخرى بدون ألف .. ولينتظر القارئ بحثنا حول هذه الكلمات ومثيلاتها خلال بحثنا هذا.

والعجيب أنه فى ص ١٧٢ وما بعدها تحت عنوان(حمل تلك الظاهرة على خطأ الكاتب) يقول:

فإن طائفة أخرى من العلماء قد قصر نظرها ، وأعجزتها الحيلة فى الوصول إلى تفسير لذلك ، ورأت أن أيسر السبل إلى حسم الموقف القول بخطأ الكاتب، وظنت أنها أرتاحت وأراحت، ولكن سذاجة هذه المقولة واضحة وستتجلى أكثر فيما سيأتى ..

ثم ينقل إلينا رأى الإمام (ابن قتيبة) الذى يشير إلى خطأ الكاتب للمصحف ويرد هو عليه.. إلى أن يصل إلى قوله((وسنجد أن الوجوه المخالفة التى أقلقت العلماء على مدى القرون يمكن أن تكون دليلاً قوياً على رهافة الحس اللغوى عند الصحابة الذين تولوا كتابة القرآن العظيم ، عندما حاولوا تدوين الظواهر الصوتية التى كانوا يحسونها عند التلاوة ، مع المحافظة على صورة الكلمات القديمة، فجاء الرسم محافظاً على صور الكلمات المعهودة وممثلاً للعناصر الصوتية الجديدة.

((والعجيب أنه رغم هذا الكلام الطيب سيقوم بترديد رأيه المستمر فى سبب الكتابة على هذه الصورة (مثل ملأ ، وملؤا) ، ويؤكد على أن هذا الأمر خالٍ من الحكمة سوى أن هذا الرسم (الملؤا) بالواو هو من بقايا الكتابة النبطية قبل تطور الكتابة لدى الصحابة .. ولا أدرى ماهو الفرق بين هذا الرأى والرأى القائل بأنه خطأ من الكاتب؟ وخاصة أن رأيه – وإن كان أخف وطأة- يخلى هذا الرسم من الحكمة ، التى لرأيناها وسنراها على صفحات بحثنا وتصرخ بأعلى صوتها وتتادى على أعلى درجات الإعجاز والإبهار.

وهو يريد أن يقول – وينقضه فى مكان آخر– أن القرآن هنا يمثل خير تمثيل العلاقة بين الصوت اللغوى ورمزه الكتابى الذى يمثله.

فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ... فما تغنى الآيات والنذر

وهو يريد أن يدعم قوله هذا برأى الإمام "الفراء" الذى يقول: وذلك أنهم لايكادون يستمرون فى الكتاب (أى الكتابة) على جهة واحدة – أى كاتبوا الوحى– ، ألا ترى أنهم كتبوا﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ فى سورة القمر– بغير ياء(تغن)– وكتبوها بالياء فى يونس،﴿ قُلِ انْظُرُوامَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾ يونس بالياء (تغنى) .

وهنا نقف وقفة لابد منها ونقول : أن موقف الإمام "الفراء" هذا:قد أنكره عليه جل العلماء؛فهو يذكرنا بموقف عجيب آخر شبيه بهذا الموقف،اتخذه أعداء الإسلام مادة خصبة للطعن فى صدق حديث القرآن –وإن كان هذا لايقلل من شأنه كعالم جليل– وهو كأى عالم آخر،شأنه شأن النفس البشرية دائماً التى ليس لها العصمة المطلقة ، وكل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا المقام (الحبيب محمد ﷺ).

ونذكر مما ادعاه الإمام الفراء – على سبيل المثال– فى معانى القرآن ج٤ ص ١١٨ فى قوله تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (الرحمن٤٦) **قوله : أنه –أى الله–أراد جنة واحدة.. وأنه أتى بالمثنى (جنتان) لأجل الفاصلة !! فقال مانصه (ذكر المفسرون أنها بستانان من بساتين الجنة، وقد يكون فى العربية جنة تثنيها العرب فى أشعارها) وهو بذلك يريد أن يجعل التثنية فى (جنتان) ضرورة التجأ إليها القرآن كضرورة التجاء الشعراء للوزن والقافية في الشعر.. وقد رد (ابن قتيبة) عليه رداً قوياً فقال: (إنما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء السكت (يقصد مثال(كتابيه) و(حسابيه) فى قوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ:هَاؤُمُ اقْرَءُواكِتَابِيَهْ.إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (١٩،٢٠)أو الألف في(الرَسولاَ ، السبيلا) أو حذف همزة أو حرف (مثل : اخشونِ واخشون). ثم يكمل: فإما أن يكون الله وعد بجنتين ، فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى (أى الفاصلة) فمعاذ الله! وكيف هذا وهو يصفها بصفات الإثنين ؟ قال ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨)) .. فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) .. فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)﴾ .. ولو أن قائلاً قال فى خزنة النار : إنهم عشرون وإنما جعلهم الله تسعة عشر لرعاية الفواصل فى قوله (لواحة للبشر عليها تسعة عشر) المدثر ٣٠ ما كان هذا القول منه إلا كقول الفراء.**

وأقول **معلقاً**: العجيب أنه لاحاجة ولا ضرورة لهذا الرأى الغريب من الإمام الفـــراء .. وكما تقول د(عائشة عبد الرحمن): أن المراد بهذه الآية جنتان (من الجن والإنس) أى (جنة للإنس وجنة للجن) .

وأقول مضيفاً : أن الذى يقرأ سياق السورة يعلم أنها تخاطب الإنس والجن حتى من بداية خلقهما (خلق الإنسان من .. والجان من ..) و(سنفرغ لكم أيها الثقلان..و ..و ..).. فأى غرابة فى ذكر جنتان ..

ثم إن هناك آراء أخرى تحكى أن للمؤمن جنة (هى جنته الأصلية فى حـــال طاعتـــه لله ، وجنة أخرى كانت معدة للكافر – إذا عمل صالحا – وبعد ذهابه للجحيم ورثها المؤمن فأصبحت له جنتان..) (من قول الله تعالى: **الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**..حيث المؤمنُ يرث الكافرَ في مكانه الذي أعده الله له في الجنة إذا هو آمن.).

وربما تكون للمؤمن جنة بعمله ، وجنة أخرى زيادة له وتفضلاً من الله له فوق عملـــه. وقال بذلك علماء ومفسرون كثيرون.

والعجيب أن القرآن الكريم حافل بمثل هذا العدول من صيغة لأخرى ، والأمثلة كـــثيرة منها قوله لآدم (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) ولم يقل (فتشقيا) كما هو المتبـــادر فى حديثنا،وذلك لحكمة عالية أشار إليها العلماء – رداً على مثل هذه الدعاوى الـــشبيهة – فقالوا : إنه من المعلوم أن الذى يكدح فى طلب العيش ويضرب الأرض ويـــشقى هـــو الرجل وليس المرأة معه ولذلك أفرد (فتشقى)،وذلك بخلاف الحديث عن التوبة منـــهما الذى قال فيه عنهما ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا .....) فالتوبة من الاثنين فـــذكرها بلفـــظ التثنية).. وحتى لانطيل فى ذكر الأمثلة فليراجع القارىء سلـــسلة كتبنـــا فى الإعجـــاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم) .

ونعود للحديث مع(قدورى) واستناده على رأى الإمام الفراء حول سؤاله عن الآيتين:
﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ فى القمر.بغير ياء، ووضع الياء فى آية يونس **(قُلِ انْظُـرُوا مَـاذَا فِـي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** (١٠١) يونس. **بالياء**

***وأقول : إنه لو تأمل قليلاً فى السياق السريع والملتهب للآيات فى سورة القمـــر – الذى استدعى الحذف لهذه الياء– بل والآيات بعدها.. يدع الداع.. أوتأمـــل فى شـــدة واختصارنطق الكلمة فى (نكر)،التى تعطى جرس الشدة والقوة فى النطق (وتوالى الضم فى النون والكاف الذى يحدث ثقلاً رهيباً يصور ثقل الموقف المنكر عليهم، واستخدم لفـــظ (نُكُر)الذى يوحى بالسرعة والقوة، **بدلاً من(نكير) الذى يوحى بالمط والتطويل والهـــدوء**

الذى لايتناسب مع جو سورة القمر المهول والمهيب والقوى والعاصف.. وهذه الشدة أيضاً فى صورة الفعل ، ومعها السرعة والحسم أيضاً[1]...

ونعود ونذكّر الكاتب بأنه لو رجع أيضاً لسياق سورة يونس جميعها،فإنه سيجد جوا مختلفاً تماماً،هو جو التفكير والهدوء والإمهال،حتى فى سياق الآية المعروضة معنا هنا للمقارنة والتى لم يحذف منها (الياء) وتركها النص على طولها؛ لتناسب جو السورة المعروضة فيها لوجد الآتى:

(١) سياق القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)﴾ القمر.

(٢) سياق يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)﴾ والإمهال واضح فى قصة يونس مع قومه،وهى القرية الوحيدة التى أمهلها الله و لم يعاجلها بالعقوبة)بل إنه يقول: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾..... ويكمل بعدها ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(فى الوقت الذى يحدده الله. ولو شاء ربك، لأراهم علامة ولاضطروا إلى الإيمان ، كما فعل بقوم يونس ، ولكن لم يفعل ذلك لأن الدنيا دار ابتلاء ومحنة .. ولادخل هنا لجو السرعة والعذاب والإنذار المهيب،كما فى سورة القمر) .. حتى قوله تعالى بعدها: وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) يقول المفسرون: { وَيَجْعَلُ الرجس } يعني : الكفر { عَلَى الذين لاَ يَعْقِلُونَ } يعني : يترك حلاوة الكفر في قلوب الذين لا يرغبون في الإيمان،... ويقال:ويجعل الرجس، يعني:الإثم، ويقال:الرجس يعني:العذاب،.....((فليس الرجس هنا معناه العذاب فقط بل معناه الإثم أو الكفر)....ويقول أبو السعود فى تفسيره وغيره... { قُلْ } مخاطباً لأهل مكةَ بعثاً لهم على التدبر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من تعاجيب الآيات الأنفسية والآفاقية(ما بداخل النفس والآفاق) ليتضحَ لك أنهم من الذين لا يعقلون وَحقّت عليهم الكلمة { انظروا } أي تفكروا .. { مَاذَا فِى السموات والارض } أيَ أيُّ شيءٍ بديعٍ فيهما من عجائب صُنعه الدالةِ على وحدته وكمالِ قدرته

---

(١)(وراجع التفصيل فى كتبنا : الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم لتعرف كيف يرسم القرآن بحروف الكلمة المشهد المعروض وتحكيه بحروفها وجرسها).

..... ثم يدعوهم بعد ذلك دعوة تأمل ونظر وتـروى فى الـسموات علـى اتـساعها والأرض -أيضاً- بالسير والنظر والتأمل فيهما، حيث يقول: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾ .. ولاحظ: تكرار لايؤمنون.. وقبلها: عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ.. وكل هذه الألفاظ لاتناسب جو السرعة والإنذار.. بل إنـه يقول هنا ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ.﴾ . بإضافة كلمة (الآيات) التى تستغرق الوقت الطويل فى إحصائها ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ .. فهى ليست نذر فقـط -كمـا فى آيـة القمر (فما تغن النذر) -ولكنها هنا الآيات والنذر، (وهنا طول -أيضاً- فى سياق هذه الآيـة (نفسها) يناسبه الطول فى حروف كلمة (وما تغنى) بالياء أى أنه إطناب مع إطناب وإيجاز مع إيجاز فى روعة وتناسق وإبهار. بخلاف الآية فى سورة القمر: وما تغنِ النذر .. حيث حـذف منها كلمة (الآيات) وقابلها بحذف الياء فى كلمة (وما تغنِ)......... وراجع بحث ﴿وَيْـلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَـسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَوْ وَزَنُـوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾ . والأمثلة الكثيرة على هذا التناسق والإبداع فى تصوير المشهد تـصويراً صادقاً بحروف الكلمة وجرسها.. فأى عجب هنا فى فكر الكاتب الذى لم يعط نفسه فرصة لقراءة النصوص وظل يردد: أن هذه الإضافة للحرف كانت موجودة (تاريخيـاً) فى اللغـة النبطية ، والقرآن سجل ذلك، وبقى أثر هذه الكتابة موجوداً قبل تطور الخـط وتحـسنه وتقدمه ؟

❁❁❁❁❁❁

ويسأل عن سبب كتابة (ثمود) مرة بالألف والأخرى بدون الألف..ونرد عليه بأنه لـو حاول استشهاد النصوص على الواقع لتبين له حقيقة ما سأل عنه فى كل كتابـه وهـذا نموذج كنا قد تركناه وتذكرناه الآن ونحن نعيد قراءة كتابه:

ثمود – ثمودا

ويسأل – على سبيل المثال – عن سر زيادةالألف فى (ثمودا). ويجعل ذلك مـن بقايـا الكتابة النبطية (بالألف) التى حافظ عليها وسجلها القرآن ،دون إبداء وجه حكمة أخرى فى ذلك. وعند النظر فى سياق آيات (ثمودا) بالألف وبدون الألف يتبين الآتى:

(١) فى هود﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ (ثَمُودَا) كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨)﴾ ... نجد أن (ثمودا) منصوبة بإن .. إضافة إلى صورة الهلاك والتشنيع باللعنة والإبعاد.

(٢)وفى الفرقان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَـةً وَأَعْتَـدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا (وَثَمُودَا) وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨)﴾ (يقصد : وأهلكنا عاداً وثموداً .. فثمودا مفعول به منصوب أيضاً).

(٣) وفى العنكبوت: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)﴾ . (يقصد : وأخذنا عاداً وثموداً .. مفعول به منصوب).

(٤) وفى النجم:﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى (٥١)﴾ ((منصوب أيضاً ، ولاحظ أيضاً صورة الإهلاك والإبادة).

ثم يقول هو نفسه: بالرجوع لقراءات الإئمة نجد أن كلاً من : نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر والكسائى قد قرأ الأربعة بالتنوين.(يقصد التنوين بالفتح والذى عوض عنه فى الرسم بالألف فى نهاية الكلمة). ويقول: وقرأ حمزة وعاصم فى رواية حفص بترك التنوين فيها.. وهذه الألف أصبحت عوضاً عن التنوين — .

وأنا أقول له : هذا الكلام الذى قلته كاف للرد على تعجبك ، ودليل إعجاز على محافظة الرسم لهذه القراءات ؛ حيث أن هذه الكلمات لو كتبت بدون ألف فإنه فى هذه الحالة لايجوز فيها إلا قراءة واحدة وهى التى بدون التنوين ، أما فى حالة وجود الألف — بدون تنوين – فسمحت بالقراءتين معاً.

وفوق كل ذلك وتبعا لباقى تعجباته من بعض الكلمات المشابهة أدعوه ليراجع ما قاله علماء البلاغة فى التنوين المخفف عند شرحنا قوله (لنسفعا) و(ليكوناً من الصاغرين) وسيعلم أنها لم تكتب تنويناً لتسمح بتواجد القراءة الأخرى والإشارة إليها ، ولحكم أخرى أترك علماء البلاغة وفرسان البيان يوضحوا له ذلك على الصفحات الماضية، وسيرى أن هذا اللون من الإعجاز فى رسم الكلمة هو الذى حافظ على هذه القراءات .

ولكن د: قدورى يصر على الإلتزام بهذا المنهج التفسيرى الخاص ، ثم يعيدنا للحديث عن المنهج التاريخى حيث يقول معلقاً : فى ص٢٠٤: (فلعل بعض ظواهر الرسم ترجع إلى فترة تاريخية سبقت نسخ المصاحف واحتفظت بها الكتابة على نحو ما بينا..) .

ويصر على أن يأخذنا معه فى وهم وسراب دون دليل موثوق به سوى الظن والتخمين ، ودون الوقوف على النصوص ومقارنتها أوسماع رأى علماء البيان وعلماء القراءات فيها- كما رأينا -. وهاهى النصوص وأقوال العلماء:

ونعود لنكمل باقى الآيات التى ذكرت فيها(ثمود) بدون ألف:

ثمود

(٥) ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ الأعراف.

نجد كلمة (ثمود) مجرورة فلا يصح وضع الألف فيها.. وسياق الآيات سياق دعوة هادئة وليس فيها وصف العذاب والهلاك والإبادة الذى ذكر فى الآيات الأربعة السابقة التى ركز فيها على (وصف) ذلك الهلاك ، أو نعتهم وتشييعهم بأقبح الأوصاف – والتى عبر فيها عن ذلك بزيادة الألف – التى توحى بالتركيز والوقوف على الكلمة – كما وقف عليها النص بالوصف والتشييع -. ومثلها الآية التالية:

(٦) ﴿وَإِلَى (ثَمُودَ) أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١)﴾. هود.

نجد كلمة (ثمود) مجرورة ، وهذا بخلاف الآية التالية:

(٧) ﴿***فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ (ثَمُودَا) كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨)﴾ هود..

وهنا نضيف فوق ما سبق أن هذه الآيات فيها تصوير بالصورة ، مصاحب لهلاكهم ، وفيها التوكيد على شدة هلاكهم – كما فى الآيات (الأربعة) السابقة - وقصتهم هنا كاملة.

ويقول **الألوسى**: ومنعه من الصرف حفص وحمزة نظراً إلى القبيلة (يقصد ثمود بدون تنوين) وصرفه (أى نونه- وذلك بتنوين الألف) أكثر السبعة نظراً إلى الحي كما قدمنا آنفاً ،{ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ } صرح بكفرهم مع كونه معلوماً مما سبق من أحوالهم تقبيحاً لحالهم وتعليلاً لاستحقاقهم الدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله سبحانه : { أَلاَ بُعْداً لّثَمُودَ } ..تكرار وتوكيد للعنهم.

(٨) *﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)﴾هود.. (هنا مرفوعة فلا يسأل عن عدم زيادة الألف.

وما زال الحديث يشيِّع ثمود باللعنة ويعيد الصورة للمشاهد.. وهنا نعود للآيات الأربعة مرة ثانية:

(١) فى هود﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ (ثَمُودَا) كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨)﴾ ... نجد أن (ثمودا) منصوبة بإن .. إضافة إلى صورة الهلاك والتشييع باللعنة والإبعاد.

(٢) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ

وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)﴾ { تَبَّرْنَا تَتبيراً} .... والمراد به التمزيق والإهلاك أي أهلكنا كل واحد منهم إهلاكاً عجيباً هائلاً...

ولاحظ التوكيدات أيضاً على الأمم السابقة بالمفعول المطلق.

يقول الطاهر: وتنوين { عاداً وثموداً } مع أن المراد الأمتان . فأما تنوين { عاداً } فهو وجه وجيه لأنه اسم عري عن علامة التأنيث وغيرُ زائد على ثلاثة أحرف فحقه الصرف وأما صَرْف { ثموداً } في قراءة الجمهور فعلى اعتبار اسم الأب ، والأظهر عندي أن تنوينه للمزاوجة مع { عَاداً } كما قال تعالى : { سَلاَسِلاً وَأَغْلاَلاً وسعيراً } [الإنسان : ٤] .

وقرأه حمزة وحفص ويعقوب بغير تنوين على ما يقتضيه ظاهر اسم الأمة من التأنيث المعنوي . وتقدم ذكر عاد في سورة الأعراف .

(٣) ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)﴾ العنكبوت.

(٤) ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى (٥١)﴾ .النجم

***ملحوظات على الأربعة آيات السابقة التى وضع بها الألف (ثمودا):

(١) (أن ثمودا) مكتوب على ألف (ثمودا) علامة الوصل وليس التنوين. لتصلح للقراءتين.

(٢) تصوير لشدة العذاب وتشييعهم أيضاً بالوصف الذى يستحقون به العذاب، ودعوة للنظر والتأكيد على ماحدث وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ .

(٣) وصف العذاب بصيغة التأكيد(دمرناهم تدميرا)﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ بخلاف السياقات التالية.

وهنا نسأل : فما المانع من إضافة الألف هنا – بهذه الصورة المعجزة– وحذفها هناك ؟؟ – كما فى الأمثلة التالية التى تخلوا من هذه المعانى.

(٤) ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)﴾ الإسراء (قراءة واحدة ، وهنا السياق – كما نراه – سياقاً هادئاً).

(٥) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) .. وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)﴾ الشعراء.

أنهى قصتهم بدون هذا التصوير البطيء لعذابهم – كما فى الآيات السـابقة – وبـدون استخدام أساليب التوكيد السابقة على عذابهم واكتفى فقط بقوله، فَأَخَذَهُمُ الْعَـذَابُ.. وبدون تشييعهم باللعنة، وإليك باقى الآيات التى تأخذ الكلمة (ثمود) صيغة إعرابية أخرى غير النصب ، وفيها لانسأل عن سبب عدم زيادة الألف:

(٢) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَـانِ يَخْتَـصِمُونَ (٤٥)﴾ النمل ..مجروربالفتحة نيابة عن الكسرة.

(٣) ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣)﴾ الذاريات.

(٤) ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)﴾ فصلت.. مرفوع.

(٥) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣)﴾ مرفوع.

(٦) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)﴾ مرفوع.

(٧) ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥)﴾ مرفوع.

(٨) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١)﴾ مرفوع.

❁❁❁❁❁❁

ثم ينقل أن هذه الكلمات بدون ألف:

قال (رجلـن)... و(امرأتـن)..و (آخرن)..بدون ألف، ولكننا بعد الرجوع للمصحف لدينا نجد أن هذه الكلمات مكتوبة كلها بالألف { قَالَ رَجُلَانِ } .. وربما يكون دلك بمثابة قراءتين للمثنى كما رأينا ذلك فى تعليقنا على رسم كلمة (هذن) فى قولـه تعـالى:

﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ لمن يقرأ هذا المثنى دائماً بالرفع حتى ولو كان اسم (إن) فى بعض القبائل، والقبائل الأخرى تحركه بالرفع إذا كان مرفوعاً،وبالنـصب إذا كـان منصوباً..... ونقول له أن هذه الكلمات (بلفظ المثنى) كتبت بألف ظاهرة، كحال المثنى، إلا ما استثنى–كما سنبينه فى بحثنا– بخلاف رسم كلمة:((قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ) بدون ألف ..وأرجو من القارىء الكريم أن يراجع كتب التفاسير ويراجع تعليقنا على هذا المثال (قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ) ليعلم لماذا كتبت هذه الكلمة بدون ألف .. ثم يراجع رحلتنا مع الإمام الدانى وصحة ورود هذه الكلمات على هذه الصورة فى المصاحف الأخرى.

ثم يوقفنا وقفة على كلمة

(ننجى ، نُجِى)

(١)﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ الأنبياء.. قال أبو السعود: { نُنجِي المؤمنين } ..وفي الإمام نجى ، فلذلك أخفى الجماعةُ النون الثانية فإنها

تخفى مع حروف الفم ، وقرىء بتشديد الجيم على أن أصله نُنجّي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تَظاهرون .. وقيل: هو ماضٍ مجهولٌ أسند إلى ضمير المصدر وسُكّن آخره تخفيفاً ورُدّ بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعولُ مذكور ، والماضي لا يسكن آخرُه .

(إذن هناك ترجيح إلى أنها لم تكن هنا فعل ماض (نُجى).

ويقول الطاهر: .. وقرأ جمهور القراء بإثبات النونين في النطق فيكون حذف إحدى النونين في الخط مجرد تنبيه على اعتبارٍ من اعتبارات الأداء.

ونلاحظ أنها مكتوبة بالنون الثانية فوق الجيم.

(٢) يوسف: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ .. كتبت بنون واحدة ولاتوجد نون أخرى فوق الجيم ..لأنه واضح أن الفعل هنا (فعل ماضٍ) انتهى .. بخلاف (ننجى) فهو مضارع ومستمر ومتكرر،كما توحى به صيغة الفعل المضارع،الذى يؤكده ذلك هو قوله تعالى قبلها (وكذلك) ننجى.. ويقول الطاهر: وقرأ الجمهور { فنُنْجِي } بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء مضارع أنجى،{ من نشاء } مفعول{ننجي} ،وقرأه ابن عامر وعاصم{فنجّي}بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم مكسورة وفتح التحتية على أنه ماضي{نجّى المضاعف بني للنائب،وعليه فمن نشاء} هو نائب الفاعل، **والجمع بين الماضي في(نجّي) والمضارع في{نشاء} احتباك ، تقديره فنُجي من شئنا ممن نجا في القرون السالفة وننجي من نشاء في المستقبل من المكذبين .**

ويقول الرازى:واعلم أن هذا حكاية حال،ألا ترى أن القصة فيما مضى،وإنما حكى فعل الحال كما أن قوله:{هذا مِن شيعَتِهِ وهذا مِنْ عَدُوّه}[القصص١٥] إشارة إلى الحاضر والقصة ماضية .

((وإن كنت أرى أن سياق آية يوسف سياق الماضى ويناسبه بالفعل قراءة (نجّى) فعل ماض خاص بيوسف ومن مضى .. بخلاف سياق الآيات فى قصة يونس فالله عز وجل نجى يونس بذكره لله وقال بعدها (وكذلك) ننجى المؤمنين ؛ أى فى المستقبل وفى كل زمان فيناسبها قراءة (ننجى) بنونين التى تتحدث عن المستقبل، والعجيب أنها كتبت بنون فوقها نون أخرى لتشير إلى هذه المعانى .

وتقول لهذا أو ذاك من المعاندين غير المتدبرين :إن هناك قراءتين، والراجح هو قراءة النونين هنا.. فهل هناك أروع وأعجب من ذلك . فهذا–والله– قمة الإعجاز).

❁❁❁❁❁❁

ويسأل:

لماذا كتبت كلمات بلامين ، وأخرى بلام واحدة ، مثل (اللعنون- التى مفردها اللاعن- اللـعن-)، اللغو، اللهو، اللؤلؤ، اللت (اللات)، اللمم، اللهب، اللطيف، اللوامة،الله، اللهم .(وأقول — والله أعلم - أنه لو حذفت اللام لاشتبه الرسم بمعان أخرى ولوقع اللبس؛ وعلى سبيل المثال فى هذه الكلمات على الترتيب سيصبح المعنى :ألعن ، ألغو ، ألهو، ألهب، ألطف، ألهم ، أُلومُه ، أله ، ألهم (وكلها تعطى صيغة الأفعال وهذا غير مراد).

(ونلاحظ أيضاً الحركة والترديد والظهور الشديد لكلمة (اللؤلؤ)، اللهب ..والتفخيم للفظ الجلالة وصفة اللطيف فى الأمثلة السابقة.. بخلاف سكون الليل وهموده وتآكله وتناقصه الذى يستدعى مخالفة الرسم بحذف الألف من -اليل — بلام واحدة-بخلاف (النهار) بالألف-لما فيه من الظهور والإظهار.

❁❁❁❁❁

أما الأسماء الموصولة (الذى، التى، الذين، التى، الئى.)فحذفت للتخفيف، ولكثرة الاستعمال،والأمن من اللبس مع كلمات أخرى.

❁❁❁❁❁

ويسأل عن سبب اختلاف (المصيطرون ،.. بمصيطر..وَيَبۡصُۜطُ .وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ. يبصط.) ويحاول توجيهها نحويا، حيث يقول: (وقد أجاز النحويون فى كل سين وقعت بعدها غين أو خاء معجمتان أو قاف أو طاء أن تبدل صاداً)،و لم يحاول هو أن يعيد النظر ليرى أن الكلمات واحدة، وتنطبق عليها نفس القاعدة، ولكنها قدكتبت إحداهما بالسين والأخرى بالصاد، فالأمر ليس هذه القاعدة، بل له أسباب ولطائف وإشارات قد أشار إليها الأئمة الأعلام مثل: الإمام المراكشى والزركشى،وإليك طرفاً مما قالوه على عجالة سريعة:

(بسطة وبصطة)

وهنا أنقل له مؤقتاً رأى الإمام الزركشى فى البرهان: تحت عنوان: فصل حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى :

مثل وزاده بسطة في العلم والجسم،(وَزَادَكُم فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ)،(يبسط الرزق لمن يشاء)،(والله يقبض ويبصط) يقول الإمام:

فبالسين (السعة الجزئية) كذلك (علة التقييد).

وبالصاد (السعة الكلية)،بدليل علو معنى الإطلاق،وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق .

((((**وهنا أقف معك عزيزى القارىء لتوضيح مقصود الأئمة الأعلام، ولتوضيح ما يقوله الإمام الزركشى نقول**:إن الذي يعيش النظم القرآني ويتأمله عن قرب وعمق يرى العجب العجاب والإبهار والإعجاز: فحينما أراد الله أن يصور فضله على عباده قال (يقبض **ويبصط**) فى أية البقرةمّن﴿ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾. وقال في آية أخرى عن "طالوت" أن الله آتاه (**بسطة**) في العلم والجسم . ولكن في الرسم القرآني المعجز،عندما يعبر بصورة حروفه وجرسها الصوتي عن المشهد الذي تمثله الكلمة،حدث الآتي:

(١) حينما تحدث الله عن الذين خرجوا من ديارهم **وهم ألوف** حذر الموت﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ** ﴾ فهو يتحدث هنا عن قدرة الله على (قبض) أرواح **الألوف** (وبسطها)ثم قال في الآية بعدها﴿**من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ** (**وَيَبْصُطُ**) **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (٢٤٥) سورة البقرة فهو في الآية الثانية يتحدث عن قبض الرزق-تضييقه-وبسطه،وكان من الروعة والإبهار في البيان القرآني أن قال:(والله يقبض ويبسط)فقط،ولم يقل:فالله يقبض **الرزق** ويبسطه؛لأنه راعى سياق **الآيتين معاً** فهو يقبض الروح فى الآية الأولى، والرزق فى الثانية،ويبسط الروح فى الآية الأولى ، والرزق فى الثانية،وهذا من إعجاز اللفظ في القرآن (إذن هو قبض "عام" للأرواح والأرزاق "معاً" وللألوف الكثيرة ،**وهذا هو معنى**: السعة الكلية.

و العجيب أن الآية قدكتبت في الرسم القرآني (يبصط) (بالصاد)،و رسم فوقها حرف (السين)،مما يدل على أن الأولى في القراءة لكلمة يبسط هنا هى أن تُقرأ بحرف الصاد وكلنا يعلم الفارق بين السين برقتها وهمسها،وبين الصاد بتفخيمها،وهو ما يناسب هذا الموقف التفخيمي(بسط الأرواح والأرزاق) معاً ولهذه البشرية جميعها،وهذا ما يعنيه الإمام فى قوله: **فبالسين السعة الجزئية كذلك علة التقييد،وبالصاد السعة الكلية،بدليل علو معنى الإطلاق وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق .**

ومثلها الآية﴿ **وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ** (**بَصْطَةً**) (٦٩) سورة الأعراف،فهو يتكلم عن قوم عاد المتجبرين والمتكبرين جميعهم بما أعطاهم الله لهم من بسطة واسعة وفخمة في قوهم وفى النعم العديدة عليهم فكتبت (بصطة) بالصاد (حرف التفخيم) الذي يناسب الموقف المفخم بخلاف الآية الآتية:

(٢): ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ (بَسْطَةً) فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (٢٤٧) سورة البقرة فهنا الحديث عن فرد واحد وهو طالوت الذي أعطاه أمراً بسيطاً ،بسطة في العلم والجسم،والفرد واحد بالمقارنة مع الموقف السابق،ولذلك كتبت هنا:زاده **بسطه** (بالسين)وليس بالصاد **وهذا معنى قوله:فبالسين (السعة الجزئية) كذلك** (**علة التقييد**).

وهكذا نرى من خلال الرسم المعجز للكلمة أنه إذا تحدث عن جمهور كبير (فخامة العدد) مع (تفخيم الموقف)ناسبها أن تكتب بحرف **الصاد**،والعكس مع طالوت كتبت (بالسين) لقلة العدد وبساطة الموقف وهذا من روائع البيان في تصوير الحرف للمشهد المعروض.

فلقد رأينا مقدار الإطلاق فى القبض والبسط وكيف رسمه حرف السين (الأضعف) أو الصاد (الأقوى)،وعلى الجانب الآخرفقد رأينا فى عشر مواضع وجد فيه (البسط) **مقيداً بالرزق فقط**،فكتبت بالسين هكذا:

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (٢٦)﴾ الرعد.

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (٣٠)﴾ الاسراء.

يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ (٨٢)﴾ الكهف.

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ (٦٢)﴾ العنكبوت.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (٣٧)﴾ الروم.

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (٣٦)﴾ سبأ.

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ (٣٩)﴾ سبأ.

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (٥٢)﴾ الزمر.

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (١٢)﴾ الشورى.

ويعلق د:فاضل السامرائي بأن:البسط فى غير آية البقرة مقيد كما ترى،فجاء للمقيد بالسين،وللمطلق الذى هو أقوى وأعم بالصاد (آية البقرة هى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾.

ونعود لنذكّر ونكمل ما قاله الإمام الزركشي (فى استخدام السين أو الصاد) فى الكلمة الواحدة فيقول:عنوان: فصل حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى

مثل وزاده بسطة في العلم والجسم وزادكم في الخلق بصطة يبسط الزق لمن يـــشاء والله يقبض ويبصط **فبالسين السعة الجزئية كذلك علة التقييد وبالصاد السعة الكلية بـــدليل علو معنى الإطلاق وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق.**

وكذلك فأتوا بسورة في أي صورة،فضرب بينهم بسور ونفخ في الصور؛ فبالسين مـــا يحصر الشئ خارجا عنه،وبالصاد ما تضمنه منه.

وكذلك يعلم ما يسرون،وكانوا يصرون؛فبالسين من السر وبالصاد من التمادي .

وكذلك يسحبون في النار ، ومنا يصحبون؛فبالسين من الجر وبالصاد من الصحبة

وكذلك نحن قسمنا بينهم،وكم قصمنا ...بالسين تفريق الأرزاق والإنعـــام ، وبالـــصاد تفريق الإهلاك والإعدام ((**ولاحظ أن علو نبرة التهديد والانتقام يناسبها حرف الصاد بدليل علو معنى الإطلاق،وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق ... والعكس بالعكس مع حرف السين عند تفريق الأرزاق والإنعام ، وهذا الملحظ الهام جداً سنلاحظه كثيراً فى رحلتنا هذه مـــع الإعجاز فى رسم المصحف وخاصة مع زيادة الألف(فى الإهلاك والوعيد وعلو نبرة الحديث فى سياق الآيات والأحداث) ونقص الألف(فى البشارة والوعد وانخفاض نبرة الحـــديث فى سياق الآيات والأحداث) وأرجو من القارئ ألاينسى هذا الملحظ فهو ليس فلتة عابرة بـــل هو آية متكررة).**

وكذلك وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة؛ بالضاد منعمة بما (تشتهيه الأنفس) ، وبالظاء منعمة بما (تلذ الأعين) .((**وأرجو من القارىء الذى لم يفهم حتى قواعد التجويد،ولم يدرس صوتيات الحروف،أن يتأمل ويتسمع لصوت الضاد والظاء وينطق بهما،وكيف أن ظهـــور حرف الظاء يناسب الظهور المادى الذى تراه الأعين بخلاف حرف الضاد ومناســـبته لمـــا تشتهيه الأنفس .وهذا الباب كثير يكفى فيه اليسير).**

انتهى كلام الإمام الزركشى. مع التعليق المبسط عليه وللقارئ أن يجيب بنفـــسه علـــى تساؤل صاحب الكتاب د.قدورى الذى يشير بعض العلماء الأفاضل إلى قـــراءة كتابـــه لإراحة أنفسهم من عناء البحث والتدبر على أرض الواقع،أواستحضار النصوص والتنقيب فيها، أوسماع آراء العلماء الأخرين الذين أعطوا وقتاً كبيرا وجهداً زائداً لهذا النوع مـــن الإعجاز (رسم المصحف) وإن كنا نعذر بعض العلماء لسعة علمهـــم فى تخصـــصهم أو توسعهم فى كافة علوم القرآن دون التخصص والتركيز على هذا النوع من الإعجاز،وربما يوجد من اللطائف الكثيرة التى تخفى على أمثالنا وأمثال العلماء القدامى أيضاً ، ويـــأتى الدهر بما يفتح الله علي غيرنا ويرون ما لانراه وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ؛ وقد أخبرنا النبى (ﷺ)بأن أجل هذه النعم وهذا الفضل هو (فهم يؤتاه المرء فى كتاب الله).

ويقول الإمام الزركشى بعد توضيحه الإعجاز والابهار فى قول الله (ذا النون) ولماذا قال عنه فى آية أخرى(صاحب الحوت) ..، يقول بعدها: فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب مفترض.

وهنا أسوق له أمثلة مشابهة لما قاله علماء البلاغة وفرسان البيان فى عصرنا هذا ومنهم الأستاذ الدكتور **فاضل السامرائى** ليعلم أن القرآن الكريم يراعى فى رسم الكلمة ما يتلاءم مع صوهما والمشهد الذى تعبر عنه:

وتحت عنوان : **التشابه والاختلاف**

يقول: فى القرآن الكريم آيات وتعبيرات تتشابه مع تعبيرات أخرى ولاتختلف عنها إلا فى مواطن ضئيلة ، كأن يكون الاختلاف فى حرف أو كلمة أو نحو ذلك،وإذا تأملت هذا التشابه والاختلاف وجدته أمراً مقصوداً فى كل جزئية من جزئياته قائماً على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز،وكلما تأملت فى ذلك ازددت عجباً وانكشف لك سر مستور،أو كتر مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم.

فمن ذلك استعمال لفظ (مكة)،(بكة) لأم القرى.جاء فى قوله تعالى:فى آل عمران **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾** فاستعمل اللفظ(بكة) بالباء فى حين قال:فى الفتح ٢٤ **﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤)﴾** فاستعمل لفظ (مكة) بالميم وهو الاسم المشهور لأم القرى؛ وسبب إيرادها بالباء فى آل عمران أن الآية فى سياق الحج:(ولله على الناس حج البيت)فجاء بالاسم (بكة)من لفظ (البك) الدال على الزحام لأنه فى الحج يبك الناس بعضهم بعضاً أى:يزحم بعضهم بعضاً،وسميت(بكة)لأهم يزدحمون فيها،وليس السياق كذلك فى آية الفتح فجاء بالاسم المشهور لها أعنى:(مكة) بالميم فوضع كل لفظ فى السياق الذى يقتضيه والله أعلم.

ولعلى أضيف توضيحاً آخر لذلك:هو أن النبى (ﷺ) فى يوم فتح مكة كان قد دخلها وقد خلت الطرقات من أهل البلدة التى تركوها ودخلو بيوهم وعلو أسطح منازله،وأصبحت الطرقات بلا زحام أو حرب أو مقاومة، وهذا هو معنى قوله تعالى (من بعد أن أظفركم عليهم)، ولم يقل من بعد أن نصركم عليهم؛ فالظفر دون حرب أو مقاومة بخلاف النصر الذى يستدعى الحرب والمقاومة .

والأمر الأخر هو:أن النبى(ﷺ) دخل وهو المنتصر، خافضاً رأسه تواضعاً لله، وكانت تذرف العبرات من عينيه(ﷺ) ومن أعين الصحابة فرحاً بالنصر لدين الله وشكراً لله عليه .. وسكب العبرات هذا هو ما تشير إليه كلمة "مكة" — عند علماء اللغة - التى هى من (الملك) وهو سكب العبرات، وهو أصل التسمية لهذا البلد الحرام"مكة"حيث إنهم كانوا يأتونها لسكب العبرات وإسقاط الذنوب كما كانوا يدعون ويفعلون!.

وهنا أضيف رأياً آخر للإمام الطاهر بن عاشور حيث يقول:

والظاهر عندي أنّ بكة اسم بمعنى البلدة وضعه إبراهيم علماً على المكان الّذي عيّنه لسكنى ولده بنيّة أن يكون بلداً، فيكون أصله من اللغة الكلدانية ، لغة إبراهيم ، ألا ترى أنّهم سمّوا مدينة (بعلبك) أي بلد بَعل وهو معبود الكلدانيين ، ومن إعجاز القرآن اختيار هذا اللّفظ عند ذكر كونه أوّل بيت ، فلاحظ أيضاً الاسم الأوّل ، ويؤيّد ذلك قوله : { ربّ هذه البلدة } [النمل : ٩١] وقوله : { ربّ اجعل هذا البلد آمناً } [إبراهيم : ٣٥] . وقد قيل : إنّ بكّة مشتقّ من البَكّ وهو الازدحام ، ولا أحسب قصد ذلك لواضع الاسم .

وعدل عن تعريف البيت باسمه العلَم بالغلبة ، وهو الكعبة ، إلى تعريفه بالموصولية بأنّه (الّذي ببكة) : لأنّ هذه الصّلة صارت أشهر في تعيّنه عند السامعين ، إذ ليس في مكّة يومئذ بيت للعبادة غيره ، بخلاف اسم الكعبة : فقد أطلق اسم الكعبة على القليس الّذي بناه الحبشة في صنعاء لدين النصرانية ولقّبوه الكعبة اليمانية ... والمعنى أنّه أوّل بيت عبادة حقّة وضع لإعلان التّوحيد ، بقرينة المقام ، وبقرينة قوله : { وُضع للنّاس } المقتضى أنّه من وضعِ واضعٍ لمصلحة النّاس ، لأنّه لو كان بيت سكنى لقيل وضعه النّاس ، وبقرينة مجيء الحالين بعدُ؛ وهما قوله : { مباركاً وهدى للعالمين }.

❁❁❁❁❁

وحول الإجابة عن تساؤل حول:

رسم التنوين ألفا فى قوله: (**ليكونا من الصاغرين، لنسفعاً بالناصية**) و لم ترسم (ليكونن ..، ولنسفعن..)كما هو متوقع فى إضافة نون التوكيد للكلمة.

راجع ما قاله الدكتور: فاضل السامرائى وقد عرضناه على الصفحات الماضية.

وكلمة (الرسولا والسبيلا والظنونا) وقد قال عنها كاتبنا -غانم قدورى - كما قال غيره أيضاً من أهل العلم السابقين والمعاصرين لنا،أنها جاءت على هذه الصورة بزيادة الألف لتناسب الفاصلة - رءوس الآيات -!وأضافوا لذلك أيضاً كلمتى: (سلسلا.. وأغلالاً).. واختلفت المصاحف فى (قواريرا من فضة) الثانية.

وهنا قبل أن ننتقل مع الكاتب : غانم قدورى لباب آخر، أقف معه على تجاهله – ولا أظن فيه عدم علمه– بأساليب التوكيد البلاغية المختلفة،والتى تساءل هو عن بعضها مثل:لمـــاذا كتبت(لنسفعاً) بدون النون ولم تكتب (لنسفعن) ؟، ولماذا كتبت (ليكونا من الصاغرين) بدلاً من (ليكونن) بنون التوكيد ؟.. وهنا أترك د: فاضل السامرائى ليشرح له ولنا لمـــاذا حدث ذلك؟ ثم نتبعه بالدرس البلاغى المكمل،ليعلم السائل والقارئ أن هذا الرسم القرآنى لاينفصل عن الإعجاز البلاغى،وأنهما من نسيج واحد،حيث يقول:

ومن ذلك قوله تعالى على لسان امرأة عزيز مصر فى يوسف: فى سورة يوسف ٣٢ ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)﴾ .فقال:(ليسجنن)بنون التوكيد الثقيلة ثم قال:(وليكونا مـــن الصاغرين) بتخفيف النون**قالوا وذلك"أن إمرأة العزيز كانت اشد حرصاً على سجنه من أن يكون صاغراً**"فزاد نوناً حيث اقتضى المقام زيادة التوكيد وخفف حيث اقتضى تخفيفه

الذكر والحذف

يدخل فى هذا الموضوع ماحذف وأصله أن يذكر،كحذف حرف أو فعل أو اسم مما أصله أن يذكر،كما يدخل فيه فى ماذكر فى موطن ولم يذكر فى موطن آخر يبدو شبيهاً به لأن الموطن اقتضاه.

القسم الأول:

قد يحذف فى التعبير القرآنى لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق فقد يحـــذف حرفـــاً أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف كل ذلك لغرض بلاغى تلحظ فيه غايـــة الفن والجمال فمن ذلك قوله تعالى:فى (الكهف) ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ وهذه الآية قالها ربنا فى السد الذى صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب قال تعالى:على لسان ذو القرنين فى الكهف ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ **فقال:(فما اسطاعوا ان يظهروه) أى: يصعدوا عليه فحذف التاء والأصل:(استطاعوا) ثم قال: (وما استطاعوا له نقباً) بإبقاء التاء.**

وذلك أنه لما كان صعود السد،الذى هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسر من نقبه وأخف عملاً،خفف الفعل للعمل الخفيف، فحذف التـــاء فقـــال:(فمـــا اســـطاعوا أن يظهروه)،وطول الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل فقـــال:(ومـــا اســـتطاعوا لـــه نقباً)فحذف التاء فى الصعود وجاء بها فى النقب.

ومن ذلك قوله تعالى: فى آل عمران ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾

وقوله فى المائدة ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١)﴾ . فحذفت النون من(أنا) فى آية آل عمران وثبتت فى آية المائدة فقيل(إننا)،وسبب ذلك والله أعلم"أن آية المائدة لما ورد فيها من التفصيل فيما يجب الإيمان به وذلك قوله:(أن آمنوا بي وبرسولى) فجاء على أتم عبارة فى المطلوب وأوفاها ناسب ذلك (أننا) على أوفى الحالين وهو الورود على الأصل ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل فى سورة آل عمران حين قال تعالى: (قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله) فلم يقع هنا:(وبرسوله)إيجازاً للعلم به وشهادة السياق،ناسب هذا الإيجاز الإيجاز،كما ناسب الإتمام فى آية المائدة الإتمام فقيل هنا:(واشهد بأنا مسلمون) وجاء كل على مايجب ولو قدر ورود العكس لما ناسب".

يضاف إلى ذلك أنه قال فى المائدة:(واذا أوحيت إلى الحواريين)أى أن الله هو الذى أوحى اليهم وثبتهم فناسب ذلك زيادة النون تأكيداً لأن النون قد تأتى فى مقام التأكيد،ولم يرد مثل ذلك فى آية آل عمران فناسب كل فى موضعه.

ثم يكمل أستاذنا فاضل السامرائى درسه البلاغى فيقول:

ومن طريف ذلك قوله تعالى: فى الواقعة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)﴾.. فقال فى آية الزرع: (لو نشاء لجعلناه حُطاماً فظلتم تفكهون)باللام فى(لجعلناه)وقال فى آية الماء:(لو نشاء جعلناه أُجاجاً فلولا تشكرون) فلم يذكر اللام؛وذلك لسر لطيف وهو أنه ذكر عمل الإنسان فى الحراثة والزرع وبذل الجهد فيهما فقال:فى الواقعة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)﴾ فإن الزراعة والحراثة تقتضى بذل جهد كبير ليستوى الزرع على سوقه،بخلاف آية الماء،فإنه لم يذكر بذل جهد فيه للإنسان،بل قال:فى الواقعة ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ .

فآية الزرع ذكر فيها بذل الجهد والعمل بخلاف آية الماء فإنه لم يذكر فيها شيئاً.ثم إن الإنسان إذا حرث وزرع وبذل جهداً ومراقبة حتى إذا استوى زرعه على سوقه وحان

وقت الاستفادة منه أصبح حطاماً،كان ذلك أشق شئ عليه،لأنه يرى عمله وكده وإنفاقه ذهب وضاع هباء وضاع سُدى،ألا ترى إلى قوله تعالى فيما بعد:فى الواقعة ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٦٧)﴾ ومعنى (تفكهون): تندمون على اجتهادكم فيه،وتذكرون الحرمان بعد التعب،والمغرم: المثقل بالديون.

ثم انظر إلى فداحة الخسارة الاقتصادية بصيرورة الزرع حطاماً وما ينتج عن ذلك من كوارث جسام تحيق بالبشرية.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الماء الأجاج يمكن تحويله إلى ماء عذب بالتقطير أو بغير ذلك من وسائل التحلية،فيكون صالحاً للاستعمال والشرب،كما نرى الآن فى كثير من الأماكن،أما الحطام من الزرع فلا يمكن تحويله إلى حب أو فاكهة يأكل منها الإنسان،فحالة الحرمان والخسارة فيه أكبر،فانظر الفرق بين الحالين،حيث وضع اللام فى الموضع الذى يقتضيها.

وجاء فى(روح المعانى) نقلاً عن(المثل السائر): "إن اللام أنها أدخلت فى المطعوم دون المشروب؛ لأن جعل الماء العذب ملحاً أسهل إمكاناً فى العرف والعادة،والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب،وكثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضى المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة،**فلم يحتج فى جعل الماء العذب ملحاً إلى زيادة تأكيد**؛ لذا لم تدخل لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق.

وأما المطعوم فإن جعله حطاماً من الأشياء الخارجة عن المعتاد، وإذا وقع يكون عن سخط شديد،لذا قرن باللام لتقرير إيجاده وتحقيق أمره . انتهى".

ونضيف نحن– مؤقتاً– ملاحظة مهمة تتعلق بهذا الموضوع ، وحول كتابة الكلمة.. حُطَمًا. بدون ألف .. وذلك لأن المشهد مشهد **تحطيم ونقصان** فناسبها غاية التناسب والتناسق نقصان الألف.. أما (أجاجا).. فكتبت بالألف لأن المشهد **مشهد إضافة وزيادة (للملوحة) فناسبها زيادة الألف .. ونتبه القارىء أننا سنرى هذا الملحظ كثيرا (مشهد التحطيم أو الهدم أو النقصان يصاحبه فى رسم الكلمة نقصان الألف ..) والعكس بالعكس فى مشهد البناء والعلو والارتفاع والزيادة يناسبه ويصاحبه رسم الكلمة بزيادة الألف..**

وهكذا إن كان المقصود أمراً معنوياً أو خفياً ترسم الكلمة بإخفاء الألف،وإن كان المقصود أمراً مادياً محسوساً وظاهراً ترسم الكلمة بظهور الألف .. وهكذا كما سنرى إن شاء الله فى رحلتنا هذه، وعلى سبيل المثال فى مبحث (ترابا–تربا)، (عظاما –عظما) ، (القواعد–القوعد)، (طائف من ربك– طئف من الشيطان) و(سبحن–سبحان) وغير

ذلك من الأمثلة المشابهة والتى سنقف عليها بنفس هذا المنهج فى صفحات الكتاب، وهو نفس المنهج القرآنى المشار إليه هنا،ويتكرر لهذه الحكم العظيمة وغيرها من الحكم التى سنوضحها فى حينها،ونقول معترفين بعد كل شرح:أن ما جهلناه أكثر.

❁❁❁❁❁❁

ونعود لنكمل حديث الأستاذ الدكتور فاضل السامرائى-أكرمه الله – حيث يقول:

ب- ونحو ذلك إدخال نون التوكيد على الفعل فى الموضع الذى يقتضيها وذلك نحو قوله تعالى:فى البقرة﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)**﴾

وجاء هذا التعبير فى الأنعام﴿ **أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)**﴾ .

وفى سورة يونس- الآية ﴿ **فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤)**﴾

غير أنه قال فى سورة آل عمران: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠)**﴾ ((وأرجوا من القارىء - قبل أن نعيش مع أستاذنا الدكتور- أن يتخيل جرس الكلمة (صوتها) فى حال النطق بها وهى بالنون الزائد (فلا تكونن) وهى أيضاً بغير هذه النون (فلا تكن) لأن هذا المنهج الصوتى فى رسم الكلمة سنعيشه كثيراً عند شرحنا لنقص الألف وزيادة الألف، أو غيره من الحروف كالواو أو الياء،وكيف يكون تأثير هذه الزيادة وهذا النقصان فى رسم الصورة المعبرة خير تعبير عن حقيقة المشهد المعروض)))

ويقول دكتورنا الحبيب:فأكد الفعل(تكون) فى سورة البقرة والأنعام ويونس دون آية آل عمران، وذلك أن المقام يقتضى التوكيد فى كل موطن أكد فيه الفعل دون الموطن الذى لم يؤكد فيه، فقد أكد فى سورة البقرة لأن المقام فيها فى تبديل القبلة وما صحب ذلك من إرجاف، وأقاويل، وإعلان حرب نفسية على المسلمين، حتى ارتد بعض ضعاف الإيمان؛ قال تعالى:فى البقرة ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا(١٤٢)**﴾ وقال فى البقرة ﴿. **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)**﴾ ثم ذكر أن أهل الكتاب لن يتوجهوا إلى قبلة المسلمين مهما جئتم بالآيات البينات والحجج الواضحة فقال مؤكداً بالقسم: فى

البقرة ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾ ثم قرر أن هذا هو الحق الذى لا مرية فيه،فاحتاج كل ذلك إلى التوكيد فقال:(الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) .

وأما فى آية آل عمران فليس الأمر كذلك فقد قال:فى آل عمران ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠)﴾ .

ففى آيات البقرة من الإرجاف والفتنة ماليس فى آية آل عمران فاحتاج المقام فى البقرة إلى التوكيد بخلاف آل عمران.

وكذلك السياق فى آية يونس فإنه يقتضى التوكيد فقد قال تعالى:فى يونس ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ(٩٤)وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥)﴾ .

فلما قال:(فإن كنت فى شكٍ) احتاج إزالة الشك إلى التوكيد،ثم انظر إلى المؤكدات فى السياق وهى:

١- التوكيد باللام و" قد" فى قوله تعالى: (لقد جاءك الحق من ربك) .

٢- التوكيد بالنون فى قوله:(فلا تكونن من الممترين)وقوله:ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) .

٣- التوكيد بـــ(إن) فى قوله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦)﴾ .
فاقتضى كل ذلك التوكيد إذ السياق كله مؤكد .

♠ ♠ وهنا أقف لأضيف إلى حديث دكتورنا العظيم ملاحظة إخرى فى رسم كلمة (فاسأل)، وملاحظة اتفاق كتبة المصاحف على كتابة كلمة (فاسأل) بدون ألف-- فى كل القرآن- هكذا (فسأل) .. إلا فى هذا الموقف من هذه الآيات فقط:(فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) وبذلك يكون لها—وحدها—رسمان:بالألف (فاسأل)وبدون الألف (فسأل)،واختصت بالرسم الزائد والاختلاف هنا لاختلاف هذا الموقف الذى يحتاج إلى إظهار التوكيد من الله بعدم الشك للحبيب (ﷺ) فى أخطر القضايا على الإطلاق،وربما يكون المعنى (فى نقص الألف) هو نفى أقل الشك من جهة النبى (ﷺ) فناسبه الحذف للألف (راجع بحث "فلا تكن، فلا

تك، و لم أكن، و لم أك ..).وهذا التوضيح لايناقض واقع النصوص ولاتأباه النصوص،تماماً كما نراه فى توجيه العلماء للقراءات المختلفة .

وسنرى-إن شاء الله-أن زيادة الألف ليس هنا فقط- تشير إلى هذا المعنى التوكيدى الذى أشرنا إليه آنفاً ومعان أخرى،وتقوم برسم اللوحة الفنية المبهرة للصورة المملوءة بكافة ألوان الإعجاز والإبهار.

ويكمل دكتورنا الحبيب قائلاً:وكذلك ماجاء فى آية الأنعام فإن السياق فيها فى تكذيب الرسول وعدم الإيمان به حتى قال:فى الأنعام **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)﴾** ثم قال بعد ذلك:فى الأنعام **﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)﴾** فانظر كيف احتاج السياق إلى توكيد أنه على الحق،وأنه عليه ألا يكون من الممترين،فأكد فى الموطن الذى اقتضى ذاك بخلاف ما لم يقتض ذاك.

♠ **(وأرجو أن يلاحظ القارئ ولا ينسى أن هذه المعانى سنرددها كثيراً فى حديثنا عن رسم الكلمة .. فى هذه السورة وغيرها.. مع استصحاب هذه المعانى وعدم نسيانها .. وقد أردنا بهذا السرد إثبات أن رسم الكلمة فى المصحف الكريم لاينفصل-فى منهجه-عن باقى نواحى الإعجاز الأخرى،بل هو على نفس المنوال ومن نفس المنبع؛من الإضافة للحرف لزيادة التوكيد، ونقصان الحرف لقلة التوكيد وخفته،وهكذا وغير ذلك من المعانى).**

ومن ذلك قوله تعالى: فى آل عمران﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾ .

وقوله:فى غافر﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)﴾

فقد أكد النهى فى آل عمران بالنون فقال:(لا يغرنك تقلب الذين كفروا) بخلاف آية غافر،وذلك أن المقام فى آل عمران يقتضى التوكيد،وأقول: لاحظ التوكيد حتى فى حال النطق بالكلمة وفيها حرف النون ثم تأمل ثقلها أيضاً،ثم ارجع واقرأها بدون النون،وسنجد أن نطق الكلمة يتجاوب مع رسم الكلمة ويتجاوب مع المشهد الذى رسمت له الكلمة) .

وذلك أن المقام فى آل عمران يقتضى التوكيد،إذ الآية فى سياق ابتلاء المسلمين فى أموالهم وأنفسهم،والأذى الكثير الذي ينالهم من عدوهم الكافر الذي يبطش بهم،ويفتنهم عن دينهم،وينال منهم حتى يبلغ به الأمر إلى أن يخرجهم من ديارهم.قال تعالى:فى آل عمران **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ**

أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(١٨٦)﴾ وقال:فى آل عمران ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)﴾ فاقتضى ذلك تأكيد عدم الاغترار بتقلب الذين كفروا فى البلاد وسيطرهم عليها،فى حين لم يكن السياق فى شئ من ذلك فى (غافر) فلم يحتج إلى التأكيد والله اعلم.

❁❁❁❁❁❁❁

د- **ومن هذا الباب التوكيد بالحروف الزائدة**،فإنه من المعلوم أن مايسمونه بالحروف الزائدة يفيد التوكيد فى الأغلب.قال تعالى: فى فصلت ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)﴾ وقال:فى الزخرف﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨)﴾

وقال: فى الزمر ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا (٧١)﴾ .

فزاد (ما) بعد (اذا) فى آية فصلت،وذلك لأن شهادة السمع والأبصار وسائر الجوارح "من المعانى القوية التى لا يقتضيها الشرط الذى هو المجئ.ألا ترى استنكارهم لها حتى قالوا لجلودهم:(لِمَ شهدتم علينا؟) فأجابوا بأن قالوا: (أنطقنا الله الذى انطق كل شئ) وليس كذلك:(حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك) أي:قال الآدمى لقرينه من الجن اللذين اشتركا فى الدنيا فى معصية الله ثم اشتركا فى العذاب فى الآخرة :ليتنى لم اتبعك وكان بعد مابين المشرقين بينى وبينك.وهذا ايضاً مما يتوقع كونه منهما،ثم يتبرى بعضهم من بعض،فليس فى الجزاء ما يوجب قوة الشرط الذى لا يتوقع ولا يستفاد إلا به ومنه"،ثم إن شهادة السمع والأبصار والجلود أمر مستغرب بخلاف فتح الأبواب ونحوه، فأكده لذلك .

(♠ **لاحظ وتأمل** فى معنى هذا الكلام وكيف أن رسم الكلمة بزيادة الحرف (ما) فى قوله:إذا ما جاءوها، صور المشهد الثقيل والغير معتاد (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم و.....) وكيف مثَّل هذا الرسم هذا المشهد خير تمثيل،بل ولفت الأنظار للوقوف على هذا المشهد (فغرابة وجود "ما" فى الكلمة لغرابة الموقف)—كما قال بذلك صاحب الظلال :الشهيد سيد قطب- رحمه الله — إنهم يحشرون ويجمع أولهم على آخرهم وآخرهم على أولهم كالقطيع! إلى أين؟ إلى النار! حتى إذا كانوا حيالها وقام الحساب ، إذا

شهود عليهم لم يكونوا لهم في حساب.إن ألسنتهم معقودة لا تنطق، وقد كانت تكـــذب وتفتري وتستهزئ وإن أسماعهم وأبصارهم وجلودهم تخرج عليهم،لتستجيب لربها طائعـــة مستسلمة،تروي عنهم ما حسبوه سراً . .. بل كيف وهي أبعاضهم؟! وها هي ذي تفتضح ما حسبوه مستوراً عن الخلق أجمعين . وعن الله رب العالمين!.

يا للمفاجأة بسلطان الله الخفي،يغلبهم على أبعاضهم فتلبي وتستجيب!. ..(فهذه الزيادة العجيبة لهذا الموقف العجيب بثقله وغرابته،وهذا التصوير سنراه عند شرحنا لقوله تعـــالى (تلك إذن قسمة "ضيزى") ووقفنا على هذه الكلمة وذكرنا ما قاله الأســتاذ صـــادق الرافعي وغيره : من أن هذه الكلمة الغريبة"ضيزى"جاءت للموقف الغريب وهو "أفرئيتم اللات والعزى....)ولذلك لم يستخدم كلمة"ظلامة"المرادفة لكلمة"ضيزى"ورأينـــا أنـــه لايمكن أن تحل أى كلمة مكان كلمة"ضيزى" لهذا المعنى التصويرى ولغيره من الأســـباب التي نراها فى حينها،ولكن الذى يهمنا الآن هو التركيز على أن القرآن يزيد حرفاً لهـــدف وحكمة ،وينقص حرفاً لهدف وحكمة أيضاً .. وكيف أن الكلمة(إذا ما جاءوها)بزيـــادة المبنى فى الكلمة لزيادة المعنى المراد من هذه الكلمة، وكيف أن الكلمة حينما خلت مـــن هذه الزيادة صورت الموقف الأخف والمتوقع وهـــو صـــورة فـــتح الأبـــواب فقـــط ...ونكرر:ثقل الكلمة لثقل الموقف ،وخفة الكلمة لخفة الموقف؛ وهذا المعـــنى الـــذى عشناه بلاغياً سنراه أيضاً فى إعجاز رسم الكلمة أيضاً).

وقال تعالى: فى البقرة ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا .. (٢٨٢)﴾ زيدت (ما) مؤكدة علـــى الشهداء حضور الشهادة عند الدعوة إليها بخلاف قوله تعالى: فى البقرة ٢٨٢ ﴿..إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ.﴾ وقوله: فى البقرة ٢٨٢ ايضاً ﴿(..وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ..﴾ وذلك أن الشهيد قد يتباطأ أو يتكاسل أو ينكص عن الشهادة لأنه ليست له مصلحة خاصة به أو قد تلحق به ضرراً فاحتاج الى التوكيد.

♠ ♠ وهنا نقف وقفة مع الأستاذ النجدى ناصف حول هذه الزيادة(وهذا العنوان سنناقشه مناقشة تفصيلية فى كتبنا(الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم) وسنوضح بالبراهين الساطعة والأدلة الناصعة أنه لايوجد ما يسمى حرف زائد وأن معنى"زائد"هو غير المتبادر إلى الذهن من معنى الزيادة التى بلا هدف او معنى مراد)).

هل فى القرآن الكريم من أحرف الزيادة.

ويقول *النجدى ناصف*:ولم أر أحداً ذكر التوكيد أو الحكمة التى زيدت لها"ما" فى نحو قوله تعالى: فى سورة آل عمران(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) ويبدو-والله أعلم-أن سر زيادتها

هو استحداث صوت جديد ينبعث من"ما"فيمسك القارئ هنيهة ليعرف السبب الذى كان من أجله الحكم الذى تضمنته القضية فى العبارة وفى ذلك موعظة له واعتبار.

♠ ♠ وهنا أقف وقفة على موضوع مهم يتعلق ببحثنا هذا فى رسم الكلمة فى المصحف الشريف،والسؤال المُلح: هل يجوز–فى لغة العرب التي نزل بها القرآن– أن يحذف حرف من الكلمة، أو يزاد حرف فيها؟

وهل تعرف العرب فى كلامها وأشعارها مثل هذا الأمر من الزيادة والنقص فى الحروف الأساسية للكلمة؟

وهل فى هذا السلوك حكمة تعرفها العرب؟

وللإجابة على هذه الأسئلة المهمة فى موضوع بحثنا هذا، نذكر بعض الشواهد المؤكدة على أن هذا السلوك متأصل فى لغة العرب ويعرفه فرسان اللغة وشعراؤها وفصحاؤها، ونبدأ بأفصحهم وأبلغهم وهو حبيبنا محمد (ﷺ)،ففى الحديث الشريف أنه لما نزل قوله تعالى فى سورة النساء: آية٢٤﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ.... وعقوبة قذف المحصنات وجلد هذا الذى لم يأت بأربع شهود، قال سعد بن عبادة– رضى الله عنه–:إن رأى رجل مع امرأته رجلا فيقتله، وإن أخبر يجلد ثمانين، أفلا يضرب بالسيف؟ فقال النبي– صلى الله عليه وسلم: **"كفى بالسيف شا** "أراد أن يقول:"**شاهداً**"**فأمسك**،ثم قال:"لولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران–أى فى القتل لتممت على جعله "شاهداً".

فقد أسرع النبى (ﷺ) بالنطق على كلمة شاهداً واختزل حروفها،لأنه لايريد التأكيد على جعل السيف شاهداً،وعبر عن هذه السرعة وضعف التوكيد بحذف ثلاثة حروف وليس حرفاً واحداً فقط، وقد فهم العربى الفصيح –من أصحاب النبى (ﷺ) ما أراده النبى(ﷺ) من هذا الإمساك فى القول ونقص الحروف من الكلمة.

ويقول سيبويه: "وسمعت من العرب من يقول: ألا تا، بلى فا، فإنما أرادوا: ألا تفعل ، وبلى فافعل،ولكنه قطع كما كان قاطعاً بالألف فى أنا".

ويمكن أن يُعد من هذا القبيل حذف التنوين من(حسرة) فى آية ٣٠ من سورة يس.(**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** (٣٠). ومن كلام ابن جنى فى الاحتجاج لها:"**العرب إذا أخبرت عن الشىء غير معتمدته ولا معتزمة عليه أسرعت فيه ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه، وذلك كقول الوليد بن عقبة بن أبى معيط:**

قلنا لها: قفى فقالت: قاف لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف

معنى "قاف": أى : وقفت – وقام بحذف ثلاثة حروف– من وقفت– للتأكيد على سرعة التنفيذ للأمر بالوقوف، والتأكيد على مبدأ سنعيشه بعد قليل فى رسم المصحف

يقول بأن حذف الحرف يوحي بسرعة الحدث، فاقتصرت من جملة الكلمة على حـــرف واحد منها وهو "القاف" لتشير إلى هذا المعنى.

وكما تحذف العرب من اللفظ المفرد أحياناً فإذا هو على شبه من الإيجاز فى العبارة- **تزيد فى أحرفه أو فى صوت حرف منه أحياناً أخرى، فإذا هو أيضاً على شبه من الإطنـــاب فى العبارة.**

ففى أسلوب الندبة تزيد على آخر المندوب ألفاً (كمثال: الرسولا، السبيلا، الظنونا..) فتزيد بها من صوت التفجع أو التوجع إعلاماً جهيراً بحرقة الحزن أو شدة الألم، ثم هى تزيد الهاء أيضاً بعد الألف حين الوقف إشباعاً للمد وذهاباً به إلى مدى بعيد.

ويعلل **ابن الزملكانى** لدلالة(لا)على نفى البعيد،ودلالة (لن) على نفى القريب،فيقول: (لا) آخره ألف، والألف يمكن أداء الصوت به بخلاف النون: بل ربما قام مد الصوت فى كلمة إلى أبعد من حدوده مقام الوصف بصفة تزيد من معناها، فقد قال ***سيبويه:*** "إنهم يقولون: **سير عليه ليـــــــل**، يريدون: ليل طويل.وهذا إنما يفهم **بتطويل الياء**(من "ليــــــل") فيقولون: سير عليه ليل، **فقامت المَدَّة مقام الصفة"(طول الليل أو أن ينطق بكلمة طويل) فهذا لون من الإيجاز وشجاعة اللغة العربية — كما يقول عنها العلماء-.**

وكانوا ربما عمدوا إلى حرف ليس من حروف المد، فمطوا حركته حتى يجعلوا منه حرف مد لزيادة معنى على الكلمة التى مطلت حركة الحرف فيها، فقد رووا أن رجلا ضــرب ابناً له فقالت له أمه:لا تضربه ليس هو **ابنـــــك** (ومدت الصوت ومطلته فى حـــرف النون،وزوجها لم يشعر بذلك)، فرافعها إلى القاضى فقال: هذا ابنى عندى، وهذه أمـــه تذكر أنه ليس منى. فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له: ليس هو **ابنـــــــك**، ومدت فتحة النون جداً ، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا المطل.

فقد فهم الرجل من مقالة امرأته حين سمعها وهو يضرب الولد غير ما فهمه منها حـــين سمعها وهما بين يدى القاضى،شغله الغيظ من ابنه والانهماك فى ضربه عـــن الانتبـــاه إلى الصوت الذى أرسلته صاحبته فى النون، فوقع فى وهمه أنها تنفى نسب الولد عنه حقـــاً، لكنها لما أعادت الكلمة على ما قالتها تبين أنها إنما أرادت أن تصرفه إلى ما هو أنكى من السخط على ابنها رحمة به وإبقاء عليه.(وأرادت أن تقول له (إنه ليس إبناك — بـــصيغة المثنى- ولكنه إبن وحيد لنا).

يمكن أن يقال إذن: إن الزيادة والحذف من أصول العربية المقررة ، وإن العرب لم نكن تأخذ بهما عبثاً ولكن لفضل معنى).

ويلحق بالزيادة للتنغيم تنوين غير المنون كقوله تعالى: فى سورة نوح:﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثًا وَيَعُوقًا وَنَسْرًا (٢٣)﴾ فى قراءة الأعمش وقوله: فى سورة الإنسان:﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)﴾ فى قراءة نافع والكسائى. ليس التنوين هنا بدعاً من العربية فبنو أسد ينونون الأسماء كلها وبعض القبائل لا يمنع من التنوين إلا أفعل التفضيل.

ويحتج أبو تمام للزيادة المؤكدة اقتباساً من التثويب فى الأذان فيقول: لو رأينا التأكيد خطة خسف ما شفعنا الأذان بالتثويب.

. قال أبو حيان: إن أصل (فلا أقسم) فلأقسم كما كانت فى قراءة

قول القائل: أعوذ بالله من العقراب

بدا للزمخشرى- رحمه الله- أن يعرض فى الكشاف لبيان المراد بالتوكيد الذى تفيده " أن" الزائدة بعد لما فى قوله تعالى فى سورة العنكبوت﴿:وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣). فقال:"أن"صلة أكدت وجود الفعلين مترتباً أحدهما على الآخر فى وقتين متجاورين لا فاصل بينهما ، كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان،كأنه قيل:لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير خيفة عليهم من قومه............

أما إحدى الآيتين فقوله تعالى فى سورة يوسف:﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)﴾ وتمضى بنا القصة إلى قوله تعالى: فى سورة يوسف﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦)﴾

فإذا "أن" فى الآية مزيدة بعدها "لما"وفى مقام لا يحتمل أناة ولا إبطاء؛فالبشرى التى يحملها رسول يوسف إلى أبيه ليست بأمر مما ألف الناس أن يستبشروا به ويفرحوا له ولكنها بأمر لا يُعلم له نظير سابق ولا يرجى أن يكون له نظير لاحق إلا فى طيف خيال أو حلم منام. سيرتد يعقوب بصيراً وسيرى يوسف حياً بعدما نعى إليه فحزن حتى ابيضت عيناه من الحزن عليه،وسيراه على حال لا كحال أحد من أبنائه أو خير منها قليلاً أو كثيراً،سيراه أميراً قد ولى حكماً وأوتى سلطاناً،وسيلتئم شمل الأسرة بعد تفرق

وشتات،وستستقبل من أمرها يُسراً بعد عسر،وسعادة بعد شقاء. فَمَن غير حامل هـذه البشرى يحق له أن يعد فى رحلته السرعة بطئاً والقرب بعداً،ويود لو جاء أبـاه طـيراً لا سعياً؟ومَن ذا يكون أسرع منه جرياً بل أشد منه وثباً حين يبلغ طيته ويدنو من أبيه ليلقى القميص على وجهه؟

♠ وأقول: من اللطائف ما ذكره الأستاذ *صادق الرافعى* حيث قال- فيما معناه-: إن زيادة (أن) فى قوله تعالى(فلما أن جاء البشير) ترسم بجرسها وغنتها وتنغيمها فى سياق الآية جو التنغيم والموسيقى المصاحبة لموكب البشير وهو يزف البشرى إلى يعقوب-عليه السلام-- فهى ترسم جو الطرب المصاحب لذلك الموكب المفرح بـصوتها فى سـياقها، وليجرب القارئ العزيز تلاوة هذه الآية بدون كلمة (أن) فيقول: (فلما جاء البـشير...) وسيجد أنه قد ضاع هذا الطرب وهذا النغم العلوى الجميل.

أما الآية الأخرى ففى سورة القصص إذ يقول الله تعالى عن نبيه موسى**﴿:وَدَخَلَ الْمَدِينَـةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)﴾**

وتمضى بنا الآيات إلى قوله تعالى: فى سورة القصص:آيات **﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَـةِ خَائِفًـا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)﴾**

وهنا أيضاً زيدت أن بعد لما وأيُّما امرئ يري مصرع المصرى،وكيف قضى عليه موسى،لا بضربة من سيفه ولا طعنة من رمحه ولكن بوكزة من يده،حقيق،إذا كان يعرض وكـزة مثلها،أن يكون أسرع من لمح البصر إلى مدافعة موسى واتقاء يده حين يلمح فى وجهـه إثارة حمية،أو بادرة عزم على البطش به،فلا يسعه إلا أن يفاجئه بصرخته المفزعة ويقذف فى وجهه بقولته المهولة يحذره ويذكره:يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس؟ ويزيد رأى الزمخشرى قوة إلى قوته أن الملائكة الذين جاءوا لوطاً كانوا قد جاءوا إبراهيم من قبله ونلاحظ أن آية مجيئهم إبراهيم لم تُزد فيها "أن" بعد "لما" كما زيـدت فى آيـة مجيئهم لوطاً. ذلك بأن الحال التى كان عليها إبراهيم كانت غير الحال التى كـان عليهـا لوط. لقد كان إبراهيم راضياً مطمئناً لم يعد ينكر من قومه منكراً أو ينعى عليهم فـساداً بعد ما نجاه الله منهم وبدله الله أرضاً خيراً من أرضـهم،وكان عليـه الـسلام جـواداً

مضيافاً،فلما رأى الملائكة لم يدُر بخلده إلا أهم أضياف مثله فى ذلك،كمثل كل جــواد مضياف حين يقدم عليه ناس لم تكن له سابقة بلقائهم أو لقاء أحد منهم،فتتابعت لذلك أحداث قصته معهم بدءاً وانتهاء،كما تتابع قصص الضيافة علـــى ســـجيتها وفى سمتـــها المعتاد،تحية وسلام،فحفاوة وطعام،ثم كان أن استراب هم إبراهيم حين رأى أيـــديهم لا تصل إلى طعامه وأن عجب منهم حين بشروه بغلام عليم.

أما لوط فكان ضائقاً بقومه شديد السخط عليهم. فلما رأى الملائكة حسبهم بشراً فحزبه أمرهم وتسارع إليه القلق والجزع خوفاً من قومه أن يفضحوه فيهم،وهم ضيفه،ولهم عليه حق الحماية والكرامة.ثم كان من مقاصد القصة هنا أن تصور السرعة التى صاحبت استياء لوط من قومه وضيق ذرعه هم تصويراً بالإشارة لا بالعبارة،وكانت الزيـــادة هـــى الأداء المختارة لها،فعبرت عنها هذا التعبير البارع الذى يتميز بالدقة ولطف المدخل.

بقى أن قصة لوط قد ذكرت مرة ثانية فى سورة هود ومرة ثالثة فى سورة الحجر وصدرت فى السورتين ب(لما) ولكنها لم تُتبع فيهما ب(أن) كما أتبعت ها فى سورة العنكبوت،مع أن موضوع القصص الثلاث واحد وهو لوط والملائكة. فهل لهذا الخـــلاف فى التعـــبير حكمة ووراءه سر؟

إن الذى يتتبع منهج القرآن الكريم فى قصصه يمكن أن يدرك هذه الحكمة ويكشف هـــذا السر فسيرى أن القرآن لا يلتزم صورة واحدة للقصة التى يعيدها مهما كانـــت مـــرات إعادها،ولكنه يعيدها فى قليل أو كثير من أوجه التنويع،تارة بالذكر أو الحـــذف،وأخرى بالإجمال أو التفصيل،وثالثة بالتصريح أو التلميح،وهكذا فإذا لها جدة وعليهـــا طـــلاوة. والناس بالجديد أحفل وإليه أميل،لذلك تأخذ كل قصة ببعض ما لم يأخذ غيرها بـــه،وإن كانت لتُبقى كلها على لباب الموضوع فى كل مقام.

فصورت قصة العنكبوت ما أمسكت عن تـــصويره القـــصتان الأخريـــان،وهو ســـرعة الأحاسيس التى جاشت ها نفس لوط حين رأى الملائكة مقبلين عليه.

وذكرت قصة هود ماوصف به لوط يومه ذاك فقال (هذا يوم عصيب) وهو وصف يشير إلى أحاسيسه ويدل عليها وإن لم يصرح ها،ولكنه لا يدل على تسارعها إليه

وأغفلت قصة الحجر حديث الأحاسيس ووصف اليوم معاً،واقتصرت من ذلـــك علـــى ارتياب لوط فى الملائكة إذ قال لهم (إنكم قوم منكرون).ثم راحت تذكر بقيـــة أحـــداث القصة منذ أبلغه الملائكة سبب مجيئهم إليه إلى أن قضى الله قضاءه فى المجرمين من قومـــه. ذلك إلى أمور أخرى اختصت ها كل قصة من بين أختيهـــا أخـــذاً بأســـباب التنويـــع

والافتنان.ولنا وقفة ممتعة ومبهرة حول هذاه النصوص وسبب الزيادة فى هـــذه الـــسورة والنقص فى السورة الأخرى والموقف واحد مع لوط وقومه،وسنتناول ذلك بالتفــصيل فى سلسلة كتبنا (الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم)

والآن هل لنا أن نقيس "ما" حين تزداد بعد "إذا" على "أن" حين تزاد بعد (لما) فيكون لها فى جملتها مثل ما (لأن) فى جملتها؟

لا أرى أن ثمة ما يحول دون هذا القياس فاللفظان سواء فى الحرفية والزيادة والموقع و كل من "لما" وإذا ظرف فيه معنى الشرط.

لا علينا إذن أن نقول: إن "ما" إذ تزاد بعد "إذا" تؤدى معنى "أن" إذ تزاد بعد "لمــا" **أى تفيد أن جواب "إذا" وشرطها يقعان فى زمنين متجاورين حتى كأهما مقترنان بجمعهما زمن واحد**. ونحن إذ نرجع - بعد أن تخلص لنا هذه النتيجة- إلى القرآن الكريم نتحسس من آياته ما عسى أن نلمح فيه أثر "ما" الزائدة مذكورة ومحذوفة- فــسنجد فى ســورة الشورى آيتين متقاربتين فى الذكر،ولهما مشاركة مع آيات أخر فى تعداد أوصاف المؤمنين الذين هم على رهم يتوكلون.

فأما الآية الأولى فتذكر من أوصافهم كظم الغيظ وغفران المساءة.وهى قوله تعــالى: فى سورة الشورى:**﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِــرُونَ (٣٧)﴾** وأما **الآية الأخرى** فتذكر مقاومة البغى والانتصار من البغاة وهى قوله تعالى: فى سورة الشورى**﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَــصِرُونَ (٣٩)﴾** ونلاحــظ أن "إذا" الشرطية مذكورة فى كلتا الآيتين لكنها أتبعت فى الآية الأولى بما الزائدة و لم تتبع هـــا فى الأخرى.وإذن يمكن أن يقال: إن العفو المذكور فى الآية الأولى ليس عفــواً مرســلاً لا يخصصه وصف ولا يحده وقت. إنه عفو المبادرة والفور يملك صاحبه عند الغضب وبتزله على حكمه فيمضيه غير متلبث به ولا متردد فيه، فذلك عفو الترفع والقوة، وفى الحديث الشريف: "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" رواه ابن ماجه.والقــوة المعنية هنا هى قوة الإرادة والعزم لا قوة البنية ومتانة التركيب. فهذه وحدها-على فضلها وحاجة الحياة إليها-لا تعدو أن تكون سراباً خادعاً أو رئياً كاذباً يوارى خــور العــزم وسقوط الهمة وانكسار الذلة.

وهذا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يشيد بقوة النفس ويحكم لها على قوة الشخص فيقول: "ليس الشديد بالصُرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب" رواه الإمـــام مالك فى الموطأ والسيوطى فى الجامع الصغير.

ذلك- والله أعلم- ما أفادته زيادة "ما" بعد "إذا" فى الآية الأولى إذ تذكر العفو عن المسئ.أما الآية الأخرى إذ تذكر البغى والانتصار من البغاة- فالأمر فيها مختلف والحال غير الحال،لأنها خلت من زيادة "ما" بعد "إذا"،وفى هذا إشارة إلى أنها تدعو إلى إباء البغى،ومناهضة البغاة،دعوة مطلقة لا تسمى لها أجلا ولا تجعل لها موعداً،لأن أحوال البغاة والمجاهدين ليست سواء فقد تكون المبادرة خيراً فى حال وشراً فى حال أخرى،وإنما الأمر كله بيد أهل الحل والعقد من المجاهدين،الذين يملكون أن يقدروا الأمر بقدره،عجالة وتريثاً،على نور من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن التجارب الناجحة والعلم بأحوال الحياة القائمة.

والذى عليهم أن يلتزموا الأخذ به هو ألا ينفروا إلى الجهاد إلا بعد أن يعدوا له العدة ويحكموا التدبير والكيد؛ليثبوا وثبتهم على رجاء فى النصر صادق،ووعد من الثقة غير مكذوب،وإلا كانت العاقبة وبالاً جائحاً ووبلاءً مستطيراً،وهُم بَعدُ عصاةٌ متمردون لا يرحمهم راحمٌ ولا يذكرهم أحدٌ بخير.

وكما يؤكد القرآن التعبير قد يخففه إذا اقتضى المقام ذلك،وذلك كأن يأتى بـ (إن) المخففة ونون التوكيد الخفيفة للدلالة على تخفيف التوكيد حسبما يقتضيه السياق ومقتضى الحال،فمن ذلك ماجاء فى قوله تعالى: فى يوسف ﴿قَالُوا تَاللَّه لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾ وفى يوسف **﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)﴾.**

وهذا الكلام قاله أخوه يوسف،والكلام موجه فى الآية الأولى إلى أخيهم يوسف،وفى الثانية إلى أبيهم .وأنت ترى أن أخوة يوسف قالوا لأخيهم: (وإن كنا لخاطئين) بـ(إن) المخففة،وقالوا لأبيهم:(إنا كنا خاطئين) بالمشددة،وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان ينبغى أن يكون التعبير بالعكس،فإنهم مع أنهم أساؤا إليه إساءة مباشرة-أعنى إلى يوسف-كان عايهم أن يأتوا بإن المشددة للدلالة على زيادة التوكيد،بخلاف التعبير مع أبيهم،غير أنك إذا أمعنتت النظر وجدت الطريقة التى استعملها القرآن هى المثلى؛فإن إخوة يوسف لما رأوا أباهم وماحل به من جراء فعلتهم من الوهَن واللوعة وحرقة الفؤاد وذهاب عينيه من الحزن دعاهم ذلك إلى توكيد الاعتذار والاعتراف بالخطيئة،بخلاف حالة أخيهم فإن الله أكرمه بعدهم وبوأه مكانة عالية ومكن له فى الأرض وكأن فعلتهم تلك عادت عليه بالخير والرفعة،بعكس ماجرت على أبيهم،فهنالك فرق بين الحالتين،فكان الشعور بالخطيئة مع

والدهم أكبر وأعظم فقالوا ماقالوا. والذى يدل على ذلك السياق القرآنى فإن يوسف دعا لهم بالمغفرة من دون أن يسألوها منه(قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)،وأما أبوهم فلم يستغفر لهم مع طلبهم الاستغفار منه وإنما وعدهم بالاستغفار فقال فى يوسف ٩٧-٩٨ (﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)..﴾ فوعدهم بالاستغفار فى المستقبل.

ثم انظر كيف جاء بـ (سوف) لا بالسين،و(سوف) أبعد فى الاستقبال من السين،مما يدل على عمق الأثر فى نفسه .

ونحو ذلك قوله تعالى:فى الأعراف ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)﴾ .

وقوله: فى الشعراء١٨٥-١٨٩ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)﴾ .

فأنت ترى أنه قال فى سياق آيات الأعراف:(وإنا لنظنك من الكاذبين) وفى سياق آيات الشعراء:(وإن نظنك لمن الكاذبين)،ويظهر سياق الآيات أن التكذيب فى آيات الأعراف أشد منه فى آيات الشعراء؛والذى يوضح ذلك أنه فى آيات الأعراف قال:(قال الملأ الذين كفروا من قومه) بخلاف آيات الشعراء فإنه قال:(قالوا إنما أنت من المسحرين)،وأنت ترى الفرق بين القائلين؛ففى الآيات الأولى قول الملأ الذين كفروا،والقائلون فى الآيات الثانية مختلطون،فإن فيهم شديد التكذيب وقليله،والإمَّعة،والخائف،فهو تكذيب مختلط لايصل إلى تكذيب الذين كفروا خصوصاً،والذى يدل على ذلك قوله تعالى بعد آيات الشعراء:(إن فى ذلك لأيةً وما كان أكثرهم مؤمنين) أى:إن فيهم قلة مؤمنة،فهو نسب الكلام فى آيات الشعراء إلى أصحاب الأيكة عموماً،بخلاف آيات الأعراف فإنه نسب الكلام إلى الذين كفروا خاصة .

ثم انظر إلى السياق مرة أخرى وكيف تعقب الرسول كلام قومه بعد كل من الآيتين يتبين لك ماذكرته واضحاً،فإن هوداً عليه السلام رد على قومه بآيات عدة:فى الأعراف﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) بخلاف آية الشعراء فإنه لم يزد على قوله﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨)﴾ ومن هنا يتبين الفرق واضحاً بين التعبيرين.

التشديد فى الحرف وثقل الحرف مع التشديد والثقل فى الموقف،والعكس بالعكس،وهذا ما سنراه فى بحثنا عن زيادة الحرف ونقصانه ليتضح لكل ذى بصر وبصيره أنه منهج واحد فى الإعجاز.

♠ ♠ وأنا أجزم أن الذى يتنكر لإعجاز الرسم فى المصحف الكريم لم يتذوق أسلوب النظم القرآنى العظيم أبداً.. لذلك قمنا بإيراد هذه الأمثلة لنؤكد له ولهم: أنه من نفس هذا النسيج، وأن طريقه ومنهجه هونفس الطريق ونفس المنهج.

❁❁❁❁❁❁

٥- وكما يخفف التوكيد قد يزيد فيه إذا اقتضى الكلام ذاك جاء فى (الإتقان):"ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كُذبوا فى المرة الأولى: (إنا اليكم مرسلون) فأكدوا بإن واسمية الجملة......... وفى المرة الثانية:(ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) فأكد بالقسم وإن واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين فى الإنكار حيث قالوا:(ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون)يشير بذلك إلى قوله تعالى: فى يس ١٣-١٧ ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧)﴾ فأنت ترى أن التكذيب والإنكار فى المرة الثانية كان أشد من المرة الأولى إذ قالوا: فى يس ١٥﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)﴾ وهددوهم بالرجم إن لم ينتهوا عن دعوهم:ولذا كان الرد فى المرة الثانية أقوى ففى المرة الأولى قالوا:(إنا إليكم مرسلون) وفى المرة الثانية قالوا:(ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) فأكد بالقسم وإن واللام .

♠ (إذن لابد من ملاحظة السياق وقوته وعلو نبرته أو انخفاضها، هذا الذى يستدعى زيادة أو نقصان حرف فى كلمة عن مثيلتها .. وهذا ما نريد أن يلاحظه القارئ ويسلك نهجه بهذه الكيفية فى البحث عن السر فى رسم الكلمة فى القرآن الكريم على الصورة التى عليها والتى تختلف عن مثيلتها بالنقص أو الزيادة أو الحذف أوالإضافة) فهو منهج واحد وطريقة واحدة.. وهذا مانعلمه الآن وماخفى عنا كان وما زال أعظم.

ونكمل مرة ثانية هذا الدرس البلاغى مع د: *فاضل السامرائى* ليكون هادياً للطريق الذى تنكبه الآخرون حيث يقول فى مكان آخر:

وقد يستعمل فى مكان ما صيغة ثم يعدل فى مكان آخر عن تلك الصيغة،فيحولها إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى.فمن ذلك قوله تعالى فى سورة ق﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ

جاءَهُم مُنذرٌ منهُمْ فَقالَ الكَافرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجيبٌ (٢)﴾ .وقوله فى سورة هود ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلي شَيْخًا إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجيبٌ (٧٢)﴾ وقوله فى مكان آخر فى سورة ص(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾ .

فأنت ترى أنه قال فى سورة ق:(هذا شئ عجيب)وفى هود (إن هذا لشئ عجيب)وفى سورة ص(إن هذا لشئ عجاب)، فعدل من عجيب إلى عجاب،وذلك أنه تدرج فى العجب بحسب قوته ففى آية(ق)ذكر أهم عجبوا من أن يجئ منذر منهم فقالوا:(هذا شئ عجيب).

وفى سورة هود كان العجب أكبر لأنه من خلاف المعتاد أن تلد امرأة عجوز وعقيم(انظر سورة الذاريات ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩)﴾ وبعلها شيخ إذ كل ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب؛فالعجوز لاتلد، فإذا كانت عقيماً كانت عن الولادة أبعد،إذ يستحيل على العقيم أن تلد، فاذا اجتمع إلى كل ذلك أن بعلها شيخ كان أبعد وأبعد،ولذا أكد العجب بأنّ واللام فقال: فى سورة هود ٧٢(إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)بخلاف **سورة (ق) فإنه لم يؤكد العجب .**

وأما فى سورة (ص) فقد كان العجب عند المشركين أكبر وأكبر؛إذ كيف يمكن أن يؤمنوا بوحدانية الإله ونفى الشرك وهم قوم عريقون فيه؟بل إن الإسلام جاء أول ماجاء ليردعهم عن الشرك ويردهم إلى التوحيد،وحسبك أن كلمة الاسلام الأولى هى:(لا إله إلا الله) وقد استسهلوا أن يحملوا السيف ويعلنوا الحرب الطويلة على أن يقروا بهذه الكلمة، فالقتل أيسر عندهم من النطق بكلمة التوحيد،ولذا كان العجب عندهم أكبر وأكبر فجاء(بأن واللام) وعدل من (عجيب) إلى (عجاب) وذلك أن (فُعالاً) أبلغ من (فعيل) عند العرب فـ(طُوال) أبلغ من (طويل) فاذا قلت:(هو رجل طويل) فهو الطول يكون مثله،فاذا زاد عن المعتاد قلت:هو طُوال ونحوه: كريم وكُرام،وشجيع وشُجاع.

فانظر كيف عدل من صيغة إلى صيغة بحسب ما يقتضيه المقام،وانظر كيف يراعى دقة التعبير فى كل موضع،وكيف يلحظ كل كلمة ويضعها فى المكان المناسب على تباعد الأمكنة.

ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام فى سورة الأنعام ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)﴾ وقوله فى مكان آخر على لسانه أيضاً:فى سورة الزخرف {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦)} فانظر كيف عدل من (برئ) إلى (براء)وهي من الصفة المشبهة إلى

المصدر،وأنت ترى الفرق بين المقامين،فإن إبراهيم عليه السلام فى آية الأنعام فى مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة لايعرف ربه على وجه التحقيق،فقد ظن أن الكوكب ربه ثم القمر ثم الشمس ثم أعلن البراءة من كل ذلك.

♠ ♠ ((وأنا أضيف أنه كان – فى الأنعام – فى مقام تمثيل المشهد ومجادلة باللين والهدوء وضرب الأمثال والتدرج فى الوعظ الهادئ لمعرفة الله تعالى.. والحديث كان مع أبيه آزر..،وباب مفتوح مع الله{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤)﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(٧٦) ﴾.

أما فى الآية الثانية فهو فى مقام التبليغ فقد أصبح مرسلاً من ربه،وأعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه،فهناك فرق بين المقامين والبراءتين" . ولهذا قال فى الآية الأولى(الأنعام الهادئة):(برئ) وفى الثانية – القوية – الزخرف–(براء) وذلك أن (براء) أقوى من برئ فإنها بصيغة المصدر الذى هو الحدث المجرد،فإن قولك (هو رجل عدل) أبلغ من قولك (هو رجل عادل) ؛وذلك لأن معناه أنه أصبح هو العدل،أى:لكثرة ممارسته للعدل صار هو العدل نفسه،وقولك:(هو رجل سوء) أبلغ من قولك(هو رجل سيئ) فمعنى رجل سيئ أنه اتصف بالسوء ومعنى (رجل سوء) أنه لكثرة ممارسته السوء أصبح هو السوء.

ومثله قوله تعالى فى ابن نوح عليه السلام فى سورة هود ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) ﴾

و لم يقل إنه عامل غير صالح،والمعنى أن ابنك تحول إلى عمل غير صالح و لم يبق فيه من عنصر الذات شئ،أى تحول إلى حدث مجرد وأن العمل غير الصالح لو تجسد لكان ابنك فالبراءة فى آية الزخرف اشد.

ثم انظر كيف ناسب هذه القوة فى البراءة والشدة بتوكيد الكلمة بمجئ النون–أعنى نون الوقاية–فى آية الزخرف زيادة فى التوكيد فقال: (إننى براء) و لم يأت بها فى آية الأنعام بل قال:(إنى برئ)،وأن النون فى مثل هذا المقام تفيد التوكيد .

فانظر كيف أكد براءته فى آية الأنعام بالنون وبتحويل الصيغة إلى المصدر، وهى نظيرة ما مر فى آيات العجب السابقة،فانظر إلى جمال هذا التعبير ودقته،وكيف أن القرآن كاللوحة الفنية الواحدة المتناسقة لوحظ فيها كل جزئية من جزئياتها واعتنى بكل لمسة من لمساتها،وصدق الإمام الرازى إذ قال:القرآن كالسورة الواحدة بل كالآية الواحدة.

((وأضيف هنا:أن المقام هنا –فى الزخرف– يختلف عن المقام فى الآية السابقة– التى وصفناها فى الأنعام –وذلك لأن سياق الحديث هنا– الزخرف– ونبرة الخطاب ولهجته تختلف؛ فهو سياق متاركة ومفاصلة لهم ومعهم(وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم..) وهذه لاتقال إلا بعد نفاذ كل الحيل والجهاد الطويل وفى النهاية المتاركة لهم.. والإنذار لهم من عقابه والتركيز فى الحديث مع القوم (لأبيه وَقَوْمه.) ..ويتضح ذلك من سياق الحديث الذى تنقله لنا الآيات هكذا:﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾..

لاحظ قوله (سيهدين) بحذف الياء ، وكيف أن حذف الياء أعطى التركيز على صفة الهداية فقط وتعظيمها .. بخلاف لو كتبت (سيهديني) فإنه سيعطى انتباه لشخصه وتركيز عليه وسيبعد التعظيم للهداية.. ولذلك يقول الإمام.

البقاعى:{ فإنه سيهدين}أي هداية هي الهداية إلى ما لاح لي من الحقائق من كل ما يصلحني لتوجهي إليه وتوكلي عليه،لا مرية عندي في هذا الاعتقاد، وقد أفاد بهذه المقترنة بالسين هدايته في الاستقبال بعد أن أفاد بقوله المحكي في الشعراء{فهو يهدين}الهداية في الحال وكأنه خص هذا بالسين لأجل ما عقبها به من عقبه.

وقبل أن نغادر هذه النقطة نقف سوياً حول لطائف القرآن الكريم في تصوير المشهد أدق وأصدق تصوير بحروف الكلمة وجرسها–كما ذكرنا من قبل– واليك البيان في هذا الجدول المبين لثلاث أنواع من المخالفات ومعها التصوير الجمالي القرآني لطريقة الاستغفار

نوح	آدم	بني إسرائيل حين عبدوا العجل
{ ((وَإِلَّا)) تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ}	{قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ ((إِن لَّمْ)) تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٢٣) سورة الأعراف	{وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ ((لَئِن لَّمْ)) (يَرْحَمْنَا) رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(١٤٩) سورة الأعراف

وهنا نلاحظ أدوات التوكيد مع المقامات الثلاثة:

١) في معصبة بنى إسرائيل،وهى عبادة العجل والخروج من الدين(وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ (لَئِن لَّمْ) (يَرْحَمْنَا) فاستخدم السياق القرآني(لام التوكيد) و(إن) التوكيدية (لئن) ثم

قالوا(لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا)فقدموا طلب رحمة الله قبل طلب المغفرة-حياءً منهم من الله من هذا الجرم الخطير الذي ارتكبوه، وكأنهم يقولون نحن لا نستحق المغفرة على ما فعلناه .

٢) أما الموقف في قصة آدم فهو كما قلنا مخالفة نسيان و لم تخرجه من الدين، وليست كجرم بني إسرائيل في عبادة العجل من دون الله،ولذلك سيأتي طلب المغفرة بحروف توكيد أقل،ويتغير سياق الآية هكذا:

استخدم أداة التوكيد (إن) و لم يستخدم قبلها(اللام المؤكدة) ثم طلب بعدها (المغفرة) التي تنال الذين قبل الله توبتهم فقالا(**وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا**).

٣) أما المخالفة مع نوح فهي أخف من مخالفة آدم ولذلك لم يأت الأسلوب في طلب المغفرة مؤكداً (**فنوح لم يؤكد،وآدم أكد بـ** (إن) **فقط،وبنى إسرائيل أكد بـ**(اللام) **و** (إن) **وزادوا على ذلك طلب الرحمة أولاً** التي هى لعموم الخلق-المؤمن والكافر-حتى البهائم وبعدها طلبوا المغفرة التي تنال المقبولين) هذا هو النظم القرآني المعجز فليتأمله القارئ.

ثم لنأتي إلى النص﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا** (تَسْأَلْنِ) **مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ)**﴾ ونلاحظ كلمة (تَسْأَلْنِ) بدون(ياء) أى لم تكتب:(تسألني) كما في آية الكهف التي في سياق الحديث عن موسى والخضر–والذي نعلمه جميعاً–فإن الآية كتبت بالياء (تسألني) ((**قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلا** (تَسْأَلْنِي) **عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا**))**فلماذا ؟**

إن المتأمل في قصة الآيتين يجد التناسق العجيب والمذهل للآيتين مع ما تعرضه القصتين كالآتي:

(١) الأمر مع نوح **سؤال واحد** (اختصار) وأيضاً في جو السرعة الرهيب والسفينة تجرى بهم في موج كالجبال والأحداث **تتسارع والأنفاس تلهث فناسبه** (حذف الياء).

(٢) أما في آية الكهف **فالأسئلة من موسى للخضر**(كثيرة)،مع(هدوء) الموقف وبطء سرعته-**فاقتضى مقام الإطالة والبطء في الأحداث هنا وضع الياء في** ((تسألني))**واقتضى مقام الاختصار والسرعة هناك حذف الياء**(تسألن).

****وهناك رأى آخر يقوله العلماء -كما سنوضح إن شاء الله -أنه تحذف الياء لسبب آخر وهو:(النهى عن أصل الحدث — وعن أقل شيء منه) — كما في قوله تعالى{**قَالَ**

كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ ((تَكُ)) شَيْئًا} (٩) سورة مريم حيث حذف النون من ((تكن)) لهذا الغرض (أى أنه: خلقه لم يكن شيئاً يذكر - من بداية ما يقال له شيء) وهذا هو نفس ما حدث مع نوح وظهر ذلك من سياق النص حينما قال الله له ((محذراً)) (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ)- فهو تحذيرٌ شديد ينهاه عن ذكر (هذا السؤال من منشئه) فحذف الياء بخلاف سورة الكهف،فقد قال له ((فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ (حَتَّى) أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا)) فهو سيخبره وسيكون حديثاً بيننا فبقيت الياء(١).

ونعود لكاتبنا د: غانم قدورى وباب له عن:

التاء المربوطة والمفتوحة

وبعد أن سرد أمثلة لكل مثال وقد رجح — فى نقله - أن يكون السبب هو فتح التاء فى حالة الوصل وهى — على سبيل المثال — الإضافة (مثل رحمت الله ، ونعمت الله،)..

ولاتفتح التاء فى حال الوقف عليها (وربما غير مضافة) .. ولكنه هو - أوهم - نسوا الأمثلة الكثيرة التى تكون فيها الكلمة مضافة ولكنها كتبت (تاء مغلقة): رحمة الله ، ورحمت الله ، نعمة الله ، نعمت الله وهكذا مثل: وإن تعدوا نعمة- (ونعمت)- الله لاتحصوها) فى النحل وابراهيم على الترتيب، وهو ماسنناقشه بالتفصيل على الصفحات القادمة تحت عنوان: القبض والبسط)

مع إضافة (كلمت) موضع واحد بالتاء.(مختلف فى قراءته بين الإفراد والجمع. وأربع مواطن أخرى) راجع الشرح فى لطائف (٥)

*****ثم يسأل كيف رسمت (لعنة)و (معصية) بالهاء إلا فى موضعين.. والباقى بالتاء فى موضع واحد (شجرت،قرت، ثمرت، بقيت، جنت، أيت، بينت، فطرت) وغيرها.**

والعجيب أنه لو تأمل ما قاله العلماء لوجد الروعة والجمال والإبهار فى قبض هذه الكلمة — أى كتابتها بالتاء المربوطة ، وبسط مثيلتها فى كل حروفها ماعدا أنها كتبت بالتاء المفتوحة،وقد قال العلماء أن التاء المفتوحة للنعم التى فتحت وظهرت آثارها فى الدنيا ،أى بمعنى الفعل الذى حدث واضح-على سبيل المثال السريع- أن فطرة الله التى فطر الله الناس عليها .. على هذا المبدأ يجب أن تكتب مفتوحة (فطرت) لأنها قد خلقت فى الدنيا،فهى فطرتنا التى خلقنا الله عليها.. فلابد أن تكون موجودة ومفتوحة ،على منهج الاستخدام القرآنى فى رسم الكلمة كما سنبينه شاء الله .

---

(١) راجع كتبنا (سلسلة الإعجاز القصى والتكرار فى القرآن الكريم) ود: فاضل السمرائى

ورغم كل هذا لايقنعه ذلك.. ويصر على أن فتح التاء راجع إلى بقايا لغة أخرى (هى هنا السامية) فيقول:وذلك أن التأنيث فى الساميات كلها لم تكن له علامة سوى التاء ولكن هذه العلامة قد خضعت للتطور على مر الأيام ويتجلى ذلك فى العربية... .. كما يقول مكملا فى نفس الصفحة٢٢٨: والكتابة – فى القرآن- تميل إلى الاحتفاظ بصور الكلمات على حالتها رغم ماقد يطرأ عليها من تطور فى النطق، فظلت تاء التأنيث ترسم تاء حتى فى الوقف، ولكنها على المدى الطويل بدأت تستجيب للظاهرة الجديدة التى (ربما) بدأت تدخل مرحلة أخرى من (التطور).

ويكمل بعدها: ..... وبناءً على ذلك يمكن القول بأن رسم تاء التأنيث بالتاء فى تلك الكلمات المشار إليها يحتمل أن يكون احتفاظاً بالصورة القديمة لرسم تلك الكلمات- وهو ما أرجحه- !!! ويصل أخيراً إلى قوله:إلا أن ذلك كله لايمنع أن يكون الكاتب- أى للقرآن – جرى فى كتابة تلك الكلمات على وصل الكلام حيث تلفظ بالتاء. ويكمل قوله: ومع أنه من غير اليسير القطع هنا بأحد هذه الاحتمالات إلا أنه يجب أن يكون فهم تلك الظاهرة من خلال الإطار الذى يرسمه التطور التاريخى لها)انتهى كلامه ..

ولاحظ أنه يرفض التفسيرات التى قدمها علماء السلف على أرض الواقع ، ويتهمهم بالجهل بالتاريخ الكتابى .. فى الوقت الذى يقول فيه: ومع أنه من غير اليسير القطع هنا بأحد هذه الاحتمالات، إلا أنه يجب أن يكون فهم تلك الظاهرة من خلال الإطار الذى يرسمه التطور التاريخى لها.

ولا أدرى ماذا قدم هو سوى آراء جدلية وفلسفية بعيدة عن أرض الواقع والتأمل والتدبر ؟؟.. وهكذا رأيه المتكرر دائماً فى شرح ظاهرة الرسم العثمانى – كما يقول – حتى لانردده كثيراً فى كل مرة على القارئ.

ثم يعود ليردد أن زيادة (هاء السكت) فى بعض الكلمات (يتسنه) و(اقتده) (ليه) (وما أدراك ما هيه) فى قوله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩).﴾

يقول عنها:هى أثر تناسب رءوس الآيات وطلب التناسق الصوتى بينها.. ولا أدرى لماذا لايتعب نفسه قليلاً ليعيش جو وسياق الآيات التى وردت فيها أيات الهاء الزائدة فى نهاية الكلمة ، والتى تصور حالة اللهث وهو ينطق بها، والتى تناسب سياق وجو الآيات

اللاهث فى أثناء كربات يوم القيامة وأخذ الكتاب باليمين – حيث يلهث من الفـرح – فهو يجرى ويطير فرحا- والآخر الذى يأخذ كتابه بشماله يلهث من الكرب والهم الذى رآه وسيلاقيه، ولايمكن تصوير هذه الحالة وهذا الجو اللاهث – برسم الكلمة – إلا بوضع هذه الهاء التى تسمى أيضاً "هاء" اللهث؛كما نرى فى الإنسان أو الكلب الذى يلهث .

ويقول الإمام البقاعي: { اقرءوا كتابيه * } وهاؤه للسكت ، كأنها إشارة إلى شدة الكرب في ذلك اليوم للدلالة على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت في كل جملة للاستراحة لا يقدر في الكلام على المضي فما الظن بغيره، وتشير أيضاً مع ذلك إلى فراغ الأمر ونجازة الجزم به والوثوق بأنه لا يغير .

فهى ليست أثراً من كتابات قديمة بقيت فى المصحف الكريم وتطورت الكتابة لدى الصحابة و لم يستطيعوا أن يتخلصوا منها – حسب زعمه الدائم والمتكرر- ولو راجع نفسه بعيداً عن هذا الوهم الفلسفى، وعاش المشهد وسياق الآيات المعبر خير تعبير بجرس الكلمة ورسمها عن هذه الحالة لسجد إعظاما وإجلالاً على عظمة ما يسميه بظاهرة الرسم العثمانى، ناهيك عن القراءات التى تؤكد على النطق بالهاء حل الوصل أو الوقف على اختلاف بينهم.

وكذلك الحال قى قوله (وما أدراك ما هيه) نار حامية – فهى نفس (هاء) اللهث التى تكلمنا عنها وهو نفس الموقف العصيب اللاهث .... ونقول له: هكذا الحال فى كلمة (الرسولا والسبيلا والظنونا) التى ترسم الألف – الزائدة فيهم – المشهد خير تمثيل هذه الألف (التى تسمى بألف الإطلاق أو التنفيس) وهم (تقلب وجوههم فى النار {**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**}.

ولاحظ أيضاً أنه لم يقل:(كبارنا) ولكنه قال (كبراءنا)التى فيها مد لازم (٦ حركات) تمثل مد الصوت بالاستغاثة والصراخ والعويل.. وليس ذلك لتناسب رءوس الآيات -- كما شرحنا من قبل-.

وكذلك كلمة (الظنونا) بإضافة ألف المد والإطلاق التى تصور الظنون الكثيرة التى انتابت المسلمين فى غزوة الأحزاب(وما أدراك ما غزوة الأحزاب) ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)..**﴾ فهل يناسب رسم هذا المشهد إلا هذه الألف فى كلمة (الظنونا) .

والهاء فى كلمة (يتسنه)..... كما يقول الإمام الطاهر: ومعنى { لم يتسنه } لم يتغيـر ، **وأصله مشتق من السَّنَة لأنّ مر السنين يوجب التغيّر وهو مثل تحجَّرَ الطين** ، والهـاء أصلية لا هاء سكت ، ، ......ويقول الطبرى: وأما قوله:(لم يتسنَّه) ففيه وجهان مـن القراءة:

أحدهما:"لَمْ يَتَسَنَّ" بحذف"الهاء" في الوصل،وإثباتها في الوقف. ومن قرأه كذلك فإنه يجعل الهاء في"يتسنَّه"زائدة صلة، كقوله:(فَبِهُدَاهُمُ اقْتَده) [الأنعام: ٩٠] ..وقد قال قـوم:هـو مأخوذ من قوله:(مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون) [الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣] وهو المتغير. وذلك أيـضًا إذا كان كذلك، فهو أيَضًا مما ٌبُدِّلت نّونه ياء.وهو قراءة عامة قراء الكوفة. والآخر منـهما: إثبات"الهاء" في الوصل والوقف. ومن قرأه كذلك، فإنه يجعل"الهاء" في"يتسنَّه" لامَ الفعل. وهذه قراءة عامة قرأة أهل المدينة والحجاز.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندي في ذلك إثباتُ"الهاء" في الوصل والوقف، لأنها مثبتةٌ في مصحف المسلمين، ولإثباتها وجهٌ صحيح في كلتا الحالتين في ذلك.... وغير جـائز حذف حرف من كتاب الله.

فإن اعتلّ معتلٌّ-احتج شخص- بأن المصحف قد ألحقت فيه حروف هنّ زوائد على نيـة الوقف، والوجه في الأصل عند القراءة حذفهنّ، وذلك كقوله:(فَبِهُدَاهُمُ اقْتَده)الأنعام: ٩٠ وقوله:(يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ) الحاقة: ٢٥ فإن ذلك هو مما لم يكن فيه شـكَ أنـه مـن الزوائد، وأنه ألحق على نيةَ الوقف. فأما ما كان محتملا أن يكون أصلا للحرف غيرَ زائـد، فغير جائز .

على أن ذلك، وإن كان زائدا فيما لا شك أنه من الزوائد ، فإن العرب قد تصل الكـلام بزائد، فتنطق به على نحو منطقها به في حال القطع، فيكون وَصْلها إياه وقطعُها سواء. وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك بإثبات"الهاء" في الوصل والوقف. غير أنّ ذلك، وإن كان كذلك، فلقوله:(لم يتسنّه) حكمٌ مفارقٌ حكمَ ما كانت هاؤه زائد لا شك في زيادته فيه.

قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبيّ بـن كعـب فيها:"لَمْ يَتَسَنَّ" و"فَأَمْهِلِ الْكَافِرِين" الطارق: ١٧ و"لا تَبْدِيلَ لِلْخَلْق" الروم: ٣٠.

قال أبو جعفر: ولو كان ذلك من"يتسنى" أو"يتسنن" لما ألحق فيه أُبيّ"هاء" لا موضع لها فيه، ولا أمرَ عثمان بإلحاقها فيها.((وربما يكون وضع الهاء لهذه التفرقة الهامة))

* * *ويقول الإمام البقاعى: { لم يتسنه } ... ومعنى القراءة بهاء السكت أن الخبر بذلك أمر جازم مقنع لا مرية فيه ولا تردد أصلاً.

((((ونرى هنا التأكيد على أن هذه (الهاء) أصلية فى الكلمة ولها مكانتها المعلومة مما سبق .. ويبقى أيضاً أنها بهذه الصورة ترسم حالة الاستغراب والدهشة والتوقف طويلا(لطول الكلمة) على هذا المشهد العجيب .))).

ويقول الإمام الرازى: .. وإذا كان كذلك فالهاء في { لَمْ يَتَسَنَّهْ } لام الفعل ، فلا جرم يحدث البتة لا عند الوصل ولا عند الوقف .

..ونضيف قولاً آخر وهو:

أننا قد تعودنا أنه من شأن القرآن أن يأتى بالكلمة الغريبة للموقف الغريب .. **فالموقف هنا غريب فأتى به باللفظ الغريب (يتسنه) (وراجع بحثنا – وما قاله الأستاذ صادق الرافعى حول هذا المعنى وفى قوله تعالى (تلك إذا قسمة (ضيزى)..فى جرس الكلمة وهى كلمة غريبة لم تستعمل فى نثر أو شعر من كلامهم لغرابتها وقبحها لديهم – فوضعها القرآن فى الموقف الغريب والمستقبح** ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾.

فهذا أمر ليس مستغرب على أسلوب القرآن المعجز.. فوضع (يتسنه)على هذه الصورة العجيبة للموقف العجيب.. للغرابة والتثقيل ولرغبة الوقوف عليها – كما سنوضحه حينما يخالف إعراب الكلمة مثال قوله:(لكن الراسخون .. والمؤمنون .. *والمقيمين* الصلاة.. والمؤتون الزكاة) وقوله (والموفون بعهدهم.. *والصابرين*).. والنصارى (والصابئين) مرتين *و(الصابئون)* مرة واحدة... ووواضح فى كل هذه الأمثلة المخالفة الإعرابية وليراجع القارىء الهدف من ذلك وحكمته فى شرحنا له تحت عنوان (هل فى القرآن لحن؟)

****ونقول مثل ذلك فى قوله: و(اقتده) أيضاً .. الألوسى: { فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ } أي اجعل هداهم منفرداً بالاقتداء، واجعل الاقتداء مقصوراً عليه ، والمراد بهداهم عند جمع طريقهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ .. ففي ذلك تعظيم لهم وتنبيه على أن طريقهم هو الحق الموافق لدليل العقل والسمع ، وحقق القطب الرازي في «حواشيه على الكشاف»** أنه يتعين أن الاقتداء المأمور به ليس إلا في الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة كالحلم والصبر والزهد وكثرة الشكر والتضرع ونحوها ويكون في الآية دليل على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل منهم قطعاً لتضمنها أن الله تعالى هدى أولئك الأنبياء عليهم السلام إلى فضائل الأخلاق وصفات الكمال وحيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهداهم جميعاً امتنع للعصمة أن يقال : إنه لم

يمتثل ، فلا بد أن يقال : إنه عليه الصلاة والسلام قد امتثل وأتى بجميع ذلك وحصل تلك الأخلاق الفاضلة التي في جميعهم فاجتمع فيه من خصال الكمال ما كان متفرقاً فيهم وحينئذ يكون أفضل من جميعهم قطعاً كما أنه أفضل من كل واحد منهم وهو استنباط حسن .

.. وفي أمره عليه الصلاة والسلام بالاقتداء بهداهم دون الاقتداء بهم ما لا يخفى من الإشارة إلى علو مقامه صلى الله عليه وسلم عند أرباب الذوق .

ويقول الرازى: والحاصل : أنه حصل الإجماع على إثباتها في الوقف .

ويقول الإمام البقاعى: { فبهداهم } أي خاصة في واجبات الإرسال وغيرها { اقتده } وأشار بهاء السكت التي هي أمارة الوقوف – وهي ثابتة في جميع المصاحف – إلى أن الاقتداء بهم كان غير محتاج إلى شيء.

لاحظ: إشباع الحرف للوقوف والتركيز والاهتمام بهذا المذكور.. (اقتده).. وأترك للقارىء أن يجرب النطق بها والنطق بدونها ليرى فارق التركيز على هذا الأمر وليرى صيغة الأمر والحسم فى أسلوب النطق بالكلمة(اقتده).. بخلاف اللين والمط فى(اقتدى) .. ومن الممكن هنا أن نردد ما قاله الإمام البقاعى فى الآية السابقة: ومعنى القراءة بهاء السكت أن الخبر بذلك أمر جازم مقنع لا مرية فيه ولا تردد أصلاً. وأنّ الاقتداء بهم كان غير محتاج إلى شيء.

❁❁❁❁❁❁❁

ومما يؤكد حرص القرآن على الإيقاع الصوتى للكلمة هو منهجة الفذ فى كتابة ونطق الحروف المقطعة.. ويقول الزركشى: فإن قال قائل: لم كتبوا (حم عسق) بقطع الميم عن العين، و لم يقطعوا (المص) و(كهيعص)؟ قيل له: (حم) قد جرت فى أوائل سبع سور فصارت كأنها اسم للسورة، فقطعت مما قبلها لأنها كالمستأنفة.. **ويكمل** رأى **الإمام دون الوقوف عليه.**

❁❁❁❁❁❁

ويذكر قاعدة هامة حيث يقول: سنلاحظ أن اثبات رمز الفتحة الطويلة فى وسط الكلمات كان يخضع بصورة عامة إلى أساس يتضح **من تتبع الأمثلة التى جاءت مثبتة فيها والأمثلة التى لم تثبت فيها.**

ونقول: ليته يطبق هذا المبدأ ولا ينساه ولايجرى وراء الوهم التاريخى – الذى لايعلم هو نفسه حقيقته – ويعيش واقع النصوص.

ويكمل : وخلاصة ذلك أنه كان يخضع لحجم الكلمة (أى عدد الرموز التى يتكون منها هجاؤها،) فكلما ازدادت كان ذلك مسوغا لعدم إثبات رمز الفتحة الطويلة.أى الألف.ص٢٣٥........ وأيضاً كراهة اجتماع صورتين متفقتين فى الخط.. (لاحظ أن

فكرة تقصير الكلمة بحذف الحرف يستعمل فى اللغة تحت عنوان (الجـزم بحـذف هـذا الحرف) والجزم كما نعلم بأدوات الجزم المعلومة.

تمثيل الكسرة الطويلة

حذف إحداهما إذا كانت الثانية علامة الجمع مثل:(النبين، الأميـــن ،ربنيـــن، الحواريـــن) إلا فى موضع واحد اجتمعت عليه المصاحف وهو قوله (لفى عليين).. مع ملاحظة الياء المشددة ليكون عددها ثلاث ياءات ولم يحذف منها هنا حرف منـهم .. وأيضاً (أفعيينا بالخلق الأول)ق.. وكذلك (يحييكم ، وحييتم ،ويحييها، ويحين) ، ومـا كان مثله إذا اتصل به ضمير، فإن لم يتصل به ضمير ووقعت الياء طرفـا نحـو(نحـى ونميت) الحجر.. مع ملاحظة وضع منقار الحمامة (الياء الصغيرة) بعد الياء﴿.وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾. وهكذا (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا)،(أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ) إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ فقد رسم بياء واحدة.. مع ملاحظـة ورود كلمة (الأمين) بياءين فى مصحف طشقند.

(وهنا لنا تعليق) إن أول مـا نلاحظـه فى كلمـتى (علـيين) فى ناحيـة .. وفى الناحيـة الأخرى(الأمين) فى قولهم (ليس علينا فى الأمين سبيل.. هو زيادة تعظيم المكانة (فى عليين) . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨)المطففين. كما يقول الزمخشرى: وعليون : علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين ، منقول من جمع «عليّ» فعيـل من العلو كسجين من السجن ، سمى بذلك إمّا لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الـدرجات في الجنة ، وإمّا لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن *الكروبيون* – الملائكة بلغة أهـل الكتاب–، تكريماً له وتعظيماً .

ونقول : يكفى قوله تعالى بعدها﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَـشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١).﴾ . وقد شرح الإمام ابن القيم ذلك فى حادى الأرواح قائلاً: أخبر تعالى أن كتابهم (مرقوم) تحقيقاً، لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبـرار: أنـه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين سادات المؤمنين. ولم يذكر شـهادة هؤلاء لكتاب الفجار، تنويهاً بكتاب الأبرار وما وقع لهم به، وإشهاراً له وإظهاراً لمكانتـهم بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقيع يعظمون بين الأمراء وخواص أهـل المملكـة،

تنويهاً باسم المكتوب له، وإشهاراً بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده)انتهى ج١ ص١١٥ ... وهو كلام لايحتاج إلى تعليق ويكفى للرد بـــه عـــن سبب زياده هذه الياءات وتثقيل وتفخيم الكلمة (عليين)

وتكون الزيادة فى كلمة (أميين))- على اعتبار وجود رسم آخر لها-لزيادة تحقير المكانة والتثقيل على صفة الأمية - من غير جنسهم - أى من غير بنى إسرائيل الذين لم يـأتهم كتاب وأصبحوا أميين - والتركيز على هذه الصفة في غيرهم هـــو لزيـــادة وتفخـــيم تحقيرهم.. وكأنك تقف على الكلمة طويلاً لإظهارها - كما نقول - أوكما يفعل أحدنا حينما يحاول التركيز على براءته مثلا ، فيقول مستغرباً (أنا) ؟ ويثقل النطق على حروف كلمة (أنا).

ومثلها كلمة (أفعيينا)؟ وهو استفهام إنكارى وواضح فيه علو النبرة ، والذى يناسبه كمـــا سنرى الزيادة فى حروف الكلمة - ، مع إرادة توقيف القارىء على هذا الأمر المـــستغرب نسبته إلى الخالق سبحانه وتعالى.(أفعيينا بالخلق الأول).

حذف الكسرة الطويلة فى نهاية الكلمةونقول نحن: أن حذف الياء مـــن : ربى أكـــرمن .. أهانن.(ربما للإشارة إلى التعجل منه فى الحكم وأنه ليس ذلك بالحقيقة)

.. أتمدونن بمال (ربما لاستحقار أمر المال بجانب ماآتاه الله من الحكم والعلم والنبوة)

أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨).. قـــالوا حذفت الياء من كلمة عذاب لرعاية الفاصلة .. وأنا أرى أنها للتهويل.. ويقـــول الإمـــام البقاعى: وإطباق أهل الرسم وأكثر القراء على حذف يائه رسماً وقراءة إشارة إلى أنه العذاب الأدنى المذهب لحمية الجاهلية ، وإثبات يعقوب وحده لها في الحالين إشارة إلى أنه العـــذاب المعد لإهلاك الأمم الطاغية لا مطلق العذاب .(يشير إلى القراءتين (العذاب الأدنى = حذف الياء ، العذاب الأقوى = إضافة الياء).

وحذفها من (وسوف يؤت الله) ولم يحذفها من (أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) (إلا آتى الرحمن عبدا) (سلام عليكم لانبتغي الجاهلين).. ترسم الحلم على الجاهلين.. ونقل قولـــه: وأشار الفراء إلى أن ذلك جائز - أى عند العرب- سواء أكانت ضميراً أم من بنية الكلمة ((ربى أكرمن .. أهانن.. أتمدونن بمال ..المناد . الداع.. ومن غير

والتأمل فى سياق الآية ((وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً)). يجد أنها بشرى عظيمـــة للمؤمنين ؛ ومن تتميم السعادة بالبشرى هو التعجيل بها.. وهذا يستدعى حذف الحرف كما تعودنا).. وهذا بخلاف إتيان الأرض ننقصها من أطرافها والتى تعدد فيها آراء المفـــسرين، منها ما قاله الألوسى: { أَنَّا نَأْتِى الارض } أي أرض الكفرة { نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَـــا }

من جوانبها بأن نفتحها شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء أليس هذا مقدمة لذاك .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : { أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الارض نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الغالبون} [الأنبياء : ٤٤] وروي ذلك عن ابن عباس . والحسن . والضحاك . وعطية . والسدي . وغيرهم ، وروي عن ابن عباس أيضاً وأخرجه الحاكم عنه وصححه أن انتقاص الأرض موت أشرافها وكبرائها وذهاب العلماء منها . ....، وادعى الواحدي أن تفسير الآية بما تقدم هو اللائق . وتعقبه الإمام بأنه يمكن القول بلياقة الثاني ، وتقرير الآية عليه أو لم يروا أنا نحدث في الدنيا من الاختلافات خراباً بعد عمارة وموتاً بعد حياة وذلاً بعد عز ونقصاً بعد كمال وهذه تغييرات مدركة بالحس فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله تعالى الأمر عنهم فيجعلهم أذلة بعد أن كانوا أعزة ، ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين ، وهو كما ترى ، وقيل : نقصها هلاك من هلك من الأمم قبل قريش وخراب أرضهم أي ألم يروا هلاك من قبلهم وخراب ديارهم فكيف يأمنون من حلول ذلك بهم ، والأول أيضاً أوفق بالمقام منه ،..((((وكل هذه المعانى ليس فيها ملحظ السرعة بل هو عمل متكرر وله وقته الممدود بأمد الحياة ولذلك لم يحذف الياء هنا)))).

وكذلك فى قوله : ((سلام عليكم لانبتغي الجاهلين)) فهو سلام فيه الهدوء والسكينة و...ولا يستدعى حذف الألف .

ويسأل عن حذف الياء فى (يـقوم، يـرب، يـعباد) إلا فى موضعين أثبتوا فيها الياء ﴿يَعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُون (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)﴾العنكبوت.

﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣).. فيها جو الإمهال للتوبة و(لاتقنطوا)

واختلفوا فى الزخرف: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩).﴾ .

وملاحظة الحذف أيضاً فى فعل الأمر أو النهى (وهذا يلمح فيه سرعة الامتثال والتنفيذ).. وما يصاحب صيغة النداء أو الأمر او النهى من سرعة النطق بمقاطع الكلمة مما يناسب

سقوط الحركات النهائية أو تقصيرها.. وكذلك لعل مما يشبه ذلك ظاهرة حذف الألف من (ما) حين تكون استفهاماً وقد دخل عليها حرف جر فى مثـــل (بم / عـــم ، فـــيم، لم،......).

ثم يسأل عن سبب ورود كلمات موضوع فيها الياء مثل (واخشونى ولأتم ..)و (فـــاتبعونى يحببكم الله) (فكيدونى جميعا)..(فاتبعنى أهدك)(فاتبعونى وأطيعوا قولى).

ويقول: ولو لحق الكلمة التى آخرها الياء التنوين تحذف (لا غ، هاد ، وال ، واق، غواش ، بواد ، مستخف) واعتبروها حالة وصل (فلا تسئلن .. حتى تؤتون موثقا...وجفـــانِ).. الجوار.. يناد المناد..(((وهذا ما تناولناه بالتفصيل الشديد)))

وقد تناولنا كل ذلك على الصفحات الماضية.

الواو

ويسأل عن حذف (فأصدق وأكن) ولم يقل (وأكون)يدع ويمح سندع (ويقول حذفت لأجل استقبالها للحرف الساكن؟؟.. وقال ابن جنى (أنها حذفت لأمن اللبس لأن ذكـــر الفاعل يمنع أن يكون الفاعل جماعة).

ويسأل ويقول: لماذا لم تحذف من (يمحوا الله مايشاء ويثبت)و (لمن كـــان يرجـــوا الله) (لاتدعوا ثبورا واحداوادعوا..)الفرقان (((وهذا أيضاً ما تناولناه بـــالرد المفـــصل علـــى الصفحات الماضية إن شاء الله.)).

الألف (الفتحة الطويلة)

تميل الألف إلى عدم الإثبات فى صيغة المضارع أو فى حالة اتصال الـــضمائر... ويغلـــب إثباتها فى صيغة الماضى حين يكون الفعل مجرداً من الزوائد (ولعل هذا الملحـــظ يناســـب الفعل فى زمن الماضى الذى يوحى صيغته بانقطاع الفعل وانفصال الزمن مما يناسبه وضع هذا الألف) بخلاف المضارع الذى يفيد الوجود والاستمرار مما يناسبه حـــذف الألـــف الفارقة – ولكننا نقول له: إلا ما استثنى – لحكمة عالية – نراها فى حينها لتكون شاهداً على روعة وإعجاز هذا الرسم ..والأمثلة:

(تشـــقون) فيهم.(مضارع)...........................(شاقوا)

هنا نلاحظ التعبير القرآنى لم يقل (تشاقوهم).. أى تنفصلون وتبتعدون عنهم ويكون كل منكم فى شق (فهذا هو الذى يناسبه وضع الألف الفارقة) .. ولكن النص يحكـــى أنـــه (يشاقون) ويجادلون الأنبياء والصالحين (فيهم) أى فى آلهتهم والتقرب لهم والإلتصاق بهم وعبوديتهم.. فهذه المشاقة (فيهم) هى قرب لهم وتلاصق بهم (يناسبه حـــذف الألـــف الفارقة.).

وذلك بخلاف الآية (شاقوا) الرسول .. فهي مباعدة وافتراق من الرسول وعنه.. وليست المسألة فعل ماضى أو مضارع ولكنه رسم الصورة والمشهد المعروض بحروف الكلمة

(فلا تصحبنى)..............................(وصاحبهما)

هنا (فلا تصاحبنى) قرئت (فلا تصحبنى) بدون ألف.كما يقول الزمخشرى:. وقرىء : «فلا تصحبني» فلا تكن صاحبي . وقرىء : «فلا تصحبني» أي فلا تصحبني إيــاك ولا تجعلني صاحبك..... بخلاف قوله تعالى (وصاحبهما) بصيغة فعل الأمر الذى ليس له قراءة أخرى .. مع ملاحظة أن فعل الأمر يصاحبه علو النبرة فى صيغة الأمر دائماً (والتى يناسبها إظهار الألف).

(يُسَرِعُونَ)................................(سارعوا)

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَرِعُونَ فِي الْكُفْرِ... فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَرِعُونَ فِيهِمْ .. وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَرِعُونَ فِي الْإِثْمِ . إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا.. أُولَئِكَ يُسَرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ.﴾ . (نلاحظ أن جميع السياقات (يسارعون فى)- التى تفيد الالتصاق - كما قلنا- وليس (يسارعون (إلى) التى تفيد البعد والإنفصال .. ولكن فى كل السياقات الماضية فهم يسارعون (فى الكفر..أى هم واقعون فيه .... وهكذا يسارعون فى الإثم .. ويسارعون فى الخيرات .. فهم فيها..) .إضافة إلى القراءة الثانية التى بدون ألف (يسرعون) كما قال المفسرون ومنهم الزمخشرى: وقرىء : «يسرعون في الخيرات» .

وذلك بخلاف قوله (سارعوا إلى) التى تجمع مشهدين هما : (١) صيغة فعل الأمر وعلو النبرة.. (٢) قوله يسارعون (إلى) حرف البعد المعلوم لدينا

(أتحــجونى)......................(حاجوك).(حاج)

نجد فى الآية الأولى التى وردت فى سياق المجادلة(الهادئة جداً) والمتواصلة بضرب الأمثال والحجة والبرهان والدليل.. وليس فيها علو النبرة بالخصومة أو التعنيف التى تحتاج إلى وجود الألف.. كما نرى هنا فى سياق الآيات التى تتحدث عن المجادلة الهادئة باللطف واللين وضرب الأمثلة: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا

أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)﴾ ... فهو حوار(هادىء ومتواصل) لايحتاج إلى زيادة الألف وإظهارها كما فى المثال التالى:

وأيضاً(يحاجوكم) به عند ربكم (آل عمران).. والتى كتبت بالألف... وحين استرجاع النص نلاحظ منه السياق والنبرة العالية ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦).﴾ .. ونلاحظ السياق هنا وتقريع بعضهم لبعض، وختام الآية بالتعنيف ولهجة الاستنكار(أَفَلَا تَعْقِلُونَ).. بخلاف سياق مجادلة إبراهيم لقومه.... وهكذا نلحظ السياق وعلو النبرة فى قوله (حاجوك).(حاج).. والآيات فى سياقها كالتالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢).﴾ .. ولك أن تسترجع السياق مرات ومرات وتعيش الجو الملتهب فى قوله ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ و﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ..﴾ .. بل إنه يعطى وصف هؤلاء القوم الذين يستحقون أقصى أنواع التعنيف وعلو النبرة - كما نقول دائما - حيث يقول فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

وهكذا فى قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.﴾ . فهذا سياق مع كافر عنيد ومتسلط وآتاه الله الملك .. إضافة إلى صيغة الماضى ولكنها ليست السبب كما رأينا ، بل السبب هو السياق والتعبير عن المشهد أصدق تعبير بحروف الكلمة التى ترسم وتصور حتى الانفعالات الداخلية كما كنا نشرح ذلك عند قوله (يتجرعـه) وكيف أن حروف الكلمة ترسم الصورة على ملامح الوجه حال النطق بها.

والعجيب أن الكاتب يصر على أن هذه التغايرات هي بقايا للغة قديمة لم يستطع الكتبة التخلص منها بعد تطور علم الكتابة لديهم.. ويردد ذلـــك . ويـــدعى فى ص٢٥٨ ((أنهم كانوا يستخدمون ذلك بطريقة غير منتظمة أو غير مقصودة أو غير واعية — إن صح التعبير—!! ويكمل ويقول: ولذلك فليس من الغريب أن يقترن الفعلان (هاجر) و (جاهد) فى آية واحدة فى أكثر من موضع مع مجيء الفعل الأول (هاجر) بالألف والثانى (جـــهد) بدون ألف ورغم تشابههما فى الصيغة (فاعَل) ، من ذلك مثلاً:﴿ إِنَّ الَّـــذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَـــٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)﴾ ..وقد تكرر نفس التركيب فى أربعة مواضع أخرى بنفس الطريقـــة... إلى أن يصل لتبريره العجيب — الذى يحاول أن يقصرنا عليه ويصف العلماء بالجهل بذلك الرأى — حيث يقول: ولعل مجرد اعتياد الكتاب على إثبات الألف فى كلمة دون أخـــرى هـــو الذى يفسر سلوك هجاء هذين الفعلين) انتهى قوله!!!!!.

والعجيب أنه لم يكلف نفسه التوقف على معانى هذه الأفعال وأمثالها الكـــثير ... كمـــا سنرى — ولكنه طوال بحثه كان متشبعاً بهذه الفكرة البعيدة كل البعد عن منهج استقراء الآيات جميعها والوقوف عليها والتدبر لها.. ولو توقف قليلاً مع معنى ومـــدلول هـــذين الفعلين (هاجر)و (جـــهد) وعلم أن الجهاد هو قتال النفس — فى سبيل الله —(والقتـــل هدم للبنيان يستدعى حذف الألف التى تحذف فى حالة الهدم —) بخلاف (هاجر) التى فيها معنى (النجاة بالنفس والهروب من الموت وهدم البنيان).. فهى عملية إحياء للـــنفس .. وليس إفناء.. ولذلك يظهر فيها الألف .. وراجع بحث (العظام) بالألف .. حينما كـــان السياق يشير إلى إعادة أو تجميع العظام كتب بالألف ..و كتب (العظـــم) بدون ألـــف حينما كان يتحدث السياق عن عملية هدم وفناء العظام (بالموت والتحلـــل) ... وهكـــذا كلمة (تراب) بالألف وبدون الألف. ونقول أيضاً: وربما لأن فى الهجرة مفارقة — لابد منها — للأهل والأوطان .والمفارقة والتباعد يناسبها الألف. وربما يجاهد الإنـــسان عـــدوه دون مهاجرة أو مفارقة للمكان.؟؟؟؟.....فما المانع فى كتابة (هاجر) بالألف و(جـــهد) بـــدون ألف — وهذه الكتابة ليست فلتة عابرة ولكنها سائرة على منهج الرسم المعجز فى القـــرآن الكريم ؟

أمَّا تعجبه من كتابة هذه الكلمات (يمحوا.. يمح..لاتدعوا اليوم ثبورا واحداً.) فـــإن العجب الحق من تعجبه هو أنه لايكلف نفسه أن يعيش السياق فى الآيات المذكورة.

وفى البحر المحيط: { لا تدعوا اليوم } يقول لهم { لا تدعوا } أو هم أحق أن يقال لهم ذلك وإن لم يكن هناك قول ، أي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا حزناً كثيراً

وكثرته إما لديمومة العذاب فهو متجدداً دائماً ، وإما لأنه أنواع وكل نوع يكون منه نبور لشدته وفظاعته ... نلاحظ أن الصيغة لهم ليست بالأمر المباشر.وهو كما يقول: بل احزنوا حزناً كثيراً وكثرته إما لديمومة العذاب فهو متجدداً دائماً ، وهذا لايناسبه الحذف فى الكلمة (ادعوا).. (ولذلك لم تظهر صفة الجزم واضحة). والحديث بلفظ الغائب وبأسلوب الحكاية عنهم .. وراجع مثال (نغفرلكم خطاياكم) و (يغفر لهم خطيكم).. الأول فيه المواجهة فأظهر الألف بخلاف الثانى..

وليراجع القارىء الكريم- على الصفحات القادمة - الرد بالتفصيل فى باب حذف وإضافة الألف فى الأفعال ليتبين له الحكمة العالية فى حذف وإضافة الألف فى الكلمات السابقة وغيرها الكثير المشبع لكل صاحب فكر ووعى.

وأما تساؤله عن (سيماهم بالألف — فى آية الفتح فقط- وبدون الألف فى باقى الآيات) فليراجع الصفحات القادمة.

ونقف على باب مهم منه تحت عنوان (الإمالة.. ورسم الألف ياء)

حيث يقول: فقد اتفقت المصاحف على رسم الفتحة الطويلة المتطرفة فى كل ما كان أصله من ذوات الياء من الأسماء والأفعال بالياء، وكذلك فى ماكان رباعياً مطنقاً سواء اتصلت الكلمة بضمير أم لم تتصل . لقيت ساكناً أو متحركا.. وذلك نحو ((الموتى، السلوى، المرضى، الأسرى، شتى، صرعى، طوبى، الحسنى، لليسرى، للعسرى، البشرى، موسى، عيسى، إحدى، **إحد يهما، إحد يهن ، بشر يكم، أخر يكم، مجر يها،** مر سيها، الهدى العمى أدنى أزكى أربى سعى رمى يُتلى تُدعى يخفى آتيكم ، أر يكم ،أتيها ، **يصليها**) وشبه ذلك.

((وأرجوا من القارىء أن يضم هذه الكلمات فى باب الإمالة حينما نعود إليها بالشرح والتفصيل فى باب خاص "الإمالة والقراءات" والتى تعتبر دليل صدق على حكمة هذا الرسم الذى حافظ برسمه هذا على صور وتعدد القراءات بصورة مدهشة، ولا أدرى لماذا لم يقف الكاتب على هذه الدلالات ؟!!))).

ويقول: ورسمت الفتحة الطويلة ياء أيضاً فى (على ، إلى ، حتى ، متى، بلى) هذا إذا لم تجتمع فى آخر الكلمة ياءان نحو: الدنيا ، العليا، الرءيا ، رءياك ،الحوايا، وأحيا، وأحياهم ،محياى، محياهم،) و(هداى ، مثواى) وما كان مثله فإن هذا النوع رسم بالألف... باستثناء (يحيى) اسماً كان أو فعلاً.

وجاءت سبع كلمات من ذوات الياء وقد رسمت فيها الفتحة الطويلة ألف (عصانى)إبراهيم.. (الأقصا)، و(تولاه) الحج، و(أقصا) المدينة.. القصص.ويس، و(سيماهم) **الفتح** ((وأقول له مؤقتا: هذا يشير إلى أنها جاءت على خلاف الأصل لأنها تتحدث عن النبى محمد وصحبه وترسم تفرد أصحاب النبى محمد(ﷺ) فى الحال (فى الدنيا) والمآل (فى الآخرة).. فهم غير كل البشر)))..

وراجع رسم كلمة"طغا" بالألف (الحاقة) فقط ، والباقى بالياء (طغى)

واتفقت المصاحف على رسم ما كان من الأسماء والأفعال من ذوات الواو على ثلاثة أحرف بالألف، وذلك نحو (الصفا، شفا،سنا، خلا، عفا،بدا، نجا، علا،..) إلا ستة أحرف فإنها رسمت بالياء (**الضحى**، زكى (النور)، (**دحيها**،(**ضحيها**) (**تليها**،**سجى**) ..

وأقول له : لماذا لاتقول:ربما يكون ذلك على سبيل الإمالة كما نقلت من أقوال العلماء فى الإمالة.)

والعجيب أنه يقول: ولذلك نرى أن ما كان من ذوات الواو كتب بالألف وذلك **لامتناع الإمالة** ، وأيضاً للتفريق بينها وبين ذوات الياء.. وما كتب بالياء لأنها ترجع إلى الياء إذا دخلت عليها الزوائد (على .. عليه ، إلى .. إليه، لدى .. لديه) أو كان الفعل غير مسمى الفاعل.

يقول الدانى: وأما قوله فى (على وإلى ولدى) كتبوهن كذلك خشية الالتباس بما قد يشركهن فى الصورة..((أى تشتبه بقولنا : علا: أى ارتفع ، وإلا: تلتبث بأداة الاستثناء)).

ويكمل أيضاً قوله: **وكذلك الإمالة ليست لأنه من ذوات الياء فقط ولكنه – أيضاً– من حيث صحة الرواية** .

وأقول: ((وهذا ملحظ مهم جداً جداً فى قوله هذا الذى يرجعنا إلى مطابقة القراءة الصحيحة مع الرسم ، وهذا يرد على الكلمات التى رسمت على غير قاعدة الإمالة المذكورة.))

مع ملاحظة أن بعض ما ميل قد جاء مرسوما بالألف مثل(جاء ، شاء ،زاد، ران، خاف، طاب، خاب،حاق، ضاق، زاغ).. **ومن الأسماء كل الف بعدها** راء **مكسورة مثل** (**النار القهار الغار** بقنطار بدينار)..

ونقول ونكرر لكاتبنا: (**إذن** هناك أمر آخر وهو : صحة الرواية.. **والكسائى يميل ذوات الياء كلها، وقاعدة الراء هذه)**

ويكمل قوله: تشير الدراسات اللغوية المقارنة إلى أن كلمة (الصلاة) بالمعنى المفهوم منها عند المسلمين هى فى بعض اللغات السامية (صلوتا) أو (صلوت).. (وكأنه يشير إلى سبب

كتابتها على صورة الواو (الصلـــوة) وأن أصلها الواو، وربما يكون هذا سبباً أو غيره مما سنراه فى بحثنا هذا عن الصلوة)

*****وكلمة (يستأخرون) بالألف فى الأعراف..(وســـوف نـــذكرها فى الـــصفحات القادمة) و(مستئنسين)..عكس (تستأنسوا) بالألف (ولعلى أقول أن النص (تستأنسوا) هو إنشاء **الاستئناس** عند الإذن بالدخول.. بخلاف النص (مستئنسين) الذى يوحى بمـشهد التواصل بعد الدخول.. **وهذا ما يقوله المفسرون: نهوا عن أن يطيلوا الجلـــوس يـــستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به . أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت** ، واستئناسه : **تسمعه وتوجسه** ، فهو بعد الدخول ، بل هو بعد المكث فترة أو فترات والاستمرار فى ذلك ، بل **بعد تناول الطعام أيضاً**..... ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَـــشِرُوا وَلَـــا مُسْتَأْنِـــسِينَ لِحَدِيثٍ**﴾ هذا المكث — مع التواصل-الذى يناسبه إنامة الألف أو إخفائها...

ونكتفى بهذا القدر وفيه الكفاية لمن أراد الدلالة والهداية ، وكتابنا كله يعتبر بمثابة الـــرد الكامل على هذه الآراء وغيرها مما لم نعد ذكره هنا ، وهو دعوة صادقة من القلب لمناقشة هذا الرأى أو ذاك على أرض الواقع ومن واقع النصوص ، وأدعو القارىء أن يكمل معنا المسيرة ومشوار الإعجاز والجلال والجمال فى رسم المصحف ، وسنبدأه بالجزء الثانى الذى يقع فيه الاختلاف كثيراً وترك الحديث فيه علماؤنا القدامى وهو (حذف الألف) كثيراً فى الرسم القرآنى ، مكتفيين بالقول : أن الألف ليس لها صورة فى الرسم القديم فالأصل فيها عدم الظهور وهى بمثابة الفتحة الطويلة .

وإن كنا لاننكر هذا الحديث ولكن يبقى السؤال لماذا أضيف الألف هنا فى كلمة وحذف من نفس الكلمة ولكنها فى مكان آخر ربما فى نفس السورة أو حتى فى نفس الآية نجـــد الكلمة كتبت برسمين مختلفين وهذا هو مايلفت إليه الأنظار والقلوب والعقـــول للتـــدبر والتأمل والبحث ، وهذا هو ما سنعيشه على الصفحات القادمة إن شاء الله. ونسأل الله التوفيق والسداد .. آمين.

الجزء الثانى

الألف بين الحذف والإضافة

مدخل إلى الإعجاز فى رسم المصحف عن طريق علم القراءات والإمالة

نوجه نظر القارىء العزيز إلى أننا سنقوم بتيسير العرض فى باب القراءات هذا وعلاقته برسم الكلمة فى المصحف الشريف، وكعادتنا سنتجنب التعقيد على القارىء بكثرة المصطلحات قدر الإمكان كما هو الحال فى باقى بحثنا هذا .

وقد تعرضنا للحديث عن القراءات لبيان كيف أن الرسم القرآنى للكلمة –على صورته المتواجدة لدينا والمخالفة لما تعودناه فى كتاباتنا المعتادة ؛ من حذف حرف أو نقصانه أو غير ذلك من التغييرات فى رسم الكلمة– يتناسب أشد المناسبة ويتناغم مع تعدد وجوه القراءات ، وأن هذا الرسم على هذه الصورة هو الذى قد حافظ على استمرار تواجد هذه القراءات أيضاً حتى يومنا هذا .

وهذا لون هام من ألوان الإعجاز المتنوعة والخطيرة.

وسنأخذ من كتب القراءات ما يتيسر لنا ويناسب هذا البحث ،وللقارىء الاستزادة بعد ذلك إن أراد ، وسيكون كتاب معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى أحد أعمدة هذا البحث، وسوف نرمز له باسم صاحبه ،مع الاستعانة بآراء أئمة التفسير وغيرهم ، وسيكون بترتيب السور حتى يستطيع القارىء أن يتابع معنا ،

والبداية من سورة البقرة:

(١) (يُخَٰدِعُون الله) كتبت بدون ألف :﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ وفي سورة النساء (١٤٢) ..وقوله : { يخادعون الله } قرأه نافع وابن كثير وأبو عَمرو وخلَف (يخادعون) بألف بعد الخاء ، وقرأه ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (يخْدَعون) بفتح التحتية وسكون الخاء ..واعلم أن قوله : { وما يخادعون إلا أنفسهم } أجمعت القراءات العشر على قراءته بضم التحتية وفتح الخاء بعدها ألف .

(٢)﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ ﴾

يقول الرازى فأما قوله تعالى : { وَإِذْ واعدنا } فقرأ أبو عمرو ويعقوب وإذ وعدنا موسى بغير ألف في هذه السورة وفي الأعراف وطه وقرأ الباقون واعدنا بالألف في المواضع الثلاثة.

(٣)﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (٥٥) يقول الزمخشري: و { الصاعقة } ما صعقهم ، أي أماتهم . قيل : نار وقعت من السماء فأحرقتهم . وقيل : صيحة جاءت من السماء . وقيل : أرسل الله جنوداً سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة . وموسى عليه السلام ، لم تكن صعقته موتاً ولكن غشية ، بدليل قوله : { فَلَمَّا أَفَاقَ } . والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله : { وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ }- وهذا يعني أنها بالمعنى (العـــام) وليس (الخاص)ولذلك حذف الألف . وقرأ عليّ رضي الله عنه { فَأَخَذَتْكُم الصَّعْقَة }

(٤) ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ وقرىء : «تشّابه» ، بمعنى تتشابه ..وقـــرأ محمـــد ذو الشامة : إن الباقر يشّابه ، بالياء والتشديد .

..أبو السعود: { إِنَّ البقر تشابه عَلَيْنَا } يعنُون أن الأوصافَ المعدودةَ يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها إلى تشخيص ما هو المأمورُ بها ولذلك لم يقولوا إن البقرَ تشابهت .. ((إذن هو يتحدث عن تشابه الصفات (أى تشابه معنوى) وليس تشابه الـــذوات (المادى) لأنه لم يقل تشابهت))

ولاحظ: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.١١٨

(هو تشابه معنوى وليس تشابه مادى للعضو وهو القلب بلحمه ودمه) وقد تعودنا على أن التشابه المعنوى أو الوصف المجازى يحذف منه الألف للتفرقة بينه وبين المادى والحقيقى.

(٥) ﴿ وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ وهى إحاطة معنوية وليست مادية ولذلك كتبت بدون ألف (وَأَحَـٰطَتْ). وقرىء : «خطاياه» و «خطيئاته»

(٦) ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ﴾ (١٦١) الأعراف.وقرىء : «يغفر لكم خطيئـــاتكم» «وتغفر لكم خطاياكم» . و «خطيئاتكم» ، و« خطيئتكم» ، على البناء للمفعول. ومن هذه القراءات يعلم أنه لايوجد مكان ثابت للألف مع قراءة الإفراد.

(٧) ﴿ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾وقرىء : «تظّاهرون» بحذف التاء وإدغامها . وتتظاهرون بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون : أي تتعاونون عليهم .

(٨) ﴿ تُفَـٰدُوهُمْ وقرىء : «تفدوهم» ، «وتفادوهم» . «وأسرى» ، «وأسارى»

(٩) ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ ﴾وقرىء «عوهدوا وعهدوا»

(١٠)﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ أبو السعود: { فَيُضَاعِفَهُ لَهُ } ، وصيغةُ المفاعلة للمبالغة ، وقرىء فَيُضْعِفُه بالرفع بالنصب { أَضْعَافًا } جمعُ ضعف.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١) وهكذا الآيات: (٢٠)هود .

(٦٩) الفرقان ، (٣٠الأحزاب (١٨الحديد ..رسمت (يُضَٰعِف)

وقُرىء يُضعَّف على البناءِ للمفعولِ ويُضاعف ونُضعِّف بنونِ العظمةِ على البناءِ للفاعلِ ونَصبِ العذابِ ......

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾(١٣٠) آل عمران . يقول أبو السعود: وقرىء مُضَعَّفَةً

(١١) ﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ وقرىء فرُهُنٌ كسُقُف وكلاهما جمع رَهْن بمعنى مرهون وقرىء بسكون الهاء تخفيفاً ﴾

ويلخص أبو منصور القول:

(١) يخادعون الله..وما يخدعون .. يقول: لم يختلف القـراء فى الأولى بـالألف.. واختلفوا فى الثانية

(٢) ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٥): يقول:كان الكسائى يميل الألـف فيها "طُغْيَـٰنِهِمْ"، وفى قوله (وفى آذاهم) (فأحياكم)و (خطاياكم) و(مرضـات الله) و(حق تقاته)و (قد هدان) (يسارعون) (وسارعوا) (محياى) (رؤياى) (ومن عـصانى)و (أحسن مثواى)و (ما أنسانيه) و(آتانى الكتاب) و(أوصانى) و(آتـانى الله)و(كمـشكاة) و(دحيها) و(تليها) (طحيها) (سجى).. انفرد الكسائى بكسر هذه الحروف وفـتحهن حمزة ..وكان حمزة إذا تقدمت قبل (أحيا) واو كسر الحرف، مثل قوله (أمات وأحيا) .. واتفق حمزة والكسائى على إمالة (كلاهما) وعلى إمالة (فالق الحب والنوى).. و كان ابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب يفتحون هذه الحروف كلها إلا ماروى عن ابن عامر فى (التوراة)و (ما أدراك)كان يقرأهما بين الكسر والفتح.. وكان حمزة والكسائى يميلان كل

ذوات الياء.. والعرب تقول هذا (عابِد)و(عَابد)و(عِالم) و(عالم)فيكسرون الألف لإنكسار ما بعدها إلا أن تدخل حروف الإطباق(ص،ض، ط،ظ) ولا يجوز فى ذلك (ظـــالم) ولا (طالب) ولا(صابر) ولا(ضابط).. وكذلك حروف الإستعلاء(خ،غ، ق) ولا يجـــوز فى (غافل) (خادم) (قاهر)...

((ولهذا نلفت نظر القارىء بأن هذه الكلمات التى ذكرت وأمثالها الكثير تجعله يفهـــم لماذا رسمت هذه الكلمات أو الكثير منها بدون ألف لفتاً لهذه القراءة الـــتى بالإمالـــة وأحيانا يقوم الرسم بالترجيح القوى كما سنرى ، والإمالة هى ميل الحرف إلى الكسر والياء ولذلك تحذف الألف))

وأما إمالة (سجى)و(قلى) وما أشبههما فالقياس أن ماكان من ذوات الياء مثـــل (قلـــى يقلى) (سرى يسرى) أميل .. وماكان من ذوات الواو(علا يعلو) (سما يسمو) لم يمل، على أن الإمالة جائزة فى جميعها إذا اتفقت رءوس الآيات. ...(وكأن الرسم بتصوير الإمالـــة وحذف الحرف يلفت أنظارنا إلى أصل الكلمة وحروفها هل كانت الواو أم الياء؟، وهذا ملفت هام أيضاً يقوم به الرسم القرآنى وننبه إليه)

والراء إذا دخلت فى أسماء على مثال (فاعل) سهلت الإمالة.. وإذا كان فيها حرف مـــن حروف الإطباق مثل (هذا صارم) يميل الصاد.. ولاتقول فى (صالح) ، وكذلك (مـــررت بضارب) ولاتقول (مررت بضابط)، وهذا الباب انفرد بـــه البـــصريون وهـــو بـــاب الإمالة....... **والسور الممالة رءوس آياتها لتكون على نسق واحد إحدى عشر سورة (طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى ، الشمس، الليل، الـــضحى، العلق،). فلاحظ ذلك ولاتنسى حين قراءتك لهذه السور وملاحظة حذف الحـــرف – كالألف مثلاً– ولتعلم كيف حافظ الرسم على هذه القراءات ، وكأنه يشخص لـــك صوت الكلمة وليس رسم حروفها فقط)**

**﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾

((ونقول فى توجيه هذا الرسم بدون ألف لسببين : الأول : هو الغفلة المجازية على الرأى الذى شرحناه .. والثانى هو أن أسماء الأفعال تنقسم – فى عرضنا القادم – إلى قسمين ؛ **أسماء أفعال إيجابية** فيها الحركة وصدور الفعل من صاحبه .. **وأسماء أفعال سلبية** لـــيس فيها الحركة أو صدور الفعل منه (كأسماء الجلال والهيبة لله) وكما هو الحال فى مثالنا هذا (بغـــــفل) فالغفلة هنا سواء كان معناها النسيان أو الترك فهى معانى ســـلبية فتكتـــب

بدون ألف ، ولقد شرحنا ذلك عند قولنا (باسط) بالألف، (بـسـط) بدون ألف ، وقلنا فى حينها أن التى بالألف هى التى فيها الحركة بالفعل مثل قول قاتل أخيه من ولـــدى آدم (ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك) فهو بسط بالقتل والحركة فيه معلومة فكتبت بالألف ، بخلاف (وكلبهم بـــسط ذراعيه ..) فالبسط هنا بدون حركة(سلبية) فكتبت بدون ألف، وهكذا فى سورة الرعد لمن يبسط يده بالماء دون تحريك أو استفادة فكتبت بدون ألـــف (كبـــسط كفيه إلى الماء ..) وغير ذلك كثير من الشواهد التى ســنعيش معهـــا علـــى الصفحات القادمة إن شاء الله مثل (فاعل ، فــعل) ، (الجلــــــل) و(الإكـــرام) الأولى بدون ألف لأنها جلال وتوقير له مستقر فى القلب وليس فيه حركـــة بخـــلاف الإكـــرام والإعطاء

(٣) ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾، قرأ عاصم والكـــسائي ونـــافع { أســـارى تفادوهم} كلاهما بالألف ، وقرأ حمزة { أســـرى تفـــدوهم } بغير ألف فيهما ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر { أسارى تفـــدوهم } الأول بالألف والثاني بغير ألف

(٤) ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ١٢٤ابن عامر(ابراهام) فى البقرة (واقرأ بحثنا عن الأسماء الأعجمية– وكتاب الإعجاز الأعجمى فى القرآن الكريم– ولماذا كتبـــت إبراهيم فى البقرة فقط بدون ياء بعد الهاء ، وذلك للإشارة على هاتين القراءتين (إبراهيم ، وإبراهام) ولذلك تم حذف حرف المد لتناسب القراءتين ، **ويبقى السؤال: لماذا حـــدث ذلك الرسم فى سورة البقرة فقط** ؟ أو لماذا تكون التلميح بقراءة (إبراهـــام) فى ســـورة البقرة فقط؟ و لم ترسم فى أى سورة أخرى فى القرآن كله بهذا الرسم ورسمت بالياء ؟

ونقول : أن هذا الرسم على هذه الصورة – والذى شرحنا أنه ليناسب القـــراءتين – نجد أنه تعدى علم القراءات إلى وجه آخر من وجوه الإعجاز ، ألا وهو:أنه كما هـــو معلوم لدى أهل الكتاب فى كتبهم أن التسمية الأولى لسيدنا إبراهيم كانت (إبراهـــام) ، ولما هَمَّ بذبح ولده ونجح فى الاختبار سماه الله (إبراهيم) ويقال أن معنـــاه (أب لجمهـــور كبير) إشاره إلى أن الله سيعوضه بالذرية الكثيرة والأتباع.

وبهذا الشرح يتضح أن ((أول)) **تسمية لإبراهيم كانت** (إبراهام) **فأشار إليها الرســـم القرآنى أيضاً فى** ((أول)) القرآن (سورة البقرة) ، **وأن التسمية الثانيـــة لـــه كانـــت إبراهيم، فرسمت على صورها فى القرآن فى باقى السور** ... فكانت أول التسمية مـــع

أول القرأن ... وثانى التسمية مع الترتيب الثانى فى سور القرآن، وهذه لفتة وإشارة خطيرة من إشارات الوحى فى رسم الكلمة فى القرآن لاالكريم.

(٥) ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ..﴾١٤٢: قرأ حمزة والكسائى (ماوليـــهم) ممالاً ورواه أبو بكر عن عاصم ممالا.. وفخمه الباقون (أى وضع ألف)

(٦) ﴿وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ ..ابن عامر (هو مولاها)

(٧) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: أى آثاره(فهذه خطوات مجازية وليست حقيقية ولذلك لم تكتب بالألف)

(٨) ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾ **قول أبو السعود: وقرىء ولا تقتُلوهم حتى يقتُلوكم فإن قاتلوكم فاقتلوهم** والمعنى حتى يقتُلوا بعضكم كقولهم : قتلتْنـــا بنـــو أســـد... وحمـــزة والكسائى: **فإن** قتلوكم.. وأجازت العرب قاتله الله بمعنى: لعنه الله.. وقيـــل فى قولـــه قاتلهم الله: أى قتلهم الله **((وهنا ربما يشير إلى المجاز أيضاً فى قوله قاتلهم الله أى لعنـــهم ، وليس بالقتل على الحقيقة))**

(٩) ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ **(٢٠٧) وقف حمزة على مرضات بالتـــاء..** ووقـــف الباقون **عليها بالهاء**.....قال أبو منصور: أجاز أهل العربية الوقوف على مرضاة وأشباهها من الهاءات التى ليست بأصلية بالتاء.. وكذلك (هيهات)و (ياأبت)وإن وقف عليها بالهاء فهو جائز.. والتفخيم (**أى وضع الألف**) **فى مرضات أحسن من الإمالة**.. والإمالة جائزة لأن الواو إذا جاءت رابعة تقلب ياء.. (الحجة فى القراءات السبع .. والكشف عن وجوه القراءات)..ونقول هنا : أن الرسم كتبها بالألف (مرضات) و لم يحذف الألف على تجويز قراءة الإمالة ، وذلك **على ترجيحَ من الرسم لصورة التفخيم فقط**، كما قال: **والتفخيم فى مرضات أحسن من الإمالة.. وهو ما** سنراه عند شرحنا ل(رضوان ، ومرضات) ولماذا كتبت مرضات بالألف.. ولكن الذى يهمنا هنا هو ترجيح الرسم لهذه القراءة لحكمـــة عالية نشير إليها فى حينها تحت هذا العنوان.

آل عمران

(١)﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾ يقول أبو السعود:**وأصل (تقاة) وُقَيَةَ ثم أبدلت الواو تاءً كتُخمة وتُهمة وقلبت الياء ألفاً وقرىء تُقْيَةً**، ويقول أبو منصور: قرأ حمزة والكسائي **{ تقاة }** بالإمالة . **وقرأ الباقون بتفخيم الألف.. قرأ يعقوب (تقية).**

(٢) ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ (١٩٥) { وَقَاتِلُواْ } أي الكفارَ في سبيل اللهِ تعالى { وَقُتِلُواْ } استُشهدوا في القتال ، وقرىء بالعكس (أى: قتلوا وقاتلوا) لما أن الواوَ لا تستدعي الترتيبَ أو لأن المرادَ قتلُ بعضهم وقتالُ آخرين ، وقرىء وقتّلوا بالتشديد .

ويقول الزمخشرى: وقرىء : «وقتّلوا» ، بالتشديد . «وقتلوا وقاتلوا» على التقديم بالتخفيف والتشديد «وقتلوا ، وقتلوا» ، على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول . «وقتلوا» ، «وقاتلوا» ، على بنائهما للفاعل { ثَوَاباً } في موضع (المصدر) المؤكد بمعنى إثابة أو تثويباً.. ولهذا حذف منه الألف أيضاً

(١٠) ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾. قرىء : «قاتل» . و«قتل» و«قتّل» بالتشديد

النساء

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ....فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ..لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾

يقول أبو السعود: وقرىء وثُلَث ورُبَعَ على القصر من ثلاثَ ورُباعَ .. أي فانكحوا الطيباتِ لكم معدودات هذا العددَ ثنتين ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً حسبما تريدون

(((إذن هو لايقصد التعداد– واحد إثنين ثلاثة فقط– ولكن يرمز لهذا المعنى أن (يجمع) إثنين أو (يجمع) ثلاثة ، فأشار بذلك إلى ملفت (الجمع) هذا..ولاحظ كلمة (طاب) والجانب الروحى والمعنوى المرموز إليه فى هذا العدد...بخلاف ثالث ثلـثة (وهم يقولون الثالثة واحدة (الثلاثة فى واحد) ولذلك حذف الألف من ثلاثة هنا وبقيت ثالث بالألف على العد الحقيقى (الآب والإبن والروح القدس) .. مع ملحظ التزاوج والاقتران واللصوق فى قوله ثنتين ثنتين أو ثلث ثلاثة .. فهو لايقصد التعداد الصرف والنظر إلى العدد المادى بل الطيب والتزاوج (والجمع بين الثنتين والثلاث و.......)،

وهكذا (ثلـثمئة سنين ، سيقولون ثلـثة رابعهم) ..فهو يقصد عملية الجمع للذين هم من صنف (السنين التى لم تختلف بالنسبة لأهل الكهف وهم على حالة واحدة من فقدان الوعى بهم أو التمييز بينهم) .. وأيضاً الوصف لواحد من هؤلاء الثلاثة من الصنف الواحد الذين تطابقت وتماثلت قلوبهم ، وهم (ثلاثة من الرجال؛ من نوع واحد) و(رابعهم) — أى المختلف عنهم والمفروق منهم– وهو (كلبهم).. فكتب رابعهم بالألف

الفارقة ، وكذلك (خامسهم) و(ثامنهم) كلبهم.. أو ربما لأن (ثانى ثالث ورابع وخامس وسابع وثامن) كلها بالألف كلها تدل على إسم الفاعل المضاف لهم وهو الذى يعطى العد لهم وهو إسم (مفرد) والمفرد يضاف له الألف عادة وخاصة إذا كان قليل الحروف .. كما فى (ثانى إثنين) أيضاً.. وقد رمز لكل هذه المعانى أو بعضها فى رسم الكلمة ؛ إضافة إلى القراءة الثانية لهذا العدد.

(٢) ﴿ ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾ وقرىء ضعفاءَ وضعافي وضعافى ضعفاً.. نحو سكارى ﴾، وسكرى،بدون ألف.

﴿ ،وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾ (٣٣)..

لاحظ: وما ملكتأَيْمَـٰنُكُمْ (الأيمان هنا على المجاز دائماً)، فهنا لايقصد باليمين الناحية المادية — أى اليد اليمنى- ولكنها مجاز عن الملك والقدرة على الشيء ، ولذلك لم يقل النص القرآنى عن امتلاك العبيد (ما ملكتم) ولكنه قال (وما ملكت أيمانكم)، لأن العبد والأمة ملك لى ولكن ليس كما أملك الدار والدابة وغير ذلك؛ فأنا يجوز لى أن أنقض الدار والبناء ولكن لا يحق لى ذلك فى العبد والأمة ، ولذلك سمى ملك يمين وأيمانكم (بدون ألف) و لم يقل أيضاً (ملككم).. وكذلك عقد الأيمان هو تعبير مجازى لأنه ليس بالعقد المعلوم من عمل عقدة وربطها كما نفعل فى عقد الحبال وغيرها (**(ونكرر أن التعبير المجازى يعرضه الرسم القرآنى بدون ألف مشيراً إلى هذا الفرق بينه وبين التعبير الحقيقى.**)

(٣)﴿ ﴿وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾: الزمخشرى: وقيل : هو سكر النعاس وغلبة النوم (**أى: مجاز**) ..**وقرىء** : «**سكارى**» ، بفتح السين ، «**وسكرى**» ، على أن يكون جمعاً ، نحو : هلكى ، وجوعى . . أو مفرداً بمعنى : وأنتم جماعة سكرى ، كقولك : امرأة سكرى ، وسكرى بضم السين كحبلى . على أن تكون صفة للجماعة .

(٤)﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾وقرىء (**فلقتلوكم**)

(٥) ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا ﴾ وقرىء «مرغماً» وهذا البحث له تكملة هامة لشرح صورة المجاز فيه.

أبو منصور:

(٦)﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ وقرىء : نافع وابن عامر :«قيما» ، بمعنى قياماً ، كما جاء عوذاً بمعنى عياذاً . وقرأ عبد الله بن عمر : «قواما»، بالواو . وقوام الشيء : ما يقام به ، كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به.. ومثله قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قِيَمًا)

(٧) ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا..﴾ أمال حمزة وحده ..

﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦ (٣٢)﴾ .. ملحوظة : الهمزة بدون نبرة...قرأ ابن كثير والكسائي(وسلوا). ونظائره (فسل الذين) يونس... سل من أرسلنا (الزخرف) واتفقوا على همز(وليسألوا ما أنفقوا) الممتحنة واللام لام أمر الغائب ((ولكنها مكتوبة بدون ألف) .. وهنا ملحظ هام جداً وهو أن اللام لام الأمر – فهى فعل أمر ومضاف إليه لام الأمر أيضاً–، ومعلوم أن الأمر فيه الإظهار لهذا المأمور به وعلو النبرة فى فعل الأمر، فأصبح المعنى هنا كأنه بمثابة تضعيف الأمر)) وهنا يكون التوجيه لهذه القراءة الأخرى على أنهما قراءتان ، مثل قراءة آية "يونس"﴿ فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك.﴾ التى سنوضحها فى حينها وكتبت فاسأل بالألف فى القراءة الثانية التى لانرفضها ولا يرفضها واقع النص.

وتكون القراءة الثانية المشددة بالأمر المشدد (فى آية الممتحنة) لأسباب هى :

أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة ردّ إليهم ، ومن أتى منكم مكة لم يردّ إليكم؛ وكتبوا بذلك كتاباً وختموه ، فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، فأقبل زوجها مسافر المخزومي . وقيل صيفي بن الراهب فقال : يا محمد ، أردد عليّ امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف ، فنزلت بياناً لأن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء .

وعن الضحاك : كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد : أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا ، فإن دخلت في دينك ولها زوج أن تردّ على زوجها الذي أنفق عليها ، وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك . وعن قتادة : ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة ، فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت ، فأعطى زوجها ما أنفق وتزوّجها عمر

والمعنى كما يقول المفسرون:

يقول الزمخشري: ﴿ وَسْئَلُواْ مَآ أَنفَقْتُم ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ﴿وَلْيَسْئَلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ﴾ من مهور نسائهم المهاجرات.

يقول الطاهر: فكذلك إذا فرت إليهم امرأةُ مسلم كافرة ولا قدرة لكم على إرجاعها إليكم تسألون المشركين إرجاعَ مهرها إلى زوجها المسلمِ الذي فرّت منه وهذا إنصاف بين الفريقين ،. ثم يقول (والأمرُ للإباحة).

ويقول الإمام الألوسي: ﴿ وَلْيَسْئَلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ﴾ أي وليسألكم الكفار مهور نسائهم المهاجرات إليكم ، وظاهره أمر الكفار ، وهو من باب ﴿ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة : ١٢٣] فهو أمر للمؤمنين بالأداء (مجازاً) ونقول: (والمسلم أقربَ فى جميع تصرفاته حتى مع الكافر إلى العفو ولذلك لم يأت التشديد فى رسم الكلمة فى طلب المؤمنين بحقهم – وكما قال الإمام الطاهر: والأمرُ للإباحة أى ليس للوجوب – ولذلك لم توضع الألف فى جانب مطالبة المؤمن بحقه وكتبها (فسألوا ما أنفقتم) وكأنه إشارة إلى ذلك المعنى .

بخلاف مطالبة الكفار بمهور زوجاتهن اللاتى فررن منهم مهاجرات فهنا يكون التشديد مرتين : المرة الأولى تصور أن الكافر لن يترك حقه ، وكما قال الإمام الألوسى: روي أنه لما تقرر هذا الحكم أدى المؤمنون مما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهن ، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن المؤمنين فنزل قوله تعالى :﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) ﴾

والتشديد الثانى يعبر عن تشديد الله عز وجل على أتباعه المؤمنين بالحرص الشديد على رد المهور لأزواجهن الكفار الذين فررن منهم.

وهذه القراءة أو الرسمة الثانية تعطى هذا الملفت الخطير جداً الذى يمثل التشديد فى الوفاء بحقوق الغير من جانب المؤمنين ، والتسامح والتساهل والعفو عن حقوقهم ولو على غير المؤمنين.

ونشير على القارىء بالتنبيه على أن تعدد الرسم – فى بعض الكلمات القليلة التى تعد على أصابع اليد – يعتبر كتعدد القراءات المعلوم لدينا – علماء وغير علماء – وكان يكتب المصحف لهذا القطر بهذه القراءة ويكتب المصحف للقطر الآخر بالقراءة الثانية لبيان هذا الجواز، وهذا النموذج الذى بين يدينا هو مثال على ذلك.

فما أروع وما أعظم وما أبهر هذا الرسم المعجز!!

(١١) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا.﴾ .نافع وابن عامر وحمزة: (السَّلَم).وهو بمعنى الإستسلام. وروى شيبان عن إبان عن عاصم (السِّلم) ويكون بمعنى الصلح والإسلام.

(١)﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١٦) وسُبلُ السلام : طرق السلامة الّتي لا خوف على السائر فيها . وللعرب طرق معروفة بالأمن وطرق معروفة بالمخافة ، مثل وادي السباع

(فهو على هذا المعنى طريق مجازى ومعنوى)

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا (٩٤)﴾ ومن قرأ { السلام } بالألف فله معنيان : أحدها : أن يكون المراد السلام الذي يكون هو تحية المسلمين ، أي لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية إنه إنما قالها تعوذاً فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا واقبلوا منه ما أظهره . والثاني : أن يكون المعنى : لا تقولوا لمن اعتزلكم و لم يقتلكم لست مؤمناً ،((وهذا معنى سلبى – كف نفسه فقط – والمعنى الأول إيجابي – إلقاء السلام –))

وأصل هذا من السلامة لأن المعتزل طالب للسلامة . قال الزمخشرى: وقرىء : «السلم». و«السلام» وهما الاستسلام (هذا أيضاً معنى سلبى)

تنبيه: والمعنى السلبى دائماً حينما نقوله لانقصد به المعنى السيء ، ولكن نقصد به السكون وعدم الحركة أوالفعل، لأننا سنستخدم هذا المعنى كثيراً حتى فى صفات الله عز وجل – كما ذكرنا فى صفتى (ذى الجلال ، والإكرام)

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧) وقال الزجاج والجبائي : { السلام } بمعنى السلامة أي دار السلامة من الآفات والبلايا وسائر المكاره التي يلقاها أهل النار . وقيل : هو بمعنى التسليم أي دار تحيتهم فيها سلام.

.الأنعام:﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ...﴾.......﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾

(((هذه المعانى كلها ترجح حذف الألف)))حيث أنها ليست بالمعنى المادى فقط

(٢) ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ } وقرىء : «رسالاته»

(٣)﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ ﴾(٩٥) المائدة{ بالغ الكعبة } لأن إضافته غير حقيقية . ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم....وقرأ الأعرج : أو كفارة طعام مسكين

(٤) ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ....﴾ .. (٩٧) المائدة هو لايعن القيام المادى الذى هو ضد الجلوس ولذلك يقول المفسرون:{ قِياماً لّلنَّاسِ } انتعاشاً لهم في

أمر دينهم ودنياهم ، ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم ..ويقول أبو السعود: وقرىء (قِيماً)

(٥)﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ... سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (ليس بمعنى الأكل المادى ولكنه كأكل أموال الناس بالباطل وليس بأكل على الحقيقة بل هو على المجاز).. سمعون : عمل سلبى) بخلاف (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ) بالألف..

(٦)﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾. مكتوبة بواو كبيرة والثانية واو صغيرة..وهنا نسمع لتفسير هذه الظاهرة من علم القراءات ، حيث يقول: وقرأ عامر وحمزة:(تلُوا) بواو واحدة وضم اللام.. والباقون بواوين وسكون اللام.. (ولهذا كتبت على هذه الصورة المذكورة!!)

(٧)﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾.مكتوبة (شنئان) ولكن الهمزة ليست على نبرة.- وحقها أن تكتب (شنآن).ونلاحظ من علم القراءات قول ابن عامر، أبو بكر عن عاصم (شنئان)...خفيفة.. وحفص بالتثقيل (المد) مثل حمزة.. وقرأ الباقون مشددا.

(٨)﴿ نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ١٣.﴾ . عامر والكسائى (**قسيَّة**)

الأنعام

(١) ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ . ومكتوبة (أرءيتكم) وقال الأزهرى:قرأ نافع كل هذا فى القرءان بألف، فى تقدير الهمز ولايهمز. وقرأ بالتخفيف أيضاً أبو جعفر..(أرايتكم)وقرأ الكسائى بغير ألف وبغير همز(أريتكم) وقرأ الباقون بالهمز فى هذا ..

وقال أبو منصور: من قرأ (أرايتكم)و (أرأيتم) بالهمز فعلى أن أصل الحرف مهموز.. ومن قرأ (أرايتم)فعلى تخفيف الهمز .. ومن قرأ (اريتم) (أريتكم) فعلى حذف الهمز.. وكلها لغات صحيحة.. والعلة فى قوله (أرأيتكم) هو خطاب للجماعة، ولم يقل (أرأيتموكم) لأن العرب إذا أرادت بمعنى (أرأيت) الإستخبار تركوا التاء مفتوحة فى الواحد والجمع والمؤنث، وإذا أرادوا رؤية العين ثنوا وجمعوا وأنثوا فقالوا للرجلان (أرأيتماكما) وللجماعة (أرأيتموكم) وللنساء (أرأيتنكن) وللمرأة (أرأيتكِ)..(**إذن هى على هذا المعنى هى على**

المجاز ولا يقصد الرؤية البصرية) فاعرف الفرق بين العنيين.. ومعنى (قل أرأيتكم)استفهام معناه التقرير يستخبرهم ليقررهم

والذى يعنينا هنا هو أن الهمز مكتوبة على السطر بدون ألف لتناسب جميع وجوه هذه القراءات، وربما يلاحظ القارىء الحيرة فى وضع الألف والهمزة أيضاً وهل توضع أم لا؟ وأين توضع ؟ فلذلك تم إلقاؤها على السطر وليس على الألف.

(٣)﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ٥٢.﴾ .. ابن عامر وحده (بالغدوة) بواو فى السورتين (الكهف)

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) .﴾ .....وعن حمزة:(توفاه) بألف الإمالة

(٤) ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا .﴾. مكتوبة (رءا)، وغيرها ماعدا آية النجم.. و عن أبو عمرو: بفتح الراء و كسر الهمزة فى هذه الحروف كلها.. وابن عامر وحمزه والكسائى.. (رئى)

﴿ رَءَا قميصه، رَءَا أيديهم، رَءَا كوكبا.. فقط)..... وعند أبى عاصم وابن مجاهد كسر الراء عند الظاهر والمكنى فى كل القرآن ، وروى نصير عن الكسائى ومنه﴿ (فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ) (وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

(٧٤).. ((وعلى هذا يتضح كسر الألف فى هذه القراءات ، إضافة إلى المعنى الآخر الذى سنذكره على الصفحات القادمةإن شاء الله.))

(٥)﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١١٥)..والسؤال: لماذا فتحت التاء فى (كَلِمَت)؟ والإجابة من مراجعة القراءات فيها:

ابن كثير وأبو عمرو (كلمات ربك) جماعة.. وفى يونس (كلمة ربك فى موضعين.(٣٣)، (٩٦)....وفى المؤمن (حقت كلمة ربك) .. وقرأ نافع وابن عامر هذه الأربعة مواضع على الجمع .. وقرأهن الباقون على التوحيد. و لم يختلفوا فى غير هذه الأربعةالأعراف(١٣٧)، هود .(١١٩).

وقال أبو منصور : الكلمة تنوب عن الكلمات.. والعرب تقول قال فلان فى كلمتـــه أى فى قصيدته، والقرآن كله كلمة الله، وكلِم الله، وكلام الله ، وكلمات الله وكله صحيح فى كلام العرب

الأنعام: ﴿ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾وقرىء : «أكبر مجرميها» على قولك : هم أكبر قومهم ، وأكـــابر قومهم

الأعراف.

ولاحظ ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ ﴾قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ وقائلين من القيلولة نصفَ النهار.. الألوسى":وقال الليث : البيتوتة الدخول في الليل .. أو القيلولـــة هي (الراحة والدعة) نصف النهار وإن لم يكن معها نوم كما في «النهاية» ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ إذ الجنة لا نوم فيهـــا. (وهذا ملحظ هام جداً فى توجيه رسم الكلمة فالليل ليس فيه حركة ، مع ملحظ كلمـــة البيتوتة ، لذلك كتبت بدون ألف (بَيَٰتًا) ..بخلاف مشهد النهار (نصف النهار) ، مـــع ملحظ عدم شرط النوم فيها — أى مازال هناك عنصر الحركة- مما ناسب ظهور الألف فى (قائلون).

مع ملاحظة الصيغة فى التعبيرين التى ترسم المشهد فى كل منهما ؛ فكلمة (قائلو ن) إسم فاعل — فيه الحركة والفعل ، ولذلك لم يقل (بائتون) فى الكلمة الأخـــرى ، بـــل قـــال (بيـــتاً)، وأنا أقسم بالله أننى ألحظ وأشعر بملحظ النوم والتنييم فى حال النطق بها — حتى ولو لم أعلم شيئاً عن صيغ الكلمات ومعناها الذى ذكرناه – ولو قال النص (بـــائتون) لشعرنا بملحظ التحريك ولو حتى فى مشهد النوم ..

وأذكر القارىء أن الكلمة فى القرآن هى مختارة بالدقة الكاملة لترسم المشهد بالصورة الحية وتعبر عنه — بجرس حروفها — خير تعبير.(وراجع فى نهاية الكتاب عنوان "جـــرس الكلمة"). ويأتى على خاطرى الآن ما قاله الشهيد : سيد قطب فى ظلال القرآن حـــول قوله تعالى﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ وكيف وقف على جرس كلمة (النعـــاس) والكلمتان بعدها (أَمَنَةً مِّنْهُ) **بفتحاتها المتوالية على الحروف والمبطئة للمشهد الذى يتناغم مع مشهد النعاس المحرك برقة وببطء إلى النوم ..** وزاد فى كتابه التصوير الفنى فى القرآن الكريم تعليقاً لطيفاً حول كلمة (أمنة) وكيف أنه لاحظ الفتحات المتوالية على

حروف هذه الكلمة التى كادت تنيم القارىء حال القراءة بها، وليجرِّب ذلك القارىء بنفسه وهو يقرأ (أَمَـنَـةً) منه ..بخلاف الإيحاء بالأمن مع النوم .. ويعلق أيضاً على المشهد الذى رسم فيه هذا الجو ، ورسمت فيه هذه الكلمات بهذه الرسمة الموجودة عليها فيقول:

ولفظ { يغشيكم } ولفظ { النعاس } ولفظ { أمنة } . . كلها تشترك في إلقاء ظل لطيف شفيف؛ وترسم الظل العام للمشهد ، وتصور حال المؤمنين يومذاك ، وتجلي قيمة هذه اللحظة النفسية الفاصلة بين حال للمسلمين وحال غيرهم.) **انتهى**

ونترك حديثنا عن (بَيِّنًا) لنقف على ملاحظة أخرى فى طريقنا وهى:

ملاحظة رسم كلمة (اليل) بحذف اللام .. أما رسم كلمة النهار فهى بإظهار الألف.. فإخفاء مع مشهد الإخفاء ، وإظهار مع مشهد الظهور. هكذا النص القرآنى بجرس كلماته ورسمها))

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ ﴾.يقول أبوالسعود: وعن ابن عامرٍ أنه همزةٌ تشبيهاً له بصحائف ومدائن ، و**الجعل بمعنى الإنشاء والإبداع** ، أي أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها (أسباباً) تعيشون بها (ولذلك تكتب "جاعل" جميعها بالألف ، بخلاف (خالق) التى تكتب بدون ألف لأن من معانيها التقدير والتصوير فقط .وهكذا كلمة (وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ)

(١) ﴿ طَٰٓئِرُهُمْ عندَ اللهِ ﴾ أي سبب خيرهم وشرهم عند الله

يقول أبو السعود: وقرىء إنما طيرُهم ، وهو اسمٌ جمعُ طائرٍ وقيل : جمعٌ له

(٢)﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ.. ﴾.**وقرىء جوّزنا** بالتشديد

(٣)﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ يقول الزمخشرى: وأنّ المتقين هذه عادتهم : إذا أصابهم **(أدنى) نزغ** من الشيطان وإلمام بوسوسته { تَذَكَّرُواْ }.(**لاحظ قولهم : "أدنى" وليس أعلى، وعلاقة ذلك بحذف الألف – كما فى قوله ولم "تك" شيئاً مذكورا–** ، وقد قال الإمام الزركشى فيه : أن من بداية ما يقال له شىء للتصغير والتقليل) فهكذا هنا (أقل طائف من الشيطان) فتصغير الكلمة وتقليل حروفها يتناسب مع صغر وقلة هذا الطائف الذى يحرك قلوب المؤمنين له وهو على أدنى مرحلة من هذه القلة ولا يتركونه حتى يستفحل).

ويقول أبو السعود: أدنى لَمّة منه ، أو من طاف به الخيالُ يطيفُ طيفـاً أي ألَمَّ (وهـذا سبب آخر للرسم- طيف الخيال من الشيطان-)، وقرىء طيفٌ على أنه مصدر (معـنى ثالث أراد به الإشارة إليه للتفرقة بين الاسم والمصدر) ، أو تخفيفٌ من طيِّف من الـواوي أو اليائي كهيّن وليّن ، والمرادُ الشيطان الجنسُ ((ولذلك حذف منه الألـف علـى إرادة الجمع الذى يعنيه.. وهكذا الإنســـن)) ولذلك جُمع ضميرُه فيما سيأتي ..

ويقول الطاهر: ، والطّيْف خيال يراك في النوم وهو شائع الذكر في الشعر .(ولذلك أرى أنها لاتصح حذف الألف فى طائف أهل الجنة فى سورة القلم - طاف عليها طائف من ربـك- وما حدث لهم من (طائف من ربك) فقد كان حقيقة لاخيالاً: فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فأصبحت كالصريم .. ولكن الطاهر يوضح ملفتاً آخر يفيدنا فى سبب الرسم لهذه الكلمة بالألف (طائف من ربك) حيث يقول: وعُدّي (طاف) بحرف (على) - طاف عليها - لتضمينه معنى : تسلط أو نزل .(وهذا سبب آخر فى الفرق بين الطائفين وسبب لوضع الألف هنا(طائف من ربك) وحذفها من طائف الشيطان)

(٢)﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْـتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَـنِ.﴾ . قرأ أبو بكر وحمزة ويعقوب (استُحق) الأوّلين) علـى الجميـع - وليس المثنى.. وحفص عن عاصم على المثنى(الأوليان).

الأنفال

(١)﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(٧) يقول الزمخشرى: وقرىء : «بكلمته» ، على التوحيد .

(٢)﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾وقرأ مجاهد : «وتخونوا أمانتكم» ، على التوحيد

التوبة

(١)﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (١٨) ﴾

يقول الزمخشرى: { مساجد الله } أي المسجدَ الحرامَ ، وإنما جُمع لأنه قِبلـةُ المـساجد وإمامُها ؛ فعامرُه كعامرها ، أو لأن كلَّ ناحيةٍ من نواحيه المختلفة الجهات مسجدٌ علـى حياله بخلاف سائرِ المساجدِ إذ ليس في نواحيهـا اخـتلافُ الجهـةِ ويؤيـده القـراءةُ بالتوحيد(مسجد)

(٢) ﴿**فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ (٨١).و يقول الزمخشري:

{خلاف رَسُولِ الله} خلفه .. لها معان

(١). يقال : أقام خلاف الحي . بمعنى بعدهم (٢) ظعنوا ولم يظعن معهم

(فهي على هذا المعنى تعبير مجازى، وبهذا يكون حذف الألف كما قلنا)، وتشهد له قراءة أبي حيوة : خلف رسول الله .

(٣) وقيل : هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض (وهذا يعني المعنى المعنوى وليس الخلف الذى هو (وراء الظهر)أيضاً)، وانتصابه على أنه مفعول له أو حال.

(٤)، أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له.(صورة الفعل).

((أربع أسباب لحذف الألف))

وركز الإمام الطاهر على الرأى الثالث فقال:. ومن نكتة اختيار لفظ خلاف دون خَلْف أنه يشير إلى أن قعودهم كان (مخالفة) لإرادة رسول الله حين استنفر الناس كلّهم للغزو (أى أن هذا الرسم يعطى المعنيين معاً، وهذا من روائع البيان فى استخدام اللفظ الذى يعطى المعانى الكثيرة فى آنٍ واحد)). ولذلك جعله بعضُ المفسّرين منصوباً على المفعول له ، أي بمقعدهم لمخالفة أمر الرسـول.) (ونقول فى النهاية أيضاً: أن هذه من لطائف الرسم حيث أنها لو كتبت بالألف فإنها حينئذ لاتحتمل إلا قراءة واحدة ، ولكنها بدون الألف احتملت القراءتين والمعنيين). وسنعودً لهذا اللفظ (خلاف) فى درس خاص.

(١)﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾.يقول ابو منصور يقول حمزة والكسائى: (إن صلاتك) وفى هود (أصلاتك) وفى المؤمنين (على صلاتهم) على التوحيد.. وقرأ حفص (إن صلاتك) و(أصلاتك) و(على صلواتهم) وقرأ الباقون (كلهن) على الجمع (صلواتك ، صلواتهم).. وقال الأزهرى: إن صلاتك تعنى دعاء.. أما (أصلاتك تأمرك) فمعناها (أعبادتك) وكله جائز: أصلاتك وأصلواتك

((وهنا لابد من وقفة لمراجعة الآيات بملحظ جديد))

يونس

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣)

الطاهر: وقوله : { أنهم لا يؤمنون } بَدل من (كلمة) أو من (كلمـات) . والمراد مضمون جملة أنهم لا يؤمنون .

وقرأ نافع ، وابن عامر { كلمات ربك } بالجمع . وقرأها الباقون بالإفراد ، والمعنى واحد لأن الكلمة تطلق على مجموع الكلام كقوله تعالى : { كلا إنها كلمة هو قائلها } [المؤمنون : ١٠٠] ، ولأن الجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات أو باعتبار تكرر الكلمة الواحدة بالنسبة لأناس كثيرين .((وهذا يعنى أنها ربما تكون كلمة واحده تكررت على الجميع أو كلمات الله وأوامره (مجاز) عن أوامره الكثيرة))

(١٢) ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ (١٦)..ألف صغيرة مكتوبة على نبرة إشارة إلى القراءة بالإمالة وإلى إصل الكلمة فى فعلها (يدرى)بالياء

ويقول الزمخشرى: وقرأ الحسن : «ولا أدراتكم به» على لغة من يقول : اعطاته وأرضاته ، في معنى أعطيته وأرضيته . وتعضده قراءة ابن عباس : «ولا أنذرتكم به» . ورواه الفراء : «ولا ادرأتكم به» وبالهمز . وفيه وجهان ، أحدهما : أن تقلب الألف همزة .. والثاني : أن يكون من درأته إذا دفعته ، وأدرأته إذا جعلته دارئاً . والمعنى : ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني . وعن ابن كثير : «**ولأدراكم به**» بلام الابتداء لإثبات الإدراء ومعناه : لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ، ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده ، فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلاً دون سائر الناس....

ويقول أبو منصور:قرأ نافع وحفص والحضرمى (أدراكم به) و (أدراك) — ١٤ مرة كلها فى قصار المفصل وكلها مسبوقة ب(ما) - بالفتح فى كل القرآن.. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بين الفتح والكسر . وقرأ أبو **عمرو وحمزة والكسائى (أدريكم به) كسراً حيث وقع**

هود

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ **ويقول الزمخشرى: وقرىء : «وبطل» على الفعل .**

يوسف

(١) ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

قرأ ابن كثير آية بغير ألف حمله على شأن يوسف ، والباقون { ءايات } على الجمع ؛ لأن أمور يوسف كانت كثيرة وكل واحد منها آية بنفسه .

(٢)﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ (١٠)﴾

يقول الرازى: قرأ نافع { فِي غَيَابَةِ الجب } على الجمع في الحرفين – أى : غيابـــات..، هذا والذي بعده ، والباقون { غَيَابَة } على الواحد في الحرفين

وقراءة أبي عمرو « ﴿ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾» بحذف الألف الآخرة . وقراءة الأعمش « ﴿ حشا لله ﴾ » بحذف الألف الأولى (ولعل هذا هـــو الـــسبب فى كتابتها بدون ألف "حَـٰشَ" لله)).

أبو منصور:

(١)﴿ وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ (بدون ألف). قرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم ، في رواية حفص { لِفِتْيَانه } بالألف والنون ، وقرأ الباقون { *لِفِتْيَتِه } . فقال أهل اللغة : الفتيان والفتية بمعنى واحد .. (حجة القراءات)..

(٢)﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ (٦١) ﴾

(٣)﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا (٦٤).﴾ حفص وحمزة والكسائى(حافظا) وقرأ الباقون (حفظا)

أما (سنرود) و (رودته) بدون ألف ، فأرى – والله أعلم – كتبت كذلك لتدل علـــى أنها مفاعلة من طرف واحد– وهى امرأة العزيز – لم يشترك فيها يوسف... ويقـــول الطاهر:. وقيل : المفاعلة تقديرية بأن اعتبر العمل من جانب والممانعة من الجانب الآخـــر من العمل بمنزلة مقابلة العمل بمثله ..(فمنها المحاولة والتكرار ومنه الثبات على حاله)..

(٤٧)﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ٨٠ .وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ ﴾ ابن كثير (استايسوا)..(ولا تايسوا) (حتى إذا استايس) بغير همز...وقرأ البـــاقون (فلمـــا استيأسوا) بالهمز(ولا تيأسوا) (حتى إذا استيأس) وكتبت (ولاتايئسوا) إنه (لايايئس). الطاهر: وقرأ البزي بخُلف عنه { ولا تأْيسُوا } و { إنه لا يَأْيس } بتقديم الهمزة علـــى الياء الثانية .

البحر المحيط: وقرأ الجمهور : تيأسوا ، وفرقة : تأيسوا . وقرأ الأعرج : تئسوا بكسر التاء . ((فلكل هذه القراءات كان لابد من حذف الألف وتوضع على هـــذا الرســـم الفريد لتناسب هذه الوجوه بحكمة عالية من الحكيم العليم)

الرعد

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ **الرازى**: قرأ نافع وابن كثير وأبـو عمـرو : {وَسَيَعْلَمْ الكافر} على لفظ المفرد والباقون على الجمع ، **قال صـاحب «الكـشاف» قرىء : (الكفار ، والكافرون ، والذين كفروا ، والكفر) أي أهله..**

لاحظ أن جميع لفظ الْكُفَّارُ بدون ألف

ويوضح أبو منصور الأمر: ﴿ **وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢)** ﴾ ... ابن كـثير ونافع وأبو عمرو(الكافر).- إسم جنس وهو أكثر- مثل كثر الدينار والدرهم. والباقون (الكفار).. وأيد الطبرى قراءة الجمع .. وقال ابن خالوية : من وحد فقد أراد به أبو جهل فقط .. ومن جمع فقد أراد كل الكفار.. وقال : إنما وقع هذا الخلف لأنه فى خط الإمام بغير ألف، وإنما هو الكفر) الحجة فى القراءات السبع وحجة القراءات

النحل

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ وقرأ الجمهور : بنياهم ، **وقرأت فرقة بنيتهم . وقرأ جعفر : بيتهم ، والضحاك : بيوهم .**

(٢)﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٢٨﴾..قرأحمزة (بياء وتاء فى الموضعين -٣٢-مع الإمالة.. وكذلك روى أبو عمارة عن حفص عن عاصم مثل حمزة

الأسراء

﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ **الطاهر: وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء {طيره}**

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾.

كتبت:لِيَسُـۥٓـُٔوا .. بدون نبرة للهمزة..

ويقول الألوسى والطاهر:: وقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص ، وأبو جعفر ، ويعقوب (**ليسوؤا**) بضمير الجمع مثل أخواته الأفعال الأربعة . وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، وأبو بكر عن عاصم ، وخلف (**ليسوء**) بالإفراد والضمير لله تعالى . وقـرأ الكـسائي(لنَسوء) **بنون العظمة . وتوجيهُ هاتين القراءتين من جهة موافقة رسـم المـصحف أن الهمزة المفتوحة بعد الواو قد ترسم بصورة ألف ، ، فالرسم يسمح بقراءة واو الجماعة على أن يكون الألف ألف الفرق ، وبقراءتي الإفراد على أن الألف علامة الهمزة ...**

ويقول أبو السعود: وفي قراءة علي رضي الله عنه : (لَنَسُوأنّ) على أنـه جـوابُ إذا ،

وقرىء (لَنسوأنْ) بالنون الخفيفة و(لَيسوأنّ).. وللقارىء معرفة الإجابة علـى السـؤال بنفسه.

(٣)﴿ كِتَبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا (١٣).﴾ .أمال القاف حمزة والكسائى

(٤)﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ (٣١) .﴾ . كتبت هكذا ، ولكن بدون نبرة تحت الهمزة.(وهنا – كما تعودنا – نبحث عن وجوه القراءات المحددة لوضع الهمزة)

ويقول الطاهر: وقرأ الجمهور(خطْأ) بكسر الخاء وسكون الطاء بعدها همزة ، أي إثماً . وقرأه ابن ذكوان عن ابن عامر ، وأبو جعفر { خَطَأ } بفتح الخاء وفتح الطاء . والخطأ ضد الصواب ، أي أن قتلهم محض خَطأ ليس فيه ما يعذر عليه فاعله .

وقرأه ابن كثير { خِطَاءً } بكسر الخاء وفتح الطاء وألف بعد الطاء بعده همزة ممـدوداً . وهو فعال من خَطِيء إذا أجرم ، وهو لغة في خِطْء ، وكأن الفعال فيها للمبالغة

وزاد الألوسى: وقرأ الحسن { *خطاء } بفتح الخاء والطاء مع المد وهو اسـم مـصدر أخطيء كالعطاء اسم مصدر أعطى ، وقرأ الزهري . وأبو رجاء { *خطا } بكسر الخاء وفتح الطاء وألف في آخره مبدلة من الهمزة وليس من قصر الممدود لأنه ضرورة لا داعي إليه ،وفي رواية عن ابن عامر أنه قرأ { *خطا } كعصا – أى أنه لايوجد همزة فى هاتين القراءتين–.

.(وهنا وبعد استعراض هذه القراءات يتبين لنا لماذا لم توضع الهمزة على نبرة ، وكأنه لايوجد لها مكان مستقر مع هذه القراءات)

(٤)﴿ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ .﴾ ..و عن أبوالسعود: { خلافك } أي بعدك قال: خلت الديارُ خِلافَهم فكأنما ... بسَطَ الشواطِبُ بينهن حصيراً

أي لو خرجتَ لا يبقون بعد خروجك وقرىء خلفك.

وزاد الألوسى : وقرأ أهل الحجاز . وأبو بكر . وأبو عمرو { خَلْفَكَ } بغير ألف والمعنى واحد

(٥)﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾.﴾.

وكتبت هكذا(وَنَـَٔا).. ولكن بدون نبرة للهمزة..ويقول الألوسى: وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان { *وناء } هنا وفي فصلت٥١ وهكذا تجد أنه لايوجد مكان ثابت للهمزة،.

وزاد أبو منصور: وروى يحيى عن أبى بكر (ونائى)بوزن (ناعى).. وكذلك روى خلـف عن سليم عن حمزة وروى الكسائى عن أبى بكر عن عاصم (ونئى)بكسر النون والهمزة.. ويقول : فإنه لما أمال الهمزة كسر النون والهمزة ليتبع الكسرة.. والتفخيم أفصح اللغتين.

الكهف

(١)وعن الألوسي:﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ وقرأ الحرميان . وأبو عمرو: { تَزَّاوَرُ } بفتح التاء وتشديد الزاي وقرئ:{ *تزور } كتحمر .. عن أبي أيوب { *تزوار } كتحمار وهو في البناء كسابقه ، وقرأ ابن مسعود . وأبو المتوكل {*تزوئر} همزة قبل الراء المشددة كتطمئن ،

(٢) ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ يقول الرازى: قرأ ابن عامر بالغُدوة بضم الغين والباقون بالغداة وكلاهما لغة . المسألة الثانية : في قوله : { بالغداة والعشى } وجوه : الأول : المراد كونهم مواظبين على هذا العمل في كل الأوقات كقول القائل : ليس لفلان عمل بالغداة والعشي إلا شتم الناس (هو يشير إلى أنها ليست المقصودة بالوقت المعلوم فقط ولكنها تعبير (مجازى) عن الوقت كله)

(٣)﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾(٧٧)يقول الطاهر: وقرأ الجمهور { لاتّخذتَ همزة وصل بعد اللام وبتشديد المثناة الفوقية على أنه ماضي (اتخذ) .وقرأ ابن كثير ، وأبو عَمرو ، ويعقوب لتَخذْتَ بدون همزة على أنه ماضيِ (تَخذ) المفتتح بتاء فوقية.

(٤) ﴿ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩).

الثاني :فَلَا تُصَٰحِبْنِي الكل قرأوا : { لا تُصَاحِبْنِى } بالألف إلا يعقوب فإنه قرأ : (لا تصحبني) من صحب والمعنى واحد

(١) ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥)..قرأ حمزة والكسائى (ثلاثمائة) مضافة.. وقرأ الباقون (ثلثمائةٍ سنين) منونة (ثم راجع باقى كلام أبو منصور فى توجيه الإعراب ورد الشبهة)

(٣)﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾..أمال الكسائى السين

مريم

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ ﴾{ تساقط } فيه تسع قرآت : «تساقط» بإدغام التاء . و«تتساقط» بإظهار التاءين . و«تساقط» بطرح [التاء] الثانية . و«يساقط» ، بالياء وإدغام التاء . و«تساقط» و«تسقط» و«يسقط» ، و«تسقط» ،

و«يسقط» التاء للنخلة ، والياء للجذع .((**أرجوا من القارىء أن يتأمل فى هذه القراءات ، ونذهب سوياً لنسأل هؤلاء الذين يتنكرون لرسم المصحف بحجة أنهم وجدوا بعض الرسم مختلف فى بعض المصاحف التى لم تصل إلى حد التواتر باعترافهم ، وهذه الكلمات قليلة العدد ولاتتعدى أطراف الأصابع – كما رأينا وسنرى فى رحلتنا إن شاء الله– ونقول لهم أيهما أولى بصدق العزيمة والهمة فى البحث والتدبر ؟.**).

(١) ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى..﴾ وكان حقها تكتب الهمزة على ياء (ورائى) ولكن ذلك لم يحدث لما تعودنا عليه بعد البحث فى علم القراءات والتى روى عبيد عن شبل عن ابن كثير (وراى).... أبوالسعود: وقرىء ورايَ بالقصر وفتح الياء.

ولاحظ أن معنى: { من ورائي } أى:من بعد حياتي .وليس بمعنى الخلف المعلوم وراء الظهر(فهو على المجاز أيضاً).

(٣)﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾(٧٤) **وكان حقها أن تكتب**(وَرِئْيًا) ويقول الألوسى: ...
وقرأ الزهري . وأبو جعفر . وشيبة . وطلحة في رواية الهمداني . وأيوب . وابن سعدان . وابن ذكوان . وقالون { *ريا } بتشديد الياء من غير همز فاحتمل أن يكون من ذلك على قلب الهمزة ياء وإدغامها . واحتمل أن يكون من الري ضد العطش والمراد به النضارة والحسن . وقرأ أبو بكر في رواية الأعمش { *ريئا } بياء ساكنة بعدها همزة وهو على القلب ووزنه فلعا ، وقرىء { *رياء } بياء بعدها ألف بعدها همزة حكاها اليزيدي . ومعناها كما في «الدر المصون» مراءاة بعضهم بعضاً .

وقرأ ابن عباس أيضاً . وابن جبير . ويزيد البربري . والأعصم المكي { *زيا } بالزاي وتشديد الياء وهو المحاسن المجموعة يقال : زواه زيا بالفتح أي جمعه ، ويراد منه الأثاث أيضاً **والظاهر في الآية المعنى الأولى .**

(**ولاداعى – بعد هذا العد لوجوه القراءات – لإعادة السؤال: لماذا كتبت الهمزة هكذا أو لماذا حذف الحرف أو زيد؟**)

طه

و عن الزمخشرى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ ﴾ وقرىء «أنجيتكم» إلى (رزقتكم) ، وعلى لفظ الوعد والمواعدة..أبو السعود: وقرىء واعدتُكم ووعدناكم.. قرأ حمزة والكسائى (أنجيتكم.. ووعدتكم.. ورزقتكم) ثلاثتهن بالتاء
﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا.﴾ ..ابو منصور : قرأ الكوفيون(مهدا).. وفى الزخرف:
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)﴾.. وقرأ

الباقون (مهادا).. ملحوظة: كتبت بدون ألف – ولو حتى الألف الصغيرة – فى السورتين . وهذه من إعجاز الرسم الذى تعدى القراءات. (وسنعيشه فى باب خاص تحت هذا العنوان ومقارنته بكلمة: لهم من جهنم مهاد – بالألف– على الصفحات التالية).مع ملاحظة أن رسم كلمة (فراشاً) كتبت بغير ألف ظاهرة ولكنها كتبت بالف صغيرة ، لترسم فى الذهن لوحة فنية تفرق بين المهاد والفراش.

(٢) ﴿قَالُوا إِنْ هَذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ.﴾ .أبوالسعود: وقرىء بتشديد نون هذان ، وقيل : هي نافيةٌ واللامُ بمعنى إلا أي ما هذان إلا ساحران ، وقرىء إنّ بالتشديد وهذان اسمُها على لغة بلحارث بن كعب فإنهم يُعربون التثنيةَ تقديراً ، وقيل : اسمُها ضميرُ الشأن المحذوفُ وهذان لساحران خبرُها ، وقيل : إن بمعنى نعم وما بعدها جملةٌ من مبتدأ وخبر وفيهما أن اللامَ لا تدخُل خبرَ المبتدأ ، وقيل : أصله إنه هذان لهما ساحران فخذف الضمير وفيه أن المؤكدَ باللام لا يليق به الحذفُ ، وقرىء إن هذين لساحران وهي قراءةٌ واضحة..(بلاحظ هنا تعدد القراءات التى تستدعى حذف الألف لتناسب جميع القراءات فى – هذان ، هذين – ولنا وقفة أخرى معها فى باب قادم إن شاء الله).

وكذلك (فذنك برهانان)

(٣)﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾(٦٩) حمزة والكسائى الأولى بغير ألف

(٤)﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا ﴾ (٧٧) ..قرأ حمزة وحده (لاتخف)على الجزم

(٥)﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَٰافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) ﴾

الأنبياء

(١)﴿ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾(٥٨) يقول الزمخشري:وقرىء بالكسر والفتح . وقرىء : «جَذَذَاً» جمع جَذيذ ، و«جذذاً» جمع جذة.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)﴾يقول الزمخشرى: وقرىء : «حرم» و«حرم» ، بالفتح والكسر . وحرّم وحرّم{ وَحَرَمٌ على قَرْيَةٍ } أي ممتنعٌ على أهلها غيرُ متصوَّر منهم ، وقرىء حِرْمٌ وهي لغة كالحِل والحلال

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْل فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ..﴾ (١١١)

(٦)﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾
(وحفص عن عاصم قرأها (قال))

(٧)﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)﴾ الحج..
وأما من نصب التى فى الحج وجر التى فى فاطر فلأن مصاحف أهل البصرة والكوفة اجتمعت على الألف(ولؤلؤا) فى الحج .. وعلى حذف الألف فى فاطر فاتبعوا رسم المصحف (ولكنها مكتوبة بألف فى المصاحف معنا) وهذه لها بحث خاص سنعيشه على الصفحات القادمة

(٩) ۞﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ وقُرِىء يدفعُ والمفعولُ محذوفٌ

(١٠)﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ ﴾. وقُرِىء على صيغة المبنيِّ للفاعلِ أي يُريدون أنْ يُقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويَحرصون عليه..

(١١)﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ (٤٥) وقُرِىء (أهلكتُها) (١٢)
﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾.. ﴾..ابن كثير وأبو عمرو بغير ألف.. وكذلك فى سبأ((وهذه لها بحث خاص وهام جداً)

المؤمنون

(١) :﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ قرأ نافع وابن كثير { لأمانتهم }
واعلم أنه يسمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهداً.. ويقول أبو منصور: ابن كثير (لأمانته) واحدة.. وكذلك فى سورة(واقع)... وهكذا (صلاتهم) قرأها بالإفراد حمزة والكسائى

(٢) المرتبة الخامسة : قوله :﴿ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ﴾ وقرأ ابن عامر (عظماً) والمراد منه الجمع كقوله : { والملك صفًا صفاً } .

(٣)﴿ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع ، وقرىء (سمراً) و(سامراً) يهجرون . وقرىء : «سمراً» و «سماراً»
وقُرِىء سَمَراً وسُمَّاراً (أبو السعود)

﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾. حمزة والكسائى (قل) للإثنين .. وابن كثير (قل كم لبثتم)، (قال إن لبثتم).. والباقون (قال) فى الإثنين

النور

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ﴿٤٣﴾﴾. ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِه ﴾أي من فتوقه... والخِلالُ جمع خَلَلٍ كجبَالٍ وجَبَلٍ ، وقيل : مفردٌ كحِجاب وحِجاز ويؤيِّده أنَّه قُرئ من خَلَله.و(أبوالسعود) قرىء : «من خلله»

الفرقان

(١)﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ قرىء : «الريح» و «الرياح نشرا» : إحياء . (وهذه لها بحث خاص وهام) .

(٢)﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ وقرىء : «سرجا» وهي الشمس والكواكب الكبار معها ..... الطاهر: وقرأ حمزة والكسائي { سُرُجاً } بضم السين والراء جمع سراج فيشمل مع الشمس النجوم ، فيكون امتناناً بحسن منظرها للناس كقوله { ولقد زيَّنّا السماء الدنيا بمصابيح } [الملك : ٥] ((وأقول أنه ملحظ جميل يتناسق مع سياق الآيات المفصل كما سنوضحه فى مكان آخر)

(٣)﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ قرىء : ذريتنا و«ذرياتنا» و«قرة أعين» و «قرّات أعين» وقد وضحنا لماذا لم تفتح تاء (قرة) وتكتب (قوت) وكيف أن الرسم هنا (يهيمن على القراءات ويرجح الأوفق منها)

الشعراء

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.يقول أبوالسعود: وقُرىء حَذِرون .. فالأوَّلُ دالٌّ على التَّجدُّد ، والثَّاني على الثَّبات وقيل : الحاذرُ المؤدِّي في السِّلاحِ . وقُرىء حادرون بالدَّال المُهملة أي أقوياءُ وأشدَّاءُ وقيل : مدجَّجون في السِّلاحِ قد أكسبَهم ذلك حَدارةً في أجسامِهم .

(٢)﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾﴿٦١﴾ كتبت (تَرَٰٓءَا) هكذا...قرأ حمزة وحده بكسر الراء ، ثم يأتى بألف ممدودة بعد الراء ، ولايهمز فى الوقف (كسر الراء لغة لبعض العرب)....... ويقول الألوسى: وقرأ الأعمش . وابن وثاب { *تراً } بغير همز على مذهب التخفيف بين بين ، .. . وقرأ حمزة { *تريئي } بكسر الراء وبمد ثم بهمز ، وروى مثله عن عاصم وروى عنه أيضاً { *تراىء } بالفتح والمد ، وقال أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري في كتابه الإقناع { التقى الجمعان } في الشعراء إذا وقف عليها حمزة . والكسائي أما لا الألف المنقلبة عن لام الفعل ، وحمزة يميل ألف تفاعل وصلاً ووقفاً كإمالة الألف المنقلبة .وقرىء { فَلَمَّا تَرَاءت } الفئتان .

((ومن هنا يعلم للناظر فى وجوه هذه القراءات إختلافَ موقع المد بالألف واختلاف موقع الهمزة فكان هذا الرسم الجامع لكل هذه القراءات وليتأمله القارىء جيداً)

(٢) ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾﴿١٤٩﴾ الألوسى:أي أشرين بطرين كما روي عن ابن عباس . ومحمد بن العلاء ، وجاء في رواية أخرى عن ابن عباس تفسيره بنشطين مهتمين ، وقال أبو صالح : أي حاذقين وبذلك فسره الراغب ، وقال ابن زيد : أي أقوياء ، وأنت تعلم أن هذه الجملة داخلة في حيز الاستفهام السابق والأوفق به على القول الأول القول الأول وعلى القول الثاني كل من الأقوال الباقية وكلها سواء في ذلك إلا أنه يفهم من كلام بعضهم **أن الفراهة حقيقة في النشاط مجاز في غيره** وعليه يترجح تفسيره بنشطين إذا أريد التذكير .وقرأ عبد الله . وابن عباس . وزيد بن علي . والكوفيون . وابن عامر { فارهين } بالف بعد الفاء ، وقراءة الجمهور(بدون ألف)
أبلغ لما ذكروا في حاذر وحذر . وقرأ مجاهد { *متفرهين } .

(٣)﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾﴿١٧٦﴾

.. من قرأ(ليكة)جعلها اسم بقعة و لم يُجرَها لأن آخرها هاء التأنيث.. ومن قرأ (الأيكة) أجراها لدخول الألف واللام عليها.. وأما الغيضة) التى تضم الشجر فهى (الأيكة)والجمع الأيك والفصل بين جمعه وواحده الهاء

النمل

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾. وقرىء : «طيركم» أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم ((أى أن هناك معنى آخر وهو المجاز بجانب توجيه القراءات – كما ذكر–)...

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٦٦) (بغير الألف هكذا (إدرك))..الزمخشرى: وقرىء : «بل أدَّرك» ، «بل ادَّراك» ، «بل ادَّارك» ، «بل تدارك» ، «بل أأدرك» بهمزتين «بل آأدرك» ، بألف بينهما . «بل أدرك» ، بالتخفيف والنقل «بل ادّرك» بفتح اللام وتشديد الدال . وأصله : بل أدّرك؟ على الاستفهام «بلى أدرك» ، «بلى أأدرك» ، «أم تدارك» ، «أم أدرك» فهذه ثنتا عشرة قراءة :

((وأرجوا من قارئنا الكريم أن لاينسى هذه الوجوه المتعددة على كلمة واحدة، ويتذكر ما يردده هؤلاء حول كتابة بعض الكلمات المعدودات برسمين مختلفين ويجعلون ذلك مطعناً فى إعجاز الرسم !!، ولا أدرى كيف يكيلون بمكيالين فى التعامل مع كتاب الله))

(٤)﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ النمل(٨١)﴾ : قرأ حمزة وحده (تهدى) وكذلك فى الروم.. والباقى وقفوا على التى فى النمل(بهادى) ولها تفصيل خاص.

القصص

(٥)﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨﴾عاصم وحمزة والكسائى (سحران) بغير ألف ..عنوا التوراة والإنجيل، أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر . أو أرادوا نوعان من السحر.... والباقون (ساحران).

الألوسى: وقرأ الأكثرون { *ساحران } وأراد الكفرة بهما نبينا وموسى عليهما والسلام.

الطاهر: وقرأ الجمهور { ساحران } تثنية ساحر . وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف { قالوا سِحْران } على أنه من الإخبار بالمصدر للمبالغة ، أي قالوا : هما ذوا سحر .

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأه(قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) بمعنى: كتاب موسى وهو التوراة، وكتاب عيسى وهو الإنجيل.

وإنما قلنا: ذلك أولى القراءتين بالصواب، لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب، وهو قوله:(قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى) والذي يليه من بعده ذكر الكتاب، وهو قوله:(فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ) فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره. وإذ كان ذلك هو الأولى بالقراءة، فمعلوم أن

معنى الكلام: قل يا محمد، أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل؟ وقالوا لما أوتي موسى (١) من الكتاب وما أوتيته أنت: سحران تعاونا؟

وفى الألوسى والبحر المحيط: وقرأ طلحة ، والأعمش : اظاهرا ، بهمزة الوصل وشد الظاء ، وكذا هي في حرف عبد الله ،

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ (كتبت فى المصحف بدون ألف). ويدل عليه قراءة من قرأ: فرغا . وقرىء : «قرعا» أي خالياً من قولهم : أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء . وفرغاً ، من قولهم : دماؤهم بينهم فرغ ، أي هدر ، يعني : بطل قلبها وذهب ، وبقيت لا قلب لها من شدّة ما ورد عليها.

ويجوز : وأصبح فؤادها فارغاً من الهم ، حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأن ولدها؛ لأنها لم تملك نفسها فرحاً وسروراً بما سمعت ، لولا أنا طامنا قلبها وسكنّا قلقه الذي حدث به من شدّة الفرح والابتهاج ، لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه .

العنكبوت

﴿وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾يقول الزمخشرى: قرىء «آية» و«آيات» أرادوا : هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك

الروم

(١) ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ(٢٩)﴾ .الروم.. كتبت بالواو بعدها ألف (ليربوا).. وقال الأزهرى:من قرأ(ليربوَ) بالياء- كلهم ماعدا نافع ويعقوب- لم يثبت الألف – مفرد – ومن قرأ (لتربوا)- أى أنتم -كتبه بالألف.. اعتبرها واو الجمع.. وكان أصلها تربون وسقطت النون علامة النصب

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾﴿٥٠﴾

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم { إلى أثر } بالإفراد

لقمان

﴿أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾.. وقرىء : «وفصله»

الأحزاب

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴿٤﴾﴾

وتظاهرون : من ظاهر . وتظاهرون . من اظاهر، بمعنى تظاهر . وتظهرون : من اظهر، بمعنى تظهر . وتظهرون : من ظهر ، بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد . وتظهرون : من ظهر ، بلفظ فعل من الظهور . ومعنى ظاهر من امرأته : قال لها : أنت عليّ كظهر أمي

(١) كتبت (ٱلَّٰٓـِٔى) ولكن الهمزة ليست على نبرة..قرأ ابن كثير ونافع ويعقوب (اللاء تظَّهَّرون).. وقرأ أبو عمرو (اللاى).. وكذلك قرءوا فى المجادلة والطلاق....وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمرو ويعقوب (تظَّهَّرون) وابن عامر (تظَّاهرون)..وعاصم (تُظاهرون) ..وحمزة والكسائى(تَظاهرون)

(٢) الظنونا .. الرسولا .. السبيلا..كانت قواريا (اختلفوا فى قراءتها وصلاً ووقفاً. ولكنهم اتفقوا على السبيل– الآية الرابعة من الأحزاب – كما هى مرسومة فى المصحف – بدون ألف (وهذا ملحظ هام نحتاجه على الصفحات التالية).

(٣) ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ٢٠﴾ كتبت ((يسـئلون) ولكن الهمزة ليست على نبرة . وهنا يتبين لنا السبب بعد الوقوف على أوجه القراءات فى الكلمة هكذا: وقرأ يعقوب وحده (يسَّاءلون).. وأصلها يتساءلون.. ومن هذا يتبين عدم استقرار الهمزة على نبرة لوجود هذه القراءات .. وهى لمحة آسرة من آيات الذكر الحكيم

(٤) ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر(نُضعِّف).. وابوعمرو ويعقوب(يُضعَّف) والباقى (يضاعف).

سبأ

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥)﴾ وقُرِىءَ بلفظ الجمعِ أي مواضعَ سُكناهم وهي باليمنِ يقال لها مَأْرِبُ بينها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاث ليالٍ

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا (١٩)﴾ وقرىء : «ربنا باعد بين أسفارنا» وبعد . وقرىء :. «ربنا بعِّد بين أسفارنا» وقرىء : «ربنا باعد بين أسفارنا» و... «بين سفرنا»

﴿ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾(١٧)..... وقُرِىء يُجازِي على البناء للفاعل وهو الله عزَّ وجلَّ . وهل يُجازَى على البناء للمفعول ورفعِ الكفورَ ، وهل يُجزى على البناء للمفعول أيضاً .

﴿قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ ((متواصلة)) يُرى بعضُها من بعضٍ لتقاربها؛ (فهي ظاهرة لأعينُ أهلها) ، أو راكبة متنَ الطريق ظاهرة للسَّابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتَّى تخفى عليهم...فالظهور هنا "مجازى" وبمعنى (التواصل واللصوق) وغير بعيدة (ليس لها عمق) ولذلك حسن حذف الألف الفارقة والمباعدة

(٣)﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ (٣٧) ﴾.وعن أبوالسعود: وقُرِىء جزاءً الضِّعفُ أي فأولئك لهم الضِّعفُ جزاءً ، وجزاءٌ الضِّعفَ على أنْ يجازوا الضِّعفَ، وجزاءٌ الضِّعفُ بالرفع على أنَّ الضِّعفُ بدلٌ من جزاءٌ... وقُرىء في الغُرفة على إرادة الجنسِ(حمزة وحده)..

وهنا نقول أن كلمة جزاء لم تكتب على صورة التفخيم (جزاؤا) – كما فى الآيات الأخرى رغم تطابق الشرط فيها وهو قوله (جزاء الضعف) – وذلك لتتوافق مع القراءة التى قرئت بالتنوين (جزاءٌ)(جزاءً) وبدون الإضافة على أنَّ الضِّعفُ بدلٌ من جزاءٌ.

فاطر

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ (٤٠)﴾ ..يقول أبوالسعود: وقُرِىء على بيِّناتٍ

يس

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ (٥٥)﴾ وعن أبو السعود: وقُرِىء فكهون للمبالغة وفَكُهون بضمِّ الكاف وهي لغةٌ كنطُس ، وفاكهينَ وفكهِين على الحالِ من المستكنِّ في الظَّرف . والفاكهة من التفكه.. وقيل فاكهون ذوو فاكهة

(٣)﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (٥٦) ﴾والظِّلالُ جمع ظلَ كشعاب جمع شعب أو جمع ظُلَّة كقباب جمع قُبَّة ويؤيده– قراءة حمزة والكسائى– في ظُللٍ (والأرائك جمعُ أَريكة وهي السَّريرُ المزين بالثياب والسُّتورِ قال ثعلبٌ : لا تكون أريكةٌ حتى تكون عليها حجلةٌ، وهذا الارتفاع وهذا الظهور والتزين يناسبه ظهور الألف فى الأرائك)

(٥)﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٨١) .الحضرمى وحده (يقدر).. وكذا فى الأحقاف(وهذه لها بحث كامل إن شاء الله على الصفحات القادمة)

الصافات

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)﴾ (٧٠)،(فهى آثار مجازية ، وليست آثار حقيقية)

ص

﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾(٤٥)..ابن كثير وحده (عبدنا).. خالفت القاعدة فى عباد الرحمن .. وكل كلمة عباد بالألف ماعدا ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى (٢٩)﴾) وهذه الأخرى وَاذْكُرْ عِبـــدَنَا..... وفى الزخرف:﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا .﴾.١٩ الزخرف.....قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقـــوب وابو جعفر(هم عند الرحمن) .. أما فى الفرقان (عباد الرحمن) بالألف .. لأنه يقـــصد البشر الذين يمشون على الأرض وليس الملائكة الذين هم "عند" الرحمـــن.

وفى الزخرف (ياعباد لاخوف عليكم....٦٨.. نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر (ياعبادى) بالياء فى الوقف والوصل... وفتحها عاصم فى رواية أبى بكر .. وحذفهاابن كثير وحفص وحمزة والكسائى فى الوصل والوقف

وأرجو من القارىء مراجعة كلمة(عباد) على الصفحات القادمة..

الزخرف ٥٨..﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨)﴾..كتبت((ءاالهتنا) ..قرأ ابن كثير وابوعمرو وابن عامر ويعقوب (آلهتنا)– حذف حرف الإستفهام–لدلالة أم عليها–والباقون (أآلهتنا) بهمزتين بعدهما مدة (الهمزة الأولى للإستفهام .. والثانية همزة الجمع .. والثالثة همزة أصلية)

قرأ ابو بكر وحمزة والكسائى (أأعجمى وعربى.) والباقون (آاعجمى) بهمزة مطوله..

وقرأ قنبل ورويس (أعجمى) بهمزة واحدة وكتبت فى المصحف هكذا(ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ) لتشير إلى هذه الحيرة فى وضع الهمزة.مع ملاحظة وضع علامة ألف الوصل على الألف

.. وهذا هو الإعجاز فى رسم الكلمة التى تحافظ على كل أنواع القـــراءات بإشـــارة معجزة

الزمر

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ الزمخـــشرى: وقـــرىء : «كـــذاب وكذوب»، ولذلك لم يثبت الألف.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ (سَاجِدًا وَقَائِمًا) يقصد بهما مشهد الحركة بهما فى الليل بدلاً من السكون والهجوع فيه، وهذه (الحركة) المقصودة هـــى الـــتى يصورها وضع الألف – كما هو متعارف عليه – وسنراه كثيراً – فى رسم المصحف.

غافر

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَت رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كفرُوا (٦) ﴾وقرىء : «كلمات» .

فصلت

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾وقرىء «من ثمرات من أكمامهن»..ا الـــسعود: وقُرِىءَ من ثمرةٍ على إرادةِ الجنسِ والجمعُ لاختلافِ الأنواعَ . وقـــد قُـــرِىءَ بجمـــعِ الضميرِ أيضاً ،

كبائر (قرأها حمزة والكسائي (كبير).

الأحقاف ١٥﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَـــنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَـــعَتْهُ كُرْهًـــا وَحَمْلُهُ وَفِصَـــٰلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ ....قرأ يعقوب وحده (وفصله)

والله يعلم إسرارهم ..قرئت (أسرارهم)... ومحمد٣٨ (هَـٰٓأَنتُمْ)..بألف صغيرة بعـــدها ألف مهموزة وطويلة ..وقد قرئت أبي عمرو(ها أنتم).. وابن كثير (هأنتم)

﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ الأحقاف.

(هى أولاً على المجاز وليس بمعنى البقية المادية. وثانياً: قرأ علي . وابن عباس رضـــي الله تعالى عنهم بخلاف عنهما . وزيد بن علي . وعكرمة . وقتادة . والحسن . والسلمي . والأعمش . وعمرو بن ميمون { أثارة } بغير ألف وهي واحدة جمعها أثر كقترة وقتـــر ، وعلي كرم الله تعالى وجهه . والسلمي . وقتادة أيضاً بإسكان الثاء وهي الفعلة الواحـــدة مما يؤثر أي قد قنعت منكم بخبر واحد أو أثر واحد يشهد بصحة قولكم؛ وعن الكسائي ضم الهمزة وإسكان الثاء فهي اسم للمقدار كالغرفة لما يغرف باليد ، أي ائتوني بشيء ما

يؤثر من علم ، وروي عنه أيضاً أنه قرأ { أثارة } بكسر الهمزة وسكون الثاء وهي بمعنى الأثرة بفتحتين .

محمد

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) ﴾

وقرىء : «قتلوا» بالتخفيف والتشديد : وقتلوا . وقاتلوا .

الفتح

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)﴾ وقرىء : وبما عاهد وعهد

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ (١٥)﴾ حمزة والكسائى((كلم الله)) بكسر اللام بغير ألف

(١) ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ .﴾. كتبت (شَطْـَٔهُۥ) بدون ألف و الهمزة ليست على نبرة..ونعرف السبب فى ذلك بعد استعراضنا للقراءات فى ذلك ..يقول الألوسى: وقرأ ابن كثير . وابن ذكوان { شَطْأَهُ } بفتح الطاء . وقرأ أبو حيوة . وابن أبي عبلة . وعيسى الكوفي كذلك وبالمد . وقرأ زيد بن علي كذلك أيضاً وبالف بدل الهمزة .... ، **وقرأ أبوجعفر { شطه } بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الطاء** ، .. ، **وعن الجحدري أيضاً { شطوه }** بإسكان الطاء وواو بعدها ،.......أ **السعود: وقرىء** (شَطَأَه) **بفتحات . وقرىء** (شَطَاه) بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشَطَاءَهُ بالمدِّ ، وشَطَه بحذفِ الهمزةِ ونقل حركتها إلى ما قبلَها و(**شَطْوَه**) بقلبها واواً

ق

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ (٤٠) ﴾.

وواضح من ذلك أنه لايعنى الدبر الذى بمعنى الظهر.- أى على المجاز فحذف الألـــف-. بخلاف قوله : فلا تولوهم الأدبار- أى الظهور على الحقيقة- ولذلك كتبت بالألف

الذاريات

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (١) فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا (٢) فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا (٣) فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا (٤) ﴾

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥)﴾ وقرىء : «ســلاما» قــال «سلما» والسلم : السلام . وقرىء «سلاما قال سلم» وجعله في «البحر» على معنى نحن

أو أنتم سلم ، وقرأ الجمهور : { قال سلام } . وقرأه حمزة والكسائي { قال سِلْم } بكسر السين وسكون اللام .

النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١)﴾ ابن كثير وعاصم وابن عامر هذه السورة كلها بفتح أواخر آياتها.. وقرأ نافع وأبو عمرو بين الفتح والكسر.. وقرأحمزة والكسائي بالكسر.. وكان يميل(رآه) و (رأى).. وقرىء (بالأفق الأعلى) و(دنا فتدلى)ممالة

(٢) ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ حمزة والكسائي(أفتمرونه)

(٣) ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ (٢٠) ابن كثير والأعشى عن أبي بكر عن عاصم (ومناءة).. وقرىء : «ومناءة» وكأنها سميت مناة لأنّ دماء النسائك كانت تمنى عندها ، أي : تراق ،

(٤) ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١)﴾ ..قرأ نافع وأبو عمرو والحضرمى (عاداً لولى) مدغمة التنوين موصولة الألف.. وروى عن نافع لؤلى.. أما أبو عمرو فإنه لم يهمز

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ الهمزة ليست على نبرة

• ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾.حمزة والكسائى (بموقع النجوم) ..ويقول الطبرى: واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة بموقع على التوحيد، وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بمواقع: على الجمع.

﴿إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ

وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (كتبت بدون ألف).قرأحمزة (ينتجون).. ويعقوب الحضرمى (فلا تنتجوا.. وينتجون)

(٥) ﴿تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ ﴾ عاصم فقط والباقون بدون ألف(المجلس)

الملك: ﴿ (مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ﴾ قرأ حمزة والكسائى(من تفوت) { مِن تفاوت } وقرىء : «من تفوت» ، ومعنى البناءين واحد ، كقولهم : تظاهروا من نسائهم . وتظهروا . وتعاهدته وتعهدته ، أي : من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض؛ إنما هي مستوية مستقيمة .(((وأقول أن هذا الرسم يعطى القراءتين مع إرادة

المعنيين وهما: لاتجد تفاوت فى المظهر الخارجى فى السماء ، ولا فى إحكام وإتقان الصنعة من الداخل.. وهذا من قمة الروعة والإبهار يشير إليه رسم الكلمة)))

(٦) أأمنتم .. مكتوبة (ءأمنتم).. قرأ ابن كثير (وأمنتم)بترك همزة الإستفهام.. وأبو عمرو ونافع (ءأمنتم).. عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر (أأمنتم).. ولهذه الأسباب وضعت الهمزة الأولى على السطر ولم توضع على الألف.

المطففين

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌ﴾ (٢٦)الطبرى: خِتَامُهُ – بدون ألف – وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار:(خِتَامُهُ مِسْكٌ) سوى الكسائيّ، فإنه كان يقرأه(خاتَمَهُ مِسْكٌ) .

الفجر

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾﴾ وقرأ أبيّ : «ائتي ربك راضية مرضية ، ادخلي في عبدي».

وقرأ ابن عباس : «فادخلي في عبدي» ، وقرأ ابن مسعود : «في جسد عبدي»

المعارج

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ الزمخشرى: وقرىء : «برب المشرق والمغرب» ولها وقفة هامة على الصفحات القادمة.

الإنسان

﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴿٢١﴾﴾ الطاهر: وقرأ نافع وحمزة وأبو جعفر { عَالِيْهِم } بسكون الياء ...وقرأ بقية العشرة { عَالِيَهم } بفتح التحتية على أنه حال مفرد(ولها توجيه آخر)

النبأ

(كذابا بالألف وبدون ألف) ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾﴾ ((وهذه لها وقفة هامة جداً فى شرحنا بعنوان خاص لها على الصفحات التالية))

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾. قرىء : «بشهادهم» «وبشهاداهم»

﴿ مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴿٢٥﴾ ﴾.نوح. وقُرِىءَ مِمَّا خَطَايـاهُم ، ومِمَّـا خطياتهِم أي بسببِ خطيئاتهم المعدودةِ وغيرهَا من خطاياهُم

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ .. الهمزة بدون نبرة.. { هِيَ أَشَـدُّ وَطْأً} أي هي خاصَّةٌ أشدُّ ثباتَ قدم ، أو كلفةً — أى مشقة – فلا بدَّ من الاعتناء بالقيام. وقرىءَ وِطاء ؛ أي أشدُّ مواطأةً يواطىءُ قلبها لسانَها إن أريدَ بها النفسُ ، أو يواطىءُ فيها قلبُ القائمِ لسانَه إنْ أُريدَ بها القيامُ ، أو العبادةُ أو الساعاتُ ، أو أشدُّ موافقةً لما يرادُ من الخشوعِ والإخلاصِ (ومن هذا يعلم ماتشير إليه القراءات من ألوان المجاز فى هذه الآية، إضافة إلى تعدد القراءات التى لايثبت فيها مكان للهمزة ولذلك وضعت بدون نبرة)

(١٧)﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣٣)المرسلات.. أ السعود: وقُرِىءَ جمالاتٌ جمـعُ جمالٍ أو جمالة ، وقُرِىءَ جَمالاتٌ جمعُ جَمالة ،وقد قُرِىءَ بها وهي الحبلُ العظيمُ من حبال السفنِ وقلوسِ الجسورِ والتشبيهُ في امتداده والتفافه

(١٨) { لَـبِثِين فيهَا } النبأ.. وقُرِىءَ لبثينَ

(١٩) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ..حمزة والكسائى بكسر الراء .. ولكن لم يحذف الألف لأنها ثلاثية وقليلة الحروف

(٢٠)﴿ ختَـمُهُ مسْكٌ وَفي ذَلكَ فَلْيَتَنَـافَسِ الْمُتَنَفِـسُونَ (٢٦) ﴾.... الكسـائى (خاتمه).. (إذن لابد من حذف الألف لتناسب القراءتان)

(٢١) فاكهين .. كتبت وقرئت (فكهين)

(٢٢)﴿ لَا تَسْمَعُ فيهَا لَـغيَةً (١١)﴾ الغاشية..يقول أبوالسعود: لغواً أو كلمةً ذاتَ لغوٍ أو نفساً تلغُو فإنَّ كلامَ أهلِ الجنةِ كلَّه أذكارٌ وحكمٌ . وقُرِىءَ لا تُسمعُ على البناءِ للمفعول بالياء والتاء ورفعِ لاغيةً

الألوسى: فيهَا لاغية }..وجوز على تقدير كونها صفة كون الإسناد مجازياً لأن الكلمة ملغو بها لا لاغية. (لاحظ هنا: المجاز)

(٢٤)﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (٢٢)الغاشية..(بمصيطر وتحتها (س).. الكسائى فقط بالسين

(٢٥) ﴿ وَلَاَ تَحَـضُّونَ ﴾..الألوسى: وقرأ أبو عمرو ومن سمعت الحسن ومن معه ولا يحضون بياء الغيبة ولا ألف بعد الحاء ، وباقي السبعة بتاء الخطـاب..ويقـول أبـو السعود: وقُرِىءَ تحاضونَ من المحاضة ، وقُرِىءَ يَحُضُّونَ بالياء والتاء

(٢٦)﴿ الشمس وضحـــها.﴾ .كل السورة قرأها نافع وأبو عمـــرو بـــين الفـــتح والكسر.. وكسرها الكسائى كلها.. وكذا سورة النازعات.. وكذا والضحى..قـــرأ نافع ياءاها بين الفتح والكسر. وكذا أبو عمرو....... وكذا (أن رأه استغنى)كان حمزة والكسائى يكسران الراء(رآه).......و(أرءيت) الذى يكذب بالدين

قرأ نافع (أرايت) بألف ولايهمـــز.. الكـــسائى(أريـــت).....شـــانئك... قرئـــت (شانيك).......(أفواجا).. إجتمع القراء على تفخيمها فلا يجوز فيها الإمالة ومعنـــاه كان يسلم الحى بأسره.......وهكذا كان يميل النون من (الناس) (ولكنـــها ثلاثيـــة لايحذف ألفها)

إضافة للحديث عن الإمالة

راجع ما قاله أبو منصور الأزهرى:

وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـــنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥): كان الكسائى يميل الألف فيها ، وفى قوله (وفى آذانهم) (فأحياكم)و (خطاياكم) و(مرضات الله) و(حـــق تقاتـــه)و (قـــد هـــدان) (يسارعون) (وسارعوا) (محياى) (رؤياى) (ومن عصانى)و (أحـــسن مثـــواى)و (مـــا أنسانيه) و(آتانى الكتاب) و(أوصانى) و(آتانى الله)و(كمشكاة) و(دحيهـــا) و(تليهـــا) (طحيها) (سجى).. انفرد الكسائى بكسر هذه الحروف وفتحهن حمزة ..وكان حمـــزة إذا تقدمت قبل (أحيا) واو كسر الحرف، مثل قوله (أمات وأحيا) .. واتفـــق حمـــزة والكسائى على إمالة (كلاهما) وعلى إمالة (فالق الحب والنوى).. وكان ابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب يفتحون هذه الحروف كلها إلا ماروى عـــن ابـــن عـــامر فى (التوراة)و (ما أدراك)كان يقرأهما بين الكسر والفتح.. وكان حمزة والكسائى يميـــلان كل ذوات الياء.. والعرب تقول هذا (عابد)و(عَابد)و(عالم) و(عالم) فيكسرون الألف لإنكسار ما بعدها إلا أن تدخل حروف الإطباق(ص،ض، ط،ظ) ولا يجوز فى ذلـــك (ظالم) ولا (طالب) ولا(صابر) ولا(ضابط).. وكذلك حروف الإستعلاء(خ، غ، ق)ولا يجوز فى (غافل)(خادم)(قاهر)... وأما إمالة (سجى)و(قلى) وما أشبههما فالقيـــاس أن ماكان من ذوات الياء مثل (قلى يقلى) (سرى يسرى) أميل .. وماكان مـــن ذوات الواو(علا يعلو) (سما يسمو) لم يمل، على أن الإمالة جائزة فى جميعها إذا اتفقت رءوس الآيات.

والراء إذا دخلت فى أسماء على مثال (فاعل) سهلت الإمالة.. وإذا كان فيها حرف من حروف الإطباق مثل (هذا صارم)يميل الصاد.. ولاتقول فى (صالح) وكذلك (مـــررت

بضارب) ولاتقول (مررت بضابط)، وهذا الباب انفرد به البصريون وهو باب الإمالة.... والسور الممالة رءوس آياڤا لتكون على نسق واحد إحدى عشر سورة (طه، النجم،المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى ، الشمس، الليل، الضحى، العلق) لاتنسى ذلك عزيزى القارئ وتتذكر دائماً أن الرسم تابع للقراءة وممثل له.

من كتاب العنوان في القراءات السبع

أجمعوا على الفتح في الأفعال الثلاثية من ذوات الواو نحو: دعا عفا ونجا وما أشبه ذلك حيث وقع إلا أربعة أفعال منها وهي: (دحاها) و (طحاها) و (تلاها) و (سجا) فإن الكسائي أمالها، وكذلك الأسماء الثلاثية من ذوات الواو.

وأجمعوا أيضا على فتحها نحو: (الصفا) و (عصاه) و (شفا جرف) وما أشبهه إلا ثلاثة أحرف منها: (الربا) و (الضحى) حيث وقعا نكرتين أو معرفتين.

والثالث قوله: (أو كلاهُما) في سبحان فإن الأخوين أمالا هذه الثلاثة، وكذلك أمالا كل ألف منقلبة من ياء أو في حكم المنقلب في الأفعال والأسماء.

فالأفعال نحو: (أتى) و (سعى) و (كفى) و (هداكم) و (قد نرى) و (يسعى) و (يرضى) و (ثم توفى) و (لا يلقاها) و (حتى نؤتى مثلَ) و (تولى) و (تغشاها) و (يتوفاهن الموت) و (تتلقاهُم) و (تتجافى) و (ما ولاهم) و (إني أراك) و (كيف أسى) و (استسقى) و (استغنى) و (تعالى) و (نتعاطى) ونحو ذلك.

والأسماء نحو: (ولا أدنى من ذلك).

(وأزكى لكم) و (أربى لكم من أمَة) و (أعمى) و (من أوفى بعهده) و (الأعلى) و (أبقى) و (أتقاكم) و (أحوى) و (أخرى) و (أشقاها) و (اليتامى) و (الحوايا) و (الأيامى) و (كسالى) و (سكارى) و (فرادى) و (موسى) و (عيسى) و (يحيى) و (انثى) و (الدنيا) و (العليا) و (السوى) و (السلوى) و (الموتى) و (نجواهم) و (إحدى) كيف تصرف و (بسيماهم) و (الترى) و (الهدى) و (الزنا) حيث وقع و (المولى) و (المأوى) كيف تصرفا - و (مثنى) حيث وقع (يا ويلنا) و (يا أسفا) و (بضاعة مزجاة) و (مرساها) و (متى) و (أنى لك هذا) و (أنى يؤفكون) ونحو ذلك.

وكذلك أمالا بلى - وهو حرف - فأما (أحيا) و (فأحياكم) و (أحيا به) - كيف تصرف - فإن حمزة لم يمل إلا ما كان قبله واو فقط، ماضيا كان أو مستقبلا، فإن كان قبله فاء أو ثم أو لم يكونا قبله فتح.

وأمال الكسائي الباب كله على أصله. وقرأ أبو عمرو ما كان من ذلك كله رأس آية، وليس في آخرة راء بعدها ياء في الخط بين اللفظين، وأماله منه ما كان فيه راء بعدها ياء في الخط راس آية كان أو غيره وفتح الباقي وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين، وأمال منه ما كان فيه راء بعدها ياء في الخط رأس آية كان أو غيره وفتح الباقي وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين.

وفتح الباقون جميع ذلك كيف تصرف إلا مواضع يسيرة ربما اختلفوا فيها على غير هذا الترتيب، نحن نذكرها في مواضعها من السور إن شاء الله تعالى.

باب ما انفرد بإمالته الدوري عن الكسائي

من ذلك قوله: (بارئكم) في الموضعين و (البارى)، و (طغيانهم) حيث وقع (في آذانهم) و (آذاننا) حيث وقع (محياي) و (مثواي) و (من أنصاري) في " آل عمران " " ٥٢ " والصف ١٤ و (الجارِ ذي القُربى) و (الجار الجنب) في النساء و (جبارين) في المائدة و " الشعراء " و (الجواري) حيث وقع (وَسارعوا) و (يسارع) حيث وقع (وكمشكاة) في النور.

باب ما انفرد بإمالته الكسائي في كلتا روايتيه

من ذلك قوله: (مرضاة الله) و (مرضاتي) و (مرضاة أَزواجك) حيث وقع و (خطاياكم) و (خطايانا) حيث وقع (حق تقاته) في " آل عمران ١٠٢ (وقد هدان) في الأنعام ٨٠ (ومن عصاني) في إبراهيم ٣٦ و (وما أنسانيه) في الكهف (وأَوصاني بالصلاة) في " مريم ٣١.

وفيها (آتِانِيَ الكتاب) ٣٠ وفي " النمل " : (فما آتانيَ اللهُ) ٣٦ " النمل " و (محياهم) في " الجاثية " ٢١ والأربعة الأفعال التي تقدم ذكرها، و (الرؤيا) كيف تصرف إلا أن أبا الحارث خالف أصله في قوله: (لا تقصص رُؤياكَ) في " يوسف " ففتحه وحده.

فصل

واختلفوا في عشرة أفعال ثلاثية ماضية، وهي: جاء، وشاء وزاد، وضاق، وخاف، وخاب، وحاق، وطاب، وزاغ و (بل ران) فأمالها كلها – كيف تصرفت – حمزة إلا قوله: (إذ زاغت الأبصار) في " الأحزاب " ١٠ و (أم زاغت عنهم الأبصار) في " صاد " ٦٣ وأمال منها ابن ذكوان: شاء، وجاء، كيف تصرفا و (فزادهمُ اللهُ مرضاً) في " البقرة " ١٠ لا غير.

وأمال منها الكسائي وأبو بكر (بَل رانَ) فقط الباقون: بالفتح فيها كلها - كيف تصرفت - فأما المستقبل من هذه الأفعال والرباعي فغير محال بإجماع.

فأما ما كان في آخره راء مكسورة قبلها ألف من الأسماء على أي وزن - كان مفردا أو جمعا - نحو: (عَلى أبصارهم) و (من أنصار) و (بالأَسحار) و (مع الأبرار) و (النار) و (الغار) و (آثارهم) ونحو ذلك.

فقرا أبو عمر والدوري - عن الكسائي - جميع ذلك بالإمالة - كيف تصرف - وقرأه نافع وحمزة وأبو الحارث بين اللفظين وهم إلى الفتح أقرب إلى ما تكررت فيه الراء نحو: (الأبرار والأشرار) وقرار، فإن حمزة وأبا الحارث قرآه بالإمالة، وقرأه نافع وابن ذكوان بين اللفظين... الباقون: بالفتح في جميع ذلك.

باب مذهب الكسائي في إمالة ما قبل هاء التأنيث في الوقف

أعلم أن الكسائي يقف على ما قبل هاء التأنيث بالإمالة سواء كان في الكلمة قبله *كسرة أو ياء أو غيرها، إلا أن يقع قبل الهاء أحد عشر أحرف يجمعها أواخر كلمات هذا البيت: يَروعُ أَخٌ لِفَرط حَريقٍ غيظ ... يَمُصُ لَنصّ داعٍ راحَ يَلحى.*

فإنه يقف حينئذٍ بالفتح. وكذلك يقف على ما قبل هاء السكت بالفتح نحو (يَتسنه) و (كتابيه).

وأَما الكاف: فإن وقع قبلها كسرة أو ياء وقف بالإمالة نحو: الملائكة والأيكة، وإن وقع قبلها فتحة أو ضمة بالفتح: نحو: التهلكة ومباركة.

وأما الهاء فإن كان قبلها كسرة وقف بالإمالة نحو: آلهة وفاكهة، وإن لم يكن قبلها كسرة وقف بالفتح نحو: سفاهة.

الباقون: يقفون على ما قبل هاء التأنيث بالفتح في جميع القرآن.

ثم ذكر أمثلة كثيرة منها:

- (فناداته الملائكة) ٣٩ بألف ممالة، الأخوان. (المحراب) بين اللفظين حيث وقع، ورش وقرأ ابن ذكوان ما كان منه في وضع خفض بالإمالة وهما موضعان هـا هنـا: (يُصلي في المِحراب) وفي " مريم " (فخرج على قومه منَ المحراب) وفتح الباقي. الباقون بالفتح فيه حيث وقع.

- (هأنتم) ٦٦ مثل (هعنتم) حيث وقع قنبل. (هآنتم) ممدودا غير مهموز، نافع وأبو عمرو. الباقون بالمد والهمز حيث وقع.

((وأقول لاحظ ولاتنسى هذه الكلمات المظللة – على الأقل – والتى يسألون عن السبب فى حذف الألف منها ، وتذكرها جيداً فى رحلتنا))

؟فصل

فإذا قلت الحرميان فهما: ابن كثير ونافع.......الإبنان فهما: ابن كثير وابن عامر.
الأخوان فهما: حمزة والكسائي.......الأبوان فهما: أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم.
النحويان فهماك أبو عمرو والكسائي......الكوفيون فهم: عاصم وحمزة والكسائي
فاعلم ذلك.

؟فصل

ابن كثير يضم ميم الجمع في الوصل، ويتبعها واوا في اللفظ نحو: " عليهمو " و " على سمعهمو " و " أبصارهمو " ونحو ذلك.

وكان ورش يشبع المد في حروف المد واللين الواقعة بعد الهمزة نحو: (أمنّا) (وآدم) (وأويناهما) (والسيئات) (وأوتينا العلم) (وإيتاء الزكاة) (والموؤدة) (وإسرائيل) وما أشبه ذلك.(ولذلك سنجد حتمية وجود الألف فى كلمة (السيئات) لهذا المعنى ولمعنى آخر سنعيشه على الصفحات القادمة).

ونقف أخيراً قبل ختام هذا الباب مع الإمام الدانى فى بعض الملاحظات الهامة التى نريد أن نستصحبها معنا – مع ملاحظة أن الكلام بين الأقواس هو كلامنا نحن هدف لتوضيح فقط –والملاحظات قوله:

كذلك اتفقوا على حذف الألف من الجمع السالم الكثير الدور في المذَكر والمؤنث جميعا:

" فالمذكر " نحو : العلمين، والصبرين، والصدقين، والفسقين، والمنفقين ، والكفرين، والشيطين، والظلمون، الخسرون، والسحرون، والكفرون.

و" المؤنث " نحو المسلمت، والمؤمنت، والطيبت، والخبيث، والكلمت، وفي ظلمت، والظلمت، وبكلمت، والمتصدقت، وثيبت، وبينت، والغرفت، وما كان مثله.

فإن جاء بعد الألف الهمزة أو حرف مضعف نحو " السائلين " و " القائمين " و " الخائنين " و " الصائمين " و " الضانّين " و " الضالين " و " العادّين " و " حافّين " وشبه أُثبتت الألف في ذلك.

(هذا قول الإمام "الدانى" وأنا أقول إلا ما استثنى وما سنعيش أمثلته على الصفحات التالية – كنموذج لذلك –.)

ثم يكمل: على أني تتبعت مصاحف أهل المدينة وأهل العراق العتق القديمة فوجدت فيها مواضع كثيرة مما بعد الألف فيه همزة قد حذفت الألف منها ، وأكثر ما وجدته في جمع المؤنث لثقله والإثبات في المذكر أكثر.(وكنا نتمنى أن نسمع منه ماهى هذه الكلمات حتى يمكن لنا توجيهها وخاصة أنه – كما سنرى – هناك أسماء كثيرة خالفت هذه القاعدة ولهدف بلاغى عظيم يشترك فيه أحياناً جرس الكلمة ونبرة الصوت أو التركيز والإظهار أو لفت النظر للوقوف والبحث على المعنى الآخر الذى ربما يكون معنى مجازيا. أو غير ذلك من المعانى التى سنعيشها على الصفحات القادمة.)

ويكمل:وما اجتمع فيه ألفان من جمع المؤنث السالم فإن الرسم في أكثر المصاحف ورد بحذفها معا ، سواء كان بعد الألف حرف مضعف أو همزة ، نحو: الصلحت، والحفظت، والصدقت، والترعت، والصفت صفا، والنفثت، والعديت، والسبقت، والصمئت، وغيبت، والمنفقت، وتئبت، وسئحت، وشبهه . وقد أمعنت النظر في ذلك في مصاحف أهل العراق الأصلية إذ عدمت النص في ذلك فلم أراها تختلف في حذف ذلك.

ويقول: إعلم إن المصاحف اتفقت على رسم ما كان من ذوات (الياء) من الأسماء والأفعال بالياء على مراد الإمالة وتغليب الأصل ، وسواء اتّصل ذلك بضمير أو لم يتصل أو لقي ساكنا أو متحركا، وذلك نحو " الموتى (الموتا)، والسلوى (السلوا)، والمرضى (المرضا)، والأسرى (الأسرا)، وشتّى (شتا)، وصرعى (صرعا)، وطوبى (طوبا)، والحسنى(الحسنا)، ولليسرى (اليسرا)، وللعسرى (العسرا)، والبشرى (البشرا)، وموسى (موسا)، وعيسى (عيسا)، واحدى (إحدا)، واحديهما(إحداهما)، واحديهن (إحداهن)، وبشريكم (بشراكم)، وفي اخريكم (فى أخراكم)، ومجريها(تنطق مجراها= فعلها "يجرى" بالياء)، ومرسيها (تنطق مرساها فعلها "يرسى" بالياء)، والهدى(تنطق "الهدا"، فعلها "يهدى" بالياء)، والهوى (تنطق "الهوا"، فعلها "يهوى" بالياء)، والعمى (تنطق "العما"، فعلها "يعمى" بالياء)، وأدنى (تنطق "أدنا"، فعلها "يجرى بالياء)، وأزكى(تنطق "أزكا"، فعلها "يزكى" بالياء، وهكذا باقى الأمثلة القادمة التى أرجع الرسم العثمانى للكلمة أصل الحرف فيها ملفتاً النظر إلى ذلك.)., وأربى (وأربا)، وهُدًى (وهداً)، وفتى (فتاً)، ومولى (مولاً)، ومصلّى (مصلاً)، ومصفّى (مصفّا)، ومسمّى (مُسماً)، وقرى، وعمى (عماً)، وغزّى، وأبى (تقرأ "أبا" وربما يكون الرسمة

بهذه الياءللتفرقة بين (أبا) هذه التى بمعنى "رفض" وبين كلمة "أبا" التى هى بمعنى "الأب" وهذا ملحظ خطير يلاحظه القارىء المتأمل كثيراً فى كلمات كثيرة مشابهة لذلك عشنا بعضها وسيمر علينا البعض الآخر، فتأمله ولا تنساه)..، وسعى (سعا)، ورمى، ويتلى، وتدعى، ولاتعرى (ولا تعرا)، وإيكم (وإياكم)، وأريكم (أراكم)، واتيها(أتاها)، ولايصليها "(لا يصلاها) وشبهه إلا في أصل مطّرد .

وسبعة أحرف فإن المصاحف لم تختلف في رسم ذلك بالألف ؛ فالاصل المطرد هو ما وقع قبل الياء فيه ياء أخرى نحو قوله " الدنيا، والعليا، والرؤيا، ورؤياك، ورؤياي، والحوايا، وفأحيا به، وأحياهم، وأحياكم، أحياها، ومحياهم، ونموت، ونحيا، وأمات وأحيا، ومحياي " وما كان مثله حيث وقع كراهة الجمع بين ياءين في الصورة ، على أنّي وجدت في مصاحف المدينة وأكثر الكوفية والبصرية التي كتبها التابعون وغيرهم " يبشرى " في يوسف بغير ياء ولا ألف ،(وأقول: لذلك قرئت على القراءتين: يا بشرايَّ– بالتشديد (التثقيل) على الياء الأخيرة–(أى : أنا)، والقراءة الثانية: يابشرا(أى: يا بشرى عامة للجميع وليست لى وحدى) ، والقراءتان مناسبتان فى المعنى لمن يدرس قصة يوسف عليه السلام فكانت البشرى للملك ولغيه أيضاً ومنهم إمرأة الملك (العزيز) ، أما حذف الألفات فى الكلمةفهذا يناسب مقام البشرى التى يفيد شدة الفرح والسرعة فى زف هذا الخبر وهذا يناسبه حذف ألف النداء والألف الأخرى – بل أحياناً يحذفون حروفاً أصلية من الكلمة لهذا الملحظ – كما شرحنا مطولاً بالأمثلة المتعددة –)

حدثنا محمد بن على قال حدثنا ابن الانباري قال حدثنا إدريس قال حدثنا خلف قال سمعت الكسائي يقول انما كتبوا " أحيا " بالألف للياء التي في الحرف فكرهوا أن يجمعوا بين الياءين، قال وكذلك " الدنيا " و " العليا " فأما قوله " يحيى " إذا كان اسما نحو قوله " و يحيى وعيسى " و " يحيى خذ الكتب " و " بغلام اسمه يحيى " وشبه اسمه يحيى " وشبهه من لفظه وقوله في الأنفال " ويحيى من حيَّ عن بيّنة " وقوله في طه وسبِّحْ " ولا يحيى " فإن ذلك مرسوم بالياء على الإمالة

فأما قوله " خطينا "(أصلها خطايانا) وخطيكم " و " خطيهم "(أصلها: خطايانا و خطاياهم) حيث وقع بغير ياء ولا ألف وفي أكثر المصاحف الألف التي بعد الطاء محذوفة أيضا.

** وبعد هذا القول الهام للإمام الدانى سنرى أن هناك استثناءات إســتثناها الرســم القرآنى لأغراض بلاغية وعلوية شريفة سندرك مغزاها على الصفحات التالية إن شاء الله.. ولكن أرجو من القارىء أن يلاحظ دور الإمالة فى كتابة الكثير من الكلمــات التى أصل حرفها الياء حتى أنه وصل بالإمام الكسائى أن يميلها جميعها – كما رأينا من قوله –.والإمالة كما علمنا يكون صورها فى الرسم (حذف الألف) لأنه سيكون نطقها ممالاً إلى الياء ..وملاحظة أن حذف الألف يكون هو القاعدة لأنهم لايعتبرون لها وجوداً فى أصل الرسم ويعتبروها فى مقام الفتحة التى ربما يطول زمن النطق بها فتكون ألفــاً لذلك ولأسباب أخرى سنعيشها على الصفحات التالية ، ونقول ونكر ذلــك حــتى لايتعجب القارىء ..وهذا سيكون من أحد الملاحظات الهامة فى كثير مما ســيقابلنا فى مشاهد حذف الألف – ولذلك ترك العلماء توجيه حذف الألفات أو زيادتها فى رسم الكلمة تارة بهذه الحجة وتارة أخرى لأن البحث فيها شائكٌ ومعقد ويحتاج إلى دراسة متأنية وعميقة ومقارنات تطول وتطول – كما سنرى –، وليتذكر القارئ دائمــاً أن رسم الكلمة فى القرآن تكون معبرة تعبيراً كاملاً عن صوت الكلمة من فــم ناطقهــا (ﷺ)وانفعاله بها ، ومطابقة له بإشارة من الوحى معجزة سنعيشها إن شاء الله.

وبعد هذا العرض للقراءات وأقوال علمائها وبعد هذه المقدمات نعيش مع هذا البعض الكثير مما ترك توجيهه العلماء القدامى والحداثى على الــصفحات التاليــة بعنــوان (ملحقات) ونسأل الله العفو والغفران لما يكون منا من خطأ أو نسيان وهذا شأننا دائماً والله الموفق.

ملحقات هامة وتطبيق عملى على حذف الألف وإضافته

ملحقات هامة وتطبيق عملى
على حذف الألف وإضافته.

والذى لاجدال فيه أنك تجد دائماً أن الرسم القرآنى يتعانق مع الإعجاز البلاغـــى ؛ وعلى سبيل المثال: حينما كنا نشرح فى الإعجاز البلاغى فى التكرارفى القرآن الكريم ، وكنا نشرح قوله تعالى (فأتوا بسورة مثله) فى يونس، وأتو بسورة (من) مثله.. بإضافة (من) فى سورة البقرة هكذا:

(١)﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) ﴾ البقرة.

(٢)﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْـتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾يونس.

وقلنا وقتها أن التحدى فى سورة البقرة أقوى ؛ فهو يتحداهم أن يأتوا بسورة (مثلـــه) فى يونس ، وفى البقرة يتحداهم بسورة (من) مثله .. و(من) هنا تبعيضية .. أى يتحداهم بأن يأتوا بالبعض وليس الكل فعجزوا؛ كما يحدث عندما أتحدى البَنَّاء أن يبنى هذا المسجد ، أو أن يبنى بعض هذا المسجد – أى (من) المسجد– ويكون بالطبع التحدى الثانى أقوى.

وهنا يبرز السؤال : لماذا التحدى فى سورة البقرة : فأتوا بسورة (من) مثله.. أقوى منه فى سورة يونس ؟

وقلنا وقتها أن هذا يستدعى النظر – كما تعودنا مع القرآن وكما هو شأن القرآن دائماً– أن نتسمع إلى سياق الآيات التى نقارن بها فى السورتين .. وكانت نتيجة استرجاع الآيات أننا وجدنا أنه فىآيات **سورة البقرة المتحدث (أو المتحدى) فيها هـــو الله ، وبلفـــظ الجمع، وبالخطاب المباشر وليس الغائب،** هكذا **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا (نَزَّلْنَا) عَلَـــى (عَبْدِنَا) (فَأْتُوا) بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ..** وهنا تلاحظ (نزلنا) نحن – بلفظ الجمع تعظيماً مـــن الله لنفسه ، وأيضاً للأمر المتحدث عنه ، ومثله (عبدنا) .. ثم الخطاب المباشر والمواجهة المباشرة بدون واسطة ، وليست كقوله فى السورة الأخرى (قل) – أى يامحمد – والـــتى ستكون فيها المواجهة مع محمد (ﷺ)– بخلاف حديثنا هنا فى سورة البقرة فهى مواجهـــة مباشرة مع الله وبصيغة الجمع: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا (نَزَّلْنَا) عَلَى (عَبْدِنَا) (فَأْتُوا) بِسُورَةٍ

مِنْ مِثْلِه.. (فأتوا): فإن المواجهة مع الله رأساً وبدون واسطة فى القول وبـــصيغة الجمـــع التعظيمى .. فلابد حينئذ أن تكون المواجهة قوية والتحدى أقوى ...

بخلاف الحديث فى سورة يونس: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ- أى يا محمد- فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِه) وهنا لايحتاج الأمر إلى تعليق لأن المُواجِه هنا هو محمد (ﷺ)و الحديث مـــن الله بلفـــظ (الغيبة) وليس الحضور، ومن هنا كانت المواجهة أضعف.. على خلاف ما وجدناه أيضاً فى سورة البقرة .

وعلى نفس القاعدة – من التناسق والإعجاز – نجد ذلك فى آيتين شبيهتين فى ســـورتى البقرة والأعراف وهما:

(١) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) ....وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِه فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠).﴾ البقرة.. هنا تجد هذه الآيات المتحدث فيها – أيضاً- هو الله وبالخطاب المباشر وبصيغة الجمع (وكما قلنا أن ظهور المـــولى المباشـــر وبصيغة الجمع يستدعى أن يكون التحدى قوياً وظاهراً)، وترتب على ذلك أن قال (فقلنا اضرب .. فانفجرت) و لم يقل (فانبجست) — كما فى سورة الأعراف.

وليس الأمر ذلك وحده بل رأينا إعجازاً متواكباً فى رسم الكلمة فى المصحف فى كتابـــة كلمة (الغمام) فى قوله (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَـــا) فقد كتبت (بالألف) مع حديث المواجهة المباشرة — أى قوله(عليكم) وليس (عليهم)- كما فى سورة الأعراف - وبلفظ الجمع (وظللنا عليكم).. وهذا بخلاف سورة الأعراف هكذا:

(٢) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)﴾. وبقراءة وتدبر هذه الآيات يلاحظ أن الحديث فى الأعراف بـــصيغة الغائب(عليهم وليس عليكم) فناسب ذلك ضعف خروج الماء أيضاً فقال (فانبجست) .. وأيضاً رسم كلمة (الْغَمَمَ) بدون ألف فى ظل الخطاب بلفظ الغائب ؛ **وكأن الحديث هنا بلفظ الغيبة يناسبه تغييب الألف — الْغَمَمَ -. والحديث هناك بلفظ الحضور والظهور يناسبه إظهار الألف فى — الغمام .**

فأى إعجاز هذا الذى يتعانق فيه الإعجاز البلاغى مع إعجاز رسم الكلمة نفسها[1].

(الكتاب) .الكتـــب.

والذى نلاحظه: أن (الكتاب) تكتب دائماً بدون ألف إلا ما استثنى – كما سنرى – وربما يكون ذلك للملحظ الذى ذكره الإمام الرازى وهو: أن أصل الكلمة من "الكُتب" وهو (الضم والجمع) ومنه "الكتيبة" سميت بذلك لأنها تضم النجوم بعضها إلى بعض وتضم ماله إلى ماله. وقبل سرد الآيات نلاحظ :

أولاً : الكتاب معناه (الجمع والضم) ... ومعناه إخفاء المعلومات بداخلـــه .. وتوثيـــق المعلومات إلى أجل، فحق فيه – على منهج الرسم القرآنى المعجز– إخفاء الألف التى تفرق وتظهر.. ولذلك نجد الكتاب – فى جميع القرآن – بدون ألف – إلا ما استثنى مـــن أربـــع مواطن خالفت هذا المعنى وسنوضحه بعد قليل.

ثانياً : والقرآن – الذى يعنى القراءة– عكس ذلك (فهو نشر وتفريق وليس جمع وضم ، وهو (إظهار) وليس إخفاء لما فى داخله..وهو إذاعة للمعلومات) ، فحق فيه إظهار الألف .. لمعنى التفريق والإظهار هذا .. ولذلك نجد كلمة القرآن مكتوبة بالألف دائمـــاً إلا مـــا استثنى فى موضعين – سنجد ما لهما من الحكمة العالية والغالية فى مشوارنا القادم.

ثالثاً : بقى معنى آخر نجده فى النصوص القرآنية وهو أن الكتاب له وجهان: فـــإن كـــان علوياً..أو بمعنى الأحكام والتشريعات ، أو (جامعاً – فى المعنى– وليس جزئياً) أو (كتـــاب الغيوب التى لايعلمها أحد إلاالله) أو (ماذكر فيه صفات التشريف والتكريم.؛ مثل "كتاب كريم"..وإنه بسم الله الرحمـــن الرحيم).. فى كل هذه الأصناف تكتب الكتاب بدون ألف.. وتكتب أيضاً بدون الألف فى حكم الله المعنوى.. وعلم الغيب .. أو كتاب الأعمال الذى لن نره إلا يوم العرض على الله...أو علم الله الشامل (فكل هذه المواطن يحذف منها الألف فى كلمة "الكتاب").

وغير هذه الحالات (المعنى الجزئى والمادى) يوضع فيه الألف"كتاب"

رابعاً : الكتب السماوية – التى لم ينلها التحريف– لها طرفان :

---

(١)وراجع لزيادة التفصيل والمتعة كتابنا ((الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم)) وراجع تكملة البحث تحت عنوان (الرياح) وهى عكس الغمام فى كل شيء – حتى فى رسمها مع ظهور لفـــظ الجلالـــة وخطاب الغيبة – .

١- الطرف العلوى (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) ..وهذا يكتب بدون ألف (لأنه ملكوتى .. غيبى).

٢- الطرف الأدنى إلينا والذى نزل إلى كوكب الأرض للعمل به (وفيه صيغة الفعل أيضاً هنا يكتب بالألف ، لظهوره بالقراءة والتلاوة والعمل به ... كما فى سورة النمل ﴿تلك أيات القرآن وكتاب مبين.﴾ . وسيوضح ذلك ماجاء فى تكملة النص بعدها من أوامر تكليفية بالعمل بهذا الكتاب - الذ ى ظهر فيه حرف الألف- مثله مثل كلمة (القرءآن) أيضاً كما سنرى.

خامساً : بخلاف ذلك (أى ما له معنى جزئى وليس معنى كلى جامع.). مثل : كِتَابٌ.. فى قوله ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾.(فهو كتاب خاص "كتاب الآجال للأمم التى أبيدت على ظهر الأرض ، أو الأشياء" .. فهما معنى جزئى من الذى كان غيباً وجامعا ولكنه ظهر للوجود وعلمته الأمم).. فيكتب بالألف (ولها كتاب).

وأيضاً قوله تعالى لنبيه بعد حادثة أهل الكهف وإجابة النبى (ﷺ)عن هذه (القضية الجزئية) ، طلب الله منه أن يتلوا عليهم (هذه الجزئية من الكتاب الجامع) - وهى قصة أهل الكهف- فقال له: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ (كِتَابِ) رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)﴾ . فهو تلاوة لهذا الجزء.(وهذا الجزء مضاف: أى كتاب ربك، ولم يقل : من الكتاب - كما فى الآية الأخرى التى كتب فيها بدون ألف لهذا النص العام بهذه الصيغة-).

والمعنى الآخر: أن هذا الجزء كان مخفياً وأصبح الآن ظاهراً. وقيل معناه - فى آية الكهف - الأمر بالتلاوة والعمل والاتباع (وهو أمر عملي يناسبه إظهار الألف - كما هو الحال مع إسم الفاعل (العملى) ، بخلاف إسم الفاعل السلبى (مثال كلمة ((باسط .. بسط) و(الجلل والإكرام) والسلبى هنا هو الذى لايظهر فيه عنصر الحركة، والإيجابى هو الذى يظهر فيه عنصر الحركة منه؛ فالسلبى يحذف منه الألف ، والإيجابى يوضع فيه الألف). وكما يقول الألوسي: وجوز أن يكون { اتل } أمراً من التلو بمعنى الاتباع أي اتَّبِع ما أوحي إليك والزم العلم به ، وقيل وجه الربط أنه سبحانه لما نهاه عن المراء المتعمق فيه وعن الاستفتاء أمره سبحانه بأن يتلو ما أوحى إليه من أمرهم فكأنه قيل اقرأ ما أوحي إليك من أمرهم واستغن به ولا تتعرض لأكثر من ذلك أو اتبع ذلك وخذ به ولا تتعمق في جدالهم ولا تستفت أحداً منهم فالكلام متعلق بما تقدم من النواهي ، والمراد بما أوحى الخ هو الآيات المتضمنة شرح قصة أصحاب الكهف)انتهى كلام الإمام الألوسى ، وهذا يعنى المعنى الجزئى (أى جزء من الكتاب).

ويقول الإمام المراكشى: وفي الكهف: ﴿وَاتلُ ما أُوحيَ إليكَ من كتاب ربّـك﴾ هـذا الكتاب هو أخص من الكتاب الذي في قوله تعالى: ﴿أتلُ ما أُوحِيَ إليكَ مِن الكتـاب﴾ لأنه أطلق هذا (أى فى قوله من الكتاب: أى كل الكتاب) وقيد ذلـك بالإضـافة إلى الإسم المضاف إلى معين في الوجود(أى قال: كتاب ربك– فى الكهف – فهو مقيد)، وخصوصية الواقعة فى الحديث عن أهل الكهف. والذي هو أخص أظهر تنزيلا.(لكل ذلك وضع الألف فى آية الكهف وحذف من الآية الأخرى التى هى بالمعنى الجامع لكل الكتاب.

وبقى الموقف الرابع الذى ذكر فيه الألف فى لفظ الكتاب وهو وجوده مع القرآن على صورة البدل منه وليس العطف عليه؛ – القرءان الذى هو الطرف الأدنى إلينـا (ولا أقول الأرضى.. لعدم سوء الفهم)– كما ذكرنا فى سورة النمل وكما سـتزيد ذلـك توضيحاً أكثر إن شاء الله.

وسنقف بعد هذا الشرح والملاحظات علىالأمثلة التى تحتاج إلى تعليق وتوضيح فقط. والأمثلة الآتية جميعها بدون ألف لما سبق شرحه وهى:

(١) ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة.والآيـات ٤٤ ، ٥٣ ، ٧٨، ٨٥ ، ٨٧، ١٠١ ، ١٠٥، ١٠٩، ١١٣، ١٢١ ، ١٢٩، ١٧٦،

(ففى هذه الآيات من سورة البقرة ومثيلاتها نجدها تتحدث عن الكتاب الذى نزل على الأنبياء(وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ ، ذلك الكتـب لاريب فيه ، وآتينا موسـى الكتـــب) أو وصفهم (بأهل الكتـب، يتلون الكتـب– أى:كل الكتاب–) وهى كما قلنا يحذف منها الألف.. ولكننا سنقف على بعض الايات التى ربما يحدث للقارئ لبس فى معناها والقاعدة التى ذكرناها ومنها:

(٢) ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ... ۝٢٣٥﴾ البقرة فما معنى هذا الكتـب الذى كتب بدون ألف .. يقول أبو السعود: { حتى يَبْلُغَ الكتـب أَجَلَهُ } أي (تبلُغَ) العدةُ المكتوبة المفروضةُ آخِرَها ....والمعنى : تبلغ العـدة المفروضـة آخرهـا ، وصارت منقضية .

((فعلى هذا المعنى يكون الكتاب هنا كتاباً "مجازيا" وليس حقيقياً؛ فمعنى (يبلغ الكتاب) ليس معناه الكتاب المعلوم لدينا – الذى هو الكتاب بغلافه وأوراقه– بل هو مدة العـدة للمرأة – ولذلك تكتب الكلمة على خلاف الظاهر أيضاً– أى بدون ألـف – وهكـذا

الحال مع كل حالة مشابهة – أى يحذف الألف من المعنى المجازى ويثبت فى المعنى الحقيقي – وهذه قاعدة هامة جداً جداً سنعيشها كثيراً على الصفحات القادمة))

والمعنى الثاني : أن يكون الكتاب نفسه في معنى الفرض كقوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصيام} [البقرة : ١٨٣] فيكون المعنى حتى يبلغ هذا (التكليف) آخره ونهايته ، وإنما حسن أن يعبر عن معنى : (فرض) ، بلفظ { كُتِبَ } لأن ما يكتب يقع في النفوس أنه أثبت وآكد)انتهى كلام العلامة أبو السعود ؛ وهو قاعدة نسوقها لفهم الآيات القادمة التى تشير إلى هذه المعانى المجازية أو المعنوية (مثل الفرض مثلاً أو غيره) وليس بمعنى الكتاب الحقيقى والمادى الذى نعلمه ولذلك يكتب بدون ألف .ومثلها الآيات التالية:

(٣)﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٨)الأنعام..ويقول الزمخشرى فيقول: { فِي الكتاب } في اللوح المحفوظ (ومن هذا يعلم أنه ليس المراد به الكتاب المعلوم لدينا).

(٤) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ... (٣٧) ﴾..الأعراف (٣٧) يقول الزمخشرى وغيره: { أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الكتاب } أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار،(أى فى اللوح المحفوظ).

(٥) ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ (٣٩) ﴾ ..الرعد { يَمْحُو الله مَا يَشَاء }أي ينسخ ما يشاء نسخَه من الأحكام .. ، أو يمحو من (ديوان الحفَظة) الذين ديدنُهم كَتْبُ كلِّ قول وعملٍ .. ويثبت الباقيَ ، أو يمحو (سيئاتِ التائب) ويثبت مكانها الحسنةَ ، أو يمحو (قَرْناً) ويثبت آخرين ، أو يمحو الفاسدات من العالم الجُسماني ويثبت الكائنات ، أو يمحو (الأجل أو السعادة والشقاوة). .والأنسبُ تعميمُ كل من المحو والإثبات ليشمل الكل . ((معنى ذلك – وبعد عرض كل هذه المعانى – يتبين أنه ليس هو الكتاب المعلوم لدينا بالمعنى المعروف)) { وَعِندَهُ أُمُّ الكتاب } أي أصلُه وهو اللوحُ المحفوظُ إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوبٌ فيه كما هو .

(٦)﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ (٤٣) ﴾الرعد...أبوالسعود: وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكتاب } أي علمُ القرآن وما عليه من النظم المعجز أو مَن هو مِن علماء أهلِ الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته عليه الصلاة والسلام في كتبهم ، والآية مدنيةٌ بالاتفاق ، أو مَنْ عنده علم اللوح

المحفوظ وهو الله سبحانه أي كفى به شاهداً بيننا بالذي يستحق العبادةَ ، فإنه قد شحَن كتابه بالدعوة إلى عبادته وأيدني بأنواع التأييد ، وبالذي يختص بعلم (ما في اللوح) من الأشياء الكائنة الثابتة التي من جملتها رسالتي ((فهو المعنى الجامع كما رأينا)).

(٧) ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾الإسراء.. ويعنى بها التوراة بالمعنى الجامع.

(٨)﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾الإسراء). { فِى الكتاب } أي اللوح المحفوظ { مَسْطُورًا} مكتوباً.. ولاحظ قوله العام والجامع لكل القرى التى مضت وعلمم أجلـها وظهـر فى الوجود وأيضاً الأمم التى لم تأت بعد وهى فى علم الغيب وفى اللوح المحفوظ بالمعنى الجامع والشامل لكل الأمم (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إلا ...) بخلاف قوله فى سورة الحجر (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) فهو حديث آجال (خاص) بأمم (مضت) وقد علم) أجلـها (وظهر) لنا فى الوجود.، ولذلك كتب هذا الكتاب بالألف(كتاب) مع ملاحظة أن حرف (الواو) فى قوله (إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) يقول عنها العلماء – الزمخشرى وغيره – أنهـا (واو) الحال.. والحال هو وصف الواقع والظاهر للأعين.. وسنزيد ذلك توضيحاً عنـد الوقوف على نفس هذه الآية فى سورة الحجر لخصوصية وضع الألف فيها ولخـصوصية معناها – كما رأينا –.

(٩)﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ ... ﴿٤٩﴾ ﴾الكهف

(١٠)﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾مريم، وهنا لايقصد الكتاب بأوراقه ولكنه يقصد به (العلم والوحى من الله).

(١١) ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾مـريم، ويقـول الألوسى:والمراد بالكتاب عند بعض المحققين السورة الكريمة لا القرآن كما عليه الكثير.. ولكن الطاهر يقول: **والكتاب : القرآن ، لأنّ هذه القصة من جملة القرآن** . (وهو الـرأى الأمثل فى نظرنا).(فهو على هذا يعنى المعنى الشامل والجامع لكل الكتاب وليس جزءاً من الكتاب كما فى سرد قصة أهل الكهف التى سيكتب لخصوصيتها الكتاب بالألف.

(١٢) ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا .... ﴿٣٣﴾ ﴾ النور. الألوسي: والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة ونظيره العتاب والمعاتبة **أي والذين يطلبون منكم "المكاتبة"**.. ويقول الطاهر: والكتاب : (مصدر) كاتب **إذا عاقد على تحصيل الحرية** من الرق على قدر معين من المال يُدفع لسيد العبد منجماً ، أي موزعاً على مواقيت معينة ،وسموا ذلك كتابة لأن السيد وعبده كانا يسجلان عقد تنجيم عوض الحرية بصك يكتبه كاتب بينهما ، (فلما كان في الكتب حفظ لحق كليهما أطلق على ذلك التسجيل كتابة) لأن ما يتضمنه هو عقد من جانبين ، وإن كان الكاتب واحداً والكتاب واحداً . وفي حديث عبد الرحمن بن عوف : كاتبت أمية بن خلف كتاباً — أى عهداً بيننا— بأن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ...

أما الرازى فيقول: وفي اشتقاق لفظ الكتابة وجوه : أحدها : **أن أصل الكلمة من الكُتب وهو الضم والجمع ومنه الكتيبة سميت بذلك لأنها تضم النجوم بعضها إلى بعض وتضم ماله إلى ماله** ....وثانيها : يحتمل أن يكون اللفظ مأخوذاً من الكتاب **ومعناه (كتبت لك على نفسي) أن تعتق مني إذا وفيت بالمال** ، و(كتبت لي على نفسك) أن تفي لي بذلك ، أو (كتبت لي كتاباً) عليك بالوفاء بالمال وكتبت على العتق ، وهذا ما ذكره الأزهري .

وأقول:((معنى ذلك أنه لايقصد الكتاب بمعناه المعلوم لدينا بأوراقه وأغلفته ولكنه يقصد الوعد الموثق سواء فى ورقة أو بدون ورقة ولايقصد الكتاب المعلوم ، ومثله قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) فلا يقصد أنه سجله فى كتاب ولكنه يقصد ألزم نفسه الرحمة وجعل من طبعه الرحمة.. فهو كتاب باللفظ وليس مطابقاً للمعنى . ولهذا وكما تعودنا فى مثل هذه الحالات وجدناها تخالف أيضاً فى رسم الكلمة — أى بدون ألف—)).....وثالثها : إنما سمي بذلك لما يقع فيه من التأجيل بالمال المعقود عليه ، .... فسمى لهذا المعنى هذا العقد كتاب لما يقع فيه من الأجل **(وهذا معنى ثالث يؤكد المعانى السابقة)** .

(١٣) ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ

لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾النمل..وواضح أن المرادُ بالكتابِ الجنسُ المنتظمُ لجميعِ الكتبِ المترلة أو اللوحُ ، وفيه مشهد الغيبية أيضاً.

(١٤)﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ... ۖ ﴿٤٥﴾ ﴾العنكبوت.. كما قلنا يقصد الكتاب كله – العموم–.

(١٥)﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ الأحزاب.. ويقول أبوالسعود: { في كتاب الله } في (اللّوح) أو فيما أنزلَه وهو هذه الآيةُ أو آيةُ المواريث أو (فيما فرضَ) الله تعالى.

(١٦)﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴿٦٩﴾ ﴾ الزمر... وهذا لايحتاج إلى توضيح وكما يقول أبوالسعود: { وَوُضِعَ الكتاب } الحسابُ والجزاءُ ..وقيل : اللّوحُ المحفوظُ يقابل به الصَّحائفُ.

(١٧)﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾الزخرف.. يقول الألوسى: { وَإِنَّهُ فى أُمّ الكتاب } أي في اللوح المحفوظ على ما ذهب إليه جمعٌ، فإنه أم الكتب السماوية أي أصلها لأنها كلها منقولة منه ، وقيل : { أُمُّ الكتاب } العلم الأزلي ، وقيل : الآيات المحكمات..

(١٨) ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ .....وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحاقة.. وهاتان الآيتان لاتحتاجا إلى تعليق حيث أنهما تتحدثان عن الكتب الغيبية يوم القيامة.

(١٩) ۞﴿ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ...... ﴿٢٤﴾ ﴾ (النساء.).... ويقول الرازى: بقوله : { كتاب الله عَلَيْكُمْ } وفيه وجهان : الأول : أنه (مصدر) مؤكد من غير لفظ الفعل فان قولـه : { حُرّمَتْ عَلَيْكُمْ } يدل على معنى الكتبة ، فالتقدير : (كتب) عليكم تحريم ما تقدم ذكـره مـن المحرمات كتابا من الله ، ومجيء المصدر من غير لفظ الفعل كثير نظيره { وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب صُنْعَ الله } [النمل : ٨٨] – وبهذا هو يريد أن يقول: أن كتاب الله أى فرض الله.

الثاني : قال الزجاج : ويجوز أن يكون منصوبا على جهة الأمر ، ويكـون «**علـيكم**» مفسرا له فيكون المعنى : الزموا كتاب الله .أى أمر الله وحكمه أو أحكامه.

(٢٠) ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ **الأنعام**... ويقول الرازى: قوله : { إلاَّ فى كتاب مُّبِينٍ } فيه قولان : الأول : أن ذلك الكتاب المبين **هو علم الله تعالى لا غير** . وهذا هو الصواب .

والثاني : قال الزجاج : يجوز أن يكون الله جل ثناؤه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق كما قال عز وجل : { **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِـي الأرض وَلاَ فِـي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَـٰبٍ** مِّن **قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا** } [الحديد : ٢٢] **وفائدة هذا الكتاب أمور :**

أحدها : أنه تعالى إنما كتب هذه الأحوال في **اللوح المحفوظ** لتقف الملائكة على نفاذ علم الله تعالى في المعلومات وأنه لا يغيب عنه مما في السموات والأرض شيء . فيكون في ذلك عبرة تامة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لأنهم يقابلون به ما يحدث في صحيفة هذا العالم فيجدونه موافقاً له . (**وعلى كلا الأمرين فأمر العمومية والشمول والغيبيـة والمجاز واضح فى ذلك**).

(٢١)﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ **الأنفـال**. يقول الزمخشرى: لولا **حكم منه سبق إثباته في اللوح** وهو أنه لا يعاقب أحد بخطأ ، وكان هذا خطأ في الاجتهاد.

(٢٢)﴿أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾ .. الألوسى: أي في حكمه أو في اللوح المحفوظ ، ومثلها الآيات التالية

(٢٣) ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ .... ﴿٣٦﴾.﴾ (٣٦التوبة).

(٢٤) ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُبِينٍ (٦١)﴾ **يونس** ،وقيل في اللوح.

(٢٥) ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِـي كِتَٰبٍ مُبِينٍ (٦)﴾ هود وهكذا **الآيات التالية:**

(٢٦) ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ طه.

(٢٧) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨)﴾ الحج، هو علم الوحي المظهر للحقّ.

(٢٨) ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢)﴾ المؤمنون. كتاب الأعمال.

(٢٩) ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠)﴾ النمل (لاحظ: كتاب كريم، وهو باسم الله ..، وكتب فى سرية و لم يعلم بما فى داخله أحد إلا بعد أن فتحته هى).

(٣٠) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)﴾الروم بالطبع لايقصد الكتاب بأوراقه وصفحاته ولكن كما قال أبوالسعود: في علمه أو قضائه أو ما كتبه وعيَّنه أو في اللَّوح أو القرآن

(٣١) ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ (١١)﴾ فاطر

(٣٢) ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)﴾ ق.

(٣٣) ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)﴾ الواقعة،مثل قوله (أم الكتـــب).

(٣٤) ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾ الحديد.

(٣٥) ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧)﴾ القلم.

(٣٦) ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) ... كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٩)﴾ المطففين.

(٣٧) ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨) (١٩).. كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢٠)﴾ المطففين.

(٣٨) ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)﴾ الجاثية. { كُلُّ أُمَّـــة تدعى إلى كتابها } إلى صحيفة أعمالها . (٢٩)الجاثية. كقوله تعالى : { وَوُضِعَ الكتـــب فَتَرَى المجرمين مُشْفِقِينَ ممَّا فيه } [الكهف : ٤٩.

** ونقف عند هذا القدر من الآيات التى تكفى لبيان المطلوب وتوضيح ما قلناه لنعيش بعد ذلك مع الآيات التى كتبت (كتاب) بالألف:

(١) ***﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾.الرعد. وواضح أن فى هذه الآية كتابين (كتاب الآجال الخاص) بالآيات التى أعطاها الله لكل نبى وانقضى أجلها وجاء النبى الآخر بآية أخرى وانقضى أجلها (ولكل أجل — أى الآية والمعجزة- كتاب — أى موعد تنتهى فيه لهذا النبى وتأتى آية ومعجزة أخرى لنبى آخر لأجل معين وهكذا) وواضح من هذا الشرح الذى عليه محققى العلماء من الأمة من المفسرين وغيرهم أن هذا الكتاب هنا هو عن الآيات المعلومة لكل نبى والتى شاهدها الناس المعاصرين لكل نبى وليس لها معنى الغيبية أو المعنى العام والشامل) وذلك بخلاف قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) الذى هو: العلم الشامل والجامع فى اللوح المحفوظ فحذف منه الألف.

(٢) أما الآية الثانية:*** ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا (وَ) لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)﴾ ..فقد شرحنا خصوصيتها على الصفحات الماضية مع إضافة بعض الملاحظات — كما يقول الطاهر-: أي ما أهلكنا أمّة إلا وقد متّعناها زمناً (ماضٍ ومعلوم فى الوجود يشير الله عز وجل إليه لنا لأنه معلوم)) وكان لهلاكها أجل ووقت محدود .ويضيف معنى ثان يكون سبباً آخر لوضع الألف وإظهاره وهو قوله: وهذا تعريض (لتهديد ووعيد) مؤيدٌ بتنظيرهم بالمكذبين السالفين .(وأقول وأكرر: أن التهديد والوعيد — دائماً فى القرآن — يكون مُصاحَباً بإظهار الألف مشيرة إلى علو النبرة فى الحديث التى يناسبها علو وإظهار الألف. وهذه قاعدة ذكرناها كثيراً وسنعيشها مراراً وتكراراً).

(٣) والآية الثالثة** ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)﴾ مريم.وقد شرحنا أنها خاصة بقضية جزئية وهى تلاوة حادثة مخصوصة عن (أهل الكهف) فقط .. وقارن بينها وبين قوله (واتل ما أوحى إليك من الكتب) أى كل الكتاب بالمعنى العام والجامع.

(٤) والآية الرابعة*** ﴿تلك أيات القرآن وكتاب مبين.(١)﴾ النمل.. وهذه سنعيش مع خصوصيتها فى شرحنا للآيات التى تتحدث عن كتابة كلمة (القرآن) بدون ألف وبالألف، وخصوصية تقدم القرآن — ألطرف الأدنى والظاهر —قبل الكتاب مما جعله يأخذ حكم القرآن فى إظهار الألف (كتاب) ولأسباب أخرى نعيشها على الصفحات التالية فى التطبيق العملى.

قرءان ..قُرْءَانًا

أما (القرءان) فقد ورد جميعه بالألف – وهذا حقه كما قلنا– ولكننا سنلاحظ أنه إذا أضيف إلى الكتاب وقصد به "البدلية عن الكتاب" فهنا يأخذ حكم الكتاب (ويكتب بدون ألف).. وهذا حدث فى الآيتين الوحيدتين فى القرآن كله وهما: (أول سورتى يوسف والزخرف) ونلاحظ أيضاً أنهما ذكرا بعد ذكر الحروف المقطعة فيهما– وهى المجهولة السر والمعنى بالنسبة لنا– ولهذا ملحظٌ هام فى تركيب الآيتين، وهما:

١) الأولى فى سورة يوسف﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ فالآية هنا:

أولاً: بدئت بالحروف المقطعة وهذا ما يشير إلى جانب الخفاء – كما قلنا–.

ثانياً:قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا.. أى أنزلنا هذا الكتاب الذى هو هو نفس القرآن ؛ فهما هنا واحد– على البدل – ..بمعنى :إنا أنزلناه هو(القرءان)..وهو نفسه فى هذا السياق: الكتاب) ولذلك سيأخذ "القرآن" حكم "الكتاب" – فى الطرف العلوى والجامع– فى إخفاء الألف ؛ لأنه — كما قلنا – بدلاً عنه فى هذا النص.

(٢) الآية الثانية فى سورة الزخرف –كما سنرى — نفس السياق– ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ أى هو هو (الكتاب ..هو.. القرءان) ولعله يقصد به المقروء فى الملأ الأعلى .. أى الطرف العلوى ..وإن كنت أرى أن (الكتب) بدون ألف يشير إلى الطرف العلوى الذى لم يطلع عليه أحد – حتى جبريل نفسه– .. والكتاب بالألف يحمل أيضاً الصورة الغيبية (عن أهل الأرض) ولكنه قد تم الاطلاع عليه (من جبريل) وبلغه لمحمد (ﷺ)، ولكنه مازال لم تعلم به الأمة .(وسنبين ذلك فى استعراضنا لآيات سورة النمل). أما القرآن فهو الطرف المقروء للأمة.. إلا إذا حذف منه الألف لعلة شرحناها.

(٣) **هكذا – كما قلنا**.. بداية السورتين بالحروف المقطعة قبل النص مباشرة ، ومعها الإشارة للكتاب المبين .. وجعله (أى:إنا جعلناه) (هونفسه الكتاب) قرآنا. وكتب قرآنا (بدون ألف) ناظراً للطرف العلوى — على البدل من الكتاب(الكتاب المبدل منه)–. والدليل على أنهما – (أى الكتاب والقرآن) — واحدٌ فى هذا النص هو الحديث عنهما

بنص الإفراد وليس التثنية- فقال ﴿ (وَإِنَّهُ) فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ.ولم يقل (وإنهما). ومعلوم ماهى (أم الكتاب) و(لدينا) و(لعليّ) و(حكيم).. ولهذا حذفت الألف من القرءان فى هذين الموطنين ، وقال بعدهما ﴿" لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وهذه الفقرة- أيضاً - تكررت فى الآيتين بعينها.

ويقول الإمام المراكشي: . قال الله تعالى في يوسف: (إنّا أنزَلناهُ قُرءاناً عَرَبياً). وفي الزخرف: (إنّا جَعَلناهُ قُرءاناً عَرَبيا) والضمير في الموضعين ضمير الكتاب المذكور قبله. (أى على البَدل) وقال بعد ذلك في كل واحد منهما: (لَعَلَكُم تَعقلونَ) فعربيته هي من الجهة المعقولة.(ومعلوم أن المعقولية ليست أمراً مادياً بل معنوياً).

وقال في الزخرف: ﴿وَإنّهُ في أُمِ الكِتابِ لَدينا لَعَليٌّ حَكيم﴾.

** وهنا أضيف رأياً للإمام الدانى خاص بهذا الرسم ونقوم بالتعليق عليه وهو:

((وكذلك حذفت الألف بعد الهمزة في قوله " قرءانا " في مكانين في يوسف " انّا انزلنه قرءنا عربيا " وفي الزخرف " انّا جعلنه قرءنا عربيا " ويقول الداني: رأيت أنا هذين الموضعين في مصاحف أهل العراق وغيرها بالألف)انتهى.

(وأنا أقول أنه لامانع من هذه القراءة التى تناسب أيضاً الأحداث الأرضية على اعتبار قولنا: أن الكتاب هو القرآن فى هذين النصين فقط - فهو الطرف السماوى (فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) وهو الطرف الأدنى (قرآنا عربيا) -، وقد ذكرا (الكتب والقرءان) على سبيل البدل وليس على سبيل العطف الذى يفيد التغاير .. وكأن هاتين القراءتين تُرسمان هكذا على اعتبارين:

الاعتبار الأول: (الكتب) الذى هو الطرف العلوى ؛ والسورتان تحكيان وتشيران إلى الجدال فى إثبات أن هذا (الوحى) هو من عند الله ..وتحكيان صورة الإنزال من عند الله.

والثانى: اعتبار وجوده على ظهر الأرض يحكى لهم هذه (القصص الغيبية) التى تؤكد مصدره السماوى — قصة يوسف هنا ، وقصة موسى هناك -... مع ملاحظة أن السورتين لاتعطيان تكليفات أو أوامر أوتشريعات ولكنهما تحكيان (ذكر لقصص غيبية — دليل المصدر السماوى — ومجادلة فى (الألوهية) الحقة).. مع ملاحظة قوله (قرءانا عربيا) و (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) مما يناسب ولا يتعارض مع القراءتين دون تمحك منا أو لىٍّ لعنق للنصوص.

((ونعود ونذكر القارىء بهذه الملاحظة وهى: أن هذه الأخبار — كما رأينا فى حديث خاص بذلك — هى أخبار آحاد يجوز فيها الصدق والكذب.. وأن العمدة الأساسية عندنا هو فى هذا الرسم المتناول لدينا بلا خلاف)).

التطبيق العملى على (كتاب وقرآن)

بقى لنا أن نعيش تطبيق هذه المعانى الخطيرة على أرض الواقع لنرى مدى الإعجاز فى هذا الكتاب المحكم ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾الذى هو محفوظ – كما هو – بنصه وحروفه ورسمه – فى الصدور وبين السطور.

وحتى لاتتوه منا هذه المعانى نذكر – باختصار – أن الكتاب (الذى يراد به وحى الله – القرآن الكريم–) إذا أريد بذكره الإشارة إلى الطرف العلوى(السماوى .. الغيبى) كتب بدون ألف (الكتـــب)... وكما قلنا: (الكتـــب) بدون ألـف يـشير إلى الطرف العلوى الذى لم يطلع عليه أحد –حتى جبريل نفسه –.. و(الكتاب) بـالألف يحمل أيضاً الصورة الغيبية ولكن عن أهل الأرض وربما يكون قد تم الاطلاع عليه من جبريل وبلغه لمحمد (ﷺ) – ولكنه وصل إلى الأرض– ولكن مازال لم تعلم به الأمة. أما القرآن فهو الطرف المقروء المعلـوم للأمـة.. إلا إذا حـذف منـه الألـف لعلـة شرحناهاسابقاً.

وهذا ما ردده أيضاً د: المطعنى – ناقلاً عن الائمة الأعـلام – كالإمـام الزركـشى والمراكشى وغيرهم – قولهم: والقاعدة التى تحكم هذا التصرف – وهو إثبات "الألف" فى "القرآن وقرآن" – هى أن هذا الاثبات يرمز به إلى أن المراد هو القرآن فى طرفه الأدنى ؛ أى المصحف المسطور فيه آيات الذكر الحكيم نقرأها مخطوطة بأعيننا ونتلوها مسموعة بألسنتنا، فهو متداول بين أيدينا: نقرأه ونسمعه ونتدبر معانيه متمكنين منه كما نـتمكن من الانتفاع بضوء الشمس وطاقاتها الحرارية دون أن تنالها أيـدينا وهـى سـابحة فى عليائها. فالكتاب رمز إلى الذكر الحكيم فى عليائه ولوحه المحفوظ ، والقرآن رمـز إلى الذكر الحكيم من قربه منا وتمكننا منه.

وهذا ملحظ لطيف لأن كتابة أى شئ تكون سابقة فى الوجود على قراءتـه؛ فالنـاس يقرأون "المكتوب" ولا يكتبون "المقروء" وإلا كان ذلك تحصيل حاصل ويخرج عن عمل العقلاء ، لأن تحصيل الحاصل باطل فى حكم العقل.)انتهى.

معنى هذا أنه إذا ذكر (الكتـــب) – بدون ألف – تتجه أنظارنا إلى العلو – أى إلى السماء– كما سنرى ....وإذا ذكر (الكتاب) بالألف – مثله مثل (القرءان) بالألف – يكون ذلك إشارة ولفتاً للأنظار إلى جهة أهل الأرض والأحداث الأرضية. ولكنها مازال فيها عنصر الغيب (الكتاب بالألف) رغم نزولها إلى الأرض.

وبعد هذا العرض المبسط السريع نبدأ استعراض هذا المعنى – علـــى أرض الواقــع – ونرى: هل تناقض القرآن – والرسم القرآنى معه – فى ذلك أم لا ؟

ونحب أن نبدأ ذلك بإجابة سؤال – سئلت فيه على قناة البركة الفضائية – وهو مفتاح للإجابة والتوضيح لما قلناه .. والسؤال هو:

لماذا فى بداية سورة الحجر يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَبِ وَقُرْءانٍ مُبِينٍ (١))..﴾ وفى أول سورة النمل ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْءانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١).﴾ والسؤال هو:

(١) لماذا تم تقديم (الكتاب) فى سورة الحجر على (القرءان)وتم تأخيره فى النمل؟

(٢) ولماذا كتب (الكتـــب) بدون ألف فى الحجر . وكتب (الكتـــاب) بـــالألف فى النمل ؟. والسؤال هو: لماذا؟ وهل لذلك من حكمة ؟

والإجابة هى – بعد استحضار ما قلناه عن الطرف العلوى (للكتـــــب) والنظـــر إلى السماء .. والطرف الأرضى(الكتاب) والأحداث الأرضية (وملحظ الغيب مع الكتـــاب).. نستعرض السورتين سريعا.. وأرجو من القارىء فتح المصحف الشريف أمامه وبـــين يديه واستحضار المعانى السابقة.

ونبدأ بسورة النمل التى بدأها الله تعالى بقوله﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُــبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) ..﴾ وهنا نرى أنه بدأ بذكر (القرءان).. وكما قلنا أن (القرءان) إشارة إلى الطـــرف الأرضى والأحداث الأرضية، وإلى التنفيذ والتطبيق الفعلى على الواقـــع (الأرض) .. ثم لنتأمل مابعد هذه المقدمة .. حيث أنه كتب الكتاب- وهو التالى فى الـــذكر- بـــالألف (الكتاب) – الذى يعنى أيضاً التأكيد على الطرف الأرضى والنظر إليه (بجانب الملحـــظ الغيبى الذى يعلمه محمد (ﷺ)فقط فى كلمة "الكتاب") .

وهذه المقدمة تعتبر فى بلاغة وعظمة القرآن بمثابة العنوان (أو البرواز) – كما يحلو له أن يسميه بذلك الشهيد سيد قطب رحمه الله- وهذا يعنى أن تكون المشاهد فى جميع هـــذه السورة مشاهد أرضية (باعتبار تقديم القرآن – طرف أرضى ، وكتابة الكتاب بالألف – وهو أيضاً طرف أرضى)– (مع ملاحظة أن ختام السورة الذى يشير إليـــه "الكتـــاب"- بالألف- يتحدث عن الطرف الأرضى الغيبى عن أهل الأرض فى آن واحد ؛ حيث أنـــه سيشرح معجزة علمية أرضية (تغيب عن أهل الأرض) ولكن أعلمها الله لنبيه محمد (ﷺ) وأطلعه عليها (وهى علم الغيب فى دوران الأرض) كما سنشرحها تفصيليا إن شاء الله.

وهذا إذا افترضنا التعامل مع كتاب معجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وعلى هذا يكون سيرنا وبحثنا فى الكتاب الذى كلما ازددت فيه تعمقاً وتدبراً أكرمنه وعظمته – بخلاف غيره من الكتب المدعاة سماوية – التى كلما ازددت فيها تأملاً هدمتها وقوضتها وأثبت زيفها وتحريفها دون حاجة إلى شاهد من خارجها – وانظر سلسلة كتبنا فى مقارنة الأديان- .

ومن هنا كانت دعوة القرآن الدائمة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ النساء..﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾) ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾ .

من هذا المنطلق نبدأ البحث فى سياق السورة كلها (التى خضعت لهذا الرسم) ونجيب على السؤال: لماذا بدئت سورة النمل بقوله ﴿تلك آيات (القرءان) وقدمته على (الكتاب) ، وذكرت (الكتاب) بالألف ؟.. وقد رأينا فى بداية السورة- وبعد رسم البرواز للأحداث الأرضية(فقط)- أن السورة ((جميعها)) بالفعل تتحدث عن أحداث أرضية ((فقط)) ؛ حتى فى أحداث نهاية الدنيا وبداية مرحلة الآخرة تستعرضها السورة بمشاهد أرضية : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ .. (٨٢)﴾ ... ومنها أيضاً(الآية العلمية التى فيها الملحظ الأرضى الغيبى) وهى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ..﴾ ومن أياته الليل والنهار. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦).﴾ ويختمها ربنا- بنفس ما بدأ به بالحديث عن القرآن أيضاً – بعد طول الرحلة فى خلال السورة – بقوله ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ..﴾ **وهكذا يتوافق البدء مع الختام فى تناسق وإعجاز وإبهار.**

ثم بالعودة لا ستعراض السورة- سريعاً – وكيف أنها تتحدث عن أحداث أرضية فقط – مراعاة لبرواز السورة ،ومراعاة لرسم الكلمة من إظهار الألف وتقديم الطرف الأرضى (القرآن) – .. ننظر إلى السياق بعدها مباشرة ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢).﴾ – فهو هدى وبشرى و(للمؤمنين) – الذين يناسبهم الطرف الأرضى الذى يعترفون به ويسمونه – وحدهم – "القرآن".

ثم يبدأ بعدها باستعراض **عمل** "القرآن" على الأرض حيث يقول ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) ....﴾ ومعلوم أن هذا عمل على الأرض

...ثم يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦).. ﴾وسترى أن السورة كلها تشرح وتبرز هذين المعنيين - **حَكِيمٍ عَلِيمٍ** - فى جميع أشواطها وقصصها .

وبعدها يبدأ السياق فى استعراض حدث أرضى فى قصة موسى عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ .. (٧)..﴾ وسنقوم فى سلسلة كتبنا (الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم) بالشرح والبيان لهذه اللقطات من القصص القرآنى.. ولكننا سنعيش هنا ونستعرض الصدق فى عرض الأحداث الأرضية المناسبة للبرواز الذى وضعه رسم الكلمات (القرآن والكتاب) مع التقديم هنا والتأخير هناك.. حيث تستمر الآيات بعد قصة موسى فى عرضها للقصص الآخر- الأرضى- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا .. (١٥)﴾ ، ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ .. (١٨) ..... وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ .. (٢٠) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)﴾ (ملكة سبأ **والعلم** والقوة **والحكمة**، وظل قوله تعالى(عليم حكيم)...وكلها قصص أرضى.

ثم يبدأ فى قصص آخر – **على التواصل للأحداث الأرضية**– ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا .. (٤٥)..﴾ . ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤)..... قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)..**ويعدد بعدها** مشاهد أرضية فقط (أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) .. أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) .... قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩)... إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧).. وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢....)﴾ ... ثم تأتى أخطر آية علمية – كما سنشرحه ونشرح الإعجاز فى طريقة عرضها من الحكيم العليم - **وهى آية أرضية تتحدث عن دوزان الأرض (فيها ملحظ الأرضى الغيبى عنا الذى يحقق رسم الكلمة (الكتاب)**

بالألف: - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾ .

وهكذا تعيش السورة كلها لترسم الأحداث الأرضية التى عبرت عنها من البداية رسم حروف كلمة (كتاب) بالألف.. وتقديم كلمة (القرءان)- الطرف الأرضى- هنا، وتأخيره فى سورة الحجر - التى نبدأ الحديث عنها والتعريف السريع بآياتها كما يلى-

سورة الحجر:

تبدأ- كما قلنا- بالكلمتين (الكتب) - بدون ألف- الذى يدل على حدث سماوى - كما قلنا - ويليها فى الترتيب (القرءان) بالألف (وهو حدث أرضى).. وقلنا أن ذلك - تمشياً مع منهج الإعجاز فى رسم الكلمة المتناسق مع إعجاز اللفظ والمعنى فى القرآن الكريم- يرسم لنا مضمون السورة وترتيب الأحداث فيها (أو بمعنى آخر: برواز السورة)

وهذا يعنى أن يكون ترتيب الأحداث هكذا:

البداية سماوية علوية تلفت الأنظار إلى السماء والأحداث السماوية .. وهذا ترسمه وتعبر عنه كلمة (الكتب) بدون ألف - وتقديمها فى السورة-.. ثم تليها الأحداث الأرضية التى رسمتها وعبرت عنها كلمة (القرءان) ومكتوبة بالألف - فهى بالرسم للكلمتين ، والتقديم للكتاب تؤكد على الحدث الأرضى ليكون تابعاً للحدث السماوى ... **ومن العجيب أن هذا هو ما سارت عليه آيات السورة - على خلاف سورة النمل- التى استعرضناها-.**

ولنبدأ استعراض الأحداث فى سورة الحجر سريعاً:

(١) ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَبِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ (١)﴾ وقلنا أن تقديم الكتاب يوحى بالنظرة التنظيمية لآيات السورة ، ولكن ليس هذا هو كل المراد فقط ؛ فإن تقديم الكتاب له حِكَمٌ أخرى تتجاوب مع رسم الكلمة فى المصحف ، وتتكامل ولاتختلف أو تتناقض ..

ومن ذلك ما قاله الإمام الطاهر بن عاشور: فأما تقديم الكتاب على القرآن في الذكر فلأن سياق الكلام توبيخ "الكافرين" وتهديدهم بأنهم سيجيء وقت يتمنون فيه أن لو كانوا مؤمنين - **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** (٢)-. فلما كان **الكلام موجهاً إلى المنكرين** (أى الكلام فى سورة الحجر بخلاف سورة النمل كان مع "المؤمنين") ناسب أن يستحضر المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم **بعنوانه الأعم وهو كونه كتاباً** ، لأنهم حين جادلوا ما جادلوا إلا في كتاب فقالوا : { **لَوْ أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم** } [الأنعام : ١٥٧] - أى أنهم (أى الكافرون) لم يقولوا لو أنا أنزل علينا (القرءان)

- ولأنهم يعرفون ما عند الأمم الآخرين بعنوان "كتاب" ، ويعرفونهم بعنوان أهل الكتاب . فأما عنوان "القرآن" فهو مناسب لكون الكتاب مقروءاً مدروساً وإنما يقرأه ويدرسه المؤمنون به ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)﴾ النمل. ولذلك قدم عنوان (القرآن) في سورة النمل كما سيأتي)انتهى.

وأقول وأكرر: هذا نموذج لتعدد نواحى الإعجاز فى النص الواحد ، نقوله دائماً ونلفت إليه أنظار القارئين والتالين لكتابه ، وأنه لمن روائع القرآن وعظمته.

(٢) ثم نستكمل استعراض الآيات فى سورة الحجر﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥) ..﴾ فهى تحكى عن كتاب آجال الأمم .. وهو رغم أنه من علم الغيب لله الذى اختص الله بعلمه — (وهو أمر سماوى) — ولكنه لأنه أمر جزئى من اللوح المحفوظ فكتب الألف فى هذا (الكتاب) - الذى يعنى كتاب الآجال- .. ولكنه مع ذلك يلفت النظر إلى السماء وإلى علم الله فى اللوح المحفوظ(كتاب الآجال فى اللوح المحفوظ).

(٣) وتبعاً للدقة المتناهية والحكمة العظيمة التى تعودنا عليها فى هذا الذكر الحكيم لاحظنا أن الأحداث التالية مباشرة هى أحداث علوية (ومنها حديث الملأ الأعلى عن آدم والملائكة وأمر إبليس) ثم بعدها تأتى الأحداث الأرضية فى المرتبة الثانية أو الترتيب المتأخر .. وبيان ذلك الترتيب كالآتي :

(١ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا من قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤)﴾ .أى كتاب الآجال الذى فى السماء.

(٢) ﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦).﴾ وهذه الآية تحمل عنصر التكريم، وهو نزول هذا الذكر العظيم - من السماء - على النبي العظيم، وتحمل عنصر الإساءة أيضاً لهذا الذكر الحكيم ولهذا النبى العظيم ؛ حيث تم وصفه بأفظع صفه وهى الجنون ، مما سيترتب عليه حدوث ما يسمى بزلزال عظيم فى هذه السورة ، يقلب الرأس عقباً . (سنعيش معه على الصفحات القادمة) .

وقد استدعى ذلك قسم رب العزة بحياة النبي محمد (ﷺ)فى داخل السورة- حيث قال ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢).﴾ فهو قسم عظيم وتكريم ودفاع مجيد عن النبى (ﷺ)مقابل هذه الإساءة البالغة من هذا العنصر السيئ من نسل آدم والذي – سيفصله الله من آدم ، وسيشار إليه بعد قليل بالحمأ المسنون ثلاث مرات متتالية!! — فى هذه

السورة فقط-كأنها تأكيد على تحقير هذا العنصر بصيغة التوكيد التى عرفها العرب وسار عليها الإسلام (التوكيد بالثلاثة كما نقول)؛ حيث أنه حينما كان يريد النبى محمد (ﷺ) تأكيد معنى من المعانى فإنه كان يكرره ثلاث مرات .. فكأن هذا التكرار- كما سنرى- لصفة الحمأ المسنون - هو أيضاً من وسائل الدفاع والرد على هذه الإساءة التى نطقت بها **هذه الألسن المنتنة** التى هى من نسل آدم - (العنصر الثانى وهو: الحمأ المسنون) -- بخلاف العنصر المكرم (الصلصال) الذي يمثله النبي محمد (ﷺ) والتابعين له بإحسان.

والعجيب أن هذه المقولة الآثمة التى رددها الكافرون (يا أيها الذي نزل..) تحمل صفة (التكريم) وصفة (الإهانة) فكأنهم نادوه بمقام التشريف: يا أيها الذي نُزل عليه الذكر (وان كان على طريق التهكم .. قاتلهم الله) ثم يأتون بالعنصر الآخر (انك لمجنون) .. وهما عنصران — سماوى (تشريفى) وبعدها أرضى.. بنفس الترتيب أيضاً.

٤- ثم نأتى لتعداد باقى المراحل السماوية التى تعددها هذه السورة الكريمة، وبعد أن قالوا (يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك ....) ... بذكر ربنا تبارك وتعالى قولهم **﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾. فهم يستعجلون نزول الملائكة** بالعقاب الذى يتوعدهم به .. وهذا المطلب من هؤلاء القوم سيكون له أثره فى رسم مشاهد السورة التى رسمت بغاية التناسق والتناغم والإعجاز-إضافة إلى لفت النظر إلى المشهد السماوى-.. كما سنوضحه فى قصة لوط القادمة.

٥- وبعدها:**﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾**.

٦- وبعدها **﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ** (١٤)..**﴾** [٢] — وهى آية علمية ، ولكنها هنا آية سماوية وليست أرضية بخلاف آية سورة النمل.

٧- وبعد ذلك نأتى لمشهد سماوى آخر وهو قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾** (١٦) (بروجاً).. (وزيناها) .. ونلاحظ بعدها المشهد المقابل على الأرض ، والذى يرسم فيه الصورة الفنية الجميلة المتناسقة فى الجهة المقابلة ... وهى **﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا (رَوَاسِيَ) وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ (مَّوْزُونٍ)** (١٩) **﴾**

---

(٢) (حديث علمى آخر عن أبواب السماء والعروج إلى السماء ورؤية الظلام الحالك فى السماء فى وضح النهار بعد الخروج من الغلاف الجوى) .. لقالوا انما سكرت أبصارنا (مناسبة لما يقوله العلم فى الظلام الحالك المخيف والمرعب والذى ينتشر فيه الصمت والرعب كما عبر عنه بحروف وجرس الكلمة (أغطش ليلها) — راجع الحديث عن (جرس الكلمة)

رواسى (على الأرض) - مقابل **البروج** التى (فى السماء)

وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - مقابل وزيناها للناظرين

وفيها — مع هذا التناسق — الصنفين: السهل والوعر فى السماء كما فى الأرض .

تقابل وتناسق وانسجام وروعة وإبهار.

ثم يذكر مضيفاً تناسقاً آخر مع قوله (**وزيناها للناظرين**) ؛ وهو ذكر قول إبليس فى الآيات التالية فى نفس السورة: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي "لأُزَيِّنَنَّ" لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** (٣٩)﴾ . ولاحظ ماسبق وقلناه عن **تزيين السماء وقول إبليس لأزينن**-. ثم قوله (إن جهنم لها **سبعة أبواب**) والحديث فى السورة عن (**السبع سموات**)... فالزينة هنا .. والزينة هناك، والزينة على الأرض كما هى على السماء كما **هى أيضاً** على لسان إبليس.... ثم ذكر السموات السبع والسبعة أبواب .

٨- ثم مشهد سماوى آخر — فى نفس التسلسل وترتيب الآيات- وهو قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** (٢١)﴾ . ومعلوم أين توجد هذه الخزائن من علم الله وفصله الذى لايحيط بعلمه أحد من خلقه، وهو يلفت النظر بقوة إلى السماء ، وخاصة أنه يقول بعدها (**وما نزله إلا**) **أى: من السماء** .

٩- ثم نأتى لمشهد سماوى آخر؛ وان كان قد فهمه بعض المفسرين القدامى — خطأ- على أنه مشهد أرضى- وهذا المشهد هو قوله تعالى : ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ** (٢٢)﴾ ؛ فالرياح هنا ليست لإثارة سحاب (وليس فيها جو الإثارة الذى يناسب مشهد التراب) ولكنها **لتلقيح السحاب** الذى يترتب عليه (**فأنزلنا**) من السماء ماء .. والآية لا تتحدث عن تلقيح النبات- كما فهمها علماؤنا قديماً وإن كان معناها شامل **لذلك أيضاً**- ولكن سياق الآية يؤكد على تلقيح السحاب ، وقد ربطها النص (بفاء التعقيب) فقال : وأرسلنا الرياح لواقح (**فأنزلنا**) من السماء ماء (**وهى آية سماوية أيضاً**).

١٠- ثم نأتى لمشهد هذا الماء النازل من السماء ونسأل عن الصورة التى يريدنا الله عز وجل أن نتأملها فيه فنجد قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ** (**وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**) (٢٢) ﴾الحجر .. فهو يريد منا أن نتأمل ماءً نزل من السماء بعد تلقيحه **ولم يخزنه الله فى باطن الأرض** (وما أنتم له بخازنين) ويأتى السؤال: فما هو مصير هذا الماء؟ . والإجابة: إنه سيبقى على وجه الأرض إلى أن يكون ماءً **وطيناً**

منتناً (وهو مشهدٌ مقصود يطلب منا أن نتأمله ونتملاه تمهيداً لعرض المشهد القادم ومتناسقاً معه) وهو سياق الآيات القادمة وهي:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ.﴾ .﴿ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧).﴾ (٣) وهنا وبعدَ طول هذه الصحبة نكون قد فهمنا لماذا قال (من حمأ

---

(٣)وقد ذكرنا في معرض حديثنا صلصال كالفخار.. وقلنا أن الصلصال الكامل هو أرقى وأكمل أطوار الخلق من تراب.. وهى مرحلة النعمة أيضاً .. فلذلك ناسب وجودها في سورة الرحمن (سورة النعم) . ومن روائع الجمال والكمال فى نظم القرآن وآياته وسوره هو حسن التقابل بين صلصال كالفخار = ومقابله مارج من نار ؛ حيث أن الصلصال: هو عبارة عن طين سلط عليه نار فإذا كانت النار مثل نار السموم بحيث تدخل المسام – مع مافيه لفظ (السموم) من إحساس بالإيذاء وليس التكريم والنعمة– ولكن وجود نار السموم الشديدة التي لها الإيذاء أو مازال لها دخان يقابلها صلصال من حمأ مسنون ؛ حيث لا يبقى الطين طيناً بعد تسليط هذه النار (نار السموم) عليه ولا يحسن تواجد(نار السموم) في المشهد – فنياً – متقابلاً مع الطين(لأنه حينئذٍ لم يبق طين).. فإذا بالفن والجمال يجعل المشهد كالآتي:

صلصال من حمأ مسنون ——— يقابله نار السموم

صلصال كالفخار – ——— تقابله مارج من نار

أصفى أنواع التراب وأعلى مرحله ـــ يقابله أصفى أنواع النيران وأشرفها

وكما يقول د/محمد الأمين الحضري: وكما عدل عن ذكر التراب والطين الموحيين بحقارة أصل خلق الإنسان إلى الصلصال ، لأن السورة (الرحمن) بنيت على تعديد نعم الله على خلقه والامتنان على الإنسان بما أفاض الله عليه من = سحائب التكريم وأولها وأشرفها تعليمه القرآن (الرحمن علم القرآن...خلق الإنسان علمه) فجاء قوله خلق الإنسان = من صلصال آية من آيات الإعجاز في اختيار المفردات وتجنب الألفاظ التي تفاجأ النفس بما يعوق وثبتها إلى اكتناه أسرار النظم والوقوف على غاياته. فلو قال خلق الإنسان من تراب أو من طين لنفر غاية النفور في مقام الامتنان على الإنسان بعظيم خلقه.

وهنا نأتي إلى مرحلة خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون .

ولعل القارئ يلاحظ ان هذا الطور يحوى الصنفين فى آدم (١) الصنف المكرم: المشار إليه بالصلصال (٢) الصنف (المهان)الذى سيهين نفسه بالمعصية ومخالفة الخالق – وسب نبيه (ص) –ويمثله ويشار إليه هنا بالحمأ المسنون (أى الطين المنتن)..... أى أن الله عز وجل – فى هذه السورة – فصل النوعين فى آدم. وهذا لم يحدث إلا فى هذه السورة فقط، وهذا ما يستدعي وقفة متأملة لمعرفة السبب ومناسبة هذا الحدث لهذه السورة المباركة وهى (سورة الحجر) لنتعرف على سبب ودلالة ومدلول هذا الفصل والتمييز ومناسبته لسياق هذه السورة من عدمه ، وهل يمكن استبدال هذا الطور بأي طور آخر كالتراب أو الطين أو النطفة أو حتى (صلصال كالفخار)؟ أم أنه لا يصلح لهذه السورة إلا هذا الطور بصفة خاصة .(حمأ مسنون).. ولك أن تعيش مع السورة لتفهم السبب.

مسنون) ولماذا قام بتفصيل وفصل العنصرين المتواجدين فى آدم ... وهو **العنصر المكرم (الصلصال)** و**العنصر المهان (العاصى)** وهو **الحمأ المسنون**. وقلنا أن آدم كان طيناً وبعد أن سلطت عليه النار التى هى أشبه بنار السموم التى تدخل مسام الطين أصبح هذا الجزء صلصالاً (من الطين المتغير.. وهو ما يسمى **بالحمأ المسنون**) وهذا تناسق جميل وبديع... وقلنا وعددنا أسباباً استدعت هذا الفصل ومنها وأهمها هو:

(١) سب النبى محمد (ﷺ)والقرآن الكريم بهذه الكلمة البذيئة التى خرجت من **أنتن الخلق من هذا العنصر** (**الحمأ المسنون**) من نسل آدم . ولقد رأينا هذين العنصرين حتى فى إبنى آدم (قابيل وهابيل) ورأينا فيهما الصلصال المكرم ورأينا فيهما الحمأ المسنون (العاصى والمهان على الله ومنه هذا الذى يسب محمداً (ﷺ))..ولاننسى أن فصل العنصرين هنا يناسب العنصر السماوى (المكرم) والأرضى (المهان = حمأ مسنون) [٤].

ورغم كل ما قيل نجد وجهاً آخر من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم قد استدعى فصل العنصرين بهذه الصورة فى أبينا آدم ألا وهو: ...

** أن الله عز وجل فى هذه السورة (بصفة خاصة وليس فى غيرها) قد فصل إبليس عن الملائكة (أى فصل العنصر المكرم التشريفى عن العنصر المهان التحقيرى).. بخلاف السور الأخرى مثل سورة الأعراف، التى لو قام القارئ باسترجاع مشاهدها فى حديث الملأ الأعلى وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم فإنه — فى سورة الأعراف- لا يستطيع القارئ أن يميز فاصلاً بين إبليس والملائكة — بخلاف سورة الحجر- وإليك البيان فى السورتين:

الأعراف	الحجر
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾الأعراف . وهنا لا يمكن للقارئ أن يميز: هل إبليس من الملائكة أم لا ؟ فالأمر صادر للملائكة فسجدوا إلا إبليس ... وهنا ربما يتخيل	(١) هنا تم الفصل **من البداية** حيث قال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ..وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾.. فهنا عرَّف أن الجان خَلقٌ مستقلٌ بذاته، وعرَّفه منفرداً عن الملائكة ، وعرَّفنا خلقه (من نار السموم) بخلاف الملائكة التى هى من نور. (٢) ثم قال بعد هذا الفصل والتعريف: إذ قال ربك للملائكة .. وهنا يتضح الفصل الكامل والواضح بين

القارئ أن إبليس من الملائكة. وقال الله له بعد ذلك (١) فأهبط منها (أول مرحلـه لعزله) ثم قال لـه بعـدها (٢) فأخرج إنك من الصاغرين.. *(٢) ملاحظة النص هنا الذى يقول: إلا إبليس لم يكن (من) الساجدين .... وهذا يوحى أنه (منهم) وليس (معهـم) علـى خلاف النص فى سورة الحجر. كما سنرى .	إبليس (العنصر الأرضى) والملائكة (العنصر السماوى).. وإن الأمر صدر للملائكة.. وكان إبلـيس متواجـداً **(معهم) وليس (منهم).** (٣) وقال: فسجد الملائكه- إلا إبليس لم يكن (مـع) الساجدين: لاحظ أنه قال لم يكن **(مع)** الساجدين.. و لم يقل (من) الساجدين ..فهنا وضح وضوحاً تاماً وشافياً أنه (معهم) وليس (منهم).. وبذلك يكون قد اتضح أنه قد تم الفصل الواضح والكامل بين عنصر (النور والخير- الملائكة) وعنصر (الشر والضلال - إبليس) **فى هـذه السورة فقط** .. فناسبها أن يفصل النص القرآني المبهر بين عنصر الخير (الصلصال) من عنصر الـشر (الحمـأ المسنون) فى آدم أيضاً(وفصل وترتيب المشهد السماوى من المشهد الأرضى) وهذا هو قمة الروعة والإعجاز ..

وفى سورة الأعراف سنجد نفس الحديث عن عدم الفصل فى رسم كلمة "يستأخرون" على الصفحات القادمة.

ويزداد التناسق والجمال تناسقاً وجمالاً آخر حين أكد إبليس هذا الفـصل بنفـسه فى حديثه عن عنصرى آدم حيث قال : **﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}﴾** (٤٠) ورد عليه ربنا قائلاً: (١) **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾** (٤٢) ثم رسم طريق الاثنين وهو (١) **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾** (٤٤). **تحديـد وتقـسيم** أيضاً (٢) **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾** (٤٥) ثم قال(١) **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (٤٩) (٢) **﴿وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾** (٥٠) الحجر.. ثم العنـصر الـصالح (إبراهيم ولوط) والطالح (قوم لوط) .

ثم نأتى للمشهد الأرضى والذى يبدؤه ربنا تبارك وتعالى بقصة لوط – التى تتناسق كمـا سنرى مع برواز السورة ومع استعجالهم للملائكـة مـن محمـد(ﷺ)والـدفاع عـن محمد(ﷺ)كما سنرى. وبيان ذلك كالآتى:

(١) كلنا يعلم أنه حينما يذكر قوم لوط فإننا نتذكر ما أمر الله به **ملائكته** ومـا فعلتـه **الملائكة** بهؤلاء القوم ، كما ورد فى هذه السورة حيث يقول **﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَـا سَـافِلَهَا**

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤) الحجر.. ولذلك كان من أشد التناسب والتناغم أن يبدأ الله عز وجل السرد القصصي لقصص الأنبياء هنا بقصة لوط ، وليس ذلك فحسب. بل إنه يقدم – هنا أيضاً – ذكر الملائكة فى الحوار معه(قبل حديث قومه له)..

وهذا المشهد وهذا الترتيب لم يحدث فى أى سورة أخري سوى هذه السورة .. وهذا ليس اعتباطاً ؛ فقد تعودنا أن يبدأ القصص بذكر قصة النبى التى تتناسب وتتناغم مع جو وسياق السورة كلها التى فيها هذا المشهد ؛ فتارة يبدأ القصص بنوح كما فى سورة المؤمنون – كما شرحنا ذلك من قبل فى سورة الصافات[٥] ، وتارة آخري يبدأ القصص بإبراهيم أبو الأنبياء .. وتارة يبدؤه بموسى كما فى الشعراء و الأنبياء ، وهكذا كل قصة فى مكانها الحقيق بها واللصيق بها (راجع سلسلة كتبنا عن الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم).

وهنا- كما رأينا- أن المقام الأنسب فى تقديم القصص .. هو تقديم قصة لوط .. وحديث "الملائكة" المشهور وفعلهم مع لوط وقومه ثم النهاية المعلومة بخسف الملائكة الأرضَ بقوم لوط ورجمهم بالحجارة.

ولكن العجيب- والعجب لا ينتهي- لأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه- إن قصة لوط وردت فى سور آخري مثل سورة هود بالترتيب المختلف عن ترتيبها فى هذه السورة .. وهو كالآتى : – ففى سورة "هود" يبدأ القصة هكذا:

(١) ﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)﴾ هود. وهنا يقف الحديث مع الملائكة عند هذا الحد.(كإشارة لقدومهم فقط) و لم يكمل ، و لم يسرد النص القرآني حديث الملائكة المعلوم مع لوط ، أو حديث لوط مع الملائكة وكان ذلك بمثابة إشارة فقط لحضور الملائكة – كما قلنا-.

(٢) ثم يدخل بنا النص سريعاً إلى الآية التالية ٧٨ حيث يقول ﴿وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ (٧٨)﴾هود... (ويبدأ الحديث بين لوط وقوم لوط) – أى الحديث الأرضى – ويستمر الحديث مع لوط وقومه من الآيات ٧٨، ٧٩، ٨٠ .

---

(٥) (لأن هذه السورة تحتاج الحديث عن الذرية ... والحديث عن المشارق دون المغارب (رب السموات والأرض.. رب المشارق) فهى إحياء بلا إماته وغير ذلك من المعانى الجليلة – كما وضحنا ذلك جلياً فى سلسلة كتبنا عن الإعجاز القصصي والتكرار فى القرآن الكريم .

(٣) ثم يأتى بعد **ذلك الحديث مع الملائكة** (أى أن حديث الملائكة جاء فى المرتبة الثانيـــة والأخيرة).. قالوا يالوط إنا رسل ربك ..... حديثاً كاملاً للملائكة وإن كان مختصراً.

ومن هذا يفهم أن الترتيب – فى سورة هود- كان كالآتي :-

١- حديث القوم مع لوط .

٢- ثم حديث الملائكة مع لوط .. ويكون حديث الملائكة متأخرا كما رأينا .

ولكن فى سورة الحجر- التى تعجل الكفار فيها نزول الملائكة – (الطـــرف الـــسماوى) (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر .. لو ما تأتينا بالملائكة...)- والتى رسم بروازهـــا كما قلنا (السماوى ثم الأرضى) نجد أن السياق فى قصة لوط فى هذه السورة قد تعجل فيه **ذكر الملائكة وحديث الملائكة** قبل ذكر حديث لوط مع قومه- .(علـــى خـــلاف السياق فى السور الأخرى مثل السياق فى سورة هود).

وكما نعلم دائماً أن النص القرآنى يقدم الأهم والأنسب فى السياق- وهو هنا الملائكـــة (المشهد العلوى – السماوى – قبل المشهد الأرضى) وهى تسرع لإهلاك هؤلاء القوم .

مع ملاحظة مناسبة الإساءة للنبي محمد (ﷺ)فى أول السورة ؛ لتؤكد على انشغال المـــلأ الأعلى بذلك) ، ويأتى ذلك تكريماً لنبي الله لوط وإشارة لتكريم النبي محمد(ﷺ)برابط فني وبلاغي عجيب.

وهذا ما يؤكده السياق؛ حيث أنه بدأ المشاهد بذكر حديث الملائكة من الآية (٥٧-٦٦) - **عشر آيات** عن الملائكة- يبدؤها بقوله فما خطبكم أيها المرسلون – الملائكة-﴿**قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٍ مُّجۡرِمِينَ** ﴿٥٨﴾﴾ الحجر (لاحظ البداية) .. فلما جاء آل لوط المرسلون .... قال .. قالوا... بل جئنك،، وأتيناك بالحق (لاحظ ذكر الحق) .

ثم بعد ذلك جاء بذكر حديث لوط مع قومـــه فى الآيـــة ٦٧: وجـــاء أهـــل المدينـــة يستبشرون.(العنصر الأرضى). ويأتى فى خلال هذا السياق قول الله تعالى ﴿**لعمرك الهم لفى سكرهم يعمهـــون**﴾ ؛ وكأن الله عز وجل يقطع الحديث المثير عن لوط وقومه والملائكـــة ويلتفت إلى نبينا محمد (ﷺ)ليطمئن قلبه فى أحرج المواقف والمشاهد . وهذا من بـــدائع أسلوب الإلتفات فى القرآن الكريم.. حيث أنه يقطع المشهد وهو فى غاية الإثارة، وقـــد وصلت المشاهد الى القمة، ويقطعها ليذيع نبأً عظيماً وعاجلاً وهاماً جداً جداً ؛ هو البيان التالى:﴿ **لعمرك الهم لفى سكرهم يعمهون**﴾ – وهو قسم بحياة النبى محمد (ﷺ)-ثم يعـــود السياق مرة ثانية إلى مشهد تدمير الملائكة على قوم لوط فى الأرض، ولذلك قال بعـــدها

﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾و لم يقل: ان فى ذلك (لآية) (للمؤمنين).. كما قالها فى الآية بعدها ... [٦]

ونحن هنا نستكمل الحديث مع المتوسمين وآيات المتوسمين ونصل إلى مشهد آخر من المشاهد السماوية فى تناسق الآيات والعبر وبعد ذكر استعجالهم لنزول الملائكة وقد رأينا ما حدث حيث يقول ربنا بعدها فى ختام السورة ما يناسب بدايتها :

(١) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)﴾ سورة الحجر ـــ مناسبة لقوله (تلك آيات القرآن ..والسبع سموات .. والسبع أبواب من جهنم..وقوله عنه: يأيها الذى نزل عليه الذكر).

(٢) ﴿لا تمدن عينيك إلى (ما متعنا) به أزواجاً ... ولا تحزن عليه ﴾.((ما متعنا) مقابل حديث الزينة السابق(وزيناها..، ولأزينن لهم فى الأرض).

(٣) كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين .

(٤) وقوله "فاصدع" فيها (مشهد (الفصل) بين الحق والباطل. ليتناسب مع مشاهد الفصل فى قصة آدم وإبليس والملائكة — الذى ذكرناه من قبل- مع مراعاة جرس الكلمة وصورها .وكل هذه المشاهد الأرضية التى جاءت فى الترتيب الذى رسمه البرواز بإعجاز متناسق ومتناغم مع الرسم العثمانى).

(٥) ثم قوله (إنا كفيناك المستهزئين) .

---

(٦)وهنا يقف علماء البيان ليتأملوا ويحاولوا ان يفهموا سر سياق هذه الآية ولماذا جاءت بصيغة الجمع هكذا﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين) ... وكلٌ يدلى بدلوه فى بحر الإعجاز العميق والمستمر إلى يوم القيامة والمفتوح لجميع الأجيال.. وإن كنا سنقف على واحد من هذه الآراء واللطائف فى شرح هذا الموقف- الذى ذكرناه فى سياق قصة لوط – وما رأينا من.

(١) تقديم الملائكة وحديثها على حديث لوط مع قومه – قوم لوط -.. وهذه تحتاج إلى فهم أصحاب الفراسة (المتوسمين) .

(٢) وأيضاً ماحدث من أسلوب الالتفات هذا الذى يحتاج لفهم أصحاب الفراسة (المتوسمين). وما زالت القصة مع ما قبلها تحتاج لأصحاب الفراسة والبصيرة وليس لأصحاب البصر فقط .

أما حينما ذكر بعدها مشاهدة ما حدث لقوم لوط من الدمار والذى لا يحتاج إلا إلى المشاهدة فقط لآثارهم بالبصر قال : وانها لبسبيل مقيم (أى آثار قوم لوط وديارهم) إن فى ذلك (لآية للمؤمنين) وذلك لأن أصحاب الفراسة كانوا يستنبطون الآيات الكثيرة من السياق والقصة بخلاف غيرهم ،كما أن القصة الأولى فيها العبر الكثيرة للمتوسمين ... بخلاف هنا فى رؤيتهم لمشاهدة الدمار فهى آية واحدة وللمؤمنين .

(٦) ثم فى النهاية : ولقد نعلم ... ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨)..﴾ وذلك مناسبة لقول الله عز وجل – فى الصورة المقابلة– عن إبليس ((إلا إبليس (أبى) أن يكون (مع) الساجدين)).

فيأتى التناسق الجميل البديع: ﴿إلا إبليس لم يكن (مع) الساجدين﴾	ومحمد يقول له ربه : ﴿فسبح بحمد ربك وكن (من) الساجدين ﴾ و وليس (مع) الساجدين.. واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

فأصبح من الواضح الجلى أن برواز السورة ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءانٍ مُّبِينٍ (١))..﴾ قد رُسم خصيصاً (بإعجاز الرسم العثمانى– كما يقال–) ليناسب جو السورة وترتيب أحداثها ، وإن شئت فقل أن السورة قد رسمت خصيصاً لهذا البرواز .. وهكذا يتكامل النص القرآنى بألوان الإعجاز المختلفة فيه ؛ من رسم الكلمة والتقديم والتأخير مع إعجاز اللفظ والمعنى .... ونكتفى بهذا القدر و﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾.

❀❀❀❀❀

أسمائه.. أَسْمَٰٓئِهِۦ

(١) ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ الزمخشرى: واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحقّ والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى ، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه ، **كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم : يا أبا المكارم ، يا أبيض الوجه ، يانخي . أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى . نحو أن يقولوا : يا الله ، ولا يقولوا : يا رحمن** وقد قال الله تعالى : { **قُلِ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أَيّاماً تَدْعُواْ فَلَهُ الاسماء الحسنى** } [الإسراء : ١١٠] ويجوز أن يراد : **ولله الأوصاف الحسنى** ، **وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فوصفوه بها** ، وذروا الذين يلحدون في "أوصافه" فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها ، وقيل : إلحادهم في أسمائه : **تسميتهم الأصنام آلهة** ، واشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من العزيز.

ويقول السمرقندى: يعني : "الصفات" العلى { فادعوه بها }

الطاهر: ووصف الأسماء ب { الحسنى } : لأنها دالة على ثبوت (صفات) كمال حقيقي ، ..ومعنى الإلحاد في أسماء الله جعلها مظهراً من مظاهر الكفر، وذلك بإنكار تسميته تعالى

بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له ، وهو الأحق بكمال مدلولها فإنهم أنكروا الرحمان ، كما تقدم ، وجعلوا تسميته به في القرآن وسيلة للتشنيع ، ولمز النبي عليه الصلاة والسلام بأنه عدد الآلهة ، ولا أعظم من هذا البهتان والجور في الجدال ، فحُق بأن يُسمى إلحاداً؛ لأنه عدول عن الحق بقصد المكابرة والحسد .

وهذا يناسب أن يكون حرف (في) من قوله : { في أسمائه } مستعملاً في معنى التعليل — أى بسبب أسمائه -كقول النبي صلى الله عليه وسلم « دَخلتْ امرأة النار في هرة » الحديث

ونقول بناءً على هذه الأقوال من أئمة التفاسير((**من هنا يتبين أن أَسْمَٰٓئِهِۦ " هنا بمعنى (صفاته) وأنها خاصة بالذات العلية ، ونلاحظ أيضاً ورود حرف (فى) أَسْمَٰٓئِهِۦ وهذا الحرف — الظرفية كما رأينا فى أكثر من موطن — يرسم المشهد بعدها بحذف الحرف من الكلمة .— والأمر الثالث هو معنى العلة فيه (أى بسبب أسمائه) وليس (فى أسمائه) بالمعنى الآخر الذى سنراه فى الآيات التالية:**

(٢) ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ **(بالألف).**

ملحوظة : فى (أَسْمَٰٓئِهِۦ) هى عدة أسماء لذات واحدة — ذات الله تعالى- وهى "الصفات" وهم يلحدون فيها — أى فى الصفات- وملاحظة حرف (فى) ، وحذف الألف من الكلمة أيضاً دليل الملكوتية والتشريف لهذا الاسم وللذات العلية التى لايعلم كنهها إلا هو ، كما يقول ربنا: (الرحمن فاسأل به خبيرا) و لم يقل فاسأل عنه خبيراً ؛ لأنه لا أحد يعلم أو يستطيع أن يعلم صفاته سبحانه وتعالى ويخبرنا بها إلا هو سبحانه ؛ فأنا أسأل (به) سبحانه أن يعرفنى (هو) من صفاته التى لايعلم حقيقتها أحد من الخلق ؛ ولذلك لم يقل (الرحمن فاسأل "عنه" خبيراً) ، وهذا من لطائف وإشارات الحرف فى القرآن الكريم.. بخلاف قوله: ياآدم أنبئهم (بأسمائهم) فهى أسماء لذوات متعددة ، ومخلوقة لله ، ومادية وليست ملكوتية .

ونكرر: هى أسماء لغير الله من البشر أو غيره..وبذلك لايستوى — برسم الكلمة فى القرآن أيضاً—أسماء الله وأسماء خلقه ، وسنرى إن شاء الله أنه — عن طريق رسم الكلمة فى القرآن أيضاً — أنه لاتستوى صفات الله وصفات خلقه .

(تعالى)... تَعَٰلَىٰ

ملحوظة: كلمة (تعالى) كتبت بدون ألف هكذا:

(١) الأنعام.﴿ ..وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الطاهر: ومعنى : { تعالى } ارتفع ، وهو تفاعل

من العلوّ . والتّفاعل فيه للمبالغة في الاتّصاف . والعلوّ هنا مجاز ، أي كونُه لا ينقصه ما وصفوه به ، أي لا يوصف بذلك لأنّ الاتّصاف بمثل ذلك نقص وهو لا يلحقه النّقص ، فشبّه التّحاشي عن النّقائص بالارتفاع ، لأنّ الشّيء المرتفع لا تلتصق به الأوساخ الّتي شأنُها أن تكون مطروحة على الأرض ، فكما شبّه النّقص بالسفالة شبّه الكمالُ بالعُلوّ ، فمعنى (تعالى عن ذلك) أنّه لا يتطرّق إليه ذلك.

(٢) ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)﴾ النحل.

(٣) ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) ﴾ النمل.

(٤) ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ الجن.

(٥) ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)﴾ الأعراف أي هو أعلى وأجل من أن يوصف بالشرك.

(٦) ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ (١١٤)﴾ طه.

(٧) ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾ المؤمنون.

(٨) ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)﴾ المؤمنون.

إلى هنا والحديث عن علو الذات الإلهية وكلنا يعلم أنه ليس علواً مكانياً مادياً – كما نعلمه – بل هو علو مجازى وملكوتى وغيبى، ولذلك كتبت جميعها بدون ألف.

بخلاف الآيات التالية التى تتحدث عن علو البشر الدنيوى والمادى والكلمة ترسم علوهم من الحضيض فلابد من الرسم بالألف التى تفيد التحول والتغيير أيضاً فى هذا المشهد الذى لايليق مثله بذات الله:

(٩) **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا..﴾ الثعالبى:**

و{ تَعَالَوْا } : تَفَاعَلُوا؛ من العُلُوِّ ، وهي كلمةٌ قُصِدَ بها أولاً تحسينُ الأدَب مع المدعوِّ ، ثم اطردت؛ حتى يقولها الإنسان لعدُوِّه ، وللبهيمةِ... ولكنها على حالها بمعنى الدعوة – للبشر – إلى العلو عن **ماهم فيه من الحطيط** .. ويتضح ذلك من استقراء الآيات، جميعها ..فهى دعوة لتحكيم العقل والشرع وإلى ماأنزل الله والرسول والوصول إلى الحق والبحث فيه والقتال فى سبيل الله.. ولاتوجد آية تدعوهم للإنحطاط أو الرزيلة بكلمة تعالوا – أى

لم يقل تعالوا إلى الرزيلة أو المعصية أو الكفر .. وهذا مايتميز وينفرد به النص القرآني في الإستخدام الأمثل للكلمة.

(١٠) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾التوبة.

(١١) ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا..﴾ آل عمران.

(١٢) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ (٦١)﴾ النساء.

(١٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ (١٠٤)﴾ المائدة.

(١٤) ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الأنعام.

(١٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ (٥)﴾ .

(١٦) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ الأحزاب. الألوسي: أي أقبلن بإرادتكن واختياركن لإحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني ، واصل تعالى أمر بالصعود لمكان عال ثم غلب في الأمر بالمجيء مطلقاً .

(١٧) ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣ ﴾يونس ... الألوسي: أي لغالب قاهر في أرض مصر ، واستعمال العلو بالغلبة والقهر مجاز معروف. (ولكن الكلمة من ثلاث حروف فلا يحذف منها الألف).

(١٨) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) ﴾الأحقاف والغاشية

الألوسي: { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } مرتفعة المكان لأنها في السماء فنسبة العلو إليها حقيقة ويجوز أن تكون مجازاً .

والآن أصبح واضحا – برسم الكلمة – الفرق بين صفات الخالق والمخلوق ، وأنهما – في الرسم القرآني للكلمة – لايستويان..وأن الكلمة لم تُرسم اعتباطاً أو كيفما اتفق ، أو جهلاً من الكاتب – حاشا لله–كما يردد الجاهلون.وغير المدققين.

❁❁❁❁❁❁❁

تراب .. (تُرَٰبًا) .عظام .عِظَٰمًا

وردت كلمة التراب مرسومة بألف ظاهرة (تراب) ووردت بغير ألف ظاهرة (تُرَٰبًا) وهذا مما أثار داعية البحث فى ذلك واستدعاء واستعراض الآيات جميعها التى ورد فيها كلا الرسمين وهذا منهجنا دائماً فى التعامل مع ألفاظ القرآن ، وقد لاحظنا أن الآيات التى وردت فيها(تراب) بالألف الظاهرة (تراب) هى:

١- **البقرة ٢٦٤﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ (تُرَابٌ) فَأَصَابَهُ وَابِلٌ (٢٦٤)﴾ البقرة.

٢- آل عمران ٥٩)﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ (تُرَاب) ﴾.

٣- الكهف ٣٧ ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ (تُرَاب)﴾.

٤- الحج ٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ(تُرَابٍ)﴾.

٥- الروم ٢٠ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ (تُرَاب) ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾.

٦- فاطر ١١ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ (تُرَابٍ) ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ..﴾ .

٧- غافر ٦٧ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾.

٨- **النحل ٥٩ ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي (التُّرَابِ) أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.

الأمر الأول الملاحظ أن الآية الأولى مضافاً إليها آية النحل الثامنة (أم يدسه فى التراب) تتحدثان عن التراب الظاهر لنا جميعاً والمعلوم لنا.

وباقى الآيات تتحدث عن عملية **الخلق والإنشاء وإقامة البنيان للكيان البشرى من لدن** آدم عليه السلام. وهذا يناسبه ظهور الألف فى كلمة تراب.

ولذلك حسن إظهار الألف لحالتى :*(١) **البناء والإنشاء** *(٢) **أو الظهور المادى**

وقبل أن نسرد باقى الآيات التى حذف منها ألف (تراب) وكتبت (تُرَٰبًا) نقول أن هذا الحال حدث لكلمة (عظام) حيث وردت أيضاً مرة بالألف الظاهرة (عظام) وأخرى بدون الألف الظاهرة والاكتفاء بوضع واحد بدل الألف ليدل على حذفه (عِظَٰمًا) هكذا: بدون ألف:

١- الإسرء ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ﴾.

٢ - الإســـــــراء﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

٣ - النازعات﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ ﴾.

٤ - يس﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾.

والملاحظ هنا فى الآيات أنها تتحدث عن العظام الغيبية والغائبة عن أنظارنا ، ومثلها أيضاً العظام الغيبية التى توجد فى الرحم فى قوله:

٥ - [﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ ((عِظَـٰمًا)) فَكَسَوْنَا ((ٱلْعِظَـٰمَ)) لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ مع ملاحظة أن كلمة عظام هنا فى سورة المؤمنون قرئت على صورة الإفراد (العظم)وصورة الجمع (العظـــام) معـــاً، فكان لابد أن تكتب على هذه الصورة (بدون ألف عِظَـٰمًا) لتناسب من يقرؤها ـــالمفرد على الجنس (بالإفراد) وعلى الجمع ، **لأنها لو كتبت بالألف لتحتم عليها** قراءة واحدة هى الجمع (عظام). وهذا يتناسب مع القراءت فى هذه **الآية التى فيها ملحظ إنشاء وتكـــوين العظام من ناحية** (والتى يستدعى فيها وجود الألف (عظام) ، **ولكن مع ملاحظة الملفـــت الآخر وهو خفاء مرحلة تكوين هذه العظام فى داخل الرحم والتى تستدعى إخفاء الألـــف؛** فكانت الكتابة على هذه الصورة لتناسب الحالين .. فما أعظمه وما أجمله من تـــصوير عظيم ومبهر لرسم الكلمة فى الذكر الحكيم !!.

وتحذف الألف دائماً من العظام التى **تهدم وتتحلل (وتتناقص)** وتصبح رميماً ومتاكلة (أو يحدث فيها التآكل والنقصان) **مما يناسبها ويتلاءم معها** حذف (نقصان الكلمة) وحذف حرف الألف - الذى يجوِّز العرب حذفه للتخفيف – كما هو معلوم – .

ولكن إذا وردت الكلمة الواحدة فى سياقات مختلفة مرة بالألف ومرة أخرى بدون الألف فهنا نسأل عن السبب ، وعلى سبيل المثال : قوله تعالى لحبيبه محمد (ﷺ): " ولا **تك** فى ضيق . . ." (فى سورة النحل) وقوله مخاطباً - نفس الحديث ولنفس الشخص – وهو الحبيب محمد (ﷺ)- فى سورة النمل : " ولا **تكن** فى ضيق" فهنا نسأل عـــن الـــسبب ..وهكذا الكثير والكثير مما تناولناه وستناوله على الصفحات القادمة. وانظر بحث (ويـــل للمطففين) لترى إهتمام القرآن برسم الكلمة ليجعلها تعبر بصورها وجرسها عن المشهد الذى تقوم برسمه خير قيام وأبدع وأصدق صورة.

ولكننا سنلاحظ أن هذه الكلمة (عظام) قد رسمت بالألف الظاهرة (عظـــام) فى ســورة البقـــرة ٢٥٩﴿ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴿٢٥٩﴾﴾التى تتحدث عن (**جمع**) **عظام** (حمار العزير) ، والمشهد – كما نعلم -- **فى** (**الحياة الدنيا**) وليس فى الآخرة ، إضافة إلى أن العظام (**لم تتغير حالتها ولم يصبها البلى والنقصان**) ، والعملية هى عملية **تجميع لعظام و لم يذكر أنها عظام رميم أو بالية**.

فهى لم تتغير، كما أن **طعامه وشرابه لم يتسنه** (أى لم يتغير) ، ولكن الله أراه القـــدرة على **جمع العظام** بعد تفريقها أمام عينيه كصورة **مادية ملموسة** يناسبها **إظهار الألـــف** ، وهو أيضاً مشهد محسوس للعزير فى **الحياة الدنيا** وليس فى الآخرة ولذلك حسن إظهـــار الألف فيها.

وكذلك نجد الألف ظاهرة فى (سورة القيامة) حيث يقول ربنا تبارك وتعالى :" أيحـــسب الإنسان ألن (نجمع) عظامه " فهو سبحانه: (١) لايتحدث عن مشهد العظام وهى رميم أو وهى تالفة (٢) وهو سبحانه لم يقرن العظام بحالة التراب – أى لم يقـــل: عظامـــا ورفاتا، أو تراباً وعظاماً–) –كما سنراه فى المشاهد التالية التى استدعت حذف حـــرف الألف من العظام التى ارتبط فيها العظام مع التراب مرة ، و لم يرتبط به مرة أخرى –

ومن هذا يعلم أن الحديث عن (العظام) إذا كان عن مشهد الموت – الذى يصاحبه البلى والنقصان من العظام -- نلاحظ أيضاً معه نقصان حروف الكلمة وحذف الألف(عظـــم) وإذا كان الحديث عن إنشاء العظام وتكوينها أو تجميع العظام دون ذكر مشهد بليانهـــا واقترانها بالتراب -- الذى هو صورة الموت والتحلل للجسد والعظام – هنا يقيم الألـــف ويظهرها (مع ىمشاهد الإنشاء والجمع).

أما فى حال تواجد العظام مع التلراب فتحذف الألف ولكن يبقى للتراب وحده حكمـــاً آخر يجليه لنا رسم الكلمة (تراب) مرة بالألف ومرة بدون الألف – كمـــا ســنرى – لينشئوا لنا أعظم آيات الإبهار والتدبر الممتع والمبهر معاً فى القرآن الكريم، وإليك عرض الآيات التى تبدأ بقوله تعالى ((**اءذا كنا** تراباً...)).

ولكن قبل أن نبدأ فى عرض آيات التراب والعظام أرجو من القارىء أن يقـــف ويتأمـــل طويلاً فى رسم الكلمات التالية فى الآيات القادمة وهى:

(١) كلمة (أءذا) ؛ حيث أنها كتبت مرة واحدة فقط على صورة (أئـــذا) فى (الواقعة٤٧) ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾،و كتبت (أء ذا) فى باقى الآيات.

(٢) رسم كلمة (أء نا) لمبعوثون .. حيث أنها كتبت فى آية واحدة (أئنا) فى النمل ٦٧﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وكتبت (أءنا) فى باقى الآيات.

(٣) ملاحظة رسم كلمة (تراب) والتى رغم أن الحديث فيها عن دعوى الإخـــراج والبعث بعد الموت ولكنها كتبت بالألف الظاهرة (ترابا) فى آيات مثل:

١- سورة المؤمنون ٨٢﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

٢- وآيتا الصافات ١٦﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

٣- الصافات ٥٣﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

٤- وآية الواقعة ٤٧ -﴿٤٠﴾﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

ورسمت نفس الكلمة (تراب) فى باقى الآيات من السور الباقية (بدون ألف).

(٤) الملاحظة الرابعة هى ملاحظة نهاية الآيات التى وضعت بإعجـاز رهيـب وتناسق عجيب وهى كالآتى:

(أ) أءنا لفى خلق جديد (فى آيات..). (ب) أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً (فى أيات..).

(ج) أءنا لمخرجون (فى أيات..). (د) أءنا لمدينون (فى أيات..).

ثم نسأل أنفسنا السؤال المعتاد فى حديثنا عن البحث عن **الجمال والكمال** فى القرآن الكريم وهو: لماذا حدث ذلك ؟ وهل يمكن استبدال كلمة مكان أخرى فى هذا النظم القرآنى المعجز؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة والتى أرجو من القارى الوصول إليها بنفسه بعد عرض الآيات عليه وقيامه هو بالتدبر المطلوب منه (أفلا يتدبرون القرآن..) أقوم بعرض الآيات من السور المشار إليها والمبدوءة بقوله تعالى (أءذا كنا...) وهو كما نعلم حديث مجادلة منهم فى أمر البعث والآن نستعرض الآيات وهى بترتيب المصحف الشريف :

١- الرعد ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ (أَءِذَا) كُنَّا (تُرَابًا) (أَءِنَّا) (لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) ﴾

٢- الإسراء ﴿٤٩وَقَالُوٓاْ (أَءِذَا) كُنَّا (عِظَـٰمًا) (وَرُفَـٰتًا) (أَءِنَّا) (لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) ﴾

٣- الإسراء﴿٩٨ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا (وَقَالُوٓاْ) (أَءِذَا) كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

٤- مريم ﴿٦٦ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ (أَءِذَا) مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾.

٥- المؤمنون ﴿ ٨٢قَالُوٓاْ (أَءِذَا) (مِتْنَا) وَكُنَّا ((تُرَابًا)) وَعِظَـٰمًا (أَءِنَّا) لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

٦- النمل﴿٦٧وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ (أَءِذَا) كُنَّا (تُرَابًا) ((وَءَابَآؤُنَآ)) ((أَءِنَّا)) لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

٧- السجدة ﴿ ١٠ وَقَالُوٓاْ (أَءِذَا) (ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ (أَءِنَّا) (لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) ﴾.

٨- الصافات ﴿١٦ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ (أَءِذَا) ((مِتْنَا)) وَكُنَّا ((تُرَابًا)) وَعِظَـٰمًا (أَءِنَّا) لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

٩- الصافات ﴿٥٣ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ (أَءِذَا) ((مِتْنَا)) وَكُنَّا ((تُرَابًا)) وَعِظَـٰمًا (أَءِنَّا) لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾.

١٠-الواقعة ﴿٤٧ -﴿٤٠﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ((وَكَانُواْ يَقُولُونَ)) ((أَيِذَا)) ((مِتْنَا))وَكُنَّا ((تُرَابًا))وَعِظَـٰمًا (أَءِنَّا) لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

وهنا وبعد استعراض الآيات وبعد التأمل فى الملاحظات التى ذكرناها قبل سردها نقف بعض الوقفات التالية:

أولاً: نلاحظ أن النص القرآنى يميز بين **تراب الميت الذى مات حديثاً** وما زالت فيه – كما نقول – رائحة الإنسان الميت ، **وبين تراب الإنسان الذى مات من سحيق الأزمان**

وضاعت منه رائحة هذا الإنسان ، وهذه الحالة الأخيرة ممكن أن توصف مع استبعاد القوم الشديد لبعث هذه الصورة السحيقة البعيدة فى الأزمان - كما سنرى من العرض القرآنى واستعراض النصوص- كالآتى:

١ -نجد كلمة (**ترابا**) قد وضع فيها حرف الألف الظاهرة فى الحالات الآتية :

(أ)- إذا وجد معها **كلمة عظاما** ؛ مثل قوله " كنا تراباً وعظاما" ولنا أن نقول فى هذه الحالة : أن مجرد ورود كلمة (العظام) فى النص فإنها تعطى رائحة وصورة هذا الإنسان ، وتعطى أيضاً **ملمح الموت الحديث**، وحينئذ **تظهر الألف** فى كلمة التراب .

(ب)- **توضع الألف** فى كلمة التراب ظاهرة حين اقتران الكلمة بقولهم (**اءذا متنا**) لنفس الملمح (**الموت الحديث**) **لأنهم** يتكلمون عن أنفسهم وليس آبائهم القدامى.

(ح)- **ملاحظة أنه إذا** وردت كلمة (**عظاما**) مع التراب – **فهى جميعها هنا بدون ألف** – لصورة البلى والنقص فيها – كما أشرنا من قبل – .

(د)- نلاحظ أن النص القرآنى مع ورود كلمة (عظاماً) فى هذا السياق تكون نهاية الآيات هكذا:

(١) كنا تراباً وعظاماً (أءنا **لمبعوثون**) (٢) تراباً وعظاماً (أءنا **لمدينون**) أى محاسبون

... وهذا حينما يقف عليه القارىء بقليل من التأمل يجد أن صورة العظام التى هى (الهيكل المميز للإنسان عن غيره من باقى المخلوقات) والذى يعطى صورة مجسمة للإنسان هو أقرب الصور وأنسبها لذكر حالة (البعث) و(الوقوف للحساب) أمام رب العالمين، ولذلك ناسبها قوله (أءنا **لمبعوثون** .. أءنا **لمدينون**) .

ونترك القارىء فى تأمله لننتقل إلى المشهد الآخر وهو رسم كلمة (تراب) **بدون ألف فى** هذه السياقات المذكورة لنلاحظ الآتى:

١١- سورة النمل٦٧: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ (أَءِذَا كُنَّا) (تُرَٰبًا) ((وَءَابَآؤُنَآ)) ((أَئِنَّا)) لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

١- ونلاحظ هنا ورود كلمة (تراب) بدون ألف حين تم استبعاد الأمور الثلاثة السابقة؛ أى حينما تم استبعاد كلمة (متنا) ، واستبعاد كلمة (عظام) ؛ أى استبعاد (رائحة الإنسان المختلطة فى التراب) وهذا يعنى (الموت القديم والسحيق الذى ضاعت منه صورة العظام وذكر الموت).

٢- وأيضاً وجود إستبعاد الإحياء منهم بعد **هذا الزمان السحيق** ، **يتضح فى قولهم** (وآباؤنا) **فلم يعد الحديث عن تراب حديث** ، ولذلك سنجد الألف محذوفة مع قوله :

(أءذا كنا (تُرَٰبًا) ((وَءَابَآؤُنَآ))) . مع ملاحظة أن كلمة آباؤنا تطلق على **الآباء والأجداد وأجداد الأجداد حتى** (**أبينا آدم**). ولذلك نلحظ فى هذه الآية (النمل ٦٧) التى ذكر فيها (وآباؤنا) نلحظ معها **إحساس الإستبعاد وثقل الأمر الذى يصورونه لطول البلى** ؛ وهذا ما قام بتصويره النص القرآنى تصويراً دقيقاً فى رسم الكلمة (**أئنا**) ووضع الشرطة الزائدة تحت الهمزة .

ونعود لاستحضار هذه المفردات وبيانها كالتالى :

أ- رسم كلمة (أئنا) بهذه الصورة فى هذه الآية فقط (النمل ٦٧) وكانت تكتب فى الآيات الأخرى جميعها (أءنا) ، وما هذا إلا لتصوير هذا الإستبعاد الموضح بكلمة (كنا تراباً وآباؤنا) وهنا – وفى هذه الآية فقط – ذكر فيها (وآباؤنا) ليزيد الإستبعاد وثقل مهمة الإستبعاد (والمط فى المشهد والكلمة) التى ترسمها صورة الكلمة بزيادتها للشرطة تحت الهمزة.

ب- الأمر الآخر الذى ترتب على هذا الإستبعاد (السحيق) هو قولهم فى نهاية الآية (أءنا لمخرجون) و لم يقل أئنا لمبعوثون ، أو لفى خلق جديد – كما فى الآيات الأخرى – والذى يناسب قرب الزمان بشبه الإنسان ، ولكنه هنا يستبعد مجرد (الخروج) من الأرض على أى صورة كانت سواء بالجسد (البعث) أو غيره ؛ فإن التركيز هنا على استبعاد فكرة الفصل والخروج بعد هذا الذهاب السحيق الذى يستبعد فيه – من باب أولى – ذكر صورة البعث (بعث الأجساد) التى فيها رائحة الإنسان.

والآية الأخرى التى ورد فيها التراب بدون ألف هى: الرعد ﴿ ٥وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ (أَءِذَا)كُنَّا (تُرَٰبًا) (أَءِنَّا) (لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍ)﴾

و نجد فيها – فوق ماسبق –من عدم ورود كلمة (متنا) واستبعاد كلمة (عظما) – مما استعى حذف الألف من (تربا) ، نجد فيها تناسقاً آخر فى نهاية الآية وهو قوله: (أءنا لفى خلقٍ جديد) ، وكأنه يقارن خلقاً بخلق جديد وذلك ليتناسب ويتناغم مع بداية الآية (فإن تعجب) (فعجب) ؛ أى: عجب منك مقارناً بعجبهم ومبنياً عليه.

****وبعد هذه الوقفة وقبل أن ننتقل إلى وقفة أخرى نستعرض هذه الآيات الواردة **بالألف الظاهرة لكلمة (التراب) وعلاقة كلمة (العظام) ونهاية الآيات هكذا:**

١ – المؤمنون٨٢ وملاحظة (أءذا) ، (ترابا) بالألف الظاهرة ، ومقترن معها كلمة (**عظاماً**) لاحظنا أن ختام الآية : قوله تعالى (**أءنا لمبعوثون**).. وملاحظة أن الآيات تبدأ بقوله (**قالوا**).

٢- فى الصافات ١٦ نفس ما سبق وختام الآية: (**أءنا لمبعوثون**).

٣- وفى الصافات ٥٣ نفس ما سبق مع تغيير قوله تعالى : (أءنا لمبعوثون) إلى قوله (**أءنا لمدينون**) وهنا نقف لنسأل عن سبب هذا التغيير ؟ وذلك لأن السياق فى المؤمنــون ٨٢ و الصافات ١٦ كان يتحدث عن حوارهم وهم مازالو على قيد الحياة ويتكلمون فى الدار الدنيا.

أما فى آيات الصافات (٥٣) فهم يتحاورون ويتحدثون **وهم فى الدار الآخرة** التى قد (تم فيها البعث) وقد بعثوا بالفعل، وهنا يكون المناسب هو الحديث عن الحساب والدينونة ، ولذلك قال (**أءنا لمدينون**) **وهما معاً** – فوق ذلك – مناسبان لمشهد العظام (البعث هناك، والدينونة هنا).

٤- أما فى آيات الواقعة (٤٧) فإنه فى هذه الآية نجد الآتى:-

أ- وجود **كلمة** (متنا) ، ومعها كلمة (ترابا) **بالألف الظاهرة** ، وكلمة (وَعِظَـٰمًا) كما قلنا بنقص الألف لأنها ترسم وتصور نقص وتآكل العظام وليس بنائها .

وهنا نلاحظ ختام الآية بقوله ((**أءنا لمبعوثون**) ، وهذا كله حينمــا يتأملــه القــارىء ويتدبره– كما نرى – يجده فى غاية التناسق والتناسب .

ولكن يبقى سؤال هام جداً وهو: لماذا قال (أئنا لمبعوثون) رغم أن الحــديث فى الــدار الآخرة وكان يناسبه (أءنا لمدينون) – كما فى آية الصافات (٥٣) السابقة ؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من الوقوف على سياق الحديث فى هذه الآية فى ســورة (الواقعة) والآيات المجاورة لها ، ونسترجع **حسن الجوار** الذى تحدثنا عنه من قبل ، والذى نلاحظ منه :

أن الحديث هنا **فى الدار الآخرة** ولكنه يحكى **ما كانوا يقولونه وهم فى الدار الــدنيا** ، ولذلك يقول السياق – هنا فقط – (**وكانوا يقولون**) ، ولم يقل (**وقالوا**) كما فى الآيات الأخرى . إذن يتناسب معها قولهم : (**أئنا لمبعوثون**) لأنه يحكى ويعيد علينا مــشاهد فى حال وجودهم فى الدنيا (وكانوا يقولون).

وبعد الوقوف على هذا الملحظ نتخيل المشهد وهم فى عرضات القيامة وقد مدوا طريقاً أو جسراً يرسمه اللفظ **بهذه الشرطة تحت الهمزة** فى قوله : (أئــــذا) ، وهو يرسم الجسر – كما نقول – **إلى الدار الدنيا** ليصلهم بها وهم فى الدارالآخرة ليعيد مشهد ما قــالوه ، وهذا الطريق الممدود من الآخرة إلى الدنيا يستدعى أن تتغير رسم كلمة (أءذا) - المقطعة

الحروف على هذه الصورة - ليكون بدلاً منها (أئـــذا) الموصولة الحروف مع وصـل مشهدى الدنيا والآخرة فى حديثهم، **مع ملاحظة التناسق بين (قالوا ٠٠ أءذا) و(كانوا يقولون ٠٠٠أئـــذا). خفة وقصر مع خفة وقصر ، وثقل واستطالة مع ثقل واستطالة، وكأن الكاميرا التى تصور هذا الحدث تفرق بين هذه الكلمة حينما يقولها صاحبها وهو مازال على ظهر الدنيا وبين أن تعاد هذه الكلمة كحكاية عنه وهو فى الدار الآخرة ، ويمد له طريقاً ليربطه بها وهو فى الدارالآخرة ، وهذا أمر عجيب ومـــدهش نتركـــه للمشاهد ليتأمله ويعيد تأمله فى ظل تغير سياق النصوص القرآنية المدهشة**

ويبقى لدينا قوله فى سورة الإسراء ٤٩ ،٩٨ (..عظاماً ورفاتاً) ، وما يلاحظه القارى من عدم ذكر التراب **ليصور لك حداثة الموت** ووجود صورة الإنسان على هيئة (..**عظاماً و رفاتاً**) ، **والرفات** : الأشياء المرفوتة ؛ أي المفتتة . يقال : رفَت الشيء إذا كسره كسراً دقيقة والتي تحتاج إلى **تجميع وترميم** لتكون (**خلقاً جديداً**) فتكون خاتمة الآية هكـــذا : **(أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً) . فسبحان من هذا كلامه وهذا صورة بيانه وتبـــارك الله رب العالمين.**

وحتى لايتوه منا القارىء فى نهاية الآيات نسترجع له خلاصة ما قلناه كالآتى:

١- ورود كلمة أءنا لمبعوثون هكذا.

أ - أءنا لمبعوثون (فقط) مع تراباً وعظاماً (الصافات ، المؤمنون، الواقعة).

ب- أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً. مع عظاماً ورفاتاً (الإسراء).

٢- أءنا لمدينون : مع تراباً وعظاماً.

٣- أئنا لمخرجون مع (كنا تراباً وآباؤنا) وبدون كلمة (متنا).

٤- أءنا لفى خلق جديد ، وهى تختلف عن قوله (أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً) التى فيها البعث والتراب مع العظام كما أشرنا ، **ولكنها هنا فى سورة الـــسجدة يقـــول : (إءذا ضللنا فى الأرض) ، ولم يذكر صورة الموت أو التراب أو العظـــام ممـــا لايـــستدعى أستحضار صورة البعث،** مع ملاحظة صورة المشهد التصويرى الحركى (أءنا لفى خلق جديد) المناسب لقوله : (إءذا ضللنا فى الأرض) وحركة الذهاب المستمر فى داخل الأرض مع حركة الخروج بنفس الصورة (لفى خلق جديد) ؛ أى مستمر ، **وهى مراعاة نفـــسية وجمالية وتصويرية رائعة.**

وأخيراً لماذا أستخدم القرآن كلمة العظام مفردة (العظـــم) - فى قوله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)﴾ سورة مريم. وهى فى سياق الجمع ودعاء الإستعطاف من زكريا عليه السلام لربه تعالى مما يستدعى جمـــع

العظام للمبالغة فيما أصابه من الوهن ، على الرغم من جمعه للعظام فى مراحل الخلق فى قوله ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ المؤمنون؟.

الإجابة: أنه فى سورة المؤمنون جاء بالجمع ليناسب مقام إبراز القدرة وبدائع الصنع فى تحويل المضغة الضئيلة نوعاً وعدداً إلى عظام كثيرة فانقلب الرخو صلباً والواحد كثرة ، تعظيماً لقدرة الخالق فيما خلقه فتجاوب الجمع مع ظاهر السياق فى مقام إمتنان الله تعالى على الإنسان فى خلقه فى سورة المؤمنون.

وبقى إفراد العظم فى دعاء زكريا يتطلب تفسيراً للإفراد ؟

والذى نراه — بعد استعراض جميع التفاسير فى ذلك — هو ما كشف عنه الزمخشرى بقوله: وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن . ووحَّده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية ، وقصده إلى أن هذا الجنس - الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد - قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها) **انتهى.**

ولذلك لم يقل : وهن الجسم منى لأن العظم هو الهيكل الذى يقوم عليه بناء الجسم وضعفه يستلزم بالضرورة ضعف ما هو قائم به، فهو أشبه بالهيكل الخرسانى الذى يعتمد عليه البناء ، فإذا ماتهاوى هذا الهيكل تهاوى كل البناء (لاحظ الإفراد في الحديث الذى يدل على أن الهيكل العظمى — كبناء واحد متماسك مع كل تفريعاته — يمثل الهيكل الخرسانى في حال سقوطه فلا يبقى في البناء شيء — ولذلك أفرد لفظ العظام هنا (العظم) وكأنه يقول: إن عمود الجسم (المتجمع فيه كل العظام كهيكلٍ واحد) قد سقط.. **فهو** يريد (جنس العظام كله) كما نقول : الرجل هو الذى يتزوج النساء فنحن نعنى الرجال جميعاً أو (جنس الرجل) ، ومن هنا كان مناسبة دعاء زكريا لربه ووصفه له حاله .

وهذا بخلاف سورة المؤمنون حين كان الغرض الإشارة إلى الكثرة والتنوع الدالين على كمال القدرة الإلهية في خلق الإنسان وبديع صنعه جمعت العظام ، وهذا أيضاً هو سر الجمع في حديث المشركين عن البعث(الإسراء ٤٣) حيث دل بالجمع على غرضهم من تفرق العظام وتناثرها في أجزاء الأرض واستحالة هيكل الجسم وعموده إلى رفات ضل في أحشاء الأرض، وهكذا في كل أحاديث الكفار عن البعث ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) ﴾**سورة يس ورد الله عليهم:﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه..﴾**

شجرة النسب كما عرضها الرسم القرآنى

آباء وأبناء وبنات وأزواج

قبل القيام بسرد الآيات التى ترسم شجرة العائلة – برسم الكلمة –نقف سوياً على بعض الملاحظات وهى:

**نلاحظ أن الذين هم من الصلب وعمود النسب من الرجل (آبـــاء ..أبنـــاء .. بنـــات (مضافة): أى بناتك ، بنات عمك ، بنات عماتك) يوضع لهم الألف..

أما البنات (غير المضافة) فلها حكم خاص سيراعى فيه الناحيتين بطريقة خاصة– سيأتى فيما بعد شرحها–.مع مراعاة أن النساء دائماً يحتاجون إلى محرم من الرجال وإلى الإضافة للأب أو للزوج ، وهن بهذا المعنى – أى فى حال الإضافة فقط – تتحقق فيهن شروط النسب من الصلب والاكتمال ويوضع لهن الألف. وبغير هذه الإضافة يلحقهن الضعف أو الـــنقص ، ولهذا يحذف منهن الألف.

بخلاف الولد(الذكر) الذى (يستقل وينفرد) فى حياته للسعى والجهاد والإنفاق على البيت والزوجة فله (القوامة) ويحق معه (إظهار الألف)، وهذا ملحظ لابد من الوقوف عليه يلفتنا إليه الرسم القرآنى – كما سنرى –.

** وكذلك: (أمهات ، وأزواج) تكتب: أمهت ، أزوج ، بدون ألف . فقد لـــوحظ فيهـــا علاقة المصاحبة والقرب التى يمثلها الرسم القرآنى (بحذف الألف) .

ولكن لاننسى أن الألف توضع فى علاقة النسب الذى هو من صلب الرجـــال (أى: الأب ومن علا ، والإبن ومن نزل) ، وكأن وجودها يشير إلى عمود وعمدة النسب.

**أما (أخوات،خالات، عمات)فكتبت: أخوت ، خلت ، عمت (فهن فرع النسب) وأيضاً : وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ وَحَلَـٰٓئِلُ...لذلك فلا توضع فيها الألف.

ومن باب أولى أن لاتوضع الألف فى (الولد ن) = الولدان ، التى يقصد بها صغار السن فقط دون الإشارة إلى أنهم أولاد (أبناء) الصلب أو النسب .و(الولد ن) ليس فيها تخصيص بصلة القربى المعلومة من البنوة الحقيقية .

مع ملاحظة الروعة والدقة فى استخدام التعبير (بنات خالك.. ولم يقل أخوالك) على إفراد الخال .. وقال: وبنات خالاتك على صيغة الجمع (مع الخالات)– عنصر النساء– وكذلك : بنات عمك (إفراد) ، وبنات عماتك (جمع مع عنصر النساء).. وذلك بالأخذ فى الاعتبـــار مراعاة صورة جواز تعدد النساء لرجل واحد.

والآن نقوم بسرد الأمثلة التوضيحية لذلك :

** ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ..وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ..﴿٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ الكهف.. (لاحظ أن : (أبواه) بالألف .. أما (الوالدين) بدون ألف – رغم أنهما بمعنى واحد – وسنقوم بتوضيح السبب على الصفحات التالية.. ولاحظ (الغلام) بدون ألف

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٨٣﴾﴾البقرة

**﴿(٣٥) وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ..﴿٣٦﴾ ﴾ النساء.

**﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴿١٥١﴾﴾ الأنعام.. هنا أيضاً (أولادكم) بدون ألف.

**﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴿٢٣﴾﴾.الإسراء. ولاحظ أن (إحساناً) جاءت فى البقرة بالألف ، وباقى القرآن (بدون ألف).

**﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) ﴾ البلد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ ﴿٣٣﴾﴾ لقمان.. فى **الآيتين الأخيرتين هنا (والد) مفرد بالألف ، وكان بالمثنى (بدون ألف).

❁❁❁❁❁❁❁❁

**﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ .. ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴿١١﴾﴾ النساء

(لاحظ: صغر السن واللصوق (أَوْلَٰدِكُمْ)... والصلب من الرجال..(ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ).. واللصوق والقرب فى (أَزْوَٰجُكُمْ)

**﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ

نِسَآبِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآبِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ .... وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآبِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ ...(٢٣) ﴾النساء.

هنا يزيد ملحظ الفروع من النسب وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ .وَرَبَـٰٓئِبُكُم .. وَحَلَـٰٓئِلُ......... ومشهد القرب واللصوق فى (أُمَّهَـٰتُكُمْ) .... مشهد البنات (وهى مضافة) وتستحق فى هذه الحالة ظهور الألف (بَنَاتُكُمْ).

**﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ (٩١) ﴾ الأنعام.

**﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾(٢٤) التوبة.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ (٤٣) ﴾ سبأ..ومثلها:.(آباؤنا .. آباؤهم.. آبائهن..أبواه). كلهن بالألف.

﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) ﴾ النساء.. نلاحظ هنا حالة الاستضعاف والقلة فى الولدان وَٱلْوِلْدَٰنِ.

بنات

البنات بالألف (بنات)

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ...(٢٣) ﴾.

وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ .. (٥٠) ﴾ .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ (٥٩) ﴾.

****وباقى الآيات التى كتبت فيها بنات بالألف فهى مضافة وبنات الصلب:

(١)﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)هـود.. بنات صلب ومضافة (فاستحقت الألف).

(٢)﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ . (٥٩).. بنات صلب ومضافة ، وقيل أنه وضع الألف هنا فى (بَنَاتِكَ) حتى لاتقرأ علىالإفراد ويختلط المعنى على أنه بنت النبى (ص) (فاطمة) فقط.

(٣)﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي (٧٨) ﴾ هود. بنات صلب ، ومضافة.

(٤)﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) ﴾ الحجر ومضافة

وبقيت آيتى (الصافات والزخرف) سنفرد لهما حديثاً خاصاً لخصوصيتهما.

** أما البنات الباقية بدون ألف (بنــــت) فهى:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ (١٠٠) ﴾ الأنعام

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) ﴾النحل.

يلاحظ هنا فى البنات بدون ألف:

(١)الأسلوب أسلوب خبرى أهدأ فى نبرته من آيات الصافات والزخرف- الآيـات القادمة.

(٢) البنات هنا ليسوا بنات الذرية.

(٣) وليس فيها إضافة .(أى لم يقل: بناتكم) .بخلاف البنات فى الآيات السابقة(الـتى بالألف) فهى مضافة ومعلومة النسب وصفته.

*** وبقى أن نعلم أنه إذا أريد بالبنات معنى الملائكة فنحن نعلـم أن لهـم الـصفة الملكوتية ولهم الحق فى حذف الألف إذا كان الحديث عن عبادهم هـم لله أو كـان الحديث عنهم هادئ النبرة فتكتب بدون ألف ، إما إن كان الحديث عنهم عالى النبرة ويصف عبادة الناس لهم فهنا تكتب بالألف رمزاً إلى هذا المعـنى فى الحـديث عـن الملائكة.

والآن مع آيتين تتحدثان عن الملائكة كتبتا بالألف فى سورتى الصافات والزخرف ولها هذه الخصوصية الهامة، وبعدها تكون المقارنة مع سورة الطور لتوضيح هذا المعنى:

أما آية الصافات التى كتبت بالألف – رغم أنها غير مضافة – فسياقها كالتالى:

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ
(١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى
ٱلْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُواْ
بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٠) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
(١٦١) مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)
وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا
مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُواْ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) ﴾ الصافات.

وآيات سورة الزخرف هى:

وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ (١٩) وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ... فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٢٥):

فيلاحظ – فى آيات الصافات – الآتى:

(١) فيها تحديد وتخصيص للقضية (وهى أن "الملائكة" هم بنات الله).

(٢) وفيها علو نبرة الإستنكار والتوبيخ الشديد والواضح على هذه القضية المحددة (وحدها) دون الالتفات لغيرها؛ فهناك أكثر من عشر آيات كلها توبيخ بأعلى نبرة على (نفس القضية)، واتخاذهم للملائكة فوق ذلك (معبودات لهم) من دون الله، والملائكة أنفسهم يردون على هذه الفرية ويقولون (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)).

وهنا – فى الصافات – يزيد التوكيد: { أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ } { أَصْطَفَى البنات على البنين ؟؟} ، وهذا الاستنكار الشديد والواضح نجده أيضاً فى سورة الزخرف{ وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا } [الزخرف : ١٥] .

(٣) وفى الصافات قرىء : «ولَدُ اللهِ» أي الملائكة ولده .– وهى بالنصب فى القراءة الموجودة بالمصحف التى على صورة الفعل ((أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢))) (وهذا يعنى زيادة التركيز والتخصيص أيضاً فى هذه القراءة الأخرى)

ونعود لآيات الصافات:﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) ﴾ الصافات. لنرى:

(١) الحديث مركز على البنات المولودين من الله فقط – بزعمهم- وليس معه إستنكارات على جرائم أخرى – كما فى سورة الطور مثلاً – مما يزيد التركيز هنا على البنات ويقلله فى آيات سورة الطور. (فيوضع الألف هنا ويحذف من آية الطور).
(٢) وأيضاً تركيزه على الملائكة الذين هم خلق الله ويدعون ولادة الله لهم ، هذا يعنى (خصوصية) كبرى لهم ، فهم ليسوا خلقاً له فقط بل هم أخص من ذلك – فى زعمهم – بل بالغوا فى تعظيمهم حتى (عبدوهم) من دون الله ؛ (فهم بنات لهم تركيز وتفخيم ، ولهم إضافة لله ، ولهم عبودية من دونه).
(٢) التركيز على أن الحديث عن "الملائكة" فقط وعلى أنهم هم المقصودون "ببنات "الله ، بل قامت السورة بتحديد هذا الصنف المحدد من الملائكة ؛ وهذا واضح حتى من بداية السورة – أيضا- بقوله عنهم ووصفه لهم بقوله: الصافات والزاجرات والتاليات.
(٣) نجد فى آيات السورة أسلوب الحديث وعلو نبرته من الله ولهجة الإستنكار الشديدة..:***﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦)..﴾ . ومثلها فى الزخرف – التى كتبت بالألف أيضاً– **(وفى جو التفخيم والتخصيص والعبادة لها ثم الاستنكار والتوبيخ لهم)** .. **﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** (١٩) ﴾ الزخرف.. ولاحظ قوله (**مِمَّا يَخْلُقُ بنات) فيها** التخصص الشديد الذى يحل محل الإضافة (أى كأنه قال: بنات الله المخصوصين).. وقراءة (**الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا)** فيها تركيز وتخصيص ؛ وزاد ذلك المعنى من (التخصيص) فى قراءة من قرأ:(الذين هم (عند) الرحمن إنـثا) فهو تخصيص وتركيز أكبر، والآية قبلها أيضاً تزيد هذا التخصيص وصفاً آخر فى دعوى البنوة والألوهية لهم: { **وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً** }ويقول الزمخشرى ومعنى { **مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا** } أن قالوا الملائكة بنات الله ، فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه ، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءاً له .
ويقول الرازى: واعلم أنه تعالى رتب هذه المناظرة على أحسن الوجوه ، وذلك لأنه تعالى بيّن أن إثبات الولد لله محال ، وبتقدير أن يثبت الولد فجعله بنتاً أيضاً محال .
إذن مازال الحديث مركزاً هنا فى الصافات والزخرف– أيضاً- على الإناث ، وأنهم هم الملائكة على وجه التحديد والخصوص ، وأنها جزء من الله – كما يشير الحديث-، وفيها وصف كامل لصفة الأنوثة ، ((**مما يوحى بالتركيز الشديد على صفة – بنات الله – فقط ، والتخصيص المعلوم، وشدة النبرة وعلوها فى الحديث))** .
بخلاف اللهجة الهادئة ، وعدم التخصيص فى السور الأخرى؛ حيث سرد هذه الدعوى فى ثنايا الحديث عن أنواع كثيرة من الاستنكارات كما فى آية سورة الطور:

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) ﴾ الطور.. فقد جاءت فى وسط استنكارات كثيرة ، و الآيات قبلها تعدد أنواع كثيرة من شركهم ، وليس الحديث مركزاً على اتخاذ الإناث لله فقط.(أى ليس فيه تخصيص لله ولا تخصيص فى نوع البنات : هل هم بنات الناس أم بنات الله المولودون منه -- كما زعموا من قبل-. ولم يذكر فيه إشارة إلى التخصيص بالملائكة ولا الخصوصية الشديدة (العبادة لهم) التى لاحظناها فى الآيات السابقة- الصافات والزخرف-) .. ومعلوم أن (الخصوصية) تستدعى وضع الألف ، ولكن العمومية تستدعى حذف الألف – كما تعودنا ذلك فى منهج القرآن – وكما قلنا ذلك فى حالة الإضافة التى هى أيضاً نوع من التخصيص).

وهذا السياق فيه من الإمهال ، وهدوء النبرة ، وعدم التخصيص أو التركيز على هذه القضية – بنات الله – بخلاف سياق سورة الصافات المملوء بالاستنكار بل والسب لهم ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

والسياق فى آية سورة الطور هكذا: – على هدوء نبرتها وعموم استنكاراتها – يقول:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ[1] ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

والخلاصة:أن شدة اللهجة الاستنكارية ، والتخصيص ، والإضافة إليها، كل ذلك وغيره يستدعى رسم الألف فى كلمة "بنات".. والهدوء فى نبرة الحديث ، والعموم وعدم التخصيص ، وعدم الإضاف كل ذلك يستدعى حذف الألف "بنت").

---

(١) لاحظ كتابة (المصيطرون) بالصاد .. إشارة إلى إدعائهم التعالى لهم والسيطرة منهم (تفخيم مع تفخيم)

أما بنات النسل والذرية فقد علمنا أنها تضاف لها الألف إذا كانت مضافة وتحذف منها الألف إذا كانت مفردة وقد علمنا وجه الحكمة فى ذلك.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

(ولد ....والد)

(١٠)﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ (فيها ملحظ الصغر واللصوق)..يقول د: عبد القادر السعدى ملخصاً: إن لفظ (الأولاد) يجوز إطلاقه على أولاد الصلب وعلى أولاد الابن، أما إطلاقه على أولاد الصلب فعلى سبيل الحقيقة، وأما إطلاقه على أولاد الابن فعلى سبيل المجاز(وإنما أريد بهذا الاسم معناه الحقيقى والمجازى –.

يقوى هذا أن القرآن الكريم قد استعمل لفظاً نظيراً لهذا اللفظ بمعنييه، وهو لفظ (الأب) فإنه يطلق على الأب الأدنى وعلى الجد (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. (٣٨)... وجاء الخطاب فى الآية بصيغة الجمع (فى أولادكم) وهو خطاب لجميع الناس، فمن كان عنده أولاد صلب ورثه أولاد صلبه، ومن كان عنده أولاد ابن وليس عنده أولاد صلب ورثه أولاد ابنه... وورد عن ابن فارس أن مادة (ولد) أصل معناها فى اللغة **(النسل والنجل)**.. إذن كلمة (الأولاد) هنا تحتمل المجاز بخلاف كلمة (أبناء) التى هى على الحقيقة.((**وقد علمنا أن المجاز يكتب بدون ألف ، والحقيقة يكتب بالألف**))

..وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا.. إِحۡسَٰنًا

(إِحۡسَٰنًا) **بدون ألف فى كل القرآن إلا فى آية البقرة:**﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا (٨٣) ﴾ **وهى هنا :**

(١) خطاب لبنى إسرائيل قساة القلوب.

(٢) ولإنشاء صفة الإحسان ، والتشديد عليهم فيها، والتثقيل على الكلمة والتركيز عليها .. بخلاف إذا كانت الوصية (للمؤمنين) بوالديهم – كما فى باقى الآيات فى القرآن– فالإحسان موجود فى طبع المؤمنين حتى مع الأعداء – فهم لايحتاجون إلى(إنشاء) هذه الصفة ، ولا إلى التركيز عليها، ولكنهم يحتاجون إلى التذكير فقط ويطلب (مداومتهم) عليها والإستمرار فيها ، مما يستحضر صورة (الوصل الذى يناسبه حذف الألف).

مع ملاحظة أن أسلوب الخطاب – فى آية البقرة– هو﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (لَا تَعْبُدُونَ) إِلا الله** ﴾– و لم يقل بصيغة النهى (أن لاتعبدوا) – وهذا الأسلوب هو أقوى من

أسلوب النهى المباشر[٢].... وقيل : هو جواب قوله : { وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرءيل } إجراء له مجرى القسم كأنه قيل : وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون . (وهذا ملحظ هام لأن القسم من الله أقوى أنواع التوكيد وفيه التفخيم والتعظيم وليراجع القارئ التعليق على قوله تعالى عن الأرض مرة (دحاها) بالدال المرققة ، ومرة أخرى (طحاها) بالطاء المفخمة ؛ وذلك التفخيم بالطاء ورد فى السورة التى فيها القسم (والشمس وضحاها) فكان المناسب هو تفخيم الكلمة أيضاً (طحاها) ، والآية الأخرى (دحاها) وردت فى سياق خبرى عادى ليس فيه جو التفخيم بالقسم أو غيره ، والسياق هو : (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك (دحاها)) .

ولذلك لاغرابة فى أن تفخم كلمة (إحسانا) بزيادة الألف أو إظهارها فى مقام القسم والتوكيد فى النصيحة على اليهود وهم أعتى المجرمين والمفسدين الذين يحتاجون إلى التشديد فى النصيحة وعلو النبرة.

فزيدت الألف لكل ذلك ، وأكثر منه هو ملاحظة ماورد فى حجة القراءات والبحر المحيط واتحاف فضلاء البشر الذى يحكى: إجماع القراء على (وبالوالدين إحساناً) فى سورة البقرة ٨٣ – أى ليست لها قراءة أخرى مثل (حسنا)...أما باقى الآيات فى باقى السور فقرأت "إحسانا" و"حسنا"؛ ولذلك حذفت الألف من جميعهم – لتعدد قراءتها– وبقيت الألف لم تحذف فى آية البقرة للإتفاق والإجماع علي قراءتها قراءة واحدة، وهذا لون من ألوان الإبهار والإعجاز فى رسم الكلمة لايعرف مثيله إلا فى القرآن الكريم.

مع ملاحظة آية النساء:﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ **فهو** حديث سريع على لسان المنافقين– وفيه مواراة ومداراة – و لايحتاج إلى الوقوف عليه والتثقيل والتوكيد، بل هى كلمة سريعة ويريدون المرور عليها سريعاً، وليس لها جذور فى أعماق نفوسهم (فحذف الألف).

---

(٢)كما قال الإمام الزمخشرى: { لَا تَعْبُدُونَ } إخبار في معنى النهي ، كما تقول : (تذهب) إلى فلان (تقول) له كذا ، تريد الأمر ، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي (أى قوله : إذهب إلى فلان فقل..) ، لأنه – أى الأسلوب الخبرى – كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء ، فهو يخبر عنه.

والد ..والدين ..(وبالوالدين إحساناً)

(والد):

(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ..(٣٣) ﴾ بالألف.

(٢) ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣)﴾ بالألف.

وباقى الآيات التالية بدون ألف (ولكن يوجد ألف التثنية فقط– الألف الثانية–)

(٣) ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) ﴾ النساء

وَٰلِدَةٌ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ.. وَٱلْوِلْدَٰنِ

(٤) ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ .. (٢٣٣) ﴾ البقرة.

(٥) ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ (١١٠) ﴾ المائدة

.... ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا (٧٥) وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) ﴾.

(٦) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ .. (١٢٧)

﴿يَطُوفُ﴾ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) ﴾ الواقعة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا (١٧) ﴾ المزمل ((لاحظ "الوِلْدَان" بدون ألف "الوِلْدَنَ" وهى مفروقة عن كلمة (الوَالِدَان) – بالمثنى للوالد –والتى كتبت على

صيغة مختلفة فيها ألف التثنية (الْوَلِدَان). ولاحظ كيف عبر الرسم بزيادة عدد الحروف الذى يتناسب مع زيادة العمر والمقام للوالدين .

الملاحظات:

هنا لابد من وقفة مع استخدام القرآن الكريم للتعبيرين اللذين يكادان أن يكونا مترادفين وهما (الوالدين) و(الأبوين) ونحاول أن نعيش معاً الاستخدام الأمثل الذى سلكه القرآن لكل من اللفظين، ونلاحظ الآتى:

(١) **الوالدة الحقيقية - لَا تُضَارَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا-** والتى يوحى النطق بها بصورة الولادة والأمومة - ولذلك تحذف منها الألف **لشدة القرب والصلة مع ولدها..ومراعاة - أيضاً- جانب عدم ظهور النساء ، وعنصر الأنوثة الذى يغلب عليه الستر والإخفاء ، وهذا مانراه فى رسم كلمة الوالدة والوالدين - بدون ظهور الألف- .**

وهذا بخلاف جانب الأب والأبوين - وفى صوت حروفها إيحاء بصورة الأب الذكر- الذى يُذكر فى الحالات التى **تستدعى الظهور من جانبهما (وتكتب الأبوان) - ولعلنا نتذكر قوله تعالى (للذكر مثل حظ الأنثيين) ، والذكر هو عصبة المتوفى ومعه عنصر التغليب والظهور- فظهر الألف- والأمثلة هى:**

(١) ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ..(١١)﴾ النساء.(الآيات تتحدث عن المواريث وعنصر التوريث، والرجال (أكثر) فى الميراث وأظهر من النساء ، ولهم قوة الحجب، وفى حالة أن يكونا هما الوارثين من غيرهم فيغلب جانب الرجال فيقال (لأبويه وأبواه). أما إذا كانا هما اللذان سيورثان غيرهما - أى بعد وفاتهما - فهنا لاينظر لجانب التغليب للرجال على النساء ، ولكن ينظر لعنصر القرابة اللصيقة **وعنصر النسل والنجل** ، فيكون الأحق فى ذلك هو تعبير (الوالدين).

ويتجلى توضيح ذلك فى قوله تعالى :﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ النساء ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ (ونجد أنه إلى هنا والمقام فى الحديث لمن سيودعون الدنيا (من الأب والأم) ويتركون الميراث فلا وجه لصيغة التغليب للرجال وعنصر الأبوة ولذلك قال (الوالدين) ولم يقل (الأبوين) ، ولكن حينما تغير الحال وتغير معه السياق ، وأصبح الحديث عن (الأب والأم) اللذين سيأخذان ويتقاسمان الميراث هنا سيظهر جانب التغليب للذكر على الأنثى؛ وبالطبع - كما نعلم - أن للذكر مثل حظ

الأنثيين ، ولذلك سيتغير الحديث ويقال (أبواه) بدلاً من (الوالدين) فى الآيات السابقة . ولنكمل الآيات: ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ .. (١١) ﴾ فهما هنا سيأخذان الميراث وسيكون جانب الذكورة أغلب من الأنوثة فيصير الحديث عن (الأبوين).

(٢) والمثال الثانى: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)﴾ (هنا تتحدث الآيات عن عنصر النبوة والوحى والإمامة ، وهى فى جانب التغليب للرجال فقيل "أبويك") .

(٣) والمثال الثالث: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ .. (٢٧)﴾ الأعراف .. ومعلوم أن خروج حواء كان تابعاً لآدم ؛ فهو المقصود الأول وجانب التغليب فى الحديث هنا لآدم ، ولذلك قال (فتشقى) — أى وحدك-: (فلا يخرجنكما (آدم وحواء) من الجنة فتشقى (أى يا آدم))— وهذا المقام (أى: الشقاء) واضح فيه التغليب للرجل على المرأة لأنه هو المكلف بالشقاء والتعب فى جلب العيش والسعى فى الأرض ولذلك قال (أبويكم).

(٤) والمثال الرابع: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ..(١٠٠).. ﴾ والرفع هنا هو الظهور ، والظهور أصل فى الرجال، فقال (أبويه) و لم يقل (والديه).

ملحوظة: نحن فى بحثنا هذا نركز على الأبوين — بصيغة المثنى وليس المفرد-.. ونجد ذلك أيضاً فى صيغة الجمع:

(٥) بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.. (وهنا القدوة فى الرأى والريادة والنبوة والزعامة هى للرجال) .. ونظيره قول يوسف (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .. (٣٨) حيث لم يذكر معهم الأمهات .. **(إذن ملحظ (أبواه أو أبويه أو آبائه) جميعها ورد بها القرآن لحكمة بليغة، وهو تغليب جانب الرجال - الذى يعنى تغليب جانب الظهور- ويكون من العظمة والإبهار والتناسق أن يجتمع ذلك مع (إظهار الألف فى "أبـواه") فى منهج الرسم القرآنى الحكيم.**

** **ونكرر مرة ثانية أنهُ —** وعلى قاعدة أسلوب التغليب فى اللغة — **إذا قلنا الوالدين فهنا** تغليب لعنصر الأم (الوالدة) ، أو النجل و النسل — كما قال ابن فارس فى مقاييس اللغة- رغم أن الحديث عن الوالدين (مثنى) يشمل الأم والأب معاً.

وهنا نلاحظ مناسبة ورود الوصايا بالعطف عليهما والإحسان إليهما (الإحسان والبر – بالوالدين و لم يقل الأبوين–) وفيها مراعاة لملحظ ضعف الأم (الوالدة) ، وهكذا أيضاً فى قوله (والذى قال لوالديه أف لكما) فهو موقف استرال العطف والشفقة لهما وأحق بذلك جانب الأمومة (الوالدين) ، ولذلك نجد – فى أسلوب القرآن الحكيم - أنه إذا نطقنا بالوالدين - بصيغة المثنى – فإننا نلاحظ تغليب جانب الأم هنا – كما قلنا – ويحذف الألف أيضاً من كلمة (الوالدين).

** وهكذا رأينا ذلك فى جميع الآيات التى تتحدث عن الوالدين (الحقيقيين – أبى وأمى من الصلب –).... أما إذا كان يقصد بالوالدين عملية التناسل وخروج الذريات من الوالدين (أى: لايميز هنا بين الأب الذكر والأم الأنثى ؛ لأنه يقصد عملية التوالد فقط)– فهو فى هذه الحالة لايقصد الآباء اللصيقيين بنا ، بل يقصد ماتناسلنا نحن جميعا منهم من لدن أبينا آدم .. هنا لايوجد مايدعوا إلى تغليب جانب الأمومة – التى تستدعى الضعف وحذف الألف–، بل يتساوى حينئذ عنصر الذكورة والأنوثة اللذان حدث منهما التناسل، فهنا لامجال لإخفاء الألف من "والد" – الذى يحدث عند قاعدة تغليب الأمومة – ولكن يتم إظهار الألف على عادها – وخاصة فى المثنى – وذلك فى مثل قوله تعالى (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣))، كتبت بالألف.((بخلاف قوله تعالى : لاتضار وَٰلِدَةٌ بولدها.. فهنا (وَٰلِدَة) بدون ألف .. وهناك (والد) بالألف !!!)).

وهذا الشرح نجده واضحاً بعد استعراض الآيات السابقة .. وأيضاً الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٣﴾ ﴾ لقمان.. والتى ينطبق عليها ما قلناه من أنه لايريد فيها الأب الذكر ، أو الأم الأنثى .. بل الأب الذكر والأم سواء.. فالآباء والأمهات لا يجزون عن أبنائهم شيئاً، والأبناء لايجزون عن آبائهم ولا عن أمهاتهم (أصل ولادته) شيئاً يوم القيامة ، فإن لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه.

فالوالد كما يقول د: مطعنى فى هذه الآية مراد منه الآباء والأمهات معا دون تغليب لجانب الأمومة ، وبناءً على ذلك كتب "والد" بالألف، مخالفاً لحذفها فى المواطن الأخرى التى:

(١) أريد فيها الأب والأم على وجه التحديد (أبى فلان وأمى فلانة) والتى يتم فيها التغليب لجانب الأمومة الذى ذكرناه.

(٢) وأيضاً حذف من التى كانت الوصية بالإحسان إليهما فى حال الدنيا – وليس فى حال الآخرة – كما فى آية لقمان هذه–.

والوالدان – فى الدنيا – يلحظ فيهما تغليب جانب الأمومة (الوالدة) مما يستدعى – فى أسلوب الذكر الحكيم – إخفاء الألف.

ويقول الطاهر. وعبر فيها ب { مولود } دون (ولد) لإشعار { مولود } بالمعنى الاشتقاقي دون (ولد) الذي هو اسم بمنزلة الجوامد لقصد التنبيه **على أن تلك الصلة الرقيقة** لا تخول صاحبها التعرض لنفع أبيه المشرك في الآخرة وفاء له بما تومىء إليه المولودية من تجشّم المشقة من تربيته ، فلعله يتجشم الإلحاح في الجزاء عنه في الآخرة حسماً لطمعه في الجزاء عنه ،**ثم يقول: فهذا تعكيس للترقيق الدنيوي في قوله تعالى { وقل ربّ ارحمهما كما ربَّيَاني صغيراً }** [الإسراء : ٢٤] **وقوله : { وصاحِبْهما في الدنيا معروفاً }** [لقمان : ١٥] **.انتهى.**

((ولعلنا ننتبه ونتأمل فى هذا الكلام اللطيف الذى قال فيه (أنه تعكيس للترقيق الدنيوى).. فكانت العظمة والإبهار أن يعكس ذلك فى رسم كلمة والديه – فى الآخرة– وأن تكتب بالألف لتعكس حالنا معهم الذى كان فى الدنيا ، ولتوحى ببعد الصلة حينئذ التى كانت قريبة فى الدنيا...(إضافة إلى ذلك أن الكلمة بلفظ المفرد (والد).. وهذا من روائع البيان فى القرآن الكريم .

وكذلك الحال فى الآية التالية

﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣).﴾ . فهو قسم من الله ليس بأبى وأمى اللصيقين بى ، بل هو قسم تعظيمى يشمل القسم بجميع خلقة وبكل ماتناسل من الذرية على هذه الأرض.. وكما يقول المفسرون مثل السمرقندى وغيره: { وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ } { وَوَالِدٍ } يعني : آدم { وَمَا وَلَدَ } ، يعني : ذريته . ويقال : كل والد وكلّ مولود . وقال عكرمة { وَوَالِدٍ } الذي يلد { وَمَا وَلَدَ } التي لم تلد من النساء والرجال.

ولخص الإمام الألوسى القول فى ذلك قائلاً: والمراد بالأول آدم عليه السلام وبالثاني جميع ولده ... وقيل المراد ادم عليه السلام والصالحون من ذريته ، وقيل نوح عليه السلام وذريته وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عمران أنهما إبراهيم عليه السلام و جميع ولده ، وقيل إبراهيم عليه السلام وولده إسمعيل عليه السلام والنبي (ﷺ) ادعى أنه ينبىء

عن ذلك المعطوف عليه ؛ فإنه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله (ﷺ)عليهم أجمعين.

وقال الطبري والماوردي **يحتمل أن يكون الوالد النبي (ﷺ) لتقدم ذكره وما ولد أمته، لقوله عليه الصلاة والسلام** « **إنما أنا لكم بمنزلة الوالد** » ولقراءة عبدالله (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) الأحزاب : ٦ وفي القسم بذلك مبالغة في شرفه(ﷺ)وهو كما ترى.

وقيل المراد كل والد وولده من العقلاء وغيرهم ...وفى النهاية يقول: **ولعل ظاهر اللفظ عدم التعيين في المعطوفين** (ولذلك كتب بالألف (والد) لعدم خصوصيتها بأبى من الصلب القريب المعلوم لدينا أو الإبن من الصلب المباشر).

وربما يقال رأى آخر وهو: أن الحديث فى هذه الآيات فى لقمان– وحدها ولايوجد فى غيرها – يتحدث عن موقف من الإحسان للوالدين فى الآخرة وليس على الدنيا ، وهو يشير أيضاً إلى التعكيس الذى ذكره الإمام الطاهر ؛ وتأكيد الإنفصال والبعد (للأباء عن الآباء والعكس) فى الآخرة ؛ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه.

وأن هذا الإلتصاق الذى كان موجوداً ومطلوباً فى الدنيا (ولد)، سينفصل ويبعد (والد). ولذلك حسن الفصل بوجود الألف ..والتى تفيد أيضاً التوكيد ..وأيضاً كأنه يشدد على النبرة فى النطق بها فى موقف عصيب فى الآخرة وكأنها صرخة عاليه للإنتباه.. بخلاف حديث الوصايا بهم – فى الدنيا والإحسان إليهم باللين–.

ولكل ذلك – وغيره مما يخفى علينا– أثبت الألف هنا فقط... وذلك بخلاف باقى الآيات المذكورة فى القائمة السابقة وعلى سبيل المثال:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧)﴾ النساء ..**(فهو يتحدث عن الميراث الذى نرثه من آبائنا على الحقيقة .. أبي وأمي على الواقع..وكذلك الآيات الأخرى: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا .. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ..** (١٤لقمان..**وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وبوالدتي....وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا.. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**... وأيضاً الآية: **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا** (١٧) الأحقاف.. وواضح أيضاً أن فيها **حالة الضعف** لهذين الوالدين واستحقاق **تغليب جانب الأمومة** – الضعيف – فى (الوالدين).. وهذا من روائع الاستخدام الأمثل للفظ القرآنى المعجز حيث أنه يستخدم **لفظ (الأبوين**) بدل (الوالدين) فى الحالات التى يظهر فى سياقها **الظهور لهما أو الملك لهما** مثل**﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** (٩٩) **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى**

الْعَرْشِ.﴾ . وهنا واضح تمام الوضوح – فى أسلوب القرآن المعجز والحكيم أن هذا المشهد – مشهد الرفع على العرش والظهور يحتاج عنصر الرجال وظهور الألف .. وأنه لايليق بذلك عنصر النساء وإخفاء الألف.. رغم أن اللغة العربية لاتفرق بين الإستعماليں فى لفظى (الأبوين والوالدين) ولكنه الأسلوب المعجز للذكر الحكيم.

وكذلك الحال فى الآية التالية:﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)﴾ وهى نعمة الملك والنبوة...كم يقول الزمخشرى: بأن يضم إلى النبوة المستفادةِ من الاجتباء المُلكَ ويجعله تتمة لها.

● **وحينما يريد القرآن ذكر الأب (بلفظ المفرد) فلا يقول عنه (الوالد) بل يقول (قَالُوا يَا أَبَانَا.). فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا... ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا.**

● **وحينما أراد الإشارة إلى الجانب العاطفى لترقيق قلب الرجل على إبنه لم يقل (الوالد) ولكنه قال: (وعلى المولود له) رزقهن وكسوقمن.**

ورغم مافى هذا اللفظ (وعلى المولود له) من الإعجاز فى دقة استخدام اللفظ - بإعجاز وإحكام – إلا أننا نلاحظ أن فيه ملفت آخر وهو التذكير بأنه ليس أبوه فقط - من ناحية الإسم فقط - بل أنه مولود له – ليزداد عطفاً عليه وتذكيرا له بهذه الحقيقة(العاطفية) للرجوع إليها والإنفاق عليه– وكما يقول الإمام الطاهر فى مكان أخر فى سورة لقمان : وعبر فيها ب { مولود } دون (ولد) لإشعار { مولود } بالمعنى الاشتقاقي دون (ولد) الذي هو اسم بمترلة الجوامد لقصد التنبيه على تلك الصلة الرقيقة ..ولكن الملاحظ أنه لايقول له (وعلى الوالد) – بل قال (وعلى المولود له) على منهج القرآن الحكيم – كما ذكرنا - فى الدقة والروعة والإبهار.

ولعلى **ألخص ماسبق وأضيف إليه ما قاله أحد العلماء (محمد نور الدين المنجد) من رأى نراه قريباً مما قلناه** بعد أن ساق الآيات التى ورد فيها ذكر الأبوين والوالدين ؛ وهو المنهج الذى نرتضيه دائماً فى بحثنا مع القرآن– وهو قوله : إن **لفظ الأب يختص بالغذو** (أى يغذى أولاده بالطعام) **والتربية الجسمية والعقلية** إرشاداً وتوجيهاً (وهنا نوافقه على ذلك وهو مناسب لما قلناه سابقاً) .

ثم يكمل : ثم إنه يطلق (الآباء) على الآباء والأجداد عموماً نظراً لكونهم سبباً فى الإيجاد ((وهذا المعنى أيضاً نوافق عليه وهو يعطى ملمح امتداد النسب وطوله بخلاف صفة

اللصوق والمحدودية مع **لفظ الوالدين** ، ولعل هذا يعطى سبباً آخر لوضع الألف فيها.. وهو قريب من حديثنا السابق)).

ثم يكمل قوله عن الأبوين : كما يعبر بالأب عن كل من يقتدى به مجازاً، كالعلماء والقادة؛ ذلك بأنهم قدوة يؤتمر بهم ، أما **لفظ الوالد** فلا يطلق إلا على الأب المباشر **نظراً لمعنى النسل والنجل** ، مع مراعاة الجانب الروحى فى العلاقة بين الإبن وأبيه .)انتهى وهذه معانى مؤكدة ومتممة لما قلناه.

غلمان..وِلْدَٰن

ونعود لملحوظة أخرى عن الوِلدان – وتكتب(وِلْدَٰن)–، و(الغلمان) ، وقد حذفت الألف من الوِلدان فى كل الآيات، وذلك لأن الولدان هم صغار السن وجميعهم (لايختلفون) فى الفهم والوعى ، وهم متحدون ومتشابهون دون اختلاف فى أنهم لايدركون العورات للنساء الطوافين عليهم ، فحسن هنا حذف الألف الفارقة ، ليستمر التشابه والتجانس فى هذا الصنف – **كما شرحنا ذلك فى قوله تعالى (أو الطفل .. ولم يقل أو الأطفال .. بالجمع)– على شاكلة سياق الجمع فى الآية التى فيها هذه الكلمة – (فقال :أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء.. ولم يقل أو الأطفال).**

والأمر ليس على ذلك فى "الغلمان" لكبر سنهم ووصولهم إلى مرحلة التمييز والإدراك للعورات وغيرها ، فهم مختلفون فى ميولهم وشهواتهم ولذلك كتبت بالألف الفارقة التى تؤكد على عدم التجانس .

كما أننا لاننسى ملحظ توحد الولدان الصغار فى أنهم على الفطرة لم تغير نفوسهم أو تفرقهم الإهواء وغيرها.. ولذلك وحدهم فى اللفظ – بلاغياً– فقال: (أو الطفل).. كما وحدهم فى رسم الكلمة بدون ألف (ولدن) .. حتى إذا جمعهم وقال عنهم (الأطفال) فى قوله تعالى: (**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا**).. فقد جمعهم لأنه قال (إذا بلغ..) والجمع يشير إلى اختلاف ميولهم وشهواتهم حيال النساء بخلاف **الأطفال الذين** يتوحدون فىعدم الشهوة ، وهنا قد راعى لفظ البلوغ الذى تختلف فيه المدارك والفطرة والنظرات وغير ذلك – فقال الأطفال – ولكنه لاينسى أن يكتب لفظ الأطفال – كما قلنا – بدون ألف – لأنه يصف الأطفال الذين لم يصلوا بعد إلى درجة النضوج الكامل كما فى الرجال ، ونظر إلى كينونتهم القريبة منهم حيث كانوا أطفالاً فى الآيات السابقة – فهو يقول إذا بلغ الأطفال (باعتبار ما كانوا عليه)، (فجمع الأطفال وحذف منها الألف

ليراعى المعنيين معاً). مثل قوله عن اليتامى الذين لم يعودوا يتـامى ببلـوغهم : ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا (أى اليتامى) النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ..(٦)﴾ النساء.

ولاحظ أيضا حالة اليتامى وضعفهم وتساويهم – أيضاً– فى عدم إحسان التدبير والحاجة والضعف والنقص– مما جعل ذلك يستدعى حذف حرف الألف هنا أيضا.

ونعود لسرد الآيات لنرى العظمة والإبهار فى ذكر الولدان هنا، والغلمان هناك فى السورة الأخرى .. لنرى تناسق ذلك وانسجامه مع هذه المعانى السابقة ومـع الرسـم المبـهر للكلمتين:

الآية الأولى:﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الواقعة. هنا الحديث عن:

(١) السابقون .. وهم أعلى الدرجات.

(٢) مشهد مُتَّكِئِينَ.. والخمر، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ.

(٣) هنا لم يذكر قوله (ألحقنا بهم ذريتهم). فى النص الذى فيه ذكـر الولـدان – أى (الخدم الطوافون) – وذلك خوفاً من اللبس فى أن يظن القارىء أن يكون هؤلاء (الذرية= أولادهم على الحقيقة) هم أنفسهم الأولاد الخدم لهم هنا، وهنا يُضعف البهجة لهم وهم فى الجنة.

وذلك بخلاف الآيات التالية– فى سورة الطور– التى تتحدث عن ألحقنا بهم ذريتـهم .. فقام النص القرآنى بتغيير كلمة (ولدان) التى تعطى هذا اللبس ووضـع مكانهـا كلمـة (غلمان) ، للتحرز من هذه الشبهة فى أن يظن أحد أن هؤلاء الخـدم هـم أولادهـم (الولدان).وبهذا يكون إذا ذكر الذرية(ذرياتهم) فى النص يكون معها (الغلمـان)، وإذا لم تذكر (ذرياتهم) وضع (الولدان) لأمن اللبس. فما أعظمه وأروعه من نص حكيم معجز.

وإليك النص كما يلى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ (ذُرِّيَّتَهُمْ) وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ (غِلْمَانٌ) لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) .﴾ ..

مع ملاحظة أن الموقف فى السورة السابقة يحكى عـن "الـسابقين" و عـن وسـمهم

ب(متكئين) وعن اللذة بالخمر وغيرها ..فناسبها مشهد (الولدن) . بخلاف المشهد هنا الذى فيه الحركة القوية (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) فكان التناسب بعدها (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ) فيهم مشهد القوة والحركة التى لم تكن فى الولدان ، وأيضاً الملاءمه للتناسق فى اللوحة الفنية الجميلة فى كلام رب العالمين الذى يحوى الجمال والكمال معا..

مع ملاحظة وصف ولدان ب(**مخلدون**) أى على هذه الصفة (دون تغير) **ودوامهم على صفة** واحدة يناسبه حذف **الألف** الفارقة ليعطى تجانس الكلمة، **وهذا ما نشاهده دائماً فى رسم كلمة** (خـلدا، خـلدين) **بدون ألف**.. وهذا لايتناسب مع مشهد "يتنازعون" فى السورة الأخرى .. بخلاف وصفه غِلْمَانٌ (لَهُمْ) بقوله: كَأَنَّهُمْ (لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ).

((وإليك ملخص سريع: **من سورة الطور: يطوف عليهم غلمان** ..وبالألف..**؛كأنهم لؤلؤ مكنون** ..أما فى الواقعة:﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾- وبدون ألف- **مخلدون**.

الطور: يطوف عليهم غلمان	الواقعة: وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ
(١) لأنه قال :والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم.. فلو قال (وِلْدَانٌ) ربما يذهب الوهم إلى أن ذريتهم هم (ولدانهم) هم الذين سيقومون بخدمتهم ، فلذلك قال "غلمان"	(١) قال ولدان لأنه لم يتحدث عن إلحاق ذريتهم بهم فأصبح هناك أمن من هذا اللبس.
(٢) رسمت الغلمان بالألف الظاهرة لظهورهم عن الولدان ، ولأنه يصف الشكل الظاهرى فى قوله: (كأنهم لؤلؤ مكنون)	(٢) ووصف ولدان بمخلدون (وبدون ألف) لوصفهم بصفة باطنة وهى (مخلدون) ولصغرهم وعدم ظهورهم كالغلمان التى كتبت بالألف

ويزيد الألوسى احتياطاً آخر فى النص الحكيم فيقول: { غِلْمَانٌ لَهُمْ } أي مماليك مختصون بهم كما يؤذن به "اللام" و لم يقل "غلمانهم" بالإضافة لئلا يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعاً .. ، **وفيه أن التعبير عنهم بالغلمان غير مناسب، وكذا نسبة الخدمة إلى الأولاد لا تناسب مقام الامتنان.**

ويقول الطاهر والغلام : مَن سنهُ بين العشر والعشرين . وكان سنّ يوسف عليه السّلام يومئذٍ سبع عشرة سنة.

وهنا نقف على رسم كلمة غلاما(غلـــما) **بدون ألف** : وهنا يبرز سؤال: لماذا (غلمان) بصيغة الجمع يوضع فيها الألف ، وبصيغة المفرد يحذف منها الألف – عكس ما تعودنا فى المفرد (فيه ألف) والجمع (يحذف الألف)- ؟

وللإجابة على هذا السؤال نعود لما ذكر عن الغلام فى المصباح المنير: **الْغُلَامُ الِابْنُ الصَّغِيرُ ... وَيُطْلَقُ الْغُلَامُ عَلَى الرَّجُلِ مَجَازًا بِاسْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ كَمَا يُقَالُ لِلصَّغِيرِ شَيْخٌ مَجَازًا بِاسْمِ مَا يَئُولُ إلَيْهِ ، وَجَاءَ فِي الشِّعْرِ غُلَامَةٌ بِالْهَاءِ لِلْجَارِيَةِ قَالَ يُهَانُ لَهَا الْغُلَامَةُ وَالْغُلَامُ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَسَمِعْتُ الْعَرَبَ تَقُولُ لِلْمَوْلُودِ حِينَ يُولَدُ ذَكَرًا غُلَامٌ ، وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ لِلْكَهْلِ غُلَامٌ ، وَهُوَ فَاشٍ فِي كَلَامِهِمْ .**

((وهذا المعنى الواسع لكلمة غلام (وهو الطفل والشاب والكهل باعتبار حالة المتحدث واتجاهه النفسى) وهذا ينفعنا فى التفرقة بين غلمان" و"وِلْدَٰن" بصيغة الجمع ووضع الألف هنا وحذفه هناك)) حيث أن صورة الجمع فى الغلمان تعطينا المعنيين المناسبين لحال الجمع الذى نرى معه تعدد الهيئات فى الغلمان الذى يناسبه وضع الألف.. أما الولـــدان فهـــم يتساوون فى توحدهم فى نظرهم للميول والشهوات على صورة واحدة فحذف الألـــف دائماً) .

لكن ورود كلمة (غلام) بصيغة المفرد كان فى حال الحديث عن مولود مريم عليها السلام ، فهنا يحسن فيه معنى واحد من معانيه وهو الطفوله فقط فلذلك كتبت بدون ألف ..

وكذلك وردت بالمفرد فى غلام سورة الكهف الذى قتله الخضر ؛ فهو لم يبلـــغ الحلـــم أو الرجولة كما يصور ذلك فى تفسير أبو السعود: كان الغلامُ يلعب مع الغلمان ففتل عُنقه ، وقيل : ضرب برأسه الحائطَ ، وقيل : أضجعه فذبحه بالسكين ((هذا لايمكن أن يحـــدث لرجل))و{ قَالَ } أي موسى عليه الصلاة والسلام : { أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً } طاهرةً من الذنوب ، وقرىء زاكيةً ((وهذا الوصف لايطلق أيضاً إلا على الطفل البريء من الذنوب والمعاصى والذى يُجمع الجميع على ذلك الوصف له دون الحاجة إلى معاشـــرته ورؤيـــة أعماله)) **ولذلك كان هذا الغلام طفلاً وأصبح يأخذ صفة (الولد) فى حـــذف الألـــف فكتب (غلـــم).**

طغي .. طغا

(١) ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤)﴾ طه، النازعات٣٧،١٧.

(٢) ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧)﴾ النجم.

(٣) ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ الحاقة.

هنا- فى هذه الآية الأخيرة- الطغيان طغيان مادى محسوس للماء (فكتب بالألف الظاهرة)..بخلاف الطغيان فى الآيات الأخرى فهو طغيان معنوى.. طغيان فرعون وطغيان البصر (فكتب بالياء التى ترمز إلى الغيبية والملكوتية والمعنوية) بالطاغية.(وهى إسم للصيحة المدمرة .. وهي عذاب مادى أيضاً) .

طغيـــنا.. طغيانا..

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَـــانًا وَكُفْرًا... طغيانا﴾ يعـــني : تمادبـــاً بالمعصية ، { وَكُفْراً } وجحوداً بالقرآن......﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـــانًا كَبِيرًا (٦٠)﴾ يعني : تماديا في المعصية .

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ الكهف.

يقول:تمادياً و اثماً

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ البقرة.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾الأنعـــام..﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ الأعراف.

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ يونس.

﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ المؤمنـــون .

السمرقندى وغيره: { فِي طغيانهم يَعْمَهُونَ } ، **يعني : في ضلالهم يعمهـــون** ، يعـــني : يتحيرون ويترددون ((**فالطغيان هنا – فى كل هذه الآيات بالإفراد والإضـــافة – هـــو (الضلال) وليس بالمعنى المادى المعلوم – كجبروت وتسلط الطاغية بالضرب والقتـــل وغيره – ولكنه طغيان عام فى المعصية والضلال وكما قلنا فى قولـــه:** وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾**الكهف. يقول؛ تمادياً وإثماً ويقول الألوسى: { طُغْيَانًا } مجاوزة للحدود الإلهية.**

ظالم وظالمة

(١) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ .. (٣٥)﴾ الكهف.

(٢) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ (٣٢)﴾ فاطر.

(٣) ﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا (٧٥) ﴾ النساء .

((الظلم فى هذه الآيات السابقة ظلم أشخاص أحياء: إما أفراد ، وإما أهل القرية من الأشخاص- الظالم أهلها — وهذا الظلم ظلم حقيقى **لأنه ظلم الأشخاص** .. بخلاف الآية التالية التى تتحدث عن (**القرى وهى ظالمة**) والقرى لاتكون (بنفسها) هى الظالمة ، ولكن **أهلها هم الظالمون**، **ولذلك كان الظلم فى هذه الآية (ظلماً مجازياً)** وليس ظلماً حقيقياً فكان لابد من لفت النظر إلى هذا المعنى **وذلك بحذف الألف** – الذى يحذف مع التعبير المجازى فى الرسم القرآنى –)).

(٤) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ **هود**.. هنا نكرر أن القرية ليست هى الظالمة ولكن أهلها هم الظالمون — كما فى النساء التى كتبت على حقيقتها — ولكنها هنا على المجاز،كما فى قوله تعالى : (واسأل القرية) — ونحن نسأل أهل القرية – ولذلك كتبت على غير حقيقتها وحذف منها الألف؛ **وهذا ماقاله الإمام الألوسى: { ظالمة } إلا أن وصف القرى بالظلم ((مجاز)) وهو في الحقيقة صفة أهلها.**

كذابا... كِذَّٰبًا

(١) ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) ﴾ النبأ.. تصوير لشدة الكذب منهم وكثرته وكبره وتكراره بوضع الألف .

(٢) ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ ﴾النبأ. تصوير لقلة الكذب — الذى يقترب من العدم – وأنهم لايسمعون أقل الكذب فى الجنة ..فقلل من حروف الكلمة ، وحذفت الألف – رغم أن النطق واحدٌ فى الحالتين-(راجع بحثنا حول الآية ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) ﴾ المطففين.. لترى دقة وعظمة وإعجاز اللفظ مع رسم الكلمة فى القرآن الكريم. (إيجاز فى المشهد مع إيجاز فى رسم الكلمة، وإطناب فى المشهد مع إطناب فى رسم الكلمة).

القواعد...وَٱلْقَوَٰعِدِ

(١) ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ (قواعد مادية..).

(٢) ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَٰعِدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (قواعد مادية..).... وقرىء : «فأتى الله بيتهم»ولذلك كتبت بدون ألف.

(٣)﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴿٦٠﴾ ﴾ قواعد معنوية فحذف الألف

أيام..بِأَيَّـٰم .

إذا كانت أيام بالمعنى المادى أى(اليوم المعلوم لـدينا: ٢٤ سـاعة) أو أيـام النقمـة والعذاب وعلو النبرة بالتهديد والوعيد فتكتب بالألف (أيام).

وإذا كانت بمعنى آيات ومعجزات ونعم متعددة وليست أيام العذاب أو علو النـبرة بالتهديد فتكتب بدون ألف (أيـم) هكذا:

(١) ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.(١٨٥) ﴾البقرة. أيام (اليوم المعلوم لدينا: ٢٤ ساعة) فكتبت بالألف.

(٢) ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾.. اليوم ٢٤ ساعة.

(٣) ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨)﴾ بمعنى اليوم ٢٤ ساعة.

(٤) ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ(١٤٠) ﴾ يقول : يوم لكم ويوم عليكم.. وهو يمسح على جروحهم ..ويشير إلى الهزيمة فى غزوة أحد وليس إلى النصر.

(٥) .. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ (٨٩)﴾ بمعنى اليوم ٢٤ساعة.

(٦) ..﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ بمعنى اليوم ٢٤ساعة.

(٧) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾الأعراف.

(٨) ﴿ **فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ (١٠٢)﴾ يونس..أيام هزيمة لهم.

((قديد بعذاب أيام قادمة.. وعلو نبرة التهديد بالعذاب واضحة.. فبقى الألف (أيام) شاهداً على ذلك)) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ ..﴿ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ،﴾ ومثلها الآية التالية:

(١) ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦)﴾ وأيام النقمـة والعـذاب وهـى موصوفة بقوله (نحسات).

(٢) ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾ أيام نقمة وعذاب.

(٣) ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾ بمعنى اليوم ٢٤ ساعة وأيام عذاب.
وهذا بخلاف الآية التالية:

(٤) ﴿ **** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ابراهيم. ويقول السمرقندى: يعني: خوّفهم بمثل عذاب الأمم الخالية، ليؤمنوا. **وقال مجاهد: أيام نعمه** .(وما أدراك ما مجاهد -- كما يصفه صاحب تفسير المنار) **وكذلك قال قتادة والسدي.**
يعني: ذكرهم نعمائي ليؤمنوا بي.

ثم قال: { إِنَّ فِى ذلكَ لآيَاتٍ } يعني: في الذي فعلت بالأمم الخالية، وما أعطيتهم من النعم لعلامات { لّكُلّ صَبَّارٍ } على طاعة الله، والصبار هو البالغ في الصبر { شَكُورٍ } يعني: شكور لنعم الله تعالى، وهو على ميزان فَعُول وهو المبالغة في الشكر ....ويقول الزمخشرى: **وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نعماؤه وبلاؤه. فأمّا نعماؤه، فإنه ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى. وفلق لهم البحر. وأمّا بلاؤه فإهلاك القرون { لّكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه** ..ويقول البقاعى: { بأيام الله } أي الذي له الجلال والإكرام من وقائعه في الأمم السالفة **وغير ذلك من المنح لأوليائه والمحن لأعدائه.**

ووضح الرازى أيام المحن هذه فقال: واعلم أن أيام الله في حق موسى عليه السلام منها ما كان أيام المحنة والبلاء وهي الأيام التي كانت بنو إسرائيل فيها تحت قهر فرعون، ومنها ما كان أيام الراحة والنعماء مثل إنزال المن والسلوى وانفلاق البحر وتظليل الغمام ... ورجح الطاهر الرأى الثانى حيث يقول: فالمراد ب { أيام الله } هنا الأيام التي أنجى الله فيها بني إسرائيل من أعدائهم ونصرهم وسخر لهم أسباب الفوز والنصر وأغدق عليهم النعم في زمن موسى عليه السلام، فإن ذلك كله مما أمر موسى عليه السلام بأن يذكرهُموه، وكله يصح أن يكون تفسيراً لمضمون الإرسال.

** فالأيام – بدون ألف – هنا:

(١) لايقصد بها اليوم المعلوم لدينا =٢٤ ساعة. (٢) وهى أيام قد مضت.

(٣) وهى أيات ومعجزات ونعم متعددة وليست أيام العذاب – كما فى السورة السابقة–.

ولكل هذه الأسباب خالفت فى الرسم لانخفاض النبرة والحنين فى (التذكير بالنعم).

وواضح مما سبق أنه إذا كانت الإيام بمعنى اليوم ٢٤ ساعة المعلوم لدينا – مـادى ظـاهرى ومعلوم– يرسم بالألف .. وإذا كان بالمعنى الآخر (الوقائع والأحداث) .. على خلاف ظاهر اللفظ.. فله حالتان :

الحالة الأولى ترسم بالألف إذا كان الهدف هو العذاب والإنتقام ومـصاحباً بعلـو النـبرة بالتهديد والوعيد .

والحالة الثانية هى الحالة التى يكون فيها التذكير الهادىء ، وتعداد النعم التى جاءت إليهم .. هنا تكون الكلمة بدون ألف (بِأَيَّم) مثل (آية إبرهيم) وهى الآية الوحيدة التى كتبت على ذلك الرسم (بدون ألف).. وراجع ذلك وتأمل فى شأن هذا الرسم المعجز.

ملحوظة : علو النبرة وما يناسبها من ظهور الألف يرد كثيراً فى القرآن الكريم وقـد ضربنا أمثلة كثيرة على ذلك منها هنا ((الرسولا.. السبيلا)) وكيـف ناسـب علـو صراخهم فى جهنم وجود ألف الإطلاق فى سورة الأحزاب هكذا :

((الرسولا.. السبيلا)).

(١) ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)﴾ الأحزاب.

(٢) ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ الأحزاب.

(٣) ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧)﴾ الفرقان.

والملاحظة هنا : أنه بمتابعة السياق فى الآية (١) ، (٣) التى وردت فيها كلمة (السبيل) بدون ألف..نجد: الجو التشريعى الهادىء والمستقر فى قضية التبنى فى الآية(١).. وأيضاً فى الآية (٣).

ولكن الآية (٣) تحتاج إلى توضيح ومقارنة مع الآية (٢) حيث أن الحديث فى الآيـتين عن الآخرة والحشر ومشهد ما يعبدون من دون الله ، ولكن فى آية الفرقـان (٣) هـم مازالوا لم يُذهب بهم إلى الجحيم ، بل هم فى انتظار ؛ ربما يأتيهم الفـرج أو الأمـل فى شفاعة الشفعاء وما يعبدوهم من دون الله ، ورغم أنه موقف صـعب ولكنـه لايقـارن

بالموقف فى الآية (٢)-- فى سورة الأحزاب- التى تصور حالهم وهم فى جهنم يعــذبون: (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) ولك أن تتخيل تقليب وجوههم فى النار حتى لايبقى جزء منها بعيداً عن شوى جهنم.. وتخيل كيف يكون صراخهم وعويلهم **وامتداد الــصوت** لهم، والذى يرسمه ألف التنفيس أو ألف الإطلاق فى كلمة "الرسولا" و"السبيلا".. رغــم ماقيل – من أغلب العلماء – من أن وضع الألف فى الكلمتين هو لأجل التناسب فقط مع الفاصلة فى الآيات السابقة واللاحقة وهى: ..﴿ . تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) ..سَعِيرًا (٦٤) ..وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥).. يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَــذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣) ﴾ ... ولكن نسى هؤلاء العلماء أن أية التشريع الأولى والتى هــى فى نفــس السورة (الأحزاب) -- ومعها هذه الفواصل أيضاً – لكنها لم يزد فيهــا الألــف رعايــة للفاصلة — كما يقولون – .. وهكذا فى آية الفرقان التى أتت فيها جميع فواصل الآيــات بالألف إلا هذه الآية وحدها فقد جاءت بدون ألف فى وسط هذه الآيــات هكــذا: ﴿ . تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) .. ثُبُورًا (١٣) .. ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) .. جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) .. وَعْــدًا مَسْئُولًا (١٦) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُــونَ فَمَــا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَــبِيرًا...﴾ . وهكــذا نــرى أن **السياق الهادىء هنا** -- **وجو الحوار** – هو الذى استدعى حذف الألف .. وأن **السياق العاصف والملتهب** هناك فى آية الأحزاب — تقلب وجوههم فى النار- هو الذى استدعى وجود ألف التنفيس أو ألف الإطلاق لهذا الصوت .. **فما أروعها من مناسبة يتناغم فيها رسم الكلمة مع عرض الصورة الفنية..فما أروعه وأعظمه وأعلاه من كلام هو كلام رب العالمين.**

الأسباب، ٱلْأَسْبَٰبِ

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ(حب ومــودة فى الــدنيا) وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ (فى يوم القيامة) أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا(القوة القادرة على تفريق وتقطيع مابينهم من صلات العبودية "الأسباب"وغيرها) وَأَنَّ

اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا (فرار وقطع الوصل الذى كان بينهم) وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦)﴾ البقرة.. والمعنى أنه لاتدوم هذه الرابطة اللصيقة التى كانوا عليها فى الدنيا ، ويكون الجزاء من جنس العمل ، وتتقطع الأسباب (الروابط)، ويصور ذلك المعنى (التقطيع والتفرق) رسم الكلمة بوجود الألف الفارقة فيها (الأسباب).

وهنا نلاحظ أيضاً قوله (وَتَقَطَّعَتْ "بِهِمُ" الْأَسْبَابُ) ولم يقل (وقطعتهم الأسباب) – والأسباب هنا يراد بها (الأنداد) من دون الله –.. فلو قال (قطعتهم الأسباب) فإنه حينئذ يثبت لهذه الأسباب أنهم مازالت لديهم القوة والتجمع حتى ولو على أتباعهم ، ولكن سياق الآية يقول:(**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**) وهذا يفيد أن الأنداد نفسها قد تقطعت أيضاً معهم، وتقطعت أيضاً الوصل التى كانت بينهم – أى علاقاتهم بأتباعهم– **..وهذا من روائع وإعجاز التعبير القرآنى فى استخدام الحرف "بهم" فى موضعه.**

ويقول المفسرون:. و { الأسباب } الوصل التي كانت بينهم : من الاتفاق على دين واحد ، ومن الأنساب ، والمحاب ، والأتباع ، والاستتباع ، ..والتقطع: الانقطاع الشديد لأن أصله مطاوع قطَّعهُ بالتشديد مضاعف قَطع بالتخفيف .

((وواضح من هذا الشرح أن المقام هنا هو مقام استعراض القوة وأنها لله وحده ، وهذه القوة وهذا التلويح بها والتخويف منها يناسبها إظهار الألف (الأسباب) التى ستُقطَّع بقوة – كما يشير إليها الفعل المضعف والمشدد (تقطَّعت) ، ولفظ (بهم الأسباب))، ويكون من الواضح أن هذه الآية تشير إلى (تقطيع) الأسباب والتفريق (مما يناسبها وضع الألف الفارقة– وهذه قاعدة عامة يلاحظها المتتبع للرسم القرآنى–)، بخلاف الآيات التالية التى تتحدث عن (وصل) الأسباب (والتى لايناسبها وضع الألف المفرقة والمقطعة)كالآيات التالية:

(١) ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ﴿١٠﴾﴾ ص.. {فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى الأسباب } فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش **(فالأسباب لايوجد بها مشهد التقطيع أوالتباعد الذى يستدعى وضع الألف الفارقة بل بها فيها مشهد الوصل).**

(٢) وَقَالَ﴿ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ (٣٦) أَسْبَـٰبَ السَّمَاوَات ﴾ **..غافر هنا فى الآيتين– كما هو واضح – يطلب فرعون وصل الأسباب وليس قطعها، ولذلك وصلت الكلمة (ٱلْأَسْبَـٰبِ) ، ونبرة الحديث هنا هادئة ، وهنا أيضاً**

يتضح الفرق بين هذا الحديث الهادىء والحديث الملتهب عن الأنداد فى الآيات السابقة من آية البقرة.. والتقطيع هناك والوصل هنا.. وحديث فى الآخرة هناك وحديث فى الدنيا هنا)..... مع ملاحظة أن :

﴿ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ غافر بمعنى طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها ، وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه – أى أنها أسباب على المجاز هنا– (وهى ليست بالطرق المعلومة لدينا أو حتى المرئية) فأخفى الألف.

باسط..بَسِط

نلاحظ أنه إذا كان (البسط) فيه حركة إيجابية يكتب بالألف(إسم فاعل فيه وصف الذات والفعل أيضاً) .. وإذا كان (البسط) على حالة ثابتة (إسم فاعل فيه وصف الذات فقط)يحذف الألف وإليك الأمثلة.

(١) ﴿والملائكة بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ (٩٣) ﴾ الأنعام.

(٢) ﴿ ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك.﴾ .المائدة.

فى هاتين الآيتين البسط فيه حركة إيجابية (بإخراج الروح بقوة ، وبسط اليد بالقتل لأخيه) بخلاف الآيتين القادمتين:

(٣) ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (١٤) ﴾ الرعد....هنا البسط حركة سلبية بل وعلى الثبات وليس الحركة.. ، وشرح الآية هو: **كمن يبسط يديه إلى الماء ولايحركها إلى فمه** فالماء لن يصل إلى فمه لأنه ليس له حركة . وقيل : شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه ، فبسطهما ناشراً أصابعه ، فلم تلق كفاه منه شيئاً و لم يبلغ طلبته من شربه (فهنا لانجد صورة لحركة اليد فهى مبسوطة وثابتة وغير متحركة **ولذلك كتب البسط بدون ألف**)وكذلك الآية التالية:

(٤)﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ(١٨)﴾ الكهف.

(فهى أيضاً مبسوطة وثابتة وغير متحركة ولذلك كتب البسط بدون ألف)

ومما سبق يلاحظ أن ظهور الألف مع :

(١) مشهد الحركة فى مشهد البسط (وهو البسط للقتل (المائدة).. ومشهد إخراج الروح عن طريق الملائكة (الأنعام)).

(٢)إضافة إلى المشهد التصويرى الذى يعبر عن العنف والشدة والقوة مع وجود الألف فى الحالتين (القتل وإخراج الروح).

أما المشاهد السلبية -- التى لايوجد فيها حركة –كآية الرعد –كَبَسط كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ–، وبسط الكلب ذراعيه ساكنا على هذه الحال فى سورة الكهف، فيتم فيها همود الألف أى (إخفاء) الألف ، المتناسق مع همود الحركة. ((قاعدة هامة جداً ناها متكررة دائماً)).

بصائر .. بَصَٓئِر

إذا كانت (بصائر) بمعنى جامع مثل(االمنهاج والشريعة الكاملة والسنة والطريقة العظيمة الشأْن – كما يحدث مع المعنى العام فإنها تكتب بدون ألف (بصئر). بخلافً المعنى الخاص الجزئى (كالوحى القرآنى أو المعجزات المادية) فتكتب بالألف (بصائ) هكذا:

(١)﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) ﴾ الأنعام.

يقول الرازى و الألوسى:... وأراد بقوله : { قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ } الآيات المتقدمة ......وهى:﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(التعليق: ونلاحظ أنها كلها آيات مادية محسوسة وملموسة ، وهى مساقة كدليل على (القدرة) وليس تعدادها لطلب الشكر عليها- كما فى سياقات أخرى- ، وهى طريق للدعوة وطلب الإيمان عليها) فوضع فيها الألف.

(٢)﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾ الأعراف.

فالآية هنا هى القرآن أو آية من القرآن كما يقول الرازى:..فذكر في وصف القرآن ألفاظاً ثلاثة : أولها : قوله : { هذا بَصَائِرُ من رَّبِّكُمْ }

ويقول الألوسى: { وإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِئَايَةٍ } من القرآن عند تراخي الوحي ..أو بآية مقترحة

ويقول الطاهر: .. ويجوز أن يراد بآية ءاية من القرآن يقترحون فيها مدحاً لهم ولأصنامهم.

فكل هذه المعانى تعطى الخصوصية والمادية لمعنى (بصائر) .

(٣)﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢)﴾ الإسراء.. (معجزات مادية).

(٤)﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) ﴾القصص. يريد : آتيناه التوراة أنواراً للقلوب.

***وتبقى الآية الوحيدة التى كتبت فيها بدون ألف وهى.

(٥)﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) (٢١)﴾الجاثية.

الزمخشرى: وقرئ «هذه بصائر» أي : هذه الآيات

ويقول أبو السعود: { ثُمَّ جعلناك على شَرِيعَةٍ } أي سنة وطريقة عظيمة الشَّأْن { مِّنَ الأمر } أي أمر الدين .. { هذا } أي القرآنُ أو اتباعُ الشَّريعة { بَصَائِرَ لِلنَّاسِ } فإنَّ ما فيه من معالِم الدين وشعائرِ الشرائعِ بمنزلة البصائرِ في القلوبِ .

ويقول الطاهر: إن كانت الإشارة إلى الكلام المتقدم وما فيه من ضرب المثل بموسى وقومه ومن تفضيل شريعة محمد على شريعة موسى عليهما الصلاة والسلام..(فالحديث

عن الشريعة الكاملة التي فيها القرآن – الوحى – ، والسنة ، والقدوة ، والمنـــهج = دنيا ودين).

الألوسى: .. وقيل : الإشارة إلى اتباع الشريعة والكلام من باب التشبيه البليغ ، ..وقرئ { هذه } أي الآيات { وهدى } .

من هنا يتبين أن آية سورة الجاثيـــة تتحـــدث عـــن الـــشريعة والـــسنة والطريقـــة والمنهج.(وليس القرآن فحسب).. مع ملاحظة أن سورة الجاثيـــة تـــسمى (ســـورة الشريعة). وهذا المعنى أشمل وأوسع من المعنى الجزئى (القـــرآن أو الآيـــات الكونيـــة أومعجزات موسى) التى فى الآيات الأخرى ، ولهذا كتبت على قاعدة "المعنى الكلـــى الجامع" الذى يحذف منه الألف ، مثل كتاب بالألف وبدون ألف وغيره.

باطن ..ظـــهر

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ الحديد

{ والظاهر } أي بوجوده لأن كل الموجودات بظهوره تعالى ظاهر { والباطن } بكنهه سبحانه فلا تحوم حوله العقول .

﴿ وَذَرُواْ ظاهر الإثم وَبَاطِنَهُ ﴾

ويقول الطاهر: وظاهر الإثم ما يراه النّاس ، وباطنُه ما لا يطّلع عليه النّاس ويقع في السرّ ،

((وهذا يعنى أن الباطن يحتاج إلى عمق تفكير وبحث للوصول إلى معرفتـــه والوقـــوف عليه.فوضع فيه الألف)).

لقمان:﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾ ﴾ ..يقول الزمخشرى:. فإن قلت : فما معنى الظاهرة والباطنة؟ قلت : الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة ، والباطنة ما لا يعلـــم إلا بدليل ، أو لا يعلم أصلاً ، ..وقد أكثروا في ذلك .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾آل عمران.

بطانة الرجل ووليجته : خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بسره ثقة به.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بِطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) ﴾

إذن : الباطن بالألف ينظر فيها إلى العمق والغور البعيد بخلاف الظاهر للعيان الـــذى ليس فيه عمق... ولذلك نجد صفات الله عز وجل لها رسمان (بالألف وبدون الألـــف) نظراً لقوله تعالى (الظاهر والباطن) فى آن واحد.

جاوزا ... وَجَـوَزْنَا

(١)الكهف:﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَـذَا نَـصَبًا (٦٢)﴾
..(نلاحظ: أن المجاوزة هنا مجاوزة دون المرور فى الشيء.. وعدم ذكر المفعول) فهـي
بمعنى: مروا عليه ، وليس بمعنى : مروا فيه. عكس الآية التالية:
(٢)الأعراف:﴿ وَجَـٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ (١٣٨) ﴾ هنا كان المـرور (المجاوزة) مرور فى داخل الشيء (البحر)..وقال أبوالسعود: وقرئ (جوّزنا) بالتشديد وهو أيضاً بمعنى جاز فعُدّي بالباء أي قطعنا هم البحر .((وأرى- بناء على هذه القراءة الثانية – أن فيها مناسبة جميلة بـين شـدة المـرور فى البحـر وبـين التـشديد فى الحرف(جوَّزنا) .. بخلاف آية الكهف فليس فيها هذه الشدة والمخاطرة).ومثلها الآية التالية:
(٣) يونس:﴿ وَجَـوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البحر . (٩٠) ﴾ يقول الألوسى وأبوالسعود: وقـرأ الحسن { وجوَّزنا } بالتضعيف.. بخلاف الآيتين التاليتين:
(٤) **البقرة:﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ..(٢٤٩) ﴾. وهذه الآية ليس لها قراءة ثانية تستحق حـذف الألف ، والمعنى أيضاً مجاوزته دون المرور فيه، بل هو المرور عليه (أى بجواره).
(٥) الأحقاف :﴿ ..أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ (١٦) ﴾ تجاوز معنوى . وبالطبع دون المرور فى الشئ نفسه.
((إذن المجاوزة- أى المرور- "على" الشيء تكتب بالألف .. وهى تختلف عن المـرور (فى) الشيء – أى الغوص والإخفاء الجزئى أو الكلى فيه – الذى يكتب بدون ألف . وهذا الملحظ سنراه متكررًا فى مواطن أخرى شبيهة بهذا الموقف)) وهذا الملحظ ربمـا لأن الذى يمر فى الشيء – البحر مثلاً – فإن هذا الشيء يُخفَى بداخله ويُمنع ظهـوره أو يُنقص من ظهوره- فيخفى الألف-.. بخلاف الذى يمر على الشيء (أى بجـواره) فهو ظاهر فيظهر الألف.

ءَاثَرِهِم .. آثارهم

﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾.

الأحقاف { أَوْ أَثارة مِّنْ عِلْمٍ } أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأوّلين .. **وقرىء «أثرة» بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء.**

﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بعيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ ﴿٤٦﴾﴾ **المائدة.**

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِمۡ..(٦)﴾ **على توليهم على فراقهم.**

﴿فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ **الصافات.** بتقليد الآباء في أصول الدين.(ففي هذه الحالات (الآثار) ليس المقصود بها آثار الأقدام ولكنه المتابعة لهم ، فأصبح الأمر على المجاز وليس على الحقيقة المعلومة لدينا فكتبت بدون ألف – كما فى قوله تعالى (لاتتبعوا خطوت الشيطان) كتبت خطوات بدون ألف لهذا المعنى المجازى حيث أنه لايقصد خطوات بالمعنى المعلوم من آثار الأقدام.وهكذا فى باقى الآيات الشبيهة:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰءَاثَٰرِهِم مُهْتَدُونَ (٢٢)﴾ ....﴿ إِلَّا قَال مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَٰرِهِم مُقْتَدُونَ (٢٣)﴾ **الزخرف.**

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى . (٢٧) ﴾ **الحديد.**

كل هذه الآيات كتبت بدون ألف لأنها آثارعلى المجاز وليس على الحقيقة ، أو أنها آثار معنوية – كما يفهم من المعنى–.

ولذلك أثبتوها فى قوله (فارتدا على ءاثارهما..)لأنها آثار أقدامهم على الحقيقة أى نفس طريق سيرهما .

وكذلك قوله : أو ءاثاراً فى الأرض فى آيتين بغافر:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ﴾ غافر.. فهذه الآثار فى الأرض هى آثار مادية وملموسة تركوها فى معالم بنيانهم وحرثهم وزرعهم ، فهى أيضاً آثار على الحقيقية وليست على المجاز فكتبت بالألف .. **وهكذا الآية التالية فى نفس السورة:**﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) ﴾ **غافر..** كما يقول أبو السعود وغيره: مثل القلاعِ الحصينةِ والمدائنِ المتينة .

ولكننا نقف هنا وقفة مع آية الروم ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الروم : ٥٠] التي كتبت بدون ألف رغم أنها تتحدث عن الآثار المادية ، ونسأل : لماذا خالفت هذه الآية القاعدة التي ذكرناها ؟ . وللإجابة على ذلك نستعرض ما قاله المفسرون وعلماء القراءات ، ومنهم العلامة أبو السعود ملخصاً في قوله: { فانظر إلى ءاثار رَحْمَةَ الله } المترتبة على تنزيل المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار ((إذن هى آثار مادية كما يقول السائل أيضاً)) ولكنها كتبت بدون الألف (أثـــر). لأنه سيقول بعدها:- وقُرِىء "أثرِ" بالتوَّحيد – أى على الإفراد وليس الجمع. وهذا هو السبب العظيم الذى حافظ به الرسم على وجوه القراءات.

حرام ..حَلَٰلا

ومعلوم أن الحرام هو الذى وُضِع بينك وبينه حاجز(فكتب بالألف).. والحلال هو إزالة هذا الحاجز(فكتب بدون ألف) وإليك البيان كالتالى:

(١)المسجد الحرام كله بالألف.

(٢)﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ البقرة: خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ خطوات مجازية تعنى أوامره وأقواله ولذلك كتبت بدون ألف

(٣)المائدة:﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَٰلاطَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾

الأنفال:﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلاطَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩) ﴾

يونس:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وحَلَٰلا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)﴾ .

(٢)النحل:﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾

يقول الألوسى: وقال الراغب : الحرام الممنوع منه إما بتسخير إلهي وإما بمنع قهري وإما بمنع من جهة العقل أو من جهة الشرع أو من جهة من يرتسم أمره.

وكذلك:﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَائِكُمُ (٢٣)﴾ النساء.

(٣) يونس:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلا (٥٩)﴾ .

(٤) الحج :﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ حنفاء... حُرُمَٰت " حذف منها الألف لأنها جمع مؤنث سالم كما سنرى أنه يحذف منه الألف للتخفيف. ، وهي ليست بمعنى الحرام الذى نبعد عن فعله بل هى الحرمات التى ننجذب إليها ونأتيها ونحامى عنها (فحذف الألف منها لذلك.

(٥)وبقيت آية الأنبياء﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ (أهلكتها ؟؟) لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الأنبياء. التى كتبت فيها كلمة (حرام) بدون ألف – مخالفة للقاعدة التى ذكرناها –لأن لها قراءة أخرى كما نقل الزمخشرى: وقرئ : «حرم» و«حرم» ، بالفتح والكسر . وحرّم وحرّم .

ملحوظة: كلمة (أَهْلَكْنَٰهَآ) قرئت (أهلكتها) .

أموتاً وأحياء

(١) البقرة:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ دائماً (أموتاً) بدون ألف، وهذا مناسب لمشهد الموت والهمود، ولذلك سيكون السؤال عن الإحياء (بالألف وبدون ألف).

(٢) الحج﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦)﴾ (إحياء لم يسبقه موت).

(٣) المائدة:﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا (٣٢)...﴾ يقصد من أحياها أى: (لم يقتلها) ، فهو ليس بالإحياء الذى يسبقه عدم أوالذى يسبقه لفظ الموت كما فى الآيات الأخرى المحذوف منها الألف (أحيـــها).

(٤) فصلت:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (هنا ضرب مثل بإنبات الزرع على إحياء الإنسان ويريد منك أن تركز على المشهد الفعلى لعملية الإحياء بعد الإماتة للأرض لتعلم (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، ولــيس هناك موت على الحقيقة للأرض سبق ذلك الإحياء.

(٥) البقرة:﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ (هنا إحياء سبقه موت بالحقيقة وليس بالمجاز).

(٦) الأنعام:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ إحياء معنوى بالمجاز(أى جعله مؤمناً بعد أن كان كافراً) وليس بالحقيقة و(موت) معنـــوى يـــسبق الإحياء.

(٧) يس:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

... كل هذه الآيات التى بدون ألف يسبقها العدم (موتو . وميتا) والهدف هنا هو لفت النظر إلى تعداد النعم – فى إحياء الأرض – للشكر عليها. وليس بغرض النظر إلى فعل الإحياء والقدرة عليه ؛ بخلاف آية فصلت التى تقول: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾فهو دليل (القدرة) على الإحياء لطلب الإيمان.

(٨) الجاثية:﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١).. هنا لايقصد عملية الإحياء بعد الموت (أى الفعل) ولكنه يقصد المقارنة بحالة الموت وحالة الإحياء كل على حدة..وتشخيص الحالة كما هى.

الزمخشرى: والمعنى : إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا ، وأن يستووا مماتاً؛ لافتراق أحوالهم أحياء . حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات ، وأولئك على ركوب المعاصي . ومماتاً ، حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه ، وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعدَّ لهم . وقيل : معناه إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة ، لأنّ المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة ، وإنما يفترقون في الممات ، وقيل : سواء محياهم ومماتهم : كلام مستأنف على معنى : أن محيا المسيئين ومماتهم سواء ، وكذلك محيا المحسنين ومماتهم : كل يموت على حسب ما عاش عليه.

(٩) الأنعام:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي } وما آتيه في حياتي ، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح..(نفس ما سبق: لايقصد عملية الإحياء والإماتة التى نعلمها(أى: الموت بالتحلل وبعده الإحياء بالبعث)، بخلاف الإحياء الذى يسبقه مشهد الموت الحقيقى فإنه يكتب بالألف كما سبق.

الخاطئون .. ٱلْخَٰطِـُٔونَ

(١) الحاقة:﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) .. لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (خطايا كثيرة وعامة وغير محددة أو مخصصة وخطاب بالغيبة) فكتبت بدون ألف.

(٢)يوسف:﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

تعنيف لها، وقد سبق إقامة البرهان والدليل على خطئها (وشهد شاهد ..) وخطاب مواجهة (ومباشر وفيه إظهار الألف).. وفاحشة معلومة ومحددة (تخصيص).. والخطاب للمرأة بصيغة:(إنك كنت من الخاطئين ، ولم يقل من الخاطئات كما هو متوقع) وهو عالى النبرة وكأنها فعلت الفاحشة بالصورة القوية والعلنية التى يفعلها هكذا الرجال... والخطأ هنا هو الفاحشة المعلومة **والمحددة وهو الزنا .. لكل هذه المعانى ظهر الألف.**

(٣)**يوسف:**﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾(٩١)يوسف (ربما هم يريدون أن يعوموا جريمتهم ، وهم يريدون أن لايشيروا إليها بالتحديد ، ويقولون أنهم أخطأوا إليه أخطاءا كثيرة .**ويلاحظ فيها أيضاً مشهد (الانكسار)– بإظهار التوبة – وما يناسبه من انخفاض الصوت. وهم يعترفون على أنفسهم ويطلبون العفو؛ بخلاف الآية السابقة فهو اتهام لامرأة العزيز، ومن الغير لها، وتعنيف لها،(وليس فيه انكسار منها). والانكسار أيضاً نلاحظه فى الآية التالية:**

(٤) يوسف﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

٥)**القصص:**﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ (٨) ﴾ خطايا كثيرة ومتنوعة وليست واحدة ومحددة وخطاب لهم عن طريق الغيبة وليس المخاطبة المباشرة لهم (فعيب الألف).

إذن لو كانت الخطيئة محددة ومعلومة وعليها التعنيف (يكتب الألف) وعكس ذلك يسير على قاعدة الحذف للعموم والانكسار.

❁❁❁❁❁

من جهنم مهاد . الأرض مِهَٰدًا

الأرض مهدا .. وفى آية أخرى عند الحديث عن جهنم يقول: جهنم وبئس المهاد .. (لاحظ مهاد الأرض غير مهاد النار– حتى فى رسم الكلمة–.. فمهاد النار لايهدأ ولاينام عليه (فوضع الألف) بخلاف مهاد الأرض ففيه الهدوء والقرار(فحذف الألف).

﴿.. أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ ﴾ النبأ. ويقول الزمخشرى: { مهادا } فراشاً . **وقرئ «مهداً»** ومعناه : أنها لهم كالمهد للصبي : وهو ما يمهد له فينوّم عليه . ولاحظ ظهور الألف فى (أوتادا) وهو من الدقة فى التصوير برسم الكلمة. ولاحظ أنه إذا تحدث عن عمق الجبال داخل الأرض لإحداث التوازن قال (الجبال

روسى:﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ فصلت) (رَوَاسِى) بدون ألف ، شارحا الحقيقة العلمية التى لم يعلمها العلم الحديث إلا أخيراً من أن ثمانين فى المائة أو أكثر من حجم وثقل الجبال مخفيٌ فى باطن الأرض (يحدث الاتزان فقال "روسى" بدون ألف ظاهرة)، وكان العلم يظن أن الجبال التى نراها هى مجرد تعرج فى القشرة الأرضية فقط وما كانوا يعلمون عن عمقها الذى فى باطن الأرض الذى هو (كالوتد- أوتادا).

فإذا تحدث عن الظهور للجبال قال (أوتادا) وإذا قصد التوازن قال (روسى) بدون ألف لأننا لانشعر به وهو غير ظاهر إلا بالفكر والعلم.

دَاخِرِين

(١)﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ **النمل.** يقول أبوالسعود: { داخرين } أي صاغِرينَ . **وقُرِئ دَخِرِينَ** ويقول **الألوسى:** وقرأ أكثر السبعة آتوه اسم فاعل { داخرين } أي أذلاء ، وقرأ الحسن . والأعمش **دخرين بغير ألف**((ونلاحظ أنه يصف حالهم من البداية بأنهم مستسلمون و لم يصف جبروتهم وطغيانهم فهم فى الموقف متساوون جميعاً فى **الضعف والذلة والاستسلام** الذى يناسبه حذف الألف من الكلمة)).

(٢)﴿ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ **الصافات**.. هنا مشهد استبعاد البعث لهم وآبائهم بعد أن أصبحوا شيئاً مهيناً وفى غاية الضعف والبعد (تراباً وعظاما) فجاء الرد عليهم ب(**قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ**) وحذف الألف هنا فى غاية التناسب.

(٣)﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ **النحل.**{ وَهُمْ داخرون } حال من الضمير في ظلاله ، لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل ، وجمع بالواو ، **لأن الدخور من أوصاف العقلاء** ، (**إذن فهنا الحديث عن دخو غير العقلاء وفيها يكون الوصف على المجاز وليس على الحقيقة، وهنا يحذف الألف**)... أي : ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله ، غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ ، والأجرام في أنفسها داخرة أيضاً ، صاغرة منقادة لأفعال الله فيها ، لا تمتنع .

(هذه الثلاث آيات فيها صورة الإستسلام والتصغير والطواعية دون رسم صورة التكبر والإستكبار أو الوعيد بجهنم فى الآيات قبلها .. ولذلك تم تصغير وانكماش الكلمة بحذف حرف الألف).. كما أنها تتحدث عن عموم الخلائق ، أو عموم الكافرين المجادلين (أقوياء وضعفاء دون تفرقة بينهم) بخلاف الآية التالية: (٤)* غافر﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾..﴾ هنا الحديث خاص عن فئة محددة(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي).وهنا نلاحظ ظل الإستكبار (يستكبرون) والوعيد من الله (سيدخلون) وصورة (جهنم) مما يستدعى علو النبرة كما يرسمها حرف الألف.. لأنه يرسم الصورة والصورة المقابلة بتناسق عجيب .

(إذن : فئة مخصوصة – تخصيص– وعلو نبرة، فأظهر الألف).

الداع

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ البقرة (قالوا أنه يشير إلى أن الداعى يدعو لنفسه بسرعة ، ولكنى أؤيد أن يكون حذف الألف إشارة إلى طلب الدعوة القلبية وأن الله يستجيب الدعوة القلبية الخالصة من القلب وليست الدعوة باللسان فقط ولذلك حذف الألف)

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ(٦)....مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)..﴾ هنا واضح ملحظ الحذف لسرعة الحدث الذى سيخبرنا عنه الزركشى والمراكشى. مع ملحظ الغيبية.

الداعى

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) هنا يصور جو السكون كما فى قوله: – وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾- ولا يركز على جو العنف والسرعة... بخلاف قوله : (فتول عنهم يوم يدع الداع) ففيه ما فيه من مشهد السرعة حتى فى هذه الكلمة وهذا الأمر (فتول عنهم). بخلاف الدعوة الهادئة من الداعى فى الدنيا مثل:

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾.

فهنا واضح فيها أن الدعوة كلها باللين والهدوء.

فَأَذَٰقَهَا الله.. أذاقهم منه رحمه

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.النحل..

أرى أن حذف الألف من (فَأَذَٰقَهَا) ليبين أنه ذوق مجازى – وهو مركب فى صورته كما سنرى – وليس بالذوق الحقيقى الذى نعلمه من تذوق الطعام والشراب أو سائر النعم والابتلاءات وخاصة السياق الذى يرسم هذه الصور المجازية فى هيئة (لباس) الجوع والخوف. حيث جعلهما لباساً أيضاً.. ولذلك تكتب الكلمة على خلاف العادة – بحذف الألف– كما سنرى أمثلة ذلك كثيراً فى رسم المصحف على هذا المنوال...

ويقرب إلينا تفسيرالظلال هذا المعنى فى قوله: ويجسم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباسا؛ ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقا (تصوير مركب)».. .(واضح أن لصوق حروف الكلمة بعضها – دون وجود حرف الألف الفاصلة – تصور هذا المشهد التصويرى خير تمثيل ، وأقول مضيفاً : أنه قال **"لباس" الجوع و..ولم يقل "ثياب"** .. حيث أن جرس كلمة "لباس" – المناسب لمعناه – **هو شدة اللصوق أيضا**، واللباس هو الذى يوارى السوءة (أى العورة) ، بخلاف الثياب الذى هو كالعباءة أو غيرها من الثياب الخارجية ، ولذلك يقول ربنا فى كتابه الحكيم المعجز : فى الثياب: **حين (تضعون) ثيابكم** .. ولكنه يقول فى اللباس: **(ينزع) عنهما لباسهما**..ولك أن تتخيل المعانى والصور وراء النطق والتصور لكلمة (ينزع) ..وهنا أدعو القارىء ليراجع النص ويتأمل التناسق المبهر بين لصوق (اللباس)، وبين لصوق حروف الكلمة (أذقها) هنا بدون الألف الفاصلة.

وهنا نكرر بأن سياق هذه الآيات جاء فى الثوب المجازى بالصورة المركبة ؛ حيث صور الجوع والخوف باللباس ، وصور اللباس بشىء يذاق..وكما قلنا أنه ذوق مجازى (ذوق "لباس" الجوع والخوف) وليس ذوق حقيقى، و أنه إذاقة غير الإذاقات العادية التى فى الآيات التالية التى كتبت على حقيقتها (بالألف) .. **وليتأمل ذلك القارىء:**

(٢)* ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ** (رَحْمَةً) **إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** (٣٣) ﴾ **الروم**...والرحمة كثيرة ومنها الأكل والشرب , كافة النعم.والصورة التشبيهية (غير مركبة).

(٣)* ﴿ **كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ** (٢٥) **فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** (٢٦) ﴾ **الزمر** { فَأَذَاقَهُمُ اللهُ

الخزى } أي الذُّلَّ والصَّغارَ { فى الحياة الدنيا } كالمسخِ والخسفِ والقتلِ والسبي والإجلاءِ ونحوِ ذلك من فنون النَّكالِ والصورة التشبيهية غير مركبة.ولك أن تراجع وتتذوق الفرق بين هذه التعبيرات وقوله تعالى ((فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ))وتحاول أن تستبدلها بقولك (فأذاقها الله الجوع) بدون كلمة "لباس" لنعلم الفرق بين السياقين ورسم الكلمة ،وتعود وتسأل : لماذا حذف الألف من الأولى ووضعه فى الثانية؟

❁❁❁❁❁❁❁

لاحظ:﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

و..(الحديث هنا "لمحمد"((ﷺ)) ولا يريد قوة تأكيد الإذاقة عليه – وهو الحبيب – بخلاف قوله عن عامة البشر : **وإنكم لذائقوا العذاب** ..حيث وضع فيها الألف لأن الآية وضعت لإظهار صورة القسم والتوكيد لغير محمد(ﷺ))...وهكذا قوله: لذائقون))،

لئن أذقنه نعماء بعد ضراء..هنا إذاقة النعماء وليس الضراء أو المصائب (فلهذا اللين فى مشهد النعماء حذف الألف)..ولا يغيب عن بالنا أن هذه الآيات التى حذف منها الألف (مقرونة بنون الجمع ومضاف إليها الضمير .. وهذا يجيز حذف الألف دائماً للتخفيف كما قلنا) **أما: كل نفس ذائقة الموت** (فلأنه يصور غلبة الموت – التى لايهرب ولاينجو منها أحد وهى واقفة للجميع بالمرصاد– ، إضافة إلى علوه مع علو النبرة والتوكيد ، وأن كل نفس ستذوق الموت مادياً ومعنوياً.).وهناك ملحظ آخر يشير إليه العلامة أبو السعود وهو: **وقرئ (ذائقةٌ الموتَ) بالتنوين وعدمه.** والتنوين هنا يفرد الكلمة ويزيدها توكيداً. وفي الخبر «**أكثروا ذكر هادم اللذات**))..

رأى..... رءا

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رءا كَوْكَبًا ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رءا الْقَمَرَ بَازِغًا......... فَلَمَّا رءا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ........ لَوْلَا أَنْ رءا بُرْهَانَ......... فَلَمَّا رءا قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ.. وَإِذَا رءا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ ﴿٨٥﴾النحل... وَإِذَا رءا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا ﴿٨٦﴾ . إِذْ رءا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا....... وَلَمَّا رءا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴿١٨﴾ .... وهكذا رءاه فلمَّا رءاه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ .. ((وَلَقَدْ رءاه نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ رءاه بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ (أى رءاه نفس الرؤية الأرضية الأولى)). أَنْ رءاه اسْتَغْنَى.. فرءاه فى سواء الجحيم. ، رءاها ، أرءيتك ،أرءيتكم أرءيتم.. نرىك

كل هذه الكلمات على هذه الصورة ؛ من أن الهمزة ليست مرفوعة على ألف ، بل هى على السطر " رءا، رءاه " لتناسب الرؤية الأرضية التى كانت علـــى الأرض، إلا رؤية الحبيب محمد (ﷺ) فى الملكوت الأعلى وهو عند سدرة المنتهى – وليست الرؤية الأرضية– فهو عند سدرة المنتهى ويرى بجسده (الدنيوى)– وليس الأخروى– هـــذه الرؤى الملكوتية العلوية التى كتبها الرسم القرآنى بالهمزة (المرفوعة) على الألف هكذا "رأى": مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١). لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى..(فوفع الهمــزة يناسب الرفع فى السماوات العلى، مع إضافة الياء الملكوتيـــة (ى)– رأى – فى نهايـــة الكلمة .. بخلاف الرؤية الأرضية فى الآيات الأخرى التى كتبت بالألف (رءا) وبدون الياء الملكوتية (ى).أو الؤية فى جهنم بالجسد الأخروى.

فما أروع وما أبهر هذا الإعجاز.

والرؤية الأخروية بالجسد الأخروى – وليس بالجسد الدنيوى كحال رؤية الحبيب محمد (ص) – تختلف .. وكتبت : رءا (فهى رؤيا أخروية بجسد أخروى فلا اختلاف إذن يستدعى وضع الألف).

(٤)النحل:﴿ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَــرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَـــأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦)﴾ ..هم فى الآخرة ويروها بالجسد الأخراوى.بخـــلاف قوله:

(٧)النجم:﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) ... لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) ﴾.. وهو (ﷺ)وهو بالجسد الدنيوى وقد رأى الله والجنة والآخرة ؛ أى: رأى عالم الغيـــب وهو فى عالم الشهادة ولكنه كان مرفوعاً إلى المقام العالى عند سدرة المنتـــهى ولـــذلك كتبت الكلمة بهذه الصورة المخالفة (رأى) برفع الألف.

رآه ....رَءاه

(١) ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي (٤٠)﴾ النمل.

(٢) ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣)﴾ .

(٣) ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣)﴾ التكوير.

(٤) ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُــمْ بِــذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦) ﴾ الأنبياء .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١)***وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢)﴾ المطففين.. الطاهر:.. ولأن قوله : { كانوا من الذين آمنوا يضحكون } ظاهر في أنه حكاية كون مضى ، وكذلك معطوفاته من قوله : «وإذا مرّوا ، وإذا انقلبوا ، وإذا رأوهم» فدل السياق على أن هذا الكلام حكاية قول يُنادي به يوم القيامة من حضرة القدس على رؤوس الأشهاد ، يحكى حالهم (التى كانوا عليها فى الدنيا)، واستكبارهم الشديد الذى رسمته نصوص الآيات (إن الذين إجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ...) فالحديث من الأخرة ويحكى حالهم فى الدنيا(وواضح الاختلاف الشديد بين الحالين وبين الدارين استدعى وضع الألف)... كما فى قوله (أئنا) ، و(أءنا).. إضافة إلى إرتفاع الهمزة (رأوهم) ليصور حال إرتفاعهم على المؤمنين (فى الدنيا الذى يختلف عن الاخرة) الذى رسمته الآيات السابقة.

يرجوا

يرجوا .. جميعها بالألف وجميعها (يرجوا رحمة ربه ، ويرجوا لقاء ربه ، ويرجوا الله) .. ومعلوم أن الكلمة إذا زادت فى المبنى زادت فى المعنى وهو التفخيم لهذا الرجاء الذى ليس رجاءً لدنيا أو عرض زائل سريع الزوال ولكنها رجاء قوى ودائم.

****

لاحظ:

رِضْوَان .. مرضات

(١)﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ << (١٦٢) ﴾آل عمران.

(٢) ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ (١٧٤)﴾ ال عمران.

(٣) ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ..(٢٧)﴾ الحديد.

(٤) ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)﴾آل عمران.

(٥)﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١)﴾ .

(٦)﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ التوبة.

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ..﴾

﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢) ﴾
﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) ﴾

*** كل "رضوان" بدون ألف فهذا — الرضوان-آت مباشرة من الله ولايأتى إلا من الله (جهة السماء) ولايصح أن يقال يبتغى رضوان العبد،

والأمر الثانى هم يطلبون أن (يرضى الله عليهم).

ولكن فى **(مرضات)** هم يفعلون أعمالاً (أرضية) ويريدون (أن يُرضوا هم الله).. مع ملاحظة أن رضوان الله أسرع وأجمع .. والمرضات (خاصة بعمل ما ينتظرون عليه النتيجة)

ويجب أن يسأل عن فتح التاء فيها (مرضات) ولماذا لم تكتب (مرضاة)؟ وسنجيب على ذلك فى خلال بحثنا هذا.

ونعود لسرد الآيات عن "مرضات":

(١) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾

يقول الطاهر: .. والمعنى ومن الناس من يبذل نفسه للهلاك ابتغاء مرضاة الله أي هلاكاً في نصر الدين وهذا أعلى درجات الإيمان ، لأن النفس أغلى ما عند الإنسان .

الألوسى: { ابتغاء مرضات الله } أي طلباً لرضاه ، فابتغاء مفعول له ، **وكتب في المصحف بالتاء ووقف عليه بالتاء.. وأكثر الروايات أن الآية نزلت في صهيب الرومي رضي الله تعالى عنه**[٣].

وفي الكواشي أنها نزلت في الزبير بن العوام وصاحبه المقداد بن الأسود لما قال عليه الصلاة والسلام : " من يترل خبيباً عن خشبته فله الجنة " فقال : أنا وصاحبي المقداد وكان خبيب قد صلبه أهل مكة وقال الإمامية وبعض منا : إنها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه حين استخلفه النبي (ﷺ)على فراشه بمكة لما خرج إلى الغار.

---

(٣)فقد أخرج جماعة أنّ صهيباً أقبل مهاجراً نحو النبي (ﷺ)فاتبعه نفر من المشركين فترل عن راحلته ونثر ما في كنانته وأخذ قوسه ثم قال : يا معشر قريش ، لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم . فقالوا . دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك ، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ففعل ، فلما قدم على النبي (ﷺ)قال : " أبا يحيى ربح البيع ربح البيع " وتلا له الآية . وعلى هذا يكون الشراء على ظاهره بمعنى الاشتراء .

ويقول أبو حيان: وفي قوله : { ابتغاء مرضات الله } إشارة إلى حصول (أفضل) ما عند الله للشهداء ، وهو رضاه تعالى .

((وواضح من هذه الروايات أنها نزلت فى أعلى الصحابة منزلة وجهاداً ، والذين قدموا لله أغلى ما عندهم لنيل أعلى درجات الرضا من ربهم ، وهم السابقون ابتغاء مرضات الله)) ولذلك يقول الإمام البقاعي: { مرضات الله } أي رضى المحيط بجميع صفات الكمال وزمان الرضى ومكانه بما دل عليه كون المصدر ميمياً ، ويكون ذلك – الرضى – "غاية في بابه" بما دل عليه من وقفه "بالتاء الممدودة" – يقصد المفنوحة فى "مرضات"– لما يعلم من شدّة رحمة الله تعالى به .

ويقصد بالمصدر الميمى أنه هو المصدر المبدوء بميم زائدة (مثل:"مرضات")،وقوله: ويكون ذلك غاية في بابه ، أى : بلوغ غاية الرضا وكماله فى كلمة "مرضات"

(٢)﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)﴾

ويقول البقاعي: قال الحرالي : والمرضاة مفعلة "لتكرر الرضى ودوامه" ((فهم يطلبون أعلى درجات الرضا ودوامها وهو (المتكرر والدائم) .

ومن هنا نضيف إضافة أخرى لما سبق وهو أنه يوجد مشهد المبالغة ، والتكرار ، فى "مرضات" ، وكلاهما يستدعى وضع الألف وليس حذفها.

(٣)﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)..﴾ لاحظ الأفعال منهم مقدمة على طلب "المرضات "من الله مثال: إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ.. وعلى الوصف المقتضي للرحمة... بخلاف (رضوان) فهو ثواب من الله أو وعد منه لهم (عام للمؤمنين والمتقين) على صفة (العموم) فى أفعالهم دون تخصيص وتركيز عليها.

(٤) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(١) .. لاحظ هنا لم يقل (تبتغى رضوان أزواجك) وهو جلب رضا الأزواج..

ولعل التسمّع لجرس (صوت) الكلمة وترديدها – (رضوان)– يعطى للسامع إحساس النعومة وعلوية الكلمة ، وخاصة نهايتها (..وان) ، بخلاف (مرضات) التى فيها من جرس الحركة الصاخبة (الذى تشير إلى صوت الأفعال الأرضية من العبد)حتى فى داخل الكلمة ومن بين حروفها .

فالرضوان من الله(بدون ألف) للمعاني السابقة، والمرضات لابد معها من تصوير فعل للعبد لنيل مرضات الله (إذن بالألف).
وربما الوقوف منا على الآية :(تبتغي مرضات أزواجك) - والتي لايصح بدلا منها قولنا (تبتغي "رضوان" أزواجك) – هذه الكلمة ينفر اللسان من ذكرها على هذه الصورة –. والتأمل في ذلك التعبير يعطينا الإحساس بالفرق بين الكلمتين وبالجانب الأرضي في كلمة (مرضات)، ولعل ذلك النص وهذا الإحساس يفتح فتحاً آخر لفهم ذلك الفارق بين الكلمتين .
والنبي (صاحب الخلق العظيم) لايبتغي رضا أزواجه مرة واحدة أو إرضاءً عابر ، ولكنه يفعل ويكرر الفعل ويبتغي تكرار رضاهم ودوامه (مرضات)- والمبالغة مع التكرار يستدعي وجود الألف- ، ولذلك يقول الإمام البقاعي: { تبتغي } أي تريد إرادة عظيمة من مكارم أخلاقك وحسن صحبتك { مرضات أزواجك } **أي الأحوال والمواضع والأمور التي يرضين بها**، وهن أولى بأن تبتغين رضاك ، وكذا جميع الخلق ، لتفرغ لما يوحى إليك من ربك ، لكن ذلك للزوجات آكد .
((ولاحظ قوله "والمواضع والأمور التي يرضين بها" التى يناسبها المصدر الميمى – مرضات– كما قلنا.
والملاحظ: أن كلمة ابتغاء مرضات وردت في الآيات التالية:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ.. وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ ... إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ ... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا..﴾ ....لاحظ : الرهبانية ليست فعل وحركة بل هي سكون وتعطيل الحركة والانعزال عن الحياة.وهي أمر روحي خالص(فكتبت بدون ألف)، مما يؤكد أن الرضون أمر غير محسوس – تلمسه حتى في صوت الكلمة – (والرضوان من الله فقط– ملكوتى فقط يحذف منه الألف–). وهم يطلبونه من الله عليهم ، بخلاف "مرضات" فهى بعمل أمور محسوسة من العبد ويجوز طلبها من الله ومن العبد –مثل نساء النبي –.

شعائر– شعير

(١) ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا .. (١٥٨).﴾ . هذه الآية وحدها هى التى فيها التخصيص وليس التعميم – كما سنرى – ولذلك كتبت بالألف. إضافة إلى رأى آخر وهو : أنها شعيرة ثابتة غير متحركة أو متغيرة (فهما جبلان"الصفا والمروة") وهما علمٌ ثابت ونحن نطوف حولهما.

الأمر الثانى : أن هذه الآية وردت فى سورة البقرة فى سياق الحديث عن تولية الوجوه والأجسام إلى القبلة (تولية جسدية مادية إلى قبلة مادية) وكيف هولها أعداء الدين واستجاب لهم ضعاف الإيمان واليقين ، وقد تخيلوا أن الإيمان هو (التحويل الجسدى والشكلى) إلى هذا المكان أو ذاك ، فرد الله عليهم فى ذلك وقال لهم إن التوجه لأى مكان ما ليس لقدسية هذا الاتجاه المادى ولكن الله موجود فى كل مكان مادى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ فالآيات تتحدث عن تولية الوجوه والأجساد وأما نوليها لهذا المكان (المسجد الأقصى) أو (المسجد الحرام) أو فى أى مكان فإن لله المشرق والمغرب (من الأماكن المادية) فلا حرج من تولية الوجوه والأجسام (المادية) هنا أو هناك ..

إضافة لذلك أنه كان فى ذلك الوقت يوجد أصنام للمشركين على جبلى الصفا والمروة فتحرَّج المسلمون من الطواف بهما خوفاً من هذه الأصنام فنزل قول الله تعالى بإباحة الطواف (الجسدى) بالصفا والمروة ، وقال لهم لاجناح عليهم فى ذلك: ﴿ إنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّه فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْه أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾.وطالبهم بالتوجه الجسدى إليهما.. وهذا السياق بهذه الصورة والتركيز على المعنى المادى الظاهرى الذى هو موضوع جدال هذه الآيات المحيطة يجعلنا نفهم لماذا وضع الألف فى كلمة (شعائر).

وذلك بخلاف السياق فى آيات سورة الحج الذى يتحدث عن عموم الشعائر - أى كل شعائر الحج من الاعتكاف والطواف والهدى وباقى النسك (أى ملحظ العموم) - وليس عن شعيرة خاصة- وأيضاً عن التوجه (القلبى) وليس المادى والجسدى- ففى الحج:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ .. ﴾.

والأمر الثانى هو أن الحديث عن هذه الشعائر فى الآيتين فى سورة الحج عن الحديث القلبى وليس المادى كما قلنا - حتى فى تقديم الهدى- حيث قال بعدها﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾..فالحديث عن الشعائر هنا (حديث قلوب ، وحديث عام وليس خاص بشعيرة واحدة) وإليك السياق:

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ .. ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ

عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ
بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ
(٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ
تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)
لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا
لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ
الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ
اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ
سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) ﴾.

ومثلها آية سورة المائدة:

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا (٢)﴾ حديث عام — عن الشعائر عامة – وابتغاء رضوان الله. والإحلال والتحريم عمل قلبي وفكرى قبل أن يكون سلوك مادى. بل هو أعم من ذلك. فهو عام أيضاً وليس خاص ، والشعائر المقصودة هنا عامة أيضاً، **كما يقول الطاهر**: وقد كانت الشعائر كلّها معروفة لديهم ، فلذلك عدل عن عدّها هنا . وهي أمكنة ، وأزمنة ، وذوات؛ فالصفا ، والمروة ، والمشعر الحرام ، من الأمكنة . ... والشهر الحرام من الشعائر الزمانية ، والهدي والقلائد من الشعائر الذوات . فعطف الشهر الحرام والهدي وما بعدهما من شعائر الله عطف الجزئيّ على كلّيّة للاهتمام به **(إذن هذه الشعائر لها صفة العموم التي يحذف لها الألف)** .

والخلاصة أنه فى سورة البقرة توجه لشعيرة خاصة وثابتة والتركيز على التوجه الجسدى والمادى ، وفى سورة الحج والمائدة توجه قلبى والحديث عن شعائر عامة ومتغيرة ..وقلنا دائماً أن حذف الحرف أو إضافته هو إشارة للفت الإنتباه لأمر غير الأمر الظاهر أو المتوقع ، ويساعدنا فى ذلك سياق الآيات بل وجو السورة كلها.

ساحر.. سـحر

الساحر دائما تكتب بدون ألف إلا فى ثلاث آيات سنرجىء الحديث عن خصوصيتها فى آخر العرض للآيات، ولكن الذى نلفت إليه فى بداية البحث هـو : أنـه إذا كـان الساحر واحداً (كموسى)- كما يدَّعون عليه - وكان لأمة واحدة (كقوم فرعـون) ، (أو محمد (ﷺ)مع قومه قريش ،كتبت "ساحر" بدون الألف ؛ كأنها رمز للتجانس بينهم دون التفرقة التى تحدث بتعدد الأمم وتعدد الأنبياء .

والملاحظة الثانية – فى التى كتبت بدون ألف – هى: تعدد القراءات لها ، والتى يناسبها حذف الألف.- كما تعودنا-.

والملاحظة الثالثة هى: نظرة التحقير أو التكذيب لهذا النبى – الساحر كمـا يـدعون – فيوضع الألف .. **وبيانه كالتالى:**

(١):﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأعراف. **يأتُوكَ بكُلِّ ساحر عَليمٍ ، وقرئ : «سحار».**

(٢)﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ يونس.. يقول أبو السعود: ، وقرئ سحار.. و يقول الألوسى: وقرأ حمزة والكسائي (ساحر) .

(٣) ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ ص.يقصدون النبى محمد (ﷺ) ،مع الأمة الواحدة وهى قريش) .

(٤)﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَٰحِرٌ مُبِينٌ (٢) ﴾ يونس.**(أيضاً هوالنبى محمد ، ولأمة واحدة هى قريش).

(٥)﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ **غافر.**

(٦)﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ **الذاريات.**

(٧)﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩)﴾ **الأعراف.**

(٨)﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾ **الشعراء.**

(٩)﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.طه (كلها عن موسى ولأمة واحدة هي قومه بني إسرائيل)

وذلك بخلاف الآيات التالية التي كتبت ساحر بالألف:

(١)﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) ﴾ الذاريات.. هنا النبي الذى ادعوا عليه أنه ساحر ليس نبي واحد لأمة واحدة - كموسى لقوم فرعون ، أومحمد (ﷺ)لقريش- ولكن الحديث هنا عن أنبياء متعددين (كل على حدة ، وعلى تباعد بينهم فى الزمان والمكان) ولأمم عديدة ومتفرقة ، وبعيدة زمانا ومكاناً عن أختها) -- **مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ**- فلذلك وضع الألف الفارقة فى كلمة (ساحر) إشارة إلى هذا المعنى ، بخلاف باقى الآيات السابقة التي تتحدث عن رسول واحد (موسى) لأمة واحدة متجمعة هم بنو إسرائيل ،

(٢)﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) ﴾.**يقول الزمخشرى: وقرئ** : «**كيد سِحْر**» بمعنى : ذي سحر ، أو ذوي سحر . أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته ..((وهنا لانسأل : لماذا حذف الألف فى هذه الجزئية من الآية — كيد سحر- وذلك لتناسب القراءتين))

ويكمل الزمخشرى: فإن قلت : لم وحد ساحر ولم يجمع؟ - **لايُفْلِحُ السَّاحِرُ** - قلت : لأنّ القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية (أى جنس الساحر، أى ساحر) لا إلى معنى العدد ، فلو جمع ، لخيل أنّ المقصود هو العدد . ألا ترى إلى قوله : { **وَلاَ يُفْلِحُ الساحر**} أي هذا الجنس . فإن قلت : فلم نكر أولاً (كيد سحر)وعرف ثانياً (لايفلح الساحر)؟ قلت : إنما نكر من أجل تنكير المضاف ، لا من أجل تنكيره في نفسه .. **كأنه قيل : إن ما صنعوا كيد سحري** . .. وقوله:{ حَيْثُ أتى } كقولهم : حيث سير ، وأين سلك ، وأينما كان .

((وهنا أضيف على قوله: إن ما صنعوا كيد سحري..وأقول تكملة لشرح هذه الآية : ولايفلح فاعل هذا السحر حيث أتى (ولهذا وضع الألف فى كلمة (الساحر) الثانية- ولايفلح الساحر - لأنه ليس لها معنى آخر سوى الرمز للشخص نفسه (الساحر) -ولقصد الجنس أيضاً كما ذكرنا - فلا يصح القول : ولايفلح السِّحْر حيث "أتى"، لأن "الاتيان" وصف للشخص الساحر وليس للسحر نفسه، ولو كان للسحر نفسه لكان يمكن أن يقال: ولايفلح السحر حيث وقع أو كان).

ولذلك يقول المفسرون:.. ، أي لا يَنجحُ الساحر حيث كان ، لأن صنعته تنكشف بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثّر بها . وتعريف { الساحر تعريف الجنس لقصد الجنس المعروف ، أي لا يفلح بها كلّ ساحر .(أى الشخص الساحر أياً كان).

وقرأ الجمهور { كيد ساحر بألف بعد السين . وقرأه حمزة ، والكسائي ، وخلف كيد سِحر بكسر السين((نلاحظ هذا التعدد فى القراءات للفقرة الأولى من الآية (كيد سحر)، بخلاف قوله: لايفلح الساحر فليس لها إلا قراءة واحدة.. وهذا من روائع وإعجاز الرسم فى النص القرآنى المبهر)).

**والآية الثالثة التى وضع فيها الألف هى بهدف التعظيم لموسى، لأن وصف الساحر كما يقول علماء اللغة لها المعنى المذموم وأيضاً لها المعنى الممدوح بحسب زمان وهيئة القوم ، وهى فى الآية القادمة للتعظيم وهى:

(٣)﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) ﴾ الزخرف

(النداء هنا للتعظيم والتملق وإظهارٌ لموسى بصفته ؛ التى هى أيضاً للتعظيم - أيها الساحر-، وسرعة النطق بحرف النداء "أيه" للقربى والزلفى ،ولم ترسم "أيها"التى فيها البعد حتى فى طول حروفها).

ويقول الطاهر: والمعنى : ولما أخذناهم بالعذاب على يد موسى سألوه أن يدعو الله بكشف العذاب عنهم . ومخاطبتهم موسى بوصف الساحر مخاطبة تعظيم تزلفاً إليه لأن الساحر عندهم كان هو العالم وكانت علوم علمائهم سحرية ، أي ذات أسباب خفية لا يعرفها غيرهم وغيرُ أتباعهم ، ألاَ ترى إلى قول ملأ فرعون له { وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحَّار عليم } [الشعراء : ٣٦ ، ٣٧] .وكان السحر بأيدي الكهنة ومن مَظاهره تحنيط الموتى الذي بقيت به جثث الأموات سالمة من البِلى ولم يطلع أحد بعدهم على كيفية صنعه . وقرأ الجمهور { ياأيه الساحر } بدون ألف بعد الهاء في الوصل وهو ظاهر ، وفي الوقف، أي بفتحة دون ألف .. . وقرأه أبو عمرو والكسائي ويعقوب بإثبات الألف في الوقف . وقرأه ابن عامر "بضم الهاء""أيهُ" في الوصل خاصة .. فحذفت الألف في رسم المصحف رعياً لقراءة الجمهور والأصل أن يراعى في الرسم حالة الوقف .

الرازى: .. أنهم كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر ، لأنهم كانوا يستعظمون السحر . وكما يقال في زماننا في العامل العجيب الكامل إنه أتى بالسحر .

الثاني : { وَقَالُواْ ياأيه الساحر } في زعم الناس ومتعارف قوم فرعون كقوله { يأَيُّهَا الذى نُزّلَ عَلَيْهِ الذكر إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } [الحجر : ٦] أي نزل عليه الذكر في اعتقاده وزعمه.

ويقول الزمخشرى:.. { بِمَا عَهِدَ عِندَكَ } بعهده عندك : من أن دعوتك مستجابة . أو بعهده عندك وهو النبوّة . أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة . أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى .

ولاحظ أيها القارىء العزيز أن : «يا أيهُ الساحر» هنا هى نداء للقرب والتملق .(أيُّه) أما فى قولهم{ يَأَيُّهَا الذى نُزِّلَ عَلَيْه الذكر إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ }فكتبت(أيها) بالألف على أنها نداء للبعد والإستبعاد والتهكم كما هو حال القوم "قريش" من النبى محمد (ﷺ) حينذاك. فهناك حذف للقرب ، وهنا إضاف الألف للاستبعاد ، وهذا من روائع الرسم وإعجازه.

ونقف وقفة مع الإمام الدانى لنرى حقيقة لإعجاز المتكامل والمتناسق فى النص القرآنى حيث يقول: وكل شيء في القرآن من ذكر " ساحر " فهو مرسوم بغير الف إلا موضعا واحدا فإن فيه مرسومة — الألف- وهو قوله في الذاريات " إلا قالوا ساحر (وقد شرحناها تحت هذا الاسم).

ولكن الإمام الدانى سيتحدث بعد ذلك عن ذكر **روايات آحاد تحتمل الصدق والكذب** .. وان كان بعضها يطابق الرسم لدينا ..منها: وحدثنا احمد بن عمر ..عن (نافع) قال: كل ما في القرآن " ساحر " فالألف قبل الحاء في الكُتُب ، **وكذلك رسمت الألف بعد الحاء في الشعراء في قوله " بكل سحّار " ليس في القرآن غيره ،**

حدثنا أحمد بن عمر .. قال حدثنا قالون عن (نافع) " **بكل سحّار " في الشعراء الألف بعد الحاء في الكُتُب ،**

وحدثنا فارس بن أحمد قال حدثنا .. قال حدثنا قتيبة بن مهران قال قال الكسائي **لم يكتب " سحار " يعني بالألف إلا التي في الشعراء وحدها.**

((وأقول: إن **الاتفاق على آية الشعراء** التى لها ملحظ بلاغى عظيم يجعلنا نسجد لهذا الإعجاز فى هذا الرسم؛ وقد شرحناه فى الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن، وشرحنا لماذا وردت على هذا الرسم فى **سورة الشعراء التى نزل فيها فرعون بنفسه إلى ساحة التحدى مع موسى** ، ووقف وجهاً لوجه أمام معجزات موسى ، وأظهر نفسه أمام الملأ أيضاً ، وأراد الملأ أن يطمئنوه بأنهم سيحضروا له **أعظم السحرة البارعين** فى هذا السحر وهو مهنتهم (فجاءت "سحّار" هنا- بصيغة المبالغة - لتعطى هذه المعانى .. وليس (ساحر) التى تفيد أنه ساحر عادى كأى ساحر ربما لم يتمرس بهذا السحر .. والذى

يراجع سياق الآيات (فى الشعراء التى ذكرناها) ثم ينتقل إلى سياق الآيات فى سورتى طه والأعراف مثلاً ، يجد أن فرعون فيهما لم يظهر فى الصورة وأمام الملأ ، و لم تظهر أيضاً هذه المجادلة العنيفة منه أمام موسى -كما فى الشعراء - بل إن حديثه **كان متوارياً خلف الملأ** ، والملأ هم الذين يسيّرون الأمور ويتخاطبون بإسمه، وكأن الآيات ترسم بُعد فرعون عن الساحة، مماجعل النص لايركز على اهتمامه أو خوفه أو رعبه ؛ وهذه المعانى لاتستدعى تطمين فرعون بأن يرسلوا إلى (أعظم) السحرة المتمرسين فى السحر - (سحار) - كما فى سورة الشعراء- ليطمئنوه ويهدئوا من روعه ورعبه. ولكن يكفى هنا - فى السورتين - أن يقولوا له سنرسل لكل (ساحر) .

وهكذا - على عهدنا - نجد أن الآيات ترسم لنا القاعدة التناسقية والتناغمية الحميمة التى تقول: لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه (وأرجو من القارىء أن يراجع هذه الآيات فى سياقها من هذه السور ويراجع كتبنا (الاعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم).

والذى نستخلصه هو اتفاقهم على رسم (سحار) فى الشعراء التى تؤكد على إعجاز الرسم الذى يتطاق مع الإعجاز البلاغى فى القرآن ولا يتعارض معه ، بل إنه ليؤكد على اتحاد المصدر لكليهما وأنهما من الله.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ولاحظ حذف الألفين فى قوله﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴿٦٣﴾ ﴾طه. والتى تقرأ (هاذان).. ولاحظ كتابتها على الصورة الأخرى بحذف ألف واحدة :﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ الحج.

ولاحظ تعدد القراءات وما قيل فى قراءة الآية فى سورة طه (إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ) ؛ **حيث يقول الإمام الرازى:** القراءة المشهورة : **{ إِنْ هاذان لساحران }** ومنهم من ترك هذه القراءة وذكروا وجوهاً أخر . أحدها : قرأ أبو عمرو وعيسى بن عمر : **(إن هذين لساحران)** قالوا : هي قراءة عثمان وعائشة وابن الزبير وسعيد بن جبير والحسن رضي الله تعالى عنه **وثانيها : قرأ ابن كثير : (إن هذان)** بتخفيف إن وتشديد نون هـذان . **وثالثها** : قرأ حفص عن عاصم **إن هذان** بتخفيف النونين . **ورابعها** : قرأ عبد الله بن مسعود : **{ وَأَسَرُّواْ النجوى أنْ هاذان }** بفتح الألف وجزم نونه (و) ساحران بغير لام. **وخامسها** : عن الأخفش : **{ إِنْ هاذان لساحران }** خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة

قوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما . **وسادسها** : روى عن أبي بن كعب : (**ما هذان إلا ساحران**) (ربما قراءة بالمعنى).وروي عنه أيضاً : (**إن هذان لساحران**) وعن الخليل مثل ذلك ، **وعن أبي أيضاً** : (**إن ذان لساحران**).

((وأقول: ما يعنينا هنا أن هناك تعدد قراءات لهذه الآية بصفة خاصة توضح تنوع اللهجات المختلفة وتشرح هذا الوضع الإعرابى الذى لم يفهمه غير المحققين من المسلمين وغير المسلمين أيضاً ؛ وأقلها قراءة:(هذان ، هذين) ولاحظنا كيف قام الرسم القرآنى المعجز بالتوفيق بين القراءتين ولايصلح فى ذلك التوفيق ويشير إليه إلا إخفاء الألفين .. وهذا بخلاف الآية: هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ.. فليس لها إلا القراءة الواحدة والرسم الواحد (بالألف).

ونعود لنكرر : ما أروع وما أبهر هذا اللون من الإعجاز لعلهم يفقهون)).

تبارك......تبـٰرك

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ﴾الأعراف

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ المؤمنون

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾الفرقان

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (١٠)﴾ الفرقان

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١)﴾ الفرقان.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٦٤)﴾غافر.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)﴾ الزخرف.

كل هذه الآيات رسمت بالألف إلا هذين الموضعين التاليين من سورة (الرحمن) وسورة (الملك) – وهاتان السورتان لهما خصوصية يحسها المتأمل فيهما مع سياق الآيتين – كما سنوضحه فى شرحنا التالى:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ الرحمن. هنا الملاحظة الواضحة فى ذكر (تَبَٰرَكَ "إسم" ربك) ولم يقل (تَبَٰرَكَ ربك) – وهى مباركة للذات العلوية ولا يقصد الأفعال المادية – والتى استدعت حذف الألف فى (تَبَٰرَكَ).

يقول أبوالسعود: وقوله تعالى : { تبارك اسم رَبّكَ } تنزيهٌ وتقديسٌ له تعالَى فيه تقريرٌ لما ذُكرَ في السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الأنام (فهى سورة النعم والآلاء وتعدادها) أي تعالَى "اسْمه الجليلُ" ... ، وإذا كانَ حالُ اسمه بملابسة دلالته عليه،(أى إذا كان هذا التعظيم لإسمه الذى يدل عليه) فما ظنُّك "بذاته" الأقدسِ الأَعْلى .

وكذلك قالها الألوسى.. ويقوم الإمام الطاهر بالتوضيح الشامل والماتع الذى يستشف منه السبب فى رسم كلمة (تبرك) على هذه الصفة على خلاف رسمها فى باقى السور: **فيقول:** وأسند { تبارك } إلى { اسم } وهو ما يُعرف به المسمى دون أن يقول: تبارك ربك ، كما قال : { تبارك الذي نزل الفرقان } [الفرقان : ١] وكما قال : {فتبارك الله أحسن الخالقين } [المؤمنون : ١٤] لقصد المبالغة في وصفه تعالى بصفة (البركة) على طريقة (الكناية) لأنها أبلغ من التصريح كما هو مقرر في علم المعاني ، وأطبق عليه البلغاء ، لأنه إذا كان (اسمه) قد تبارك فإن ذاته تباركت لا محالة لأن الاسم دال على المسمى ، وهذا على طريقة قوله تعالى : { سبح اسم ربك الأعلى } [الأعلى : ١] فإنه إذا كان التنزيه متعلقاً باسمه فتعلق التنزيه بذاته أولى ، ومنه قوله تعالى : {وثيابك فطهر } [المدثر : ٤] على التأويل الشَّامل – أى لم يقل فطهر نفسك أو جسدك–، وقول عنترة :

فشككت بالرمح الأصمّ "ثيابه" ... ليسَ الكريم على القنا بمحرم

أراد : فشككْتُهُ بالرمح .((ولكنه يقول فى بيت الشعر (فشككت ثيابه).

وهذه الكناية من دقائق الكلام كقولهم : لا يتعلق الشك بأطرافه،(ولم يقل : لا يتعلق الشك به) وقول .: يبيت بنجاة من اللؤم "بيتُها" ... إذا ما بيوت بالملامة حُلّت

أى أن بيتها لايلام والمقصود أنها لاتلام ..ونظير هذا في التنزيه أن القرآن يَقْرأ ألفاظه من ليس بمتوضىء ولا يمسك المصحف إلا المتوضيء عند جمهور الفقهاء .

فذكر { اسم } في قوله : { تبارك اسم ربك } مراعىً فيه أن ما عُدّد من شؤون الله تعالى ونعمه وإفضاله – (أى فى سورة الرحمن) – لا تحيط به العبارة ، فعبّر عنه بهذه المبالغة إذ هي أقصى ما تسمح به اللغة في التعبير ، ليعلم الناس أنهم محقوقون لله تعالى بشكر يوازي عظم نعمه عليهم .

إذن لابد من ملاحظة هذه المعانى ومنها المبالغة فى صفة البركة (المعنوية) لإسم الجلالة (وعن طريق الكناية).

والآية الثانية التى حذف منها الألف هى:*** "﴿ تَبَرَكَ الَّذي بِيَده الْمُلْكُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ (١) الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾.

ويقول صاحب الظلال: وهذه السورة الأولى سورة تبارك تعالج إنشاء تصور جديد للوجود وعلاقاته بخالق الوجود . تصور واسع شامل يتجاوز عالم الأرض الضيق وحيز الدنيا المحدود ، (إلى عوالم في السماوات ، وإلى حياة في الآخرة). وإلى خلائق اخرى غير الإنسان في عالم الأرض كالجن والطير ، وفي العالم الآخر كجهنم وخزنتها ، (وإلى عوالم في الغيب غير عالم الظاهر) تعلق بها قلوب الناس ومشاعرهم ، فلا تستغرق في الحياة الحاضرة الظاهرة ، في هذه الأرض . كما أنها تثير في حسهم (التأمل) فيما بين أيديهم وفي واقع حياتهم وذواقم مما يمرون به غافلين .

.. ويقول: الموت والحياة أمران مألوفان مكروران . ولكن السورة تبعث (حركة التأمل فيما وراء الموت والحياة) من قدر الله وبلائه ، ومن حكمة الله وتدبيره : { الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، وهو العزيز الغفور } .

والسماء خلق ثابت أمام الأعين الجاهلة لا تتجاوزه إلى اليد التي أبدعته ، ولا تلتفت لما فيه من كمال . ولكن السورة (تبعث حركة التأمل والاستغراق) في هذا الجمال والكمال وما وراءها من حركة وأهداف : ﴿ الذي خلق سبع سماوات طباقاً . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين . . ﴾ .

والحياة الدنيا تبدو في الجاهلية غاية الوجود ، ونهاية المطاف . ولكن السورة تكشف (الستار) عن عالم آخر هو حاضر للشياطين وللكافرين . وهو خلق آخر حافل بالحركة والتوفز والانتظار : { وأعتدنا لهم عذاب السعير . وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير . إذآ ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور .

والنفوس في الجاهلية لا تكاد تتجاوز هذا الظاهر الذي تعيش فيه ، ولا تلقي بالاً إلى (الغيب وما يحتويه) . وهي مستغرقة في الحياة الدنيا محبوسة في قفص الأرض الثابتة المستقرة . ((فالسورة تشد قلوبهم وأنظارهم إلى الغيب وإلى السماء وإلى القدرة التي لم ترها عين)) ، ولكنها قادرة تفعل ما تشاء حيث تشاء وحين تشاء؛ وتهز في حسهم هـ.ه

الأرض الثابتة التي يطمئنون إليها ويستغرقون فيها { **إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير . وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور . أأمنتم من في السمآء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟ أم أمنتم من في السمآء أن يرسل عليكم حاصباً؟ فستعلمون كيف نذير** } .

. ((**ولكن السورة تمسك بأبصارهم لتنظر وبقلوبهم لتتدبر**)) ، وترى قدرة الله الذي صور وقدر : { أولم يروا إلى الطير **فوقهم صافات ويقبضن؟ ما يمسكهن إلا الرحمن ، إنه بكل شيء بصير** } .

وهم يكذبون بالبعث والحشر ، ويسألون عن موعده . فالسورة تصوره لهم واقعاً مفاجئاً قريباً يسؤوهم أن يكون : { ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ قل إنما العلم عند الله ، وإنما أنا نذير مبين . فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ، وقيل : هذا الذي كنتم به تدعون! } .

وهم يتربصون بالنبي (ﷺ) ومن معه أن يهلكوا فيستريحوا من هذا الصوت الذي يصدع عليهم مضجعهم بالتذكير والتحذير والإيقاظ من راحة الجمود! فالسورة تذكرهم بأن هلاك الحفنة المؤمنة أو بقاءها لا يؤثر فيما ينتظرهم هم من عذاب الله على الكفر والتكذيب ، ((فأولى لهم أن يتدبروا أمرهم وحالهم قبل ذلك اليوم العصيب)) : { قل : **أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟** قل : هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين } .

وتنذرهم السورة في ختامها بتوقع ذهاب الماء الذي به يعيشون ، والذي يجريه هو الله الذي به يكفرون! { قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين؟ } . (دعوة للتفكر والتأمل)).

إنها حركة . حركة في الحواس ، وفي الحس ، وفي التفكير ، وفي الشعور .

ومفتاح السورة كلها . ومحورها الذي تشد إليه تلك الحركة فيها ، هو مطلعها الجامع الموحي :{ **تبـرك الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير** } .

ولك عزيزى القارىء أن تتأمل الفقرات بين الأقواس فى هذا الحديث السابق لتعرف جو السورة التى رسمتها بداية السورة (تبـرك) بدون ألف.ويكفى قوله:((**فالسورة تشد قلوبهم وأنظارهم إلى الغيب وإلى السماء وإلى القدرة التي لم ترها عين**)) إضافة إلى التدبر

***ولك أن تضيف رأياً آخر من سياق الآيات أضافه أستاذنا الدكتور : **محمد عبد الله دراز وهو يشرح السورة نقتبس منه بعض الفقرات– باختصار وتصرف – حيث جعل مقاصد السورة فى عدة مقاصد** (الأول) هو التعريف (بالله وصفاته).من الآية ١: ١٢ (والمقصد الثانى)التعريف (باليوم الآخر) من ٦: ١٢ (والمقصد الثالث) وهـو: (التلطف) فى تدبير الأمور وإيصالها إلى غاياتها (سراً فى رفق ويسـر) (وهـو اللطيف الخبير).... ثم يقول: وفى هذه الآيات الكريمة يتعرف الله علينا (بمظاهر لطفـه و عنايتـه وتدبيره) فى أنفسنا وفى الأكوان القريبة منا من تحتنا ومـن فوقنـاهُوَ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ (ذَلُولاً)فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا (وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ) (وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ) ﴿١٥﴾ ﴾ **ومن فوقنـا:** ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا (ٱلرَّحْمَٰنُ) إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ (بَصِيرٌ)﴿١٩﴾ ﴾ وفى أنفسنا﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾)﴾.. الرحمة والحنان والتعطف وصفات الله الملكوتية واليوم الآخر وتوجيه النظر إلى معنى العظمة والعلو اللائقين بجلال الله تعالى وتنزيهه عن معنى الدنو والسـفل الذى للمعبودات الأخرى (كل هذه المعانى لايناسبها إلا إخفاء الألف من تبـرك).

***ولك أن تضيف رأياً آخر(ثالثاً) قلنا به فى سلسلة كتبنا (الإعجـاز القصـصى والتكرار فى القرآن الكريم) وهو يعتمد على ملاحظة جو الـسورة مـن ((الناحيـة التصويرية)) وهو : ان جو سورة تبارك هو جو (الجذب) فى جميع مشاهدها حـتى فى نهاية السورة وقوله تعالى** ﴿ (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ أى هو وحده الذى (يجمع) علينا الماء بعد تشتته وذهابه فى أعماق الأرض ويجمع علينـا النعم المتعددة كما (جمع) الموت والحياة فى مشهد واحد والسماء والأرض ... وغير ذلك من مشاهد التجميع ايراجعها القارىء فى كتبنا المذكورة منعاً للإطالة والتكرار .. ولكن الذى نريد أن نقوله: ان مشاهد السورة هى مشاهد (تجميعية) حتى فى تصوير جهنم حيث يجمع لها تنفسها (أى فى حركة الشهيق) فيقول تعالى﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ ﴾. وهذا الشهيق لجهنم يتناسب مع قوله تعالى (إذا ألقوا فيها) ... وهذا بخلاف مشاهد سورة الفرقـان - الـتى كتبت فيها تبارك بالألف –والتى سيلاحظ فيها مشاهد الطرد والتفريق حتى فى وصـف

حال جهنم وهى لها (زفير) وليس (شهيق) حيث يقول تعـالى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝..﴾ .وهذا الزفير أيضاً يتناسب من ناحية أخرى مع قوله تعالى (إذا رأتهم من مكان بعيد)..وهذا الـزفير الـذى يحسه المقبل على النار عن بعد إنما هو قذفها بالحرارة واللهب -..فإذا اقترب منها ودخل بابها كان أعظم إحساسه بحركة اجتذابها وابتلاعها كما فى سورة تبارك.. فكان ملحـظ التجميع – الذى قال بمثله الإمام ابن القيم فى شرح سورة القيامة- يناسبه تجميع الكلمـة (وحذف الألف تبرك)، .... **ومشهد (التفريق والطرد والمعارك الأرضية) – فى سورة الفرقان – يناسبه تفريق الكلمة ووضع الألف فيها- تبارك-).**

وذلك بخلاف سورة الفرقان التى كتبت فيها (تبارك) بالألف: فكما قـال صـاحب الظلال : فهذه السورة المكية تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله (ﷺ)وتسرية ، وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركي قريش ، وعنادهم له ، وتطاولهم عليه ، وتعنتهم معـه ، وجدالهم بالباطل ، ووقوفهم في وجه الهدي وصدهم عنه ..... **.وهي في اللمحة الأخرى تصور المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة المشاقة لله ورسوله ، وهي تجادل في عنف ، وتشرد في جموح** ، وتتطاول في قحة ، وتتعنت في عناد ، وتجنح عـن الهـدى الواضح الناطق المبين .

((**فهى معركة أرضية**)). والتي لا تكتفي بهذا الضلال ، فإذا هي تتطاول في فجور على ربها الكبير : { وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن قالوا : وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنـا؟ **وزادهم نفورا** } أو تتعنت فتقول : { لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا؟ } وهي هي من قديم كما يرسمها سياق السورة من عهد نوح إلى موقفها هذا الأخير مـع رسـولها الأخير.**فهنا في هذه السورة يؤويه ربه إلى كنفه ، ويمسح علـى آلامـه ومتاعبـه ، ويهدهده ويسري عنه ، ويهون عليه مشقة ما يلقى من عنت القـوم وسـوء أدبهـم وتطاولهم عليه ، بأنهم يتطاولون على خالقهم ورازقهم ، وخالق هـذا الكـون كلـه ومقدره ومدبره .**

(الحديث كله على الأرض والبركة الأرضية على حبيبه (ﷺ). فلا عليه أن ينالوه بشيء من ذاك! { **ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً** }{ **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً** }{ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكـون للعـالمين**

نذيرا . الذي له ملك السماوات والأرض ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا .واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون؛ ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا؛ ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا } .

إنه البدء الموحي بموضوع السورة الرئيسي : تنزيل القرآن من عند الله ، وعموم الرسالة إلى البشر جميعا . ووحدانية الله المطلقة ، وتنزيهه عن الولد والشريك ، وملكيته لهذا الكون كله ، وتدبيره بحكمة وتقدير .. ولم يذكر لفظ الجلالة (أى لم يقل: تبارك اسم ربك) واكتفى بالاسم الموصول تبارك{ الذي نزل الفرقان } لإبراز صلته وإظهارها في هذا المقام ، لأن موضوع الجدل في السورة هو صدق الرسالة وتنزيل القرآن .

وسماه (الفرقان) . بما فيه من (فارق) بين الحق والباطل ، والهدي والضلال . بل بما فيه من (تفرقة) بين نهج في الحياة ونهج ، وبين عهد للبشرية وعهد .

((هنا تصوير للمعركة على الأرض والجدال المحتدم فى وحى الله وفى الرسول، و(الفرقان) . بما فيه من (فارق) بين الحق والباطل)) على خلاف سورة الملك التى نجدها تأخذ بهذا الإنسان إلى ماوراء هذا العالم وهو عالم الغيب والآفاق والروح والفكر والتدبر – فالسورة – تبارك – تشد قلوبهم وأنظارهم إلى (الغيب) و(إلى السماء) وإلى (القدرة التي لم ترها عين) – دون رسمٍ لصورة هذه المعركة الأرضية التى فى سورة الفرقان)) فوضعت الألف فى الفرقان (تبارك)، وأخفيت فى سورة تبارك(تبرك) وكأنه يقول فى السورتين (تبارك) الذى فى الأرض إله – فى الفرقان – و(تبرك) الذى فى السماء إله – فى سورة الملك–.. وتبارك الله رب العالمين منزل هذا الذكر الحكيم.

صاحب..يَـٰصَـٰحِبَى

((نلاحظ أن كلمة صاحب تكتب بالألف الفارقة إذا كان هذا الصاحب لاتصل درجة لصوقه درجة الزوجة التى تكتب بدون ألف (صحبته) ، ولا درجة الصحبة العالية التى بين الحبيب (ﷺ)وأبوبكر الصديق (إذ يقول لصحبه).. ولعل حذف الألف أيضاً يشير إلى الصحبة القلبية والروحية قبل أن تكون الصحبة الجسدية.. وهكذا فى الآيات التالية:

(١) ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ .. (٣٦) ﴾ النساء.

(٢) ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾.
(٣) ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤) ﴾الأعراف.
(فهى صحبة مقطوعة ؛ وهى صحبة المؤمن بالكافر والله هو القائل بذلك) ومثلها الآيات التالية :
(٤)﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢)..﴾ .
(٥) التكوير﴿: وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) ﴾.
(٦)﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩)..﴾ . (صحبة أشقياء).
(٧) ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (١٥) ﴾ لقمان. هنا الحديث عن صيغة فعل الأمر الذى يتطلب الوضوح والقوة مثل القسم والتهديد ، وكل ذلك يناسبه اظهار الألف – كما تعودنا فى رحلتنا مع لطائف رسم المصحف–.
(٨)﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ (٤٦) ﴾سبأ. هنا الحكم (من الله) متصدراً الآية بكلمة "قل" وبقطع الانسجام فى الصحبة بين المؤمن والكافر(ففيه التقرير بالحسم والحقيقة) ، ونداؤهم هم بهذه الصحبة المفصولة ، وخاصة فى هذا الموقف الذى يصفونه (ﷺ)بالجنون فقال: "بصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّة".
وهذا الفصل فى الصحبة فى هذا الموقف على خلاف آية "يوسف" القادمة التى هى فى مجال الدعوة مع من هم يستمعون إليه ويميلون له. والحكم بهذه الصحبة صادر من يوسف نفسه وليس من الله ، وليس فيه التقرير بالحسم والحقيقة ولكنها دعوة بالملاينة والملاطفة ، مع ملاحظة إحترامهم له وعدم الإساءة إليه. وملاحظة أنه أضاف إلي ندائه لهم حرف النداء (يا)، ولكنها كتبت على صورة التقريب والملاصقة حتى أنه حذف ألف حرف النداء (يا) وكتبت: يَٰصَٰحِبَيِ.
(٩)﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ (٣٩) يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا (٤١) ﴾ يوسف.... هنا رسم الكلمة يرسم المنهج الدعوى ليوسف عليه السلام ، وكأن هذا الرسم يعبر عن صوت الداعى ولين نبرته ويرسم حركته وهو يخاطب من يدعوهم ، وكيف أنه يخاطب المخالفين له مظهراً لهم الشفقة بهم والرحمة علبهم وأنه ليس متعال عنهم ،بل إنه يوحى إليهم بأنه قريب منهم قرباً شديدا .. وعبر الوحى عن هذه المعانى بحذف الألف .. التى ترسم طريق دعوة الأنبياء مع أقوامهم والطريقة المثلى

لوصول دعوهم إلى أفواههم))). وهذا ما أشار إليه صاحب تفسير الظلال – عليه رحمة الله– حيث قال: إنه يتخذ منهما صاحبين ، **ويتحبب إليهما هذه الصفة المؤنسة** ، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة.

****وربما يكون الحذف لمعنى آخر – وهو الإشارة إلى المعنى المجازى للصحبة – وهي صحبة السجن** – كما يقول الطاهر: يريد يا صاحبيَّ في السجن ، فأضافهما إلى السجن كما تقول : يا سارق الليلة ، فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة ، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب ، وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ، ونحوه قولك لصاحبيك : يا صاحبي الصدق فتضيفهما إلى الصدق ، ولا تريد أنهما صحبا الصدق ، ولكن كما تقول رجلا صدق ، وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك . ويجوز أن يريد : يا ساكني السجن ، كقوله : { أصحـــب النار وأصحـــب الجنة } .

(١٠) ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُـــوَ مَكْظُـــومٌ (٤٨)﴾ **والصاحب : الذي يصحب غيره ، أي يكون معه في بعض الأحوال أو في معظمهـــا ، وإطلاقه على يونس لأن الحوت التقمه ثم قذفه فصار (صاحبُ الحوت) لقباً لـــه ، لأن تلك الحالة معيّة قوية ولكنها (مقطوعة) وغير مستمرة وفيها (الكراهة والنفـــور) لهذا المشهد الذى يتمنى صاحبه فراقه والتخلص منه..ولذلك كتب بالألف** (فلا تصـــحبنى).. (وصاحبهما فى الدنيا ..).

(١١) ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) ﴾ **الكهف** ورغم أنها بصيغة النهى ولها قوة الأمر أيضاً فى أحقيتها بوضع الألف إلا أن هناك سبباً آخر وهو القراءة الأخرى وكما يقول الزمخشرى: **وقرىء : «فلا تَصحبني» فـــلا تكن صاحبي . وقرىء : «فلا تُصحبني»** أي فلا تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك..(أى بفتح التاء وضمها وبدون ألف).

(١) { وصاحبهما فى الدنيا مَعْرُوفاً } ((وكل هذا يحمل معانى التوكيد الشديد علـــى هذا الأمر الشاق فى البر بهذين الوالدين والخطاب أيضاً بصيغة الأمر المباشر ومن الله)).

الصاحب .. كصاحب الحوت .. ما بصاحبكم .. ماضل صاحبكم ..فنادوا صاحبهم .كلها بالألف. (ماعدا قول يوسف المقرب لصاحبه فى السجن – وهـــو فى حـــديث الدعوة الهادئة لله عزوجل مع أشخاص يثقون فيه ويميلون إليه) .

(٢) أصحـــب جمعها بدون ألف.

(٣) ثم راجع بحث (لصاحبه) الآتى:.

ملحق (صــحبه)

(١) ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.
الأنعام. (بمعنى الزوجة ويلاحظ فيها دائماً ملحظ الإلصاق وتكتب بدون ألف).

(١٢) المعارج:﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ ﴾ ((أى الزوجة) .

(٢) الجن:﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾ (أى الزوجة).

(٣) عبس:﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (أى الزوجة).

(٤)﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾ ﴾التوبة.

((ولعل حذف الألف هنا أيضاً يشير إلى الصحبة القلبية والروحيـــة قبـــل أن نكـــون الصحبة الجسدية ، هذا الحذف للألف فى صحبة أبى بكر للرسول (ﷺ)يشير بإشـــارة من الوحى إلى شدة القرب واللصوق فى هذه الصحبة العالية مع رسول الله ، والرفعة لمكانة أبى بكر من رسول الله (ﷺ)وقد عبر الوحى عن هذه المعانى برسم الكلمة)).

(٥)﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ
جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن
رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى
خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

(وهنا وقفة مع هذا النص الذى يرسم محاورة بين مؤمن بالله وكافر بالله، والمؤمن دائماً له معيار إيمانى للصداقة ، فإنه يثور ويغضب — حتى على أغلى الناس لديه ومنهم صاحبه هذا — إذا قام هذا الصاحب بانتهاك حرمات الله أو التطاول على مقام الألوهية والتوحيـــد ، ونجد أن غيرة المسلم تجعله فى ذلك الوقت تعلو نبرته ويعلن الفصال بينـــه وبـــين مـــن يحاوره.(وهذا يستدعى فى منهج الرسم القرآنى إظهار الألف). والكافر على خلاف ذلك فإنه لايحمل معه هذه الغيرة ولا هذه المعايير ولا يفرق فى صحبته بين من يسىء إلى الله أو من لايسىء إليه ؛ فهو لايقطع الصداقة (والصحبة) لذلك ولذلك رسمت الكلمة على صفة الوصال(لِصَٰحِبِهِۦ)).

وهذه المعانى التى ذكرناها، قام الرسم القرآنى بتصويرها بكامل الدقة عن طريق رسم كلمة (صاحبه) مرة بالألف – الفارقة والفاصلة – ومرة بدون الألف لِصَٰحِبِهِۦ – التى توحى باستمرار هذه الصلة دون انقطاع – .وبيان ذلك كالتالى:

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ (أى الكافر الذى لايفرق فى الصحبة)لِصَٰحِبِهِۦ (عدم وضع الألف يوحى بدوام الصلة بالنسبة لهذا الكافر وعدم انقطاعها) فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ..... قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ (أى المؤمن الذى سيظهر عليه الانفعال وتحركه الغيرة على قطع الصلة وهذه المصاحبة ، ولذلك وضع الألف هنا) قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) ﴾ ((ولاحظ هنا علو النبرة والاستفهام الإنكارى: أكفرت........؟؟)).

سيماهم..بِسِيمَٰهُمْ

(١)البقـرة: (٢٧٣)﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾ الطاهر: { لا يستطيعون ضرباً }].

وسنقوم باختيار قول الرازى حيث يقول:

قال مجاهد { سيماهم } التخشع والتواضع ، قال الربيع والسدي : أثر الجهد من الفقر والحاجة وقال الضحاك صفرة ألوانهم من الجوع وقال ابن زيد رثاثة ثيابهم والجوع خفي.

ثم يعلق الرازى على هذه الأقوال قائلاً: وعندي أن كل ذلك فيه نظر لأن كل ما ذكروه علامات دالة على حصول الفقر ، وذلك يناقضه قوله { يَحْسَبُهُمُ الجاهل أَغْنِيَاء مِنَ التعفف } بل المراد شيء آخر هو أن لعباد الله المخلصين هيبة ووقعاً في قلوب الخلق ، كل من رآهم تأثر منهم وتواضع لهم وذلك إدراكات روحانية ، لا علات جسمانية ، ألا ترى أن الأسد إذا مرّ هابته سائر السباع بطباعها لا بالتجربة ، لأن الظاهر أن تلك التجربة ما وقعت ، والبازي إذا طار هرب منه الطيور الضعيفة ، وكل ذلك **إدراكات روحانية لا جسمانية** ، فكذا هاهنا ، ..يحسبهم الجاهل **بما وراء الظواهر أغنياء في تعففهم** ، ولكن ذا الحس المرهف والبصيرة المفتوحة يدرك ما وراء التجمل . فالمشاعر النفسية تبدو على سيماهم "وهم يداروها" في حياء .

((إذن هم ضعفاء في الواقع الداخلى غير الظاهر ولكن عليهم سيما التعفف - فكتبت بدون الألف - كما تعودنا فى الرسم القرآنى - إذا كان الظاهر على خلاف الحقيقة، فترسم الكلمة أيضاً كذلك)).

(٢) الأعراف:﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

الرازى: ولما بطل هذا الوجه ثبت أن المراد بقوله : { يَعْرِفُونَ كُلاً بسيماهم } هو أنهم كانوا يعرفون في الدنيا أهل الخير والإيمان والصلاح ، وأهل الشر والكفر والفساد ، وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على أهل الإيمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية ، فهو تعالى يجلسهم على الأعراف ، وهي الأمكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به ، ويعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات ، وأهل العقاب إلى الدركات .

واختلفوا في المراد بقوله : { بسيماهم } على وجوههم .

. والقول الثاني : في تفسير هذه الآية أن أصحاب الأعراف كانوا يعرفون المؤمنين في الدنيا بظهور علامات الإيمان والطاعات عليهم ، ويعرفون الكافرين في الدنيا أيضاً بظهور علامات الكفر والفسق عليهم ، فإذا شاهدوا أولئك الأقوام في محفل القيامة ميزوا البعض عن البعض بتلك العلامات التي شاهدوها عليهم في الدنيا ، وهذا الوجه هو المختار .

ويقول الألوسى: .. كما قال أبو مسلم أو بعلامتهم الدالة على سوء حالهم يومئذ (فى القيامة) وعلى رياستهم في الدنيا (أى عكس حالهم فى الدنيا) كما قيل (ولعله الأولَى) .

وأقول: ((وأنا أؤيد هذا الرأى- مع ترجيح رأى الرازى أيضاً- من أن صفاتهم وحالهم فى الآخرة من الضعف والهوان على عكس حالهم فى الدنيا من السلطان والجبروت ، والعكس بالعكس - وتكون هذه السيما ربما لأناس كانوا ضعفاء فى الدنيا وأصبحوا أقوياء وعظماء فى الآخرة؛ وسورة الأعراف تتحدث عن المعارك بين المؤمنين الضعفاء فى الدنيا والكفار المستكبرين بجاههم وسلطانهم ، ولكن الضعفاء أصبحوا هنا هم الأقوياء والعكس بالعكس ، وهذا يكون الحال فى الدنيا مخالف للحال فى الآخرة وسيما الدنيا مخالفة لسيما الآخرة ، ويؤيد ذلك المفهوم والتفسير الآية بعدها التى تتحدث عن هؤلاء الكبراء أصحاب السلطان فى الدنيا والآن هم الضعفاء الأذلاء فى الآخرة والآية هى: (٣)

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ

﴿ ﴾ وكذلك الحال فى آية البقرة السابقة عن أهل الصفة ؛ ظاهرهم – سيماهم – التعفف والغنى ، وواقعهم الضعف والمسكنة (ولذلك كتبت الكلمة بدون ألف – على قاعدة الرسم القرآني فى مثل هذه المواقف إذا كان رسم المشهد على غير صورته الحقيقية فيحذف الألف – كما فى صورة المجاز ليفرقه عن الحقيقة–).

وذلك بخلاف آية الفتح (محمد رسول الله والذبن معه .. سيماهم..) بالألف . حيث أن الآيات فى هذه السورة – سورة الفتح – تتحدث عن أصحاب محمد (الأقوياء) على الحقيقة وفى الواقع المشاهد بعد أن أعزهم الله– كزرع أخرج شطأه فآزره ....– ((فسيماهم تطابق واقعهم وتؤازره٥)) ، فكتبت على وضعها الحقيقي كالسيما الحقيقية (بالألف) – سيماهم– وهي:

(٥)الفتح:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩).. ﴾.

فهى سيما تستحق الظهور والمباهاة بها وهى سيما حقيقية مطابقة لما فى الداخل وحالهم فى الدنيا من العزة والتمكين هو نس حالهم فى الآخرة...ويذكر الألوسي ملحوظة أخرى تساعد فى فهم السبب فى كتابتها بالألف فيقول: { سيماهم } أي علامتهم وقرىء { سيمياؤهم } بزيادة ياء بعد الميم والمد (أى زيادة فى مبنى الكلمة ؛ وكما علمنا من اللغة أن : زيادة المبنى تشير إلى زيادة فى المعنى) وهي لغة فصيحة كثيرة في الشعر قال الشاعر :

غلام رماه الله بالحسن يافعا ... له سيمياء لا تشق على البصر.

(وفى بيت الشعر هذا يتحدث عن سيمياء واضحة وشديدة الوضوح لا تشق على البصر وكأن زيادة الحرف لزيادة المعنى والوضوح) والياء مبدلة من الواو .

ولعلى أكتفى بما قاله صاحب الظلال فى وصف هؤلاء الذى : **وهذه الصورة الوضيئة (فى الدنيا) التي تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة . إنما هي ثابتة لهم في لوحة القدر ، ومن ثم فهي قديمة جدا ، ذكرها في التوراة : { ذلك مثلهم في التوارة } . ((لاحظ ملحظ عمق وثبات الصفة)). . : { كزرع أخرج شطأه } . . فهو زرع نام قوي ، يخرج

فرخه ، من قوته و خصوبته . ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده . { فآزره } . أو أن العود آزر فرخه فشده . { فاستغلظ } الزرع وضخمت ساقه وامتلأت . {فاستوى على سوقه } لا معوجا ومحنيا .

وأقول: (لكل هذه الأسباب تم بقاء وثبات الألف وظهوره).

(٤) محمد:﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)﴾ .

((هنا يرتسم صورة المنافقين وبالطبع فإن سيماهم الخارجي يخالف مافي داخل قلوبهم)).

(٥) ﴿الرحمن: يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ(٤١)﴾

((وهنا مثل آية الأعراف فسيماهم فى الدنيا كان السلطان والجاه والتنعيم أصبح مخالفاً لسيماهم التى هى عليهم فى الآخرة – من الذل والمهانة – ولذلك كتبت الكلمة بدون الألف))) .

ملاحظات على سيماهم:

﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ.. وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ نلاحظ أن الألف على نبرة (فهى رؤية سيماء فى داخل الجحيم ومضافاً إليها رؤية الشاهد الصدق من أهل الأعراف) فزادت الكلمة (ياء – او نبرة) وهى التى تناسب هذا الموقف وثقله فى الآخرة[٣].. ولكن:

(١) (بِسِيمَاهُمْ) بدون نبرة تحت الألف..البقرة ٢٧٣ ،محمد ٣٠ ،الرحمن ٤١.

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا (٢٧٣) ﴾ البقرة.

{ تَعْرِفُهُم بسيماهم } من صفرة الوجه ورثاثة الحال(هى رؤية دنيوية أقل فى درجة هذا الوسم والسيما.(فرسمت الكلمة بدون نبرة للألف). وذلك مثال (ضعفاء..(الدنيا) التى

---

(٣)مع ملاحظة أنه زاد الياء التى تناسب الملكوتى أو المعنوى وليس الألف الدنيوى المادى.... كمثال (لدا) الباب .. والقلوب (لدى) الحناجر.. و(رءا)كوكبا.. أيديهم ..و(رأى) من آيات ربه الكبرى والجنة وعالم الملكوت.... وهنا الرؤية فى جهنم وهو عالم ماوراء المادة..

فيها درجة الضعف أقل.. والضعفاء فى الآخرة وفى جهنم التى تكون درجة الضعف فيها أقوى وأثقل فرسمت. هكذا (وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ).

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَـٰهُمْ ولتعرفنهم فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) ﴾.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ (٤١)﴾ الرحمن.

.(نلاحظ هنا هذه الرؤية قبل دخولهم جهنم بالفعل، وليس عليهم شهادة الشهود.

{ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى} جمع ناصية وهي مقدم الرأس { وَٱلْأَقْدَامِ} جمع قدم وهي قدم الرجل المعروفة ،(وكتبت بالألف ربما لأن : الأقدام فيها الحركة والتسفل لموضع الألف.. ولكن النواصى فيها عدم الحركة والعلو المعنوى والتشريفى فحذف الألف).

(سيماهم) الفتح :﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ..﴾ عمق السيما الصالحة وأصالتها فيهم – نابعة من الداخل على وجوههم– وهى مع ذلك فى الدنيا.ومثلها مطابق لها فى الآخرة. فكتبت بالألف .. وملاحظة أن المؤمن دائماً ظاهره كباطنه لاخفاء عنده .

جاعل .خلق .فاطر

(خالق) جميعها بدون ألف ، و(جاعل)بالألف وبدون ألف ، و(فاطر) بالألف

((وكذلك كل "خالق" و"خلاق" جميعها كتبت بدون ألف ؛ فالخلق فيه معنى التقدير والتسوية، والجعل عام – أى فيه معنى الخلق ومعان أخرى – ولا يلزم معنى واحد. مثل الخلق .. والتقدير يقصد به فى بعض الأقوال : التصوير أو التصميم (كمن يصمم هذا المبنى فهذا التصميم والرسم يسمى خلق ، بخلاف الإنشاء (فهو فاطر).. وأرى أن هذا المعنى وراء رسم كلمة خالق بدون ألف ، وفاطر بالألف .. أما جاعل فلها معانى كثيرة منها: الصنع ، والتصيير والتحول ، وبمعنى العمل ، إضافة إلى معنى الخلق أيضاً ؛ وقال القرطبي: فى قوله (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) :قال تعالى: (خلق السموات والأرض) السماء والأرض جواهر وليست أعراضاً ، لأنها ثابتة لاتتغير ولا تتبدل، وسمى العرض عرضاً لأنه يعرض فى الجسم والجوهر ، فيتغير به من حال إلى حال .. ونرى أن هذا رأياً آخر يمكن إضافته ، وأنه من أجل هذا المعنى كتب (جاعل) بالألف، لملحظ الحركة والتغير فيه، وكتب (خلق) بدون ألف لعكس ذلك، إضافة إلى معنى التقدير والتصميم فى (خلق).

ويقول القبيسى:الخلق: تقدير الشيء قبل إيجاده كالتصميم قبل البناء فالتصميم هو الخلق والخلق هو التصميم. خلق الله تعالى الإنسان قبل أن يكون طيناً (ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).

جعل: بعد أن يخلق الله تعالى الشيء يهديه إلى وصف جديد أو صفة جديدة. عندما يهدي سبحانه وتعالى المخلوقات الحيّة إلى وظيفتها يسمى جعلاً (واجعل لي وزيراً من أهلي) أضاف إلى هارون وصفاً جديداً وظّفه توظيفاً جديداً سلباً أو إيجاباً. (وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها).

(ومن آياته..وجعل بينكم مودة ورحمة):

خلق: قدّر الله تعالى الرجل والمرأة وخلق من الرجل امرأة وبعد أن قدّر الله الرجل والمرأة أضاف الله تعالى لهما وظيفة جديدة بأن جعل بينهما مودة ورحمة وهذا يسمى جعلاً.

(١)﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .. (٣٠)﴾ البقرة.

(٢)﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ ﴾ (فاطر).

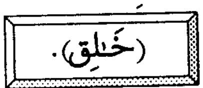
(٣) ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا . ..(٥٥)﴾ آل عمران.

***

وهنا نقف على مشهد هام جداً فى الرسم القرآنى وهو يفرق بين الجعل بمعنى التحطيم والهدم والفناء (فيهدم الألف) ، وإن كان الجعل بهدف البناء والتشييد والرفعة (أقام الألف).. هكذا:

(٤)﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾الكهف(جعل فناء وتحطيم).

(٥) ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ القصص .

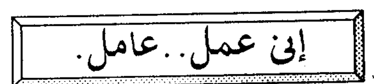

(خَٰلِق).

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الرعد.

(٢٨) الحجر(١٠٢)الأنعام(٣) فاطر(٧١)ص(٦٢)الزمر(٦٢) غافر.

وكذلك (الخلاق) تكتب بدون الألف.

﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ (٨١) يس(٨٦)الحجر.


إلى عمل..عامل.

ملحوظة : قبل البداية فى سرد الآيات والتعقيب عليها يحسن بنا أن نبين إشاره سريعة بأن (عامل) هى إسم فاعل يدل على الفعل وفاعله ، ولكن له صور منها :

(١) صورة إسم الفاعل الذى يدل على الذات فقط مثل (الزارع مجتهد) فليس فيها صورة وجود الفعل(القيام بالزراعة).

(٢) صورة إسم الفاعل الذى يدل على الذات والفعل معاً ؛ مثل (الزارع أرضه) ففيها صورة الذات، وصورة الفعل (عملية وفعل الزراعة) .

وهكذا الحال فى كلمة (فاعل) فإذا كانت فيها صورة الذات والفعل معاً كتبها القرآن بالألف (عامل)، وإذا كانت فيها صورة الذات فقط – كالإسم فقط – تكتب بدون الألف (عمل) هكذا فى الآيات التالية:

(١)﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ ﴿١٩٥﴾ ﴾ آل عمران

..فهنا صورة الذات = الإسم فقط.) .

(٢)﴿ **** وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣) ﴾ (صورة الفعل مع الذات ، وكأننى أقول (وما الله يغفل) ، وفيها فوق ذلك صورة تهديد دنيوى ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ . (١٣٤)﴾ وهذا التهديد بعلو نبرته يستدعى وجود الألف.

(٣)﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥) ﴾ الأنعام. والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي ، فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم

((ففيها صورة الفعل (أى أنا سأعمل الآن وغداً، ولابد أيضاً أن النبى (ص) أعلنها (بقوة) ووضوح وصوت عالٍ من قلب واثق بالحق الذى معه والذى يجعله لايتزعزع))

{ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } أينا تكون له العاقبة المحمودة .

(ملحوظة : كلام محمد (ﷺ)هنا عن الفئة التى تستحق (الفلاح) فى الدنيا والرفعة (والظهور) لصاحب الحق – من نكون له عاقبة الدار–.. فكان إظهار الألف (عامل) مع الرفعة .. بخلاف الآيتين التاليتين – هود ، الزمر – فإنه إنذار للفئة الأخرى (بالإهلاك والتدمير) – مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ – فكان مع التدمير إخفاء الألف فرسمت(عمل).

إضافة إلى ملحظ الرحمة فى شخصه (ﷺ) الذى يناسبه (إظهار الألـــف)[٤] ونعـــود لسياق الآيات المتشابهة إلا فى رسم الكلمة:

(١) ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (تهديد دنيوى) ،قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)﴾ الأنعام.(كلام محمد (ﷺ)والحديث عن مشهد البناء والفلاح (مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) بخلاف الآيتين التاليتين اللتين تتحدثان عن الهلاك والتدمير.

(٢) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) ﴾ هود.

(٣)﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠) ﴾الزمـــر. والعذاب المُخزي هو عذاب الدنيا . والمراد به هنا عـــذاب السيف يوم بدر . والعذاب المقيم هو عذاب الآخرة ، وإقامتـــه خلـــوده . وتـــوين {عَذَابٌ} في الموضعين للتعظيم المراد به التهويل .

وأرى – والله أعلم--أن آية الأنعام ليس فيها التصريح بالعذاب لهم ولكن فيها صورة البقاء والتعمير والتمكين للمؤمنين ، وهنا يناسبها ظهور الألف .. بخـــلاف الآيـــتين الأخريين التى فيهما التهديد بالتدمير والإهلاك لهم ، فكان الأنسب هو إخفاء (وليس إظهار) الألف..

ونعود لنكرر أن المشهدين مختلفان ؛ ففى المشهد الأول يصور عاقبة (الفئة المؤمنـــة)– الأنعام – ، وفى المشهد الثانى يصور عاقبة (الفئة الكافرة).. والمـــشهد الأول (بقـــاء) والمشهد الثانى (إفناء) ..المشهد الأول يرسم (صورة الرحمة العالية).. والمشهد الثـــانى

---

(٤)كما فى قوله إنا (رسولا) ربك فى طه– التى يظهر فيها شخصيتهما الرحيمـــة– ..وإنـــا (رســـول) فى الشعراء.بالمفرد لأنه يشير إلى (الرسالة) المنذرة له والتى فيها ملحظ الشدة. وأيضاً راجع مثل ذلك المعنى فى بحث التراب والعظام والقواعد).

صورة (الانتقام والتدمير) ... وأترك للقارىء أن يعيش مع الرسم القرآني المعجز ويرى بنفسه كيف يصور الرسم دواخل النفوس وعواقب الأمور بحذف الألف أو إضافته.[٥]

**﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝﴾ الغاشية... { عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ } تعمل في النار عملاً تتعب فيه ، وهو جرها السلاسل والأغلال ، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل ، وارتقاؤها دائبة في صعود من نار ، وهبوطها في حدور منها. وواضح فيها صورة الفعل أيضاً فى (تصلى،تسقى..).

عبادى....عِبَٰدِى

كلها تكتب (عبادى) بالألف: (١٨٦) (٢٠٧)البقرة (١٥ (٢٠) (٣٠ آل عمران (٤٢)الحجر (٤٩)الحجر (٦٥) الإسراء (١٠٢) الكهف (١٠٥)الأنبياء (١٠٩)المؤمنون (١٧) الفرقان (٥٦)العنكبوت (١٣)سبأ (٥٣)الزمر (٢٤)يوسف (٦٥)الكهف (٦٣)مريم .(٣٢) فاطر (٨١) (١٢٢)الصافات (٥٢)الشورى (١٠)التحريم (٣٠)يس (٤٨)غافر (٣١)غافر (١١)ق (٤٤)غافر

كل "العباد" ترسم بالألف المرفوعة تصويراً لحالهم ورفعته وذلك بنسبتهم إلى الله ؟؟؟ ماعدا الآيتين :

(١)﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝ ﴾ الفجر، وذلك لتنوع القراءات هكذا:وقرأها ابن عباس : «فادخلي في عبدي» ، وقرأ ابن مسعود : «في جسد عبدي» . وقرأ أبيّ : «ائتي ربك راضية مرضية ، ادخلي في عبدي»..

وأقول أيضاً ربما لمشهد الإحاطة بهم من أحبابهم قبل دخولهم الجنة وما نسميه (بزفة العروس) فكان قوله (فى) بدلاً من (مع) – أدخلى فى عبدى–، والفراغ فى وسط

---

(٥)ويقول الألوسي وغيره: ففي خطاب شعيب عليه السّلام قومه من الشدة ما ليس في الخطاب المأمور به النبيءُ (ﷺ)في سورة الأنعام جرياً على ما أرسل الله به رسوله محمداً (ﷺ)من اللين لهم { فبما رحمة من الله لنت لهم} [آل عمران : ١٥٩] . وكذلك التفاوت بين معمولي { تعلمون } فهو هنا غليظ شديد { من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب } وهو هنالك لين { مَن تكون له عاقبة الدّار } [الأنعام : ١٣٥]

كلمة عبادى (عِبَـٰدِى) فى قوله (فادخلى فى عِبَـٰدِى) يشير إلى هذه الحفلة وهذه الزفة التكريمية وكأنه يصورها بالصورة الصادقة والمعبرة.

(٢) والآية الثانية: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ ص. ومن قرأ : «عبدنا» جعل إبراهيم وحده عطف بيان له ، ثم عطف ذريته على عبدنا، وهي إسحاق ويعقوب ، كقراءة ابن عباس : وإله أبيك (آبائــك)إبــراهيم وإسماعيــل وإسحاق .

((واضح من ذلك أن الألف قد حذف ليناسب قراءة الجمع والإفراد معاً))

بظَلَّام للعَبيد.. بِظَلَّـٰمٍ

(١)﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾ آل عمران .

نلاحظ:

(أولاً)أن آية آل عمران خاصة باليهود – فهو خطاب خاص وباليهود–.. وهم المجرمون عن علم وليس عن جهل . وقد آتاهم الله الكتب والنبوات ..

(ثانياً) ثم أنهم هنا قد بلغ تطاولهم بأنهم يسبون الله ..

(ثالثاً) وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ....

(رابعا) والله عزوجل يقول : (ونقول) ذوقوا عذاب الحريق ..

مع مراعاة التجانس الجميل بين(قالوا) و(ونقول) .

بخلاف آية الأنفال التى يقول فيها: وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.. وواضح الفرق البين فى قوله تعالى (ونقول) وظهوره بصيغة الجمع فى المشهد المناسب لإجرام اليهود..

(خامسا) مع مراعاة معنى (علو النبرة).

ولاحظ أسلوب الإلتفات إلى لفظ الجلالة – وأن الله ، ولم يقل وإنه –. لكل ذلك ولتلــك الخصوصية وضع الألف .ودائما الخطاب عن بنى إسرائيل يأخذ طابع التعنيف والتخصص لهم بأشد أنواع العذاب والخزى.

(٢)﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ الحج.. هنا الحديث عن قوم كافرين مجادلين ولكن عن جهل ، بخلاف بنى إسرائيل الذين كانوا أشد جرماً وجدالاً عن علم بالحقيقــة

وإخفائها ؛ وكأنه هذا الرسم يعطى إشارة إلى التخفيف عنهم بالجهل (العذر بالجهل) بخلاف علماء بني إسرائيل. (لم يقل هنا: ونقول ذوقوا..) وهى كما قلنا خطاب عام لأى كافر.

(٣)﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّمٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) ﴾ الأنفال.. (لاحظ هنا لم يقل : ونقول ذوقوا.. والخطاب عام لأى كافر وليس لبنى إسرائيل ..هنا الحديث عن المنافقين الضعفاء ، والكافرين المنكسرين والمستسلمين للملائكة فى لحظات الموت ، وليس عن اليهود المتمردين والمجرمين فى حال الدنيا)؛ ومشهد الإستسلام والضعف لايناسبه وضع الألف.

(٤﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّمٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ فصلت ((هنا خطاب عام).

(٤)﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّمٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) ﴾ ق(خطاب عام)

ومن هنا يتبين أن الألف وضعت – كما تعودنا فى الرسم القرآنى– فى حالة الخصوصية، ورفعت فى حال العموم الذى ليس فيه تخصيص فئة أو قوم معينين ، بالإضافة إلى أن الألف ترسم بوجودها شدة الجرم الذى ارتكبوه وهم قوم يهود.

سبحان..سُبْحَٰن

فى كل القرآن كتبت (سبحان) بدون ألف (سُبْحَٰن) إلا آية واحدة

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ.. (١) ﴾ الإسراء .

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) ﴾ القصص.﴿سُبْحَٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا (٣٦)﴾ يس

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) ﴾ الصافات (خطاب للغائب وليس للحاضر)

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) ﴾الصافات.

﴿ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣)﴾ الزخرف.

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢)﴾
﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَـٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)﴾ الطور.. خطاب بصيغة الغيبة.
﴿. . الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَـٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) ﴾ الحشر.
﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) ﴾ القلم .

كل هذه الآيات السابقة هادئة النبرة ولذلك رسمت فيها (سبحـــن) بدون ألـــف ، ولم ترسم (سبحان) بالألف إلا فى آية واحدة كان فيها السياق عاصف وعالى النـبرة ويحتاج إلى فصل الخطاب بهذه الكلمة، والآية هى ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)﴾ وقصتها أنه لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا ، أخذوا يتعللون باقتراح الآيات : فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة –أي كفروا بالقرآن وطالبوا بمعجزات أخرى على هواهم هم وهي:–

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣).. ﴾.

فقال لهم ليس أمر الآيات إليّ ، إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيروها عليّ .أو تظنـون فى الألوهية.. فأتى بالاستفهام الإنكاري ، وصيغة الحصر المقتضية قصر نفسه على البـشرية والرسالة قصراً إضافياً ، أي لستُ رباً متصرفاً أخلق ما يطلب مني ، فكيـف آتي بـالله والملائكة وكيف أخلق في الأرض ما لم يخلق فيها .**(والحديث هنا مواجهة وليس خطاب بصيغة الغيبة، يحتاج – كما يرى القارىء – إلى علو النبرة الاستنكارية فى الرد عليهم وإظهار الألف).**

*****واضح من هذا العرض وضوحاً جلياً ،أن رسم الكلمة يحدد أيضاً نبرة الصوت للمتكلم ويصور حالة الهدوء – فى حذفها –، وحالة الإنفعـال – فى ظهورهـا – ، ويفرق بين الأسلوب الخبرى الهادئ والأسلوب التقريرى والإستفهامى أو الإنكـارى العاصف ، ويحدد أيضاً إرتفاع نبرة الصوت للمتكلم أو إنخفاضه ، بل أحياناً يرسم هذا الألف فاصلاً هاماً ومقصوداً ، وهنـا – فى هـذه الآيـة الأخـيرة الـتى رسمـت بالالف"سبحان" — كأنه يفصل بين مقام الألوهية والعبودية بأسلوب حاسم وفاصـل لايقبل التمايع أو الخلط أو الهدوء..

وقال آخرون أن هذه الألف هى ألف الصلة وامتدادها مع الله . وربما الإستغاثة به أيضاً... والموقف فيه حدة واضحة بخلاف الوارد فى سورة يوسف التى فيها مقام المجادلة باللين والهدوء والشرح ، وقد تمثل ذلك فى رسم كلماتها وهدوء إيقاعها ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ . فهذه دعوة باللين وفى جو هادىء وفيه تعريف بجلال الله وهيبته التى تتوارى من وراء حجاب (سبحن) ولكن فى الإسراء هى صرخة عالية وفارقة والقضية تحتاج إلى هذا الإظهار.

فما أروع هذا الإعجاز وما أبهره لأولى الألباب !

الآن...الئن

(١)﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ (٧١) ﴾ البقرة.

(٢)﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ (١٨) ﴾ النساء.

(٣)﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا (٦٦) ﴾ الأنفال.

(٤)﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ﴾ يونس .

(٥)﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾ يونس.

(٦)﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ (٥١) ﴾ يوسف.

فى كل هذه الآيات نجد أن (ٱلْـَٔـٰنَ) عن إزالة حاجز .. وهذا الحاجز معنوى وليس مادى أو معه حرس مادى من الملائكة ...وهو كشف للغموض والمستور. وتخفيف.. من أجل هذا أخفيت الألف.. بخلاف الآية التالية..

(٧)﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) ﴾ الجن

نجد هنا أن (ٱلْـَٔانَ): فى سياق الآية هو إقامة الحواجز– وليس إزالة حواجز– والحاجز هنا مادى (بالرجم والحرس من الملائكة)...والتشديد هنا وليس التخفيف..من أجل هذا أقيمت الألف.

آياتك ، آياتنا

(١) ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَـٰتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ البقرة.

(٢) يونس:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) ﴾

دعوة للفكر والتعقل.(لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) ولقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. البقرة.

(٣) يونـس ١٥ :﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾.

*** هنا يتضح علو نبرة الحديث من النبى (ﷺ) وهو يقول لهم (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاىِٕ نَفْسِي.).وملاحظة كلمة تِلْقَاىِٕ.. بثقلها – كما هى فى نطقها من فم الحبيب (ﷺ)-لاستبعاد حدوث ذلك منه ، واستنكار الطلب منهم له بتبديل القرآن بعد ورود هذه الآيات (الواضحة وضوحاً تاماً) ، ولذلك أوضح الألف فى كلمة "تتلى عليهم(آياتنا) – كأنه يقول آياتنا الواضحة جداً جداً، وزاد الياء فى قوله من (تلقاىء) – التى توحى باستبعاد ما طلبوه رغم هذا الوضوح الشديد لهذه الآيات-.

(٤) يونس ٢١﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾.....

يقول الطاهر: سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ، ثم رحمهم بالحياة ، فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله (ﷺ) ويكيدونه.

إذن الآيات هنا آيات مادية ملموسة (عذاب وتنعيم) وليست آيات كونية أو وحى سماوى. ولذلك كتبت بالألف. على قاعدة ظهور الألف فى المادى المحسوس وإخفاء الألف فى الملكوتى العلوى والمعنوى.

الأيكة ، ليكة

(١) ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الحجر ..يقول الطاهر: وقد تخفف الأيكة فيقال: ليكة.

(٢) ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١). ﴾ الشعراء.

يقول الزمخشري: .. وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ (أي يكتب الكاتب صورة مايلفظه القارىء) ، كما يكتب أصحاب النحو لان ، ولولى : على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف ، وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل ، والقصة واحدة ، على أن «ليكة» اسم لا يعرف. ويقول الألوسي: وتكتب على حكم لفظ اللافظ بدون همزة وعلى الأصل بالهمزة وكذا نظائرها .

(٣) ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ (لْئَيْكَةِ) أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) ﴾ ص .

(٤) ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) ﴾ ق.

نلاحظ هنا: أن الأيكة توصل (لئيكة) إذا اتصل الحديث وطال وفُصِّل عن أصحاب الأيكة ، أو اتصل تكذيبهم للرسل (كما في الشعراء) ، أو ضم إليها أقواماً آخرين على

سبيل الوصل فى الحديث - (مثل سورة ص)- **حيث قال بعدها : أولئك الأحـــزاب - على سبيل الوصل والدمج بين هذه الأقوام بعضهم ببعض** -كما قلنا — .

بخلاف سورة (ق) التى تقول الآية بعد أن عددت الأقوام المذكورين : إن (كل) إلا كذب الرسل— أى كل على حدة وليس على سبيل الوصل— إن (كل).وهنـــاك فـــرق بـــين التعبيرين؛ فالأخير (ق) - إن (كل) - يعطى إيحاء بانفصال كـــل قـــوم علـــى حـــدة، واستقلاليته فى التكذيب ؛ ولذلك فصلت كلمة الأيكة وقطعت حروفها (الأيكة)..

وهكذا الحال فى سورة الحجر حيث استقل (أصحاب الأيكة) بالحديث وحدهم وعلـــى انفراد دون اشتراك أقوام أخرين معهم.

وقيل هناك رأى آخر: أن أصحاب الأيكة قوم قليلون فى العدد والحجم والمكانة، فـــإذا اتصل الحديث معهم ومع أقوام كبار ظهرت قلتهم فحذف الألف رمزاً لذلك..أمـــا إذا انفردوا بالحديث فتظهر دولتهم ويظهر فيها الألف — كما فى (الحجر) - وأيضاً يحـــدث ذلك إذا اقترن الحديث معها بقوم أقل منهم شأناً (كقوم تبع) فسيكون لهم الظهور حينئذٍ - فتظهر الألف فيها— كما فى سورة (ق)- (الأيكة وقوم تبع) .

ويقول الإمام الزركشى: وكذلك الأيكة نقلت حركة همزها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام فاجتمعت الكلمتان فصارت ليكه علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى وذلك في حرفين أحدهما في الشعراء جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان وجعلها جملة ، فهى آخر قصة في السورة ، **بدليل قوله إن في ذلك لآية فأفردها** ... والثانى في (ص) جمع الأمم فيها بألقاهم وجعلهم جهة واحدة هم آخر أمة فيها ، **ووصف الجملة، قال تعالى (أولئك الأحزاب) وليس الأحزاب وصفا لكل منهم ، بل هو وصف جميعهم.**

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين أحدهما في الحجـــر (وإن كـــان أصحاب الأيكة لظالمين) **أفردهم بالذكر** ، والوصف والثانى في ق (وأصحاب الأيكة).. جمعوا فيه مع غيرهم ، **ثم حكم على كل منهم ، لا على الجملة، قال تعالى كل كـــذب الرسل ، فحيث يعتبر فيهم التفصيل فصل لام التعريف وحيث يعتبر فيهم التوصـــيل وصل للتخفيف .)انتهى.**

❁❁❁❁❁❁❁

مبارك ... مُبَرَك

(١)﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣).﴾ الأنعام.

وافتتاح الجملة باسم الإشارة (وهذا كتاب..)، وبناءُ الفعل عليه ، وجعل الكتاب الذي حقّه أن يكون مفعول : { أنزلناه } مبتدأ ، **كلّ ذلك للاهتمام بالكتاب والتنويه به** ، وقد تقدّم نظيره : { **وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه** } في هذه السّورة .

(٢) ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) ﴾ **الأنعام**..نفس الآية ونفس التوكيدات: **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ**.

ويقول الطاهر: جملة : { وهذا كتاب أنزلته مبارك } عطف على جملة : { ثمّ آتينا موسى الكتاب } [الأنعام : ١٥٤] . والمعنى : آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب.

(((**ففي الآيتين صيغة المقارنة والتفضيل ؛ فهو- القرآن- أظهر من كتاب موسى**.. **وهذا المعنى يؤيد ظهور الألف أيضاً مثل الآية التالية أيضاً**:))).

(٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) ﴾ **الأنبياء**.

.(((**فهو أظهر من كتاب موسى وفيه صيغة المقارنة والتفضيل**))).

(٤) ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص

(نلاحظ أنه:

(١) لم يرد هنا ذكر الكتاب بعد ذكر كتاب موسى. فهو وحده — أى القرآن — كتاب جامع..(فلا توجد صيغة التفضيل بل هو على العموم).

(٢) وأنه قال بعدها ليدبروا آياته .. والتدبر أمر معنوى وفكرى فيحذف له الألف..

(٣) وورود كلمة "إليك" فى قوله: أنزلناه إليك.. فيه الخصوصية وعدم المقارنة.

(٤) ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَتٌ بَيِّنَـٰتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ....﴾ .البيت أمر مادى !! .... وقيل : مكة ، البلد ، وبكة : موضع المسجد... وقرأ ابن عباس وأبيّ ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية قتيبة : «آية بينة» ، على التوحيد .(وهذه القراءة وحدها كافية لحذف الألف من كلمة "آيات" و "بينات").

(٥) ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ.. يتحدث عن البركة فى ذاته وشخصه ﴾ (ص).

(٦) ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩)﴾ المؤمنون.. يتحدث عن منزل السفينة.(مادى).

(٧) ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾ ق (هى بركة من السماء والبركة فيها مجازية، وهى متغيرة ، وليست البركة ذاتية فيها) .

(٨)﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور.

(٩) ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

(١٠) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) ﴾الدخان.

(١١) القصص.﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

نلاحظ أنه كتب لفظ مبارك (بالألف) مع :

(١) الأمر المادى والذى فيه البركة على الحقيقة وليس المعنوى أو المجازى (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا) .
(٢) الكتاب وخاصة بعد ذكر كتاب موسى ، ليعطى معنى المقارنة والمفاضلة التى تستدعى وجود الألف، ومع التركيز على وصف الكتاب بصفاته المذكورة.(أى كتاب محدد ومعلوم ومقارن بكتاب موسى).
ولكن حذفت الألف من الكتاب (مبرك) حينما لم يذكر قبله كتاب موسى – ويكون هو وحده الكتاب الجامع ، وأيضاً حينما خصصه لمحمد (ﷺ) فقال: (إليك).
وحذفت الألف حينما قال بعدها ليتدبروا ..، وليتذكر..((وسنرى ذلك متكررا كثيراً فى حالة الدعوة للتفكر أو التعقل والاستنباط (مثل: وما يعقلها إلا العالمون)) ليحذف الألف ، والتدبر كما نعلم أمر معنوى.
(٣)ووضع الألف فى عيسى (عليه السلام)، مبارك بالألف فهى بركة ذاتية متأصلة فيه.
(٤)البيت مبارك بالألف (وله سبب غير السبب المادى).
(٥) المكان الذى دعا به نوح بالنزول إليه...(وأنزلنى منزلاً مباركاً –أى مبارك فى ذاته– مبارك بالألف) . وهى شخصية ومادية.
وكل هذه الأسماء البركة فيها أصيلة ونابعة من داخلها (الأصالة والعمق) فهى مباركة بذاتها وتبارك غيرها .. وكلها ذوات مادية ظاهرة بكيفية معلومة. ولذلك وضع فيها الألف ، وذلك بخلاف:
(١) التحية : أمر معنوى ومتغير.
(٢) الشجرة لموسى وقد باركها (الوحى) فهو المبارك على الحقيقة،وهى (بركة طارئة) وهى ليست مباركة من ذاتها ، ومثلها البقعة المباركة والليلة المباركة.
(٣) الشجرة الزيتونة (تشبيه لنور الله الجامع والغيبى وليس له وجود فى الواقع نتخيله فليس لمثله شيء ولا لمثل نوره شيء).
(٤) ليلة القدر الليلة المباركة التى بوركت بنزول الوحى (القرآن فيها) وليس لذاتها.
فكلها أسماء تحتاج إلى من يباركها وليست هى البركة فى ذاتها فكتبت بدون ألف (مبرك) ، بالإضافة إلى أنها كلها (إما معنوى : كالتحية .، وإما غيبية فى كنهها : كشجرة الوحى لموسى ؛ فهى ليست بالشجرة المألوفة– ، وهكذا المثل بشجرة زيتونة

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار....) وإما بركة معنوية وروحية (كبركة ليلة القدر).. ولكل هذه الأسباب وغيرها حذف الألف.

ولكن يبقى السؤال الهام وهو : لماذا وضع الألف فى الحديث عن البيت الحرام ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ وحذف الألف من مكان مادى أيضاً وهو الشجرة المباركة لموسى عليه السلام ﴿أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾).

والإجابة على هذا السؤال توضح الفارق الذى من أجله يوضع أو يحذف الألف فى هذه الأمثلة السابقة؛ حيث أن البيت الحرام بركته أصيلة ومستمرة ومتعمقة فيه من لدن إبراهيم عليه السلام – وقيل قبل آدم حيث أن الملائكة هى التى قامت ببنائه- بل ورد فى بعض الآثار أنه هو أول ماباه الله عز وجل يوم أن خلق السموات والأرض ولم يكن شيئاً قد خلق بعد ؛ فبركته ليست وقتية مثل شجرة موسى تنتهى بمغادرة موسى أو الوحى من عليها فكان هذا الفارق فى رسم الكلمة.

حاج – حججتم

(١)البقرة:﴿ أَلَمْ تر إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي .. (٢٥٨)..﴾ ماض يتكون من ثلاث حروف فقط (وهناك قاعدة لاتستجيز نقص الحروف فى هذا العدد القليل من الكلمة (ثلاث حروف) ولهذا فنحن لانسأل عن بقاء الألف هنا ...ولكننا نقول إلا ما استثناه الرسم القرآنى ولحكمة بليغة سنراها فى حينها.

(٢) البقرة٧٦ :﴿ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) ﴾ فهنا سياق الآيات فيه توبيخ واضح وعنيف ويقول بعدها (أفلا تعقلون)؟؟.

(٣) البقرة﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ...﴾ .. ..فى الآيات هجوم متوالى وتوبيخ وموقف عالى النبرة (يستدعى ظهور الألف)

(٤){ فإن حاجّوك فقل أسلمتُ وجهي لله } [آل عمران : ٢٠]صيغة الشرط تفيد المستقبل وليس الماضى ، والشرط فيه إلزام وقوة(يستدعى ظهور الألف).

(٥)آل عمران:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

حَٰجَجۡتُمۡ ماضى ومعه ضمير الجمع –مضاف إلى ضمير (أنتم) – وأيضاً محاجتهم هنا فيما لهم به علم) .

أما (فَلِمَ تُحَآجُّونَ..) فهى استفهام إنكارى ، والأمر ليس فيه محاجة من الجانبين مثل آية الأنعام.. وأيضاً المحاجة هنا فيما ليس لهم به علم مما يزيد نبرة الاستنكار. وكأنه يقول : المحاجة بعلم مقبولة ولاتحتاج إنكار أو علو نبرة، أما المحاجة بغير علم فهى مستنكرة وتحتاج إلى تعنيف ورد.. إضافة إلى ارتفاع نبرة الصوت فى الإستفهام والتعجب وقوله أيضا: (أفلا تعقلون).

(٦)آل عمران:﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) ﴾.

(٧)الأنعام: ﴿... فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنعام . ويقول أبوالسعود: { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ } اي شرعوا في مغالبته في أمر التوحيد (وهى مكتوبة بالألف).

وقوله: { أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي في الله } .

((وهنا الحوار هادئ، جداً من جانب إبراهيم ، وهو ما يناسب جو ضرب الأمثلة الهادئة والدعوة إلى التفكر .. مع استخدام لفظ (قال) — أى إبراهيم – بدون أمر له من الله يعطى للسياق القوة والتفخيم . بخلاف قوله (قل) فى البقرة ١٣٩ (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّه..).

ويقول الإمام البقاعي رأياً آخر وهو: ولما كان من المعلوم أن محاجتهم - بعد هذه الأدلة الواضحة- في غاية من السقوط ، سفلت عن الحضيض ، نزه المقام عن ذكرها ، إشارة إلى أنها بحيث لا يستحق الذكر (وأقول موضحاً :كأنه بعد هذا البرهان بضرب الأمثلة الهادئة والواضحة والموضحة لايوجد مجال لأدنى محاجة أو مجادلة- فحذف الألـف-.. وهذا مثل الحذف في قوله تعالى "فلاتك".. "فلا تكن").

(٨)الشورى:﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) ﴾ واضح أن الرد استنكارى عنيف عليهم من الله

** ونلاحظ من أقوال علماء اللغة أن (المحاجة) فيها عنصر المغالبة ولذلك فحقهـا أن تكتب بالألف ؛ وحينئذ يسأل عن سبب حذف الألف فى الآيات الأخـرى فقـط... وذلك بخلاف معنى "جـدلتم" ، "يجـدل"التى يحذف منها الألف دائماً: ﴿وَلَا تُجَـدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا(١٠٧)..(١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩)﴾ لأنه كما يقول الألوسي: والمجادلة أصلها من الجدل وهو شدة الفتل .

(وأنا أرى أن المحاجة ليس فيها التركيز على محاولة كسب الخصم وضمه إليه بخـلاف المجادلة التى فيها معنى التجمع والتقوية وعدم التنافر الذى يستدعى حذف الألـف .

وكما يصور ذلك الإمام الرازى فى قوله: وجدل الحبل شدَّة فتلة (((أى لفه على بعضه وتقاربه وتماسكه وجمع بعضه المتنافر لبعضه الآخر)))، ورجل مجـدول كأنـه فتـل ، والأجدل الصقر لأنه من أشد الطيور قوة . هذا قول الزجاج . وقال غيره : سميـت المخاصمة (جدالاً) لأن كل واحد من الخصمين يريد ميل صاحبه عما هو عليه وصرفه عن رأيه .

والمصباح المنير: وحَاجَّه فحَجّه من باب ردّ أي غَلَبَه بالحُجةَ (إذن المحاجة فيها مـشهد المغالبة والارتفاع والعلو على الخصم ، وكما قال الإمام البقـاعى: { حـاججتم } أي قصدتم مغالبة من يقصد الرد عليكم . (ولذلك تكتب بالألف – إلا مااستثنى-).. أمـا المجادلة ففيها مشهد جذب الخصم وضمه إليه – الجدل-(ولذلك كتبت بدون ألـف).. وأرى أن هذا المعنى هوالسبب فى رسم الأولى بالألف والثانية بدون الألف – والله أعلم)

وبقى لنا توضيح سبب حذف الألف من بعض مواقف المجادلة وهذا ما نسأل عنه كما قلنا ... وقد لاحظنا أن هذا الأمر يسير على نفس المنهج القرآنى وهو: أن المحاجة إذا

صاحبها (مشهد اللين والهدوء وضرب الأمثلة لجذب وإقناع الخصم) -كما حدث من إبراهيم فى الأنعام — هنا تكتب (بدون ألف) والعكس بالعكس.

ولذلك نجد هذه التفرقة واضحة – فى رسم الكلمة أيضاً– فى قوله : هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ ((فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ)) فَلِمَ تُحَاجُّونَ ((فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ)).. فالذى به علم يجر إلى الإقناع والجذب (فحذف الألف).. بخلاف المحاجة بجهل التى تؤدى إلى التنافر والإنكار(فوضع فيها الألف).

طاغون – طغين

(١)*﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣)﴾ الذاريات.

(٢)*الطور:﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢)﴾.

رسمت بالألف فى الآيتين، وملاحظة التوبيخ لهم وهم فى الدنيا وجبروقم ظاهر. بخلاف الآيات الآتية:

(٣)**الصافات:﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠)﴾.

(٤) **ص:﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ (٥٨) هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا ...﴾. هذا الحوار فى الآخرة.

(٥) **القلم:﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ (٣١)..﴾.

(٦)*النبأ:﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّٰغِينَ مَآبًا (٢٢).﴾. جملة خبرية عما سيحدث.

هنا فى هذه المواقف التى رسمت فيها الكلمة بدون ألف نلاحظ أنها حال ماضية ، وفيها التحسر والتندم على مافات ، وفيها (الشعور بالذل والإنكسار)،و يكون الحديث فى عرصات (يوم القيامة حساباً على ما فات) ، (لكل هذه المعانى حدث انكسار الألف وإخفائه لانكسار حالهم وغيبية الموقف – يوم القيامة–).

طاغون .. طـــغين

(١)﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) ﴾ الذاريات.

((إذن هو حكم الله عليهم النافذ والثابت الذى لايتغير ،والحكم على لسان رب العزة، وهو حكم عليهم فى الدنيا، وهو جملة إسمية من مبتدأ وخبر.لـــذلك وضـــع الألـــف وللأسباب التالية أيضاً:

حيث نلاحظ أن فى هذه الآيات

١ – إتهام الكفار للأنبياء ولنبينا محمد (ﷺ)بالسحر والجنون .. وقد تعودنـــا فى جميـــع القرآن أنه حينما يسب النبى (مثل: وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنـــون)

– نجد أن سياق الأيات بعدها يلتهب وتشتد وتعلوا النبرة للدفاع عن الحبيب (ﷺ).

٢ – ونلاحظ أيضاً أن الله تولى الرد عليهم وسجل الحكم عليهم وهم فى الدنيا. وهم فى عنفوان سلطانهم وطغيانهم .. بخلاف الحديث إذا كان معهم فى الآخرة فهـــم أذلاء حينئذ ،وقد ظهر عليهم الإستسلام والإنكسار...ودائماً رد الشبهات لهـــا المقدمـــة والأهمية الأولى (درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة). ونفس هذه المـــلا حظـــات نجدها فى الآية التالية من سورة الطور.

٣– ملاحظة أن "طاغون" مرفوعة– فى الإعراب – وبصيغة إسم الفاعل.

(٢) الطور:﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢)﴾ الطور.

أبوالسعود: .. الدالّ على أنَّ صدورَ تلكَ الكلمة الشنيعة عنْ كُلِّ واحدٍ منْهُم بمقتـــضى جبلَّته الخبيثة لا بموجب وصيةٍ منْ قبلهم بذلكَ منْ غـــيرِ أنْ يكـــونَ ذلـــكَ مُقْتـــضى طباعِهم...... ((هذا يعنى أن هذا الطغيان ليس طغياناً عابراً أو طارئاً على فطـــرتهم؛ نتيجة توصية لهم من آبائهم أو رؤسائهم ، ولكنه طغيان متأصل فى فطـــرتهم وثابـــت معهم منذ ولادتهم فهو ظاهر منهم بدون وصية من أحد))، وهذا معنى آخر يعطـــى سبباً وجيهاً لإثبات الألف فى الكلمة فى الآية السابقة أيضاً.

(٣) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)﴾

الصافات.. نلاحظ هنا :

** أن الحديث معهم فى الآخرة بعد زوال طغيانهم واستسلامهم ..بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦). ثم يساق بهم إلى الجحيم فيقال لهم : { مَا لَكُمْ لاَ تناصرون } يعني: لم ينصر بعضكم بعضاً ، ولا يدفع بعضكم عن بعض كما كنتم تفعلون في الدنيا

قوله عز وجل : { بَلْ هُمُ اليوم مُسْتَسْلِمُونَ } أي : خاضعون ذليلون

الخلاصة:

١- الموقف هنا موقف استسلام وانكسار وليس موقف تعالى وتكبر(كحالهم فى الدنيا).. حتى أن تكبرهم الذى كانوا عليه فى الدنيا لايساوى شيئاً بجانب مايرونه الآن من سلطان زبانية العذاب عليهم وهوانهم هم .

والحديث هنا بلفظ (بل كنتم).. و(إنا كنا) .. ولعل القارىء يتخيل حالهم وهم يقولون هذه الكلمة وهم فى هول يوم القيامة ويتخيل: هل ستعلوا نبرتهم بها أم تنخفض وتخفت ؟ .

٢- هنا وصف لحالهم – وفى الماضى – وليس بصيغة إسم الفاعل.

٣- ملاحظة النصب أو الجر فى الإعراب.– فليس بقوة الجملة الإسمية التى تدل على الدوام والثبات لهذه الصفة–. وهذا كله أيضاً ملاحظ فى الآيات التالية:

(١) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١)القلم .يَتَلَاوَمُونَ موقف استسلام أيضاً. قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩)﴾ . وقوله كنا .. وليس فيها وصفه بالإجرام وسب النبى (ﷺ)....وهو قولهم وحكمهم على أنفسهم وليس حكم الله عليهم....وهم يَتَلَاوَمُونَ (دليل الندم ، وأنهم أقل طغياناً).. والموقف منهم طغياناً سلبياً ، وليس فيه حرب أو جدال عنيف.... وكان طغيانهم السلبى هو (منع) حق المسكين فى الزكاة فقط[1]. (وهو تصرف وطغيان

---

(١)وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين ، فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي ، وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل ، وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب ، وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت ، فكان يجتمع لهم شيء كثير ، فلما مات قال بنوه : إن

سلبى، وليس بالإعتداء بالقول أو الفعل (أى تحرك وفعل إجرامى إيجابى)..ولذلك نجد أن الله حينما أهلك جنتهم قال ({ فَطَافَ عَلَيْهَا } بلاء أو هلاك { طَآئِفٌ }من ربـــك .. وكتبت (طائف) بالألف لأنها حركة تدمير إيجابية وفيها عنـــصر الظهورالـــدنيوى .. بخلاف كتابتها فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـــــئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١).. فهو طيف من الشيطان (وسوسة فقط).. حركة ســلبية .. لأنه ليس له سلطان عليهم – كما قال تعالى– وهى طيف وسوسة أيضاً فى الخفـــاء .. وأيضاً وسوسة ضعيفة.. ولذلك رسمت بدون ألف(طيف) ..كما رسمت (طـــغين) أيضاً بدون ألف لنفس الأسباب.

ولذلك يقول أبوالسعود: { إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِّنَ الشيطان } أدنى لَمّة منـــه ، علـــى أن تنوينَه للتحقير .. وقرىء طيفٌ على أنه مصدر ، أو تخفيفٌ من طيِّف من الـــواوي أو اليائي كهيّن وليّن ،.وهذا توجيه آخر لحذف الألف لتلك القراءة.((وإن كنت أرى أن قوله (على أن تنوينه للتحقير – أى طيفٌ من الشيطان) ليس بالصحيح علـــى إطلاقـــه وبدون تحقيق وتوضيح ، لأنه يمكن أن يقال ذلك التحقير على طائف الـــرب فى قولـــه (طائفٌ من ربك)..ولكننا نقول أن السياق هو الذى يحدد ، وخاصة أنه يقول قبلـــها : طاف (عليها) .. و(عليها) تعطى معنى الإستعلاء والتدمير والقوة المسيطرة. ....ولكننـــا نعود ونقول : ربما نأخذ من قول الإمام أبو السعود: أن التنوين "لطائف من الشيطان" هو للتحقير ، نقول أنه أيضاً يمكن أن يكون للتحقير أيضاً فى (لطائف من ربك)، ولكن على معنى بلاغى آخر وهو: أن أحقر وأقل طائف من ربك قد أتى بهذا التدمير لهـــذه الجنـــة (فأصبحت كالصريم فى لحظة) فما بالك بالطائف القوى لو جاءهم من ربك ؟.. وهـــذا مثل قولنا فى تنكير قوله تعالى (ورضونٌ من الله أكبر) وقلنا وقتها أن التنكير هنـــا يفيـــد التقليل أيضاً :أى أن أقل شأن من رضوان الله أعظم من الجنة وما فيهـــا ، فمـــا بالـــك بالرضوان الكامل من الله؟!.

(٢)﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَــذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ

فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال ، فحلفوا ليصرمنها مصبحين في الـسدف خفيـة عـن المساكين ، ولم يستثنوا في يمينهم ، فأحرق الله جنتهم.

صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١). إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤)﴾ ص

واضح أن الموقف يحكى تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ.. وهم قد زال طغيانهم وظهر انكسارهم.. ويحكى وصفهم بالطغيان فى الماضى.. وهو إسم وليس فعل .

(٣) ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨)﴾ النبأ.. وهكذا الحديث فى الآخرة.

(٤) ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) ﴾

{بالطاغية} بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة . واختلف فيها ، فقيل : الرجفة . . . وقيل : الباردة من الصر ، كأنها التي كرر فيها البرد وكثر : فهي تحرق لشدة بردها (لاحظ تكرار الحروف (صر صر) مع تكرار المعنى المراد فى الكلمة مع وجود حرف الألف).

(وهنا الحديث حديث هلاك مادى فى الدنيا (مثل طائف وطيف) .. وأنه ذكر الإسم .

عَـٰلِيَهُمْ

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) ﴾ الإنسان.

الطبرى: وقد اختلف أهل القراءة في قراءة ذلك فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة وبعض قرّاء مكة(عَالِيهُمْ) بتسكين الياء. وكان عاصم وأبو عمرو وابن كثير يقرءونه بفتح الياء، فمن فتحها جعل قوله (عالِيَهُمْ) اسما مرافعا للثياب، مثل قول القائل: ظاهرهم ثياب سندس. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وهنا ملحظ يشير إليه الإمام البقاعى حيث يقول: { عَـٰلِيَهُمْ } أي حال كون الخادم والمخدوم يعلو أجسامهم (على سبيل الدوام) ((وأرى أن رسم الكلمة (عَـٰلِيَهُمْ) بدون ألف لتفيد هذا الدوام والاتصال وعدم الانقطاع (من وصل الكلمة وحذف الألف الفارقة)، وبذلك أضاف معنى آخر إلى المعنى المتعارف عليه (أنه فوقهم فقط) واشار إلى

معنى الدوام أيضاً.. واختلاف الرسم كأنه يشير إلى التوقف لفهم هذا المعنى. فهى ليست عليهم ولكنها (عاليهم) وعدم إظهار الألف يعطى المعنيين معاً.)).

*** ثم كلمة (ثياب) مفردة ومضافة (ثيابهم ثيابهن) كلها بالألف... وأيضاً لباس بالألف مفردة ومضافة يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا ..... ولكن (سَوْءَ تِهِمَا) رسمت بإخفاء الألف لخفاء العورة أو لما يجب أن نفعله فى إخفاء العورة.

❁❁❁❁❁❁❁❁

أَمْثَالُكُمْ - أَمْثَلُكُم

نلاحظ أنه إذا كانت المثلية فى نفس الذات الآدمية ، وربما أيضاً يكون هذا التغيير بكيفية غيبية – كما يحدث فى يوم القيامة أوبوعد من الله بتبديل أمثالنا – هنا تكتب (أَمْثَلُكُم) بدون ألف رامزة لهذا التطابق والتجانس.. وإن كانت المثلية فى غير هذا الأصل (أى: الآدمية) فتكتب بالألف رامزة لهذا الفارق الهام (أمثالكم) هكذا:

(١) ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ . أى: مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم.. وهذه هى المثلية ...فهى ليست مثلية فى الآدمية والذات، بل هى مفارقة فى ذلك ، ولكنها مثلية فى التنظيم فقط .. ((ولذلك كتب بالألف))..... وأيضاً فى قوله:

(٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (أى الأصنام) عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) ﴾ الاعراف .. يقول أبو السعود: { عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ } أي مماثلةٌ لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث أنها مملوكةٌ لله عز وجل مسخَّرةٌ لأمره عاجزة عن النفع والضرر (أصنام). وقوله تعالى : { أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا } الخ .. كأنه قيل : ألهم هذه الآلاتُ التي بها تتحقق الاستجابةُ حتى يمكن استجابتُهم لكم؟((إذن المثلية هنا مختلفة عن الآدمية الحية).

(٣)﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم (٣٨) ﴾ محمد...والمعنى: يخلق قوماً (بشراً آدميين مطابقين لنا فى المثلية) سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى ، غير متولين عنهما ،(وهنا الكيفية والحالة مجهولة ولكنها مشابهة لهم فى الأصل وهو الآدمية).

(٤) ﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الواقعة . أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق — أى الخلق الآدمى — وعلى أن (ننشأكم) في خلق لا تعلموها وما عهدتم بمثلها — أى كيفية مجهولة —، يعني : أنا نقدر على الأمرين جميعاً : **على خلق ما يماثلكم ، ربما لا يماثلكم**؛ فكيف نعجز عن إعادتكم . ويجوز أن يكون { أمثالكم } جمع مثل ، أي : على أن نبدّل ونغير **صفاتكم التي (أنتم) عليها في خلقكم وأخلاقكم ، وننشئكم في صفات لا تعلموها .(فهي في هذا الرأى أيضاً يبدل نفس الذات الآدمية لنفس الشخص ولكن بصفات أخرى) لذلك كتبت بدون ألف.**

(٥) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٣﴾ ﴾ محمد. يقول المفسرون ومنهم الزمخشري:أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم (يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ..). فإن قلت : أين ضرب الأمثال؟ قلت : في أن جعل اتباع **الباطل** مثلاً لعمل الكفار ، واتباع **الحق** مثلاً لعمل المؤمنين **(أى المثلية هنا مثلية معنوية وليست شكلية مادية)**. أو في أن جعل **الإضلال مثلاً لخيبة الكفار ، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين . .. وهي اتباع المؤمنين الحق وفوزهم وفلاحهم ، واتباع الكافرين الباطل وخيبتهم وخسرانهم ،**

إذن هى أمثال معنوية وليست جسدية .(ولذلك كتبت بدون ألف).

ولاحظ:. كَذَلِكَ يضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ (٣).. فهو سبحانه يضرب (للناس) أمثالهم وليس يضرب (لنا) أمثالهم .. فهو خطاب عن الغيبة وليس الحضور والمواجهة.. راجع (كلاً ضربنا (له) الأمثل).

(٦) ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الإنسان { وَإِذَا شِئْنَا } أهلكناهم و { بَدَّلْنآ أمثالهم } في شدّة الأسر — والمقصود أمثال آدمية — يعني : **النشأة الأخرى** — أى لنفس ذواقم —. وقيل : معناه : **بدلنا غيرهم ممن يطيع** — ولكنهم آدميين أمثالهم —. { نَّحْنُ خلقناهم } لا غيرُنا { وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ } أي أحكمنا ربطَ مفاصلهم بالأعصاب . { وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أمثالهم } بعدَ إهلاكِهم { تَبْديلاً } بديعاً لا ريبَ فيهِ هو البعثُ — **أى إعادة لذواقم هم** — .

الخلاصة : إذا كانت الأمثال المضافة (أمثالهم ، أمثالكم) مطابقة للذات الآدمية ، أو هى نفس الذات الآدمية ، أو أمثال معنوية للهدى والضلال والإيمان والكفر للإعتبار .. فإنه يحذف منها الألف....... والعكس إذا كانت الأمثال مخالفة للآدمية أو أمثال مادية تكتب فيها الألف)).

وبقى آيتان هما:

(١) ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠).﴾ . هنا يقصد عملية (التضاعف) والتضاعف فى المثلية وليست مثلية واحدة ، ومنهج الرسم القرآنى فى التضاعف والتكرار هو وضع الألف.

(٢) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)﴾ ليس للتضاعف والتكرار ولكنها هنا مثلية واحدة ، والمثلية ليست فى الشكل ولكنها (فى العاقبة)، فأمثالها لايقصد بها المثلية الشكلية المطابقة مطابقة كاملة (كأن يكون نفس نوع التدمير بخسف الأرض مثلاً أو غير ذلك مما حدث بنفس الصورة للأمم السابقة) ولكن عذابهم سيأتى بصورة أو بأخرى ربما بغير هذه المثلية المطابقة مطابقة كاملة ، بل هو يشير إلى أنه ستصيبهم نفس (العاقبة) من التعذيب ولايشترط نفس الصورة المادية للعقاب.. إذن الحديث ليس عن صورة العقاب المادية ولكنه عن (العاقبة) أياً كانت.. (وللكافرين أمثلها) أى أمثال العاقبة أما الصورة الشكلية فلا يقصدها هنا.

الأمثال... الأمثل

(١) ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) ﴾ الرعد.

(٢) ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ﴾ .ابراهيم.

(٣) ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥)﴾ { كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ } من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد.. { وَضَرَبْنَا (لَكُمُ) الأمثال } كأنه يقول : أظهرناها لكم وأعلمناكم بها -أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم- فأظهر الألف ، بخلاف قوله تعالى (ضربنا لهم الأمثال) ففيها الغيب عنا ، وأن الإظهار كان لهم هم (فحذف الألف لنا).. وهذا جارى على نسق الحديث

عن الحاضر والحديث عن الغيبة كما ذكرنا فى مثال(وظللنا عليكم الغمام) كتب الغمام بالألف مع الخطاب المباشر ، ولكن حينما كان الخطاب بلفظ الغيبة غيب الألف (وظللنا عليهم الغمـــــم) حذف منها الألف. وهكذا الكثير مما سنراه فى رحلتنا هذه.(فروح وريحان وجنت نعيم .. (فتح التاء — وجنت– لأن الخطاب فى بداية الآيات للمؤمنين (أصحاب الجنة) وبعدها قال: وأما إن كان من أصحب الجحيم فــنزل مـــن حمـــيم (وتصلية) جحيم .. وقال (تصلية) بالتاء المغلقة لأن الخطاب فى بداية الآيات كما قلنا خطاب مباشر للمؤمنين ويحكى لهم عن الكافرين بطريق الغيبة فأغلقت تاء (تــصلية جحيم.).

(٤)﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْــأَرْضِ شَــيْئًا وَلَــا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَــا تَعْلَمُــونَ (٧٤) ﴾ النحــل..

الألوسى: فكأنه قيل : فلا تجعلوا لله تعالى الأمثال والاكفاء ، فالآية كقوله تعالى : { فَلاَ تَجْعَلُواْ للَّهِ أَندَاداً } [البقــرة : ٢٢] ، وفي لفظ { الامثال } لمن لا مثال له أصلاً(الله) نعى عظيم عليهم بسوء فعلهم . (وأقول: هنا كان لابد من وجود الألف الفارقة بين الخالق والمخلوق والحسم فى ذلك) .

(٥)﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَــسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) ﴾ .

كل هذه الأمثلة الخمسة بالألف وهى أمثلة (جزئية) وليست كلية فوضع الألف.

(٦) ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور. يكفى أن نقول أن الأمثال هنا مثل لنور الله الذى لاتدركه العقول ولاتمثله الأمثال وهو غيبى ملكوتى والمثل له الجلال والهيبــة ولهذا كتب بغير الألف.

(٧)﴿ وَقَالُوا مَال هذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (١٠) ﴾الزمخشري: { ضَرَبُواْ لَكَ الامثال } أي: قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة. من نبوّة مشتركة بين إنسان وملك. (وفى هذه الآية ورد اختلاف فى الرسم فى المصاحف حيث كتبت على الهيئتين (الأمثال ، الأمثل) لأن هذه الأمثال متنوعة بين المعنوى (النبوة والملائكية والأساطير) وبين المادى (يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويكون له كنز ..).

(٨)﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ الفرقان .

(يقول: كلاً ضربنا (له) ، ولم يقل ضربنا (لكم) أمثالهم، إذن هو يحكى حالهم (حديث الغيبة وليس الحضور والمواجهة فغيب الألف) وأن الله ضرب لهم – هم – أمثالهم فى الغيب السحيق الذى لم نر منه هذه الأمثال فهى لم تضرب لنا.. وقارنها بقوله: قال تعالى : { وسَكَنْتُم في مَساكِنِ الذين ظَلَموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعَلْنا بهم وضربنا (لكم) الأمثال }[إبراهيم : ٤٥] .

(٩)﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤).﴾ .

(يكفى قوله تعالى : وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ.. فهى أمثلة من ناحية المعقولية والتفكر وهى أمثلة تدعو العلماء للتعقل فيها والتدبر، وليس النظر إلى ظاهرها والوقوف عنده). ويقول الطاهر:

{ وما يعقلها إلا العالمون } . والعقل هنا بمعنى الفهم ، أي لا يفهم مغزاها إلا الذين كمُلت عقولهم فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام .

(١٠)﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ الحشر (**هذا المثال هو عن حالة غيبية غير مشاهدة أو معلومة كيفيتها – خشوع الجبال وتصدعها من سماع القرآن–، وأيضاً قوله: "لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" مثل قوله فى الآية الأخرى: وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**).

(١١)﴿ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ الواقعة.. أي في (الصفاء)، وقيد بالمكنون أي (المستور) بما يحفظه لأنه أصفى وأبعد من التغير، وفي الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذي لا تمسه الأيدي، ووصف الحسنات بذلك شائع في العرب ،(**فالمثال ليس فى الصورة الشكلية الظاهرية بل فى الصفة التى وراء ذلك من النقاءوالصفاء والعفة العفاف**).

الْأَحْبَار وَالرُّهْبَان

(١)﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾ .

((الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَان معرف بالألف واللام وغير مضافة – أى: لم يقل رهبانهم – وهكذا فى الآية التالية (غير مضافة) فوضع فيها الألف:

(٢) ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)﴾ **المائدة.**

بخلاف الآيات الآتية التى تتحدث عنهم بصفة الإضافة (لقومهم) وهنا سيكون التركيز ليس على ذواتهم فقط ولكن سيكون على الأثر منهم فى اتباعهم ، وتأثيرهم فى هؤلاء الأتباع ، ولذلك سنجد الأمر يختلف بين الأحبار والرهبان فى وضع الألف وإزالته هكذا:

(٣)﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴿٣١﴾﴾ **التوبة.. هنا الإضافة لقومهم التى تفيد خصوصية القيادة والقدوة لهم ، ومن هنا كان لابد من الوقوف على تأثير كلٍ من الفريقين فى أقوامهم ، والقيام بوصف كلٍ منهم فى هذه الحالة ، فكما نعلم أن الأحبار هم العلماء (ودائماً دورهم حركى وإيجابى فى التعليم والتدريب ، وهو دور محسوس ومادى وملموس – فرسمت بالألف لتشير إلى كل هذه**

المعانى–) وذلك بخلاف الرهبان (فهى حالة انعزال –أى: حالة سلبية وليست عمليه حركية من تعليم وتدريب وغيرها – وكأنها تشير إلى التأثير السلبى أيضاً لهم – وهى فوق ذلك قيادة (روحية) صرفة وليست مادية– ومن أجل كل هذه المعانى كتبت بدون ألف (رُهْبَـٰنَهُم) لتقوم – عن طريق الرسم المعجز – بالإشارة إلى هذه المعانى.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ .. (٢٧) ﴾ الحديد.. وكتبت هنا بالألف لأنها (إسم) وليست صفة لأصحابها كما رأينا فى (رهبـــــنهم).

أعناب ... أعنـــــب

(١)﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦) ﴾ البقرة.

فى هذه الآية نلاحظ:

(١) المبالغة فى وصف مفردات الجنة (وهى الحديقة).

(٢) تعمد إظهار هذه المفردات وبيان صورها وقيمتها لتظهر صورة الحسرة والحسر الشديد عند ضياعها منه وهو فى أشد الحاجة إليها – وهو يتطلع إلي ثمرها بشدة - فكان لابد من إظهار الألف (أعناب) ليقوم بهذا الدور من الظهور والإبراز ، وتتعانق الصورة المرادة مع الرسم المعجز (إبراز ومبالغة فى المعنى مع إبراز ومبالغة فى الرسم.. وفى حالات أخرى – إخفاء مع إخفاء).

ونلاحظ فى الوصف الذى صوَّرته الآيات: وقد أصابه الكبر ، وهو ينظر ويتطلع إلى الثمر (الأعناب) ويقول عنه النص: وله ذرية ضعفاء (ولم يقل ذرية ضعيفة –كما يتوقع فى غير النص القرآنى–) ليرسم صورة المبالغة الشديدة لحال ذريته – المعلقة بـــه – فى الضعف والإحتياج .. فهى ذرية ضعيفة فى المال وضعيفة فى القوة وضعيفة فى الفكر و..و..ولذلك قال:(ضعفاء).

(٢) الآية الثانية ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) ﴾ الأنعام.

هنا نلاحظ: التركيز على (قدرة الله) فى إخراج الثمرات التى تكـــاد تكـــون (مُـشْتَبِهًا) يصعب التمييز بين صورها وأشكالها ، ولذلك قال : **(مُشْتَبِهًا) وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ولم يقــل**

(متشابه) وغير متشابه – كما فى الآية الأخرى – فهنا صورة القدرة التى تجعلك تـنتبه فى هذه الأصناف ولاتقوم بتمييزها إلا فى غاية الصعوبة – وهذا دليل القدرة لهذه اليد التى استطاعت أن تلبس عليك هذا الشبه ، بخلاف قوله (متشابه) فى الآية الأخرى التى تتشابه فقط فى بعض الصفات ولكن لايصعب فيها التمييز . وقد جعلـت فى مقـام التـصدق والتحليل والتحـريم﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾.

أما الملاحظة الثانية هي: التفصيل الملاحظ .. حيث يقول:﴿ فَأَخْرَجْنَا به نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾... ولا يكتفى بذلك بل يقوم بالتفصيل لهذا الإجمال فيقول: فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خضرًا.. وبعدها تفصيل آخر: ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مشتبها﴾ وتقديره : والزيتون متـشابهاً وغـير متـشابه ، والرمّان كذلك ؛ فهو تفصيل فوق تفصيل.

والملاحظة الثالثة هي: أنه بعد هذا الاستعراض (للقوة) ، والتفصيل الواضح ، يقـول بعدها : ((انْظُرُوا)) إِلَى (ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) (وَيَنْعِهِ) فهو يدعوك إلى النظر فى هذا الثمـر المفصل والمبرز أمام الأعين .. فلابد من إظهار هذا الذى يطالبك بالنظر إليه فوضع فبـه الألف(ولاحظ النظر إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، وليس الثمر فقط) كما يقـول المفـسرون: استدلال على قدرة مقدّره ومدبره وناقله من حال إلى حال.. فهو إبراز لكـل الثمـار والوقوف على كل احوالها وأطوارها.

(٤) والملاحظة الرابعة: أنه بعدها يقول تعالى : إِنَّ فِي (ذَلِكُمْ).. بصيغة الجمع و لم يقل (ذلك) ..لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ (يُؤْمِنُونَ) ...ولم يقل لقوم يتفكرون أو يتذكرون ((فكان غايـة التناسب والتناسق مع كل هذه الملاحظات هو إبراز الألف المبرزة والمركزة والمفـصلة حتى فى رسم الكلمة).

ومن هنا نلاحظ أنه :

١ – حين إظهار واستعراض القوة ، أو التفصيل والتركيز والمبالغة والمطالبة بـالوقوف والنظر .. هنا يتم إظهار الألف (إظهار وتفصيل وتركيز ومبالغة مع إظهار وتفـصيل وتركيز ومبالغة فى رسم الكلمة).. مع ملاحظة أن الآيات قبلها تستعرض فيها القـوة أيضاً، وخاصة من بداية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

وَمُخْرِجُ الْمَيِّت مِنَ الْحَيِّ ذَلكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)﴾.

٢- وعكس ذلك حين تكون الدعوة للتفكر والتأمل والتدبر .وليس فيها التركيز والمبالغة. ومصحوبة بالهدوء ..هنا يتم إخفاء الألف .. كما فى الآيات التالية:

(٣): المؤمنون.﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.(راجع وقارن بآية الأنعام السابقة لترى الفارق وتعلم السبب).

والآيات التالية أيضاً فيها تعميم – وليس فيها تخصيص أوتفصيل – والهدف هو وصف الجنة وصفاً إجمالياً دون تفصيل أو تخصيص أو مبالغة أو إبراز أو دعوة للنظر للإيمان أو استعراض القوة)) ولاحظ الفاصلة فى الآيات(أفلا يشكرون، لقوم يعقلون، لِقَوْمٍ يَتفكَّرُونَ) هكذا:

(٤)﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ يس.

(٥)﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾الرعد.

(٦)﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الكهف.

(٧)﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ النحل.

(٨)﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ النحل.

(٩)﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾

النبأ . ناهيك عن انطباق الأوصاف التي عددناها سابقاً، وأن تضيف فوقها أنها أعناب فى الجنة تأخذ الصورة الغيبية والملكوتية ...والكواعب : اللاتي فلكت ثديهن ، وهن النواهد

((ولهذا المعنى وضع الألف فيهالمشهد الارتفاع)) . . والأتـراب اللـدات : والـدهاق : المترعة. وأدهق الحوض : ملأه حتى قال قطني .(((ولهذا المعنى وضع فيها الألف أيضاً)

ظلال

(١)﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يس.. ويقول المفسرون: وقرىء : «في ظلل».....وقرىء متكين بـلا همزة نصباً على الحال.... والفاكه والفكه : المتنعم والمتلذذ : ومنه الفاكهة؛ لأنها مما يتلذذ به (وهي صفات معنوية ولذلك كتبت بدون الألف). وكذلك الفكاهة ، وهي المزاحة . وقرىء فكهون للمبالغة وفكُهون بضمِّ الكاف وهي لغةٌ كنطُس وفاكهينَ وفكهينَ على الحالِ من المستكنِّ في الظَّرف.

وهنا نجد أن الرسم يراعى أيضاً الإشارة إلى جذور الكلمة..

(٢) المرسلات.﴿ . إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ الألوسى:وقراءة الأعمـش في (ظلل) جمع ظلة .

(٣) ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾ الرعد.

(٤)﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴿٨١﴾ ﴾النحل.

(٥)﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ النحل.

(٦)﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾الانسان

إذن جميعها بدون ألف وقرئت (ظلل) ومثلها (فكهين ، فوكه ، فكهـة) ومثلـها: تجـرة ، الإنسـن، متـع (كل هذه الصور إسم جمع ليس له مفرد) ،بخلاف (مغانم) مثلاً.

يستأخرون... يَسْتَئخِرُونَ

(١)﴿ وَيَجْعَلُونَ لله الْبَنَات سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَـلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُـونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ
وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٢) ﴾ النحل.

(٢)﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)﴾ .

(٣)﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (٤٦) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢)﴾ .

(٤)﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ﴾.

الحديث فى الآيات السابقة فى سياقها كما رأينا عن أمة واحدة هى الأمم الكافرة – و لم يدخل فيها الأمة المؤمنة – فهى أمم واحدة متشابهة ليس بينها اختلاف، ولذلك كتبت بدون الألف لتوحى هذا التواصل والانسجام والعجينة الواحدة ، **بخلاف الحديث فى آية الأعراف التالية كتبت (يستأخرون) بالألف الفاصلة:**

(١) ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٣١) قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٣٢) قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ

لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ هنا الحديث والأوامر والنواهي والتحذيرات – حول الآية – للصنفين (المؤمن) و(الكافر) ، وفيه تذكير للطرفين معاً بالموت ولقاء الله ، فهو يقول للمؤمنين (خذوا زينتكم ..وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، ويعلن لهم تحريم الفواحش ...وهكذا باقى الآيات خطاب للمؤمن).. ويذكرهم – الطرفين – المؤمن والكافر – بالأجل الذى لابد منه وهو الموت ..والحديث لبنى آدم (أيضاً) من الصنفين (يا بنى آدم..).. إذن الإنذار هنا للطرفين .. ولذلك كتبت بالألف الفارقة لوجود الصنفين فيها ولهذا التنبيه الذى لابد منه، وأنهما لايستويان ولا يندمجان، وللعلم والإحاطة بأنهما فريقان فى داخل الكلمة ، وذلك بخلاف باقى الآيات السابقة التى تخاطب فريقاً واحداً..

(ومن العجيب حقاً – والقرآن لاتنقضى عجائبه – أنه لم يحدث فى سورة الأعراف فصل بين الفريقين (المسلم وغير المسلم) وكتبت الكلمة بالألف(لا يستأخرون) وسورة الأعراف تصور معركة الأنبياء على الأرض ، والعجيب أنه فى أول السورة – وفى حديث الملأ الأعلى – لم يحدث فصل أيضاً بين إبليس والملائكة فى صورة الخطاب الموجه إليهما من الله حيث قال (إلا إبليس لم يكن من الساجدين) ، بخلاف سورة الحجر فقد تم الفصل فيها بين عنصرى آدم فى الخلق (صلصال من حمأ مسنون) ومعها قام بالفصل بين إبليس والملائكة فى الملأ الأعلى فقال (إلا إبليس لم يكن (مع) الساجدين).. راجع بحث الكتاب والقرآن والتطبيق العملى مع سورة الحجر .. لترى وتعيش هذا التناسق المبهر.

فما أروع وما أبهر هذا الإعجاز .

سراجا..سِرَٰجًا

(١) ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾الفرقان.

ويقول المفسرون: وقرىء : «سرجا»– على الجمع – وهي الشمس والكواكب الكبار معها (وهذا من الإشارات بالاعجاز العلمى فى الآية، حيث أن الآية تشير إلى ما تعارف عليه العلم الآن من أن الشمس والنجوم هى من نوع واحد – سرج – وهى التى تعطى

الضوء فهى شموس أو هى سرج أو هى جميعها نجوم .. إذن هناك سرج كثيرة وليس سراجاً واحداً هو الشمس.وربما يقصد هنا كوهم للزينة أيضاً .ونلاحظ أنه لم يذكر ويحدد قبلها الشمس أو أتى بوصف الشمس (وهاجا)- أى لم يقل: سراجاً وهاجاً- الذى يعطى صفات التحديد والتخصيص وأصبحت الآية للعموم، ولم يذكر هنا رسول الله ، بخلاف الآيات التالية:

(٢) ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)﴾ نوح.

(٣) ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)﴾ النبأ.

(٤) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦)﴾ .

هذه الأيات بمعنى المفرد وتفيد التخصيص – الشمس (بإسمها أو صفتها) أو رسول الله محمد (ﷺ)كما قلنا – فوضع فيها الألف .

قَادِرٌ...... لَقَدِرُونَ

(١) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ المؤمنون.

(٢) ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾المؤمنون.

(٣) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ المعارج.

((يمكن أن نقول أن الجمع هنا جمع مذكر سالم يحذف منه الألف – كما تعودنا – للتخفيف ولكثرة الاستعمال – إلا ما استثنى لحكم بليغة فى مواطن أخرى-.)) ولكن الحديث هنا سيكون عن اللفظ المفرد (قادر) بالألف وغير الألف هكذا:

(١) ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) ﴾ الأنعام.

(٢) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠) ﴾ الأسراء.. لاحظ هنا: جو الإمهال لهم والرحمة بهم فى نهاية الآيات (وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ ... قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي.). مما يستدعى مشهد عدم العجلة أو الإسراع الذى يمثله حذف الألف ؛ ولذلك كتبت الكلمة هنا بالألف.

(٣)الأحقاف ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ **نلاحظ هنا إضافة وَلَمْ يَعْيَ بخَلْقهنَّ** .. وفيها صورة الجملة الفعلية (يَعيَ) مما يرجّح القراءة الأخرى بالصورة الفعلية (يقدر) – بصيغة الفعل المضارع– بدل (بقادر) . وهذا من باب التجانس المحبب ، والذى يجعلنا قريبى الفهم لرسم كلمة (بقادر) بدون ألف لتناسب القراءتين هنا فى هذه الآية (أى **القراءة على: إسم الفاعل – بقادر –، أوالفعل – يقدر–**) ويؤيد ذلك وجود الفعل السابق (و لم يعى) . بخلاف الآية السابقة فى سورة الإسراء التى لم يسبقها فعل (مثل: يعى).

مع ملاحظة ختام الآية هنا بقوله تعالى ﴿:وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ . بخلاف آية الإسراء ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا.﴾ .

ففى الآية الأولى– الأحقاف– صورة (إحياء موتى والرد التعنيفى السريع عليهم بقوله (بلى)).. وفى الثانية – الإسراء– صورة الخلق: "يخلق مثلهم" – وهى أهدأ نبرة من (إحياء الموتى) ولذلك لم يقل بعدها (بلى) بل قال: وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ.**(فيه صورة الإمهال)**. ثم الإشارة لهم على خزائن (رحمة) الله المفتوحة وأنه بيده هذه الخزائن يشير بها إليهم تحبيباً لهم وليس تهديداً كما فى سورة الأحقاف .

بل إن جو السورتين يختلف ؛ فجو سورة الإسراء الهدوء والمجادلة (فوضع الألف) و.. وآخرها السجود والخشوع من العلماء الأتقياء (يخرون للأذقان سجداً .....ويبكون ....) وجو سورة الأحقاف عاصف بالتهديد والتدمير **(تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم .. ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) ﴾.... ثم يذكر بعد هذه الآيات تهديد لهم بمصيرهم فى جهنم ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤)﴾ ... ونهاية السورة بلاغ سريع :﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)﴾ هو بلاغ سريع .**

فهو جو سرعة وليس إمهال (وهذا سبب وملحظ آخر مكمل لملحظ القراءات وهو الذى نراه أهم وأوضح) **لكتبت الأحقاف :بِقَادِرٍ بدون ألف ، والإسراء (قَادِرٌ) بالألف.**

ومن هنا نجد اختلاف مضمون الآيتين – بل السورتين – مع اختلاف الرسمين .. وهذا نوع من أنواع الإعجاز لم تألفه أى لغة فى الكون إلا لغة القرآن الكريم ؛ الوحى المعجز.

وهنا نقف مع أقوال المفسرين لتوضيح هذا الرسم المتجاوب مع وجوه القراءات ؛ بل والمرجح والموجِّه لها فى هذه السورة وسورة الإسراء السابقة:

ويضيف الألوسى إضافة أخرى – فى آية الأحقاف– وهى: .. وقرأ الجحدري . وزيد بن علي . وعمرو بن عبيد . وعيسى . والأعرج بخلاف عنه ويعقوب { يُقَدِّرُ } بدل { بِقَادِرٍ } بصيغة المضارع الدال على الاستمرار وهذه القراءة على ما قيل موافقة أيضاً للرسم العثماني.

ويشير الطاهر إشارات جميلة تعتبر بمثابة لفت الأنظار إلى جمال النص القرآنى بمعناه ورسمه حيث يفرق بين (العى) و(الإعياء) وهذا المثال يؤكد صدق مانسير عليه من القواعد التى ذكرناها فى الرسم القرآنى فيقول: وكثير من أيمة اللغة يرون أن (العِيّ) – و م يعى بخلقهن– يطلق على التعب وعن عجز الرأي وعجز الحيلة . وعن الكسائي والأصمعي : العِيُّ خاص بالعجز في الحيلة والرأي . وأما (الإعياء) فهو التعب من المشي ونحوه ، وفعله أعيا ، وهذا ما درج عليه الراغب وصاحب «القاموس» .((وهذا الرأى اللغوى نسوقه للقارئ لنبين له مدى الحس اللغوى لهذه اللغة الشاعرة التى وظفها القرآن خير توظيف وتحداهم بها ، وملخص ما نقله الإمام الطاهر هو:أن (العىِّ) يطلق على التعب وعن عجز الرأي وعجز الحيلة (وفيها الملحظ المعنوى أو الفكرى وليس المادى) ولكن (الإعياء) يطلق على التعب من المشي ونحوه (وهو ملحظ مادى وليس فكرى أو معنوى) ، ولاحظ هنا الظهور الواضح فى حروف الكلمات – وحرف الألف بصفة خاصة – فى الأمور المادية ، وعكس ذلك فى الأمور المعنوية أو الفكرية (العىِّ) ، ولتعلم أن قواعد وإشارات رسم المصحف ليست بدعاً عما تعارف عليه أهل هذه اللغة الشاعرة ، بل إنه ينسجم معها ومع نواحى الإعجاز الأخرى أفضل وأتم انسجام.

(٣) ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨١) ﴾ يس

لاحظ الرد بحرف الإنكار (بلى) فى السورتين التى حذف منها الألف (بِقَٰدِرٍ) . أيضاً وجود قراءتين ، ولاحظ قوله (أوليس ، أليس ، وصيغة الفعل بعدها). يقول أبو السعود:

وقُرِىء يقدرُ.. ويقول الألوسى: ويعقوب في رواية { يُقَدّرُ } بفتح الياء وسكون القاف فعلاً مضارعاً.

(٤) ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾القيامة. الألوسى: وقرأ زيد ((يقدر)) مضارعاً { على أن يُحْيِيَ الموتى } .

إذن تعدد القراءات ، وصورة الفعل فى السياق ، وراء هذا الرسم.

نسارع .. ويسارعون

**﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ ﴿٥٦﴾ ﴾المؤمنون.

قرئت: ويسارع ، ويسرع ، بالياء (المتحدث هو الله وبصيغة الجمع للتعظيم)

**﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ << ﴿١٧٦﴾ ﴾ آل عمران.

**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ... ﴿٤١﴾ ﴾المائدة.

**﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ .... ﴿٥٢﴾ ﴾ (المائدة).

**﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ ﴿٦٢﴾ ﴾ المائدة.

**﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنبياء).

**﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ المؤمنون .

نلاحظ: نسارع (لهم) هى الوحيدة التى كتبت بالألف مع قوله (لهم) ، ويلاحظ أيضاً المتحدث فيها هو (الله) بلفظ الجمع للتعظيم والتفخيم ... وأيضاً فى آية : وسارعوا إلى مغفرة (كتبت بالألف لوجود حرف(إلى). ..ولكن (يُسَرِعُون فى) ..(ويُسرِعُون فيهم.) كتبت بدون ألف مع وجود حرف الظرفية (فى) الذى يحويهم فى الداخل بخلاف (إلى) الذى يوحى بالبعد والسفر إليه .. وأرجو من القارىء أن يتخيل المشهدين فى ذهنه ومخيلته ويتذوق الفرق بين (إلى) و(فى). مع تعدد القراءات مثل قولهم: وقرىء : «يسرعون في الخيرات».

وهناك توضيح يقرب هذا المعنى يقوله المفسرون فى قوله (يسارعون فيهم) وهو: ولتضمن المسارعة معنى (الوقوع) تعدت ب(في) ، دون (إلى) الشائع تعديتها بها، كما في { سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ } [آل عمران : ١٣٣] وغيره ، وأوثر ذلك (في) قيل :

للإشعار باستقرارهم في الكفر ، ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها ، كما في قوله سبحانه : { يسارعون في الخيرات } [الأنبياء : ٩٠] في حق المؤمنين .

وأما إيثار كلمة (إلى) في آيتها – وسارعو إلى مغفرة ..– فلأن المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها .

ملاحظات: سراعا ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤). ﴾ ... ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣). ﴾ . **واضح هنا صورة الفعل نفسه والحركة والحال فوضع الألف.**

سلطـــن

جميعها وردت بدون ألف وكلها بمعنى الحجة والدليل ، أو السلطان على العقل والفكر وليس بمعنى سلطان التاج والعرش ، وسنقف فقط على بعض الآيات التي ربما يحدث للقارىء منها لبس حول هذا المفهوم.

(١) ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ (٧١) ﴾. **الأعراف.....** ومثلها آية (٤٠) **يوسف..** ويقول الألوسى: أي حجة ودليل.

(٢) ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) ﴾ **يونس.**

(٣) ﴿ * وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي.... (٢٢) ﴾ **ابـــراهيم الألوسى:** أي تسلط أو حجة تدل على صدقي.

(4) ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (٤٢) ﴾ **الحجر. الألوسى:** أي تسلط وتصرف بالاغواء.

(٥) ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾ **النحل.** ويقول **الزمخشرى:** أي تسلط وولاية على أولياء الله، يعني : أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته..الألوســى: أي تسلط وقدرة على إغوائهم.

(٦) ..**وكذلك آية (٢١)سبأ.**

(٧) ﴿ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا (٧١)﴾ .

(٨) ﴿*** *مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) ﴾ الصافات الألوسي أي من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم.

(٩) ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) ﴾ الصافات الألوسي ألكم حجة واضحة نزلت من السماء بأن الملائكة بناته.

(١٠)﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ (٣٥) ﴾غافر.. وقوله سبحانه: "أتاهم" رسمت{ اتيهمْ }((لأنها قرئت بالإمالة)) صفة { سلطان } والمراد باتيانه اتيانه من جهته سبحانه وتعالى، أما على أيدي الرسل عليهم السلام فيكون ذاك إشارة إلى الدليل النقلي ، وأما بطريق الإفاضة على عقولهم فيكون ذاك إشارة إلى الدليل العقلي،(إذن الإتيان هنا على المجاز وليس على الحقيقة، وهذا سبب آخر لحذف الألف من "أتاهم") وقد يعمم فيكون المعنى يجادلون بغير حجة صالحة للتمسك بها أصلاً لا عقلية ولا نقلية .

﴿ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ابراهيم . يقول الألوسي: * بسلطان : أي بحجة ما من الحجج .

(١٥)﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ (١٥) ﴾.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾النمل . الألوسي: أي بحجة تبين عذرة في غيبته . وما ألطف التعبير بالسلطان دون الحجة هنا لما أن ما أتى به من العذر انجر إلى الاتيان ببلقيس ومعها سلطان .

(١٦)﴿ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ ﴾ الدخان.. أي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها أو موضحة صدق دعواي.

(١٧)﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)﴾.

(١٨)﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) ﴾.

(٢٠)﴿ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـانًا .. (١٥١)﴾ .

(٢١)﴿ ***سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (٩١)﴾أى حجة عليهم.

(٢٢)﴿ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ أَتُرِيـدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤)﴾ .

(٢٣)﴿ * فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣)﴾ .

(٢٤)﴿ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا (٨١)﴾ الأنعام.

(٢٥)﴿ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا (٣٣)﴾ .

(٢٩)﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)﴾ الروم .

وهنا نقف على بعض الآيات التى ربما يأتى منها بعض اللبس حول هذا المفهوم :

(٣٠)﴿ *** يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣)﴾ ونظراً لحصول اللبس الشديد حول تفسير هذه الآية وكثرة التفاسير حولها، نقف على قول الرازى ما معنى : { لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بسلطان } ؟ نقول : ذلك يحتمل وجوهاً .

ثالثها : أن المراد من النفوذ ما هو المقصود منه (أى أن المقصود هو سبب الهرب)؟ وذلك لأن نفوذهم إشارة إلى طلب خلاصهم فقال : لا تنفذون من أقطار السموات لا تتخلصون من العذاب ولا تجدون ما تطلبون من النفود وهو الخلاص من العذاب إلا بسلطان من الله يجيركم وإلا فلا مجير لكم ، كما تقول : لا ينفعك البكاء إلا إذا صدقت وتريد به أن الصدق وحده ينفعك، لا أنك إن صدقت فينفعك البكاء.

رابعها : أن هذا إشارة إلى تقرير التوحيد ، ووجهه هو كأنه تعالى قال : يا أيها الغافل لا يمكنك أن تخرج بذهنك عن أقطار السموات والأرض فإذا أنت أبداً تشاهد دليلاً من دلائل الوحدانية ، ثم هب أنك تنفذ من أقطار السموات والأرض ، فاعلم أنك لا تنفذ إلا بسلطان تجده خارج السموات والأرض قاطع دال على وحدانيته تعالى والسلطان هو القوة الكاملة .

السمرقندى: يعني : إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السماوات والأرض هروباً من الموت، فانفذوا { لاَ تَنفُذُونَ إلاَّ بسلطان } يعني : أينما أدرككم الموت . وروي عن ابن عباس أنه قال : هذا الخطاب في يوم القيامة ، وذلك أن السماء تتشقق بالغمام ، وتنزل ملائكة السموات ، ويقومون حول الدنيا محيطين بها ، وجاء الروح وهو ملك يقوم صفاً وهو أكبر من جميع الخلق ، فحينئذ يقال لهم :.{ إِنِ استطعتم أَن تَنفُذُواْ مِنْ أقطار السموات والارض فانفذوا لاَ تَنفُذُونَ إلاَّ بسلطان } يعني : لا تنجون إلا بحجة ، وبرهان .

الطبرى: قالوا : وإنما هذا قول يقال لهم يوم القيامة. قالوا: ومعنى الكلام: سنفرغ لكم أيها الثقلان، فيقال له(﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا).

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض، فانفذوا هاربين من الموت، فإن الموت مُدركُكم، ولا ينفعكم هربكم منه.

وقال آخرون : بل معنى ذلك: يقول: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه، لن تعلموه إلا بسلطان، يعني البينة من الله جلّ ثناؤه.

وأما قوله:(إلا بسُلْطان)، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم معناه : إلا ببينة وقد ذكرنا ذلك قبل. وقال آخرون: معناه: إلا بحجة.

* ذكر من قال ذلك:.. عن عكرِمة (لا تَنْفُذُونَ إلا بِسُلْطَانٍ) قال: كلّ شيء في القرآن سلطان فهو حجة... حدثني محمد بن عمرو، .. عن مجاهد، في قوله:(بسُلْطانٍ) قال: بحجة.

وقال آخرون : بل معنى ذلك: إلا بملك وليس لكم ملك.

ثم قال الطبرى: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إلا بحجة وبينة، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب، وقد يدخل الملك في ذلك، لأن الملك حجة.

ونفس المعنى قاله صاحب تفسير فتح القدير.

ومن هنا يتبين أن السلطان بمعنى الحجة والدليل والبرهان.

(٣١)﴿ **** وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)..﴾ الزمخشرى: { سلطانا } تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه . أو حجة يثب بها عليه.. الطبرى:..... للمقتول ظلما سلطانا على قاتل وليه، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية.((وربما لايأخذ هذا الحق بيديه أو قوته (أى بالسلطان المادى وهذا أكيد في ظل القانون فإن الذى يأخذ له هذا الحق هو القاضى وربما يكون صاحب الحق أضعف الخلق

جسدياً ومادياً ووجاهةً ، ولكنه بهذا المعنى له السلطان على القاتل ، ولكنه يقال عنه أنه معه السلطان ، أي الحجة والدليل لتنفيذ الحكم أو العفو)).

ويلخص السمرقندى القول قائلاً: { وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سـلطانا } أي : سبيلاً وحجة عليه . إن شاء قتله ، وإن شاء عفا عنه ، وإن شاء أخذ الدية . يعني : إذا اصطلحا . وقال مجاهد (وما أدراك ما مجاهد) : كل سلطان في القرآن فهو حجة ، وكل ظن في القرآن فهو يقين .

(٣٢) الحاقة﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ السمرقندى: { هَلَكَ عَنّي سلطانيه } يعني : بطل عني عذري وحجتي.. الثعالبي: والسلطانُ في الآيـة الحجـةُ، ....الطبرى: (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) يقول: ذهبت عني حججي، وضلت، فلا حجة لي أحتجّ بها...عن قتادة، قوله:(هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ): أما والله ما كلّ من دخل النار كان أمير قرية يجبيها، ولكن الله خلقهم، وسلطهم على أقرانهم، وأمرهم بطاعة الله، ونهاهم عـن معصية الله...وقال ابن عباس : ضلت عني حجتي . ومعناه : بطلت حجتي التي كنت أحتج بهـا في الدنيا .... الرازى: مثل ذلك.

(٣٣)﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِـنْ لَـدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ يقول السمرقندى: ويقال : حجة ثابتة ظاهرة .

الطبرى:.اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: واجعل لي ملكـا ناصرا ينصرني على من ناوأني، وعزّا أقيم به دينك، وأدفع به عنه من أراده بسوء.

وقال آخرون: بل عُني بذلك حجة بينة...عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ(سُلْطَانًا نَصِيرًا) قال: حجة بينة... حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيـد، في قولـه(وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) قال: ينصرني، وقد قال الله لموسى﴿ سَنَشُدُّ عَـضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ هذا مقدّم ومؤخّر، إنما هو سلطان بآياتنا فلا يصلون إليكما. .... الثعالبي: ظاهر الآية : والأَحْسَنُ أن يكون دعا عليه السلام في أن يحسِّن الله حالته في كلِّ ما يتناول من الأمور ويحاولُ من الأسفار والأعمال ، وينتظر من تصرُّف المقادير في المَوْت والحياة ، فهي على أتمّ عموم ، معناه : ربِّ ، أَصْلِحْ لي وِرْدي في كلِّ الأمور ، وَصَدَري .(أى دخولى وخروجى){ واجعل لّي من لَّدُنْكَ سلطانا نَّـصِيرًا } قال مجاهدٌ : يعني حجَّةً تنصرني بها على الكفَّار ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَـا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾...السمرقندى: {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سلطانا } يعني : حجة ثانية ، وهي اليد والعصا { فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا باياتنا } يعني : لا

يقدرون على قتلكما { أنتمَا وَمَنِ اتبعكما الغالبون } يعني : من آمن بكما الغالبون في الحجة ...الطبرى: وقوله: (وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) يقول: ونجعل لكما حجة... عن مجاهد، قوله : (لَكُمَا سُلْطَانًا) حجة.

ومعنى الكلام: أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملآه بآياتنا؛ أي بحجتنا وسلطاننا الذي نجعله لكما... الزمخشرى: { سلطانا } غلبة وتسلطا . أو حجة واضحة.

ابن كثير: وقوله تعالى : { وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا } أي: حجة قاهرة .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁

بقي: (كِتَٰبِيَهْ . حسابيه ..القاضية.. ماليه ..)

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾الحاقة. السمرقندى: { في الايام الخالية } يعني : في الدنيا.(فكتبت بالألف). (كَانَتِ القاضية) يعني : المنية (أي التي نعرفها) فكتبت بالألف

الألوسى: { مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ } أي ما أغنى عني شيئاً الذي كان لي في الدنيا من المال ونحوه كالأتباع (فالمعنى هنا على العموم أى أنه ليس هو المال فقط كما هو متبادر إلى الذهن، ولذلك كتبت على غير الحقيقة بحذف الألف فى قراءة أخرى).

(يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ)الكتاب هنا هو الذى لايعلم كُنهه أو صفته ولا كيفية الكتابة فيه (فكتب بدون ألف). أما الحساب فهو معلوم بالطريقة التى نعلمها لنتخيل الواقع (فكتب بالألف) .. والقاضية هى التى كان يعلمها ويتمناها ويتمنى أن تأتيه وترحمه من هذا الموقف (فكتبت بالألف).

إصلاح - إِصْلَٰح

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَٰحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ البقرة...هو سبحانه يطلب (فعل) الإصلاح لليتامى وليس إسماً أو قولاً فقط، والكلمة يضاف لها الألف إذا كانت فيها صورة الفعل كما رأينا فى (عامل ، عـمل) و(باسط ،و بسط) وغيرها .. ولذلك يقول المفسرون (إصلاح لهم) أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم.

ويقول الرازى: المسألة الثانية : قوله : { قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ } فيه وجوه أحدها : قال القاضي : هذا الكلام يجمع النظر في صلاح مصالح اليتيم **بالتقويم والتأديب** وغيرها ، لكي ينشأ على علم وأدب وفضل لأن هذا الصنع **أعظم تأثيراً فيه من إصلاح حالبه بالتجارة** ، ويدخل فيه أيضاً إصلاح ماله كي لا تأكله النفقة من جهة التجارة ، ويدخل فيه أيضاً معنى قوله تعالى : { وَءاتُواْ اليتامى أموالهم وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الخبيث بالطيب } [النساء: ٢].. **فهو إصلاح مادى ومعنوى، والتشديد على الوصية فيه واضح، والأمر فيها للنبى (ص) ب (قل) .. والموضوع له خصوصية عظيمة وهو فى أمر اليتامى – الضعفاء – الذين ينساهم الخلق ويظلموهم ، ولهذا كان لهم هذا التشديد الواضح المتمثل فى زيادة الألف.**

ثم انظر إلى ختام الآية القوى حيث ختم – سبحانه و تعالى – الآية بقوله : { إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } أي : إن الله – تعالى – غالب على أمره لا يعجزه أمر من الأمور التي من جملتها إعناتكم ، قادر على أن يعز من أعز اليتامى ويذل من يذلهم ، حكيم في كل تصرفاته وأفعاله ، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها .

وهنا يلفت الإمام الطاهر نظرنا إلى لطيفة عظيمة فى الآية (قل إصلاح "لهم" خير) ويسأل لماذا لم يقل النص : قل إصلاحهم خير؟ ويقول: : وصف الإصلاح ب { لهم } دون الإضافة إذ لم يقل (إصلاحهم) ، لئلا يتوهم قصره على إصلاح ذواتهم ... **معدل** عنها لئلا يتوهم أن المراد إصلاح معين كما عدل عنها في قوله : { ايتوني بأخ لكم من أبيكم } [يوسف : ٥٩] ولم يقل (بأخيكم) ليوهمهم أنه لم يرد أخاً معهوداً عنده ، والمقصود هنا جميع الإصلاح لا خصوص إصلاح ذواتهم ؛ فيشمل إصلاح ذواتهم وهو في الدرجة الأولى ، ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية ومعرفة أحوال العالم ، ويتضمن إصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض وبمداواتهم ، ودفع الأضرار عنهم بكفاية مؤنهم من الطعام واللباس والمسكن بحسب معتاد أمثالهم دون تقتير ولا سرف ، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدها وحفظها . ولقد أبدع هذا التعبير ، فإنه لو قيل (إصلاحهم) لتوهم قصره على ذواتهم فيحتاج في دلالة الآية على إصلاح الأموال إلى القياس ...

وأرى – **والله أعلم – فوق ماقاله الإمام الطاهر أن الإحساس مختلف فى قولنا (إصلاحهم خير) و(إصلاح لهم خير) فالثانيه تطالبنا بأن (نفعل) الإصلاح ونقدمه لهم ، وربما هؤلاء اليتامى لايحتاجون إلى الإصلاح فى ذواتهم، بخلاف القول (إصلاح لهم) فإن نص الآية يعطى**

هذا الإصلاح وزيادة – ، ومن هنا يزداد التأكيد والتفصيل الذى وجدناه فى وضع الحرف (لهم) الذى يناسبه وضع الألف فى قوله (إصلاح) مع إضافة صيغة المفاضلة هنا فى كلمة (خير).

وربما يقال رأى آخر : أن (إصلاح) فى هذه الآية يختلف عنه فى الآيات التالية، حيث أن الإصلاح هنا – مع اليتامى – يأخذ صيغة الفعل؛ كأنه يقول لهم آمراً: أصلحوا بالفعل وليس كلمة تقال.. (وبعد هذا العرض يتبين لنا : قوة الوصية وشدة التأكيد عليها من الله لهذا الجانب الضعيف الذى يحتاج مثل هذا التشديد، ﴿لاخير فى كثير من نجواهم .. أوْ إِصْلَاحٍ بيْنَ النَّاسِ ،...... إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ، ... إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ .

(٢) النساء.۞ ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ مهذا سرد خبرى ليس فيه شدة التوكيد بفعل الأمر من الله لنبيه محمد (ص) ولابلفظ (قل)، والأصلاح هنا بين الناس – الأقوياء وليسوا اليتامى الضعفاء – والحديث هنا حديث عام وغير مخصص باليتامى.. مثل الآية التالية:

(٣)﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ هود.

(فهنا الإصلاح إصلاح عام ، وليس بخطورة وتفضيل وتفصيل إصلاح لليتامى وليس بقوة الأمر من الله"قل"، ولاحظ أيضاً فعل الإرادة (إن أريد).

(٤)﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾النساء .((إصلاح فى خلاف زوجى وبين راشدين وليسوا بضعف وضياع اليتامى ، وهنا ربما يشير إلى الإرادة القلبية – أن يريدا – التى يرمز لها أيضاً بحذف الألف)).

(٤)﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف. هى إسم ، وليس فيها تشديد كما فى الصفات السابقة.

يضاعف .. أضعافاً .. أضعـــافاً

(١) ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ البقرة

السمرقندى: قرأ ابن كثير وابن عامر : والله { يضعِّف } بتشديد العين وحذف الألف ، وقرأ الباقون { يضاعف } بالألف؛ ومعناهما واحد.

(٢) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ هـــــود

الزمخشرى: وقرئ : «**يضعف**»..**أبو السعود:** وقرأ ابنُ كثير ، وابنُ عامرٍ ، ويعقـــوبُ بالتشديد.

(٣) ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَـــا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيـــهِ مُهَانًـــا (٦٩)﴾ **أبو السعود: وقرئ يُضعَّف ونُضعِّف له العذابَ بالنُّون ونصب العذاب.**

(٤) ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ **الأحزاب.**

أبو السعود: وقرئ يُضعَّف على البناءِ للمفعولِ ويُضاعف ونُضعِّف بنونِ العظمةِ على البناء للفاعلِ ونَصبِ العذاب.

(٥) ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ **(الحديد)** ويقول **أبو السعود: كما سبق.**

(٦) ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ **الحديد.. ويقول البقاعى:** (فيضاعفه له) مرغباً فيه بجعله مبالغاً بالتضعيف أولاً، وجعلـــه من باب المفاعلة ثانياً ، وكذا التفضيل في قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب { فيضعفه }

(٧) ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ **التغابن.**

(٨) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴿٤٠﴾﴾ النساء .

(٩) البقرة ﴿. مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ﴿٢٤٥﴾ ﴾
.وصيغةُ المفاعلة للمبالغة ، وقرىء فيُضْعِفُه بالرفع بالنصب { أَضْعَافًا } جمعُ ضعف..
الألوسى: { أَضْعَافًا } جمع ضعف وهو مثل الشيء في المقدار إذا زيد عليه
الرازى: { فيضاعفه } قال الحرالي : من المضاعفة مفاعلة من الضِعف - بالكسر - وهي ثني الشيء بمثله مرة أو مرات يضاعفه .

وبقى لنا أن نقف على الرسم المختلف لكلمة (أضعافاً) التى كتبت هنا – فى آية الصدقة(القرض لله) – بالألف ، وكتبت فى الآية التالية – آية الربا – بدون ألف .. ونسأل لماذا؟

وللإجابة نلاحظ وجود ألف التكرار فى هذا النص الذى يقول بعدها : **أضعافاً كثيرة**.– ﴿ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ﴾- والحديث فى ثواب الصدقة من الله معلوم أن ثوابها أكثر من الضعف الواحد بل سبعين إلى سبعمائة ، والله يضاعف أكثر من ذلك (أضعافاً كثيرة) (فليس ضعفاً واحدا كما فى حال آكل الربا الذى يأخذ الضعف الواحد أو أقل من الضعف كالخمس أو الربع أو حتى الضعف الواحد على أعلى تقدير)، **ونظراً لأن ثواب الصدقة أضعافاً كثيرة – كما قلنا – وضع الألف الذى يفيد التكرار فى كلمة (أضعافا) فى ثواب الصدقة ، ولم يوضع فى مقدار آكل الربا الذى تذكره الآية التالية:**
(١٠)﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴿١٣٠﴾ ﴾آل عمران .
وقدكتبت أضعافاً هنا بدون ألف مع ما يأخذه المرابى من الفوائد القليلة ؛ فهى على أعلى احتمال لاتتعدى الضعف (المائة فى المائة)- أى قدر رأس المال مرة واحدة- ولذلك لم تكتب بالألف الظاهرة – ألف التكرار – **أضعافاً**- لعدم وجود صورة التكرار فى المضاعفة التى كانت مع الصدقة ، وللتفرقة بين المضاعفة فى الحالتين... أما كلمة (يضاعفه) فكتبت فى جميع الآيات بدون ألف لوجود القراءتين فيها- كما قلنا -.

إطعام..إطْعَم

(١) ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ..(٨٩) ﴾ المائدة

(٢) ﴿وَالَّذِينَ يُظَهِّرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ .. فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا .. (٤) ﴾ المجادلة . أبو السعود.. .وقرىء يُظّاهرونَ منْ اظّاهرَ ويظّاهرونَ ويظْهرونَ.... **ملحوظة:**

(إِطْعَامُ) هنا لاتصلح فيها قراءة الفعل (أَطعَمَ) فى هذه الجمل الشرطية وفى السياق المذكور بخلاف الآية التالية:

(٣) ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَـٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤﴾ البلد..هنا الإطعام ليس فى (معصية) مثل كفارة اليمين أو الظهار على المقتدر . ولكنها تتحدث عن أجَل الطاعات ؛ وهى عن إطعام فى يوم ذى مسغبة ؛ أى فى مجاعة عامة على الجميع ، والتى يلاحظ فيها شحة الطعام وشدة الحرص والشح عليه فى ذلك الوقت؛ أى فى يوم فيه الطعام عزيز، وتكون النفس فيه على أعلى درجات الشح ، ولكنه يؤثر غيره على نفسه؛ فهو طعام يختلف فى شكله وظروفه عن طعام الكفارة؛ وهو طعام خارج من القلب قبل أن يكون من اليد ، وهو يحتاج إلى قلب تقى نقى.. ولذلك حذف الألف منه لهذا الفارق (وهذه واحدة).

أما الثانية فهى: أن سياق الآيات تتحدث عن فك الرقبة دون الحديث عن كفارة شرعت لوقوع صاحبها فى مخالفة ومعصية.. فهو إطعام خالص من القلب ابتغاء وجه الله وليس تكفيرا عن الوقوع فى المخالفة؛ ولذلك يقول قبلها{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا العقبة } أيْ أيُّ شيءِ أعلمكَ ما اقتحامُ العقبة لزيادة تقريرها وكونها عندَ الله تعالَى بمكانة رفيعة { فَكُّ رَقَبَةٍ } أيْ هُو إعتاقُ رقبة { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ } أيْ مجاعةٌ

وهناك رأى آخر تشير إليه قراءة أخرى- هنا فقط فى هذه الآية - كما نقل الثعالبى حيث يقول: وأما من قرأ : «فَكَّ رَقَبَةً أو أطعَمَ) عَلَى الفعلِ - بفتح الكاف وتشديدها فى كلمة (فكَّ) - وكذلك (أَطعَمَ) بالفتح - والفاعل (هو) ، ونَصَبَ الرقبةَ (على أنها مفعول به) ، وهي قراءةُ أبي عمرو، بل زاد على ذلك الإمام الطاهر قائلاً: وقرأه ابن كثير وأبو عَمرو والكسائي { فَكَّ } بفتح الكاف على صيغة فعل المضي ، وبنصب { رقبةً } على المفعول ل { فكَّ } أو «أطْعَمَ» بدون ألف بعد عين { إطعام } على أنه فعل مضي عطفاً على { فَكَّ } .. أي فلا اقتحم العقبة، ولا فَكَّ رقبةً أو أطعَمَ (أى لااقتحم ولافكَ ولا أطعمَ.). كلها أفعال ماضية معطوفة.. ولذلك حذف الألف من إطعام لتناسب هذه القراءة المتواترة.

((إذن هذا الطعام (١) له قيمة روحية عالية (٢) ونابع من قلب تقى وليس هذا الإطعام نتيجة مخالفة يكفر عنها به ، (٣) إضافة لذلك وجود القراءة الثانية بالفعل الماضى (أطعَمَ) بدون ألف بعد العين.. لكل هذه الأسباب جاء الرسم على هذه الصورة المبهرة للتنبيه على هذه المعانى)).

بأفواهكم.. بِأَفْوَٰهِكُم

(١) ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)﴾ . واضح هنا التشديد فى هذه الحالة – **وهى حادثة الإفك** – ولها ما لها من الجرم الفظيع ، وما أحدثته من الزلزال الرهيب الذى كاد أن يقضى على الدعوة الإسلامية لولا فضل الله تعالى ورحمته بالأمة ، وقال الله عنه (**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**) ، والسورة كلها وردت خصيصاً لهذا الغرض وللتشريع أيضاً من أجله.. حتى أن الزمخشرى حكى أن لكل ذنب توبة مقبولة إلا توبة الذين ارتكبوا حديث الإفك – وإن كنا نوافقه أو لانوافقه على ذلك –،ولكنه استند لرأيه هذا على التشديد الرهيب فى الآيات القرآنية فى هذا الخصوص ، حيث يقول : إن القرآن رتب على حديث الإفك أبشع العقوبات واللعنات فى قوله:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)** ﴾ . وهذه العقوبات لم ترد حتى على أفظع الكبائر كالقتل وغيرها . فتأثير هذا الحديث الهادم الذى ارتكبوه (بأفواههم) والذى كاد أن يهدم الإسلام من جذوره (فضرره ليس مقصوراً عليهم فقط كما فى الايات القادمة)، وترتيب العقوبات الشديدة عليه ، يرينا السبب فى التركيز العالى على هذا القول ورسم الكلمة بالألف ((راجع حديث الوصية باليتامى تحت باب (**إصلاح لهم**) بالألف)).

(٢) ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ **الأحزاب**. هنا الآيات تحكى عن موقف تشريعى هادىء فهو عن ظهار يقع بين رجل وامرأته ؛ وهو أهون وأهدأ آلاف المرات من حادثة الإفك.وكذلك الأمر فى الآيات التالية:

(٣) ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾آل عمران.

(٤) ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ إبراهيم.

(٥) ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ الكهف.

(٦) ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ ﴿٦٥﴾ ﴾ يس.

(٧) ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ آل عمران.

(٨) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ..﴿٤١﴾ ﴾ المائدة .. منافقون ضعفاء.

(٩) ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ التوبة .

(١٠) ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة .

(١١) ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ التوبة .

(١٢) ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) ﴾ الصف .

كل هذه الآيات، الحديث فيها لم تصل خطورته إلى خطورة حديث الإفك الذى كاد أن يهدم الإسلام كله (دنيا ودين ، أفراداً وجماعات)، ولكن هذه الآيات وما تحكيه من جرائم فإن جرمها على صاحبها (بكفره أو إيمانه) وهم ضعفاء بنفاقهم أيضاً ولذلك كتبت على صورة مخالفة وأقل فى مبنى الكلمة حيث حذف منها الألف.

هاجر ...وجـــهد

الزمخشرى: و (الذين هاجروا) هم الذين خرجوا من مكة إلى المدينة **(فراراً بدينهم)** ، مشتق من **(الهَجْر وهو الفراق)** ، وإنما اشتق منه وزن المفاعلة للدلالة على أنه هجر نشأ عن **(عداوة من الجانبين) فكل من المنتقل والمنتقَل عنه قد هجر الآخر وطلب بُعده** ، أو المفاعلة للمبالغة كقولهم : عافاك الله فيدل على أنه هجر قوماً (هَجراً شديداً) ،..

والمجاهدة مفاعلة مشتقة من الجَهْد وهو المشقة وهي القتال لما فيه من بذل الجهد كالمفاعلة للمبالغة ، وقيل : لأنه **(يضم جُهده إلى جُهد آخر)** في نصر الدين مثل المساعدة وهي **(ضم الرجل ساعده إلى ساعد آخر للإعانة والقوة)** .

(وبهذا يتبين أن المهاجرة هى مفارقة وتباعد – فوضع الألف–.. والمجاهدة فيها مشهد الضم والجمع – كما قال الزمخشرى – فلهذا المعنى ، ولمعنى (ذهاب) النفس (وقتلها) (ومعلوم أن الهجرة هى النجاة بالجسد والفرار من القتل – مشهد الإحياء والظهور –، ولكن الجهاد والقتال هو قتل النفس .. ولذلك وضع الألـــف فى الأولى – هـــاجر – وحذف من الثانية – جـــهد ، قـــتل) إضافة إلى ملحظ القراءتين فى قاتل.

** هاجروا . وَمَنْ يُهَاجِرْ. وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا .. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّــذِينَ هَاجَرُوا ....بخلاف الأفعال الآتية : وَجَهَدُوا جـــهدوا ، قـــتلوا..فقـــتلوا. لا ينهـــكم الله عن الذين قـــتلوكم .. يقـــتلون.. لكن "القتال" (إسم) فيكتب بالألف،

الميعاد..ٱلۡمِيعَٰد

نلاحظ أن الرسم القرآنى رسم (ميعاد الله) المحقق الوقوع بالألف ، وكتـــب ميعـــاد الناس (الناقص) بنقصان الألف هكذا:

(١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) ﴾آل عمران (ميعاد الله).

(٢) ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ (ميعاد الله).

(٣) ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) ﴾ الرعد.(ميعاد الله).

(٤) ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠) ﴾الزمر (ميعاد الله) .

(٥) ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)﴾ سبأ(الميعاد من الله).

فى الآيات السابقة جميع المواعيد (من الله) وكتبت بدون ألف. ماعدا آية الأنفـــال٤٢

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ (٤٢) ﴾ الأنفال.

لأنه ميعاد بين الناس (دنيوى) ويجوز خلفه وعدم تحقيقه ؛ فكتب ميعـــاد الله المحقـــق الوقوع بالألف ، وكتب ميعاد الناس الناقص بنقصان الألف.

كبائر.... كَبَٰٓئِرَ

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَــرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُـــدْوَانًا وَظُلْمًـــا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّـــرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)﴾ النساء.

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ هو أمر محدد (مخصص بجرائم محددة- ماتنهون عنه – أى تخصيص-)، إضافة إلى السياق الملتهب والعنيف والمحمل بالتهديدات القوية (أسلوب ترهيب، وملتهب وعالى النبرة) و﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا.﴾ .

مع ملاحظة أسلوب الشرط (الجازم) فى الآية: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا.. وكلنا يعلم أن لكل فعل رد فعل مساو له، فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه.. وهذا بخلاف السياق فى الآيات التالية:

(٢) الشورى ﴿. وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

وقرىء «كبير الإثم». ونلاحظ أيضاً : هنا أسلوب الوعظ باللين ، والأسلوب خبرى، وليس بصيغة الأمر والنهى الشديدين؛ أى هنا (أسلوب ترغيب). إضافة إلى أنه حديث (عام) (كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) وليس خاص عن أمور محددة مثل قوله (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ)...لكل هذه الأمور حذف الألف.ومثلها الآية التالية:

(٣) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ (٣٢) ﴾ (كَبَٰٓئِرَ) وقرىء : «كبير الإثم» . نفس ماسبق فى الآية السابقة.. ولاحظ الترغيب بقوله{ بالحسنى }وقال عن الطرف الآخر: ويجزى الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا (فقط) دون تشديد فى العقوبة أو علو فى نبرة التهديد لهم.

ويتضح أن الأمر لايخضع للقراءة فقط -كما رأينا فى صيغة إسم الفاعل (عامل) -، وقلنا أنه لابد من النظر إلى أسلوب وصورة هذا الفعل: هل هو عمل هدم أم عمل بناء.هل هو حاد وعالى النبرة أم هو منخفض وهادئ النبرة والرسم يصور كل ذلك.

النشأة

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ (٢٠)﴾ العنكبوت﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧)﴾ النجم﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾الواقعة.والنشأة تعنى القيام – والظهور بعد الموت والفناء- والإنشاء والإرتفاع.

ويقول الطاهر: وقرأ الجمهور { النشأة } بسكون الشين تليها همزة مفتوحة . . وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وحده بفتح الشين بعدها ألف تليها همزة ،((أى "النشاءة")) .. فهنا الألف أصلية فى القراءتين ؛ بل إن القراءة الثانية-"النشاءة" - فيها إشباع فى المد. لهذه

الألف.. فلا يجوز حذفها .. وأقول ذلك لبعض العلماء الذين يسألون ويتعجبون من إبقاء الألف فى هذه الكلمة(النشأة) وحذفها من كلمة (شطئه) !!) وسنرى ماقاله العلماء وما يستنبطه النبهاء من رسم كلمة (شطئه) أيضاً هكذا.

شَطْـَٔهُۥ

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ الفتح .

يقول السمرقندى: قرأ ابن كثير ، وابن عامر : { شَطَأَهُ } بنصب الشين والطاء ((أى شَطَأه). والباقون : بنصب الشين وجزم الطاء { شَطْأَهُ }. ومعناهما واحد . وهو فراخ الزرع . وقال مجاهد : { شَطْأَهُ } يعني : قوائمه.. ويقول الطاهر: وقرأه الجمهور بسكون الطاء وبالهمز (أى بدون ألف) وقرأه ابن كثير { شَطأه } بفتح الطاء بعدها ألف على تخفيف الهمزة ألفا .

البحر المحيط:. وقرأ أبو جعفر : (شطه) ، بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الطاء . **ورويت عن شيبة ، ونافع ، والجحدري ، وعن الجحدري أيضاً :(شطوه) بإسكان الطاء وواو بعدها .**

وهنا نجد أن الألف موجودة فى بعض القراءات وغير موجودة فى بعضها الآخر، بل إنها كتبت واواً — وليست ألفاً— فى القراءة الأخرى ، وأصبح لنا أن نقول أن الهمزة (والألف) هنا ليس لها مكان ثابت ولذلك نجد أن الهمزة ليست مكتوبة على ألف وليست مكتوبة أيضاً على نبرة (فهى بدون نبرة فى الرسم).

وبالأضافة إلى هذه القراءات التى ذكرت فإنه معلوم أن فراخ الزرع ضعيفة وتلتف حول الساق لتقويته ولكنها لاتقف بمفردها وعلى ساقها ، بل لو تركت دون التفاف على ساق النبات فإنها تقع على الأرض ؛ فالساق هى التى ترفعها وهى بدون الساق منكّسة وتقع على الأرض — كما قلنا — فهنا لايوجد مشهد القوة والارتفاع (فلذلك لم يرتفع الألف).. وراجع نفس المعانى فى حديثنا عن رسم كلمة (الكلـــــة) و(اليتــــمى).

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ يس. نلاحظ كتابة كلمة (يُحيِ) هنا — فى حالة

سؤالهم هم (بياء واحدة) .. ولكن فى حالة الرد التوكيدى والمعنف عليهم ستكتب بياءين – قل يحييها ... للتأكيد ولعلو النبرة).

القاسية...لِلْقَسِيَة

(١) المائدة ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴿١٣﴾ ﴾ يقول السمرقندى: قرأ حمزة والكسائي { قسية } بغير ألف ، وقرأ الباقون { قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً } ومعناهما واحد ويقال : قست فهي قاسية وقسية .مع ملاحظة أن (قاسية) هنا هى صفة للقلوب ويدل على الذات فقط وليس على الذات والفعل. ولذلك كتبت بدون ألف(راجع : عامل ، باسط).

(٢)﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ الحج.. نلاحظ هنا:

١) سعى منهم إيجابى فيه حركة بالأفساد والفتنة والإضلال بين الناس.

٢) وأنه وصف القلب بوصفين (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) والقسوة فى القلب من مرض القلوب ولكنه كررها لزيادة التركيز على هذه الصفة وهى قسوة القلب.

٣) وأضف إلى ذلك إلقاء الشيطان مع هذه الحركة الإيجابية منهم.

٤) ثم ملاحظة ختام الآية: وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ.. وملاحظة (الظالمين) التى هى أقسى من الكافرين .والظلم مناسب للقسوة الظاهرة... وصورة (شقاق) و (بعيد). .ويقول أبو السعود: ووصفُ الشِّقاق بالبُعد مع أنَّ الموصوفَ به حقيقةً هو معروضة للمبالغة.

٥) إضافة إلى أن القصة بأطرافها معلومة – فى أعظم فتنة حدثت – وخاصة أنها فى حق النبى (ﷺ)والدعوة وفى تحريف القول فى القرآن والإرجاف الشديد الذى حدث جراء هذه القلوب القاسية ..ولاحظ قبلها: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ إِلاَّ إِذَا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته.....} .

٦) مع ملاحظة أنه يصف فى المقابل الفئة الأخرى التى بضدها تتميز الأشياء فيصف قلوبهم ويركز على الصفة المقابلة فيهم وهى: { وَلِيَعْلَمَ الذين أُوتُواْ العلم } ، يعني : الذين أكرموا بالتوحيد والقرآن؛ ويقال : هم مؤمنو أهل الكتاب { أَنَّهُ الحق من رَّبّكَ } ، يعني : القرآن . { فَيُؤْمِنُواْ به } ، { فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } ، يعني : فتخلص له قلوبهم. الألوسى: { فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } بالانقياد والخشية للقرآن على التخصيص ، وللرب على التعميم .. ويقول الطاهر: والإخباتُ : الاطمئنان والخشوع،(إذن الصورة فيها مبالغة لصفة الكفر والقسوة لهؤلاء فوضع فيها الألف).

٦)﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (٢٢) ﴾الزمر. نلاحظ: أنه قبلها دعوة هادئة للتدبر بمثل الزرع والتفكر فى أطواره.. وقوله: ذكرى لأولى الألباب.. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ به زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١)﴾ الزمر.

وليس فى الأمر فتنة أو إرجاف أو محاربة – كما فى آية الحج السابقة–ولكنه هنا يصف القلوب (العاطلة) عن التفكر والتدبر – فى آيات القرآن أيضاً – وقسوتها عن ذلك التدبر فقط، كما قست عن التدبر فى الزرع وخلق الله ، وهى أقل قساوة من الصنف السابق (المحارب والمرجف) . ثم قال { أولئك } يعني : أهل هذه الصفة { فِي ضلال مُّبِينٍ } أي : في خطأ بيّن (ولم يقل فى شقاق بعيد) ، ولك أن تقارن الفرق فى المعنيين والصورتين وجرس الكلمة.ورسم الكلمة بالألف المباعدة والمفارقة مع قوله (فى شقاق بعيد)،ثم بعدها بعرض صورة أخرى للتفكير الهادىء:(الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها..) لكل هذا حذفت الألف هنا فى الزمر ، وبقيت فى آية الحج.

كاتب

يقول د: غانم قدورى متعجباً: لماذا"كاتب" فى البقرة (٢٨٢، ٢٨٣)بالألف والباقى بدون ألف؟ ولكننى بحثت فى القرآن فلم أجد كاتب – بالمفرد– بدون ألف، ولكننى وجدت (كاتبين) – بصورة الجمع – بدون ألف.وشرحها كالتالى:

(١) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ (٢٨٢) ﴾البقرة.

(٢) ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ..﴾ البقرة.

(٣) فَمَن﴿ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ (٩٤) ﴾ (٩٤)الأنبياء.

(٤) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَـٰتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ الإنفطار . هنا الكاتبون هم الملائكة.. وفى الأنبياء أيضا الكاتب هو الله (أيضاً عن طريق الملائكـة)..

وهذا بخلاف آيات البقرة الثلاثة: فالكاتب هو آدمي ، و يكتب الدين فى الدنيا على الحقيقة الدنيوية الظاهرة ، وليس كما يظن فى كتابة الملائكة التى لانعلم كنه كتابتهم (غيبى) ؛ ومن هنا حسن حذف الألف هنا .. وإظهار الألف فى آيات البقرة.... إضافة إلى أن الآيتين بصيغة جمع المذكر السالم الذى يحذف منه الألف تخفيفاً.. وبالتأكيد لو وجد كاتب بلفظ المفرد يشير إلى واحد من الملائكة لحذف منه الألف أيضاً.

الأقصا.. القصوى

(٢) ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ۝١﴾ الإسراء «والأقصى» البعيدُ ..أي : الأبعد.

(٣) ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ منْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى،﴾ يس.

(٣) ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾الأنفال.يقول الألوسى: { بالعدوة القصوى } أي البعدى من المدينة وهو تأنيث الأقصى ، وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما : { القصيا }*،و يقول الطاهر: وهي قصوى بالنسبة لموقع بلد المسلمين .

والوصف ب { الدنيا } و { القصوى } يَشعُر المخاطبون بفائدته ، وهي أنّ المسلمين كانوا حريصين أن يسبقوا المشركين إلى العدوة القصوى ، لأنّها أصلب أرضاً ، فليس للوصف بالدنو والقصو أثر في تفضيل إحدى العدوتين على الأخرى ، ولكنّه صادف أن كانت القصوى أسعد بنزول الجيش ، فلمّا سبق جيشُ المشركين إليها اغتمّ المسلمون ، فلمّا نزل المسلمون بالعدوة الدنيا أرسل الله المطر وكان الوادي دَهْساً فلبّد المطرُ الأرضَ ولم يعقهم عن المسير وأصاب الأرض التي بها قريش فعطّلهم عن الرحيل ، فلم يبلغوا بدراً إلاّ بعد أن وصل المسلمون وتخيروا أحسن موقع وسبقوا إلى الماء ، فاتّخذوا حوضاً يكفيهم وغوروا الماء ، فلمّا وصل المشركون إلى الماء وجدوه قد احتازه المسلمون ، فكان المسلمون يشربون ولا يجد المشركون ماء.

ويقول الرازى: { القصوى } وهو تأنيث الأقصى ، وكل شيء تنحى عن شيء ، فقد قصا ، والأقصى والقصوى كالأكبر والكبرى.

من هذا يتبين أن (القصوى) كانت فى أمانيهم وتخيلهم أنه هو هذا المكان ولكن الله عز وجل أبدل الواقع وغيره .. فكان الواقع خلاف ماتمنوه ، ولذلك فإن الحديث القرآنى يتحدث عن أمانيهم وتخيلاتهم وليس عن الواقع الحقيقى الذى دارت عليه المعركة.

و أرى – والله أعلم – أن اختيار كلمة (القصوى) – التى تنتهى بالألف اللينة ، مع صورة التأنيث وما يشيعه من جو اللين الذى يتناسب مع جو الأمانى الكبيرة التى كانت تصاحبهم فى حالة الكرب المتواجدة معهم والتى كانوا يتخيلون فيها الراحة لهم واللين معهم (فهى تتمشى مع حالة الأمانى ، والأمانى التى وصلت إلى أقصاها) .. مع ملاحظة اختيار العدوة بالتأنيث وهو شفير الوادي وحَرْفُهُ الذي يتعذَّرُ المَشْيُ فيه بمنزلة رَجَا البئْر؛.........فكان لابد من تأنيث القصوى على الحالتين.. وأدعو القارىء أن يقوم باستيدال الآية بقوله (إذ أنتم بالمكان الأدنى وهم بالمكان الأقصا) وسيرى أنه النشاز وعدم التجانس وسيكون المعنى دالاً على بعد المكان فقط (والبعد المكانى) وليس فيه أى إشارة لما ألمحنا إليه ... وذلك بخلاف قوله تعالى فى الآيتين السابقتين :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ الأسراء.. (فهو يقصد بالفعل البعد المكانى الحقيقى) فكتب بالألف ، وقوله تعالى:﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ..﴾ يقصد نفس المعنى.. مع ملاحظة (الألف) فى الأمور المادية أو الملموسة ، والياء فى الأمور الغيبية (أو التخيلات والأمانى).

أصابكم – أَصَٰبَكُم

قاعدة: المصيبة تنقسم إلى نوعين:

(١) النوع الأول هو الانتقام، والانتقام معلوم أن فيه ملحظ الشدة والقوة فوضع فيه الألف وتكتب (فأصابهم).

(٢) والنوع الثانى هو الإبتلاء ، وينظر فيه إلى ملحظين :

الملحظ الأول: إن كان الخطاب للتسلية ولتهوين أمر المصيبة التى أصابتهم – وهم فى الغالب المؤمنون– كتبت بدون الألف (فأصبهم)– تقليل فى المعنى مع تقليل فى اللفظ–، وكأنه يقول لهم لاتحزنوا فالمصيبة كانت هينة ولا تهولوها ...

والملحظ الثانى إن كان الخطاب بغرض التشريف وإعلاء الشأن والمدح لمن وقع عليه هذا الابتلاء (وهذه المصيبة) هنا يبز السياق كبر المصيبة ولكن إيمانهم لم يتزعزع (رغم كبر المصيبة) – فما وهنوا لما أصابهم .. وما ضعفوا وما استكانوا – رغم كبر المصيبة – ولهذا الملحظ التكريمى لهم كتبت الإصابة بصيغة التهويل والتفخيم (أى بالألف – ماأصابهم –)

**﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا

مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ المائدة.ومصيبة الموت ليس فيها ملحظ الانتقام أو التهويل لأنها تعم الجميع وهى هينة ويتوقعها الجميع

**﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ النساء ..الخطاب خطاب تهوين للمصيبة التى أصابت المؤمنين، أو إصابة الفضل.

**﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ﴾ آل عمران نفس ما سبق.ومثلها﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

﴿**** أَوَلَمَّا أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾ آل عمران نفس ما سبق

**﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ﴾ البقرة..(المصيبة هينة بتذكر رجوعهم – المؤمنون– إلى الله وأنه سيأجرهم عليها خيراً عظيماً يجعلهم فى فرح من هذا الابتلاء وليس غم أو ألم

**﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ النساء.. المصيبة هنا (قليلة) لعلهم يرجعون إلى الله (كأنها تذكرة لهم فقط)

**﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ ﴾الشورى.

بخلاف الآيات التالية:

**﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران.. فهنا تعظيم وتهويل للمصيبة بغرض مدح هؤلاء الفئة اصحاب المقام العالى التى لاتزحزحهم هذه المصائب المهولة عن إيمانهم.. وهكذا الآيات القادمة:

**﴿الَّذينَ اسْتَجَابُوا للَّه وَالرَّسُول منْ بَعْد مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ للَّذينَ أَحْسَنُوا منْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظيمٌ (١٧٢)﴾ .. فهو قرح عظيم ولكن صبرهم وإيمانهم أعظم.وهكذا الآية التالية:
**﴿الَّذينَ إذَا ذُكرَ اللَّهُ وَجلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابرينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقيمي الصَّلَاة وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفقُونَ (٣٥) ﴾ الحج
**﴿وَالَّذينَ إذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصرُونَ (٣٩)﴾ الشورى.(أى لاينتصرون – أى لاينتقمون – إلا مع البغى الشديد– أى المصيبة الشديدة–)
*** أما الآيات القادمة فهى تصويرٌ للإنتقام من الله – وهو شديد– فتكتب الكلمة بالألف (فأصابهم) – كما قلنا من قبل– وهاهى الأمثلة:.
**﴿هَلْ يَنْظُرُون إلَّا أَنْ تَأْتيَهُمُ الْمَلَائكَةُ أَوْ يَأْتيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلكَ فَعَلَ الَّذينَ منْ قَبْلهمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَملُوا وَحَاقَ بهمْ مَا كَانُوا به يَسْتَهْزئُونَ (٣٤) ﴾ النحل.
**﴿إلَّا امْرَأَتَكَ إنَّهُ مُصيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ (٨١)﴾ هود
**﴿فَإذَا مَسَّ الْإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إذَا خَوَّلْنَاهُ نعْمَةً منَّا قَالَ إنَّمَا أُوتيتُهُ عَلَى علْمٍ بَلْ هيَ فتْنَةٌ وَلَكنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذينَ منْ قَبْلهمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذينَ ظَلَمُوا منْ هَؤُلَاء سَيُصيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بمُعْجزينَ (٥١) ﴾ الزمر..
ويقول الألوسي: والمراد به العذاب الدنيوي وقد قحطوا لسبع سنين ، وقتل : ببدر صناديدهم وقيل العذاب الأخروي ، وقيل : الأعم ، ورجح الأول بأنه الأوفق للسياق ، وأشير بقوله تعالى : { وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ } أي بفائتين على ما قيل إلى العذاب الأخروي
ويقول البقاعي: { سيئات ما كسبوا } أي عقوبات ما عملوا .
﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الصافات
نلاحظ أنه إذا كان الوصف عن حال قد مضت فى الدنيا (كنتم ، كنا) يكتب الفعل بدون ألف (طغين ، غوين)... ولكن حينما أرادوا أن يصفوا حالهم (الحاضرة)

وشدة العذاب الذى هم فيه قالوا (إنا لذائقون) بالألف ((فالرسم القرآنى يفرق بين المشهد التصويرى (الحالى) وبين حكاية حال غائبة أو ماضية ..، وبين شدة وضراوة المشهد ولين وهدوء الموقف الآخر، ...وبين مشهد السرعة والعجلة ومشهد البطء والهدوء ..، وبين الانفعال وعلو النبرة وبين الهدوء وانخفاض النبرة و،.... ويفرق بين مشهد النصح باللين أو التعنيف والشدة ، ...وبين موقف تعلو فيه نبرة التهديد والوعيد وعذاب جهنم ، وبين آخر يسود فيه موقف البشارة والتبشير. ... بل أحياناً يرسم صورة الشيء المتحدث عنه بارتفاعه أو انخفاضه ،.... أو إذا كان يحتاج الستر والإخفاء أو يحتاج الظهور والاستعلاء ،.... ويصور عمق الشيء أو سطحيته ، ...ويعرض علينا عرضاً صادقاً برسم الكلمة إن كانت الكامير المصورة تصور على الأرض أو تصور فى السماء،... وأحياناً يلفت النظر إلى معنى غير المعنى المعروف لدينا فيقوم بتغيير رسم الكلمة – بحذف الألف مثلاً– إشارة إلى هذا المعنى ، والذى ينطبق ذلك على مانسميه بالمعنى الحقيقى والمعنى المجازى ،.... أو يرسم الكلمة على صورة وحقيقة الفعل نفسه : فإن كان الفعل يشير إلى الهدم والإفناء كتبت بغير الألف (القواعد.. القوعد)، وإن كان عكس ذلك كتب بالألف ،... وكذلك يصور صورة الفعل والصفة : إن كان فعل حركة ، وحركة إيجابية – كتب بالألف– ، وإن كان يشير إلى حركة سلبية كتب بغير الألف ،(باسط ، عامل) وهكذا))

﴿وَأُولُو الْأَرحامِ بَعْضُهُمْ أولى ببَعْضٍ،﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ ﴾، ﴿وما تَغيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾،﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ ﴿،وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ ،﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى ببَعْضٍ﴾ ،، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) ﴾﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ (٣) ﴾ الممتحنة

(((مشهد الإظلال والحماية فى الرحم (العضوى أو المعنوى – القرابة –) بكتب بالألف. ويقوى هذا الملحظ فى الرسم تشبيه آخر فى قوله﴿: فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ الرحمن. وهنا نلاحظ المشهد التصويرى **للأرحام** وما تحويه وتظلل عليه فى داخلها ، و كذلك **مشهد الخيام** أيضاً وكتابة **الإثنين بالألف** .. وكتابة كلمة (**مقصورات**) بدون ألف (فهى المكنونة والمستورة) وفيها جانب الستر والإخفاء.. وكلمة (**خيرات**) بدون ألف لأنه يقصد الخيرية المعنوية فى الصفات والأخلاق وليس فى الشكل والهيئة ، وذلك بخلاف كلمة (**حسان**)

فهو يقصد : حسان فى الشكل والهيئة فكتبت بالألف ، ولاحظ أيضاً كيف حذف الألف من كلمة (الإحسان) لأنه إحسان معنوى فحذف منه الألف.. وهو القرب الشديد واللصيق من الله : أن تعبد الله كأنك تراه ..))

وهكذا كلمة "الغائط".. يلاحظ فيها جانب الستر (على) الشخص فى كلمة (الغائط) وكتبت بالألف.

**وكذلك راجع رسم (الأجداث) و(المقابر) بالألف : (يخرجون من الأجداث) (حتى زرتم المقابر) أى القبور؛ ولكنه يريد أن يرسم فى المخيلة معنىً آخر يشعر به القارىء وهو يقرأ هذه الكلمة فى سياقها، ألا وهو (عمق) هذه القبور وذهابها فى باطن الأرض بما تحويه من رفات الأجساد الكثيرة على مدى تطاول الأيام والسنين ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ يس....

﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ القمر

فهى لاتصور حفرة فقط ولكنها تصور عمق هذه الحفرة الشديد حيث حوت المليارات من البشر فى داخلها .. وهكذا المقابر التى هى جمع الجمع (أى جمع القبور) هى من الجمال والتناسق والابهار بحيث ترسم الصورة المقابلة لقوله تعالى (ألهاكم التكاثر) أى الكثرة الكثيرة .. فكان المناسب قوله بصيغة جمع الجمع (حتى زرتم المقابر.. وليس القبور) ***

*****﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

يقول الرازى: وقوله : { وباطل مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } قيل : **البطلان عدم الشيء ، إما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ومقصوده** .. فهو ليس إسم فاعل (إيجابى)، بل فيه صورة الهدم (راجع : عامل بالألف وبدون ألف).

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ هود ،

ويقول الزمخشرى: وقرىء : «وبطل» على الفعل .

ملاحظة:﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ وكما يقول الزمخشرى: وهو إثبات الإسلام وإظهاره ، وإبطال الكفر ومحقه . ((وواضح أن الباطل على هذا المعنى من المحق والإخفاء لابد أن تخفى فيه الألف بخلاف ظهور الحق)).. وكما يقول النبى (ﷺ): الإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه غيرك.

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ الاسراء.

(١٨)الأنبياء (٦٢)الحج. و (٣٠) لقمان.(٤٩)سبأ. (٤٢) فصلت .(٢٤) الشورى (٣)محمد

وهكذا الضلال (ضَلَـٰل) الذى هو عكس (الحق) يكتب بدون ألف .. وهذا المعنى الذى ذكرناه من علو الحق وظهوره وتنكيس الباطل ودحوره هو مايعبر عنه الزمخشرى فى شرح قوله تعالى﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ سبأ:.

فإن قلت : كيف خولف بين حرفي الجرّ الداخلين على الحق والضلال؟- أى (لعلى) هدى أو (فى) ضلال.. فقال فى الهدى (على) وفى الضلال (فى) - قلت : **لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري، أن يتوجه .**

وهكذا تجد الرسم القرآنى للكلمة القرآنية يتعانق مع الإعجاز البلاغى الذى نزل به القرآن الكريم.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ...﴿١٥٧﴾ ﴾..الأعراف.

الرازى: بل الواجب أن يكون المراد من الطيبات الأشياء المستطابة بحسب الطبع وذلك لأن تناولها يفيد اللذة ، والأصل في المنافع الحل فكانت هذه الآية دالة على أن الأصل في كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل إلا لدليل منفصل .

قوله تعالى : { وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخبئث } وأقول : كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس كان تناوله سبباً للألم ، والأصل في المضار الحرمة ، فكان مقتضاه أن كل ما يستخبثه الطبع فالأصل فيه الحرمة إلا لدليل منفصل.

ومكتوبة فى كل كتب التفاسير – عند الشرح – هكذا:{ وَيُحِلُّ لَهُمُ (الطيبات) وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ (الخبئث) }. وهذا يعنى أن (الطيبات) لها رسمان : بالألف وبدون الألف.ومعلوم أن الطيبات – وهى كنعم الله – كثيرة (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ، بخلاف الخبائث والمحرمات – كما هو الحال فى المحن بالنسبة للنعم – فإنها قليلة وربما نادرة ، فتكرار النعم وكثرتها ناسبه وجود الألف ، وندرة الخبائث والمحرمات حذفت منها الألف. وهذا رأى.

والرأى الاخر إذا نظرنا إليهما من جهة (التلذذ) – الذى مر بنا فى الشرح -- فتكتبا بدون ألف (للإثنين).

ونقول لعلها: قرئت (الخبيث) ، أما الطيبـــات فلها صفتان : أولهما: لكونها ملكوتية – إذا حذف الألف -- ، والثانية: لمراعاة جانبها الدنيوى والكثرة فتكتب بالألف.

ونضيف ملحظ آخر هو: أننا نجد أن (الخبـئث) و ٱلْفَوَٰحِشَ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ (١٥١)﴾ كتبتا بدون ألف ، ولكن (السيئات) كتبت بالألف..

ولعل جرس الكلمة (صوتها) – كما تعودنا – يقرب إلينا فهم السبب..لأنه أحياناً كثيرة يشعر المرء بالفرق والإحساس بالمعنى فى داخله ولكنه يعجز عن التعبير عنه بما يقرب هذا الإحساس .. ولعل السيئة بجرسها توحي بالفعل السيىء الذى يسوء الآخرين ؛ أى فيـه التعدى للغير ، بخلاف وصف الخبائث الذى ذكرناه–، أو لعل الخبائث لفظ فيه العموم ، والسيئات لفظ فيه الخصوص.

وكما يقول: أبو السعود والألوسى:وجمعُ السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمـــان المديد لا لأن المرادَ بها جميعُ أنواعها ، وبما مرّ من السوء نوعٌ منها. ((ونقول أن الذى مر من السوء فى الآيات قبلها هو قوله تعالى:﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِـــنْ نِـسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥)واللذان ..﴾ .)))

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَـذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا...﴾

ولاحظ جرس كلمة (الأغلـــــل) و (الخبـــئث) ، (السيئات) وربما تتـــذوق حـــدَّة الحروف فى كلمة (السيئات) وربما تجد السبب فى نفسك .

{ وَٱلْأَغْلَـــٰـلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ هذه الأغلال ليست الأغلال المادية المعلومـــة – كقيود الحديد مثلاً– ولكنها كما يقول الألوسى: أي يخفف عنهم مـــا كلفــوه مـــن (التكاليف الشاقة) كقطع موضع النجاسة من الثواب أو منه ومن البدن ، واحراق الغنائم، و... ... ويكمل: ولا يخفى ما في الآية من الاستعارة .

(إذن هى أغلال على المجاز و ليست على الحقيقة) ولذلك كتبت بدون ألف.

ولاحظ الفرق بين (مســـــجد) و(محــريب) حيث أن المساجد لاتطلق إلا على دور العبادة فقط .. أما المحاريب (فهى للعبادة ولأماكن الخلوة والاجتماع ، وهى أيضاً لكل ما ارتفع وعلا؛ فلذلك كتب فى الإفراد بالألف "المحراب" لهذه الخصوصية).

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ .. ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ .. ﴿١٨﴾ ﴾ التوبة

❁❁❁❁❁❁❁❁

وقوله﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ أي بإظهار آثار الشرك من نصب الأوثـــان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادةٌ صريحةٌ على أنفسهم بالكفر وإن أبَوْا أن يقولوا : نحن كفارٌ كما نقل عن الحسن رضي الله عنه (((إذن هى ليست هذه الشهادة المعلومة باللسان – بل هى مجاز أيضاً– حيث يشهد علـــيهم عملـــهم– ولـــذلك حـــذفت الألف))))،

ملاحظة:﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَــوْمِ وَكُنَّـــا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ (٧٨)﴾ (ليست بمعنى الشهادة الجسمانية المعلومة لدينا فالله ليس ذات ولا يتجسد... وهكذا قوله تعالى عن نفسه { وَكُنَّا فـــــعلين } أي قادرين علـــى أن نفعل هذا ولكنه ليس بالصورة المادية المعلومة لدينا فقدرته تعالى فوق التخيل أو الوصف)

..... إضافة إلى ملاحظة أن الحذف دائماً فى جمع المذكر السالم – إلا ما استثنى – مثل.. شَكِرُونَ.. عَلَمِينَ.. حَفِظِينَ..كل هذه الأسماء المجموعة جمع مذكر سالم أو مؤنث يحذف منها الألف – إلا ماستثنى لحكمة عالية تبين فى حينها – وهى كثيرة.. ولكن الـــسؤال يكون عن حذف الألف أو وضعها فى الأسماء المفردة مثل (شاهد).

(شاهداً ..شَٰهِدًا).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ، (٨)﴾ الفتح ....﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ المزمل

هذه الآيات كتبت فيها (شَٰهِدًا) بدون ألف ، وكلها خاصة بشهادة الحبيب محمـــد (ﷺ) بخلاف الآيات التالية التى كتبت فيها بالألف:

(١) ﴿أَفَمَنْ كَانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ (١٧) ﴾ هود. الزمخشرى: ..{ شَاهِدٌ مِّنْهُ } شاهد ممن كان على بينة . كقوله : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنى إسراءيل على مثله ﴾ الأحقاف : ١٠ ﴿ قُلْ كفى بالله شَهيداً بَيْني وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عندَهُ عِلْمُ الكتاب ﴾ الرعد : ٤٣

(٢) ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ..(٢٦) ﴾ يوسف

(٣) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ .. (١٠) ﴾ الأحقاف

(فالشاهد الذى هو خاص بشهادة دنيوية فقط ، أوالشاهد شهادة جزئية وليس كلية، أو الشاهد الشهادة المعلومة لدينا – كالذى يشهد فى قضية أو غير ذلك – كل هذه الأنواع تكتب بالألف).

ولكن الشهادة الكلية الجامعة(عامة) ، والتى على الخلائق أجمعين ،.. والشاهد فى (الآخرة) أيضاً، ...والشهادة (الملكوتية العلوية التشريفية) ؛ وكل هذه المعانى فى الشاهد، و لم تتوفر إلا فى الحبيب محمد (ﷺ) فكتبت الكلمة بدون الألف)

❁❁❁❁❁❁❁

﴿ وأسرحكن سراحا جميلا ..﴾ . ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨)﴾ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ..﴾ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾..يريد أن لايؤكد (الطلاق) أو حتى يذكر إسمه – فهو أبغض الحلال–، إضافة إلى قوله (مرتان) أى فى أضيق الحدود ..مما يناسبها انكماش الكلمة بحذف الألف.. أما الإمساك فهو يؤكد عليه ويعلى فيه النبرة فوضع له الألف.. وحذف الألف من (إحسان) لأنه يريد الإحسان القلبى قبل المادى

** ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾ ﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ ولاحظ ثقل الضرر على الإنسان الواقع عليه الضرر وتصوير ثقل الكلمة بوضع الألف.

ونلاحظ أن السراح هو مثل الطلاق ، ولكن الطلاق مكروه كما نعلم – وقاسٍ على القلب –ولذلك يقول ربنا بعدها مهدداً ومشعراً بعلمه بما يفعلون (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ، ولذلك حذف الألف للتلطيف والتهوين على هذه القلوب ورسم صورة الانكسار فيها.

أما السراح ففيه جرس الكلمة لمن لايستطيع أن يفهم معناها، ولعله يوحى بالرضى من الطرفين وكل منهما يريد سراحاً وانطلاقاً. ويكفى فيها قوله تعالى بعدها (سراحاً

جميلاً) فالجمال المذكور لايستدعى الخفاء والترضية بل إن فيه الظهور والحركة والرضا ..وهكذا: فارقوهن بمعروف ؛ (الفراق) وصورته والذى يستدعى حتماً وجود الألف ، وفراقاً بالمعروف. مع ملاحظة صيغة المفاعلة بين الطرفين والتراضِ بينهما وحد المعروف الذى فيه إرضاء الطرف الآخر فيه إظهار الألف مثل (لا تواعدوهن)

وهكذا الفصال هنا – رغم أنه بمعنى الطلاق – ولكنه يقول فيه (عن تراض منهما).. وهو قد كتب بالألف لأنه فصال جسدى بين الرجل والمرأة على الصورة المعلومة لدينا.. ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا.﴾ – بقصد الطلاق والفراق بين الرجل وامرأته – فوضع الألف..أما قوله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴿١٤﴾﴾لقمان فهو فطام الطفل اللصيق بامه ومازال لصيقاً.لأنه ليس بالانفصال الجسدى بين الأم وابنها – كما هو الحال فى حال الطلاق بين الرجل والمرأة)

من صفات الله تعالى

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ الأنعام.. ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)﴾الرعد....

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨)﴾ الحجر..... وخلق..... راجع خالق وجاعل وفاطر

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا (٦٥)﴾ الأنعام.. وهكذا كل (قادر) بالألف (٣٧)﴾ الأنعام.. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .. (٩٩)﴾ الإسراء.. ماعدا ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ وقد شرحناها تفصيلياً.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ الأنعام (٦١) الأنعام (٢٨) الفرقان..((وواضح صفة القهر والعلو). ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)﴾ غافر.

والجلل والإكرام (قراءتان)– كما نقل الزركشى– ((والظاهر أن فى البعض من أسماء الله الحسنى يوجد قراءتين لاعتبار قوله (هو الظاهر الباطن) فى آن واحد



﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ هود ..يقول الرازى: قرأ حمزة والكسائي { قَالُواْ سلام قَالَ سلام } بكسر السين وسكون اللام بغير ألف (سِلْم)، وفي الذاريات مثله . قال الفراء : لا فرق بين القراءتين كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام لأن في التفسير أهم لما جاؤا سلموا عليه. قال أبو علي الفارسي : ويحتمل أن يكون سلم خلاف العدو والحرب ، كأهم لما امتنعوا من تناول ما قدمه إليهم نكرهم وأوجس منهم خيفة **قال إنا سلم ولست بحرب ولا عدو** فلا تمتنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدو.

❁❁❁❁❁❁❁❁

أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ.(أي إن قولك : لا مساس ثابت لك كائناً في الحياة **أي مدة حياتك أن (تفارقَهم) مفارقةً كلية** ، لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار المُلجيء إليها ، وذلك أنه تعالى رماه بداء عَقام **لا يكاد يَمسّ أحداً أو يمسه أحدٌ كائناً من كان إلا حُمّى من ساعته حُمّى شديدةً** ، **فتحامى الناسَ وتحاموْه وكان يصيح بأقصى طَوقه : لا مساس** ، وحُرّم عليهم ملاقاتُه ومواجهتُه ومكالمتُه ومبايعتُه وغيرُها مما يُعتاد جريانه فيما بين الناسِ من المعاملات ، وصار بين الناس أوحشَ من القاتل اللاجيء إلى الحَرم ومن الوحش النافر في البرية ، **(فهى المفارقة الدائمة والتى ينادى بها بأعلى الصوت ولذلك وجدت الألف)**.

يَٰٓأَيُّهَا﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ يقول الرازى: اختلف المفسرون في اللمس المذكور ههنا على قولين : أحدهما : **أن المراد به الجماع (أى المعنى المجازى)** ، والثاني : أن المراد باللمس **ههنا** التقاء البشرتين **(المعنى الحقيقى) ، سواء كان بجماع أو غيره**

ثم قال: واعلم أن هذا القول أرجح من الأول ، وذلك لأن إحدى القراءتين هي قوله تعالى : { أو لمستم النساء }- **بدون ألف**- واللمس حقيقته المس باليد ، فأما تخصيصه

بالجماع فذاك مجاز ، والأصل حمل الكلام على حقيقته . وأما القراءة الثانية وهي قوله : { أو لامستم } فهو مفاعلة من اللمس ، وذلك ليس حقيقة في الجماع أيضاً ، بل يجب حمله على حقيقته أيضاً ، لئلا يقع التناقض بين المفهوم من القراءتين المتواترتين.

إذن هناك قراءتان – بالألف وبدون ألف – ولايناسبهما إلا رسم الكلمة بدون الف.بل لقد رجح معظم المفسرين القراءة بدون ألف حملاً على الكناية كما يقول الطاهر: وقرىء (لمستم) بصيغة الفعل كما سيأتي ، وهما بمعنى واحد على التحقيق . ومن حاول التفصيل لم يأت بما فيه تحصيل ..... إلى أن وصل إلى قوله: فالمحمل الصحيح أنّ الملامسة كناية عن الجماع... إلاّ أنّ مالكاً قال : إذا (التذ) اللامس أو (قصد اللذة) انتقض وضوءه (وهذا هو ملحظ اللذة والتلذذ الذى يناسبه أيضاً حذف الألف – كما قيل فى "الطيبت" و"الخبئث")، وحمل الملامسة في هذه الآية على معنييها الكنائي والصريح ، لكن هذا بشرط الالتذاذ ، وبه قال جمع من السلف.

وأقول أنا الكاتب: (ولعل هذا هو السبب أيضاً بالتعبير بالملامسة دون الجماع لتعطى المعنيين (الجماع)،(والملامسة بشهوة وتلذذ).. مع ملاحظة (لامستم) يقال فيها مايقال فى (قاتلهم الله) بدون ألف (راجع شرحها) ...

ولاحظ قوله (من قبل أن يتماسا) (بالألف) لأنه ليس لها إلا معنى واحد – وهو الجماع فى سياق الآية – وقراءة واحدة لدى جمهور العلماء .

ويقول أ السعود: { مِن قَبْلِ أن يَتَمَاسَّا } أيْ مِنْ قبلِ أنْ يستمتعَ كلٌّ مِنَ الظاهرِ وَالمُظاهَرِ منْهَا بالآخرِ جماعاً وَلَمساً ونظراً إلى الفرجِ بشهوةٍ (ولاحظ هنا جو كلمة (يستمتع) كل منهما بالآخر وما فيه من القصد والتوجه والحركة .. وجرس الكلمة ورسمه فى قوله: ﴿ وإنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ .. (٢٣٧).. ﴾ حتى أن نفس العلماء يشرحونها هنا بقولهم :﴿ إنَ طَلَّقْتُمُ النساء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ ما لم تجامعوهن (فقط دون زيادة) والفقهاء أيضاً مختلفون فى هذا الحكم (هل هو المراد منه العقد .. أم المعاشرة).

.وهنا ربما يقال : كتبت (لَمَسْتُمْ) بغير ألف لأن الراجح فى توجيهها هو (كناية) عن الجماع وليس اللمس المعلوم لدينا باليد ..ولذلك كتبت على غير أصلها فى الرسم ... ولكن لماذا كتبت (الغائط) بالألف رغم أنها كناية ؟ هنا أقول ربما لأن الغائط يوارى ويظلل على صاحبه ويستره ، وهذا يحتاج مشهد العلو على الداخل فيه .. وأيضا كما

قال العلماء أنه(الغائط) مجاز في الخارج من الإنسان (فهذا مشهد خـروج وانفـصال وبعد، بخلاف الجماع والمباشرة الجنسية والتزاوج و....فهو مشهد قرب وملاصقة). إضافة إلى أن ابن مسعود قرأها بصيغة (لمستم) وهي قراءة متواترة.

مُرَاغَمًا

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴿١٠٠﴾﴾ النساء .قيل أنه المال الكثير(جانب مادي) كان حقه أن يوضع فيه الألف ، ولكنه لسبب آخر حذف الألـف حيث أن الإمام الرازي يؤكد على المعنى الآخر وهو: الوجاهة والنعم الجليلة واسـتقامة الحال والسيادة وكل هذه المعاني التي تغيظ الأعداء والـتي حـصلت لأتبـاع محمـد (ﷺ)..وكلها أمور معنوية تستدعي حذف الألف.

ويقول الرازي: وعندي فيه وجه آخر ، وهو أن يكون المعنى : ومن يهاجر في سبيل الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الـذين كانوا معه في بلدته الأصلية ، وذلك لأن من فارق وذهب إلى بلدة أجنبية فإذا (استقام أمره في تلك البلدة الأجنبية)، ووصل ذلك الخبر إلى أهل بلدته خجلوا من سوء معاملتهم معه ، ورغمت أنوفهم بسبب ذلك ، وحمل اللفظ على هذا أقرب من حمله على ما قـالوه ، والله أعلم . والحاصل كأنه قيل : يا أيها الإنسان إنك كنت إنما تكره الهجرة عن وطنك خوفاً من أن تقع في المشقة والمحنة في السفر ، فلا تخف فإن الله تعالى يعطيك (مـن الـنعم الجليلـة والمراتب العظيمة) في مهاجرتك ما يصير سبباً لرغم أنوف أعدائك ، ويكون سبباً لـسعة عيشك ، ((إذن المراغمة ليست هي كثرة الأموال والأعراض المادية فحسب ولكنها النعم الجليلة والمراتب العظيمة التي ترغم أنوف الأعداء.))... ويقـول الزمخـشري: وقـرىء «مرغماً» .

❁❁❁❁❁❁

ملاحظات متفرقة

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا ﴿٩٢﴾﴾، كتبت الهمزة بدون نبرة .. وحقها أن تكتب (خطـأ). .ولعل السبب فيما يقوله الزمخشري وغيره: وقرىء : «خطاء» بالمد و«خطا» ، بوزن عمى – بتخفيف الهمزة –.ويقول أبو السعود: وقرىء خَطاءً بالمد وخَطاً كعصا بتخفيف الهمزة. ومن هذا تلاحظ أن الهمزة ليس لها مكان تستقر فيه على ألف فكتبت بدون نـبرة ولعلـه إشارة أيضاً إلى أن أصل الكلمة– فعلها– بالألف وليس بالياء(خطا)

*** ولاحظ: الناس (جمع فى صيغة الكلمة مطابق للجمع فى المعنى) بخلاف ٱلْإِنسَٰن (كتبت بدون ألف لأنها جمع فى المعنى ولكنها مفرد فى اللفظ ، وربما لأن ٱلْإِنسَٰن معنى عام.. بخلاف (الناس) معنى خاص– وربما للنظر لأصل منشئه (الضعيف): كما يقول الزمخشرى: { وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفاً } والمعنى أنه تعالى لضعف الانسان خفف تكليفه ولم يثقل....

وكما يقول المصباح المنير: (وَالْإِنْسَانُ) مِنْ النَّاسِ اسْمُ جِنْسٍ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ (اذن الإنسان معنى كلي .. والناس معنى جزئى) وَاخْتُلِفَ فِي اشْتِقَاقِهِ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى زِيَادَةِ النُّونِ الْأَخِيرَةِ فَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ (مِنْ الْأُنْسِ) (ومعنى الأنس هو الاجتماع والتآنس) ، وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ مُشْتَقٌّ (مِنْ النِّسْيَانِ) (إذن فيها معنى النسيان وهوالإزالة والنقص لما فى الذاكرة).

أما (أناسى) فقد كتبت بالألف لأن فيها الجمع والتشريف والتعظيم لهذا الإنسان وهو على الأرض، لذلك قال معها ﴿وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾ ولم يقل ماءً فقط – كما فى باقى الآيات فى السور الأخرى)– وذلك لوجود لفظ (أناسى).﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الفرقان..

❁❁❁❁❁❁

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (فهو لفظ عام) (ش ي ط) كما ورد فى قواميس اللغة: شَاطَ الشَّيْءُ يَشِيطُ (احْتَرَقَ) وَأَشَاطَهُ صَاحِبُهُ إشَاطَةً وَشَاطَ يَشِيطُ (بَطَلَ) . وَالشَّيْطَانُ مِنْ هَذَا فِي أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ .(إذن نلاحظ هنا مشهد : الاحتراق والبطلان وكلاهما نقص يتناسب مع نقص الألف).

أما (الجان) فهو لفظ خاص وفيه مشهد الخصوصية).

❁❁❁❁❁❁❁

((لَوَٰقِحَ)) ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴿٢٢﴾ ﴾،فكما قال المفسرون أن { لَوَاقِحَ } معناها: ملقحة– تلقح غيرها–؛ وحيث أن المعنى المتبادر من (لواقح) هو أنها هى التى تلقح غيرها، لكنها كما يقول الألوسى: واللواقح جمع لاقح بمعنى (حامل)(أى هى التى تم تلقيحها هى — وأصبح المعنى على خلاف اللفظ–) يقال : ناقة لاقح أي حامل ، ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ ، شبهت الريح التي بالسحاب الماطر(بالناقة الحامل)

، لأنها حاملة لذلك السحاب أو للماء الذي فيه ((إذن هي على خلاف حقيقة اللفظ فكتبت بدون ألف.. وهذا السبب سنمر عليه كثيراً في نفس هذه المواقف اللغوية التي تستدعي أيضاً حذف الألف إذا كان المعنى على خلاف الواقع)).

❁❁❁❁❁❁

﴿ ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾{ مِنَ الغابرين } الطاهر: ومعنى { من الغابرين} من الهالكين. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث ((إذن حذف الألف للمعنيين: معنى الهلاك والإفناء وهو دائماً يرسم بدون ألف ، على عكس معنى الإقامة والعلو.. والمعنى الآخر هو التذكير لهذا الإسم المؤنث – مع جواز ذلك لغوياً – ولكن الرسم يشير إلى هذا المعنى برسم الكلمة للإنتباه).

❁❁❁❁❁❁

مواخر: المخر : شق الماء بحيزومها ..((فهى على صفة الفعل والحركة ، حتى فى جرس الكلمة ومقطعها الثانى (خر) والذى يصور بصوت الكلمة صوت شق الباخرة للماء .. مثل كلمة (صر صر) التى تصور بالصوت صوت الرياح الشديدة وهى تزمجر ..والمواخر أيضاً على الحقيقة المادية – فكتبت بالألف– وهى ليست على المجاز أو التشبيه مثل (لوقح) التى حذف منها الألف)).

❁❁❁❁❁❁

** غلاظ ، شداد (جرس الكلمة وتعديها على الغير ، وفيها الفعل والحركة الإيجابية)

** أما : "باخع ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾: أى قاتلها من الغم والهم . (فهى حركة سلبية من كظم الهم والغم – مثل رسم الكلمة " والكـظمين الغيظ" بدون ألف ، بخلاف "والعافين عن الناس" بالألف ، كما أن "بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ" على المجاز وليس بحقيقة القتل المادى المعلوم . ولذلك يقول الرازى: البحث الأول: المقصود منه أن يقال للرسول : لا يعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم (فهذا هو البخع أو القتل المجازى كما نسميه) ،

❁❁❁❁❁❁

ويكمل الرازى: البحث الثالث : قوله :﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ آثار على المجاز وليس على الحقيقة : أي من بعدهم ، يقال مات فلان على أثر فلان أي بعده ، وأصل هذا أن الإنسان إذا مات بقيت علاماته وآثاره بعد موته مدة ثم إنها تنمحي وتبطله

بالكلية ، فإذا كان موته قريباً من موت الأول كان موته حاصلاً حال بقاء آثار الأول ، فصح أن يقال مات فلان على أثر فلان.((أى ليست آثاراً مادية حقيقية كآثار الأقدام المعلومة ولكنها آثار مجازية مثلما نقول ﴿:لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ والشيطان ليس له خطى على الحقيقة ولكنها مجاز عن اتباع أوامره ووسوسته)) وهذا بخلاف قوله تعالى: فارتدا على ءاثارهما أي رجعا على آثار سيرهما ، أي رجعا على طريقهما الذي أتيا منه (آثار مادية)...

❁❁❁❁❁❁

أحاديث

أحاديث إذ الحديث هو الكلام الطويل المتضمن أخباراً وقصصاً . سمي الحديث حديثاً باعتبار اشتماله على الأمر الحديث ، **أي الذي حدث وجَد** ، أي الأخبار المستجدة التي لا يعلمها المخاطب ،**((وهذا يقرب إلينا كتابة "جاعل" أيضاً بالألف))**

❁❁❁❁❁❁

متفرقات تفهم من مجرد النطق بالكلمة وتخيلها:

جدارا... هذا فراق .. مدادا (تكرار الإمداد).. فرارا .. إنى فاعل ، بأكواب وأباريق (مادية وظاهرة وتطوف على الناس) ،

** **أيقاظا** (أى صورهم توحى أنهم فى غاية الانتباه واليقظة والحركة ولايمكن أن يعلن أحد أنهم موتى أو حتى نيام ؛ فأعينهم مفتوحة، ولهم تحرك وتقليب وغير ذلك ...)

****يتنــزعون بينهم أمرهم ، أو كأساً** (فليس هنا نزاع بمشاجرة مادية — كما نعلمها—)

****مراء " ظَـٰهِرًا "** أى سطحى ليس فيه عمق وليس فيه تطويل المدة معهم فى الحديث فهو حديث سطحى وسريع) .

****سرادقها** (وهو الذى يحيط بالشيء من الخارج .. أحاط بهم سرادقها)، **الأرائك** (الشيء الظاهر والمرتفع)، **الثواب ، العقاب، أقفالها ،**

** **بارزة، برزون** (فبروزهم فى يوم القيامة لايخفى على الله منهم شيء لايقصد منه البروز المادى والجسدى فقط بل بروز بواطنهم وخفايا أعمالهم .. وربما يكون الحذف أيضاً لصورة الجمع بالواو والنون التى يحذف فيها الألف تخفيفاً)، ...**لواحة** (تكرار)،

** **خوار**(صوت مرتفع)، ****الكواكب** (البارزة للأعين)، ****الكوافر**(صيغة مبالغة فى كفرهن بخلاف : الكافرين)، ..****لهى الحيوان** (مشهد المبالغة والظهور فى الحركة والصفة فى كل ماسبق)...****أواب (التكرار)**.

**﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (بدون ألف لأنها قرئت بالإمالة).

**﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء.ليس بالاختلاف الظاهرى والمادى ، ولكنه الاختلاف الذى يستنبطه الفكر - وهو معنوى وفكرى وتدبرى- وليس بمعنى اختلاف المشاجرة أو اختلاف الألوان والصور .

**﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا ﴾.(لأنه ثبت علمياً أن مايقرب من أكثر من ثمانين بالمائة من هذه الجبال الرواسى تحت الأرض وفى باطنها ، ولذلك يقول النص القرآنى"وألقينا فيها رواسى" — و لم يقل "عليها"- على عكس المتبادر إلى الذهن الذى يتخيل أن المعنى الصحيح هو"وألقينا عليها رواسى" ، كما كان يتخيله العلماء القدامى حتى القرن العشرين من أن الجبال هى عبارة عن تعرج للقشرة الأرضية : أى أن جميعها فوق سطح الأرض والجبال تكون على الأرض وليس فيها ، ولكن العلم الحديث أصبح يصور الآن ويبرز ما قاله القرآن الكريم بل وما سماه القرآن فى مواضع أخرى : أوتاداً).

**﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ..﴾. قرئت لفتيته...

ولكن الملاحظة الأخرى:﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (بحذف الألف مراعاة لعنصر النساء وتغليب الستر والإخفاء الملاصق لهن وملاحظة أن الحديث هنا فى هذه الآية عن النهى عن إكراههن من أسيادهن على البغاء ، فهى حالة استضعاف واضحة) .**بخلاف** "إمائكم" ،"عبادكم".﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

(كتبتا بالألف لأنه كما قلنا ذكر قبلها (و"الصالحين" من عبادكم وإمائكم) وهذه تستحق الإشادة والظهور.. إضافة إلى أنها خطاب تعليمى لنا عن الحديث عن الأمة والعبد تعليماً لنا للأدب فى الحديث عنهم بصورة الرفعة وليس التحقير.

ويقول الطاهر: والأيامى : جمع أيم بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة بوزن فَيْعل وهي المرأة التي لا زوج لها كانت ثيباً أم بكراً . والشائع إطلاق الأيم على التي كانت ذات زوج ثم خلت عنه بفراق أو موته ، وأما إطلاقه على البكر التي لا زوج لها فغير شائع فيحمل على أنه مجاز كثر استعماله **((وهذا المعنى يزيد من تصوير حالة الضعف لهذه المرأة الثيب التي فقدت زوجها وهى حالة ضعف معلومة لدى الجميع))) . . وظاهر وصف العبيد والإماء بالصالحين أن المراد اتصافهم بالصلاح الديني ؛ أي الأتقياء وقيل أريد بالصالحين الصلاح للتزوج بمعنى اللياقة لشؤون الزوج ، أي إذا كانوا مظنة القيام**

بحقوق الزوجية.((وهذا المعنى وحده – اتصافهم بالصلاح الديني . أي الأتقياء، والصلاح للتزوج بمعنى اللياقة لشؤون الزوج ... – كاف لإظهار الألف)) .

ويضيف الرازى معان هامة مكملة؛حيث يقول: إنما خص الصالحين بالذكر لوجوه :

الأول : ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم

الثاني : لأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم (و) ينزلونهم منزلة الأولاد في المودة (أى فى منزلة الرفعة لهم التى تناسب رفعة الألف فى الكلمة)، فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم ، وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك(أى التحقير والانكسار)

الثالث : أن يكون المراد الصلاح لأمر النكاح حتى يقوم العبد بما يلزم لها ، وتقوم الأمة بما يلزم للزوج.

الرابع : أن يكون المراد الصلاح في نفس النكاح بأن لا تكون صغيرة فلا تحتاج إلى النكاح .

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ (٢٨) ﴾النساء.. فالحديث فى جانب الستر للمرأة بزواجها من رجل يعفها ويحصنها.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا .. (٣٣) ﴾ النور. ويقول الألوسى وأبو السعود: أي إماءكم فإنَّ كُلاً من الفَتَى والفَتاة كنايةٌ مشهورةٌ عن العبدِ والأمَةِ وعلى ذلك مبنيٌّ قولُه عليه الصَّلاة والسَّلام : « ليقُلْ أحدُكم فتاي وفتاتي ولا يقُل عبدي وأمتي » ولهذه العبارةِ في هذا المقامِ باعتبار مفهومِها الأصلي حسنُ موقعٍ ومزيدُ مناسبة لقوله تعالى : { عَلَى البغاء } وهو الزِّنا من حيثُ صدورُه عن النساء لأنهنَّ اللاَّتي يتوقَّع منهنَّ ذلك غالباً دُون مَن عداهنَّ من العجائزِ والصَّغائرِ ، ((يقصد بذلك عنصر الجذب فى النساء، وربما لضعف الفتاة – الأمة – فى هذا الموقف الذى تكون فيه الفتاة أمة وعبدة عند أسيادها من الرجال فهى لاتستطيع أن ترفع صوتها بالاعتراض ، والرسم يصور حالة ومشهد إكراههن وانكسارهن؛ وهى من هى على حالتها هذه من الذلة والانكسار ، ولايناسب كل ذلك إلا حذف الألف))

❁❁❁❁❁❁

*** حذفت ألف في قوله(وسئل) .. لأن السؤال ليس فيه جهد أومشقة على القائم به ، وخاصة أن نوعية السؤال هنا فيها من الهدوء والتأني والدعوة للتفكير، وليس فيه طلب الصفح من الطرف الآخر ، وليس فيه من خوف العاقبة مثل واستغفر– أى طلب الغفران – نتيجة الذنب الذى فعله .

***والألف لم تحذف من (واستغفر) ، لأن (استغفر) هو طلب الغفران من الله وذلك مستنبط من المقطع الأول: "إس" – الذى يعرف لغوياً بأنه طلب الشيء– أى المغفرة – وهو متوقف على الطرف الآخر.. فلابد أن تكون الكلمة كاملة بمقطعيها .. **

ومثلها: واستغني واستغشوا..(فهو تصوير للحالة الفعلية والتى لابد من مراعاتها وتخيلها.. فهى ليست نداءً خفياً بدعوة كلامية فقط ، ولكنها تصوير لصورة وحركة فعلية).

**﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (لايقصد الألوان المعروفة – الأبيض والأسود..و.. – ولكنه يقصد الأصناف والأنواع – من الخلق – كما سنبين فى حينه)

**﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم ﴿١٨٨﴾﴾ (فيها لمحة من الله تعالى للتذكير بحقارة المال وأنه مال الله وهو إعارة لنا).

**﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ (جمع صاعقة أو صعقة..– لأن الصاعقة قرئت"الصعقة"–. ولذلك كتبت على هذه الصورة لمحاً للأصل فى الكلمة)

ولم يحذفوها من (الواقعة)... وذلك لملاحظة الأوصاف بعدها التى تعطيك السبب: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦) ﴾.. فهى تصور هذه المشاهد الحركية المذكورة) .

**وأثبتوها فى كلمة لاهية قلوبهم.. لأنها تصف الفعل وليس الذات فقط وكأنه يقول : قلوبهم تلهوا وعن عمد.

**﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾﴾ (ولَٰغِيَة : إسم).. بخلاف قوله: لاهية قلوبهم .. وربما يكون المعنى: لاتسمع فيها "أقل لغو" – فى الجنة– فيراعى المشهد التقليل من اللغو .. مثل كذابا وكذبا– التى بدون ألف – تعنى أقل الكذب)

*لَٰقِيه: ﴿ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ ﴿٦١﴾﴾ القصص. الألوسى: فَهُوَ لاقِيهِ: مدركاً لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ، ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة

لتحققه البتة.. أى سيتحقق الوعد ولايقصد هنا "اللقاء الجسدى" بين الأشخاص (إذن هو معنى مجازى).

*﴿*وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الأنبياء.(٣٨) الدخان

**ونلاحظ أن (لاهية) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ بالألف ، (لَـٰعِبِين) بدون ألف.

واللعب خلاف اللهو ((راجع د:المطعنى فى الخصائص) ولعل المعنى : أن اللعب، لمرحلة الطفولة (وقلة شأنه)-- فناسبه حذف الألف – واللـــهو لمرحلـــة الرجولـــة والإدراك والمسئولية عما يفعل ؛ فله شأن وأهمية وسيحاسب عليه.– فناسبه زيادة الألف –.

**ٱلْحَوَارِيُّونَ.. يقول أبوالسعود: فقيل قال : { الحواريون } جمعُ حَواريّ يقـــال : فلان حَواري فلان: أي صفوتُه وخالصتُه –من الحَوَر وهو البياضُ الخالص ومنه الحواريات للحَضَريات لخُلوص ألوانهن ونقائهن – سُمّي به أصحابُ عيسى عليه الصلاة والسلام لخُلوص نياتهم ونقاء سرائرهم ، وقيل : لمَا عليهم من آثار العبادة وأنوارها ((وإن كنت لا أميل لمثل هذه التأويلات – والله أعلم – وهو رأى الإمام الطاهر أيضاً– ، ولكنـــه ربما يكون ذلك الرسم أيضاً لتصوير معنى ثقل مكانتهم من الاتباع والمبادرة والـــسبق وعدم المكث عنه ومؤازرته))).ويؤيده إضافة الألف فى وصفهم ب (أنصارالله).

❁❁❁❁❁❁

الأجر والثواب والجزاء

(الثواب) ، (ثواباً) يقول البقاعى: { ثواباً } وهو وإن كان على أعمالهم فهو فـــضل منه. (فالثواب فى اللغة هو الفضل "الزيادة")..

وهنا لابد من وقفة لمعرفة الفرق بين الأجر والثواب والجزاء..ولعلى أقـــوم بتلخـــيص أقوال أكابر العلماء بعد دراسة أقوالهم والشواهد القرآنية المؤيدة لذلك ، ونحاول نلخصه فى سطور قليلة نظراً لضيق المقام هنا ، والخلاصة التى ارتحنا إليها هى:

أولاً: الأجر هو لما يكافىء العمل(دون زيادة) ، والثواب هو مازاد على ذلك والدليل هـــو قوله تعالى﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ (٢٦)﴾ يونس. . فالحسنى أجر والزيادة ثواب. (والزيادة يناسبها زيادة الألف)

ثانياً: أن الله جعل الأجر عاماً يكون من الله عز وجل كقوله تعالى (فلهم أجرهم عند ربهم) البقرة ٦٢، ويكون بين الناس أيضاً كقوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ .. (٦) ﴾ الطلاق.

فى حين لم يذكر القرآن الثواب مسنداً للبشر ، فكأن الثواب خاص بجناب الله تعالى والأجر عام .(ومعلوم أن الخصوصية لها الألف ، والعمومية يحذف منها الألف)

ثالثاً: الأجر على الأعمال فقط لكن الثواب على الأعمال والأقوال معاً ؛ ولعلى ألمح من جرس كلمة(الأجر): — وحرف الجيم والراء —أنها تعطى جرساً يتناسب مع خشونة العمل والفعل والتأسيس... أما كلمة (ثواب)— وحرف الثاء والواو مع المد..— فإنه يعطى انتفاش الزينة واللباس ، وفيها من العلو والزيادة والرقة أيضاً، كل ذلك يتمشى مع معانى الزيادة فى الأجر والفضل الذى يأتى خصيصاً من الله).

وقيل أن الثواب مشتق من أصلٍ صحيح يدل على "العود والرجوع" .. وهذا أيضاً يناسبه إظهار الألف.

أما الجزاء فيطلق باعتبار قيامه مقام غيره والثواب يطلق باعتبار رجوعه وعودته إلى مستحقه — ولكنه صنو الثواب أى مثله — وكتب أيضاً بالألف

﴿ أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) ﴾ آل عمران ،(١٣٦)

آل عمران ، (٩٣)النساء (٩٨) (٦٣)الإسراء، (١٠٦)الكهف(٨)البينة

***مَتَٰعُ : المنفعة العاجلة ، قال تعالى :﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ آل عمران : ١٨٥ .الحياة كتبت بدون ألف مراعاة لوجه المقارنة بضرها وهى الدار الآخرة والتى قال فيها (وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع) وهذا المتاع أيضاً بالنسبة لما أعده الله فى الآخرة (قليل)، فروعى ملحظ القلة بحذف الألف ..إضافة إلى ملحظ آخر وهو أن المتاع) جمع ليس له مفرد.

جَزَٰٓؤُهُۥ

وحذفوا الألف من آية يوسف .

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ (٧٤) قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ (٧٥) ﴾. وهنا الجزاء هو إبدال السارق مكان سرقته — وهو ليس من نوع المسروق — والمشهد ليس فيه مشهد السجن أو التعذيب والتعنيف أو إحضار المسروق الذى نقص من مكانه ، وهو إقرار لشريعتهم ، وأن مشهد الحنان والرفق نلمحه فى سياق الآيات التى تخبر أن يوسف هو الذى سيقوم برعاية أخيه الذى سيؤخذ مكان المكيال المدعى سرقته — وما يعلمه القارىء مما حدث بين يوسف وأخيه.. فهو جزاء

ناقص وليس كامل ، وفيه مشهد اللين وليس التعنيف والتعذيب على (خلاف الأصل من معنى الجزاء) فى مثل تلك الأحوال وتطبيق القوانين والشرائع ، ولذلك كتبت الكلمة على خلاف الأصل : أى بدون ألف)

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴿٤٠﴾﴾الشورى.(فهذا ليس جزاء على الحقيقة — أى أنه جزاء مجازى- لأن رد السيئة ليس بسيئة، ولكنه يسمى كذلك على طريق المشاكلة فى الحديث فقط) وأيضاً الآيات:﴿ وذلك جَزَٰٓؤُاْ الظالمين﴾ (المائدة)..﴿ إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ (المائدة).. وربما حذفت فى هذه الآيات الثلاثة لأنه تم تعويضها بالواو الزائدة فى نهاية الكلمة التى تحدثنا عنه فى بداية الكتاب))

ولم يحذفوها من جزاؤكم جزاء.(توكيد) . وجزاؤهم عند ربهم.وذلك بالنظر إلى الصفات التى تليها لصفوة البشرية:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨ ﴾البينة. ولهم جزاء الضعف... وهنا نلاحظ التضعيف والتشديد فى كلمة "الضعف" ... وقرئت أيضاً بصورة مخصصة وهى بتنوين (جزاءٌ) فتكون غير مضافة على هذه القراءة وتكتب بالألف.

وأيضاً آيات التعذيب والتهديد: (٩٨) الإسراء، (١٠٦) الكهف وآل عمران ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، بخلاف:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾آل عمران فى نفس السورة .(التى قيل أن لها قراءة أخرى)..

. (ومن هنا يتبين السبب ؛ حيث أننا نجد فى كل هذه الآيات – التى فيها الألف – صيغة المبالغة – فى الثواب والعقاب –، والتوكيد ، وعلو النبرة بالتهديد والوعيد)

(الديار) بالألف .. (مَسَٰكِن) بدون ألف..

نبدأ بالحديث والمقارنة بينهما

أولاً: فى حال الإفراد (دون الإضافة) حيث كتبت (دار) بالألف والجمع (ديار) بالألف بغير إضافة إلى ضمير المالكين لها (الديار) أو الساكنين فيها(المساكن)..فالدارو الديار ينظر فيها إلى المبانى المكشوفة والظاهرة فقط (فكتبت بالألف) - أما المسكن والمساكن فهو

المكان المحاط والمعد للسكنى فيقصد به توجيه النظر إلى الساكنين (فيه)- وفى دا..لـه فى ستر وإخفاء- ولذلك أخفيت الألف(فى حال الإفراد والجمع أيضاً)..

ولكن فى حال الإضافة لأهلها (أى أشير للساكنين فيها - دياركم ومساكنكم) فالأمر أصبح متساوياً فى الناحيتين فكتبتا الاثنتان بدون ألف.. ديـرهم ، ومسـكنهم

ولاحظ:﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾.......﴿ مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم (٨٥) ﴾

دِيَٰرِكُمْ مع ملاحظة أخرى هي: أن (مساكنهم) بدون الألف.لأنها قرئت على الإفراد أيضاً؛ ولذلك تكتب (مسكنهم) - كما فى الأحقاف، وطه والقـصص والعنكبـوت والسجدة-.

***** لاحظ:﴿ فَجَاسُوا خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ﴾الإسـراء... يقول الطـاهر:**
والجوس : التخلل في البلاد وطرقها ذهاباً وإياباً لتتبع ما فيها . وأريد به هنـا تتبـع المقاتلة فهو جوس مضرة وإساءة بقرينة السياق (فوضع الألف (جاسوا).

و (خلال) اسم جاء على وزن الجموع ولا مفرد له ، وهو وسط الـشيء الـذي يتخلل منه . قال تعالى :﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ (٤٨) ﴾ [الـروم : ٤٨] .ولذلك يكتب بدون ألف ((أى: وسط الشيء أو فيه)).

الوهاب.. كُبَّارا (صيغ مبالغة). والكُبَّار أكبر من الكبار ، ونحـوه : طـوال وطـوّال.

الطاهر: و { كُبَّارا } : مبالغة ، أي كبيراً جداً.

الكفّار:أرى فيها مشهد المبالغة أيضاً فى الكفر وأنها أقوى من الكافرين — حتى من جرس الكلمة والتشديد فى رسمها-.وكأنه الكافر الذى يزرع الشر ويرعاه ، ولذلك أطلق على الزارع ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ..(٢٠)﴾ .بخلاف (الكـفرين) كلـها بـدون ألف...

(١)﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا (١٠٩)﴾ البقرة.

(٢)﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)﴾ **الألوسى**: وقيل أراد من جبل على الفجـور والكفر. ويقول الطاهر: والكَفّار : **مبالغة في الموصوف بالكفر ، أي إلاّ من يجمع بـين سوء الفعل وسوء الاعتقاد ، قال تعالى: { أولئك هم الكفرة الفجرة }[عبس : ٤٢].**

*****ولاحظ (شاقو الله..أو الرسول) بالألف التى تعنى القطع والبعد من الله أو الرسول، أمـا تُشَـٰقُّون فيهم ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ**

تَشَٰقُّونَ فِيهِمۡۚ ﴿٢٧﴾ ﴾كتبت بدون ألف : أى تجادلون وتقاطعون الآخرين لأجل أن (تصلو معبوداتكم) هذه وتتقربون إليها وتلتصقون بها (مشهد الوصل)؛ وليس بمعنى تقطعوها – كما فى شاقوا الله وشاقوا الرسول– وهذا هو المستفاد من كلمة (فيهم) – (تشـقون فيهم) وما رمز إليه بحذف الألف.

**﴿وَلَا تَحَٰضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾ وقُرِىءَ تحاضونَ من المحاضةِ ، وقُرِىءَ يَحضُّونَ بالياء والتاء.

***ولا يحذفون ألف المد فى صيغ المفرد غالبا نحو: عالم القادر ناصر ساجد كاذبة فاعل فاسق شاكر قانتا كاشفة صابرا وكان الكافر وعمارة وسقاية ..... وقد يحذفوها منها نادراً نحو (وهى ظلمة– وقد تم شرحها بالتفصيل)..

*** وإنى لأظنه كذبا. ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤۡمِنٌ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ ﴾غافر...

(وهذه التفرقة فى الرسم بين (كَٰذِبٗا) و(صادقا) لمن العجائـب فعـلاً... ولاحـظ (كـذبا) فعليه كذبه... أما صادقاً فهو يفيض على غيره ويفيد وينفع غيره (يصبكم بعض الذى يعدكم).. فهو متعدى لغيره بالنفع (فكان وضع الألف) لهـذه القاعـدة العظيمة : فالكاذب وباله على نفسه – وهو الخسران – والصادق نفعه وخيره يتعدى لغيره وهو (الربحان) ولكن لاينسى الرسم القرآنى الإشارة إلى صيغة المبالغة فى وضـع الألف فى كلمة (كذّاب) بالألف لأنه صيغة مبالغة ومن حقها ذلك).

فما أروع وأعجب هذا الإعجاز والإبهار فى رسم الكلمة....

(وراجع حذفها من ﴿ وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ (التى لم ترد إلا فى سورة النبأ فقط).

مِيقَٰتُ ..﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾،....

﴿ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٥٠الواقعة . ((الميقات هنا لايوجـد إلا فى هاتين الآيتين فقط ، وهو يتحدث عن ميقات ملكوتى (ميقات ربه) أو ميقات غـيبى (ميقات يوم معلوم)..

وكـــذلك (مَوَٰقِيتُ)-﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴿١٨٩﴾ ﴾

المواقيت هنا ليست الأهلة بنفسها ولكنها تعطينا القياس الذى نضبط عليه مواقيتنا.

* أما حذف ألف المد في صيغ الجمع فمطرد

بحسبان.(دقة الحساب ، ولكن لها توجيه آخر نراه قريباً)

﴿ ***فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴿١٠١﴾ ﴾ وَلِىِّۦ و(نلاحظ نطقها باستمرار الكسر حتى نهاية الكلمة ، لأن بعدها حرف مجرور "في")... بخلاف قوله " ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ... ﴿١٩٦﴾ ﴾ (كلهم بياء واحدة) لأن نطقها بالفتح على الياء الأخيرة.لأن بعدها ألف مفتوحة "الله" ....وهكذا النبيين.

لكلمت

(١) الانعام﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ لِكَلِمَت اللَّه: لمواعيده من قوله : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسلين إِنَّهُمْ لَهُمُ المنصورون ﴾.إذن هي على المجاز.

(٢) (٦٤) يونس :﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ﴾ لا تغيير لأقواله ولا إخلافَ لمواعيده ، كقوله تعالى :﴿ مَا يُبَدَّلُ القول لَدَىَّ ﴾. إذن على المجاز.

**﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) ﴾إذن على المجاز.

فكلها ليست بمعنى الكلام المتعارف عليه لدينا(باللسان والأفواه) ولذلك كتبت أيضاً بدون الألف حتى في غير جمع المؤنث السالم أيضاً، مثل (كلام الله) فقد كتبت أيضاً بدون ألف.

(٤)**:البقرة.﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾البقرة الزمخشري: وقرىء «كلم الله»

(٥)**التوبة :.﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ اللَّهِ (١٥)﴾ الفتح...يقول الزمخشري: ﴿ أَن يُبَدِّلُواْ كلام الله ﴾ وقرىء : «كلم الله» أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية ، وذلك أنه وعدهم أن يعوّضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئاً .

رَاضِيَةً

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)﴾ الحاقة

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ (١) ... وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) ﴾الغاشية

﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) ﴾ الفجر

﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) ﴾القارعة. (ذكر الإمام الدانى أن (راضية) كتبت فى هذه الآية فقط على رسمين :(بالألف وبدون الألف) ، ذلك يتمشى مع تخيلنا لهذه الموازين التى تثقل بالأعمال؛ فهى موازين بالصورة التى نعلمها تقيس بالدقة المتناهية ولا تترك ذرة واحدة – ومطلوب من المؤمن تخيل ذلك المعنى أمام عينية بمثل يعلمه ... فهو بهذا المعنى تظهر فيه الألف (كالمثال الدنيوى) ، ولكن بالنظر إلى وزنه للأعمال (وهى معنوية لانتخيلها فى الوجود الدنيوى) فهى حينئذ تكتب بدون الألف.وذلك على مثال كتابة آية المائدة﴿ (ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ (وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ) حِلٌّ لَّكُمْ وَ(طَعَامُكُمْ) حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ التى ورد فيها قراءة أخرى فيها هذا الملحظ وهى كتابة ((وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ) كما هى بالمصحف (أى بالألف) لأنه طعام لاتكتمل فيه الطهارة (فهو دنيوى) بخلاف طعام (المؤمنين) حيث ورد له رسمة أخرى بدون الألف (ناظراً إلى ملحظ طهارته المعنوية) بجانب الرسمة المتواجدة بالألف لمشهد الطعام المادى الذى يشترك فيه المسلم وغير المسلم .. وكانت هاتان الرسمتان لطعام المؤمنين إشارة معجزة من الوحى بذلك المعنى.

خِلَٰف

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ...(٣٣) ﴾ المائدة. الألوسي: أي تقطع مختلفة بأن تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى.

يقول الطاهر: وقد علم من قوله : { من خلاف } أنّه لا يقطع من المحارب إلاّ يد واحدة أو رجل واحدة ولا يقطع يداه أو رجلاه؛ لأنّه لو كان كذلك لم يتصوّر معنى لكون القطع من خلاف . فهَذا التركيب من بديع الإيجاز . ((ونقول إن حذف الألف ربما يكون لهذه الإشارة: أى أنه لايقطع العضوان فى وقت واحد (كيد يمنى ويد يسرى فى وقت واحد حيث أنه فى هذا الوقت سيكون معنى "من خلاف" كاملاً... ولكن لأن

القطع حدث (ناقصاً) من حبث هذا المعنى وكان الأمر بقطع عضو واحـــد فى المـــرة الواحدة .. (مثل اليد اليمنى مثلاً) ويكون فى المرة الثانية (الرجل اليسرى وليست اليد اليسرى – كما هو متوقع) فلهذا المعنى الناقص – كما تخيلتاه – نقص الحرف مـــن كلمة (خلـــــف) للإشارة إلى الوقوف على هذا الحكم بهذه الصورة الناقصة على ما شرحناه) .. ولو رسمت الكلمة بالألف(خلاف) كما تعودنا لما كانت هذه الوقفة الهامة فى هذا الأمر التشريعى... وهكذا فى الآية التالية:

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَـــٰفٍ (١٢٤) ﴾الأعراف أي يقطع من كل جانب عضواً مغايراً للآخر كاليد من جانب والرجل من آخر ، وفى وقت آخر.

﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَـــٰفٍ (٧١)﴾ طه (٤٩)الشعراء

**وتبقى كلمة الخلاف (خلـــف رسول الله) وهى خلاف مجازى، بيانه كالتالى:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ اللَّهِ .. (٨١)﴾ يقال : أقام خلاف الحي . بمعنى بعدهم – ظعنوا ولم يظعن معهم –،(أى خلاف مجازى وليس بالمعنى المـــادى (خلـــف ظهره).. وتشهد له قراءة أبي حيوة : خلف رسول الله (وهذه واحدة)

والثانية: وقيل : هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض (وهذا معنى آخر؛ خلاف معنوى أيضا ، ولكنه يعطى معنى: معصيتهم له)) وهذا هو السر فى اســـتخدام النص القرآنى لكلمة (خلاف رسول الله ولم يقل (بعد رسول الله) لهذين المعنيين معاً.

****ولاحظ ((خلـٰئف))

هكذا فى الأنعام وفاطر((خلـٰئف)) (التى تعطى معنى التواصل وعدم انقطاع ذرية آدم من على ظهر الأرض من لدن آدم عليه السلام إلى ةقت الخطاب وبعده)

الأنعام : الزمخشرى:﴿ جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ الارض ﴾ لأنّ محمداً (ﷺ)خاتم النبيين فخلفت أمّته سائر الأمم ((خلافة روحية ودينية)). أو جعلهم يخلف بعضهم بعضاً . أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها.

وفى فاطر: (وهنا لايقصد بها خلافة التواصل – كما قلنا – ولأنه هنا خطاب للكافرين أى باقى الخلق غير محمد (ﷺ)وأمته فقال (جعلكم (خلـــئف) ((فى)) الأرض..) أى مسخرين فى هذه الأرض .. بخلاف الحديث التشريفى لمحمد (ﷺ) وأتباعه حيث يقول لهم (جعلكم خلــــــئف) الأرض.. بدون حرف (فى) ؛ فأصبح المعنى (قُـــوَّاد هـــذه الأرض وأسياد هذه الأرض إضافة إلى القيادة والخلافة الروحية – كما قلنا –.)

روضات الجنات

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)﴾ الشورى.. كأن روضة جنة المؤمن – أطيب بقعة فيهـا – أى فى الجنة – وأنزهها { عِندَ رَبِّهِمْ }((فالكلمة فيها تحديد وتركيز وزيادة اعتنـاء، بل وتخصيص أطيب بقعة من الجنة نفسها ((روضات الجنات))

وهذا كمثال فتح تاء كلمة جنة(جنت) نعيم فى سورة الواقعة:"فروح وريحان وجنت نعيم" لأنه لايتحدث عن الجنة العامة بل يتحدث عن نوع من الجنة مخصص وكأنه يقول: روح وريحان وجنة مخصوصة... وذلك إضافة إلى الرؤية المفتوحة للجنة – عند احتضار الروح–)

ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟

***﴿.. يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ (١٧٦) ﴾النساء. يقول الزمخشرى وأبو السعود وغيرهما: الكلالة في الأصل مصدرٌ بمعنى الكَلالِ وهو ذهابُ القـوة مـن الإعيـاء، استُعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضَعفهما بالإضافة إلى قَرابتهما، وتُطلق على من لم يخلّفْ ولداً ولا والداً وعلَى مَن لَيس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعـنى ذي كلالة[٢]

وتطلق إما لمعنى الإحاطة وإما لمعنى الإعياء والضعف .. وبما أن قرابة غير الوالد والولد ضعيفة – لأنها بوساطة– أستعير هذا اللفظ لها ((وهنا نقف على سبب رسم الكلمـة بدون ألف قائمة .. ونقول هذا حقها – من المعنى اللغوى أيضاً – وهذا يذكرنا برسم كلمة (شطئه)– بهمزة بدون نبرة – إضافة إلى تعدد قراءها– وقلنا أنه يلاحـظ فيـه (إلتفاف الفرع بالأصل .. وضعف هذا الفرع وذهاب قوته)– وهذا هو ما قلنـاه فى

---

(٢) ويقول صاحب كتاب (أثر الدلالة النحوية واللغوية..)أن إطلاقها على ما عدا الوالد والولد مناسـب، لأصل معناها فى اللغة، لأنها إما لمعنى الإحاطة، والإخوة والأخوات محيطون بالوالد والولد من حيث أنهما أصول وغيرهمـا فروع، (والفرع يحيط بالأصل) دون العكس، لأنهما أصل النسب(أحكام القرآن للجصـاص).. ولـذلك يقـول الفراء: سموا الكلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب من تكلّله النسب: إذا استدار به.

"شطئه" (فرخ الزرع وجوانبه)– وهو ما نكرره مع "الكلالة" حيث كتبت على هذه الهيئة (ٱلْكَلَٰلَة).

وعلى هذا فالمراد بالكلالة من الوارثين من ليس بوالد ولاولد (العصبة القوية) ويجب أن يراعى هذا الملحظ فى رسم الكلمة((إلتفاف الفرع بالأصل .. وضعف هذا الفرع وذهاب قوته)) وحذف الألف فى الكلمة.

﴿ ***إن امرؤا هلك ﴾ولم تكتب إن "امرأ":﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ ..(١٧٦)﴾ فنلاحظ فيها الآتى:

(١) التقديم (لإمرؤا) هنا للإهتمام بهذا المرء المشار إليه.. حيث أنه لم يقل : إن هلك أمرؤ .. بل قال: إن امرؤا هلك .

(٢) الاهتمام الآخر به هو فى طريقة السؤال والجواب: يستفتونك .. قل الله يفتيكم.. فهى فتوى هامة لحالة متفردة ومتميزة.

(٣) وهذا المرء له شأن ثان جاء بطريقة العرض القرآنى فى قوله (وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ).. والشخص – المذكور هذا – هو الذى قيل عنه (إن امرؤا هلك)– أى مات – فكيف يقول عنه هلك ثم يقول بعدها : هو يرثها؟ وكما يقول أبو السعود: {وَهُوَ } أي المرءُ المفروضُ { يَرِثُهَا } أي أختَه المفروضةَ إن فُرض هلاكُها مع بقائه ... والمرادُ بإرثه لها إحرازُ جميع ما لها... وهنا نجد أن هذا الشخص له تميز فى الحالين بحكم خاص له (لعله غريب يناسب غرابة رسم الكلمة.. إضافة إلى أهمية هذا النموذج الذى له تشريع خاص وهام وفتوى من الله ملتفت إليها الجميع.. فله تشريع فى حال موته وله تشريع آخر فى حال موت إخته..)

**﴿ ***وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا (١٢٧) ﴾ النساء.

ملاحظات على الآيات:

(١) لاداعى لتكرار السبب فى حذف الألف من (اليتـــــمى) – مع ملاحظة الضعف والحاجة (ومراجعة ما قلناه عن الكلــــــلة)

(٢) حذف ألف (اللاتى) للتخفيف ولكثرة الاستعمال

(٣) ملاحظة (الولدان) بدون ألف.. لأكثر من سبب منها: الضعف ،ومنها اللصوق بالأم والأب، ومنها : أنه لايقصد الإبن الصلب فقط – كما ذكرنا من قبل–.

(٤)البلاغة فى قوله (وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ).

يقول الزمخشرى عن حذف حرف (عن)أو (فى): يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن ، (وعن) أن تنكحوهن لدمامتهن . (ومعنى هذا الكلام : أن النص القرآنى لم يقل وترغبون (فى) أن تنكحوهن، وحذف حرف (فى) ليعطى المعنيين: (فى) و (عن)، اى: الرغبة فى جمالهن ، أو الرغبة عنهن – البعد عنهن – لدمامتهن). . وهذا من إعجاز الحذف – الذى يسميه البلغاء (شجاعة العربية)–.

ملاحظة: الأبرار كتبت بالألف . ولكن الزركشى ذكرها بدون ألف (لعله بالنظر إلى الذات– فتكتب بالألف– . أو النظر إلى الصفة – وهى ملكوتية– فتكتب بدون ألف.) بخلاف الفجار..فهى على حالة واحدة.(ذاتاً وصفاتاً)............ وهكذا (بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ)

*** ملاحظة﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ الآية وأمثيلاتها يطلب منا تخيل المشهد التصويرى لها لمعرفة سبب كتابتها على هذه الصورة.

***﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ { قَوَّامُونَ عَلَى النساء } يقومون عليهن آمرين ناهين ، كما يقوم الولاة على الرعايا . وسموا قوّاماً لذلك (فليس هو بالقيام المادى الذى هو ضد القعود) بل هو قوامة معنوية.

ملاحظات:. انبعاثهم. القـعدين..الخـلفين.(الأولى انبعاثهم تصور صورة الانبعاث ويناسبه إظهار الألف، والثانية (القـعدين) و(الخالفين) تعبير مجازى) وهو ما يقول أبو السعود: أي المتخلّفين الذين ديدنُهم القعودُ والتخلفُ دائماً وقرىء (الخَلِفين) على القصر، فكان محوُ أساميهم من دفتر المجاهدين ولزُّهم في قَرن الخالفين عقوبةً لهم أيَّ عقوبة.

*** أما (الخوالف):﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ..٨٧ ﴾ فكتبت بالألف .. ويقول أبوالسعود: أى: مع النساء اللاتي شأنُهن القعودُ ولزومُ البيوتِ (قمة التوبيخ لهم وشدته عليهم وهذا يناسبه وضع الألف)، بل لقد قيل أن لها معنى آخر وهو: جمعُ خالفةٍ وقيل : الخالفة من لا خير فيه..فهى مبالغة فى الذم لهم يناسبها زيادة الألف..

وربما وضع الألف ليبين أصل مفرد الكلمة وهى (خالفة) وليست (خلف).. بخلاف (الخالفين)

﴿تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ (الزمخشرى: وقُرِىءَ في المجلسِ[٣]، وقُرِىءَ في المجلَسِ بفتح اللامِ وهو متعلقٌ بتفسحُوا قطعاً أيْ توسعُوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه.

** الحجرت (ينادونك من وراء الحجرت) وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها، ولكنها جمعت إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته.. البقاعى فقال: { الحجرات } و لم يضفها إليه — أى لم يقل حجراتك- إجلالاً له، وليشمل كل ما في غيرها أيضاً،..(إذن هى بمعنى الحجرة على الإفراد)ولذلك لم يوضع فيها ألف إضافة إلى ملحظ جمع المؤنث السالم.

***المرسلات:﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

يقول أبو السعود: { كَأَنَّهُ جمالة } قيلَ: هو جمعُ جملٍ والتاءُ لتأنيثِ الجمعِ (أى جماعة الجمال) يقالُ جملٌ وجمالٌ وجمالةٌ وقيلَ: اسمُ جمعٍ كالحجارة.. الزمخشرى:{ جمالة } جمع جمال.. وقرىء: «جمالات» بالضم: وهي قلوس الجسور. وقيل: قلوس سفن البحر، الواحدة جمالة وقرىء «جمالة» بالكسر.

***﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾النازعات (لاحظ أنه ليس البناء المعتاد كما نبنى البيوت بالطريقة المادية المعلومة) .. بل إن كيفيتها (غيبية مجهولة) وهكذا ***(فَسَوَّىٰهَا) .. (إضافة إلى القراءة بالإمالة للكلمتين) وأيضاً ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ ((راجع حديث الإمالة فى القراءات ومن أجلها كتبتجميعها بغير ألف.. ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾

---

(٣) عَلى أنَّ المرادَ بِهِ الجنسُ وقيلَ: مجلسُ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وكانُوا يتضامُّون تنافساً في القُربِ منهُ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ حرصاً على استماعِ كلامِه وقيلَ: هو المجلسُ منْ مجالسِ القتالِ وهيَ مركزُ الغُزاةِ كقولهِ تَعالى: { مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ } قيلَ: كانَ الرجلُ يأتِي الصفَّ ويقولُ: تفسحُوا فيأبَونَ لِحرصِهم عَلى الشهادة

مثواكم...مَثْوَىٰكُم

(١) ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ (١٢٤) ﴾ الانعام

(٢) ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (١٩) ﴾محمد

(وواضح من هنا الفرق بين الكلمتين المتضادتين : المتقلب – الذى فيه الحركة –، والمثوى – الذى فيه السكون)فكتب الأول بالألف والثانى بدون ألف، وكفى بهذا شارحاً للفرق والإعجاز.

(٣) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ .. (٢١)﴾

وَرَاوَدَتْه (حذف الألف لتشير إلى أن المراودة من طرف واحد فقط.. والطرف الثانى – يوسف– لم تكن منه مراودة ، وإن كان من ناحيته وإيجابية من ناحيتها))

(٤) ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٢٣).﴾كتب (مثْوَاى) بالألف هنا فقط فى رد يوسف على امرأة العزيز ، رغم أنها كتبت بدون ألف فى قول العزيز ، وهنا كأن الكاميرا تصور دواخل النفوسوالإحساس عند كلٍ من العزيز ويوسف عليه السلام حال النطق بالكلمة والتوكيد عليها أو الصراخ بها (الذى يناسبه وضع الألف)وكأنه يصرخ قائلاً – ما قال المفسرون–

{ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مثْواىَ }.. أحسنَ مثواي أي أحسن تعهّدي حيث أمرك بـإكرامي فكيف يمكن أن أُسيء إليه بالخيانة في حَرَمه وفيه إرشادٌ لها إلى رعاية حقِّ العزيز بألطف وجه ، ... ((وأرى – والله أعلم– أن "مثواى":هو حديث عميق من النفس وعن النفس صادر من أعماق قلب مشحون بالإيمان ، و كأنه يصرخ ويعلى صوته ويطيل نفسه بذكر وتقرير هذه الحقيقة ، مستنكراً لهذا الفعل . مثلها قول النبى محمد (ﷺ)مستنكراً ((قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاىء نفسى... وقل سبحان ربى؛ وهى "سبحان" الوحيدة التى كتبت بالألف)).

لاحظ: "هامدة" (فيها ملحظ الهمود المادى أو الجسدى فوضع فيها (الألف)، أما خاشعة﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً ﴾ (ففيها الملحظ الروحى أو المعنوى فحذف الألف).

﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ القلم
((إذن خـــشعة :راعى فيها مشهد الخضوع القلبى .. وهامدة :- ترى الأرض هامـــدة (سورة الحج) فيها المشهد المادى وهمود الجسد.. وسياق الآيات فى كل سورة يـستدعى هذين المشهدين ، فوضع (:خَٰشِعَةً) مع قوله : ومن آياته الليل ..لاتسجدوا للشمس .. واسجدوا لله...فناسب جو التسبيح والسجود قوله: ترى الأرض (خاشعة) ، امـــا آيات سورة الحج فهو خطاب للكفار المكذبين والمنكرين للبعث والنشور(بأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث ... ثم يعدد أطوار الجنين والخلق من تراب والطفولة والكهولـــة والضعف لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، فناسب خطاب الكافر فى هذا الجـــو : (تـــرى الأرض هامدة).
(انفروا ثبات) و (ثُبات) بضمّ الثاء جمع ثُبة بضمّ الثاء أيضاً وهي الجماعة ، والمعنى . عليكم – أيها المؤمنو ن – أن تكونوا دائما على استعداد للقاء أعدائكم ، ولا تغفلـــوا عن كيدهم . فإذا ما حان الوقت لقتالهم فاخرجوا إليهم مـــسرعين جماعـــة فى إثـــر جماعة؛(ولهذا الملحظ من التكرار فى المشهد كتبت "ثبات" بالألف) .. فـــإن قتـــالكم لأعداكم أحيانا يتطلب خروجكم فرقة بعد فرقة -كما قال المفسرون-..
** الذكران{ الذكران } جمع ذكر مقابل الأنثى.وفيه المبالغة فى صفة الذكورة.
**ٱلزَّٰرِعُون..(ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾)، فالزارع على الحقيقة هو الله..
مثال: أمولكم)) .....زلزالها.(حركة وانقلاب).. زرابى .. وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ (لـــيس باختلاف الألوان والأشكال ولكن اختلاف بينه وبين النهار "فى تعاقبهما وصـــفاقمما" وملاحظة حذف الألف من الليل وإبقائه فى النهار ليصور حركة تآكل الليل ســـضور النهار ، وسكون الليل وحركة النهار زظلام الليل وضوء النهار).
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ (الأنعام وصف عام ، أما الدواب فهو وصـــف خاص بما هو متعارف وفيه مشهد الدب على الأرض – الحركة-) ﴿مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾ (أى أجناسه وفصائله) كَذَٰلِكَ .. (٢٨)فاطر. ويقول الزمخشرى: { أَلۡوَٰنُهَا } أجناسها من الرمّان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاقما من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها .
{ *غرابيب } هنا تأكيد لمحذوف والأصل وسود غرابيب أي شديدة الـــسواد .وعـــن عكرمة رضي الله عنه : هي الجبال الطوال السود .(ولذلك وضع الألف(غرابيب)

الرازى: وبدأ بالأشرف منها وهو الإنسان فقال : { وَمِنَ الناس } ثم ذكر الدواب ، لأن منافعها في حياتها (أى فى حركتها للركوب والحرث والزرع وغيرها) **والأنعام منفعتها في** الأكل منها (أى إدرار اللبن وأكل لحومها بعد ذبحها والاستفادة بأصوافهاو...) **وهـذا المعنى الذى ذكره الرازى يؤيد أيضاً وضع الألف فى الدواب وحذفها فى النعام. أو لأن الدابة في العرف تطلق على الفرس وهو بعد الإنسان أشرف من غيره.**

(وبعد هذا التبيان أصبح واضحاً لماذا وضع الألـف فى الـدواب ، وحـذف مـن (الأنعـــم). هكذا كل الأنعـم والدواب والناس.

﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾طه.(للقراءتين – بالنصب والجزم)....بخلاف قوله: **وإما تخافن** (فهى قراءة واحدة للخوف)...**ألا تخافوا.. والتى تخافون.. وكيف أخاف .. تخافون ..لا تخافون ..فلا تخافوهم وخافون من يخافه .**

ٱدَّٰرَكَ ..ٱدَّٰرَكُوا

(١) ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩﴾**القلم.. وقرىء تداركتْهُ وتَداركُهُ** (مشهد إدراك الرحمة له (مجازى ومعنوى وليس مادى) وكذلك الآية التالية ، والحديث عن تدارك العلم ، وهو معنوى وليس مادى)

(٢)﴿ *بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾ **النمل.** وقرىء : «بل أدَّرك» ، «بل ادَّراك» ، «بل ادَّارك» ، «بل تدارك» ، «بل أأدرك» بهمزتين «بل آأدرك» ، بألف بينهما . «بل أدرك» ، بالتخفيف والنقل «بل ادّرك» بفتح اللام وتشديد الدال . وأصله : بل أدّرك؟ على الاستفهام «بلى أدرك» ، «بلى أأدرك» ، «أم تدارك» ، «أم أدرك» فهذه ثنتا عشرة قراءة .

(٣) الأعراف﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ الأعراف . أي تداركوا وتلاحقوا في النار– أى **تدارك الأجسام والذوات** للأشخاص – **فهو تدارك** مادى بخلاف الآيتين السابقتين – مع ملاحظة مشهد **المجادلة العنيفة والقاسية** و { عَذَاباً ضِعْفاً } مضاعفاً و { لكلّ ضعْفٌ } .. **وعلو النبرة..** ولذلك لايذكر لهذه الآية قراءة أخرى.. بخلاف الآيات السابقة التى تتحدث عن مشاهد أهدأ وأخف وطأة وأقل شأناً ومجادلة فى الدنيا ومن تدارك مجازى ومعنوى)

أدعوا

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (١٠٨)﴾ يوسف
﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦)﴾ الرعد
﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي (٤٨)﴾ مريم
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)﴾ الجن

كل (أدعوا) بالألف لتشير إلى التأني وطول النفس والتركيز في الدعوة.

قِيامًا.........قِيَـمًا

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١)﴾ آل عمران..الطاهر: وأراد بقوله : { قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم } **عموم الأحوال كقولهم : ضَربه الظهرَ والبطْن** ،(فهو لايقصد الظهر المادى بفقراته وعظامه ولكنه تعبير للعموم ، وهكذا لايقصد القيام المعلوم لدينا أو القعود ولكنه تعبير مجازى يدل به على جميع الأحوال ، والمجاز فيه واضح) وقولهم : اشتهر **كذا عند أهل الشرق والغرب** – وبالطبع هو لايقصد الكرة الأرضية – ولكنه المجاز –، على أنّ هذه الأحوال هي متعارَف أحوال البشر في السلامة ، أي أحوال الشغل والراحة وقصد النوم . وقيل : أراد أحوال المصلّين : **من قادر ، وعاجز ، وشديد العجز** . وسياق الآية بعيد عن هذا المعنى .**(إذن الكلمة "قيَـمًا" على المجاز)**

ونلاحظ : دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً..تصور حالة الوقوف(القيام) بالفعل .

﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَـمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا** ﴾ (٥)النساء.. يقول الزمخشري: ﴿ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قياما ﴾**أي تقومون بها وتنتعشون** ، ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم . وقرىء : «قيما» ، **بمعنى قياماً** ، كما جاء عوذاً بمعنى عياذاً . وقرأ عبد الله بن عمر : «قواماً» ، بالواو . **وقوام الشيء : ما يقام به** ، كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به ......ويقول أبوالسعود: **وقرىء اللاتي واللواتي وقرىء (قِيَماً) بمعنى قياماً** .. وقرىء قواماً بكسر القاف .. وقرىء بفتحها.

﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَـمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ** .. (١٠٣)﴾ { قياماً } مسايفين ومقارعين { وَقُعُوداً } جاثين على الركب مرامين { وعلى جُنُوبِكُمْ } مثخنين بالجراح..**(وهنا واضح فيه المجاز).**

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴿٩٧﴾﴾ المائدة { قِياماً لِّلنَّاسِ } انتعاشاً لهم في أمر دينهم ودنياهم ، ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم ، لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرهم وتجارتهم ، وأنواع منافعهم (وليس بمعنى وقوفاً على أقــدامهم). وعن عطاء ابن أبي رباح : لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا و لم يؤخروا (أى فى مصالحهم) ابوالسعود: وقرىء (قِيَماً) (إذن الأمر على المجاز ، إضافة إلى القراءة الأخرى "قيماً")

فاسأل ؟.. فسئل .. (رغم كتابتها جميعا فى المصحف لدينا على الصورة الثانية) غير أنها فى بعض المصاحف كتبت بالألف فى آية يونس ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُــونَنَّ مِــنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤)﴾ .. لأن الحديث للنبى محمد (ﷺ)وهو فى أخطر أمــر(إن كنــت فى شك مما أنزلنا عليك فاسأل)، وهو يحتاج الى الحسم والقطع وإظهار الشدة وعلو النبرة .. بخلاف الآيات الأخرى مثل:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾الإسراء وهكذا جميع الآيات على هذا الرسم

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾وكتبت (أَثَٰثًا) بدون ألف(لأنه هو المفروش تحت الجالسين أو الواقفين) ويقول أبوالــسعود: { أَثَاثــاً } أي متاعَ البيت وأصلُه الكثرةُ و(الاجتماعُ) ومنه شعرٌ أثيثٌ { ومتاعا } أي شيئاً يُتمتّع بــه بفنون التمتع... ويعطينا الألوسى ملحظاً آخر وهو: { أَثَاثاً } أي متاع البيت كــالفرش وغيرها كما قال المفصل ، قال الفراء : لا واحد له من لفظه كما أن المتــاع كــذلك (وهذا ملحظ هام جداً جداً نلاحظه فى الأمثلة الشبيهة)

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾الواقعة...﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ الواقعة.هنا قام الرســم القرآنى بتصوير المشهد تصويراً دقيقاً بحذف الحرف وإضافته ؛ فمشهد التحطيم والنقصان (حُطَٰمًا) أنقص منه الألف ، ومشهد الزيادة فى الماء ليصير أجاجاً (بزيادة الملح أو المــواد الضارة عليه يناسبه زيادة الألف أيضاً (وراجع بحثنا ويل للمطففين.)

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً منه.﴾ ..لاحظ جو التباطؤ فى نطق حروف الآية جميعها – وليس الكلمة فقط– بل إنه ليكفى أن ينطق اللسان بكلمة (أَمَنَةً) وعليها الفتحات المتوالية على كل حرف فيها مما يعطى هذا الجو بالمط والتباطؤ والتثاقل الذى يناسب التثاقل فى جو (النعاس)، إضافة إلى جو كلمة (يغشيكم) الذى يعطى نفس الظل الذى أعطته كلمة الخيام والأرحام من التظليل على مافى داخله.ولذلك استحقت الكلمات وضع الألف.

** **وظلتم تفكهون** (ندم .. معنوى) ، **ظلت عليه عاكفا**.. (وفيه مشهد السرعة أيضاً) بخلاف قوله "فيظللن رواكد".– أى السفن–.(فهو مشهد حسى وثقيل وبطىء يدل عليه مابعده – رواكد–) ، ولذلك قال بعدها : إن فى ذلك لآية لكل (صبار) **شكور**.

﴿ و أن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ و ﴿ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ (٢٧)﴾ **لأنها قرنت على الإفراد أيضاً.

****مع استرجاع كلمات** ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ (٨١)﴾ **النحل**. وهى السرابيل (الدنيوية) التى نعلمها على هيئتها **اللينة والخفيفة**، بخلاف قوله تعالى (**سرابيلهم من قطران**) وهى كما **نعلمها فى** جهنم ويوقد فيها النار، فهنا المشهد واضح بثقله وشدته ولايحتاج إلى تعليق **بعد أن قام رسم الكلمة بالتفرقة بين الحالين** والوصفين.

** **(الأسباط)** و(أسباطا)..**بمعنى المجموعات المنفصلة عن بعضها**.

**(سراعا) ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤)..﴾ . ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)﴾ فى الكلمة ظهور من خفاء، وفيها صورة الفعل والحركة (حالٌ من مرفوعِ يخرجونَ أي مسرعينَ

** **(يتلوا) عليهم** . جميعها بالألف(ومعلوم أن التلاوة حديث مسموع ومقروء ومكرر)

****أبكارا** (فى وصف النساء وهو وصف مادى) ،**بخلاف قوله**:﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ (٥٥) ﴾ فهو وصف زمنى.

****(ومثل المسارعة** بدون ألف والعجلة المذمومة بالألف)

** **نلاحظ أيضاً: الشمال والشمائل**.(بالألف) ﴿ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ (١٧) ﴾الأعراف. ((**وهذا من بدائع الرسم ولطائف**

الإشارات من جعل الأيمان لليمن والبركة – وحـذف الألـف للمعـنى الملكـوتى التشريفى–(جهة اليمين) وعكس ذلك (جهة الشمال)).

❁❁❁❁❁❁❁

**﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا ﴾:– هو يتلكأ فى النطق بها كالذى يريد من السامع لـه أن يلتفت إليها ويسأل عنها.. إذن هو يطيل الوقوف على كلمة عصاى ويركز عليها ليتلذذ بطول الحديث مع ربه وكأنه لايريد أن يمرر زمن النطق بها سريعاً .. وقيل أنه كان خائفاً من أن يقال له ألقها – كما قال له "إخلع نعليك" – فأراد أن يثقل النطق بها ليبين أهميتها الكبرى بالنسبة له خوفاً من أن يقال له ألقها هى أيضاً.

❁❁❁❁❁❁❁

**﴿ جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ (لاحظ عملية القلب لقلب الأحوال التى صارت عليهـا فالذى بالعلو (أى: بالألف) كتب بدون ألف.. والأسفل (كتب بالألف)، وهذه إشـارة بديعة من الوحى المعجز يعرفها علماء اللغة والبيان (التعكيس فى اللفظ إذا أمـن اللـبس لملحظ بلاغى عظيم ، ونذكر مثالاً طريفاً يقرب المعنى كما يقول الشاعر واصفاً حاله:

أودى الشباب فما له متفقر   وفقدت أترابى فأين المغبر

ورأين شيخاً قد تحنى صلبه   يمشى فيقعى أو يكب فيعثر

فهو يصف الحال التى وصل إليها وهو فى حال الشيخوخة الآن بعد أن كان هـو الفـتى الذى تتهافت عليه الأتراب عشقاً فيه ، ولكن الحال قد انقلب به رأساً على عقب فعبَّـر عن ذلك بقوله عن نفسه (يمشى فيقعى– أى ينكفىء)، وهذا ترتيب صـحيح ولكـن الوصف القادم ترتيبه غير صحيح ومقلوب) وهو(أو يكب فيعثر) والصواب فيه أن (يعثر فيكب) على وجهه ، ولكن الشاعر أخذ بهذا التنظيم المقلوب ليدل على قلب الأحـوال عنده أيضاً فى الواقع كما هى مقلوبة فى شعره ، وترك الأمر يلاحظه اللبيب من سـياق كلامه.. وهكذا رسم الكلمة هنا. عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا..فالعالى الذى يستحق إظهار الألف فى رسم الكلمة أصبح سافل ، والعكس بالعكس.وقام رسم الكلمة بالتعبير عن ذلك خـير تعبير.وربما يكون السبب هو فى خسف إعلاها (فهو الذى نال هول الكارثة) فحذف منه الألف لمشهد التسفل والتحطيم ، أما سافلها فهو لم يحدث له رفعة – على الواقع – بل إنه على حالته من التسفل (ثابت) كما هو.. والذى يتأمل فى هذا الموقف البلاغى يفهـم لماذا رسمت باقى الكلمات التى تشير إلى العلو والارتفاع بالألف مثال قوله (فى جنة عالية) و لم ترسم هنا ، لأن فى مشهد الجنة العلو فيها حقيقى فى المشهد والثبوت.

** كفاتا(أى متحركة بما فى داخلها). ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ المرسلات. (لاحظ أن الشموخ لا يكون إلا للعقلاء، فهو هنا مجاز . مع ملاحظة المجاز الآخر: وهو ما توصل إليه العلم من أن الجبال ترسوا – كالسفن – ولكنها على كتل منصهرة ومذابة (كالسائل) فى باطن الأرض على الطبقات التى تحت القشرة الأرضية .. **ولعل هذا الرسم بهذا الغموض يشير إلى هذا الرمز، والله أعلم.**

❁❁❁❁❁❁

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ ﴿١٩﴾ ﴾البقرة. { **فِيهِ ظلمات }. ((**والظلمة فيها الخفاء والنور فيه الظهور**)) . والظلمات جميعها بدون ألف ، وذلك لأن الظلام لون واحد لايختلف فى شدته (فالجمع مشابه للمفرد)..و يفسر بالكفر(مجاز أيضاً)..

**الإصباح.. يلاحظ فيه عملية الحركة بالظهور وليس المقصود هو مسمى الصبح نفسه.

**{ حُسْبَانًا } أي حساباً ، يقال : خذ كل شيء بحُسْبانه أي : بحسابه . وقال الكلبي : ويقال للشيء المعلق : حسباناً .

((وأرى –كما رأى محققى البلاغة من قبل فى أبحاثهم — وكما قال الإمام البقاعى: أن الحسبان هو الحساب المضبوط الدقيق ، { بحسبان * } أي جريهما ، يجري كل منهما – مع اشتراكهما في أنهما كوكبان سماويان – بحساب عظيم جداً لا تكاد توصف جلالته في دقته وكثرة سعته وعظم ما يتفرع عليه من المنافع الدينية والدنيوية ،.

. وهكذا الحال بالنسبة لقوله تعالى (ويرسل عليها حسباناً من السماء: أى شيئاً مدمراً محسوباً حساباً فى غاية الدقة لاخلل فيه بحيث لايتجاوز الإهلاك هذه الجنة شبراً واحداً إلى غيرها من الجنان المجاورة ولا يبقى منها شبراً واحداً غير مدمر.. ويلاحظ علماء البيان أن زيادة الألف والنون فى الكلمة (حسبان) يشعر بالمبالغة فى الفعل، ففى الصفات نجد ذلك واضحاً مثل : نومان ، شبعان ، الطيران فيه مبالغة أكثر من الطير... مع ملاحظة أنه بالألف لأنه يتحدث عن الحساب وهو العد (فى الحالتين) والعد هو تكرار الفعل)

❁❁❁❁❁❁

** والإشراق.**بالألف** لعملية الظهور بالضوء وليس الوقت نفسه ، وأيضاً لشدة ظهور الضوء فيها (الزمخشرى: أي : **تضيء ويصفوا شعاعها وهو وقت الضحى** ، وأما شروقها فطلوعها ، يقال : شرقت الشمس ، ولما تشرق) ، وقال الثعلبيُّ : وليس الإشْرَاقُ طُلُوعَ الشَّمْسِ ، وإِنَّما **هو صَفَاؤُها وضوءها** ، انتهى

**الصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ. أبوالسعود: والصَّافِنُ من الخيلِ : الذي يقومُ على طَرَفِ سُنبكِ يد أو رجلٍ ، وهو من الصِّفات المحمودةِ في الخيلِ (معنوى أو ملكوتى)لا يكادُ يتَّفِقُ إلا في العِرابِ الخُلَّصِ ، { الجياد } جمعُ جوادٍ وجودٍ وهو الذي يُسرع في جريه وقيل : الـــذي يجودُ عند الرَّكضِ ، ((إذن التعبير يصف حالةً الوقوف على رجل واحدة لايتحرك – فكتب بدون الألف –،إضافة إلى المعنى المعنوى والتشريفى.. ثم وصف حالة الحركـــة والسرعة والرشاقة فى الحركة – فوضع الألف– إضافة إلى إن (الصافنات جمع مؤنـــث سالم يحذف ألفه للتخفيف) وقيل : وُصفتْ بالصُّفون والجَودةِ لبيان جمعها بين الوصـــفينِ المحمودينِ واقفةً وجاريةً أي إذا وقفتْ كانتْ ساكنةً مطمئنة في مواقفها وإذا جرتْ كانت سِراعاً خفافاً في جَريها ... وفي الحديث «من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار» أي يديمون له القيام (والدوام يناسبه حذف الألف)

** حتى توارت (نصف عمق الحركة وبعدها – وليس عملية الإخفاء هى المقصودة هنا–).. **والأعناق (واضـــح الارتفـــاع والظهـــور).. الوهـــاب(صـــفة إيجابيـــة فيهـــا الإعطاء)...صالوا (صفة الفعل).. ..أصنام ..

**﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ (مشهد الالتصاق).. ﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ الرعد

ملحوظة: قال مجاهد وقتادة : الصنوان (بالألف) النخلة التي في أصلها نخلتان ، وثـــلاث أصلهن واحدة . وقال الضحاك : يعني : النخل المتفرق والمجتمع ويقال { صنوان } النخلة التي بجنبها نخلات وغير صنوان يعني : المنفردة .

**﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ يعني : العقوبات ، والنقمات قبل قريش فـــيمن هلك ، وأصل المثلة : الشبه ، وما يعتبر به ، وجمعه المثلات (إذن هو معنوى)

**﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ وَٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ (ٱلسَّٰبِقُونَ: السبق هنا سبق معنوى وليس سباق مادى.. إضافة إلى صيغة الجمـــع المذكر السالم)

ٱلْمُهَٰجِرِينَ.بدون ألف لتفرقتها من (ٱلْأَنصَارِ) التى فيها معنى النصرة لغيرهم (صـــورة الفعل المتعدى نفعه لغيرهم).. بِإِحْسَٰنٍ (دائماً الإحســـــن) بدون ألف..

على صلوتهم يحافظون (عمل إيجابى .(الفعل). أى بالعمل المتكرر لها -- فعل متجدد-) ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ ﴾ (عمل سلبى .(الامتناع عن الفعل).أى بالمنع من تدنيسه أو الاقتراب منه فقط.. وهو إسم – يفيد الثبات – وليس فعل مثل: يحافظون يفيد التجدد) ومثله :للزكوة "فـعلون" (.. **الألوسى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝ ﴾ **يقول الظاهر: أن المراد بالزكاة المعنى المصدري – أعني التزكية -- لأنه الذي يتعلق به فعلهم (أى الزكاة للتزكية)، .. .. ، وهذا أحد الوجوه للعدول عن قوله(والذين يزكون) إلى ما في «النظم الكريم» .((وكأنه يقول أنه لايطلب تأدية الزكاة (بالمقدار والصورة المعلومة لدينا) ولكنه يريد المصاحبة القلبية لهذا الفعل والتزكية الروحية)) فما أروع هذه الإشارة العظيمة فى رسم الكلمة مع الأداء القرآنى فى قمة البلاغة.**

ونكرر: أن معنى ذلك أنه يرجح معنى (فاعلون) لطهارة القلب ، وهو غير المعنى الظاهر من تأدية الزكاة .. وأيضاً ربما لأنه يريد المعنيين معاً ..ولذلك كتبت بدون ألف. (وراجع واليل إذا يسر)

وراجع الشرح عند قوله (قل إصلاح لهم خير))

﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ ۝ ﴾ (رؤى فى الخيال– ليسوا فى الواقع – فتكتب على خلاف الواقع -(الألوسى: وإنما قالوا { أضغاث أحلام } بالجمع مع أن الرؤيا ما كانت إلا واحدة للمبالغة في وصف ذلك بالبطلان ، وهذا كما يقال : فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرساً واحداً وما له إلا عمامة فردة.. .. ، ثم لا يخفى حسن موقع الأضغاث مع السنابل ، **فيالله در شأن التنزيل ما أبدع رياض بلاغته**).

وضاقت (فيها ملحظ الإحاطة بهم والتضييق عليهم)..بطارد**(صورة وحركة الفعل).

...نغادر.. لايغادر

﴿ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ۝ ﴾سبأ. الزمخشرى: وقرىء : { فِى الغرفات } بضم الراء وفتحها (وسكونها) — أى : **الغرفة . وفي الغرفة..

﴿ لَهُمْ جَزَاء الضعف ﴾ أبو السعود: ومعناه أنّ تضاعفَ لهم حسناتُهم الواحدةُ عشراً فما فوقَها وقُرئ جزاءَ الضِّعفُ أي فأولئك لهم الضِّعفُ جزاءً **وجزاءٌ الضِّعفَ ، على أنْ

يجازوا الضِّعفَ وجزاءٌ الضِّعفُ بالرفع على أنَّ الضِّعفُ بدلٌ من جزاءٌ.(**ولذلك لم تكتب بالواو (جزاؤا الضعف).لاحتمال هذه القراءة الثانية.**

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ...﴾ الزمخشرى: والمراد بذكر الغداة والعشي : الدوام .. وقرىء : «بالغدوة والعشي».

ٱلطَّلَٰقُ (حذف الألف يعطى ملمح التخفيف لصورة وحِدَّة الحكم على الطرفين ، والتضييق في وقوع هذا الفعل الذى وصفه ربنا بمرتين فقط.. بل إن الله تعالى يهون من شأنه على نفسية المرأة والرجل فى قوله "وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته" فوعدهما بالغنى والسعة بعده).. بخلاف رسم كلمة "**الفراق**" بالألف فى قوله (وظن أنه الفراق) فهو يريد مشهد هذا التهويل فى البعد والتباعد يوم القيامة.

** **فإمساك** (كأنه يشدد ويطيل فى النطق الصوتى على ضرورة وأولوية الإمساك ، وكأن الكاتب وهو يكتب يستشعر هذا المعنى وينطق بها بنبرة شديدة.. إضافة إلى صورة الأمر فى الفعل كأنه يقول له ويكرر القول: أمسك بمعروف . أمسك بمعروف. وهذا يستدعى علو النبرة مع مشهد التكرار وكلاهما يستدعى وضع الألف). .

بِإِحْسَٰنٍ (دائماً الإحسان الذى هو أعلى الدرجات يكتب بدون الألف، ولعل حديث النبى (ﷺ).يفسرذلك القرب فى قوله (أن تعبد الله كأنك تراه .. وهو بلا شك عمل قلبي ومراقبة قلبية لله وقرب شديد له.).**

** ضِرارًا (فيها صورة الفعل والقيام بالإضرار كأنه يقول لاتضروهن مع مشهد التكرار)

** إنكم عائدون (**إسم فاعل يفيد التكرار**)...

** الطامة. { الطامة } الداهية التي تطم على الدواهي ، أي : تعلو وتغلب ...تظهرون(قرئت :تظَّهرون.).يظهروا......مراءً ظهرا(غير متعمق فيه).. ، **قرى**

** ظهرة (غير بعيدة وملتصقة ببعضها) .. **ظهرين....**

❁❁❁❁❁❁❁❁

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾

يعني : ثلاث ساعات وقت غرة ، أي : **عورة وغفلة** ، وهن أوقات التجرد وظهور العورة .((وأقول: والله ما أروع وما أجمل وما أبهر هذا التعبيرالخطير الذى يصور أوقات الخلوة بين الرجل وامرأته– التى هى فى الخفاء والستر الذى نعلمه ولايحق لنا

الاطلاع عليه – وأن يسميه النص القرآنى (ثلاث عورات)، وكلنا يعلم أن العورة هى المكان الذى يجب ستره وإخفاؤه .. ويزيد هذا الإبهار إبهاراً فى رسم الكلمة وهو يقوم بإخفاء الألف .. فأى إعجاز هذا وأى إبهار هذا لقوم يعقلون ؟!!!))

❁❁❁❁❁❁❁

**﴿طَوَّفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾{ طَوفُونَ عَلَيْكُمْ } يعني : يتقلبون (فيكم) ليلاً ونهاراً (يدخلون) عليكم بغير استئذان في الخدمة { بَعْضُكُمْ على بَعْض } أي يدخل بعضكم على بعض بغير إذن.. (أى أنه لايقصد الطواف المعلوم الذى هو طواف (حول الشيء) ولكنه هنا يقصد – كما يقول المفسرون– الدخول فيهم وفى وسطهم، ولذلك يقول أبو السعود: وهي المخالطةُ الضَّرورية وكثرةُ المداخلة. ولهذا كله حذف الألف...بخلاف رسم الكلمة فى قوله : يطاف ، للطائفين....طَائفة.. طائفتان (فهى لمحة وإشارة من الرسم المعجز للتفرقة بين الطوافين (طواف الأولاد على آبائهن ، وطواف العبادة بصورته المعلومة). وملاحظة كلمة "العكفين".

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَيِشَ ﴾ –.ويقول الطاهر: ومعايش جمع معيشه ، وهي ما يعيش به الحيّ من الطّعام والشّراب ، مشتقّة من العيش وهو الحياة ، وأصل المعيشة اسم مصدر عاش قال تعالى : ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾ [طه : ١٢٤]﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾سمي به الشّيء الذي يحصل به العيش .. .(يقصد أن هذه النعم ليست هى المعيشة التى بمعنى الحياة – كما يقول ظاهر اللفظ – ولكنها سبب ووسيلة للمعيشة – التى هى الحياة–. وبذلك أصبح ظاهر الكلمة يختلف عن معناها الحقيقى فرسمت على خلاف الأصل .. وهذا ما قال عنه الطاهر(على طريقة المجاز).. ولكن ليس فيه ملحظ الحركة والقيام من الركود والنوم الذى صورته الآية السابقة (وجعلنا النهار معاشا) بعد قوله (النوم لباسا).

***﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الهالكين) .

.***﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾–(لاحظ وتأمل حذف الألفين لصورة المغارات وخفائها ومسارها،من غَارَ الشيء إذا دخل في الأرض ، بل إننا نجد الزمخشرى يشير إلى معنى السرعة فى الكلمة وهو قوله: ويجوز أن يكون من : أغار الثعلب ، إذا أسرع ، بمعنى مهارب ومفارّ) ....

**عابرى سبيل (صورة الفعل)....العادين.(يقومون بالعد والتكرار فى الفعل).
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ.. ﴾ (لاحظ وتأمل صورة الغفلة والغافل بالمفرد ثم تأمل قوله: غـفلاً، وقارنها برسم كلمة: لا غالب لكم.) **أما صيغة الجمع المؤنث فيحذف منهما الألف . غـفلين .. غـفلـت غـلبون....**
** غلاظ.(تصوير لحالة الغلظة حتى فى جرس الكلمة فكان لايمكن حذف الألف فى هذا المشهد المفخم كل ما فيه).. وغواص (صورة الفعل والعمق).
﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾..﴾.وقُرئ فَرِهين وهو أبلغ.
﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴿١٥٣﴾﴾.(فالذى فات قد انقطع وصله فوضع الألف .. أما ما أصابنا فما زال جرحه – مستمراً أثره –وأثره وهى مستشف من كلمة الإصابة). **ومثله : فاتكم شيء...
** أفواجا.. فلما أفاق..الألواح ..
﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾..﴾ (المنشئات) يقول أبو السعود: المرفوعاتُ الشُّرُعِ ، أو المصنوعاتُ ، وقُرِىءَ بكسر الشين . أيْ الرافعاتُ الشرْعَ ، أو اللاتي ينشئنَ الأمواجَ بجريهنَّ.. ويقول الثعالبى: وقرأ حمزة وأبو بكر : «المُنْشِئَاتُ» بكسر الشين ، أي : اللواتي أنشأْنَ جَرْيَهُنَّ ، أي : ابتدأْنَهُ (هى)، وقرأ الباقون بفتح الشين ، أي : أنشأها اللَّهُ أو الناسُ ..الألوسى: أو اللاتي ينشئن السير إقبالاً وإدبار (...(فعلى هذا الشرح نجد أنها تعطى المعنيين : التى تَرفع ، والتى تُرفع : أى المرفوعة) **ولأجل هذين المعنيين وضعت الهمزة على هذه الصورة لتناسب هذه القراءات وهذه المعانى)
كَٱلْأَعْلَٰمِ يقول الثعالبى:{ كالأعلام } أي كالجبالِ على الإطلاقِ لا التي عليها النارُ للاهتداء خاصَّة . (((إذن هى ليست بمعنى الأعلام المعلومة لدينا.. ولذلك خولف فى رسم الكَلمة ونقص منها الألف)**
** ويقول الإمام الزركشي: وكذلك لتخذت عليه أجرا حذفت الألف ووصلت لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود فلزم عليه الأجر واتصل به حكما، بخلاف لاتخذوك خليلا ليس فيه وصلة اللزوم .

﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾.﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ آل عمران (كل هذه الصور على المجاز حيث أن المقصود منها ليس العقب الذى هو مؤخرة القدم**)

العاكف .. الْعَاكِفُ

الجمع المذكر السالم كما تعودنا يكون دائماً بدون ألف (العـكفون والعـكفين) – **إلا ما** استثنى لحكمة بليغة– ولكن المفرد يختلف : **فإذا كان العكوف علـى صـنم** (أى مـادى) فتكتب بالألف.. وإن كان العكوف لله أو فى المساجد **فهو ملكوتى يكتب بدون ألف:**

(١) ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ (٢٥) **الحج**.ولاحظ (**الباد**) الغير مقيم – أى المتحرك والمسافر– كتب بالألف ، ولكنه لايقصد تصوير فعل الحركة وهو فى داخل المسجد وفى أثناء الاعتكاف ولكنه يقصد أنه ليس من أهل البلدة(مكة) ولذلك قام الرسم بحذف الياء من (البادى) لإعطاء هذه الإشارة – كما قلنا ذلك فى قوله (والليل إذا يسر) و لم تكتب (يسرى) لهذا المعنى المجازى وغيره..

(٢) ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾.طه.

هنا العكوف على صنم مادى ، وليس عكوفاً معنوياً لله.... وربما يقال رأى آخرهو: أن آية سورة طه جاءت على لفظ إسم الفاعل وفيه صفة الفعل بدليل قوله قبلها{ ظَلْتَ } – فوضع الألف– بخلاف آية سورة الحج فهو على الإسم أو الصفة.

**﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ (وَالْحُرُمَاتُ: أى المصانة والمكنونة مثلها مثل "ثلاث عورت")

وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ﴾{ **والانصاب** } وهي الأصنام **المنصوبة للعبادة** ، وفرق بعضهم بين الأنصاب والأصنام **بأن الأنصاب حجارة لم تـصور** كـانوا ينصبوها للعبادة ويذبحون عندها ، **والأصنام ما صور وعبـد** مـن دون الله عـز وجـل **{والازلـم} وهي القداح.التى تدور** ..(لاحظ الثبات والانتـصاب والماديـة هنـاك (الأنصاب) والدوران وعدم الثبات فى الْأَزْلَامُ).ولعل هذا يقرب لنا كتابـة "شـعائر" بالألف – مع الصفا والمروة (جبلين ثابتين)– ، وبغير الألف مع الهَدى المـتغير وبـاقى الشعائر القلبية)

**مهانا(وضع الألف يشير إلى التركيز على الصفة كما زاد الهاء فى قوله تعالى قبلها ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾..وهذا من أشد التناسب مع تعديد أكبر الجرائم وهى﴿ والَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩)﴾

**﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾.﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾. وهنا نلاحظ ملاحظة هامة فى التفرقة بين الإسم "وَأَنْهَٰرًا" جمع نهر ، وبين إنهار" بصيغة الفعل أى: وقع– فوضع فيها الألف لصورة الفعل و لم يضعها فى صورة الإسم–)).

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ (((ليست بجاهلية عدم القراءة والكتابة ولكنها **جاهلية المعصية وتحكيم غير الله وربما يكون فاعل ذلك أعلم العلماء فى العلم الدنيوى والقراءة والكتابة)) ..... ** ﴿التقى **الجمعان**﴾.(مثنى وواضح فيه التفرقة).

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ((لعلنا نشاهد هذا الحذف فى الأمور التى يحدث **بها تلذذ لصاحبها دون النظر إلى التعدى على الطرف الآخر ، ولعل ذلك يشابه (**الفوحش**) ، (**الفحشة**)– بدون ألف– بخلاف "**السيئات**" بالألف– ولعل الفاحشة فيها تلذذ ولايتعدى اثرها على الغير بخلاف السيئات التى تسىء إلى الآخرين

****يوادون**(فيها المبالغة فى المودة ويظهر ذلك فى مد الصوت بالكلمة وبزيادة الألف)...

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (ليس بالميراث على الحقيقة بالصورة المعلومة لدينا ولكنه يقصد **الملك الدائم لله)مثل قوله: **وكنا نحن** (الله) **الورثين**(جمع مذكر سالم ، وصيغة المجاز وليس بالميراث على الحقيقة)..

** **بخلاف قوله: وتأكلون التراث**. يقول أبو السعود: **أي الميراثَ وأصلُه وراثٌ** ﴿ **أَكْلاً لَّمّاً** ﴾ أيْ ذَا لمٍ أي جمعٍ بينَ الحلالِ والحرامِ فإنهم كانُوا **لا يُورثونَ النساءَ والصبيانَ** ويأكلونَ أنصباءَهم أو ويأكلونَ **ما جمعَهُ المورثُ من حلالٍ وحرامٍ** عالمينَ بذلكَ. (((**إذن لابد من إظهار الألف** لسببين : أولهما:**أنه ميراث مادى وعلى الحقيقة** ، والثانى : **أن أصل الكلمة** "وراث"**فيها الألف أيضاً** .. **وقد رأينا من قبل أن الرسم القرآنى براعى أصل الكلمة**))).

**﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ويقول الإمام الطاهر: وتقديم { ربي } على

فعل { أكرمني } وفعلِ { أهانني } ، دون أن يقول : أكرمني ربي أو أهانني ربي ، لقصد تقوّي الحكم ، أي أنه **يقول ذلك جازماً به غير متردد**(((وهنا أقف لأقول : لعل هــذا القول من الإمام الطاهر --(أي يقول ذلك جازماً به غير متردد)- هو السبب الآخــر فى حذف حرف الياء التى تمط الكلمة — حين النطق بها- ولاتعطيها صفة وجرس الجــزم — والله أعلم — وأيضاً للإستغناء بياء الضمير التى فى (ربى): ربى أكرمن..ربى أهانن.. وهذا كما قلنا نوع بلاغى عظيم يسمونه باب الحذف ويسمونه شجاعة العربية)).

﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝﴾ (هنا يقصد **إخفاء الشيء ، مما يناسبه إخفاء الألف) **بخلاف قوله: حتى توارت بالحجاب**- أى الخيل- (فهو يقصد **جريها وبعدها** — **أى عمق وبعد حركتها**- فكان إضافة الألف.))

﴿إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ (وصية من جانب واحد**.. كما قلنا فى "**رودته**" بــدون ألف)..، ولكن (**تواصوا**)..(**أتواصو**)...(فيه مشاركة من الجانبين فوضع الألف).

مواضعه... مواطن...** **أتعدانني** (إنه يتعجب أو يتهكم — إستفهام إنكارى- ويريد أن يطيل فى كلامه ، ولذلك نجد النونين فى الكلمة "أتعدانني"))...

وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ (صيغة خبرية مع وجود القراءتين: وعدنا ،واعدنا)... **لاتواعدوهن (هنا صيغة الأمر والنهى يستدعى وجود الألف).. **تواعدتم** (مفاعلة من طرفين وليس لها قراءة أخرى)).......

أنعــماً وأناسي (مبالغة وتخصيص لصفة الإنــسان ولوجــود "مــاءً طهــورا")......

النفــثــت..(جمع مؤنث ، وإضافة لذلك معنى السحر والخفاء فيه)

****الأنفال** (مادية).. **نافلة** (أى زائدة).. **الناقور**(المخروج للصوت).. **انتقام**(لاحظ جرس الكلمة وصيغة "إفتعال")

مناكبها أي فاسلكُوا في جوانبهَا أو جِبَالهَا.

﴿غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ (فيها صورة الهدم بعد الإتقان فى الصنع) ..

****نكاحاً**... **النكاح** (إنشاء علاقة زواج فيها العلن والإشهار) ..

أنكالاً (نوع عذاب **{ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً } جمعُ نِكْلٍ وهو القيدُ الثقيلُ** .)

نكال . نكالا .

(١)**﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾البقرة..اي عبرة لمن بعدهم . ((والنكال هنا فى الدنيا فقط وملحظ العبرة منه وليس تصوير الفعل- النكال والتعذيب-))

(٢)*﴿ * فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾...﴾ النازعات .(نكال فى الدنيا والآخرة . ومحلُّهُ النصبُ على أنَّه مصدرٌ مُؤكدٌ.(هنا الحديث عن الفعل من الله بهم. (فأخذه).وليس عن التذكار بعد الفعل (فجعله)، أو أخذ العبرة منه - كما فى الآية السابقة : (فجعلنها نكـلا). كأنه قيل : نكل الله به نكال الآخرة والأولى (هكذا صيغة الفعل) والنكال بمعنى التنكيل ، كالسلام بمعنى التسليم . يعني الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة

ويقول الطاهر: وحقيقة (الأخذ) : التناول باليد ، ويستعار كثيراً للمقدرة والغلبة كما قال تعالى :﴿ فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ القمر : ٤٢ وقال : ﴿ فأخذهم أخذة رابية﴾ الحاقة : ١٠. والمعنى : فلم يُفلت من عقاب الله .((إذن المشاهد هنا لاستعراض وتوكيد القوة))...ويكمل الطاهر: وإضافة { نكال } إلى { الآخرة والأولى } على معنى (في) فالنكال في الأولى هو الغرق ، والنكال في الآخرة هو عذاب جهنم .

وقد استُعمل النكال في حقيقته ومجازه لأن ما حصل لفرعون في الدنيا هو نكال حقيقي وما يصيبه في الآخرة أطلق عليه النكال لأنه يشبه النكال في شدة التعذيب ولا يحصل به نكالٌ يوم القيامة .

من إجل هذه المعانى وضع الألف (نكال)

(٣)*﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨).﴾ .((النكال فى الدنيا فقط)) هنا الحديث عن النكال – أيضاً – للعبرة والتذكار بعد الفعل وليس الحديث عن تصوير الفعل والحدث - كما فى النازعات التى كتبت وحدها بالألف لذلك-.

الألوسى : .. والجزاء إشارة إلى أن فيه حق العبد (قطع اليد)، والنكال إشارة إلى أن فيه حق الله تعالى ، ولا يخفى ما فيه فتأمل ،((ولعل النكال بعد هذا العرض يشير إلى عذاب الآخرة ، أو التعيير (المعنوى والنفسى) فى الدنيا.. وعلى كلا المعنيين يكون السبب

في حذف الألف واضحاً)) ****: **ومن الغريب أنه نقل عن أبيّ رضي الله تعالى عنه أنه قرأ والسرّق والسرّقة بترك الألف وتشديد الراء** ، فقال ابن عطية : إن هـذه القـراءة تصحيف لأن السارق والسارقة قد كتبا في المصحف بدون الألف ، وقيل : في توجيهها أنهما جمع سارق وسارقة ، لكن قيل : إنه لم ينقل هذا الجمع في جمع المؤنث؛ فلو قيـل : إنهما صيغة مبالغة لكان أقرب.

**الواقعة...﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ (فهى ليست بمواقع على الحقيقة فهى فى دوران مستمر وحركة دائبة) ولذلك قال المفسرون{ بمواقـع النجـوم } أي بمساقطها وهي مغاربُها. وقيل : النجومُ نجومُ القرآنِ ومواقعُها أوقاتُ نزولها))

**ساهون (الساهى عن الشيء هى حالة ربما يكون الشيء ظاهراً أمامه فى الوجود وهو يسهو عنه .. أما الناسى فقد كان هناك شيئاً موجوداً وانمحى من ذاكرته ، ومنها جـاء لفظ (إنسـن) على غير الرسم المعتاد – بغير الألف – ليدل على هذه الصورة المذكورة)

**خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٍ (فقر وعدم المال)

❁❁❁❁❁❁

﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ ﴿٤٤﴾ ﴾الكهف..{ الولاية } بالفتح النصرة والتـولي ، وبالكـسر السلطان والملك ، وقد قرىء بهما . **(ولعل الولاية هنا فيها معنى وملحـظ الإلـصاق والقرب الشديد من أوليائه ، وهى من بـاب أولى أقـرب فى الـصلة مـن كلمـة "صاحب"و"أزوج" و"ولديه" التى كتبت بدون ألف) .. وقيل { هُنَالِكَ } إشـارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله ،......

**﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ أي الصلوات الخمس . هكذا روي عن أبي الهيثم ومسروق؛ وقال مسروق : { يَعْمَلُونَ الصالحات } هي الخمس صلوات ، وهي الحسنات يذهبن السيئات ، ((فالباقيات هنا ليست بقايا مادية ولكنهاآثار العمل الصالح....) وكذلك .. عن مجاهد في قوله { والباقيات الـصالحات } قـال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

**﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ (ليس بمعنى القضاء فى المحاكم أو المجالس ولكنه: خلقهن خلقاً ابداعياً وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة.).

القـعدين..قـعدون.... مقـعد للقتال.. كنا نقعد مقعد للسمع (هى ليست مقاعد – كما نعلمها – ولكنهامراكز وخطط ، فهى على المجاز).

القـــنطين.(فيها الإنكسار والإحباط)..القـــنتين..فيها الإنكسار ولكـــن لله. **القـــانع.**
{القانع } **السائل** (المشهد فيه حركة تمتد للغير بالطلـــب) .. **الـــسمرقندى:** فالقـــانع الراضي الذي يقنع بما أعطي **وهو السائل ، والمعتر الذي يتعرض للمسألة ولا يتكلم؛**
** كسالى..(مط الكلمة وتراخيها مع مط الكسل وتراخيه)﴿ فَأَلْقِه إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَـنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)..﴾ (ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ) فيها ملفت السرعة والخفاء حتى لايراه أحد فحذف الياء.
**لدى الحناجر (معنوى) .. لدا الباب (مادى ملموس)
﴿ وَإِنَّا لَهُ كَـتِبُونَ ﴾ **السمرقندى: يعني : حافظين مجازين .(أى ليست بالكتابـــة المعهودة لدينا)
**﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ﴾ (نداء نوح هنا نداء من العبد ولكنه حذف الألف لتصوير شدة قرب نوح من الله وبخاصة فى هذا المشهد العصيب الذى لايوجد قرب أكثـــر منـــه)..
نادة.(الله **هو المنادى** ولكن بلفظ المفرد) فَنَادَىٰهَا **نادـــهما..لـــدينـــه.** فى سورة مريم (**الله هو المنادى** ولكن بلفظ الجمع الذى يعطى شدة القرب والعناية **وما فيها من** القرب والحنان... مما يستدعى حذف الألف) **وهكذا: وقربنـــه..رفعنـــه .....**
بخلاف النداء من الخلق بعضهم لبعض فتكتب بالألف وكأنه يقول- عن طريق رســـم الكلمة "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"- .**ينادونك..ينادونهم ..منادىا ينادى** (عـــن محمد (ﷺ).. **فتنادوا .. ناديكم ... ناديه...**
أما (نحسات) فوضع فيها الألف رغم أنها جمع مؤنث سالم (يحذف منه الألف للتخفيف) ولعل القارىء يلاحظ تكشيرة الوجه حال النطق بها ، وكأن الألف يرسم هذه اللمحة...
** **لواحة**..(ظهور وتكرار). **لواذا .. يلوذ بعضهم ببعض ، فجاجا..**
.**المخاض**..**مدادا**... **المدائن**.. المرجان... **مارد**... **فلا تمار** فيهم ...
﴿أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾**الزمخشرى: وقرىء : «أفتمرونه» وقيـــل : أفتمرونـــه : أفتجحدونه .**
فبأى آلاء ربك تتمارى.. **الطاهر**: تفاعلاً مستعملاً في المبالغة في حصول الفعل

** ﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ ﴾
حذف الألف للأسباب التالية:

أولاً : يوجد تواصل بين هذه السورة وسورة الفيل حتى أن كثيراً من العلماء عـدهما سورة واحدة .

وكما نقل الزمخشرى وغيره: أي : فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ، ..، وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة ، بلا فصل . وعن عمر : أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب . وقرأ في الأولى : «والتين» . والمعنى أنه أهلك الحبـشة الـذين قـصدوهم ليتسامع الناس بذلك ، فيتهيبوهم زيادة تهيب ، ويحترموهم فضل احترام ، حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم ، فلا يجترىء أحد عليهم ، وكانت لقريش رحلتان؛ يرحلون في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، فيمتارون ويتجرون ، وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته ، فلا يتعرّض لهم ، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم .

(فهذا السبب الأول فى وصل حروف الكلمة و (لإيلاف) و(ايلافهم).

والسبب الثانى فى فهم معنى (إيلاف قريش)وهو:

. وكما نقل الرازى وغيره: ذكروا في الإيلاف ثلاثة أوجه أحدها : أن الإيـلاف هـو الإلف قال علماء اللغة : ألفت الشيء وألفته إلفاً وإلافاً وإيلافاً بمعنى واحد ، أي لزمته فيكون المعنى لإلف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا ، وقرأ أبو جعفر : (لإلف قريش) . وقرأ الآخرون (لإلاف قريش) ، وقرأ عكرمة (ليلاف قريش) .. وهـو كقوله : { ولكن الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ } [الأنفال : ٦٣] (فلهذا المعنى الذى هو الإلـف والتجمع (كان لابد من حذف الألف) إضافة إلى السبب الثالث وهو تعدد القراءات التى تستدعى حذف الألف، وقد ذكرنا طرفاً منها ونكمل قولهم:.. وقرأ أبو جعفـر (ليلاف) بغير همز

ويقول الطاهر: وقرأه الجمهور في الموضعين لإيلاف } بياء بعد الهمزة وهـي تخفيـف للهمزة الثانية . وقرأ ابن عامر «لإلاف» الأولِ بحذف الياء التي أصلها همزة ثانيـة ، وقرأه { إيلافهم } بإثبات الياء مثل الجمهور (ولذلك زيدت المدة فى الكلمة الثانيـة (إِۦلَـٰفِهِم). وقرأ أبو جعفر «لِيلاَف قريش» بحذف الهمزة الأولى (وبالتالى عدم وضـع الألف). وقرأ «إلافهم» بهمزة مكسورة من غير ياء .(ولذلك رجح وضع المدة بعـد الهمز(إِۦلَـٰفِهِم).

ويكمل الإمام الطاهر: والقراءات روايات ولـــيس خـــط المـــصحف إلا كالتـــذكرة للقارىء، ورسم المصحف سُنّة متّبعة سنّها الصحابة الذين عُيّنوا لنسخ المصاحف .

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

ولاحظ (ٱلْمَسَٰكِين) كتبت بدون ألف.. (والسائلين) كتبت بالألف– ولاحظ مـــشهد الحركة ومد اليد للغير فى معنى السائلين والتى ناسبها مد الألف وإظهاره..

وفى الرقاب.. ههنا يقصد الصورة (الفعلية) أيضاً لتخليص وفك الرقاب (أى:العبيد) فكتبت بالألف.وليس إسم العبيد

سحابا ثقالا، والسحاب عموماً فيه الرفعة والظهور، وفى الحياة الدنيا للناظرين.

تعاسرتم ، تّداينتم..متتابعين (تـــرادف وتكـــرار)..تـــراضٍ مـــنكم (مفاعلـــة) ..ولا تبـــشروهن (كناية عن الستر فى هذا اللفظ).

ولا يحذفون غالباً ألف المد فى صيغ المبالغة نحو: توابا أواب.. وهاجا.. ثجاجا...

ملاحظات: وحنانا(هنا يناسب إشباع الحرف لإشباع عمق الإحساس بالحنـــان..مثـــل مثواى فى قوله: إنه ربى أحسن مثواى)..

أحاط الله.(إحاطة الله بالناس مادية ؛ بقوته وجبروته وسلطانه وعلمه) بخلاف:﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴿٨١﴾ ﴾ (فهى إحاطة معنوية)..

ونلاحظ: الخائنين.(حركة بالخيانة وضرر يتعدى إلى الغير). الهـــلكين.(همود وموت). .نرفع درجـــت (درجات معنوية).. مدرارا(تتابع) .. مختالا. مختال.(ظهـــور بـــالزهو والكبرياء).. ... زادهم إيمـــنا..زادته .. زادوكم..(مشهد الزيادة) أذاعوا.(الإعلان والظهور).

وما أدرك.. ولا أدركم ..دسها.(كلهم بالإمالة)...إذا دعاكم .. الـــداع .. دعانـــا ....دعانا ..دعاه . أذاعوا به..(والدعوة فيها نداء وإعلان) ، دعوا (جميعها بالألف)..، دافق (مشهد حركة قوية).

وأحاط بهم سرادقها (هذا المشهد يجب أن يلاحظ لتكراره حيث أن الإحاطة تستدعى وجود الألف)..ومثله: أرحام.خيام...

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴿٢٥٦﴾﴾البقرة(ربما يكون الشيطان أو كل من تجاوز الحد فى المعصية ، ولايشترط أن يكون بمعنى الظالم المتجبر ذى السلطان الفاحش) .

**﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ المائدة١٠٧ يقول الزمخشرى: { الأوليان } الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما(مثنى بالألف مرفوع) ، وقرىء «الأوّلين»(على الجمع بالياء)..وقرىء : «الأولين» على التثنية ، وانتصابه على المدح (مثنى منصوب بالياء. وقرأ الحسن : «الأولان» ،..الألوسى: .. وقرأ ابن سيرين { *الأوليين } بياءين تثنية أولى منصوباً ، (وواضح أنه لايناسب ذلك المقام فى تعدد القراءات إلا حذف الألف)

**أمشاج . يعني : مختلطاً.. وعن قتادة : أمشاج ألوان وأطوار ، يريد : أنها تكون نطفة، ثم علقة ، ثم مضغة.(وهذا التعدد فى الألوان والأطوار يناسبه الألف)

**الأبرار... الفجار .. (الأمر ليس ملكى وملكوتى ولكنه هو أمر عمق وظهور الصفة أو الفعل سواء كان خيراً أم شراً.. إضافة إلى القراءة بالإمالة).

**نضاختان..﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾﴾ (لاحظ أن "الحسان" هنا فى الشكل والهيئة بخلاف" الإحســـن" الذى هو أمر معنوى ملكوتى وصفات باطنة وليست ظاهرية مادية). وقال أبو السعود: .. وقال مقاتل : خَيِّرات الأخلاق (معنوى فحذف الألف)، حسان الوجوه (مادى فوضع الألــف) ﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ قــصرن في خدورهنّ. يعني : محبوسات { فِي الخيام } على أزواجهن .وكذلك (قاصرات) بدون ألف(قـــصرـــت) (وأرى أن المقصد ليس هو حبسهن الجسدى بل حبسهن المعنـــوى؛ بمعنى العفاف وغض الأبصار إلا على أزواجهن.)

**القسطاس ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾﴾الأسراء ، والـشعراء.. .﴿ مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ ﴾{ القاســطون } الكافرون الجائرون عن طريق الحق (على عكس ظاهر اللفظ – الذى هو من القـــسط أى: العدل) ويتضح ذلك من القصة التالية: وعن سعيد بن جبير رضـــي الله عنــه : أنّ الحجاج قال له حين أراد قتله : ما تقول فيّ؟ قال : قاسط عادل ، فقال القوم : ما أحسن ما قال ، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل؛ فقال الحجاج : يا جهلة ، إنه سمـــاني ظالمـــاً مشركاً ، وتلا لهم قوله تعالى : { وَأَمَّا القاسطون } وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ الــذين كَفَــرُواْ

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام : ١ ..إذن هذا (القاسط) ليس بمعنى العادل، وبذلك أصبح على خلاف الظاهر فحذفت الألف (مثل:والليل إذا "يسر")

واقع .لَوَاقِعٌ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ المعارج ..﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾الطور.عذاب ربك لوقع.(أى متحقق وليس بمعنى الوقوع المادى المعلوم .. وذلك بخلاف صفات يوم القيامة فهى أهوال مادية معلومة.. إذا وقعت الواقعة(بالألف)..خافضة رافعة إذا رجت الأرض .. وبثت الجبال..).

فى سورة المعارج تتحدث الآيات عن هذا السائل الذى يستعجل العذاب من الله ، وهو على أرجح الأقوال عذاب دنيوى (هذه واحدة) ، و(الثانية) هى ملاحظة رتم وإيقاع الآيات البطىء عن رتم وإيقاع آيات الطور والذاريات ، (أما الثالثة) فإن مشاهد. هذه السورة ليس فيها عنصر الحركة والسرعة حتى فى الأحداث التى تكتنف قيام الساعة — التى نلاحظ فيها المشاهد الثابتة مثل﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ ..﴾ .

فالسماء تذوب وهى فى مكانها واقفة ، والجبال كذلك بخلاف المشاهد التى سنستعرضها فى سورتى الطور والذاريات

(والرابعة) مشهد الإمهال لهم من الله الذى نعلمه من السيرة أيضاً والذى جعلهم يستبطئون المدة التى طالت و لم ينزل بهم العذاب بعد — كما يقول الطاهر: أنهم كانوا يسألون النبى (ﷺ)متى هذا العذاب الذي تتوعدنا به ، ويسألونه تعجيله ، قال تعالى : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ [يونس : ٤٨]﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ [الحج : ٤٧] وكانوا أيضاً يسألون الله أن يوقع عليهم عذاباً (أى فى الدنيا) إن كان القرآن حقاً من عنده قال تعالى :﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ [الأنفال : ٣٢] .

وقيل : إن السائل شخص معين هو النضر بن الحارث قال :﴿ إن كان هذا (أي القرآن) هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم(عذاب دنيوى مادى) ﴾ [الأنفال : ٣٢] .

وكان النبي (ﷺ)يسأل الله أن يعينه على المشركين بالقحط (عذاب مادى) فأشارت الآية إلى ذلك كله ، ولذلك فالمراد ب { سائل } فريقٌ أو شخص .

والسؤال مستعمل في معنيي الاستفهام عن شيء والدعاء ، على أن استفهامهم مستعمل في التهكم والتعجيز (وفيه المد بالحديث والاستطالة به يناسبه أيضاً المد الواضح بالألف) . ويجوز أن يكون { سأل سائل } بمعنى استعجل وألحّ (والإلحاح أيضاً فيه مشهد التكرار) .. فلكل هذه الأسباب وضع الألف فى كلمة (واقع) بخلاف حذفها فى السورتين التاليتين (١) سورة الطور: التركيز فى الحديث عن عذاب الآخرة (هذه واحـــدة).. و(الثانيـــة ملاحظة الرتم والإيقاع السريع لآيات السورة وقصرها (ملحظ الســرعة) ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَـٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾

(والثالثة) هى عنصر الحركة والسرعة والتهديد والوعيد الشديد أيـــضاً فى مـــشاهد القيامـــة أيـــضاً ﴿ يَوۡمَ (تَمُورُ) ٱلسَّمَآءُ مَوۡرًا ۝٩ (وَتَسِيرُ) ٱلۡجِبَالُ سَيۡرًا ۝١٠ فَوَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (تهديد وو عيد شديد) ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِى خَوۡضٍ يَلۡعَبُونَ **(مشهد اللعب والحركة أيضا)** ۝١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا **(أى الفع بعنف)** ۝١٣ ﴾ **فلكل هذه الأسباب منفردة ومجتمعة حذفت الألف** (لَوَٰقِعٌ)

وكذلك الحال فى سورة الذاريات – مثل آية الطور

فالحديث يبدأ بمشاهد غيبية ومجهولة حتى فى تفسيرها لدى العلماء ؛ فهي تتحدث عن الملائكة أو الرياح العاصفة بسرعتها أو الإثنين معاً، وعلى كلا المعنيين فملاحظ فيهـــا عنصر السرعة الـــشديدة وعنـــصر الغيبيـــة ﴿ وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرۡوًا ۝١ فَٱلۡحَـٰمِلَـٰتِ وِقۡرًا ۝٢ فَٱلۡجَـٰرِيَـٰتِ يُسۡرًا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَـٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ ﴾ **(وهذه واحدة)..و(الثانية : الرتم والإيقاع السريع للآيات أيضاً.. و(الثالثة)أن الأحداث عن عذاب الآخرة** (وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ) والدين هو (الحساب) يوم القيامة (يوم الدين)

فلكل هذه الأسباب وغيرها حذف الألف (لَوَٰقِعٌ)

الأغلـــال فى أعناقهم ..

أعناق. أعناقهم

(١) الأعناق إذا كانت مفردة – أى غير مضافة إلى ضمير (أعناقهم مثلاً)– وكانت فى الدنيا أو مادية أو تصف وجودها، تكتب بالألف على التفرد والانفـــصال.. ﴿ إِذۡ

يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)﴾

(٢) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾ سبأ

(٣) ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) ﴾ ص

نلاحظ في هذه الآيات يذكر الأعناق بحالة الإفراد (أى غير مضافة لضمير – أى لم يقل "أعناقهم" – أو إلى الذين كفروا – ليس ضميراً متصلاً –.

وأيضاً إذا أضيفت إلى كلمة منفصلة عنها (أعناق الذين كفروا) فتبنى على هذا الانفصال ويوضع الألف. و مثل﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

أما إذا اتصلت بالضمير المتصل بها فإن الرسم القرآنى يلاحظ – كما تعودنا – حالين:

الأول : إن كان هناك تركيز ، وتوكيد ، وحالة مقارنة، وعذاب فى الدنيا يختلف عن عذاب الآخرة ، هنا يوضع الألف – كما فى آية الرعد –.﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) ﴾الرعد.....

الثانى : إذ لم توجد الحالات السابقة فيلاحظ عنصر التخفيف ويحذف الألف.

(٤)﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) ﴾يس. ،﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) ﴾الشعراء.. (وهنا يضاف معها مشهد الخضوع والانكسار – فى الآخرة أو فى الدنيا على ترتيب الآيتين– بخلاف آية الرعد).

وههنا نقف على آية الرعد وتفصيلها كالآتى:

﴿ ***** وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)﴾ الرعد (هنا التركيز على تكرار قوله (وأولئك) على ذوات الأشخاص .. وهى هنا الأعناق)). ووصف قول الكفار ، ووصف إصرارهم ، وأنهم مازالوا على تكبرهم وعلوهم فى الدنيا، مع ملاحظة ما يلى:

(١) صيغة المقارنة فى قوله: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ.. وتفوق المقارنة أيضاً مشهد التعجب ؛ والعجب لايكون إلا من أمر شديد الغرابة عن غيره.

(٢) الإشارة على ذواتهم ثلاث مرات فى آية واحدة بإسم الإشارة – أولئك- دليل التأكيد على هذه الذوات- الأعناق- .

(٣) ثم أن النص يشير إلى واقع حالهم كأنه حادث الآن ومستمر فى حدوثه، فالأغلال موجودة فى أعناقهم الآن ومشاهدةً فى أعناقهم – بخلاف الآية التالية التى تقول: فسوف يعلمون .. فهى لاتصف واقع مشاهد الآن ،والآية التالية هى:

*﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ﴾

((إدن وضعت الألف فى الآية الأولى – آية الرعد – نظراً لوجود عناصر التأكيد (أولئك) ثلاث مرات – إشارة إلى هذه الأعناق–والعجب ، وتصوير المشهد تصويراً للحال وليس للإستقبال أو الغيبة– وإصرارهم وعنادهم على الكفر–و أن الآيات لاترسم مشاهد الذلة لهذه الأعناق بعد ولكنها ترسم صورة تكبرها وتعجرفها وارتفاعها؛ لأنها مازالت فى الدنيا ولم يأت لها نكال بعد))

والملاحظة الأخرى أن كلمة " ٱلْأَغْلَٰلَ" جميعها بدون ألف ، لأنها أغلال معنوية يقصد بها الشرك والضلال وعمل السيئات وليست بالأغلال التى يقصد بها القيد الحديدى الذى يوضع فى اليد أو الرجل.(فهى أغلال على المجاز وليس الحقيقة ، فكتبت بدون ألف.)

هادو والنصرى.((الذين هادوا ضلالهم مادى صرف .. والنصارى ضلالهم فى الألوهيات والرهبانية))....

(١)﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ (١٩٦) ﴾آل عمران..يقول الزمخشرى:وعن ابن عباس :"هم أهل مكة . وقيل : هم اليهود ..

(٢)﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)﴾

(٣) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ (٣٦) ﴾ق

(٤)﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ (٨) ﴾الفجر

(٥) ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾الفجر

التماثيل..وَتَمَٰثِيل

(١) ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)﴾ .. صناعة بشرية (كتبت بالألف). ولها أهمية خطيرة (تعبد من دون الله) .. ومعرفة بالألف واللام

(٢) ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ (١٣)﴾ سبأ (هى صناعة الشياطين ، وهى ليست بخطورة التماثيل فى الآية السابقة ؛فهى بالتأكيد لاتعبد من دون الله لأنها بأمر نبى الله سليمان"، وهى غير معرفة بالألف واللام).

مع ملاحظة أن كلمة محراب جميعها بالألف

يقول القرطبي : المحاريب هو كل مايرقي إليه بالدرج كالغرفة الحسنة

(ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ)

وكتبت (ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ) بدون ألف ، وقيل أنها لتناسب القراءة الأخرى لها بالإفراد (أى المشرق والمغرب) بدون ألف. وأنا لاأرى ذلك ، لأننى لاأوافق على قراءة الإفراد هذه الصورة لضياع القيمة البلاغية العالية فى قراءة الجمع التى وردت فى السياقات الآتية :

(١) ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)﴾

(٢) الأعراف﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ ﴾الأعراف

(٣) ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾ الصافات

وأرى — والله أعلم — أن سياق الآيات تتحدث عن المشارق المجازية وليست الحقيقية ؛ حيث أنه لايقصد الشروق والغروب وصورته المعلومة ، ولكنه يقصد ما أشرق عليه هذا الإشراق وما غرب عليه من الأماكن والبقاع من ملك الله ؛ ففى الآية الأولى﴿ فلا أُقسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾يتحدث السياق عن قدرة الله الشاملة على كل بقعة من بقاع الأرض أشرقت عليها الشمس أو غربت(المشارق والمغارب) — وكما قلنا أن الآية تتحدث عن قدرة الله ، ومن كمال قدرة الله أن يحيط سلطانه بكل البقاع، ولذلك

كان من المناسب الذى لايصح غيره – فى رأيي – أن تتعدد وتتكاثر هذه البقاع (هـــذه المشارق والمغارب) ولا يصلح لذلك إلا صيغة الجمع وليست الإفراد .. وهكذا الحال فى وصف الله عز وجل لمدى النعم والنعيم الذى أعطاه لبنى إسرائيل وتمليكهم للبقاع الكثيرة من الأرض (المشارق والمغارب بصيغة الجمع) ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَـــضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾.وهكذا:الصافات﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ۝﴾ لبيان قدرته وسعة ملكه ..

وربما يقول قائل بجواز الإفراد على أنها (للجنس) أى جنس المشارق كلـــه والمغـــارب – وهكذا يقال فى مثل هذه الأمثلة – ورغم صحة هذا الاتجاه لغوياً ولكننا نجـــد – بعـــد استعراض النصوص القرآنية – أن الحكيم سبحانه وضع صيغة الإفراد فى أماكن أخـــرى (رب المشرق والمغرب) ، وهى

(١) إما رمز للجهة التى نتوجه إليها أو نقصد بها وجه الله (وهى أحق بصيغة الإفراد) ..

(٢) وإما تبعاً لسياق الحديث ؛ حيث أنه يتحدث عن إفراد التوحيد لله والإشارة إليـــه – وليس لتعدد سلطان الله وملكه–. هكذا:

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ البقرة

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُـــلْ لِلَّـــهِ الْمَـــشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾ البقرة.

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ.﴾ .البقرة

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ (٢٥٨)﴾ البقرة

((فى هذه الآيات السابقة يشير النص إلى الجهة التى نتوجه إليها وهى أحق بالإفراد))

﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾ طه

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)﴾ المزمل

(وفى هاتين الأيتين نجد الإشارة واضحة بإعجاز مبهر لصورة الإفراد التى تتناسب تناسباً مدهشاً مع ماتشير إليه من رمزٍ لتوحيد الله﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًـــا ﴾، وهو لا إله غيره.

ولعله من المناسب أيضاً أن نذكر بأن الله عز وجل قـــد ذكـــر (رب المـــشرقين ورب المغربين)– فى سورة الرحمن– لأنه يتحدث عن الجنسين : جنس الإنس وجنس الجـــن فى سورة الرحمن.. وهى سورة الثنائيات أيضاً– كما تحدثنا عنها فى الإعجـــاز القصـــصى

والتكرار فى القرآن الكريم ودرس (الرسم القرآنى لكلمة "تراب، عظام" بـألف وبـدون ألف)) – وبيانها كالتالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا .. (٧) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا ... (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ .. (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ .. (١٥) .. (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) .. (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (٣١) .. (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ .. ولمن خاف مقام ربه جنتان ... ومن دونهما جنتان﴾.(فكان من المناسب ورود الصيغة على التثنية(المشرقين ورب المغربين) وقيل أن ذلك على اعتبار نصفى الكرة الأرضية ، وقيل أنه يراعى ما نقله لنا الصادق المصدوق محمد (ﷺ)من أن هناك شروقاً آخر للشمس قبل يوم القيامة (أى تشرق من مغربها) ولافاعل لذلك إلا الله.

أما – فى سورة الصافات–فالاقتصار على "المشارق" فقط دون المغارب ،وذلك لأن السورة كلها تتحدث عن مشاهد الإحياء فقط (التى هى رمز المشارق) ولاتتحدث عن مشاهد الإماته– المغارب – حتى فى سياق القصص القرآنى فى هذه السورة ؛ حيث أننا نشاهد فيها:

(١) هذا الشجر الذى إذا وضع فى النار فإنه يفنى ويتحطم ولكنه فى هذه السورة يعرض علينا مشهد الإحياء الكامل فى مشهد شجرة الزقوم – إنها شجرة تطلع فى أصل الجحيم – وليس فيها مشهد الإماتة..

(٢) ونجد نوح ومشهد الإحياء الكامل من غرق محقق.

(٣) ومشهد إبراهيم "قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم".

(٤) بل ومشهد إحياء إبنه إسماعيل بعد أن أسلما وتله للجبين ، ومشهد السكين على رقبته ويكتب له الحياة وليس الموت.

(٥) ومشهد يونس والنجاة والإحياء الكامل من بطن الحوت ..

(٦) بل وإنبات شجرة اليقطين من مكان لايمكن أن تنبت منه وتحيا عليه ؛ وهو جسد يونس وليس التراب أو الطين ..

كل هذه المشاهد التى أتى الله بها خصيصاً فى هذه السورة لتتناسب وتتناغم مع قوله تعالى فى أولها (ورب المشارق) فقط – و لم يقل بعدها ورب المغارب– لأن المغارب ترمز إلى الموت وهو غير متواجد بمشاهده فى هذه السورة التى ليس فيها إلا مشاهد الحياة والإحياء (مشارق)..وهكذا وضعت الكلمة (المشارق) فقط خصيصاً لهذه السورة ، وإن شئت

فقل: أن هذه السورة قد فصّلت خصيصاً لهذه الكلمة بهذه الصيغة ؛ وهكذا شأن القرآن دائماً. ولايمكن أن تتساوى صيغة بأخرى فى منهج البيان القرآنى. فما أجمل وما أروع هذا البيان والإعجاز ..

ولذلك نرى أن رسم كلمة المشارق والمغارب بدون ألف ليس المقصود به تعدد القراءة له – أى على صورة الإفراد للآيات التى قرئت بصيغة الجمع– بل إننى على ضوء هذا الشرح السابق أرى ذلك خطأ وأنه لايتساوى قراءة الإفراد مع قراءة الجمع بل كلٌّ فى مكانه المناسب ولايصح غير قراءة هذا الرسم – **ولكننى أرى – والله أعلم بمراده– أنها كتبت بدون ألف لأنها مشارق ومغارب على المجاز وليس على الحقيقة.**

ولذلك أعود وأكرر أن الرسم القرآنى المتواجد لدينا فى كتابنا الكريم هو الحاكم على القراءات وليس العكس ؛ وراجع بحث (الميِّت) بالتشديد ، و(الميْت) بالسكون وموقفنا من القراءات والرسم لترى عظمة وإبهار هذا الرسم المعجز.

ملاحظات: كلمة (دعا) جميعها بالألف.. و(دعوا) .. وكلمة (أدعوا)

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦) ﴾الرعد

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) ﴾ الجن..

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) ﴾ مريم

(فهو دعاء فى جو الدعوة باللين والهدوء وطول النفس والتكرار والإلحاح فيها وعدم الملل؛وكل تلك المعانى تستدعى وتتناغم مع وضع الألف.)

جرس الكلمة

وبعد أن عشنا مع باب (المشارق والمغارب) ورأينا حكم الرسم على القراءات ، نكمل حديثنا الآن مع باب كنا قد وعدنا به ؛ وهو علاقة الرسم وعلم القراءات بجرس الكلمة، وكيف أن الرسم يتناغم مع جرس الكلمة ، بل هو الحاكم على علم القراءات وليس العكس فى ذلك .. ونظراً لأن الإلمام ب(جرس الكلمة) فى القرآن الكريم لايكفيه بعض الصفحات فى هذا البحث الخاص برسم الكلمة، اقتصرنا هنا على بعض الأمثلة الخاصة بعلم القراءات لتوضيح حاكمية الرسم على علم القراءات ، وذلك من مدخل (جرس الكلمة) وعلى وعد بإصدار كتاب خاص بهذا اللون من الإعجاز بعنوان (جرس الكلمة).. وإليك بعض الأمثلة:

والميِّت – الميْت

(الميِّت) و(الميْت) كلمتان أصولهما الثلاثية واحدة هى الميم والياء والتاء ، وهما من كلمات القرآن الحكيم . والاستعمال القرآنى يكشف عن فرق عظيم بينهما ، والوقوف على هذا الفرق بين ميْت بسكون الياء، وميِّت بتحريك الياء مشددة يحسم خلافاً نشأ قديمًا بين العلماء من مفسرى كتاب الله الكريم وغيرهم من الباحثين . والفرق بينهما:

آل عمران:﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ (٢٧)﴾

الانعام﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ(٩٥)﴾

الاعراف:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾

يونس: ﴿ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾

ابراهيم: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) ﴾

الروم: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ .. (١٩) ﴾

فاطر﴿ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)﴾

الزمر: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠)﴾

الصافات: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾

في هذه الآيات التسع ذُكر اسم الفاعل : (**مَيِّت** ، **ومَيِّتُون** ، **ومَيِّتين**) أربع عشرة مرة ، وكان معناه فى كل هذه المرات : **الحى الذى قُضى عليه بالموت** ؛ **فهو سيموت بعد حياته تلك**. والدليل على هذا خطاب الله لرسوله حال حياته﴿أنك ميِّت وإنهم ميِّتــون﴾ هذا دليل قاطع على أن القرآن أطلق كلمة (ميِّت ، وميِّتون) على الرسول (ﷺ) ، وعلى أصحابه - رضى الله عنهم - وهو حي وهم أحياء ، و(ميِّتون) وصف شامل لكل حى بعد صحابة رسول الله من الناس جميعاً ، **لأن الموت سنة من سنن الله فى الأحيــاء** مــن خلقه.

وفى كتب اللغة :وأما الحى فميِّت بالتثقيل لا غير ، وعليه قوله تعالى﴿**إنك ميِّتٌ** وإنهم ميِّتون﴾ أى سيموتون.

الموصوف نوعان :

فى الآيات التسع المذكورة بجد الموصوف بكلمة (**مَيِّت**) نوعين:

الأول: ما كان له روح نشأت عنها الحياه، وهم الموصوفون فى قوله تعالى (**إنك مَيِّت وإنهم ميّتون**)

الثانى : ما ليس له روح وهو الأرض كما فى قوله -- عز سلطانه- { **فسقناه إلى بلــد مَيِّت فأحينا به الأرض بعد موتها** }

سؤال : ويترتب على ما قلناه من أن القرآن يطلق كلمة (**مَيِّت**) على الحــى الــذى سيموت، سؤال وجيه حاصله أن القرآن وصف (البلد) مرتين ب(**مَيِّت**) ، كما أجــرى على لسان بعض أهل الجنة أنه قال: { **أفما نحن بمَيِّتين إلا موتتنا الأولى** }

والبلد التى وصفت ب: "ميِّت" غير قابلة للموت لأنها لا زرع فيها ولاماء، وخلوها من الزرع والماء هو موتها الواقع بالفعل، فكيف ستموت بعد موتها هذا ؟

وأهل الجنة أحياء أبداً لا يموت منهم أحد فكيف يستقيم القول بأن القرآن يطلق (**ميِّت**) أيا كان نوع الموت حقيقاً أم مجازياً على الحى الذى سيموت؟

والجواب - فيما نرى - يتلخص فى الآتى:

* أما ما حكى عن أهل الجنة **فهو حكاية حال ماضية** وسياق الكلام يقضى بهذا.

سورة الصافات﴿ **قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ** ﴿٥٤﴾ **فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ** ﴿٥٥﴾ **قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ** ﴿٥٦﴾ **وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ** ﴿٥٧﴾ **أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ** ﴿٥٨﴾ **إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴿٥٩﴾﴾

فقول أهل الجنة- هذا - تذكير لقرين السوء **بما قال فى الحياه الدنيا**، بعد أن وقع ما كان يكفر به، وأهل الجنة ليسوا بمعذبين، وإنما قال هذا لقرينه تعريضاً وتبكيتاً، وبهذا ينـــدفع السؤال المعترض على إطراد القاعدة التى لاحت لنا.

***أما الشق الثانى** المتعلق بوصف (**البلد**) ب(**ميِّت**) فقد هدينا فى الإجابـــة عليـــه إلى الآتى، والجواب من وجهين:

كان الأصل أن يوصف (البلد) ب(**ميْت**) الساكن الوسط لا المحرك المـــشدد (**ميِّـــت**) تشبيهاً له بمن مات من الأحياء - كما سيأتى -، ولكنه وصف ب(**ميِّت**) المحرك المشدد الوسط تشبيهاً له بالحى الذى سيموت وهذا يجاب عنه من وجهين:

الأول: أن الآيتين اللتين وصف فيهما (البلد) ب (**ميْت**) اتفقتا فى أمرين:

أ- أن السحاب مسوق (سقناه) فى (الأعراف) ، و(سقناه) فى الزمر.

ب- أن (السَّوق) فيهما معدى بحرف جر (لبلد) فى الاعراف و(إلى بلد) فى الزمر.

وهذا معناه أن مسافة ممتدة بين منشأ السحاب ، وبين البلد الذى سيق إليه ، فلا يبعد أن يكون فى هذا (البلد) آثار من حياة ريثما يصل إليها السحاب فيجدد أسباب الحياة فيها، فعومل - أى البلد- معاملة (الحى) الذى سيموت.

ذلك أن الفعل (سقناه) وحرف الجر المعدى به (إلى - ل) لا بد ان تكون لهما دلالة فى بناء الجملة ، وهذه الدلالة هى التى نصصنا عليها قبلاً.

(ونقول تعليقاً : أن بعد المسافة هذا غير مسلم به لأن مدلول (إلى) يختلف عن مدلول (ل) ، ف(إلى) هى التى للبعد فقط ، ولكن ربما جاءت هذه الإشارة من قوله (**ســـقناه**) فالسوق هو حركة لمكان آخر))

الوجه الثانى:ان يكون المراد من (البلد) أهله، وهم قطعاً أحياء سيموتون ونظير هـــذا فى القرآن من إطلاق المكان وإرادة أهله قوله تعالى فى الاعراف﴿**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَـــا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ** (٤)﴾ وبهذا تطرد القاعدة التى يكشف عنها منهج القرآن فى كلمة (ميِّت)

❁❁❁❁

منهج القرآن فى كلمة (مَيِّت):

أولاً: يستعمل القرآن كلمة (مَيِّت) بتحريك الوسط وتشديده وصفا للحـــى الـــذى سيموت، وليس وصفاً لمن مات من الأحياء .

ثانياً: كما استعمل (مَيِّت) فى الدلالة اللغوية الوضعية، وفى الدلالة على الموت المجازى لما لاروح فيه.

ثالثاً: جاءت ثلاثة مواضع خارجة عن الأصل الذى أشرنا إليه من حيث ظاهر اللفظ ، وقد طرحنا حولها وجهة نظر ، نرجو أن تكون صائبة، تقضى بإطراد القاعدة القرآنية فى المواضع الأربعة عشر إن شاء الله.

-أمثلة (مَيْت) بالسكون:

فى سورة(الانعام﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾

والفرقان:﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩)﴾

والزخرف :﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) ..(هنا يقصد التشبيه لخروج الإنسان بخروج الزرع وهذا يعنى أن هذه البلدة هى الأرض الجماد وليس ساكنيها من البشر) وكذلك آية (ق) الآتية:

ق: ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)﴾

الحجرات:﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾ .. (هنا يقصد الموت الحقيقى للجسد وليس المجازى)

البقرة:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ..(١٧٣)﴾

المائدة:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ..(٣)﴾

الانعام:﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)﴾)

الانعام﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ ..(١٤٥)﴾

النحل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ (١١٥)﴾

(كل هذه الآيات السابقة تتحدث عن الحيوان الذى فقد الروح على الحقيقة والذى يحرم أكله على هذه الحالة ، ولايصد الحيوان (الحى) الذى كتب عليه الموت ولم يمت بعد – كما هو الحال فى كلمة "ميّت"–.

يس : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣)﴾

((وهنا لايوجد أى احتمال آخر إلا أن يكون المقصود هو (الأرض على الحقيقة) وليس ساكنيها، بدليل قوله: وأخرجنا منها حباً..ولاحظ: لفظ الأرض بخلاف لفظ البلدة))

**في هذه الآيات الإحدى عشر جاءت (مَيْت) وصفاً مجازياً خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) – في ثلاثة مواضع –، والأرض في موضع واحد ، والجاهل أو الضال أو الكافر في موضع واحد

ووصف (بلدة) و(الأرض) بمَيْت تشبيهاً لهما بالميت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية ، التي حذف فيها المشبه وذكر المشبه به.

ووصفت الجاهل أوالضال أوالكافر ب (مَيْت) فهو استعارة – كتلك– والجامع بين الجاهل والضال والكافر، وبين الميت موتاً حقيقياً هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر . هذا هو الجانب المجازي في استعمال (مَيْت) في لغة القرآن الحكيم.

أما المواضع الستة الأخرى فقد استعمل القرآن كلمة (مَيْت) فيها في معناها اللغوى الوضعي أو الحقيقي وهو مفارقة الروح البدن، وجاء ذلك على ضربين:

الاول: في شأن الإنسان مرة واحدة في قوله تعالى: **{أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً}**.

الثاني: في شأن ما يؤكل لحمه من الأنعام والطيور والدواجن في خمسة مواضع من الآيات المذكورة، وهذه الآيات الإحدى عشر هي كل ما في القرآن الذي استعمل فيه (مَيْت) بسكون الياء

منهج القرآن الكريم في (مَيْت):

أولاً: يستعمل القرآن كلمة (مَيْت) الساكن الوسط في الدلالة على الموت المعروف وهو مفارقة الروح البدن.

ثانياً: مجيء (مَيْت) في القرآن مجازاً في خمسة مواضع ، وحقيقة في ستة مواضع .

تعقيب:

وقد يسأل سائل: لماذا اختُص (مَيِّت) المشدد الوسط بالحي الذي سيموت ؟

ولماذا اختص (مَيْت) الساكن الوسط بمن كان حياً فمات فعلاً؟

والجواب:

قد تكون هيئة اللفظ – والله أعلم– لها مدخل في هذا الاختصاص في الموضعين:

فالمشدد الوسط: (مَيِّت) **فيه حركة صاخبة، وشدة ملحوظة عند النطق به، وهذا يناسب الحياة بما فيها من قوة ونشاط.**

أما (مَيْت) **الساكن الوسط: ففيه رخاوة وضعف يلحظان – كذلك– عند النطق ب(مَيْت) وهذا يناسب الموت بما فيه من انقطاع الحركة والنشاط وليس هذا ببدع فما أكثر الكلمات التي بينها هيئة ونطقاً، وبين معناها تلازم وتلاحم** .. (ونؤكد أن هذا هو المنهج أيضاً في الرسم القرآني).

(وبعد هذا العرض نستخلص أن الميِّت فى قوله (بلدة ميِّتا) يراد بها ساكنيها أيضاً((أى الأحياء على الحقيقة)، وأن (ميْتا) بالسكون يراد به الأرض على الحقيقة وليس هناك أى احتمال لأن يكون المراد منها ساكنيها)

يخرج الميِّت من الحى:

عرفنا مما تقدم أن القرآن يطلق على الحى الذى مصيره الموت كلمة (الميِّت) بتحريك الياء وتشديده، ويطلق على من كان حياً ثم فعلاً مات فعلاً كلمة (الميْت) بسكون الياء ؛ وهذا مطرد فى لغة القرآن الكريم، لا يقبل جدلاً . وقد اشرنا من قبل أن هذا الفهم من شأنه أن يحسم خلافاً قديماً وما يزال قائماً بين مفسرى القرآن وغيرهم حول آيات وردت فى القرآن الحكيم تدور وتكرر حقيقة واحدة هى: إخراج الميِّت من الحى ، إخراجه الحى من الميِّت وتلك الآيات هى:

آل عمران﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)...﴾

الانعام﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥)) ... ﴾

يونس ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)...﴾

الروم﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)﴾

هذه هى الآيات الأربع التى تحدثت عن هذه الحقيقة الإلهية ، ذكرناها كاملة -وأحياناً- مع جارها- كما فى آية آل عمران- ،لأن المقام يقتضى ذلك لما لهذه الآيات -بطولها- من صلة بالمعنى الجديد الذى هدينا، إليه راجين الله أن نكون له موفقين فيه وأن يكتب له القبول عند أهل العلم وصالحى المؤمنين.

مذهب المفسرين فى الموضوع:

حاول المفسرون تفسير هذه الحقيقة الإلهية وذكروا فيها أقوالامختلفة . وفيما يأتي بعضا من أقوالهم فى آية (آل عمران) لأنها أول آية فى المصحف الشريف تتكلم عن هذه الحقيقة

الإلهية العظيمة وبعد الفراغ من ذكر أقوالهم نذكر المعنى الجديد الذى هدينا إليه:

يقول أبو السعود (**وتخرج الحى من الميِّت**) أى: تنشيء من موادها، أو من النطفة، وقيل: تخرج المؤمن من الكافر {وتخرج الميِّت من الحى}،أى : **تخرج النطفة من الحيوان**، وقيل تخرج الكافر من المؤمن.

وذكر ابن عطية أقوالا مشابهة ثم قال: واختلف المفسرون فى قوله تعالى {وتخرج الحى من الميِّت}؛ فقال الحسن معناه: تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن

وقال عكرمة :**هو إخراج الدجاجة– وهى حية – من البيضة– وهى ميتة–** ، **وإخراج البيضة ،وهى ميتة ، من الدجاجة وهى حية.**

وقال النسفى {وتخرج الحى من الميِّت }، أى: الحيوان من البيضة، أو الفرخ من البيضة أو المؤمن من الكافر و{تخرج الميِّت من الحى}**النطفة من الانسان** أو الكافر من المؤمن.

ويقول الشوكانى: {وتخرج الحى من الميِّت} **تخرج الرجل الحى من النطفةالميتة** {وتخرج الميِّت من الحى } **تخرج النطفة الميتة من الرجل الحى** أو هى البيضة تخرج من الحى وهى ميتة، ثم يخرج منها الحى أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن

ويتابع الطاهر بن عاشور وهو من المفسرين المعاصرين– يتابع ما قاله المفسرون الأقدمون، فيقول : وإخراج الحى من الميِّت هو **إخراج أطفال الحيوان من النطف** ومن البيض، فالنطفة أو البيض تكون لا حياة فيها، ثم تتطور إلى الشكل القابل للحياة ثم تكون فيها الحياة وإخراج النطفة والبيض من الحيوان.

فالطاهر بن عاشور لم يأخذ عن الفسرين إلا هذا القول، وترك ما عداه كإخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وكأنه لم يرتضى تلك الاقوال التى أعرض عنها، وهو على حق فى ذلك.

والذى أعتمده الطاهر بن عاشور قول صحيح فى جملته ولكن طريقة تفسيره لا تصح.

وابن عاشور وغيره اعتبروا النطفة والبيضة ميتتين ، وهذا هو مكمن الخطأ فى التفسير، وقد وجد بعض خصوم الإسلام مدخلاً للطعن فى صدق القرآن بناء على هذا التفسير ، وقد أشارالشيخ **يوسف الدجوي** رحمه الله فى فتواه إلى بعض طعون هؤلاء الحاقدين ، ذلك **أن العلم الحديث أثبت أن للنطفة والبيضة حياة كاملة تليق بتركيب كل منهما** فراح هؤلاء الحاقدون يحاولون أن يشككون فى صدق القرآن متخذين من التفسير المذكور مدخلاً لطعونهم على كتاب الله العزيز الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والواقع أن القرآن (لا ريب فيه) وهذه الطعون لا تصدق عليه ، فالقرآن لم يقل أن الحى هو الحيوان وأن الميت هو النطفة والبيضة ، وأنما هذه اجتهادات مفسرين وهم بشر يصيبون ويخطئون، أما النص القرآنى فهو فوق هذه التصورات الاجتهادية والأوهام الحاقدة والآن نعرض على القاريء المعنى الجديد الذى هدينا إليه واطمأنت قلوبنا بـه وركنت نفوسنا إليه واقتنعت به عقولنا .

المعنى الجديد:

عرفنا مما تقدم أن القرآن الحكيم استعمل كلمة (ميْت) فى من كان حيا حياة حقيقة ثم مات موتا حقيقيا ففارقت روحه بدنه ، وأنه استعمل كلمة (ميِّت) بتحريك الياء وتشديدها فى من هو حى سيموت يوما ما. فإذا أخذنا بمنهج القرآن فى هذا الاستعمال المطرد ، ولابد لنا من الأخذ به، كان معنى (يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى) هو توالد من الآباء والأمهات أيا كانوا من بنى آدم أو من غيرهم ، وحمله على الآدميين أظهر وأشهر . الآباء والامهات حين يتوالد عنهم أبناؤهم ذكور واناث يوصفون حسب منهج القرآن الحكيم بأنهم ميتون ؛ أى أحياء مصيرهم الموت ، والأبناء حين يولدون يصدق عليهم قطعاً أنهم أحياء ، ثم أن هؤلاء الأبناء لما كان مصيرهم مصير آبائهم وأمهاتهم فى أنهم احياء مقيدين عليهم بالموت فأنهم يصدق عليهم ماصدق أصولهم ، فقال فى شأنهم (ويخرج الميت من الحى) ، وهكذا يحكم الله سننه فى عباده ؛ فليس منهم أحدٌ خالداً لا من كان عهده بالحياة أقدم وهم الأبناء والأمهات، ولا من كان عهده أحدث وهم الأبناء ، فكل منهم يحمل وصفين وهما حياة ثم موتا لاحقا .

وقدمت حياة الأبناء (يخرج الحى من الميت) لأنهم أحدث حياة وأبقى فى الأغلب من أصولهم . وقدم موت الأصول (من الميت) على موت الفروع فى الشق الثانى من الآية (ويخرج الميت من الحى) لأنه أسبق من موت الأبناء فى الأغلب.

وهذا التكرار فى الحى والميت والتقديم والتأخير فيهما يسميه البلاغيون (العكس والتبديل). وهذا الفهم المنبثق من خصائص الاستعمال اللغوى فى القرآن أولى بالاعتبار للأسباب الآتية :

أولاً: لأنه يسد منافذ الطعن فى صدق التنزيل الحكيم، ويحكم قبضة الدفاع عنه إحكاماً يستحيل على أهل الزيغ والهوى اختراقه .

ثانياً: لأنه يليق بمقام التمدح الإلهى وجلال قدرته وبديع صنعه وحكمة تصرفه فى خلقه وتبدل أحوالهم.(والآيات تتحدث عن أن الأيام دول ولايبقى على حاله لايتغير إلا الله).

ثالثاً: لأنه إجراء للدلالة اللغوية فى القرآن فى كلمتى:(الميْت) و(الميِّت) على نسق واحد فى هذه الآيات الأربع والآيات الأخرى التى وردت فيها.

رابعاً: لأنه لا يمنع منه مانع قط، فضلاً عما يتضمنه من مزايا وأولويات.

❁❁❁❁❁❁

وهنا نكمل ما بدأه أستاذنا العظيم من عرضه الرائع والممتع الذى يتمشى مع منهج القرآن الكريم وجلال وعظمة الرسم العثمانى للكلمة بكل دقة وإعجاز واقتدار .. ونقول: **لكن يعكر على هذا العرض أن هذه الآيات التى قرئت (ميِّت) قرأها آخرون (منهم الإمام جعفر..) (ميْت) والعكس بالعكس أيضاً .. وهذا يجعلنا فى حيرة !!.**

وقد كنت فى أحد الدروس فى المساجد أقول : **أن لايجوز أن أقول (حرمت عليكم الميِّتة) بتشديد الياء ، والتى تقرأ فى رسم المصحف – بالسكون** — لأننا قد علمنا – من الشرح السابق أن (ميِّت) بالتشديد تعنى (الحى الذى لم يمت بعد) ، وبذلك لو قلت حرمت عليكم (الميِّتة) بالتشديد فإنه يحرم علىَّ أكل (الحيوانات الحية) — التى لم تمت بعد - أو ذبحها —، وهذا محال و لم يقصده النص القرآنى ولا التشريع الإسلامى،، ونقلت ما نقله الإمام الألوسى — فوق ما قاله د: المطعنى وهو قوله: **وفي كليات أبي البقاء الكفوي (الميْت) بالتخفيف هو الذي مات ، و(الميِّت) بالتشديد والمائت هو الذي لم يمت بعد ، وأنشد : ومن يك ذا روح فذلك ميِّت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل.**

وكان الإمام على بن أبي طالب يقول: إشترى (ميِّت) من (ميِّت) داراً حدها الشرقى كذا .. والغربي كذا.. (وهو يكتب عقد بيع وشراء بين إثنين أحياء).

ولكن الذى حدث بعد هذا الدرس أن ثارت ثائرة أحد الأخوة من دارسى علم القراءات— فى المسجد- وقال كيف تقول ذلك **وقد قرأها (جعفر وغيره) على غير رسم المصحف.** فقلت له : **عندنا قاعدة علّمها لنا أئمة القراءات أنفسهم وهى : أنه إذا اختلفت القراءتان – فى عدد من الصور للكلمة الواحدة – هنا نتحاكم سوياً إلى قراءة (أجمع عليها القراء)** ، وبعدها **نصير باقى القراءات عليها**.. وهذه قاعدة عظيمة ومعقولة وتتجاوب مع العقل والنقل.

وبناءً على ذلك نعود للتحاكم لإحدى الآيات التى سردناها وهى فى سورة الأنعام — وقرئت (ميْت) بالسكون — وقد أجمع القراء على هذه القراءة بالسكون.. والآية هى:

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ ((مَيْتَةً)) فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)﴾ الانعام.. وهنا نستمع لأقوال

علماء التفاسير – رغم وضوح المعنى – ولكن نسرد سريعا ما قالوه: وعلى سبيل المثال ما قاله الإمام الزمخشرى: كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب : ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور لا تأكل منه الإناث ، وما ولد منها ميتاً اشترك فيه الذكور الإناث .((أى ماولد بلا روح = والذى كتب هنا – وأجمع عليها علماء القراءات– بلفظ (ميْت) بالسكون – كما هو فى الرسم).

وبهذا يتضح صحة ما قاله الدكتور المطعنى – وعظمة وروعة ودقة الرسم العثمانى وهيمنته وتحكمه – هذا الذى يطعن فيه بعض العلماء– لقصر باعهم–. والذين ندعوهم للوقوف على مثل هذه الإشارات ليراجعوا أنفسهم ويغيروا منهجهم فى البحث ؛ وخاصة فى رسم المصحف الذى لم يعطوه الحق الكامل والوقت الكافى الذى أعطوه لعلم القراءات – رغم تواتر الرسم العثمانى من لدن جميع الصحابة–.

ولذلك ما أروع ما أشار إليه حبر الأمة وغيره فى تفسير الأية (الحجرات):﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)..﴾

وقد كتبت (ميْتاً) بالسكونَ – فى رسم المصحف – ولكنها من الآيات التى قرأها جعفر وغيره بخلاف هذا الرسم – ولنسمع ما قالوه :ونبدأه بقول الزمخشرى الموضح توضيحا لالبث فيه – مصطحباً معه آراء أعلم الأمة– فيقول:.... تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عِرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه . وفيه مبالغات شتى : منها الاستفهام الذي معناه التقرير . ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة . ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحداً من الأحدين لا يحب ذلك . ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان ، حتى جعل الإنسان أخاً . ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتاً . وعن قتادة : كما تكره إن وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها ، كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي (أى بغيبته وهو حى). وانتصب { مَيْتًا } على الحال من اللحم . ويجوز أن ينتصب عن الأخ . وقرىء : «ميِّتا» !! ثم يكمل: ولما قرّرهم عز وجل بأنّ أحداً منهم لا يحب أكل (جيفة) أخيه .. لاحظ الحديث كله عن الجيفة واللحم الميت،.. مع ملاحظة ما يقوله ابن عباس من أن هذا النص جمع الكراهية (أى: بالتحريم) مع القبح والبشاعة(بأكل لحمه وهو جيفة)..

ويقول الإمام أبو حامد الغزالى: فإذا رأى العبد فى منامه أنه يأكل جيفة إنسان ميت فليعلم أنه سيقع فى عرض أخيه – أى يغتابه – لأن الملأ الأعلى ينشغل بتأويل النص القرآنى..) نكتفى بهذا.

والملاحظة الأهم هي: **أنه في علم القراءات** –كما نقل صاحب كتاب (العنـوان في القراءات السبع -**يقول: ولا خلاف في تخفيف قوله (بلدة مَيْتاً) حيـث وقـع ، وفي تشديد قوله (وما هو بميّت) و ثم (إنكم بعد ذلك لميّتون) و (إنك ميِّت وإنهم مَيتون).**

وحين التأمل في هذه الآيات المذكورة: (وما هو بميّت) نجدها (مشددة الياء) وتتحدث عن (الحي) الذي يعذب في جهنم الذي يتمنى الموت (الذي هو فناء الروح) ولا يجده .. فهي لاتتحدث عن شخص مات بالمعنى المعلوم لدينا (المفارق للروح) بل هـو حـي في جهنم

والآية الثانية : ثم (إنكم بعد ذلك لميتون). وهي بالتشديد أيضاً– ولا يخفى علـى القارىء أنها تتحدث عن أحياء ما زالوا على قيد الحياة في هذه الدنيا.

وهكذا قوله في الآية الثالثة: (إنك ميت وإنهم مَيتون).

أما بخصوص آيات الأرض (الميت) .. فهنا ملاحظة هامة جداً تفسر الذي أغلق علينـا من إشارة د: مطعني بأن (ميِّت) كتبت بالتشديد بالنسبة للأرض نظراً لقولـه تعـالى (سقناه (ل)بلد .. أو (إلى) بلد.. ناظراً إلى كلمة (السوق) وإلى حرف الـلام وإلى .. وهذا ملحظ جميل ولكن غير واضح المعنى والسبب .. ولكن بإمعان النظر في سـياق الآيات نجد أن : كلمة ((ميِّت) التي كتبت بالتشديد تأتي مع كلمة (بلد) بلفظ التـذكير ... وكلمة (ميْت) بسكون الياء تأتي مع كلمة (بلدة) بلفظ التأنيث (لنحيي بـه بلـدة ميتا...فأنشرنا به بلدة ميتا... الأرض الميتة .. وأحيينا به بلدة ميتا).. وكما قال علمـاء القراءات (ولا خلاف في تخفيف قوله (بلدة مَيتاً) حيث وقع .. وهذا يقربنا من هذا المعنى الذي هدى إليه د: مطعني .. على أن يكون المشدد للأحياء من البشر الساكنين لهذه البلدة .. ويكون لفظ التذكير في(بلد ميِّت) يعني ساكني البلدة من الأحياء المتحركين – البـشر أو الحيوان والطير – وهم يستحقون (سقناه (ل)بلد .. أو (إلى) بلد.. ناظراً إلى كلمـة (السوق) وإلى حرفي اللام وإلى...ويكون لفظ التأنيث(الأرض الميتة .. وأحيينا به بلـدة ميتا) خاص بالأرض – الجماد – وليس بساكنيها- ويظل بذلك المعنى – كما ذكرناه – على الحقيقة..

مع اعتبار أن الأرض الجماد ليس فيها روح فتكتب (ميْت) ، وساكني الأرض فيهم الروح فتكتب (ميِّت).. ودليل التفرقة هذه في قوله تعالى في سورة الفرقان:**﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) ﴾ حيث فرق بين البلدة (بالتأنيـث) وقـال**

عنها بالسكون (مَيْتة) وهو هنا لا يقصد ساكنيها بدليل قوله بعدها: وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (وهؤلاء — الأحياء من البشر والأنعام- لايدخلون فى مسمى (بلدة مَيْتا) بالسكون التى ذكرها فى أول الآية فاصلاً لها عن (الأناسى)).

مع ملاحظة الإعجاز البلاغى فى التفرقة بين (سقناه لبلد) و (إلى بلد) .. كنا قد تناولناها فى سلسلة كتب الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم).. فآية الأعراف سياقها دعاء من **عباد الله الصالحين** فاستجاب الله لدعائم -(ل) - وساق السحاب (لهم) فيناسبها حرف اللام (العلة).. مع ملاحظة أن الحديث فى هذه الآية وآية فاطر التالية **عن البشر وليس عن الأرض**.. وإليك سياق آية الأعراف: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾

ولكن السياق فى سورة فاطر ليس سياق دعاء واستعطاف وإرسال الله السحاب بالخير بشرى لهم.. بل إن الأمر يختلف فى فاطر حيث أن السياق سياق تهديد لهم وإعلامهم أن **يد القدرة ستصل (إليهم)** أينما كانوا — زماناً ومكاناً- على وجه الأرض أو وهم فى القبور فسوف يبعثهم — البشر الكافرين- .. وانظر إلى السياق والذى يناسبه (إلى) ولايناسبه (اللام) هكذا: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا (تَذْهَبْ) نَفْسُكَ (عَلَيْهِمْ) حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ (إِلَى) بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (كَذَلِكَ النُّشُورُ) (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا (إِلَيْهِ) (يَصْعَدُ) الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ (يَرْفَعُهُ) وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ (عَذَابٌ شَدِيدٌ) وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ (يَبُورُ) (١٠)..﴾ لاحظ الكلمات التى بين الأقواس ، ولاحظ أيضا (إليه يصعد .. ويرفعه).. والكلام أيضاً **عن البشر** وليس عن الأرض ، وعن يد القدرة التى ستصل (إليهم)- وكل هذه السياقات لايناسبها إلا حرف إلى وليس اللام ، وكلمة (ميِّت) المشددة - أى الحى الذى سيموت- وهم هنا البشر.

وملاحظة أخرى:أن آيات الأرض (المَيْتة) بالسكون فقد لوحظ السياق فى الآيات قبلها أو بعدها تتحدث عن هلاك وإبادة للأمم السابقة ببلادهم، وعن قدرة الله على البعث

والنشور والخروج ..وليس عن **تعداد النعم**[1] وهذه لها ملحظ آخر فى كتبنا الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم.

والخلاصة الهامة بعد هذا السرد المفصل هى:

أنه لايمكن لنا أن نقرأ (ميِّت) بالتشديد (ميْت) بالتخفيف، وأن هذا الرسم هو المهيمن على وجوه القراءات بل هو الموجه لها - عكس ما يصوره علماء القراءات - وهو الذى يتناغم مع باقى وجوه الإعجاز فى اللفظ القرآنى الذى تحدى به فطاحل اللغة والبيان بل ومع جرس الكلمة(ميِّت) بالتشديد - الذى في نطقه الحركة والشدة يتناسب مع الحى الذى فيه نفس الصورة .. و(ميْت) بالسكون والذى يوحى بالخمود حال النطق بها يتناسب أيضاً مع سكون وهمود الموت الحقيقى وصورة الجثة الهامدة.

❀❀❀❀❀❀❀

ونكتفى بهذا القدر لنسوق دليلاً آخر على هيمنة الرسم القرآنى على علم القراءات أيضاً وهو:

الرياح .. "ٱلرِّيَـٰح"، الغمام ..ٱلْغَمَـٰم

وقبل أن نبدأ فى مناقشة حذف الألف ووضعه وعلاقته بالغعجاز البلاغى وغيره نتعرف على وجهة نظر علماؤنا القدامى فى توجيه هذا الرسم وهو: أنها رسمت (لريح) بدون

---

(١)مثال: الزخرف:﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨).... وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) ﴾،ولاحظ: كذلك تخرجون . من القبور والموت الحقيقى)

وكذلك آية (ق)﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)﴾

وهكذا الحال فى سورة يس:﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢) وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) ﴾

وكذلك فى سورة الفرقان:﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩)...﴾ هنا ذكر مشهد الأرض فى أقل درجاتها - وهى حالة الموت الحقيقى - لتناسب ورود قوله تعالى (ماءً طهورا) - الذى يحيى أصعب درجات الموات - بخلاف الماء العادى - بدون هذا الوصف الطهور-الذى يناسبه الأرض العادية - وهو نوع من التناسب والتناسق العجيب فى النص القرآنى قد تعودنا عليه كثيراً .. ولكل فعل رد فعل مساوى له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه.

مع ملاحظة قوله: (ماءً طهوراً) ومناسبته لقوله ﴿.. وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا "وَأَنَاسِيَّ" "كَثِيرًا﴾ فناسب (الطهور) ذكر قوله (أناسى) بلفظ التفخيم والتشريف لهذا الإنسان

والملاحظة الأخرى : أن كلمة (بلدة ميتاً) بالتأنيث ..تعنى أحياناً (ساكنى البلدة، كما فى قوله تعالى : واسأل القرية، أى: أهل القرية)، ولكن هنا فى هذه الآية لاتعنى ساكنى البلدة من البشر أو الأنعام ، ولكنها تعنى فقط الأرض على الحقيقة، بدليل عطف الأنعام والأناسى على قوله بلدة ميتاً ، فهى هنا بمعنى الأرض الجماد الذى هو فى حالة موات على الحقيقة.

ألف – مثل حذف "الألف" فى "ملك" – رمزا إلى تعدد القراءات؛ فكلمة "ٱلرِّيَٰحَ" فى قوله تعالى: فى سورة الكهف: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ فقد حذف "الألف" من "الياء" بعد "الراء" ولم يكن حذفه عبثا بل له دلالة تبصر القارئ لكتاب الله العزيز بأن فى كلمة "ٱلرِّيَٰحَ" قراءتين: فالقُرَّاء تباينت قراءاتهم فى كلمة "ٱلرِّيَٰحَ" حيث وقعت ، فمنهم من قرأها فى جميع مواضعها فى القرآن بالجمع وهو أبو جعفر إلا موضعا واحدا (السادس عشر فى سورة الحج الآية ٣١) فقد قرأه بالجمع والإفراد.. وقرأ ابن كثير بالجمع فى أربعة مواضع منها آية الكهف هذه .

فتبين من ذلك أن كلمة "ٱلرِّيَٰحَ" فى آية الكهف تواردت عليها قراءتا الجمع والافراد، وهى فى المصحف **بالجمع** على قراءة عاصم وغيره ، ثم رُمز إلى قراءة الافراد بحذف "الألف" فجاء رسم الكلمة فى المصحف صالحا للقراءتين بعد حذف "الألف" والاستعاضة عنه بشرطة صغيرة رأسية فوق "الياء".

ووجه الجمع هو اختلاف جهات الرياح شمالية جنوبية أو العكس واختلاف صفاتها شديدة لينة حارة باردة.

أما وجه الإفراد فإن الريح جنس عام يصدق على ما يندرج تحته من أفراد(كما يقول النبى (ص): أهلك الناس الدينار والدرهم .. وهو يقصد جنس الدينار والذى ربما يكون ملايين الدنانير). فحذف "الألف" فى "ٱلرِّيَٰحَ" كحذفه فى "ملك" كان القصد منها الرمز إلى هذا المعنى اللطيف الذى أشرنا إليه من قبل ، **وأضاف الدكتور المطعنى قوله: ليس فى كتاب الله العزيز شئ يخلو من الدلالة، ولكن هذه الدلالات تفتقر إلى تفكر وتأمل** ، وقد يغيب عنا بعض منها وليس معنى هذا الخلو من الدلالة ، ولا يكون جهلنا بها دليلا على انعدام الدلالة، لأنه كتاب لا تنقضى عجائبه.

♠♠ ((وهنا نقف وقفة ونذكر القارىء أن كلمة (رياح) بالجمع وردت فى كل القرآن بدون ألف– كما أشرنا إلا فى موضع واحد– وهو فى سورة الروم – والتى ورد فيهاالرسمين لكلمة الرياح (بالألف وبدون الألف) – فى نفس السورة وفى نفس الصفحة – هكذا: ﴿وَمِنْ آيَاته أَنْ يُرْسلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَات وَلِيُذيقَكُمْ منْ رَحْمَته وَلتَجْرِيَ الْفُلْكُ بأَمْره وَلتَبْتَغُوا منْ فَضْله وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦).﴾ ..وبعدها مباشرة.. ﴿اللَّهُ الَّذي يُرْسلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ منْ خلَاله فَإذَا

أَصَابَ بِه مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨)﴾ .. وهذا من عجائب الرسم فى القرآن الكريم وكان لابد من الوقوف عليه والتساؤل لماذا؟.

وبعد استعراض الآيات التى وردت فيها كلمة (الرياح) بالجمع — بدون ألف– اتضح أنها تكتب بدون ألف فى الحالات الآتية :

(١) إذا ورد لفظ الجلالة ظاهراً ومشاراً إليه مثل:(الله) أو (هو) أو (إنا) أو (نحن)– مشيراً إلى ذاته العلية– أو (أرسلنا) — مشيراً أيضاً إلى لفظ الجلالة أيضاً بأسلوب الخطاب (المباشر) وبالجمع المفيد للتعظيم –.

(٢) وإذا كان السياق فيه استعراض (لقدرة الله) على البعث والنشور و... ولم يكن المقصود من السياق (هو تعداد النعم والرحمات لجلب الشكر)مثل **"لعلكم تشكرون"** ... نلاحظ فى كل هذه الحالات المذكورة أن كلمة **الرياح لاتظهر فيها الألف** .

وذلك على خلاف قوله تعالى فى سورة الروم **(وَمِنْ (آيَاتِه) أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ)**..فقال (ومن آياته) ولم يقل (الله أو....)؛ وهنا– فى هذه الآية– نلاحظ أنه:

١) ليس المقصد من الآية هو عملية الإرسال للرياح وما وراء عملية الإرسال من الإدلال بقدرة الله وعلمه المحيط .

٢) وأنه فى سياق هذه الآية نجد بعدها أن المولى **يعدد النعم** التى تخرج من هذه (الآيات) - بلفظ الجمع– **وهى كالآتى:**

(١) مُبَشِّرَات — قيل بالمطر–.

(٢) وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِه — أى بالمطر–(وهنا يذكر نوع من الرياح التى تحمل المطر)..

ثم يذكر ريح أخرى بهيئة أخرى وهى:

(٣) وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِه (٤) وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه (٥) وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)..

ويقول أبو السعود: **{ وَلِيُذِيقَكُمْ مّن رَّحْمَتِهِ } وهي المنافعُ التَّابعةُ لها وقيل : الخصبُ التَّابعُ لنزولِ المطرِ المسبَّب عنها أو الرَّوح الذي هو مع هبُوبها . .. { وَلِتَجْرِىَ الفلك } بسوقها {بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ } بتجارةِ البحرِ { وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ولتشكروا نعمةَ الله فيما ذُكر من الغايات الجليلة .**

وكما قال الرازى: **المسألة الأولى : في الترتيب فنقول في الرياح فوائد ، منها إصلاح** الهواء ، ومنها إثارة السحاب ، ومنها جريان الفلك بها فقال : **{ مبشرات }** بإصلاح الهواء فإن إصلاح الهواء يوجد من نفس الهبوب ، ثم الأمطار بعده ، ثم جريان الفلك فإنه موقوف على اختيار من الآدمي بإصلاح السفن وإلقائها على البحر ، ثم ابتغاء الفضل بركوبها .

وبعد هذا العرض من أقوال المفسرين نقول : أن المشهد الملحوظ هنا فى هذه الآية هو مشهد تعداد وتكرار النعم فى (تعدد أنواع الرياح) (والتعدد والتكرار دائما -- فى رسم المصحف — يظهر فيه الألف) هذه واحدة .. وأما الأخرى فهى: أن لتعدد النعم وتعدد الوظائف للرياح إشارة إلى أنها ليست ريحاً واحدة — وبذلك لاتصح (عقلاً) أن تكون بالإفراد؛ وكذلك لاتصح نقلاً ؛ حيث أنها لاتوجد لها قراءة أخرى إلا قراءة الجمع هذه وهذه إشارة خطيرة تبين دقة وعظمة هذا الرسم الذى لم يرسمها كباقى أخواتها أو حتى الآية السابقة لها بدون ألف !!.

ونرى أيضاً رأياً آخراً ، نعرضه للقارى — يحتمل الخطأ والصواب — وهو :

أن أقوى جند الله فى الأرض هى الريح — كما ذُكر فى الأثر المروى عن الإمام على بن أبى طالب— .. وبعد استقراء الآيات وجدت ملاحظة وهى: أنه إذا ذكر لفظ الجلالة "الله"— الله الذى أرسل الرياح— أو هو(وهو الذى يرسل الرياح) أو إنَّا— صراحة — أو بالتعبيرات التى ذكرناها مع (ٱلرِّيَٰحِ) بدون ألف — لاحظنا أنه لاتقم للريح قائمة (فلم تظهر الألف) .— وكأنه إشارة إلى خضوع أقوى شىء فى الكون لله وخشوعه وانكساره. (وهذا يتناسب مع حال ظهور الله عز وجل فى سياق الآيات التى ذكرناها والتى لايقف أمامها أقوى قوة على ظهر الأرض (الرياح) فلا تقم لها قائمة ولاترسم بالألف).

وهذا بخلاف التعبير (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ) فهو سبحانه لم يظهر فى الصورة هنا بنفسه ، ولكنه تظهر آياته — وهى آيات رحمة — وهى التى (أظهرها) لنا سبحانه — فحق للألف أن تظهر فى هذه الآية (الرياح).

وهذا التفسير ليس ببعيد .. فقد عشنا معه فى بلاغة النص القرآنى — فى كلمة (الغمام ٱلْغَمَٰمَ) بالألف وبدون ألف .. ورأينا فى دراستنا لنصين متشابهين ويكادا أن يكونا متطابقين ولكنهما اختلفا فى رسم الكلمة هكذا:

(١) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧)﴾ البقرة

(٢) ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

وقلنا حينها: أن الداعى لهذا الرسم هو سياق الأيتين : ففى الآية الأولى (خطاب مباشر لهم من الله (أى: مواجهة)- وَظَلَّلْنَا – نحن – عَلَيْكُمُ- أى أنتم – وناسب ظهور الله هنا – ظهور الغمام أيضاً – بظهور الألف-.

بخلاف النص الثانى (وَظَلَّلْنَا –عَلَيْهِمُ – هم بصيغة الغائب– ٱلْغَمَـٰمَ) فالخطاب بلفظ الغيبة وليس الخطاب المباشر والمواجهة – ويتناسب ويتناغم لفظ الغيبة مع غيبة الألف ، ولفظ الظهور مع ظهور الألف (وهنا يغيب رمز الألف دلالة على انكماش الغمام .. مع خطاب الغيبة فى لفظ الجلالة) .- وراجع بحث الغمام-. والأمثلة كثيرة على ذلـــك .. ومنها (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا (نحن)... ظهور لله و خطاب مباشر (**نزلنا فأتوا**) و لم يقل (قل فأتوا)...، .. وبلغة الجمع للتعظيم والتفخيم .. ولذلك سيكون التحدى هنا قوياً) ... **مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ (مِنْ) مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَـادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَـا النَّـاسُ وَالْحِجَـارَةُ أُعِـدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾٢٤**(فهذا أقوى أنواع التحدى؛ حيث قال فأتوا بسورة (من) مثله – بخلاف آيتى يونس وهود حيث قال (قل فأتو بسورة مثله) .. والتحدى الأقوى الثانى هو (فإن لم تفعلوا ولن......فأتقوا .. للكافرين)...............وهذا بخلاف آيتى يونس وهود – الأضعف فى أسلوب التحدى – لأن الحديث ليس فيه ظهـور لله المباشـر والتحـدى بالمواجهة (نزلنا)- التى فى آية البقرة- ولكنه قال (قل .. أى يامحمـد) هكـذا :﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ((قُلْ)) فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْـتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) يونس... وفى هود: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ((قُلْ)) فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِـهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْـتُمْ مُـسْلِمُونَ (١٤)﴾** ...

لاحظ فى الآيتين انخفاض نبرة التحدى مع عدم ظهور الله المباشر - كما فى آية البقرة -.

وهكذا أمثلة كثيرة تراجع فى سلسلة كتبنا(الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن)

ولكن يبقى سؤال هام وهو:

أنت قلت أنه حينما كان الله ظاهراً فى الصورة ظهرت الغمام (وظهر فيهـا الألـف) .. وهذا كلام مناقض لقولك السابق فى الرياح .. حيث أنك قلت عكس ذلك وهو : أنـه إذا ظهر الله فى الصورة إختفت الرياح و لم تقم لها قائمة (واختفى الألف- و لم يظهر كما فى الغمام) والعكس بالعكس . فلماذا؟

وهذا سؤال وجيه وملاحظة هامة .. والحقيقة أنه ليس هناك تناقض بل **هناك إعجاز**.. حيث أن هناك نصوصاً فى القرآن تقول أن الله (**هل ينظرون إلا أن يأتيهم فى ظلل من الغمام والملائكة**) . **إذن يكون من الطبيعى أن يرتبط ظهور الله بظهور الغمام** – ومعلوم أن الغمام بشير خير ونماء وتظليل – بخلاف الرياح ((القوية والمزمجرة ، التى يناسبها التطامن والخضوع والانكسار مع ظهور الله عز وجل)).

وهذا يناسب باقى المشاهد التى يرسمها القرآن فى حال ظهور رب العزة ﴿**وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا** (١٠٨)﴾ و﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ** (٦٨)﴾ وغيرها

وإليك نص الآيات – عن الرياح بدون ألف – لمراجعتها:

(١) ﴿**وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** (١٦٤)﴾البقرة.. الآيات فيها إظهار القدرة .. وأيات لقوم يعقلون .. **وليس تعدادا للنعم للشكر عليها**.- والقدرة تحتاج الريح الواحدة والقوية فى الاتجاه (وهكذا فى الآيات التالية):

(٢) ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (٥٧)﴾الأعراف.. **ونعمة واحدة بلا تعدد** كأنها تحتاج لنوع واحد ن الرياح يناسبها.. **ولإظهار قدرته على إخراج الموتى** بضرب هذا المثل .. **ولعلكم تذكرون** (وليس تشكرون).

(٣) ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)** (٢٢)﴾ – أى ليست لكم القدرة على تخزينه –وبعدها: **وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ** (٢٣)الحجر.. **وهى ليست لتعدد النعم بل لبيان القدرة.**

(٤) ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** (٤٥)﴾، وهى للقدرة أيضاً.

(٥) ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** (٤٨) **لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا** (٤٩) **وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** (٥٠) **وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا**،﴾ ، الفرقان... للتذكر والإنذار..ولإثبات البعث بدليل إحياء الأرض بعد موتها.

(٦) ﴿أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)﴾ وكلها مساقة لإثبات القدرة والعلم، وبأسلوب استفهام تقريرى.

(٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)﴾ .الروم. وبعدها: ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً...تلويح بالقدرة وإنذار ووعيد.

(٨) ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩).دليل القدرة على الإحياء.

(٩) ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧)﴾ الجاثية. وسياق تهديد واستعراض للقدرة أيضاً.

**وتأتى الآية الوحيدة المتفردة بإظهار الألف فى (الرياح) وهى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦).﴾ الروم. وهنا واضح تمام الوضوح أن السياق ليس لاستعراض القدرة أو لإظهار العلم ، بل السياق سياق تعداد النعم (لعلكم تشكرون)- كما شرحنا من قبل- وهنا لايكون ولا يجوز إلا قراءة الجمع (الرياح) التى لابد من إظهار الألف فيها ، لعدم احتمال قراءة الإفراد ، وللإنسجام والتناغم مع حديث المصطفى (ﷺ): اللهم اجعلها (رياحا) ولا تجعلها (ريحا)- فى حال الخير والرخاء.

كرهاً وكُرها

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا .. (١٩)﴾ يقول الطاهر: وقرأ الجمهور : كرها بفتح الكاف ، وقرأه حمزة ، والكسائي وخلف بضم الكاف وهما لغتان

يقول الألوسى: وقرأ حمزة والكسائي { كَرْهاً } بالضم في مواضعه ، ووافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب في الأحقاف ، وقرأ الباقون بالفتح في جميع ذلك ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)﴾

((وهنا تجد أن الآيات التى قرئت بضم الكاف هم ثلاثة آيات.. هذه الآية .. وآية الأحقاف (فى الحمل والولادة) وآية القتال فى البقرة... ولكن الملاحظ أن آية النساء أقلهم فى الإجماع على حالة الضم (أى عدد الذين قرأوها بالضم قليلون) وهذا فعلاً يتناسب تناسباً رائعاً مع ترتيب الكراهية للمرأ فى واقع الحياة كالآتى:

أولهم: فى حال الزواج (لاترثوا النساء كرها)..

وثانيهم" وحالة الولادة بعد الحمل ..

وثالثهم: حالة الجهاد (لم يقرأها إلا السلمى فقط) بالفتح.. كما ذكر الرازى.. مما يتناسب مع شدة الثقل فى هذه الحالات بدرجاتها المختلفة التى تمثلها القراءات.. حيث أنه من المعلوم أن الضم أقوى الحركات وتحتاج إلى مجهود أعلى فى النطق بها عن الفتح.

أما الآية الثانية﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾

وأما الثالثة:أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾ آل عمران

الرابعة: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥) ﴾ الرعد

يقول الرازى: وأما قوله تعالى : { طَوْعًا وَكَرْهًا } فالمراد : أن بعض الحوادث مما يميل الطبع إلى حصوله كالحياة والغنى ، وبعضها مما ينفر الطبع عنه كالموت والفقر والعمى والحزن والزمانة وجميع أصناف المكروهات ، والكل حاصل بقضائه وقدره وتكوينه وإيجاده ، ولا قدرة لأحد على الامتناع والمدافعة .

ثم قال تعالى : { وظلالهم بالغدو والآصال } وفيه قولان :

القول الأول : قال المفسرون ، كل شخص سواء كان مؤمناً أو كافراً فإن ظله يسجد لله

(٢) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ..(٢١٦) ﴾ البقرة

الألوسى: وقيل : المفتوح المشقة التي تنال الإنسان من خارج والمضموم ما يناله من ذاته ، وقيل : المفتوح اسم بمعنى الإكراه والمضموم بمعنى الكراهة.

(٧) ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا .. ﴾

(١٥)الأحقاف... و عن أبو السعود: وقيلَ : المضمومُ اسمٌ والمفتوحُ مصدرٌ .

الطاهر: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسان بوالديه إحسانا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾

((أرى أن هذه الآية وآية الجهاد تشير بالضم إلى كره ثقيل القيمة وله ثمرة وفائدة عظيمة أيضاً(الحمل بعده ولدٌ فيه سعادة بالغة)، والجهاد كذلك (فيه نصرة الدين والعلو والرفعة فى الدارين) بخلاف الكره (بالفتح) فليس له ثمرة.. فالثقل والخفة هما فى حال الفعل وثمرة الفعل)).

ويقول د: المطعنى:الفرق بين معنى (كَره)و(كُره) كما يدل عليه الاستعمال القرآنى أن (كَره) بالفتح يستعمل فى مقام الدلالة على المعاناة النفسية ، أما (كُره) فللدلالة على المعاناة الجسمية والنفسية معاً ((وهو ملحظ لطيف من دكتورنا المطعنى))

ويكمل : ومضاعفة المعنى فى المضموم تناسب (الضم).. وخفته فى المفتوح تناسب (الفتح) لأن الفتح أخف من الضم، ولهذا – فى اللغة – نظائر كخُبْر، خَبَر، والفرق بينهما أن (الخُبر) بضم الخاء حصول المعرفة عن ممارسة ومشاهدة ، و(الخَبر) حصول المعرفة سماعاً.أو (الخُبر): العلم ببواطن الأمور.

ومنه فَهِم وفَهُم، يقال: فَهُمَ الرجل: أى صار الفهم ملكة راسخة عنده، بخلاف فَهِم الصادقة على حصول الفهم، وإن كان يسيراً لارسوخ فيه.

ويكمل :أن استعمال القرآن هذا دليل على عدم الترادف بين الكلمتين.

❁❁❁❁❁❁❁

وهكذا – كما رأينا – أن القرآن يزاوج ويناسب بين اللفظ والمعنى – نجد القرآن دائما– يستخدم اللفظ الإستخدام الأمثل ويوظف كل (كلمة) توظيفاً حكيماً ودقيقاً لايُعلى عليه وذلك هو الإعجاز اللغوى.. ويضرب د: المطعنى مثالاً آخر على ذلك وهو (الصوم) و(الصيام)

الذى لاتفرق كتب اللغة بينهما.. والأمر يختلف بالنسبة للإستخدام القرآنى لهما هكذا– بعداسترجاع الآيات كما تعودنا–:

الصيام أريد منه تلك العبادة المخصوصة التى لاتتحقق إلا بالإمساك عن الطعام والشراب والاتصال الجنسى بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ......فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ (٩٢)﴾ .. وهكذا فهذه الصيامات جميعها لابد من الكف عن المفطرات طيلة النهار،أما كلمة (صوما) فلم ترد إلا مرة واحدة فى مريم: **﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦)﴾** والمراد منها الكف عن الكلام فقط.. ولانزاع أن الإمساك عن شهوتى البطن والفرج أمر شاق على النفس، عن الإمساك عن

الكلام.. لذلك التزم القرآن(الصيام) فى التكاليف الشاقة، وخص الصوم بالأمر السهل.. وزيادة المبنى (الصيام – خمس حروف) تدل على زيادة المعنى..

وإن كنت أرى إضافة لقول العلامة المطعنى رأياً آخر – قد قال هو به فى مكان آخر وخاصة عند التفرقة الصوتية بين (ميِّت) وما فيها من حركة ، و(ميْت) وما فيها من السكون والهمود– وقد كان كذلك فى المعنى للكلمتين.. فأنا أرى هذا شاخصاً للأبصار هنا ؛ حيث أن كلمة (صِيام) متموجة الحركات وليس فيها سكون وصمت كلمة (صوْم) – والتى تعنى (الصمت عن الكلام).. زيادة على معنى المشقة وزيادة المعنى لزيادة المبنى الذى ذكره د: المطعنى.

❁❁❁❁❁❁❁

وهكذا كلمة (فرق) و (فرَّق)

وخلاصة بحثه الرائع هو:أن منهج القرآن فى (فرَّق) المشدد هو:

أولاً: إستعمال (فرَّق) فى الفصل بين الأجسام المركبة تركيباً عضوياً مادياً

ثانياً: استعمال (فرَّق) فى الفصل بين الأطراف ذات العلاقات المعنوية القوية التماسك ، وإن كانت أطرافها أموراً معنوية.

(وأقول : أننى أذكر هذا البحث وغيره الكثير الذى تركناه لضيق المقام هنا ليساعدنا أيضاً على فهم خاصية الرسم العثمانى – التى تغمض عن أعين الكثيرين – وليعلموا أن نسيج الرسم القرآنى هو نفسه نسيج الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم .

وهذا يذكرنا برسم كلمة (طغى .. طغا) ورسمت بالألف فى حالة واحدة وهى (الطغيان المادى .. طغا الماء) . أما باقى الآيات التى ورد فيها رسم الكلمة (طغى) فهى فى الطغيان المعنوى (إلى فرعون إنه طغى) فليتذكر ذلك قارءنا العزيز.

❁❁❁❁❁❁❁

أمثلة لتعدد الرسم
كما هو الحال فى تعدد القراءات.

ويقول الزركشى: قال أبو العباس وقد تكون الصفة ملكوتية روحانية ، وتعتبر من جهة مرتبة سفلى ملكية هي أظهر في الاسم ، فتثبت الألف ،كالأواب ،والخطاب والعذاب وأم كنت من العالين والوسواس الخناس (وأقول ربما لتكرار الوسوسة والخنوس أيضاً وليس لظهوره)... وقد تكون ملكية وتعتبر من جهة عليا ملكوتية هي أظهر في الاسم ، فتحذف الألف كالمحرب ، (مع ملاحظة أن المحراب مرسومة بالألف .. وذلك إذا نظر إلى وضعها المادى ، أما إذا نظر إلى وضعها الملكوتى العلوى التقديسى فيحذف منها الألف – ولهذا لامانع من وجود القراءتين – بل هو نوع من الإعجاز) ويقول الإمام الزركشى: ولأجل هذا التداخل يغمض ذلك فيحتاج إلى تدبر وفهم.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ،، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ،، قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ،﴾ ،يقول الزمخشرى: قيل : بنى لها زكريا محراباً في المسجد ، أي غرفة يصعد إليها بسلم .(فهى على المعنيين : إما المادى ، أو مشهد الارتفاع بهذه الدرج أو السلالم – وضع الألف– بدليل أنه حذفت من المساجد و لم يوضع فيها ألف– ربما لهذا الملحظ (عدم العلو بالدرج – وأيضاً لأنها ليس لها استخدام أو معنى آخر سوى أماكن العبادة بخلاف التوسع فى استعمال كلمة المحراب فهو للعبادة وغير العبادة ولكن لاتوجد مساجد إلا لحالة واحدة وهى العبادة (ملكوتية) ولذلك يكمل الزمخشرى: وقيل : المحراب أشرف المجالس ومقدّمها (فهى لأى مجالس سواء العبادة أو غيرها)، كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس . وقيل : كانت مساجدهم تسمى المحاريب .

ويوضح الإمام الرازى هاتين القراءتين فى تفسيره واستشهاده بأشعار العرب قائلاً: المسألة الأولى : { المحراب } الموضع العالي الشريف ، قال عمر بن أبي ربيعة :

ربة محراب إذا جئتها ... لم أدن حتى أرتقي سلما

((ولاحظ وتأمل هذا البيت..والآية فى سورة (ص) بعدها)

واحتج الأصمعي على أن المحراب هو الغرفة بقوله تعالى : { إِذْ تَسَوَّرُواْ المحراب } [ص : ٢١] والتسور لا يكون إلا من علو ، وقيل : المحراب أشرف المجالس وأرفعها ،

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾

(ويقول الرازى: وأما المحراب فالمراد منه البيت الذي كان داود يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه ، وسمي ذلك البيت المحراب لاشتماله على المحراب

ويؤكد الإمام الطبرى هذا المعنى بقوله: **والمحراب مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه.**

ومنه ما يكون ظاهر الفرقان **كالأخير والأشرار (الأخيار والأشرار)** تحذف من الأول دون الثاني ((والملاحظ أن الأخيار فقط لها قراءتان (المادى- الأرضى - والعلوى) بخلاف الأشرار التي ليس لها إلا قراءة واحدة – الأرضى السفلى-(فكتبت بالألف)

وكذلك وطعام الذين أوتوا الكتب حل لكم وطعمكم حل لهم ، ثبتت الألـــف في الأول – **وطعام الذين أوتوا الكتب** -لأنه سفلى بالنسبة إلى طعامنا لمكان التشديد عليهم فيه ، وحذفت من الثاني – **وطعمكم** – لأنه علوى بالنسبة إلى طعامهم ، لعلو ملتنا على ملتهم ، وكذلك كانا يأكلان الطعم فحذفت لعلو هذا الطعام .

((وهذا ملحظ رائع حيث أن طعامنا (نحن المسلمون) وطعام السيدة مريم وابنها – عليهمـــا السلام– له قراءتان: قراءة أو رسمة بالألف كما هو فى المصاحف لدينا ، وأخــرى بـــدون الألف كما هو فى المصاحف الأخرى لتعطى ملمح للقراءة الأخرى والمعنى التشريفى الآخر – بدون ألف– فى طعام المؤمنين الصادقين.. وذلك بخلاف طعام الذين أوتو الكتاب – بعد التحريف وتحريم أو تحليل مالم يأذن به الله – كتب بالألف فقط)).

وكذلك الجراد والضفدع.... الأول ثابت (الألف) فهو الذى في الواحدة المحـــسوسة . والثانى – الضفـــدع– محذوف لأنه لس في الواحدة المحسوسة ، والجمع هنا ملكوتي(أى لأنه على سبيل المعجزة من حيث هو اية)

(وهنا العبارة غير مفهومة .. ولذلك نزيده توضيحاً فنقول:ولكـــن الكلمـــتين كتبتـــا بالألف.. وذلك على اعتبار وجودهما المحسوس والمشاهد لبنى إسرائيل ، ولم يكن مخفياً عنهم ... أما جواز حذف الألف فلاعتبارهما آية من آيات الله على يد موسى عليه السلام.

ولكن يبقى السؤال: لماذا حذفت من (الضفادع) دون (الجـــراد) ؟ .. ونقـــول: لأن ظهور الجراد وأكله للزروع شيء معتاد ومألوف وهو ظهر بالفعل علـــى هـــذه الحالـــة المعلومة.(ولذلك كتب على حالة واحدة- بالألف-). بخلاف الضفدع الذى ظهر فى غير مكانه (وهو الماء البارد وليس المغلى كما ظهر لبنى إسرائيل) وبطريقة غير مألوفة.(فكان لها الحق فى القراءتين). (وأنا أقتبس قول الطبرى عند تصويبه لبعض القـــراءات وأقـــول: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان.

وإليك ما قاله المفسرون ومنهم الزمخشرى:

فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ، ثم أكلت كل شيء حتى الأبوابٌ وسقوف البيوت والثياب و لم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ،(إذن هـــى طريقتـــه المعلومة وفى مكانه الطبيعى) ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة ، فكشف عنهم بعد سبعة أيام : خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب ، فرجـــع

الجراد إلى النواحي التي جاء منها ، فقالوا : ما نحن بتاركي ديننا ،...فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع ، فدخلت بيوتهم ((فى غير مكانها) وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم ، ولا يكشف أحد شيئاً من ثوب ولا طعام ولا شراب إلاّ وجد فيه الضفادع ، وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع إلى فيه ، وكانت تمتلىء منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد ، وكانت تقذف بأنفسها في القدرو وهي تغلي ، وفي التنانير وهي تفور .. (كل ذلك فى غير مكانها).،

فما أروع هذا البيان والتبيان برسم الكلمة وتعدد قراءاتها أو رسمها.

❁❁❁❁❁❁

وكأمثال اللؤلؤ ..الواقعة..ثابت الألف لأنه تعين للفهم جهة التماثل وهو البياض والصفاء

(ملحوظة : هذه قراءة ثانية لأنها مكتوبة فى المصحف لدينا بدون ألف، ومعلوم أن الآية تشبيه للحور العين (فهى ظاهرة من ناحية (مادى) وباطنة (معنوى وروحى وتشريفى) من ناحية أخرى).

ويقول الطاهر:كأمثال: ودخول كاف التشبيه على (أمثال) للتأكيد مثل قوله تعالى : {ليس كمثله شيء }الشورى : ١١ ..ويقول الطبرى:(كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) يقول: هنّ في صفاء بياضهنّ وحسنهن، كاللؤلؤ المكنون الذي قد صين في كنٍّ.

(إذن هومثال لأمرين (اللؤلؤ) — فى بياضه وصفائه.. وهو ((مادى)) .. والمثال الآخر هو فى قوله (مكنون) لاتلمسه الأيدى... كناية عن الرفعة والطهارة والبعد عن شهوات الدنيا ((معنوى)).. وهذا يليق بمقام (الحور العين).

وكذلك فإذا نفخ في الصور نفخة وحدة ...ودكتا دكة واحدة ... الأولى محذوفة لأنها روحانية لا تعلم إلا إيمانا (أى النفخ فى الصور — البوق — وهذا لم نر له شبيه له أو لقوته التى تميت وتحيى) ...والثانية ثابتة جسمانية يتصور أمثالها من الهُوِى (وهى الدكة)

وكذلك ألف (كتـبيه) محذوفة لأنه ملكوتي — يقصد أن الكتاب ليس ملكى أنا ولكنه ملك الله أوجده هو ليكون شاهداً على — فهو ليس ملكى .. بخلاف حسابى على أعمالى التى هى ملكى وتخصنى وكانت ظاهرة لى وأنا عملتها وستأتى على هيئتها) — إضافة إلى أن صفة الكتاب مجهولة بالنسبة لى .. بخلاف صفة الحساب التى ستكون على ما علمناه فى الدنيا...(كتـبيه بدون ألف فى المصحف أيضاً.. وحسابيه بالألف.. وهو مطابق لقراءة الزركشى)

وألف (حسابيه) ثابتة لأنها ملكية.. وهما معا في مـــوطن الآخـــرة ... وكـــذلك (القضية)- القاضية - ملكوتية (ولكنها كتبت بالألف - كقراءة ثانية - لتـــصور لنـــا القاضية التى نعلمها والتى لانعلمها .. وكأنه يصرخ ويطلب أن يميته الله ويفنيه بأى طريقة (معلومة أو مجهولة)

و"ماليه" ملكى محسوس (أى كل ما أملك من الماديات - وهى كـــذلك فى رســـم المصحف-) فحذف الأول وثبت الثاني.

(ونزيد أن سلطـــــنيه بدون ألف لأنه لايقصد السلطان المعلوم لدينا من تاج الملك وغيره من الصور الدنيوية - وخاصة أن هناك من سيحشر و لم يكن له أى سلطان دنيوى من هذا النوع - ولكنه يقصد (سلطان الحجة والبرهان)- وراجع بحثنا عن (الـــسلطن) كما رسمه اللفظ القرآنى.

❁❁❁❁❁❁

وكذلك ولما برزوا (لجلوت) هنا حذف الألف لأنه الاسم ((وربما يكون هذا البروز ليس لشخص جالوت وجسمه - فهو كغيره من القواد الذين ربما لايظهرون فى الحـــرب بأجسادهم وينسب إليهم النصر على الأعداء بل وقتلهم ، وهـــؤلاء القـــادة يخططـــون وينسب إليهم الفعل ويذكر بإسمهم - كما نقول احتل نابليون بلد كذا وقتـــل الآلاف ومنهم فلان وفلان ، وهو ربما لم يباشر بيده كل ذلك ، ولكن نسب إليه لأنه هو المخطط والآمر .. وهكذا هم برزوا لجالوت لايشترط بروزهم لشخصه.

أما واقعة قتله هو - جالوت- على يد داود فقد وقع بالفعل على جسده؛ فإن الحقيقة والتاريخ التوراتى يقول أن داوود قد باشر قتل جالوت بيده (بأن ضربه بالمقلاع فوقـــع صريعاً) فهنا المقتول هو (جسد) جالوت بالحقيقة لذلك لايوجد خلاف فى رسمها بالألف.

ولكن الخلاف فى الرسم - فى بروز هـــذا الـــشعب لجـــالوت - ليـــشير إلى هـــذا التساؤل:(هل هو بروز لجسد جالوت وعينه وشخصه) أم هو بروز معنوى كمـــا قلنـــا ونقولها : أن الملك بنى المدينة - وهو لم يباشر ذلك بنفسه وشخصه.......... ولـــذلك يقول الزركشي: وقتل داود جالوت ثبت (أى الألف) لأنه مجسد محـــسوس ، فحـــذف الأول (برزوا لجالوت - على القراءة الثانية-) ، وثبت الثاني.

((وهذا الذى يجعلونه دليلاً على عدم الالتزام برسم المصحف برسمـــة واحـــدة فى جميـــع المصاحف هو عينه قمة الإعجاز ولا يختلف عما نراه فى تعدد القراءات الذى لايخفى علـــى أى عالم أو متعلم . ولكن هذا - تعدد القراءات- وجد من يظهره ويعلمه بخـــلاف رســـم المصحف.))

وكذلك **سبحن** حذفت ألفها لأنه ملكوتي إلا حرفا واحدا واختلف فيه **(قل سبحان ربى) فمن أثبت الألف** قال هذا تبرئة من مقام الإسلام وحصره الأجسام صدر به محاوبة للكفار في مواطن الرد والإنكار ، ومن أسقط فلعلو حال المصطفى (ﷺ)لا يشغله عن الحضور تقلبه في الملكوت الخطاب في الملك (((وهذا رأى مقبول ومعقول لتوضيح القراءتين ؛ حيث أننا جميعاً نعلم أن التسبيح له طرفان: طرف ظاهر باللسان ، وآخر خفى بالجنان (القلب) ، وقلب محمد لايتخلف عن لسانه فله الحالتين .. والقراءة بالألف لتظهر المعنى الثانى الذى قلناه (الذى يصور حدة الموقف – كما ذكرنا فى شرحنا) وهو أولى الوجهين

****وكذلك لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلثة، ثبتت ألف ثالث لأنهم جعلوه** أحد ثلاثة مفصلة ، فثبتت الألف علامة لإظهارهم التفصيل في الإله، تعالى الله عن قولهم ، وحذفت ألف (ثلـثة) لأنه أسم العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة.((وهذا الرسم كأنه يصف قولهم الثلاثة فى واحد))!!أى الثلاثة ذوات فى ذات واحدة – كما يزعمون-

****وكذلك وما من إله إلا إله واحد (واحد فى المصحف بالألف)**.. ويقول الزركشى: حذفت من ((إله)) وثبتت في (واحد) ألفه ، لأنه إله في ملكوته تعالى عن أن تعرف صفته بإحاطة الإدراك ، واحد في ملكه (على قراءة إثبات الألف فى واحد) تتره بوحدة أسمائه عن الاعتضاد والاشتراك، هذا من جهة إدراكنا (أى ما يناسب حالة إثبات الألف) وأما من جهة ما هي عليه الصفة في نفسها فلا يدرك ذلك بل يسلم علمه إلى الله تعالى فتحذف(أى الألف على القراءة الثانية الموجودة بالمصاحف لواحد)... وعلى هذا نرى أن (إله) اتفقت القراءات على رسم واحد بدون ألف (لأن الألوهية ملكوتية ليس لها نظير مادى... ولكن (واحد) لها قراءتين بحسب تخيلنا نحن .. وربما يزيد ذلك المعنى – فى واحد بالألف وبدون ألف) هو(أنه واحد فى الذات وواحد فى الصفات ... واحد فى العدد وواحد فى الوحدة...واحد متميز فى الذات والعدد (بالألف)... وواحد فى الصفات (بدون ألف)

****وكذلك المهتد وكذلك والباد (العـكف فيه والباد) حذف الياء من (الباد) لأنه على غير حال الحاضر الشاهد وقد جعل الله لها سرا** ((هنا يقصد أن هناك رسمة أخرى لكلمة (الباد) بدون ألف، حيث أن معنى الآية -العـكف فيه والباد- فى كتب التفسير: أي المقيمُ والطارىءُ ،فالباد هو المقيم إقامة طارئة ومرتحل إلى بلده فهو ليس بمعنى الظهور المعتاد لدينا ، وليس بمعنى الظهور الدائم ، فهو له الحالتين وله الرسمين.

ويذكر الإمام الداني اختلافاً آخر في رسم الكلمة في المصاحف الأخرى نقف عليه لنبين مدى الإعجاز المبهر فيهما، وهو قوله:

واختلفت في قوله " ولأصلّبنّكم " في طه والشعراء ؛ ففي بعضها بإثبات واو بعد الهمزة(لأوصلبنكم) وفي بعضها بغير واو(لأصلبنكم) .. (واجتمعت على حذف الواو في الحرف الذي في الاعراف) أخبرني الخاقاني عن محمد بن عبد الله الأصبهاني بإسناده عن محمد بن عيسى قال الذي في طه والشعراء بالواو قال ومنهم من يكتبهما بغير واو وبالله التوفيق)انتهى.

والذى يهمنا فى هذا العرض أن كلمة (لأصلبنكم) رسمت بالتخفيف – على أصلها بدون واو – وكتبت أيضاً فى البعض الآخر بالتثقيل : أى بالواو – لتوحى بثقل الفعل (التصليب)- فى سورتى (طه والشعراء) ، ولكنهم أجمعوا على كتابتها بالتخفيف فى سورة الأعراف (أى إجماع على تخفيف فعل الصلب = القتل= فى الأعراف، وكأنه لايريد أن يركز عليه مثلما حدث فى السورتين الأخرتين. وهنا يأتى السؤال : لماذا الإجماع على تخفيف فعل الصلب وعدم التركيز عليه فى الأعراف ؟

وهنا -كما تعودنا فى منهج البحث فى إعجاز القرآن- لابد من استحضار السياق المصاحب لهذه الآيات فى السور الثلاثة.. وعندها – باختصار سريع نلاحظ الآتى:

(١) فى سورة الأعراف يقول ربنا ناقلاً الحدث مع فرعون وموسى والملأ هكذا:

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ (ءَامَنتُم بِهِۦ) قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ (ثُمَّ) لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾الأعراف.

ولاحظ ولاتنسى تذكر الكلمات بين القوسين وفوق الخط.

(٢) وفى (طه) ﴿:فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ (لَهُۥ) قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ (وَ)لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

(٣)وفى (الشعراء) تكاد تكون مثل آية طه هكذا﴿:فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ (لَهُۥ) قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ

إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ (وَ) لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

**وهنا نقف لنتأمل الفروق الثلاثة مستصحبين فى ذاكرتنا إجماع المصاحف على تخفيف الصلب وعدم التركيز عليه فى الأعراف- برسم الكلمة- وإليك التوضيح:

الخلاف بين سورة (الأعراف) من ناحية ، وسورتى (طه والشعراء) من الناحية الأخرى (لتشابههما) هو كالآتى:

(١) فى سورة الأعراف يقول فرعون: (ءَامَنتُم بِهِۦ) وفى السورتين (ءَامَنتُمْ (لَهُۥ).. والاختلاف فى حرف (به) و(له)؛ فالإيمان به (أى بالله) والإيمان (له) أى الرسول الذى ينقادوا له (موسى).. ولذلك حينما قال آمنتم (له) وهو يقصد الرسول (موسى) قال ما يناسبه وهو﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾.. وحينما قال (آمنتم (به) قاصداً (الله) لم يذكر صفة موسى ولذلك قال بعدها ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ ﴾ وهو إيمانكم بهذا الإله.

(٢) والأمر الثانى هو نوع الجريمة التى ألصقا فرعون بهم.

(٣) (فى الأعراف) هى﴿ لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾. وهى بهذه الصورة مانسميه : جريمة إخراج الناس وإشاعة الفساد فى البلدة وقلب نظام الحكم (وهو مانسميه فى عصرنا هذا بجريمة : أمن دولة) ولها أقسى وأقصى أنواع العقوبة كما نعلم- وفيها لايستعجل فرعون قتلهم السريع — الذى يريحهم من العذاب الذى نتخيله — ولكنه سيقوم بالتعذيب ليس ساعة أو أيام بل ربما شهوراً أو سنيناً طويلة ينكل بهم ويعذب فيهم ويقطع فى أجسادهم هذه الفترة الطويلة التى ناسبها وضع حرف المهلة والتراخى — عدم التعجل على صلبهم — وناسبها وضع حرف العطف (ثم) الذى يفيد المهلة والتراخى (أى لأقطعن إيديكم وأرجلكم وأظل أقطع وأكرر فترة طويل . هلى أهم عندى من القتل الذى سيريحكم (ثم) — أى بعد هذه الفترة الطويلة من التنكيل — لأصلبنكم. .. وواضح من هذا الشرح أنه لايركز على الصلب — الذى هو التخفيف عليهم وناسب ذلك إجماع القراء على رسمة الكلمة (لأصلبنكم) بالتخفيف لاغير.

(٤) وذلك بخلاف الموقف فى السورتين الأخرتين حيث أنه حدد نوع الجريمة لهم وهى أخف كثيراً من جريمة (أمن دولة) السابقة حيث يقول ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ

ٱلسِّحْرَ﴾.فالجريمة هو اتباعكم لهذا الساحر الماهر فى السحر وسحر عقولكم – مع ملاحظة أن كلمة "الساحر" حينها كانت تعنى المدح أيضاً ، ولذلك ذهبوا فى سورة الزخرف لاستعطافه بقولهم ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

١) إذن الجريمة هنا هينة ولذلك سوف لايركز السياق على التنكيل والتعذيب ولكنه سيركز أو لايركز على الصلب المريح لهم ومن هنا جاء الرسمين المخفف والمثقّل ليتناغم ويتناسب مع هذا المشهد فى السورتين (ونؤكد على أن الصلب فى هذا الموقف أهون ملايين المراحل منالتنكيل والتعذيب.. وهذا ما أشار إليه الزمخشرى عن شرحه لقوله تعالى فى "غافر"﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ..﴾ وقال أن النص لم يقل (ليقتلوه) ليشيع فى الذهن تخيل ما سيحدث لهم من التنكيل والتعذيب الذى هو أشد من القتل) وبهذا يتبين كيف تنسجم جميع وجوه الإعجاز مع رسم المصحف – حتى فى تعدد الرسم له (على اعتبار صحة الرواية صحة كاملة) ليكونا (الجمال والكمال) معاً فى النص القرآنى المبهر فى رسمه ومعناه.

وكأنه يقولها برسم الكلمة وبحرف (ثم) أيضاً : أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه.

❀ وأضيف رأياً للإمام الزركشى حول كلمة (اللؤلؤ) بألف وبدون ألف.

وكذلك زيدت بعد الهمزة من قوله كأمثال اللؤلؤا تنبيها على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون ، وعلى تفصيل الإفراد ، يدل عليه قوله كأمثال وهو على خلاف حال كأنهم لؤلؤ فلم تزد الألف للإجمال وخفاء التفصيل.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾الواقعة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤)﴾ الطور.

(مرفوع والمرفوع لايوضع فيه ألف) .

(**ملاحظة** : فى المصحف لدينا: الآيتان.. بدون ألف.. وهذه الزيادة فى المصاحف الأخرى – فى الواقعة – لامانع منها وتكون بمثابة القراءتين ، وهى للفت النظر إلى أمر هام وزائد ، وهى مناسبة فى وضعها لأنها تصف (الحور العين) ..

أما التي في سورة الطور فهي تصف (الغلمان)، فكان هذا الرسم بزيادة الألف مع الحور العين لهذا الفرق وتكون بمثابة قراءتين.. مع ملاحظة كلمة (كأمثال) - في الحور العين التي فيها كمال المشابهة (بكاف التشبيه ، ومثل) ويوجد فيها أيضاً التفصيل بخلاف قوله (كأنهم) - في الغلمان - دون كمال المشابهة (لأن التشبيه بالكاف فقط) وعدم التفصيل....

بالإضافة إلى أن الواقعة تتحدث عن السابقين - وهم أعلى الدرجات .. والطور تتحدث عن الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان (وهم أقل في الدرجة) فكان زيادة الألف في السابقين رمزاً لهذا الفرق بين الدرجتين .. وراجع كتبنا: الإعجاز المصطفى ... العجيب في المقارنة بين الطائفتين)

أما إذا اعتبرنا التشبيه باللؤلؤ في الحالتين على أنهما في الآخرة - وهي حالة غيبية ولا يعلم كنهها وصفتها إلا الله - فهنا تكون القراءة موحدة للإثنين (بدون ألف) ..

وهذا التوجيه لا مانع منه وهو مشابه لما يقوم بمثله علماء القراءات في توجيه القراءات وما أكثره .. وإن كان هذا التوجيه ليس فيه مماحكة أو لف ودوران.

وقال أبو عمرو كتبوا (اللؤلؤا) في الحج والملائكة بالألف (وهي هكذا في المصاحف لدينا).

الحج : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)﴾

فاطر : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣)﴾

وأرى - والله أعلم - أن لا مانع من وضع الألف - في سورة الحج - لإثبات حركة النصب - في الإعراب - على أنها مفعول به للفعل (يحلون) ... كأنك تقول يحلون فيها من أساور من ذهب ، ويحلون فيها لؤلؤا.. إضافة إلى وصفهم بأعلى صفات التنعيم .. أو على القراءة الثانية من حذف الألف على أنها مجرورة - بالعطف على (ذهب) المجرورة.

يقول الطاهر: وفي الحج: { ولؤلؤاً } قرأه نافع ، ويعقوب ، وعاصم بالنصب عطفاً على محل { أساور } ، أي يحلون لؤلؤاً أي عقوداً ونحوها . وقرأه الباقون بالجر عطفاً على اللفظ والمعنى : أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ.

وعن محمد بن عيسى الأصبهاني : كل ما في القرآن من لؤلؤ فبغير الألف في مصاحف البصريين إلا في موضعين في الحج والإنسان.

والإنسان :﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩)﴾ . (أى حسبتهم من شدة المطابقة) وليس لها هنا إلا إعراب واحد – مفعول به ثان للفعل حسب – ولها قراءة واحدة..

أما زيادة الألف فى آية الحج فربما لأنه فصَّل أكثر وأوضح فى شرح الجنة ، وزاد قوله ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ – مع ملاحظة مشهد التحرك فى هذا المشهد .ولم يذكر فيها (الظالم لنفسه) ...

بخلاف آية فاطر قال:(جنات عدن فقط) ، وهنا مشهد السكون لمن فى الجنة حيث سماها جنات{ عدن } أي إقامة بلا رحيل.. وأيضاً قال: { الذي أحلنا دار المقامة } أي الإقامة) .. وقال : { من فضله } أي بلا عمل منا يستحق ذلك الفضل فإن حسناتنا إنما كانت منّاً منه سبحانه.. حتى فى عذاب الكافرين فإنه يلزم حالة واحدة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾

وقال عاصم الجحدرى كلها في مصحف عثمان بالألف إلا التى في الملائكة (هل للتركيز على أنها (دار المقامة) ولوجود (ظالم لنفسه) مما يستدعى قراءة أخرى – بحذف الألف- ؟؟؟ ربما، وربما لأسباب أخرى لانعلمها ، لكن المقصود هو أنه لامانع من هذه القراءات .. وإن كنا – كما قلنا من قبل – لانعرف – ولايعرف الباحثون – كما قال د: غانم قدورى): هل هذه المصاحف المذكورة – بإسم المصاحف القديمة هى النسخة الأصلية من خط عثمان أم هى منسوخة بأيد كل مصر من الأمصار ، ويكون توجيهها كما نوجه باقى القراءات (فى علم القراءات) وجوازها دون إلغائها.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾ فاطر.

أما آية الحج: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ.... ﴾.

ويقول الإمام الداني : قال أبو عمرو فإن سأل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف قلت السبب في ذلك عندنا إن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصحّ ولا يثبت نظرا للأُمّة واحتياطا على أهل المللّة وثبت عنده إن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة ومن رسول الله (ﷺ) مسموعة وعلم إن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكّن إلا بإعادة الكلمة مرتّين وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم مالا خفاء به ففرقها في المصاحف لذلك فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل وعلى ما سُمعت من رسول الله (ﷺ)فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار.

مدى الثقة فى الروايات الأخرى

الروايات الأخرى التى يقال عنها فى المصاحف الأخرى أو فى بعض الوثائق.

وقد تعمدنا الوقوف على هذا الموضوع الهام جداً والذى كان يمكن لنا إهماله وعدم ذكره لولا أننا وجدنا أن بعض علمائنا الأفاضل يشير – من بعيد مرة ومن قريب مرة أخرى – إلى أنه قد وجد بعض الكلمات مرسومة فى أحد المصاحف بصورة أخرى لرسم المصحف الإمام ، ثم يأخذون ذلك دليلاً على ان الرسم هذا ليس له خصوصية وأنه قد وصل ببعضهم إلى قولهم أن هذا الرسم هو خطأ من الكاتب ؟؟!!! كل ذلك اعتماداً على هذه الروايات المخالفة لرسم المصحف الإمام .

وقد قمنا على الصفحات الماضية بالإشارة إلى أنه لامانع لدينا – ولدى هؤلاء – من وجود رسمين كما هو الحال فى علم القراءات الذى عشناه كثيراً طوال هذه الرحلة والذى تعدى أحياناً حدود المعقولية فى بعض تبريرات العلماء لهذه القراءات التى تصل أحياناً إلى درجة التناقض، وقد قمنا بتوجيه بعض هذه الرسومات التى وصلت إلينا رغم عدم ثقتنا ويقيننا بهذه الروايات التى قلنا (لانصدقها ولانكذبها) لأنها روايات آحاد لاترقى – أدنى رقى– إلى مرتبة هذا النص المتواتر بين دفتى هذا المصحف.

ونظراً لخطورة هذاالأمر نقف مع رأى الإمام الدانى – الذى ينقلون عنه هذه الروايات والذى ينقل لنا بعض هذه القراءات – ونرى معه مدى مصداقية هذه الروايات فى ثنايا حديثه، وإليك بعذ هذه الروايات ونص حديثه حيث يقول:

وقد روى احمد بن يزيد الحلواني عن إبراهيم بن الحسن عن بشار عن اسيد إن في مصاحف أهل المدينة " لتربوا " في الروم و " كالذين ءاذوا موسى " في الأحزاب بغير

ألف بعد الواو، ولم أجد كذلك في شيء من المصاحف ((هذا يدل على أن هذه رواية آحاد ولم يرها الكاتب نفسه فى جميع المصاحف)))

ويقول: رأيت في الإمام مصحف عثمان " وأكن من الصلحين " بحذف الواو" واتفقت بذلك المصاحف فلم تختلف.

وقال الحلواني أحمد بن يزيد عن خالد بن خداش قال قرأت في الإمام أمام عثمان " وأكون " بالواو وقال رأيت المصحف ممتلئا دما وأكثره في والنجم.

**((وهذا دليل على أن الروايات التى تروى خلاف ماهو موجود بالمصحف لدينا هي روايات آحاد يجوز عليها الصدق والكذب .. ولاندرى ما مقصدهما فى قولهم (المصحف الإمام) وهل هو نسخ لتعدد القراءات أم أنه – كما رأينا – نقل آحاد (رواية عن فلان حدثنى عن فلان) والدليل على ذلك قول الإمام الدانى بعدها:

وحدثنا محمد بن احمد قال حدثنا محمد بن القسم قال قال الفراء حذفت واو الجمع في المصحف في قوله " نسوا الله " ، قال أبو عمرو ولا نعلم إن ذلك كذلك في شيء من مصاحف أهل الأمصار والذي حكي عن الفراء غلط من الناقل.!!

ولهذا أدعوا إخواننا العلماء الذين استندوا على هذه الروايات وجعلوها دليلاً على اختلاف الرسم – مما يسقط خصوصية الرسم العثمانى بالنسبة لهم ويجعلونه خطأ من الكاتب – أدعوا هؤلاء أن يعيدوا قراءة وتدبر هذه الإشارات ، ويعلموا أنه لايمكن أن نترك النص المتواتر المتواجد بين أيدينا ونذهب وراء روايات فردية (آحاد) لو رويت فى علم القراءات بهذه الصورة لتم رفضها بلا تردد .. ولكننا نحتاط لهم ومعهم ونقول : أن هذه الروايات المخالفة للرسم الموجود لدينا تحتمل الصدق والكذب – ولامانع ولاحرج فى توجيهها كما رأينا – بخلاف الرسم المتواتر الموجود لدينا))

وقال محمد بن عيسى رأيت في المصاحف كلها " شيء " بغير ألف ما خلا الذي في الكهف يعني قوله " و لاتقولن لشاي " ، قال وفي مصحف عبد الله رأيت كلها بالألف " شاي ".

ثم يقول: قال أبو عمرو (ولم أجد شيئا من ذلك في مصاحف أهل العراق وغيرها بألف).

(وهذا تناقض آخر فى روايات الآحاد ولينتبه القارىء لذلك حتى لايُحكّم هذه الروايات فى الرواية المتواترة لدينا، ويبنى عليها أحكاماً على غير الحقيقة)

قال أبو عمرو ورأيت أبا حاتم قد حكى عن ايوب بن المتوكل أنه رأى في مصاحف أهل المدينة " إنّا لنصر رسلَنا " في غافر بنون واحدة ولم نجد ذلك كـذلك في شـيء مـن المصاحف وبالله التوفيق. ((هذا يؤكد على أن الروايات الأخـرى المخالفـة لرسـم المصحف لدينا غير دقيقة وعليها اختلاف أو بمعنى آخر روايات فردية- آحاد- وهذا الاختلاف اختلاف صورى وليس بقوة اختلاف القراءات فى علـم القـراءات بـل لايساوى مثقال ذرة من ذلك الاختلاف فى علم القراءات) .

ويقول مكرراً: وفي المائدة " فسوف يأتي الله " بالياء قال أبو عمرو وكذلك جاء في (الرواية) بغير ياء بعد التاء وذلك غلط لا شك فيه لأنه فعل مرفوع وعلامـة رفعـه إثبات الياء في آخره ، ويقول: (ولا خلاف بين مصاحف أهل المصار في ذلك) وقـد تأملته انا في مصاحف أهل العراق وغيرها فوجدته كذلك (لاحـظ هـذا الخلـط فى الروايات الفردية)

ويقول: وفي المؤمنون في مصاحف أهل البصرة " سيقولون الله قل افلا تتقون " و " سيقولون الله قل فأنى تسحرون " بالألف في الاسمين الأخيرين وفي سائر المصاحف " لله " " لله " فيهما قال أبو عبيد .

ويقول: وكذلك رأيت ذلك في الإمام، وقال هارون الأعور عن عاصم الجحـدري كانت في الإمام " لله " " لله " وأول من الحق هاتين الألفين نصر بن عاصم الليثي، وقال أبو عمرو كان الحسن يقول: الفاسق عبيد الله بن زياد فيهمـا ألفا،وقـال يعقـوب الحضرمي أمر عبيد بن زياد إن يزاد فيهما ألف. ؟؟؟؟!!!. ويكمل قائلاً: قال أبو عمرو وهذه الأخبار عندنا لا تصح لضعف نقلتها واظطرابها وخروجها عن العـادة إذ غـير جائز إن يقدم نصر وعبيد الله هذا الإقدام من الزيادة في المصاحف مع علمهما بأن الأمـة لا تسوّغ لهما ذلك بل تنكره وترده وتحذر منه ولا تعمل عليه وإذا كان ذلك بطل إضافة زيادة هاتين الألفين إليهما وصحَّ إن إثباتهما من قبل عثمان والجماعة رضوان الله علـيهم على حسب ما نزل به من عند الله تعالى وما اقرأه رسول الله (ﷺ)واجتمعت المـصاحف على إن الحرف الأول " سيقولون لله " بغير ألف قبل اللام

وفيها في مصاحف أهل الكوفة " قل كم لبثتم " و " قل إن لبثتم " بغير ألف في الحرفين ، وفي سائر المصاحف " قال " بالألف في الحرفين وينبغـي أن يكـون الحـرف الأول في مصاحف أهل مكة بغير ألف والثاني بالألف لأن قراءتهم فيهما كذلك ولا خبر عندنا في

ذلك عن مصاحفهم إلا ما رويناه عن أبي عبيد انه قال ولا أعلم مصاحف أهل مكـــة إلا عليها يعني على اثبات الألف في الحرفين

ويقول: وفي الزخرف في مصاحف أهل المدينة والشام " يعبادي لا خوف عليكم بالياء وفي مصاحف أهل العراق " يعباد " بغير ياء وكذا ينبغي إن يكون في مـــصاحف أهل مكة لأنّ قراءهم فيه كذلك (ولا نص عندنا في ذلك عن مصاحفهم إلا) ما حكاه ابن مجاهد إن ذلك في مصاحفهم بغير ياء ورأيت بعـــض شـــيوخنا يقـــول ذلـــك في مصاحفهم بالياء (وأحسبه) ذلك من قول أبي عمرو إذ حكى أنه رأى الياء في ذلـــك ثابتة في مصاحف أهل الحجاز ومكة من الحجاز والله اعلم.

ويقول: وفيها في مصاحف أهل المدينة والشام " ما تـــشتهيه الأنفـــس " بهـــاءين ورأيت بعض شيوخنا يقول إن ذلك كذلك في مصاحف أهل الكوفة وهو غلط ، قال أبو عبيد وبهاءين رأيته في الإمام وفي سائر المصاحف " تشتهي " بهاء واحدة.

ونكتفى بهذا القدر وفيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ونتـــرك الحكم للقارىء مع الدعوة المخلصة لأحبابنا العلماء لمراجعة موقفهم هذا الـــذى بـــنى على غير الواقع.

❁❁❁❁❁❁❁❁

ختام واعتذار

بعد هذه الرحلة الجميلة والممتعة للعقل والمشبعة للعاطفة مع رسم الكلمة في القرآن الكريم - شأنها شأن جميع الرحلات مع هذا الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد-.

نشير للقارئ الكريم إلي بعض النقاط الهامة الآتية وهي:-

أولاً : كان حجم هذا الكتاب قد وصل إلي ألف صفحه أو يزيد ، وهذا قد أوقعنا في حرج شديد وحيرة بالغة حيث أننا نريد أن يصل البحث كاملا دون نقصان أو إخلال، ودون ترك أي كلمة دون النظر والتدبر فيها . ولكن كان هذا مستحيلاً أن يكون في مجلد واحد . وفي الناحية الأخرى سيكون مؤلمًا للنفس أن يكون ذلك علي مجلدين حيث أنه ربما يقتني القارئ مجلدًا ويترك الآخر - لسبب أو لآخر - وبذلك ينقطع التواصل والتكامل في ذات الموضوع الذي يجب أن يصل كاملاً دون ترك فرصة لوسوسة شياطين الإنس والجن في إثارة الشبهات في ما لم يدركه القارئ.

ولذلك كانت الحيرة البالغة والألم الشديد ونحن نقوم مضطرين بالحذف لأجزاء كثيرة والاختصار للبعض الآخر.

وقد قمنا بحذف الفقرات والكلمات التي كنا نري فيها وجه الشبه للفقرات الأخرى التي أثبتناها وناقشناها علي صفحات البحث واكتفينا بالإشارة والتلميح تارة ، واعتمدنا علي فهم القارئ تارة أخري.

ونكرر مرة ثانية: أن هذا التصرف - من الحذف والاختصار- قد آلم نفوسنا ولكننا كنا مضطرين لذلك .

ثانيا: الأمر الثاني أن هذا البحث قد صاحبه سرعه واستعجال في إصدار الكتاب وتقصير فى حسن تبويبه وتنسيقه على الوجه الذى يليق بمقام البحث لسببين أساسيين وهما :-

* السبب الأول: وهو الإلحاح الشديد من الإخوة الذين يسمعوننا ويحضرون دروسنا في المساجد أو علي القنوات الفضائية لإتمام هذا البحث علي وجه السرعة لما فيه من المتعة العقلية والروحية ولأنه لون جديد من الإعجاز لم تألف سماعه الآذان من قبل.

* السبب الثاني : هو إتاحة الفرصة لإتمام بحث آخر لا يقل عنة أهمية وهو عن سبب التكرار في القرآن الكريم وهو فى أربع مجلدات بعنوان (الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم) وهو أيضًا باب في غاية المتعة والجمال قد قصر فى بيانه أئمتنا الأعلام من

علماء التفسير والبيان ، وإن كنا نجمع أطراف أقوالهم المتناثرة والتي وردت في أماكن متفرقة في بطون كتبهم من البلاغة أو التفاسير ثم نضيف إليها ما تحتاجه من الإضافة، و هذا العمل يوضح الجمال والكمال والمتعة والإبهار والتناسق والتناغم العظيم في هذا اللون من الجمال وهو ما نسميه (بالتكرار في القرآن الكريم) - وما هو بالتكرار فى الحقيقة - وهذا البحث الشيق والممتع قد عشنا طرفا منه في بحثنا هذا سريعاً في تصويرنا للجمال والجلال في رسم الكلمة، ونشير للقارئ علي وجه الخصوص والتذكرة إلي هذا المنهج ومراجعته في شرحنا لرسم الكلمة (الكتاب والقرآن) بألف وبدون ألف ، والتطبيق العملي علي ذلك في سورتي النمل والحجر ، ورأينا مدي التناسق والتناغم في رسم مشاهد الصورة من أولها لآخرها مع رسم الكلمة التي كنا نتحدث عنها .

وتكررت الإشارة لذلك المنهج أيضًا في مواقف كثيرة نذكر منها في سورة (تبارك) حيث كتبت كلمه "تبارك" بدون ألف ومقارنتها بسورة (الفرقان) حيث كتبت "تبارك" بالألف . وتساءلنا وقتها لماذا حدث هذا ؟ ورأينا أن الكلمة "تبارك" قد رسمت علي هذه الصورة خصيصًا لهذه السورة وكأن هذه السورة قد فُصِّلت خصيصًا من أجل هذه الكلمة أو أخواتها من الكلمات . ومثلها أيضًا رسم كلمة (سعوا) بالألف في سوره الحج (وسعوا) بدون ألف في سوره سبأ.

وأيضا توقفنا علي رسم كلمه الملأ بالألف مره وبالواو الزائدة مرة أخري(الملؤا) وقد رأينا أن هذا المنهج الخطير يرسم مشاهد الصورة متناسقا مع رسم الكلمة .

وفي رحلتنا مع الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم سنؤكد علي أن هذا المنهج ليس فلتة عابرة ولكنه منهج أصيل في كل سور القرآن الكريم .

وهذه الرحلة مع الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم تنسي المرء كل كيانه وتجعله في شغل تام ولذة لا تنقضي مع الجمال والكمال في النص القرآني وهذا هو السبب الثاني الذي شغلنا عن هذا البحث وجعلنا نتعجل في إتمامه وقد شغلنا بهذا الجمال عن هذا الجمال .

الأمر الثالث :والذي يجب التنبيه إليه وهو الإحساس الدائم والمستمر بالتقصير الشديد وعجزنا عن إيصال هذا العمل إلي درجه الكمال و نشعر بذلك دائما بعد كل مراجعة للبحث قبل نشره وطبعه أنه في حاجة إلي إضافة أو تعديل وأنه ما زال هناك الكثير والكثير الذي يجب أن يضاف إلى هذا البحث وربما تحين الفرصة للقيام بعمل ملحق إضافي نضع فيه آراء القراء أيضا وتعليقاتهم وإضافاتهم .

ونؤكد علي أنه لا يمكن لنا الادعاء بالعصمة من الخطأ أو النسيان بل نسأل الله عز وجل العفو والمغفرة من ذلك .

من أمثلة هذه الأخطاء التي استدركتاها بعد نهاية البحث هو ما سيلاحظه القارئ من أننا كنا نشير مرة إلي علمائنا وأئمتنا الأعلام بتقديم اللقب الذي يليق بهم مثل (العَلَّامَه) أبو السعود أو (الأئمة) الألوسي أو الطاهر أو الزمخشري أو الرازي أو البقاعي أو غيره وكلهم أئمة أعلام يستحقون وضع هذا اللقب ، ولكننا كنا تارة أخري ننسي أن نضيف هذا اللقب اعتماداً منا علي فهم القارئ لقدر هؤلاء العلماء الذي أشرنا إليه من قبل وضيق الوقت والمقام في تكرار ذلك كل مرة ؛ وهم أئمتنا ومصابيح العلم والهدي وليغفر لنا قارئنا العزيز هذا الخطأ الغير متعمد.

ولعل القارئ يلحظ أمثال هذه الأخطاء ألغير متعمدة أو يريد أن يضيف رأيًا أو آراءً مكملةً لهذا البحث أو معدلة له . ونحن نرحب بذلك بل وننتظره من أحبابنا ونعدهم جميعا بأننا سوف نضيف هذا الرأى أو ذاك في الطبعة الثانية .وما علي القارئ الكريم إلا الاتصال بالتليفون الخاص بالكاتب والمقيد بظهر الغلاف وجزاه الله خيرا .

وموعدنا مع كتاب آخر فى سلسلة الجمال والكمال فى القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ولقد تم بحمد الله وفضله ومنته الانتهاء من هذا البحث فى شهر رمضان المبارك ١٤٢٩ هـ الموافق سبتمبر ٢٠٠٨

دكتور: سامح عبد الفتاح محمد القليني

المراجـــع

بعض أسماء الكتب والمراجع الهامة

١ – تفسير روح المعانى ، للإمام الآلوسى.
٢ – تفسير إرشاد العقل السليم ، للإمام أبو السعود.
٣ – تفسير الكشاف ، للإمام الزمخشرى.
٤ – تفسير التحرير والتنوير ، للإمام الطاهر بن عاشور.
٥ – التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين الرازى.
٦ – تفسير الإمام الطبرى.
٧ – تفسير الإمام البقاعى.
٨ – تفسير الإمام الثعالبى.
٩ – تفسير الإمام السمرقندى.
١٠ – تفسير فتح القدير ، للإمام الشوكانى.
١١ – تفسير الظلال ، للشهيد سيد قطب.
١٢ – التفسير القيم ، للإمام بن القيم الجوزية.
١٣ – معترك الأقران فى إعجاز القرآن ، للإمام جلال الدين السيوطى.
١٤ – الإتقان فى علوم القرآن ، للإمام جلال الدين السيوطى.
١٥ – البرهان فى علوم القرآن ، للإمام الزركشى.
١٦ – الخصائص ، للإمام ابن جنى.
١٧ – ملاك التأويل ، للإمام الزبير القرناطى.
١٨ – أسرار التكرار فى القرآن الكريم ، للإمام الكرمانى.
١٩ – تأويل مشكل القرآن ، للإمام ابن قتيبة.
٢٠ – التبيان فى أقسام القرآن ، للإمام ابن القيم الجوزية.
٢١ – المجاز فى اللغة والقرآن الكريم ، للدكتور/عبد العظيم المطعنى.
٢٢ – خصائص التعبير القرآنى ، للدكتور/عبد العظيم المطعنى.
٢٣ – مجموعة مقالات شهرية عن (خصوصيات الرسم العثمانى) على مجلة اللواء الإسلامى لمدة عامين تبدأ من ديسمبر ٢٠٠٠ ، للأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعنى.
٢٤ – دراسات جديدة فى إعجاز القرآن ، للدكتور عبد العظيم المطعنى.
٢٥ – معانى النحو ، ٤ مجلدات ، للأستاذ الدكتور/فاضل السامرائى.
٢٦ – التعبير القرآنى ، للأستاذ الدكتور/فاضل السمرائى.
٢٧ – معانى الأبنية فى العربية ، للأستاذ الدكتور/فاضل السامرائى.
٢٨ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، للأستاذ/مصطفى صادق الرافعى.

٢٩- الحجة فى القراءات ، لأبى على الفارسى.
٣٠- معانى القراءات ، لأبى منصور الأزهرى.
٣١- الإعجاز الأعجمى فى القرآن الكريم ، للدكتور/رءوف أبو سعدة.
٣٢- علم الأصوات ، للدكتور/كمال بشر.
٣٣- عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل ، للإمام أبى العياش أحمد ابن البناء المراكشى.
٣٤- المقنع فى رسم المصاحف ، للإمام الدانى.
٣٥- من روائع البيان ، للدكتور/تمام حسان.
٣٦- الإعجاز البيانى للقرآن ، للدكتورة/عائشة عبد الرحمن.
٣٧- سر الإعجار ، للدكتور/عودة الله منيع القيسى.
٣٨- أثر الدلالة النحوية واللغوية ، للدكتور/عبد القادر عبد الرحمن السعدى.
٣٩- الترادف فى القرآن ، للدكتور/محمد نور الدين المتحد.
٤٠- من بلاغة القرآن ، للدكتور/أحمد بدوى.
٤١- الفاصلة فى القرآن ، للدكتور/محمد الحسناوى.
٤٢- دلالات التراكيب ، للدكتور/محمد أبو موسى.
٤٣- التصوير البيانى ، للدكتور/محمد أبو موسى.
٤٤- البلاغة عند الزمخشرى ، للدكتور/محمد أبو موسى.
٤٥- من أسرار حروف العطف ، للدكتور/محمد الأمين الخضرى.
٤٦- من أسرار حروف الجر ، للدكتور/محمد الأمين الخضرى.
٤٧- صيغ الجمع ، للدكتور/محمد الأمين الخضرى.
٤٨- التوجيه البلاغى للقراءات فى القرآن ، للأستاذ الدكتور/أحمد سعد محمد ، مكتبة الآداب.
٤٩- النبأ العظيم ، للأستاذ الدكتور/محمد عبد الله دراز.
٥٠- حصاد قلم ، للأستاذ الدكتور/محمد عبد الله دراز
٥١- نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقى ، للدكتور/أحمد عبد المجيد خليفة.
٥٢- رسم المصحف العثمانى ، للدكتور/عبد الفتاح إسماعيل شلبى.
٥٣- حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٥٤- الفروق فى اللغة ، لأبى هلال العسكرى.
٥٥- الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن ، للدكتور/سامح القلينى.
٥٦- وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ، للدكتور/سامح القلينى.

الفهرس

رقم الصفحة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملحق لحديث الغمام(بالألف وبدون الألف) وص ٤٣٢ ، ٦٧١

(١) {وَظَلَّلْـنَا عَلَـيْكُمُ الْغَمَـامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (٥٧) ســورة البقرة...(خطاب مباشر (وَظَلَّلْـنَا عَلَـيْكُمْ.) وفــيه ظهور لرب العزة ، وبصيغة الجمع والحضور، وقال :كلوا (واشربوا). فذكر الشرب الذى يناسب التركيز والإظهار لدور الغمام وإظهار الألف.

(٢) وَظَلَّلْـنَا عَلَـيْهِمُ الْغَمَـــمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْـنَاكُمْ وَمَــا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (١٦٠) سورة الأعراف.. خطاب بصــيغة الغائــب ولــيس بالخطــاب المباشر- (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ)-، و لم يقل أيضاً: كلوا و(اشربوا)، ولكنه قال (كلوا) فقط ، وهذا تقليل من دور الغمام ؛ مما ناسبه حذف الألف

(٣) {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّــهِ تُــرْجَعُ الأمُــورُ} (٢١٠) ســورة البقرة. هنا خطاب تهديد ووعيد،ولليهود، وفى الدنيا(فاستدعى إظهار الألف)

ويوضــحه مــا يقوله الإمام الرازى بعد عرضه لأقوال المفسرين: الوجه السادس : وهو أوضح عندي من كل ما سلف : أنا ذكرنا أن قوله تعالى : { ياأيها الذين ءَامَنُواْ ادخلوا فِــي السلم كَافَّةً } [البقرة : ٢٠٨] إنما نزلت في حق اليهود ، وعلى هذا التقدير فقوله : { فَــإِن زَلَلْــتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ البينات فاعلموا أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة : ٢٠٩] يكــون خطاباً مع اليهود ، وحينئذ يكون قوله تعالى :{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَــلٍ مّنَ الغمام والملائكة } [البقرة : ٢١٠] حكاية عن اليهود ، والمعنى : أنهم لا يقبلون ديــنك إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ، ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل ذلــك فقــالوا : { لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حتى نَرَى الله جَهْرَةً } [البقرة : ٥٥] وإذا كان هذا حكاية عن حال اليهود و لم يمنع إجراء الآية على ظاهرها ، وذلك لأن اليهود كانوا على مذهــب التشبيه ، وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب ، وكانوا يقولون : إنه تعالى تجــلى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد

عليه الصلاة والسلام ، ..) انتهى.- **فهى مطالب دنيوية وسياق تهديد ووعيد بأن يأتيهم عذاب الله من حيث لم يحتسبوا فناسبه إظهار الألف.**

(٤) **{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا}** (٢٥) سورة الفرقان

هــنا الخطاب والحديث عن الآخرة وعلامات يوم القيامة ونزول الله بالغمام مع الملائكة على الحالة الغيبية التى نجهلها فناسبها إخفاء الألف

**** مــن هــذا يتــبين أن إظهار الألف مع مشهد القوة فى الظهور والتهديد والوعيد الدنيوى، ويكون إخفاء الألف مع ضعف الظهور وحديث الغيبة أو الحديث عن الدار الآخرة.**

يتوقف المسلم وغير المسلم والعالم وغير العالم أمام رسم الكلمة في القرآن الكريم وكيف رسمت علي أشكال مختلفة رغم القراءة الواحدة لها وذلك كمثال:

﴿شجرة، شجرت﴾ ﴿سبحان، سبحـٰن﴾ ﴿بسم الله، باسم ربك﴾ ﴿طائف من ربك، طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾

﴿سنة، سنت﴾ ﴿كذابا، وَلَا كِذَّٰبًا﴾ ﴿الضعفاء، ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا﴾ ﴿تبرك ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾

﴿جنة، جنت﴾ ﴿البلاء، ٱلْبَلَـٰٓؤُا﴾ ﴿امرأة، إمرأت﴾ ﴿نعمة .. نعمت الله لاتحصوها﴾

﴿جزاء، جزؤا﴾ ﴿رحمة، رحمت﴾ ﴿أبناء، أَبْنَـٰٓؤُا﴾ ﴿وراء حجاب، وَرَآيِ حِجَابٍ﴾

﴿دعاء، دُعَـٰٓؤُا﴾ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ، ٱلرِّبَوٰا﴾ ﴿القواعد، وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾

وهكذا الآلآف المؤلفة من الأمثلة التي سنعيشها في هذا البحث الذي تتفاوت حوله الآراء وتختلف عنده الأفكار ؛ فمنهم من توهم أن ذلك خطأ من الكاتب ، ومنهم من قال أنه سر من الأسرار لا يعلمه الا الله ، ومنهم من حاول ولكن قصر باعه وأعلن عجزه عن الوصول وأقر أنه يحتاج إلي جهد أجيال متعاقبة وليس جهد فرد واحد .

وهذا الكتاب هو أول كتاب يتناول هذه القضية علي أرض الواقع ومن واقع النصوص القرآنيه ومن أقوال علماء التفسير والبلاغة وعلم الصوتيات وغيرها ، وكاتب هذا البحث الدكتور : سامح القليني له مؤلفات كثيره أثري بها المكتبة الإسلامية ومنها هذا الكتاب والكتب التالية :



١- سلسله الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم.
٢- أسلوب الالتفات في القرآن الكريم.
٣- جرس الكلمة في القرآن الكريم .
٤- آية السيف وقضيه الناسخ والمنسوخ.
٥- سلسلة ردود إسلامية بعنوان (بل أولئك هم الظالمون).
٦- لماذا أنا مسلم؟.

كتب مقارنه الاديان :

١- البحث عن الحقيقة.
٢- وأنا أدعوكم إلي العزيز الغفار.
٣- فلسفه الغفران بين الإسلام والعقائد الأخري.
٤- الرد علي كتاب "هل تنبأ الكتاب المقدس بنبي المسلمين"
٥- داوود في الكتاب المقدس.
٦- الرد علي الجواب.
٧- حكايا مقدسه في الكتاب.

مكتبة وهبة

١٤ ش الجمهورية ـ عابدين

القاهرة ـ ت : ٢٣٩١٧٤٧٠

السعر ثلاثون جنيها